

بسم الله الرحمن الرحيم

(سورة الاحقاف مكية)

الاقوله تعالى قل أرايتم ان كان من عند الله الآيه والا فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل
 الآيه والا ووصينا الانسان بوالديه الثلاث آيات وهي خمس وثلاثون آيه وستمائة وأربع
 وأربعون كلمة وألفان وخمسمائة وخمسة وتسعون حرفا (بسم الله) الذي لا يذل من والى ولا يعز
 من عادى (الرحمن) الذي سبق رحمة غضبه (الرحيم) الذي خص حربه بعمل الابرار للفوز
 في دار القرار وتقدم الكلام على قوله تعالى (حم) مرارا وقرأ ابن ذكوان وشعبة وحجة
 والكسائي بامالة الحاء محضة وقرأ ورش وأبو عمرو بامالتها بين وبين فتحها الباقون وقبل المراد
 بحم حكمة فحمد صلى الله عليه وسلم التي هي النهاية في الصواب والسداد أحكمها الذي أحاطت
 قدرته فهو لا يخاف الميعاد وقوله تعالى (تنزيل الكتاب) أى الجامع لجميع الخبرات بالتدريج على
 حسب المصالح (من الله) أى الجبار المتكبر المختص بصفات الكمال (العزيز) فى ملكه (الحكيم)
 فى صنعه لانه لم يفعل شيئا الا فى أوفق محاله وأنه الخالق للخير والشر وأنه يعز أولياءه ويذل أعداءه
 (ما خلقنا) أى على ما لنا من العظمة الموجبة للثقة بالكبرياء (السموات والارض) على ما فيها
 من الآيات (وما بينهما الا) خلقا ملتبسا (بالحق) أى الامر النابت من القدرة التامة والتصرف
 المطلق ليدل على قدرتنا ووحدايتنا (وأجل) أى بتقدير أجل (مسمى) ينتهى اليه وهو يوم
 القيامة (والذين كفروا عما آندروا) أى خوفوا به من القرآن من هول ذلك اليوم الذى لا بد لكل
 خلق من انتهائه اليه (معرضون) أى لا يؤمنون به ولا يهتمون للاستعداد له ثم قال الله تعالى لنبيه
 صلى الله عليه وسلم (قل) أى لهؤلاء المعرضين أنفسهم لغاية الخطوب مكر عليهم تكبيرا وتوبيخا

(أرأيتم) أي أخبروني عن حال آلهتكم بعد تأمل وروية باطنية (ماتدعون) أي تعبدون ثم نبه على
 سقو لهم بقوله تعالى (من دون الله) أي المالك الأعظم الذي كل شيء دونه فلا كف له مفعول أول
 وقوله تعالى (أروني) أي أخبروني تأكيد وقوله (ماذا خلقوا) مفعول ثان وقوله تعالى (من
 الارض) بيان لما أي ليصح ادعاء أنهم شركاء فيها باختراع ذلك الجزء (أم لهم) أي الذين تدعونهم
 (شرك) أي مشاركة (في) خلق (السموات) أي بنوع من أنواع الشراكة مع الله تعالى وأم بمعنى
 همزة الانكار ولما كان الدليل أحد شيئين سمع وعقل قال تعالى (أتدعونني بكذب) أي منزل على
 دعواكم في هذه الاصنام أنها خلقت شيئا وأنهم نستحق أن تعبد * (تنبيه) * أبدل ورش
 والسوسى الهمزة من اتوني في الوصل ياء وحققها الباقرن وأما الابتداء بها فجميع القراء
 أبدلوها بياء بعد الابتداء بهمزة الوصل مكسورة (من قبل هذا) أي القرآن الذي أنزل على
 كتوراة والانجيل والزبور وهذا من أعلام النبوة فإنها كلها شهادة بالوحدانية لو أتى بها آت
 لشهدت عليه ولما ذكر تعالى الاعلى الذي لا يجب التكليف الابه وهو النقل القاطع سهل عليهم
 فنزل الى مادونه فقال (أو أنارة) أي بقية (من علم) يؤثر عن الأولين بصحة دعواكم في عبادة
 الاصنام أنها اتقربكم الى الله تعالى وقال المبرد أنارة ما يؤثر من علم كقولك هذا الحديث يؤثر عن
 فلان ومن هذا المعنى سميت الاخبار بالانارة يقال جاء في الاثر كذا وكذا وقال الواحدى وكلام
 أهل اللغة في هذا الحرف يدور على ثلاثة أقوال الأول الانارة واشتقاقها من أثرت الشيء أثيرة
 انارة كأنهم بقية تستخرج فتتار والثاني من الاثر الذي هو الرواية والثالث من الاثر بمعنى
 العلامة وقال الكلبي في تفسير الانارة أي بقية من علم يؤثر عن الأولين أي يسند اليهم وقال
 مجاهد وعكرمة ومقاتل رواية عن الانبياء قال الرازي وهو ناقول آخر أو أنارة من علم هو علم الخط
 الذي يخط في الرمل والعرب كانوا يخطونه وهو علم مشهور روى أنه صلى الله عليه وسلم قال كان
 نبي من الانبياء يخط في رمل فخط خطه علم علمه فعلى هذا الوجه معنى الآية اتوني بعلم من قبل
 هذا الخط الذي يخطونه في الرمل يدل على صحة مذهبكم في عبادة الاصنام فان صح تفسير الآية
 بهذا الوجه كان ذلك من باب التكميم بهم وأقول لهم ودلائلهم ثم أشار الى تقريرهم بالكذب اذ لم
 يقيموا دليلا على دعواهم بقوله (أن كنتم صادقين) أي عريقتين في الصدق على ماتدعون لانفسكم
 ولما أبطل سبحانه قولهم في الاصنام بعدم قدرتها أتبعه ابطاله بعدم علمها بقوله تعالى (ومن أضل)
 وهو استهزام بمعنى النبي أي لأحد أضل (من يدعو) أي يعبد ما لا قدر له ولا علم ومن انتفت
 قدرته وعلمه تصح عبادة يدينه العقل وأرشد الى سقو لها بقوله عز وجل (من دون الله) أي من
 أدنى رتبة من رتب الذي له صفات الكمال فهو يعلم كل شيء ويقدر على كل شيء فهو بحيث يجب
 الدعاء ويكشف البلاء ويحقق الرجا اذا شاء ويدبر عبده لما يعلم من سره وعلمه بما لا يتدبره
 على تدبير نفسه به ويدبر العبد في كثير من الاشياء ما لو وكل فيه الى نفسه وأجيب الى طلبته كان
 فيه حجة فيدبره سبحانه بما تستدكر اهتله فيكشف الحال على أنه لم يكن له فوج الا فيه (من
 لا يستجيب له) أي لا توجد الاجابة ولا يطلب ايحادهما من الاصنام وغيرها لانه لا أهلية له لذلك

والمعنى انه لا أحد أبعد عن الحق وأقرب الى الجدل ممن يدعو من دون الله الاصنام فيتحذرها آلهة
وبعدها وهي اذا دعيت لاتسمع ولا تجيب لاني الحال ولا في المآل (الى يوم القيامة) وانما جعل
ذلك غاية لان يوم القيامة قد قيل ان الله تعالى يحيط بها ويحاطب من يعبدها فلذلك جعله الله تعالى
حدا وقيل المراد عبدة الملائكة وعيسى وأنهم يوم القيامة يظهرون عبادة هؤلاء العابدين (وهم
عن دعائهم) أي دعاء المشركين اياهم (غافلون) أي لهم هذا الوصف لا ينفكون عنه لا يعلمون من
يدعوه ومن لا يدعوه وعبر بالغة التي هي من أوصاف العقلاء للجماد تغليباً ان كان المراد أعم
من الاصنام وغيرهما معبدوه من عقلاء الانس وغيرهم ولما غلب سبحانه يوم القيامة فأفهم أنهم
يستحيون لهم فيه بين ما يحاورونهم به اذ قال تعالى (واذا حشر) أي جمع بكره على أيدي
وجه وأسهل أمر (الناس) أي يوم القيامة (كانوا) أي المدعورون (لهم) أي الداعين (أعداء)
ويعطيهم الله تعالى قوة الكلام فيخاطبونهم بكل ما يخاطب به العدو وعدوه (وكانوا) أي المعبودون
(بعبادتهم) أي الداعين وهم المشركون اياهم (كافرين) أي جاحدين لانهم كانوا عنها غافلين كما قال
تعالى في سورة يونس عليه السلام وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون ثم بين تعالى أنهم في نهاية
الغباء وانكار ما لا شيء أبين منه بقوله سبحانه (واذا تبلى) أي تقرأ من أي قارئ كان على وجه
المتابعة (عليهم) أي هؤلاء البعداء البغضاء (آياتنا) التي لا أعظم منها في أنفسها باضافتها اليها
وهي القرآن وقوله تعالى (بينات) أي ظاهرات حال قالوا هكذا كان الاصل ولكنه تعالى بين
الوصف الحامل لهم على القول فقال عز وجل (قال الذين كفروا) أي ستمروا تلك الانوار التي
أبرزتها تلك التلاوة لها هكذا كان الاصل ولكن قال تعالى (للحق) أي لاجله (لما) أي حين
(جاءهم) أي من غير نظر وتأمل (هذا) أي الذي يتلى (سحر) أي خيال لاحقيقة له (مبين) أي
ظاهر في أنه خيال باطل وقوله تعالى (أم يقولون افتراء) اضرب عن ذكر تسميتهم اياه سحر الى
ذكر ما هو أشنع وانكار له وتجب ثم بين تعالى بطلان شبهتهم بقوله تعالى (قل) أي يا أشرف الخلق
(ان افتريته) أي تعمدت كذبه على زعمكم وأنا انما أريد به نصيحتكم فالذي افتربه عليه وأنسبه
اليه يعاقبني على ذلك ولا يتركني أهلاً وذلك هو معنى قوله (فلا تلهكوا) أي أيها المنصوحون
بوجه من الوجوه ولا في وقت من الاوقات (لى من الله) أي المتكبر الحليم (شيئاً) من الاشياء لما يرد
عني انتقامه لان الملك لا يترك من كذب عليه مطلق كذب فكيف من يعتمد الكذب عليه في الرسالة
بأمر عظيم وملازمته مساء وصباحاً فأى حامل لى حينئذ على افتراءه ثم علل ما أفاده الكلام من
وجوب الانتقام بقوله (هو) أي الله سبحانه (أعلم) أي منكم ومن كل أحد بما تضمنه فيه (أي
بما تضمنه فيه من التكذيب بالقرآن والقول فيه بأنه سحر) (كفى به شهيداً) أي شاهداً ببلغ
الشهادة لانه أعلم بجميع أحوالنا (بينى وبينكم) أي أن القرآن جاء من عنده فيشهد لى بالصدق
وليكذب بالكذب وقد شهد بصدقى بعجزكم عن معارضة شئ من هذا الكتاب الذى أتيت به فثبت
بذلك أنه كلامه لاني لا أقدر على ما تقدرون عليه فرادى ولا مجتمعين وأنتم عرب منلى بل وأنا أنسى
وفيكم أنتم المكتبة والذين خالطوا العلماء وسمعوا الأحاديث الامم وضمروا بعد بلاد العرب في بلاد

الحجم فظهر بذلك ظهور الشمس أنكم كاذبون (وهو) أي وحده (الغفور) أي الذي من شأنه أن
 يجمع الذنوب أعيانها أو آثارها فلا يعاقب عليها ولا يعاتب (الرحيم) أي الذي يكرمكم بعد المغفرة
 ويفضل بالوفيق لما رضى به قال الزجاج هذا دعاء إلى التوبة ومعناه غفور لمن تاب منكم رحيم به
 ولما حكى تعالى طعنهم في كون القرآن معجزا بقولهم أنه يخلفه من عند نفسه ثم ينسبه إلى أنه
 كلام الله تعالى على سبيل القرينة حكى عنهم شبهة أخرى وهو أنهم كانوا يقترحون عليه معجزات
 عجيبية ويطلبونه بأن يخبرهم عن المغيبات فأجاب الله تعالى عن ذلك بقوله عز وجل (قل) أي
 لهؤلاء الذين نسبوا إلى الافتراء (ما كنت) أي كونا ما (بدعا) أي منشأ مبتدعاً محدثاً مخترعاً
 بحيث أكون أجنياً منقطعاً (من الرسل) أي لم يتقدم لي منهم مثال في أصل ما جئت به وهو
 التوحيد ومحاسن الأخلاق بل قد تقدمت رسل كثيرون أتوا بمثل ما أتيت به ودعوا إليه كادعوت
 إليه وصدقهم الله تعالى بمثل ما صدقني به فثبت بذلك رسالتهم وسعديهم من صدقهم من قومهم
 وشقي من كذبهم فانظروا إلى آثارهم واسألوا عن سيرهم من أتباعهم وأنصارهم وأشياهم
 * (تنبيه) * البدع والبديع من كل شيء المبدأ والبدعة ما اخترع مما لم يكن موجوداً قبله وفي
 الحديث كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار قال البقاعي معناه والله أعلم أنه يتدع ما يخالف
 السنة إذا كانت البدعة ضد السنة فإذا أحدث ما يخالفها كان باحداثة ضالاً مشركاً وكان ما
 أحدث في النار ولم يدخل تحت هذا ما اخترعه الإنسان من أفعال البر يسمى بدعة لعدم فعله قبل
 ذلك فيخرج عما ذكره وقال ابن عبد السلام البدعة منقسمة إلى واجبة ومحترمة ومنذوبة
 ومكرهة ومباحة قال والظريق في ذلك أن تعرض البدعة على قواعد الشريعة فإن دخلت في
 قواعد الإيجاب فهي واجبة كالاشتغال بعلم النحوى وفي قواعد التحريم فمحترمة كذهب القدريّة
 والجسمة والرافضة قال والرد على هؤلاء من البدع الواجبة أو في قواعد المندوب فمندوبة كبناء
 الربط والمدارس وكل احسان لم يحدث في العصر الأول كصلاة التراويح أو في قواعد المكروه
 فكروهة كخرقة المساجد وتزويق المصاحف أو في قواعد المباح فباحة كالمصافحة عقب الصبح
 والعصر والتوسع في الماء كل والملابس وروى البيهقي بإسناداه في مناقب الشافعي رضي الله
 تعالى عنه أنه قال المحذورات ضربان أحدهما ما خالف كتاباً أو سنة أو إجماعاً فهو بدعة وضلالة
 والثاني ما أحدث من الخير فهو غير مذموم واختلاف في تفسير قوله تعالى عن قوله عليه الصلاة
 والسلام (وما أدرى ما يفعل بي ولا بكم) على وجهين أحدهما أن يحمل ذلك على أحوال الدنيا
 والثاني أن يحمل على أحوال الآخرة أما الأول ففيه وجوه أحدها أن معناه لا أدرى ما يصير
 إليه أمري وأمركم ومن الغالب منا ومن المغلوب فإنها قال ابن عباس في رواية الكلبي لما اشتد
 السلاء بأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بمكة رأى في المنام أنه يهاجر إلى أرض ذات نخيل وشجر
 وما فقهها على أصحابه فاستبشر وبذلك ورأى أن ذلك فرج ما بهم من أذى المشركين ثم انهم
 مكثوا برهة من الدهر لا يرون أثر ذلك فقالوا يا رسول الله ما رأينا الذي قلت متى يهاجر إلى الأرض
 التي رأيتها في المنام فبكت النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى قل ما كنتم بدعاً من الرسل

وما أدري ما يفعل بي ولا بكم هو شئ رأيت في المنام (ان) أي ما (أنسج) أي بغاية جهدي وحتي
 (الاما) أي الذي (يوحى) أي يجتد القافؤ من لا يوحى بحق سواه (التي) على سبيل التدرج لا يطلع
 عليه حق اطلاعه غيري ثالثا قال الضحاك لا أدري ما تؤمرون به ولا ما أمر به من التكليف
 والشرائع ولا من الامتلاء والامتحان (وما أنا) أي باخباري لكم عما يوحى الي (الانذيرمين) أي
 بين الانذار رابعها كانه يقول ما أدري ما يفعل بي في الدنيا موت أو قتل كما قتل الانبياء قبلي ولا
 أدري ما يفعل بكم ايها المكذبون اترمون بالجحارة من السماء ويخسف بكم أو يفعل بكم ما يفعل
 بسائر الامم قال السدي ثم أخبره الله تعالى أنه يظهر دينه على الاديان بقوله تعالى هو الذي أرسل
 رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وقال في آتته وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم
 وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فأخبره الله تعالى بما يصنع به وبآتته * وأما من حمل الآية
 على أحوال الآخرة فروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال لما نزلت هذه الآية فرح
 المشركون والمنافقون واليهود وقالوا كيف تتبع نبيا لا يدري ما يفعل به ولا بنا فنزل الله تعالى
 انافحنالك فتحا مينا بغفرلك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر الى قوله تعالى وكان ذلك عند الله
 فوزا عظيما فقالت الصحابة هنيئلك يا رسول الله قد علمنا ما يفعل بك فما يفعل بنا فانزل الله عز وجل
 ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار الالية وأنزل وبشر المؤمنين بأن لهم
 من الله فضلا كبيرا فين لهم ما يفعل به وبهم وهذا قال أنس والحسن وعكرمة وقالوا انما قال هذا
 قبل أن يخبر بغفران ذنبه لانه انما أخبر به عام الحديبية فتسخ ذلك قال الرازي وأكثر المحققين
 استبعدوا هذا القول من وجهين أحدهما أن النبي صلى الله عليه وسلم لا بد وأن يعلم من نفسه
 ومضى علم كونه نبيا علم أنه لا تصدر عنه الكبر وأنه مغفور له وإذا كان كذلك امتنع كونه شاكفا
 أنه هل هو مغفور له أو لا ثانيهما أن الانبياء ارفع حالهم الاولياء وقد قال تعالى في حقهم ان الذين
 قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون فكيف يعقل أن يبقى الرسول الذي هو
 رئيس الانبياء وقدوة الاولياء شاكفا انه هل هو من المغفور لهم فثبت ضعف هذا القول (قل)
 يا أفضل الخلق لهؤلاء المصيرين على التكذيب (أو أيتم) أي أخبروني (ان كان) أي هذا الذي
 آتيتكم به وهو القرآن (من عند الله) أي الملك الاعظم (وكفرتم به) أي أيها المشركون (وشهد
 شاهد) واحدا أو أكثر (من بني اسرائيل) أي الذي جرت عادتكم أن تستفتوهم وثقوا بهم
 (على مثله) أي مثل ما في القرآن من ان من وحد فقد آمن ومن أشرك فقد كفر وأن الله تعالى
 أنزل ذلك في التوراة والانجيل وجميع أسفارهم فتطابقت عليه كتبهم وتطافت به رسالهم
 وتواترت على الدعاء اليه والامر به أنبياءهم عليهم الصلاة والسلام (فأمن) أي هذا الذي شهد
 هذه الشهادة (واستكبرتم) أي أوجدتم الكبر بالاعراض عنه طامنين بذلك الرياسة والفخر فكنتم
 بعد شهادة هذا الشاهد معاندين من غير شبهة فضلا من فوضعت الشئ في غير موضعه فأنشد عليكم
 باب الهداية واختلف في هذا الشاهد فقال قتادة والضحاك وأكثر المفسرين هو عبد الله بن
 سلام شهد بنبو المصطفى صلى الله عليه وسلم وأمن به واستكبرت اليهود فلم يؤمنوا به كإروى أنس

قال سمع عبد الله بن سلام بمقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاه فنظر الى وجهه فعلم أنه ليس
 وجهه كذاب وتأمله فتحقق أنه النبي المستظر فقال له أتى سائرنا عن ثلاث لا يعلمون الانبي ما أول
 أشرط الساعة وما أول طعام أهل الجنة وما ينزع الولد الى أبيه أو الى أمه فقال صلى الله عليه
 وسلم أخبرني بهن جبريل أنفا قال جبريل قال نعم قال ذلك أعدوا اليه يهود من الملائكة فقرأ من كان
 عدوا لجبريل فانه نزل على قلبك باذن الله ثم قال أما أول أشرط الساعة فمنازحتهم الناس من
 المشرق الى المغرب وأما أول طعام تأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت وأما الولد فاذا سبق ماء
 الرجل نزعوا واذن سبق ماء المرأة نزعته فقال أشهد انك لرسول الله حقا ثم قال يا رسول الله ان
 اليهود قوم بهت وان علموا باسلامي قبل أن تسألهم عنى بهتوني عندك فجاءت اليهود فقال لهم
 النبي صلى الله عليه وسلم أى رجل عبد الله فيكم فقالوا اخبرنا وابن اخبرنا وسيدنا وابن سيدنا
 وأعلمنا وابن أعلمنا قال أفرايتم ان أسلم عبد الله بن سلام فقالوا أعاده الله من ذلك فخرج اليهم
 عبد الله فقال أشهد ان لا اله الا الله واشهد أن محمدا رسول الله فقالوا شرتنا وابن شرتنا وارتقصوه
 فقال هذا ما كنت أخاف منه يا رسول الله قال سعد بن أبي وقاص ما سمعت النبي صلى الله عليه
 وسلم يقول لاحد يعنى على الارض انه من أهل الجنة الا لعبد الله بن سلام وفيه نزلت هذه الآية
 وشهد شاهد من بني اسرائيل وقيل الشاهد هو موسى بن عمران قال الشعبي قال مسروق في هذه
 الآية والله ما نزلت في عبد الله بن سلام لان آل حم نزلت بحكمة وانما أسلم عبد الله بن سلام بالمدينة
 قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعامين فكيف يمكن جل هذه الآية المكية على واقعة
 حدثت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وانما نزلت الآية في محاجة كانت من
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت بالمدينة وأجاب الكلبي بأن السورة مكية الا هذه الآية
 فانها مدنية وان الله تعالى أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بأن يضعها في هذه السورة المكية في هذا
 الموضع المعين وقيل المراد بالشاهد موسى ومثل القرآن هو التوراة فشهد موسى على التوراة
 ومحمد على الفرقان فكل واحد يصدق الآخر لان التوراة مشتقة على البشارة بمحمد صلى الله
 عليه وسلم والقرآن مصدق للتوراة وجواب الشرط ألسن ظالمين دل عليه قوله تعالى (ان الله)
 أى الملك الاعظم ذا العزة والحكمة (لا يهدي القوم) أى الذين لهم قوة على القيام بما يريدون
 (الظالمين) أى الذين من شأنهم وضع الامور في غير مواضعها فلاجل ذلك لا يهديكم اذ لا احد
 ارسخ منكم في الظلم الذى تسبب عنه هلاككم (وقال الذين كفروا) أى تعمدوا انعطية الحق
 (للذين) أى لاجل ايمان الذين (آمنوا) أى سبقوهم الى الايمان (لو كان) أى ايمانهم بالقرآن
 (خيرا) أى من جملة الخبور (ما سبقونا اليه) ونحن أشرف منهم وأكثر اموالا وولادا وأعلم
 بتحصيل العز والسودد الذى هو مناط الخير كالم يسبقونا الى شئ من هذه الخيرات التى نحن
 فائزون بها وهم صفر منها لكن ليس بخير فلماذا سبقونا اليه (واذ) أى وحين (لم يهتدوا به) أى
 بالقرآن كما اهتدى به اهل الايمان (فسيقولون هذا) أى القرآن الذى سبقتم اليه (افك) أى شئ
 مصروف عن وجهه الى قفاه (قديم) أى افك غيره وعثره هو عليه فأتى به ونسبه الى الله تعالى كما

وما أدري ما يفعل بي ولا بكم هو شيء رأيت في المنام (أن) أي ما (أتبع) أي بغاية جهدي وحتي
 (الأم) أي الذي (يوحى) أي يجتهد القاه من لا يوحى بحق سواء (التي) على سبيل التدرج لا يطلع
 عليه حتى اطلاع غيري ثالثها قال الضحالة لا أدري ما تؤمر ومن به ولا ما أمر به من التكليف
 والشرائع ولا من الامتلاء والامتحان (وما أنا) أي باخباري لكم عما يوحى الي (الانديرمين) أي
 بين الانذار رابعها كأنه يقول ما أدري ما يفعل بي في الدنيا موت أو قتل كما قتل الانبياء قبلي ولا
 أدري ما يفعل بكم أيها المكذبون اترعون بالجحارة من السماء ويخسف بكم أو يفعل بكم ما يفعل
 بسائر الأمم قال السدي ثم أخبره الله تعالى أنه يظهر دينه على الاديان بقوله تعالى هو الذي أرسل
 رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وقال في آتته وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم
 وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فأخبره الله تعالى بما يصنع به وبأتمته وأمّا من حل الآية
 على أحوال الآخرة فروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال لما رأت هذه الآية فرح
 المشركون والمنافقون واليهود وقالوا كيف تتبع نبيا لا يدري ما يفعل به ولا بنا فنزل الله تعالى
 انافقنا لك فتخامينا المغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر إلى قوله تعالى وكان ذلك عند الله
 فوزا عظيما فقالت الصحابة هنيئلك يا رسول الله قد علمنا ما يفعل بك فما يفعل بنا فانزل الله عز وجل
 ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار الآية وأنزل وبشر المؤمنين بأن لهم
 من الله فضلا كبيرا فبين لهم ما يفعل به وبهم وبهذا قال أنس والحسن وعكرمة وقالوا انما قال هذا
 قبل أن يجزي بغفران ذنبه لانه انما أخبر به عام الخديعة فتسخ ذلك قال الرازي وأكثر المحققين
 استبعدوا هذا القول من وجهين أحدهما أن النبي صلى الله عليه وسلم لا بد وأن يعلم من نفسه
 ومتى علم كونه نبيا علم أنه لا تصد عنه الكبار وأنه مغفور له وإذا كان كذلك امتنع كونه شاكفا
 أنه هل هو مغفور له أولا نأينها أن الانبياء ارفع حالهم الاولياء وقد قال تعالى في حقهم ان الذين
 قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون فكيف يعقل أن ينبي الرسول الذي هو
 رئيس الانبياء وقدوة الاولياء كما في انه هل هو من المغفور لهم فثبت ضعف هذا القول (قل)
 يا أفضل الخلق لهؤلاء المصيرين على التكذيب (أرايتم) أي أخبروني (ان كان) أي هذا الذي
 أتيتكم به وهو القرآن (من عند الله) أي الملك الاعظم (وكفرتم به) أي أيها المشركون (وشهد
 شاهد) واحدا أو أكثر (من بني اسرائيل) أي الذي جرت عادتك أن تستفتوهم وتنقواهم
 (على مثله) أي مثل ما في القرآن من ان من وحده فقد آمن ومن أشرك فقد كفر وأن الله تعالى
 أنزل ذلك في التوراة والانجيل وجميع أسفارهم فقط ابق عليه ككتبهم وتطافرت به رسلكم
 وواترت على الدعاء اليه والامر به انبياءهم عليهم الصلاة والسلام (فأمن) أي هذا الذي شهد
 هذه الشهادة (واستكبرتم) أي أوجدتم الكبر بالاعراض عنه طامعين بذلك الرياسة والفخر فكنتم
 بعد شهادة هذا الشاهد معاندين من غير شبهة فؤضلائهم فوضعتم الشيء في غير موضعه فانصد عليكم
 باب الهداية واختلف في هذا الشاهد فقال قتادة والضحاك واكثر المنسرين هو عبد الله بن
 سلام شهد نبوة المصطفى صلى الله عليه وسلم وأمن به واستكبرت اليهود فلم يؤمنوا به كما روى أنس

قال سمع عبد الله بن سلام يقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنه فنظر الى وجهه فعلم أنه ليس
 وجهه كذاب وتأمله فتحقق أنه النبي المستظر فقال له أني سألك عن ثلاث لا يعاين الانبياء ما أول
 أشرط الساعة وما أول طعام أهل الجنة وما ينزع الولد الى أبيه أو الى أمه فقال صلى الله عليه
 وسلم أخبرني بهن جبريل أنفا قال جبريل قال نعم قال ذلك اعدوا اليه ودمن الملائكة فقراهم من كان
 عدوا لجبريل فانه نزل على قلبك باذن الله ثم قال أما أول أشرط الساعة فمنا يرتحشرا الناس من
 المشرق الى المغرب وأما أول طعام تأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت وأما الولد فاذا سبق ماء
 الرجل نزعوه واذا سبق ماء المرأة نزعته فقال أشهد انك لرسول الله حقا ثم قال يا رسول الله ان
 اليهود قوم بهت وان علموا باسلامي قبل أن تسألهم عنى بهتوني عندهم فنجأت اليه وود فقال لهم
 النبي صلى الله عليه وسلم أى رجل عبد الله فيكم فقالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا
 وأعلمنا وابن أعلمنا قال أفرايتم ان أسلم عبد الله بن سلام فقالوا أعاده الله من ذلك فخرج اليهم
 عبد الله فقال أشهد ان لا اله الا الله واشهد أن محمدا رسول الله فقالوا بشرنا وابن بشرنا واتقوا
 فقال هذا ما كنت أخاف منه يا رسول الله قال سعد بن أبي وقاص ما سمعت النبي صلى الله عليه
 وسلم يقول لاحد عشي على الارض انه من أهل الجنة الا لعبد الله بن سلام وفيه نزلت هذه الآية
 وشهد شاهد من بني اسرائيل وقيل الشاهد هو موسى بن عمران قال الشعبي قال مسروق في هذه
 الآية والله ما نزلت في عبد الله بن سلام لان آل حم نزلت بمكة وانما أسلم عبد الله بن سلام بالمدينة
 قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعامين فكيف يمكن حمل هذه الآية المكية على واقعة
 حدثت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وانما نزلت الآية في محاجة كانت من
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت بالمدينة وأجاب الكلبي بأن السورة مكية الا هذه الآية
 فانها مدنية وان الله تعالى أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بأن يضعها في هذه السورة المكية في هذا
 الموضع المعين وقيل المراد بالشاهد موسى ومثل القرآن هو التوراة فشهد موسى على التوراة
 ومحمد على الفرقان فكل واحد يصدق الآخر لان التوراة مشتقة على البشارة بمحمد صلى الله
 عليه وسلم والقرآن مصدق للتوراة وجواب الشرط ألسن ظالمين دل عليه قوله تعالى (ان الله)
 أى الملك الاعظم ذا العزة والحكمة (لا يهدي القوم) أى الذين لهم قوة على القيام بما يريدون
 (الظالمين) أى الذين من شأنهم وضع الامور في غير مواضعها فلاجل ذلك لا يهديكم اذا احد
 ارسخ منكم في الظلم الذى تسبب عنه هلاككم (وقال الذين كفروا) أى تعمدوا تغطية الحق
 (للذين) أى لاجل ايمان الذين (آمنوا) أى سبقوهم الى الايمان (لو كان) أى ايمانهم بالقرآن
 (خيرا) أى من جلة الخبور (ما سبقونا اليه) ونحن أشرف منهم وأكثرهم الاوولاد وأعلم
 بتحصيل العز والسود الذى هو مناط الخير كما لم يسبقونا الى شئ من هذه الخيرات التى نحن
 قارئون بها وهم صفر منها لكن ليس بخير فلهذا سبقونا اليه (واذ) أى وحين (لم يهتدوا به) أى
 بالقرآن كما اهتدى به اهل الايمان (فسيقولون هذا) أى القرآن الذى سبقتم اليه (افك) أى شئ
 مصروف عن وجهه الى قفاه (قديم) أى افك غيره وعثره هو عليه فأتى به ونسبه الى الله تعالى كما

قالوا اساطير الاولين (ومن) اى قالوا ذلك والحال انه كان في بعض الزمن الذى من (قبله) اى
 القرآن (كتاب موسى) كليم الله تعالى حال كون كتابه وهو التوراة (اماما) اى يستحق ان يؤتم
 كل من سمع به (ورحة) لما فيه من نعم الدلائل على الله تعالى والبيان الشافى وفي الكلام محذوف
 تقديره وتقدمه كتاب موسى اماما ورجة ولم يهتدوا به كما قال تعالى في الآية الاولى واذ لم يهتدوا به
 (وهذا) اى القرآن (كتاب) اى جامع لجميع الخيرات (مصدق) اى لكتاب موسى عليه السلام
 وغيره من الكتب التى تصح نسبتها الى الله تعالى في ان محمد صلى الله عليه وسلم رسول من عند الله
 تعالى وقوله تعالى (لسانا) حال من الضمير فى مصدق وقوله (عربيا) صفة للسانا وهو المسوق لوقوع
 هذا الجامد حالا فى اعلى طبقات اللسان العربى مع كونه اسهل الكتب تناولا وابعدها عن
 التكلف ليس هو بحيث ينعى علوه بفخامة اللفاظ وجلالة المعاني ودقة الاشارة عن سهولة الفهم
 وقرب التناول وقوله تعالى (ليذكر) اى الكتاب بحسن بانه وعظم شأنه (الذين ظلموا) اى سواء
 كانوا عربيين فى الظلم ام لا وقرأ نافع وابن عامر بالتاء خطا باى ايه الرسول والباقون بالياء غيبة
 بخلاف عن البرى (وبشرى) اى كاملة (للمحسنين) اى المؤمنين بأن لهم الجنة * وما قرأ لائل
 التوحيد والنبوة وذكر شبهات المتكبرين وأجاب عنها ذلك بعد ذلك طريقة المحققين فقال تعالى
 (ان الذين قالوا ربنا) اى خالقنا ومولانا والمحسن الينا (الله) وحده (ثم استقاموا) اى جمعوا بين
 التوحيد الذى هو خلاصة العلم والاستقامة فى الامور التى هى منتهى العلم وثم للدلالة على تأخر
 رتبة العمل وتوقف اعتباره على التوحيد (فلا خوف عليهم) اى من حقوق مكروه (ولا هم
 يحزنون) اى على فوات محبوب والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط (اولئك) اى العالمون
 الدرجات (اصحاب الجنة خالدين فيها) خلودا لا آخر له جوزوا بذلك (جزاء بما) اى بسبب ما
 (كانوا) طبعوا وخلقوا (يعملون) اى على سبيل التجديد المستمر * ولما كان رضا الله تعالى فى رضا
 الوالدين وسخطهما كما ورد به الحديث حدث عليه بقوله تعالى (ووصينا) اى بمالنا من
 العظمة (الانسان) اى هذا النوع الذى انس بنفسه (بوالديه) وقرأ (حسنا) نافع وابن كثير
 وأبو عمرو وابن عامر بضم الحاء وسكون السين وقرأ الكوفيون بسكون الحاء وقبلها همزة
 مكسورة وفتح السين وبعدها ألف فهو منصوب على المصدر بفعل مقدر اى وصينا اى بحسن
 اليهما احسانا ومثله حسنا وقرأ (حلمته أمه كرها) اى على مشقة (ووضعت كرها) اى بمشقة
 الكوفيون وابن ذكوان بضم الكاف فيهما والباقون بالفتح وهما الغتان بمعنى واحد مثل الضعف
 والضعف وقيل المضموم اسم والمفتوح مصدر وليس المراد ابتداء الحمل فان ذلك لا يكون بمشقة
 لقوله تعالى فلما تغشاها حلت حملا خفقا فترت به فلما أنفقت فحينئذ حمله كرها ووضعت كرها
 * (تنبيه) * دلت الآية على أن حق الأم أعظم لانه تعالى قال ووصينا الانسان بوالديه حسنا
 فذكرهما معا ثم خص الأم بالذكر فقال حمله أمه كرها ووضعت كرها وذلك يدل على أن حقها
 اعظم وان رسول المشاق اليها بسبب الولد كثيرة والاخبار كثيرة فى هذا الباب (وحله وفضاله)
 اى من الرضاع (ثلاثون شهرا) كل ذلك يان لما تكبدته الام فى تربية الولد ومبالغة فى الوصية

بها وفي ذلك دلالة على أن أقل مدة الحمل ستة أشهر لأنه لما كان مجموع مدة الحمل والرضاع ثلاثون
 شهرا وقال تعالى والوالدان يرضعن أولادهن حولين كاملين فإذا أسقطنها حولين الكاملين
 وهي أربعة وعشرون شهرا من ثلاثين بقي مدة الحمل ستة أشهر روى عكرمة عن ابن عباس
 رضي الله عنهما قال إذا حلت المرأة تسعة أشهر أرضعت أحدا وعشرين شهرا وإذا حلت ستة
 أشهر أرضعت أربعة وعشرين شهرا وروى عن أبي بكر أن امرأة دفعت إليه وقد ولدت لستة
 أشهر فأمر برجها فقال عمر لا رجم عليها وذكر الطريق المتقدمة وعن عثمان بنحوه وأنه هم بذلك
 فقرأ ابن عباس رضي الله عنهما عليه الآية وأمام مدة أكثر الحمل فليس في القرآن ما يدل عليه
 واختلاف الأئمة في ذلك فعند الشافعي أربع سنين وقوله تعالى (حتى إذا بلغ أشده) لا بد فيه من
 جملة محدودة تكون حتى غاية لها أي عاش واستمرت حياته حتى إذا بلغ أشده قال ابن عباس
 رضي الله عنهما في رواية عطاء الأشد ثمان عشرة سنة وقيل ثمانية قوة وغاية شبا به واستواءه وهو
 ما بين ثمان عشرة سنة إلى أربعين سنة فذلك قوله تعالى (وبلغ أربعين سنة) وقال السدي
 والضحاك نزلت في سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وقيل نزلت في أبي بكر الصديق
 رضي الله عنه وأبيه أبي خافة عثمان بن عمرو واته أم الخير بنت صخر بن عمرو وقال علي بن أبي
 طالب رضي الله عنه الآية في أبي بكر الصديق أسلم أبواه جميعا ولم يتجمع لاحد من المهاجرين
 أبواه غيره أو صاء الله تعالى بهما ولم يزل ذلك من بعده وكان أبو بكر يصحب النبي صلى الله عليه
 وسلم وهو ابن ثمان عشرة سنة والنبي صلى الله عليه وسلم ابن عشرين سنة في تجارته إلى الشام
 فلما بلغ أربعين سنة وتبأ النبي صلى الله عليه وسلم آمن به ثم آمن أبواه ثم ابنه عبد الرحمن وابن
 عبد الرحمن أبو عتيق ثم أن أبابكر دعاربه بأن (قال رب أوزعني) أي ألهمني وقرأ أورش والبري
 بفتح الباء في الوصل والباقيون يسكنونها (أن أشهركر نعمتك التي أنعمت) أي بها (علي) أي
 وعلى أولادي (وعلى والدي) وهي التوجيه دوا كثر المفسرين على أن الأشد ثلاث وثلاثون
 قال الرازي مراتب الحيوان ثلاثة لأن بدن الحيوان لا يكون الا برطوبة غريزية
 وحرارة غريزية والرطوبة الغريزية زائدة في أول العمر ناقصة في آخره والانتقال من الزيادة
 إلى النقصان لا يعقل حصوله الا إذا حصل الاستواء في وسط هاتين المدينتين فثبت أن مدة العمر
 منقسمة إلى ثلاثة أقسام فأولها أن تكون الرطوبة الغريزية زائدة على الحرارة الغريزية
 وحينئذ تكون الأعضاء عظيمة التمدد في ذواتها وزيادتها في الطول والعرض والعمق وهذا
 هو سن النشء والثانية وهي المرتبة المتوسطة أن تكون الرطوبة الغريزية وافية بحفظ
 الحرارة الغريزية من غير زيادة ولا نقصان وهذا هو سن الوقوف وهو حين الشباب والمرتبة
 الثالثة أن تكون الرطوبة الغريزية ناقصة عن الوفاء بحفظ الحرارة الغريزية ثم هذا النقصان
 على قسمين فالأول هو النقصان الخفي وهو سن الكهولة والثاني هو النقصان الظاهر وهو سن
 الشيخوخة قال المفسرون لم يبعث نبي قط الا بعد الأربعين سنة قال الرازي وهذا يشك بعيسى
 عليه السلام فإنه تعالى جعله نبيا من أول عمره لأنه يجب أن يقال الاغلب أنه ما جاء الوحي

لا بعد الاربعين وهكذا كان الامر في حق نبي صلى الله عليه وسلم ثم ان ابا بكر دعا ايضا فقال
 (وان عمل من الحارثه) قال ابن عباس اجاب الله تعالى دعاء ابي بكر فاعتق تسعة من المؤمنين
 بعد بون في الله تعالى منهم بلال ولم ير شيئا من الخير الا اعانه الله عليه ودعا ايضا فقال (واصلح لي
 في ذرتي) فاجاب الله تعالى دعاءه فلم يكن له ولد الا آمن فاجتمع له اسلام ابويه وأولاده جميعا
 بأدرك ابواه وابنه عبد الرحمن وابن ابنه أبو عتيق النبي صلى الله عليه وسلم وهم مؤمنون ولم يكن
 ذلك لاحد من الصحابة (تنبيه) * أصل يعدي نفسه لقوله تعالى وأصلح له لوجه وانما
 تعدي بني لتضمنه معنى الطغيان في ذرتي اولانه جعل الذرية ظرفا للاصلاح والمعنى هب لي
 الصلاح في ذرتي وأوقعه فيهم (ان تبت) أي رجعت (اليك) عن كل ما يقدح في الاقبال عليك
 وأكده اعلاما بأن الله في الاقبال على الشهوات حال من يعدم منه الاقلاق فينكر اخباره به
 وكذا قوله (واني من المسلمين) أي الذين أسلموا بطواهرهم وبواطنهم فانقادوا وأتموا انقياد
 (وأنت) أي العالون الرتبة القائلون هذا القول أبو بكر وغيره (الذين يتقبل) بأهل وجه
 (عنهم) وأشار بصيغة التفعّل الى أنه يعمل في قبوله عمل المعنى والتقبل من الله هو ايجاب
 الثواب له على عمله وقوله تعالى (أحسن ما عملوا) أي أعمالهم الصالحة التي عملوها في الدنيا
 (فان قيل) كيف قال الله تعالى أحسن والله تعالى يتقبل الاحسن وما دونه (أجيب) بوجهين
 أحدهما ان المراد بالاحسن الحسن كقوله تعالى واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم
 وكقوله الناقص والاشجع أعد لابي مروان أي عاد لابي مروان ثانيهما ان الحسن من
 الاعمال هو المباح الذي لا يتعلق به ثواب ولا عقاب والاحسن ما يغاير ذلك وهو المنسوب أو
 الواجب ولما كان الانسان محل النقصان وان كان محسنا به على ذلك بقوله تعالى (ويتجاوز)
 أي بوعده لاخلاف فيه (عن سيئاتهم) أي فلا يعاقبهم عليها وقرأ حفص وحزرة والكسائي
 بنون مفتوحة قبل الفوقية من يتقبل ونصب أحسن ونوز مقفوحة قبل الفوقية من
 يتجاوز والباقون بياء مضمومة قبل الفوقية من يتقبل ويتجاوز ورفع أحسن وقوله تعالى
 (في أصحاب الجنة) في محل الحال أي كائنين في الجنة أصحاب الجنة كقولك أكرمني الأمير
 في أصحابه أي في جملتهم وقيل خبر مبتدا مضمرة أي هم في أصحاب الجنة وقوله تعالى
 (وعند الصدق) مصدر مؤكّد لمضمون الجملة السابقة لأن قوله تعالى أولئك الذين يتقبل عنهم
 في معنى الوعد فيكون قوله تعالى يتقبل ويتجاوز وعدا من الله تعالى لهم بالتقبل والتجاوز
 والمعنى يعامل من صفته ما قدمنا من هذا الجزاء وذلك وعد من الله تعالى صدق لكونه مطابقا
 للواقع (الذي كانوا يعدون) أي يقع اثم الوعد به في الدنيا من لا صدق منهم وهم الرسل
 عليهم الصلاة والسلام حين أخبروا بقوله تعالى وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات * ولما وصف
 تعالى الولد البار بوالديه وصف الولد العاق له ما بقوله تعالى (والذي قال لوالديه أف لكما)
 والمراد به الجنس وقال ابن عباس والسدي نزلت في عبد الله بن أبي وقيل في عبد الرحمن بن أبي
 بكر قبل اسلامه كان أبواه يدعونه الى الاسلام وهو يابى وهو قوله أف لكما وقال الحسن وقتادة

انهم انزلت في كل كافر عاق لوالديه وعلى ثبوت انهم انزلت فيمن تقدم لا ينافي ان المراد الجنس
فان خصوص السبب لا يوجب التخصيص وفي أف قرأت ذكرت في سورة بني اسرائيل
(أتعداني) أي على سبيل الاستمرار بالتجديد في كل وقت وقرأ هشام بادغام النون الاولى
في الثانية وفتح الياء نافع وابن كثير وسكنهم الباقون (أن أخرج) أي من يخرج ما يخرجني
من الارض بعد أن غبت فيها وصرت ترابا يحيني كما كنت أول مرة (وقد) أي والحال انه قد
(خلت) أي مضت على سنن الموتى (القرون) أي الامم الكثيرة مع صلاحيتهم (من قبلي) أي قرنا
بعد قرن وتطاوت الازمان ولم يخرج منهم أحد من القبور (وهما) أي والحال انهما كلما قال
لهما ذلك (يستغيثان الله) أي يطلبان بدعائهما من له جميع صفات الكمال أن يغنيهما ما بالهامه
قبول كلامهما ويقولان ان لم ترجع (وبلك) أي هلاك بعني هلكت (آمن) أي أوقع
الايمان الذي لا يمان غيره وهو الذي يتخذ من كل هلكة ويوجب كل فوز بالتصديق بالبعث
وبكل ما جاء عن الله تعالى ثم عللا أمرهما على هذا الوجه مؤكدين في مقابلة انكاره بقولهما (ان
وعد الله) أي الملك المحيط بجميع صفات الكمال (حق) أي ثابت أعظم ثبات لانه لو لم يكن حقا
لكان نقصا من جهة الاخلاف الذي لا يرضاه لنفسه أقل المثل فكيف بملك المثل (فيقول)
مسبعا عن قولهما ومعقبه (ما هذا) أي الذي تذكرانه من البعث (الأساطير) أي أكاذيب
(الاولين) التي كتبوها (أولئك) أي البعداء من العقل والمروءة وكل خير (الذين حق) أي ثبت
ووجب (عليهم القول) أي الكامل في بابه بأنهم أسفل السافلين وهذا كما قال البيضاوي
يرد على من قال انهم انزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر لانه يدل على أنه من أهلها لذلك وقد جرب عنه
ان كان لاسلامه وقال البقاعي وهذا يكذب من قال انهم انزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر فانه أسلم
وصار من أكابر الصحابة فحق له الجنة ولما ثبت لهم هذه الشناعة بين كثرة من شاركهم فيها
بقوله تعالى (في) أي كائنين في (أمم) أي خلائق كانوا بحيث يقصدهم الناس ويتبع بعضهم
بعضا (قد خلت) أي تلك الامم (من قبلهم) وكانوا قدوتهم وأدخل الجار لان المحموم عليه
بعض السابقين (من الجنة) لان العرب كانت تستعظمهم وتستحيرهم وذلك لانهم يتظاهرون
لهم ويؤذونهم ولم يقطع أذاهم لهم وتسلطهم عليهم ظاهرا وباطنا الا القرآن فانه أحرقهم بأنواره
وجلاهم عن تلك البلاد بتجلي آثاره (والانس) ولا نفعهم كثرتهم ولا أغنت عنهم قوتهم وقوله
تعالى (انهم) أي كلهم (كانوا) أي جيله وطبعا وخلق لا يقدرون على الانقضاء عنه
(خاسرين) أي عريقين في هذا الوصف تعليل الحكم على الاستنفاف (واكل درجات ماعلوا)
قال ابن عباس يريد من سبق الى الاسلام فهو أفضل ممن تخلف عنه ولوساعة وقال مقاتل واكل
واحد من الفريقين يعني البار بوالديه والعاق له ما درجات في الايمان والكفر والطاعة
والمعصية (فان قيل) كيف يجوز اطلاق لفظ الدرجات على أهل النار وقد روي الجنة درجات
والتاردرجات (أجيب) من وجوه أحدها ان ذلك على جهة التغليب وثانيها قال ابن زيد درج
أهل الجنة تذهب علوا ودرج أهل النار تذهب هبوطا وثالثها المراد بالدرجات المراتب المتزايدة

فدرجات أهل الجنة في الخيرات والطاعات ودرجات أهل النار في المعاصي والسيئات وقوله تعالى (وليفهم أعمالهم) أي جزاءهم ما عملوا به من خيراتهم بذلك وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وهشام وعاصم بالياء المحضة أي الله والباقيون بالنون أي نحن وقوله تعالى (وهم لا يظلمون) أي شيئاً ينقص للمؤمنين ولا يزيده للكافرين أما استئنافاً وأما حال مؤكدة (ويوم) أي واذكرياً فضل الخلق لهؤلاء يوم يعرضون هكذا كان الاصل ولكنه تعالى أظهر الوصف الذي أوجب لهم الخزي بقوله تعالى (يعرض الذين كفروا على النار) أي يصلون لهم بها ويقلبون فيها كما يعرض اللحم الذي يشوى وقبل تعرض عليهم النار ليروا أهوالها مقولاً لهم على سبيل التنديم والتقريع والتوبيخ والتشجيع لانهم لم يذكروه تعالى حق ذكره عند شهوداتهم بل نالوها عندهم مخالفة أمره سبحانه وتعالى (أذهبتم طيباتكم) أي لذاتكم باتباعكم الشهوات وقرأ ابن كثير وابن عامر قبل الدال همزتين مفتوحتين الأولى محققة بلا خلاف والثانية مسهلة بخلاف عن هشام وأدخل هشام بينهما ألفاً ولم يدخل ابن كثير وابن ذكوان والباقيون بهمزة واحدة محققة (في حياتكم الدنيا) أي القرية الدنية المؤذن وصفها لمن يعقل بحياة أخرى بعدها فكان سعيكم في حركاتكم وسكناتكم لاجلها حتى نلتوها (واستمعتم) أي طلبتم وأوجدتم انتفاعكم بها وجعلتموها غاية حظكم في رفعتكم ونعمتكم والمعنى أن ما قدر لكم من الطيبات والدرجات فقد استوفيتوه في الدنيا فلم يبق لكم بعد استيفاء حظكم شيء منها وعن عررضي الله عنه لو شئت لكنت أطيحكم طعاماً وأحسنكم لباساً ولكني أستبقي طيباتي قال الواحدى إن الصالحين يؤثرون التقشف والزهد في الدنيا رجاء أن يكون ثوابهم في الآخرة أكل لأن هذه الآية لا تبدل على المنع من التمتع لانها وردت في حق الكافر وإنما وبخ الله تعالى الكافر لانه تمتع بالدنيا ولم يؤد شكر المنعم فلا يوجب بقية عنه ويدل على ذلك قوله تعالى قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق نعم لا ينكر أن الاحتراز عن التمتع أولى لأن النفس اذا اعتادت التمتع صعب عليها الاحتراز والانقياد وخير نذير بما جل الميل الى تلك الطيبات على فعل ما لا ينبغي روى عمر قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو على رمال حصير قد أثر الرمال ببجبه فقلت يا رسول الله ادع الله تعالى أن يوسع علي أمتك فان فارس والروم قد وسع عليهم وهم يعبدون غير الله تعالى فقال صلى الله عليه وسلم أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا وعن عائشة رضي الله عنها قالت ما شبع آل رسول الله صلى الله عليه وسلم من خبز الشعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنها أنها قالت كان ياتي علينا الشهر ما نوقد فيه ناراً وما هو الا الماء والتمر وعن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت اللباني المتابعة طاوياً وأهله لا يجدون عشاء وكان أكثر خبزهم الشعير والاحاديث في هذا كثيرة ولما كانت الاستهانة بالاوامر والنواهي استهانة بيوم الجزاء سبب عنه قوله تعالى (فاليوم تجزون) أي على اعراضكم عنا (عذاب الهمون) أي الهوان العظيم المجمع الشديد الذي فيه ذل وخزي (بما كنتم) أي جبلة وطبعاً (تستكبرون)

أى تطلبون الترفع وتوجدونه على الاستقرار (فى الارض) التى هى لكونهم تاربا وموضوعة على
 الزوال والخراب أحق شئ بالتواضع والذل والهوان (بغير الحق) أى الامر الذى يطابقه
 الواقع وهو أمرنا ونواهيها (وبما كنتم) أى على الاستقرار (تفسقون) أى بسبب الاستكبار
 الباطل والفسوق عن طاعة الله تعالى * (تنبيه) * دلت الآية على أن الكفار مخاطبون
 بفروع الشريعة لأن الله تعالى علل عذابهم بأمرين أولهما ~~الكفر~~ كفر وثانيهما الفسق وهذا
 الفسق لابد وأن يكون مغاير لذلك الكفر لأن العطف يوجب المغايرة فنبت أن فسق الكفار
 يوجب العقاب فى حقهم ولا معنى للفسق الا تزل المأمورات وفعل المنهيات * ولما كان قوم عاد
 أكثر أمورا لاوقوة وجاها من أهل مكة ذكر تعالى قصتهم ليعتبروا فيتركوا الاعتزاز بما وجدوه
 فى الدنيا فقال عز من قائل (واذكر) يا أشرف الرسل لهؤلاء الذين لا يتعظون (أخاعد) وهو
 أخوك هود عليه السلام الذى كان بين قوم أشد من قومك ولم يحقق عاقبتهم وأمرهم ونهاهم
 ونجى مناه منهم فهولك قدوة وفيه أسوة لقومك فى قصدهم إياك بالآذى من أمرهم وعظمة وقوله
 تعالى (إذا نذر) بدل استقال من أخا (قومه) أى الذين لهم قوة على القيام فيما يحاسبونه
 (بالاحقاف) قال ابن عباس واديين عمان ومهرة وقال مقاتل كانت منازل عاد باليمن
 فى حضرموت بموضع يقال له مهرة اليها تنسب الابل المهرية وكانوا أهل عمد سمارة فى الربيع
 فاذا هاج العود رجعوا الى منازلهم وكانوا من قبيلة ارم قال قتادة ذكر لنا ان عادا كانوا احما
 من اليمن كانوا أهل رمل مشرفين على البحر بأرض يقال لها الشحر (وقد) أى والحال أنه
 قد (خلف النذر) أى مرت ومضت الرسل الكثيرون (من بين يديه) أى قبل هود كنوح وشيث
 وآدم عليهم السلام (ومن خلفه) أى بعده والمعنى أن الرسل الذين بعثوا قبله والذين سيبعثون
 بعده كلهم منذرون نحو انذارهم بالجملة حال أو اعتراض ولما أشار الى كثرة الرسل ذكر وحدتهم
 فى أصل الدعاء فقال مفسر الانذار معبر بالنهاية (أن لا تعبدوا) أى أيها العباد المندرون بوجه
 من الوجوه شيئا من الاشياء (الا الله) أى الملك الذى لا ملك غيره ولا خالق سواه ولا منعم الا هو
 فأنى أراكم تشركون به من لم يشرك فى شئ من تدبيركم والملك لا يقر على مثل هذا (انى أخاف
 عليكم) لكونكم قومي وأعز الناس على (عذاب يوم عظيم) أى لا يدع جهة الاملاء عذابه
 ان أصررتم على ما أنتم فيه من الشرك (قالوا) له فى جوابه منكربن عليه (أجئتنا) أى يا هود
 (لنأفكنا) أى لتصرفنا عن وجه أمرنا الى قنائه (عن آلهتنا) فلان عبدها ولا نعبد غيرها (فأتينا
 بما تعدنا) من العذاب سموا الوعيد وعدا (ان كنت) أى يقال عنك كوننا ثابتا (من
 الصادقين) فى أنك رسول من الله وأنه يأتينا بما نتخافه علينا من العذاب ان أصررنا (قال)
 أى هود مكذب بالهم فى نسبتهم اليه ادعاء شئ من ذلك (انما العلم) أى المحيط بكل شئ عذابكم وغيره
 (عند الله) أى المحيط بجميع صفات الكمال فهو ينزل علم ما توعدون به على من يشاء ان شاء
 ولا علم لى الى الآن ولا لكم بشئ من ذلك ولا قدرة (وأبلغكم) أى فى الحال والاستقبال وقرأ
 أبو عمرو وبسبب كون الباء الموحدة وتخفيف اللام والباقون بفتح الموحدة وتشديد اللام

(ما أرسلت به) من لا مرسل في الحقيقة غيره سواء كان وعداً أم وعيداً أم غير ذلك ولم يذكر
 الغاية لأن ما أرسل به صالح لهم وغيرهم (ولكني أراكم) أي أعلمكم علماً كالرؤية وقرأنا نافع
 والبرزى وأبو عمرو ويقع الباء والباقون بسكونهم أو أوالف بعد الراء ورش بين وبين وأمالها
 أبو عمرو وحجة والكسائي محضة والباقون بالفتح (قوما تجهلون) أي باستعمال العذاب
 فإن الرسل بعثوا مبليغين منذرين لا مقترحين (فلما رأوه) أي العذاب الذي توعدهم به (عارضاً)
 أي سبحانه أسود بارزاً في الأفق ظاهر الأمر عند من له أهلية النظر حال كونه قاصدا إليهم
 (مستقبل أوديتهم) أي طالب بالان يكون مقابلاً لها وموجد ذلك (قالوا) على عادة جهلهم
 مشيرين إليه بأداة القرب الدالة على أنهم في غاية الجهل لأن جهلهم به استمر حتى كاد
 أن يواقعهم (هذا عارض) أي سبحانه معترض في عرض السماء أي ناحيتها (عظرونا) قال
 المفسرون كان حبس عنهم المطر أياماً ففساق الله تعالى إليهم سبحانه سوداً فخرجت عليهم
 من واد لهم يقال له المغيث فلما رأوها استبشروا وقالوا هذا عارض عظرونا فقال الله تعالى
 (بل هو) أي هذا العارض الذي ترونه (ما استجلمتم به) أي طلبتم العجالة في إتيانه وقوله تعالى
 (ريح) بدل من ما (فيها عذاب أليم) أي شديد الأيلام روى أنها كانت تحمل القسطاط
 فترفعه في الجوف وتحمل الظعينة في الجوف فترفعها وهو دجها حتى ترى كأنها جراد وكافرون
 ما كان خارجاً عن منازلهم من الناس والمواشي تطير بهم الريح بين السماء والأرض ثم تقذف
 بهم ثم وصف تلك الريح بقوله تعالى (تدمر) أي تهلك أهلاً كاعظيماً شديداً (كل شيء) أي أنت
 عليه من الحيوان والناس وغيرهما هذا شأنه ما من سلم منها كهو عليه السلام ومن آمن به
 فسلامته أمر خارق للعادة كما أن أمرها في أهلاك كل ما مرت عليه أمر خارق للعادة (بأمر
 ربها) أي المبدع لها والمربي والمحسن بالانتقام من أعدائه (فان قيل) ما فائدة إضافة الرب إلى
 الريح (أجيب) بأن فائدة ذلك الدلالة على أن الريح ونصريف أعنتها ما يشهد بعظم قدرته لأنها
 من أعاجيب خلقه وأكبر جنوده وذكر الأمر وكونه أمورة من جهة عز وجل بعض ذلك
 ويقويه فليس من تأثير الكواكب والقرانات قبل أن أقول من أبصر العذاب أمرأة
 منهم قالت رأيت ريحاً فيها كسب النار وروى أن أقول ما عرفوا به أنه عذاب أليم أنهم رأوا
 ما كان في الصحراء من رحالهم ومواشيهم تطير به الريح بين السماء والأرض فدخلوا يوتهم
 وغلقوا أبوابهم فقلعت الريح الأبواب وصرعتهم وأمال الله عليهم الاحقاف فكانوا تحتها سبع
 ليالٍ وعشاية أيام لهم أنين ثم أمر الله تعالى الريح فكشفت عنهم الرمال وجلتهم
 فرمتهم في البحر وروى أن هود عليه السلام لما أحس بالريح خط على نفسه وعلى المؤمنين
 خطاً إلى جنب عين تنبع وكانت الريح التي تصيهم ريحاً طيبة هادية والريح التي تصيب قوم
 عادتهم من الأرض وتطير بهم إلى السماء وتضرهم على الأرض وعن ابن عباس اعتزل هود
 ومن معه في حظيرة ما يصيبهم من الريح إلا ما يلين على الجلود ولم يذوقوا الانفس وانهم التزموا
 من عادبها الظعن بين السماء والأرض وتدمغهم بالبحارة وأثر المعجزة انما ظهر في تلك الريح

من هذا الوجه قال صلى الله عليه وسلم ما أمر الله تعالى خازن الريح أن يرسل على عاد الامقدار الخاتم وذلك القدر أهله بكلتهم كما قال تعالى (فأصبحوا لآتري الادمسا كنهم) أى جفايتهم الريح فدرت بهم فأصبحوا بحيث لو خضت بلادهم لآتري الادمسا كنهم وقرأ عاصم وحزرة البلاء التحية المضومة ورفع النون من مسا كنهم لقيامه مقام الفاعل والباقون بالتاء الفوقية مفتوحة مبنيان للفاعل ونصب مسا كنهم مفعولان وأمال الالف بعد الراء ورش بين بين وأبو عمرو وجزرة والكسائي محضة وكذلك من القرى (كذلك) أى مثل هذا الجزاء الهائل فى أصله أو جنسه أو نوعه أو شخصه من الاهلاك (بنجوى) بعضهم اذا دأبنا اذا شئنا (القوم الجرمين) أى العربيقين فى الاجرام الذين يقطعون ماحقه الوصل وذلك الجزاء هو الاهلاك على هذا الوجه الشنيع وروى أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا رأى الريح فرع وقال اللهم انى أسألك خيرها وخير ما أرسلت به وأعوذ بك من شرها وشر ما أرسلت به واذا رأى مخيلة أى سخابة قام وقعد وجاء وذهب وتغير لونه فنقول له يا رسول الله ما تخاف فيقول انى أخاف أن يكون مثل قوم عاد حيث قالوا هذا عارض ممطرنا فاحذروا أيهم العرب مثل ذلك ان لم ترجعوا (فان قيل) قال تعالى وما كان الله ليعذبهم فأنت فيهم فكيف يحصل التخويف (أجيب) بأن ذلك كان قبل نزول الآية ثم أخبر الله تعالى عن مكنة عاد بقوله سبحانه (ولقد مكناهم) أى تمكينا تظهر به عظمتنا (فيما) أى فى الذى (ان) نافية أى ما (مكناهم) أى أهل مكة (فيه) من قوة الابدان وطول الاعمار وكثرة الاموال وغيرها ثم انهم مع ذلك ما نجوا من عذاب الله تعالى فكيف يكون حالكم * (تنبيه) * قال البقاعى وجعل الثانى ان لانهم أبلغ من مالان ما تنفى تمام القوت لتركها من الميم والالف التى حقيقة ادراكها فوت تمام الادراك وان تنفى أدنى مظاهر مدخولها فكيف بما وراءه من تمامه لأن الهمزة أول مظهر لقوت الالف والنون لمطلق الاظهار هذا الى ما فى ذلك من عذوبة اللفظ وصونه عن ثقل التكرار الى غير ذلك من بديع الاسرار اه وقال الزمخشري ان نافية أى فيما مامكا كم فيه الآن ان أحسن فى اللفظ لما فى جماعته ما جعلها من التكرار المستبشع ومثله مجتنب ألا ترى أن الأصل فى مهماما ما فلبشاعة التكرير قلبوا الالف هاء ولقد أغث أبو الطيب فى قوله * لعمر لماما بان منك اضارب * وماضره لواقته بعذوبة لفظ التزليل فقال * لعمر لماما بان منك اضارب * وقد جعلت ابن صله مثلها فيما أنشده الاخفش رحمه الله تعالى

يرجى المرء ان لا يراه * وتعرض دون أدناه الخطوب

وتؤول بانامكا هم فى مثل مامكا كم فيه والوجه هو الاول (وجعلنا لهم) أى على ما اقتضته عظمتنا (سمعا) وأفرده لقله التقاوت فيه (وأبصارا) وجعه لكثرة التقاوت فى أنوار الابصار وكذا فى قوله تعالى (وأفئدة) أى فحننا عليهم أبواب النعم وأعطيناهم سمعا فاستعملوه فى سماع الدلائل وأعطيناهم أبصارا فاستعملوها فى دلائل ملكوت السموات والارض وأعطيناهم أفئدة أى قلوبا فاستعملوها فى طلب معرفة الله تعالى بل صرفوا كل هذه القوى الى طلب

الدنيا وإن اتهم فلا جرم قال تعالى (فأعنى عنهم) في حال إرسالنا إليهم الرحمة على لسان هو وعليه
 السلام ثم النعمة بيد الرمح (سمعهم) وأكدهم النقي بشكرير النافي بقوله تعالى (ولاً أبصارهم)
 وكذا في قوله تعالى (ولاً أقدمتهم) لما أردنا أهلاً لهم وأكدهم بالنقي بآيات الجار بقوله تعالى (من شيء)
 أي من الأشياء وإن قل وقال الجلال المحلى إن من زائدة وقوله تعالى (إن) معمولة لأنفي
 وأشربت معنى التعليل أي لأنهم (كافوا) أي طبعوا وخلقوا (بجحودن) أي يـ زروا على عمر
 الزمان الجحد (بآيات الله) أي الإنكار لما يعرب عن دلائل الملك الأعظم (وحاق) أي نزل بهم
 ما كافوا به يستزرون لأنهم كافوا يطلبون نزول العذاب على سبيل الاستمراء ولما تم المراد من
 الأخبار بهم لا أنهم على ما لهم من المكنة العظيمة ليتعظ بهم من جمع أمرهم تبعهم من كان
 مشاركالهم في التكذيب فشاركهم في الهلاك فقال تعالى (ولقد أهدى لكم) أي بما لنا
 من العظمة (مادحولكم) بآهل مكة (من القرى) كجبرئيل وعداد وأرض سدوم وسبأ ومدين
 والأيكة وقوم لوط وفرعون وأصحاب الرس وغيرهم ممن فهمم معتبر (وصرفنا) أي بينا
 (الآيات) أي الحجج البينات (لعلهم) أي الكفار (يرجعون) أي ليكفروا عند من يعرف حالهم
 في رؤية الآيات حال من يرجع عن النقي الذي كان يرتكبه لتقليد أو شبهة كشفتها الآيات
 وفخمت الدلالات فلم يرجعوا فكان عدم رجوعهم سبب إهلاكهم (فلولا) أي فهلا ولم لا
 (نصرهم الذين) أي نصر هؤلاء المهلكين الذين (اتخذوا) أي اجتهدوا في صرف أنفسهم
 عن دواعي العقل حتى أخذوا (من دون الله) أي الملك الذي هو أعظم من كل عظيم (قربانا)
 أي مقربا بهم إلى الله تعالى (آلهة) معه وهم الأصنام ومفعول اتخذوا الأول ضمير محذوف
 يعود على الموصول أي هم وقربانا المفعول الثاني وآلهة بدل منه (بل ضلوا) أي غابوا (عنهم)
 وقت نزول النعمة وقرأ السكاني بادغام اللام في الضاد والباقون بالظهار (وذلك) أي
 اتخذهم الأصنام آلهة قربانا (افكهم) أي كذبهم (وما كافوا) أي على وجه الدوام لكونه
 في طبعهم (يفترون) أي يتعمدون كذبه لأن أصرارهم عليه بعد مجيء الآيات لا يكون
 إلا كذلك لأن من نظره في محجرات نفسه عن الهوى اهتدى (واذ) أي واذا كراذ (صرفنا) أي
 أهلكنا (الملك نفرا) وهو اسم يطلق على ما دون العشرة وسبأ في ذلك خلاف (من الجن) أي
 جن نصيبين البن أروجن ينوي (يستمعون القرآن) أي يطلبون سماع الذكر الجامع لكل خير
 الفارق بين كل ملابس وأنت في صلاة الفجر في ثخلة تصلي بأصحابك (فلما حضروه) أي صاروا
 بحيث يستمعونه (قالوا) أي قال بعضهم لبعض ورضى الآخرون (أنصتوا) أي اسكتوا
 وميلوا بكلياتكم واستمعوا حفظ الأدب على بساط الخدمة وفيه تأدب مع العلم في تعلمه قال
 القشيري فأهل الحضور صفتهم الذبول والسكون والهيبة والوفاء (تنبيه) * ذكرنا في كيفية
 هذه الواقعة قولين أحدهما قال سعيد بن جبير كان الجن تستمع فلما رجوا قالوا هذا الذي
 حدث في السماء إنما حدث شيء في الأرض فذهبوا يطلبون السبب وكان قد اتفق أن النبي
 صلى الله عليه وسلم لما أيس من أهل مكة أن يجيبوه خرج إلى الطائف ليدعوهم إلى الإسلام

فلما انصرف الى مكة وكان يظن نجاته قام يقرأ القرآن فتربه نفر من أشرا رجتن نصيبين كان
ابليس بعنهم لم يعرف السبب الذي أوجب حراسته السماء بالرحم فسمعوا القرآن فعرّفوا
أن ذلك هو السبب والقول الثاني أن الله تعالى أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يذرا الجن
ويدعوهم الى الله تعالى ويقرأ عليهم القرآن فصرف الله تعالى اليه نفرا من الجن يستمعون منه
القرآن وينذرون قومهم روى أن الجن كانوا يمدون الان في الجن ملاك في الانس من اليهود
والنصارى وعبداء الاوثان والمجوس وأطبق المحققون على أن الجن مكافون مثل ابن عباس
هل الجن ثواب قال نعم لهم ثواب وعليهم عقاب يلبثون في أبواب الجنة ويرجعون على أبوابها
وروى الطبراني عن ابن عباس أن أولئك الجن كانوا سبعة نفر من أهل نصيبين فجعلهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم رسلا الى قومهم وعن زر بن حبیش كانوا تسعة أحدهم زوبعة
وعن قتادة ذكر لنا أنهم صرّفوا اليه من ينموى وروى في الحديث أن الجن ثلاثة أصناف
صنف لهم أجنحة يطيرون في الهواء وصنف حيات وكلاب وصنف يحلون ويضعفون
واختلفت الروايات هل كان عبد الله بن مسعود مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن
أولا وروى عن أنس قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم وهو بظاهرا المدينة اذا قبل
شيخ يتوكأ على عكازة فقال النبي صلى الله عليه وسلم انما المشية جنى ثم أتى فسلم على النبي
صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم انما النعمة جنى فقال الشيخ أجل يا رسول الله فقال له
النبي صلى الله عليه وسلم من أي الجن أنت فقال يا رسول الله أنا همام بن هميم بن لاقيس بن ابلير
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لا أرى بينك وبين ابلير إلا بؤين قال أجل يا رسول الله قال كم
أتى عليك من العمر قال أكلت عمر الدنيا الا القليل كنت حين قتل هابيل غلاما ابن اعوام
فكنت اتشرف على الآكام وأصطاد الهام وأورث بين الانام فقال النبي صلى الله عليه
وسلم بئس العمل فقال يا رسول الله دعني من العتب فاني آمن مع نوح عليه السلام ومعاذته
في دعوته فبكي وأبكاني وقال والله اني لسن التادمين واعوذ بالله أن اكون من الجاهلين
ولقيت هودا فعاتبته في دعوته فبكي وأبكاني وقال والله اني لسن التادمين واعوذ بالله ان
اكون من الجاهلين ولقيت ابراهيم وآمنته به وكنت بينه وبين الارض اذ رمى به في المنجنيق
وكنت معه في النار اذا أتى فيها وكنت مع يوسف اذا أتى في الحب فسبقت به الى قعره ولقيت
موسى بن عمران بالمكان الاثير وكنت مع عيسى بن مريم عليه السلام فقال لي ان لقيت
حمدا فاقرا عليه السلام قال أنس فقال النبي صلى الله عليه وسلم وعليه السلام وعليك يا همام
ما حاجتك قال ان موسى على التوراة وان عيسى على الانجيل فعلمني القرآن قال أنس فعلمه
النبي صلى الله عليه وسلم سورة الواقعة وعم يتساءلون واذا الشمس كورت وقل يا أيها
الكافرون وسورة الاخلاص والمعوذتين (فلما قضى) أي فرغ من قراءته (ولوا) أي رجعوا
(الى قومهم) الذين فيهم قوة القيام بما يحاولونه (مذرين) أي مخوفين لهم ومخدرين عواقب
الضلال باصر من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس جعلهم رسول الله صلى الله

عليه وسلم رسلا الى قومهم * ولما كان كانه قبل ما قالوا لهم في انذارهم قبل (قالوا يا قومنا)
 مترقين لهم ومترفقين بهم بذكر ما يدل على أنهم منهم بهم ما همهم (اناسمنا) أي ما بيننا وبين
 القارئ واسطة وأشاروا الى انه لم ينزل بعد التوراة شي جامع لجميع ما يراد منه مغن عن جميع
 الكتب غير هذا وبذلك عرفوا أنه ناسخ لجميع الشرائع بقولهم (كتابا) أي ذكر اجماعا لا كما
 نزل بعد التوراة على بني اسرائيل (أنزل) أي بمن لا منزل غيره وهو ملك الملوك لأن عليه من
 رونق الكتب الالهية ما يوجب القطع لسماعه بأنه منها فكيف اذا انضم الى ذلك الاعمار
 وعلموا قطع بعريته أنه عربي وبأنهم كانوا يضربون مشارق الارض ومغارهم ويسيحون
 قراة الناس لما يجدونه من الحكم والخطب والكهانة والرسائل والاشعار وأنه مبين
 لجميع ذلك (من بعد موسى) فلم يقتدوا بما أنزل بين هذا الكتاب وبين التوراة من الانجيل
 وما قبله لانه لا يساوي التوراة في الجمع وروى عن عطاء والحسن انما قالوا ذلك لانهم كانوا
 يهودا وعن ابن عباس رضى الله عنهم ما ان الجن ماسعوا أمر عيسى فلذلك قالوا من بعد موسى
 ولما أخبروا بأنه منزل أتبعوه ما يشهد له بالصحة بقولهم (مصدق لما بين يديه) أي من جميع كتب
 بني اسرائيل الانجيل وما قبله ثم ينو ا تصديقه بقولهم (يهدى الى الحق) الامر الثابت الذي
 يطابق الواقع فلا يقدر أحد على ازالة شئ مما يخبر به الكامل في جميع ذلك (والى طريق)
 موصل الى المقصود (مستقيم) لا عوج فيه (يا قومنا) الذين لهم قوة العلم والعمل (أجيبوا داعي
 الله) أي الملك الاعظم المحيط بصفات الكمال فان دعوة هذا الداعي عامة لجميع الخلق فالاجابة
 واجبة على كل من بلغه أمره وفي هذه الآية دلالة على انه صلى الله عليه وسلم كان مبعوثا الى الجن
 كما كان مبعوثا الى الانس (وآمنوا به) أي أوقعوا التصديق بسبب الداعي وهو النبي صلى الله
 عليه وسلم لا بسبب آخر فان المفعول معه مفعول مع الله تعالى (فان قيل) قوله تعالى أجيبوا
 داعي الله أمر باجابه في كل ما امر به فيدخل فيه الامر بالايمان فكيف قال وآمنوا به (اجيب)
 بأنه انما ذكر الايمان على التعمين لانه أهم الاقسام واشرفها وقد جرت العادة في القرآن العظيم
 بان يذكر اللفظ العام ثم يعطف عليه اشرف أنواعه كقوله تعالى وملائكته ورسله وجبريل
 وميكال وقوله تعالى واذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح * ولما أمر تعالى بالايمان
 ذكر فائدته بقوله تعالى (يغفر لكم) أي الله تعالى (من ذنوبكم) أي بعضهما من الشر وما شابهه
 مما هو حق لله تعالى وكذا ما يجازي به صاحبه في الدنيا بالعقوبات والنكبات والهجوم ونحوها
 مما أشار اليه قوله تعالى وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير وأما النظام
 فلا تغفر الا برضا أربابها وقيل من زائدة والتقدير يغفر لكم ذنوبكم وقيل بل فائدته أن كلمة من
 هنا ابتداء الغاية والمعنى أنه يقع ابتداء العفران بالذنوب ثم ينتهي الى عفران ما صدر عنكم من
 ترك الأولى والاكمل (ويجركم) أي يمنعكم منع الجار لجاره لكونكم بالتحيز الى داعيه صرتم
 من حزبه (من عذاب أليم) قال ابن عباس فاستجاب الله تعالى لهم من قومهم نحو سبعين
 رجلا من الجن فرجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوافوه في البطحاء فقرأ عليهم القرآن

وأمرهم ونهاهم * (تنبيه) * اختلفوا في أن الجنة هل لهم ثواب أو لا فتيل لأتواب لهم إلا النجاة من النار ويقال لهم كوفوا ترايا مثل البهائم واحتجوا على ذلك بقوله تعالى ويحرمكم من عذاب أليم وهو قول أبي حنيفة والصحح أن حكمهم حكم بني آدم يستحقون الثواب على الطاعة والعقاب على العصية وهو قول ابن أبي ليل ومالك وتقدم عن ابن عباس رضي الله عنهما أيضا نحو ذلك قال النخعي لا يدخلون الجنة ويأكلون ويشربون لأن كل دليل دل على أن البشر يستحقون الثواب فهو بعينه قائم في حق الجن والفرق بينهما بعيد جدا وذكر النقاش في تفسيره حديثا أنهم يدخلون الجنة فتقبل هل يصيبون من نعيمها قال بلهمهم الله تعالى تسيبهم وذكره قبيصهم من لذته ما يصيب بني آدم من نعيم الجنة وقال أوطاة بن المنذر سألت ضمرة بن حبيب هل للجن ثواب قال نعم وقرأ لم يطعمهن أنس قبلهم ولا جان وقال عمر بن عبد العزيز إن مؤمن الجن حول الجنة في رضى ورحاب وليسوا فيها * ولما أفهم كلامهم أنهم لم يجيبوا ينتقم منهم بالعذاب الأليم أتبعوه ما هو أغلاظ انذارا منه فقالوا (ومن لا يجب) أى لا يتجدد منه أن يجيب (داعى الله) أى الملك الذى لا كف له (فليس يحجز) أى لا يعجز الله عز وجل بالهرب منه (فى الأرض) فيقوته فانه أى مكان سلك فيها هو فى ملكه وملكه وقد رته محيطه به (وليس له من دونه) أى الله تعالى الذى لا يحجز عليه (أولياء) يفعلون لأجله ما يفعل القريب مع قريبه من الذب عنه والاستشفاع له والافتداء (أولئك) البعيدون من كل خير (فى ضلال مبين) ظاهر فى نفسه أنه ضلال يظهر لكل أحد قبح احاطته بهم * (تنبيه) * ههنا همزان مضمومتان من كلمتين ولا نظير لهما فى القرآن العظيم قرأ قالون والبرى تسهيل الاولى كالواو مع المد والقصر وسهل الثانية ورش وقبيل بعد تحقيق الاولى ولهما أيضا ابدال الثانية ألفا وأسقط الاولى أبو عمر ومع المد والقصر والباقيون بتحقيقهما هوهم على مرأتهم فى المد (أو لم يروا) أى يعلموا علما هو فى الوضوح كالرؤية (أن الله) ودل على ما دل عليه هذا الاسم الاعظم بقوله تعالى (الذى خلق السموات) على ما احتوت عليه بما يعجز الوصف من العبر (والارض) على ما شملت عليه من الآيات المدركة بالعيان والخبر (ولم يعى) أى ولم يتعب ولم يحجز (بخلقهن) أى بسبب من الاسباب فانه لو حصل له شئ من ذلك ادى الى نقصان فيهما أو فى احدهما * وأكدا الانكار المتضمن للنفي بزيادة الجار فى خبر ان فقال (بقادر) أى قدرة عظيمة (على أن يحيى) أى على سبيل التجديد مستمرا (الموتى) والامر فيهم لكونه إعادة وكونه جزأ يسيرا مما ذكر اختراعه أصغر شأنا وأسهل صنعا وأجاب بقوله تعالى (بلى) لأن هذا الاستفهام الانكارى فى معنى النفي أى قد علموا أنه قادر على ذلك علما هو فى ايقانه كالبحر لانهم يعلمون أنه المخترع لذلك وأن الاعادة أهون من الابتداء فى مجارى عاداتهم ولكنهم عن ذلك غافلون لانهم عنه معرضون * وقوله تعالى (انه على كل شئ قدير) تقرير للقدرة على وجه عام يكون كالبرهان على المقصود كانه لما صدر السورة بتحقيق المبدأ اراد ختمها بآيات المعاد * ولما أثبت البعث بما أقام من الدلائل ذكر بعض ما يحصل فى يومه من الاحوال بقوله تعالى (ويوم) أى واذا ذكر يوم (يعرض) أى بأيسر أمر

من أرا امرنا (الذين كفروا) أى ستروا بغفلتهم وعنادهم الادلة الظاهرة (على النار) عرض
 الجحيم على الملك فيسمعون من تبغيظها وزيورها ما لو قد رأوا أحد ايموت في ذلك اليوم لما توانوا من
 معاينة وهائل رؤيته ثم يقال لهم (أليس هذا) أى الامر الذى كنتم به توعدون ولرسلنا
 في اخبارهم به تكذبون (بالحق) أى الامر الثابت الذى يطاقه الواقع أم هو خيال وسحر
 (قالوا) أى مصدقين حيث لا ينفعهم التصديق (بلى) وما كفاهم البدار الى تكذيب أنفسهم
 حتى أقسموا عليه بقولهم (وربنا) أى انه لخلق هو اثبت الاشياء وليس فيه شئ مما يقارب السحر
 * (تنبيه) المقصود من هذا الاستهزام التكم والتوبيخ على استهزامهم بوعده الله تعالى ووعده
 (قال فذوقوا العذاب) أى باشروه مباشرة الذائق باللسان ومعنى الامر الاهانة بهم والتوبيخ لهم
 ثم صرح بالسبب فقال تعالى (بما كنتم) أى خلقا مستقرا (تكفرون) في دار العمل * ولما قرر
 تعالى المطالب الثلاثة وهى التوحيد والنبوة والمعاد وأجاب عن الشبهات أردفه بما جرى
 مجرى الوعظ والنصيحة لنبى محمد صلى الله عليه وسلم وذلك لان الكفار كانوا يؤذونه ويوحشون
 صدره فقال تعالى (فاصبر) أى على مشاق ماترى في تبليغ الرسالة وعلى أذى قومك قال
 القشيري الصبر هو الوفاق بحكم الله تعالى والنيات من غيرت ولا استكراه (كأصبراً ولوا
 العزم) أى الثبات والجد في الامور وقال ابن عباس رضى الله عنهما ألو العزم وقوله تعالى
 (من الرسل) يجوز فيه أن تكون من تبعية وعلى هذا فالرسل أولو عزم وغير اولي عزم ويجوز
 أن تكون للبيان وعليه جرى الجلال المحلى فكلمهم على هذا ألو عزم قال ابن زيد كل الرسل
 كانوا أولي عزم وحزم ورأى وكال عقل وانما دخلت من للتجنيس لا للتبعية كما يقال اشتريت
 أكسية من الخز وأردية من البر وقال بعضهم الانبياء كلهم أولو العزم الا يونس لعلة كانت فيه
 ألا ترى أنه قيل لنبينا صلى الله عليه وسلم ولا تكن كصاحب الحوت وقال قوم هم نبياء الرسل
 وهم المذكورون في سورة الانعام وهم ثمانية عشر لقوله تعالى بعد ذكرهم اولئك الذين هدى
 الله فبذاهم اقتده وقال الكلبى هم الذين أمروا بالجهاد وأظهروا المكشوفة مع أعداء الله
 تعالى وقيل هم ستة نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى وهم المذكورون على النسق
 في سورة الاعراف والشعراء وقال مقاتل هم ستة نوح صبر على أذى قومه وابراهيم صبر على
 النار واسحق صبر على الذبح ويعقوب صبر على فقد ولده وذهاب بصره ويوسف صبر في الحب
 والسجن وأيوب صبر على الضر وقال ابن عباس وقتادة هم نوح وابراهيم وموسى وعيسى
 أصحاب الشرائع فهم مع محمد صلى الله عليه وسلم خمسة ونظمهم بعضهم في بيت فقال
 محمد ابراهيم موسى كلمه * فعيسى فمخ هم اولو العزم فاعلم

قال البغوى ذكرهم الله تعالى على التخصيص في قوله تعالى واذا أخذنا من النبيين ميثاقهم
 ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم وفي قوله تعالى شرع لكم من الدين
 ما وصى به نوحا الآية وعن مسروق قال قالت عائشة رضى الله عنها قال لى رسول الله صلى الله
 عليه وسلم يا عائشة ان الدنيا لا تتبعى لمحمد ولا لآل محمد يا عائشة ان الله لم ير ض من أولي العزم

الا الصبر على مكروهها والصبر عن محبوبها ولم يرض الا أن كافى ما كافهم قال تعالى فاصبر كما صبر
 أولوا العزم من الرسل واني والله لا بد لي من طاعته والله لا صبرك كاصبروا ولا جهدن ولا قوة
 الا بالله * ولما أمره الله تعالى بالصبر الذي هو من أعلى الفضائل نهيهم عن العجلة التي هي من
 أتهات الرذائل فقال عز من قائل (ولا تستعجل لهم) أي لا تطلب العجلة وتوجد لها بأن
 تفعل شيئا مما يسوءهم في غير حينه الا ليق به فانه نازل بهم في وقته لا محالة قبل ان النبي
 صلى الله عليه وسلم يخرج من قومه وأحب أن ينزل الله تعالى العذاب بمن أبي من قومه فأمر
 بالصبر وترك الاستعجال * ثم أخبر أن ذلك العذاب اذا نزل بهم يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا
 حتى يحسبون ساعة من نهار فقال تعالى (كانهم يوم يرون ما يوعدون) أي من العذاب
 بهم في الآخرة (لم يلبثوا) أي في الدنيا (الساعة من نهار) استقصروا مدة لبثهم في الدنيا
 والبرزخ كأنه ساعة من نهار أو كأنه لم يكن لهول ما عاينوا ولان ماضى وان كان طويلا
 صار كأنه لم يكن قال الشاعر

كان شيئا لم يكن اذا مضى * كان شيئا لم يكن اذا أتى

(تنبيه) * تم الكلام ههنا وقوله تعالى (بلاغ) خبر مبتدأ محذوف قدومه بعضهم تلك الساعة
 بلاغ لدلالة قوله تعالى الساعة من نهار وبعضهم هذا أي القرآن بلاغ أي تبليغ من الله
 تعالى اليكم وجرى عليه الجلال المحلى (فهـل) أي لا (يهاك) أي بالعذاب اذا نزل (الا القوم)
 أي الذين هم أهل القيام بما يحاولونه من اللدد (الفاسقون) أي العريقون في ادامة الخروج
 عن الانقياد والطاعة وهم الكافرون قال الزجاج تأويله لا يهلك مع فضل الله ورحمته الا القوم
 الفاسقون ولهذا قال قوم ما في الرجاء لرحمة الله أقوى من هذه الآية * وما قاله البيضاوي تبعا
 للزمخشري من أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الاحقاف كتب الله له عشر حسنات
 بعد كل رملة في الدنيا حديث موضوع

﴿سورة محمد صلى الله عليه وسلم مكتبة﴾

وتسمى القتال والذين كفروا وهى ثمان وثلاثون آية وخمسمائة وتسع
 وثلاثون كلمة وألفان وثلاثمائة وتسعة وأربعون حرفا

(بسم الله) الملك الاعظم الذى أقام جنده لئلا يذنب عن حماه (الرحمن) الذى عت رحمة تارة
 بالبرهان وتارة بالسيف واللسان (الرحيم) الذى خص حربه بالحفظ في طريق الجنان واختلف
 في قوله تعالى (الذين كفروا) من هم فقيل هم الذين كانوا يطعمون الجيش يوم بدر منهم أبو جهل
 والحارث ابنا هشام وعقبة وشيبة بنارية وغيرهم وقيل كفار قريش وقيل أهل الكتاب
 وقيل كل كافرا لانهم استروا أنوار الادلة وضلوا على علم (وصدوا) اى امتنعوا بأنفسهم ومنعوا
 غيرهم لعراقهم في الكفر (عن سبيل الله) أي الطريق الرحب المستقيم الذى شرعه الملك
 الاعظم (أضل) أي أبطل ابطلا عظيما ينيل العين والاثر (أعماهم) كاطعام الطعام وصلة

الارحام وفك الاسارى وحفظ الجوار وغير ذلك فلا يرون لها فى الآخرة ثوابا ويجزى عليها
 فى الدنيا من فضله تعالى * (تنبيه) * أول هذه السورة مناسب لآخر السورة المتقدمة * ولما
 ذكر تعالى أهل الكفر معبراً عنهم بأدنى طبقاتهم ليشتل من فوقهم ذكر أصدادهم كذلك ليعم
 من كان منهم من جميع الفرق بقوله تعالى (والذين آمنوا) أى أقروا بالايان باللسان (وعملوا)
 تصديقاً لدعواهم (الصالحات) أى الاعمال الكاملة فى الصلاح بتأسيسها على الايمان * ولما
 كان هذا الوصف لا يخص أتباع محمد صلى الله عليه وسلم خصهم بقوله تعالى (وآمنوا) أى مع
 ذلك (بما نزل) أى بمن لا منزل الا هو منجماً مقرفاً للجدد وابتعدوا بالايان به اجمالاً بالايان بكل
 نجم منه (على محمد) النبى الامى العربى القرشى المكي المدنى الذى يجدونه مكتوباً عندهم
 فى التوراة والانجيل صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى (وهو) أى هذا الذى نزل عليه صلى الله
 عليه وسلم موصوف بأنه (الحق) أى الكامل فى الحقيقة ينسخ ولا ينسخ كائناً (من ربه) أى
 المحسن اليهم بارساله أما احسانه الى أمته فواضح وأما سائر الامم فبكونه هو الشافع فيهم
 الشفاعة العظمى يوم القيامة وأتمته هى الشاهدة لهم بجله معترضة وقرأ فالون وأبو عمرو
 والكسافى وهو يسكون الهاء والباقون بضمها (كفر عنهم سيئاتهم) أى ستر أعمالهم السيئة
 بالايان وعملهم الصالح (وأصلح بالهم) أى حالهم فى الدين والدنيا بالتوفيق والتأييد (ذلك) أى
 الامر العظيم الذى ذكره من جزاء الطائفتين (بأن) أى بسبب أن (الذين كفروا) أى استروا
 من ائى عقولهم (اتبعوا) أى بغاية جهدهم ومعالجتهم (الباطل) من العمل الذى لا حقيقة له
 فى الخارج تطابقه وذلك هو الابتداع والميل مع الهوى فضلوا (وأن الذين آمنوا) أى ولو كانوا
 فى أقل درجات الايمان (اتبعوا) أى بغاية جهدهم (الحق) أى الذى له واقع يطابقه وذلك هو
 الحكمة وهو العلم وواقفة العمل وهو معرفة المعلوم على ما هو عليه (من ربه) أى الذى
 أحسن اليهم بما يجادهم وما سببه من حسن اعتقادهم فاهتدوا (كذلك) أى مثل هذا
 الضرب العظيم الشأن (يضرب الله) أى الذى له الاحاطة بجميع صفات الكمال (للناس) أى
 كل من فيه قوة الاضطراب والحركة (أمثالهم) أى أمثال أنفسهم أو أمثال الفريقين المتقدمين
 أو أمثال جميع الاشياء التى يحتاجون الى بيان أمثالها مبدئياً لها مثل هذا البيان لياخذ كل
 أحد من ذلك جزءاً طاله فقد علم من هذا المثل أن من اتبع الباطل أضل الله تعالى عمله ووفر
 سيئاته وأفسد داله ومن اتبع الحق عمل به ضد ذلك كائناً من كان وهو غاية الخس على طلب
 العلم فى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم والعمل بها * ولما بين تعالى أن الذين كفروا
 أضل أعمالهم وان اعتبار الانسان بالعمل ومن لا عمل له فهو هدمج اعدامه خير من وجوده
 بسبب عنه قوله تعالى (فاذا القيت الذين كفروا) أيها المؤمنون فى المحاربة وقوله تعالى
 (فضرب الرقاب) أصله فاضربوا الرقاب ضرباً يخذف الفعل وقدم المصدر فأنيب منابه مضافاً
 الى المفعول ضمناً الى التأكيده الاختصار والحكمة فى اختيار ضرب الرقبة دون غيرها من
 الاعضاء أن المؤمن هنا ليس بدافع انما هو رافع وذلك لان من يدفع الصائل لا ينبغي أولاً ان يقصد

مقتله بل يتدرج ويضرب غير المقتل فان اندفع فذاك ولا يرقى الى درجة الاهلاك فآخبر تعالى
 أنه ليس المقصود دفعهم عنكم بل المقصود دفعهم من وجه الارض فاذا ينبغي أن يكون قصدكم
 أو لا الى قتلهم بخلاف دفع الصائل فالرقبة أظهر المقاتل وقطع الخلقوم والادراج مستانز
 للموت لكن في الحرب لا يمتأ ذلك والرقبة ظاهرة في الحرب ففي ضربها حر العنق وهو مستانز
 للموت بخلاف سائر المواضع ولا سيما في الحرب وفي قوله تعالى لقيمتم ما ينبغي عن مخالفتهم
 الصائل لأن قوله تعالى لقيمتم يدل على أن القصد من جانبهم بخلاف قولنا لقيمكم ولذلك قال تعالى
 في غير هذا الموضع فاقبلوهم حيث ثقتهم بهم (حتى اذا أنخنتهم) أي أكثرتم فيهم القتل وهذه
 غاية الأمر بضرب الرقاب للبيان غاية القتل (ففسدوا) أي فأمسكوا عن القتل وأسروهم
 (الوثاق) أي ما يوثق به الأسرى وقوله تعالى (فأما من بعد) أي في جميع ازمان ما بعد
 الأسر (وأما فداء) فيه وجهان أشهرهما أنه ما منصوبان على المصدر بفعل لا يجوز اظهاره
 لأن المصدر متى سبق تفصيلا لعاقبة جله وجب نصبه باضمار فعل لا يجوز اظهاره والتقدير
 فاما أن تموتوا منا أي باطلا قههم من غير شيء واما أن تفقدوا فداء أي تفادوهم بحال أو أسرى
 مسلمين ومثل هذا قول القائل

لا جدن فامادر واقعة * تخشى واما بلوغ السؤل والامل

والثاني قاله أبو البقاء انه مما دفعه لان بهم العامل مقدر تقديره أولوهم منا واقبلوا منهم فداء
 قال أبو حيان وليس باعراب نحوى وقوله تعالى (حتى تضع الحرب أوزارها) أي أنقأها من
 السلاح وغيره بأن يسلم الكافر أو يدخل في العهد مجاز وقيل هو من مجاز الحذف أي أهل
 الحرب وهو غاية للقتل والأسر والمعنى أنخنوا المشركين بالقتل والأسر حتى تدخل الملل كلها
 في الاسلام ويكون الذين كله لله فلا يكون بعده جهاد ولا قتال وذلك عند نزول عيسى عليه
 السلام وجاء في الحديث الجهاد حاضر منذ بعثني الله الى أن يقاتل آخر أمي الدجال وقال الفراء
 حتى لا يبقى الا مسلم أو مسلم * (تنبية) * اختلف العلماء في حكم هذه الآية فقال قوم هي
 منسوخة بقوله تعالى فامانة قفتم في الحرب فشردهم من خلقهم وبقوله تعالى فاقنوا المشركين
 حيث وجدتموهم واليه ذهب قتادة والضحاك والسدي وابن جرير وهو قول الاوزاعي
 وأصحاب الرأي وقالوا لا يجوز المن على من وقع في الأسر من الكفار ولا الفداء وذهب آخرون
 الى ان الآية محكمة والامام بالخيار في الرجال العاقلين من الكفار اذا وقعوا في الأسر بين أن
 يقتلهم أو يسترقهم أو يمن عليهم فيطلقهم بغير عوض أو يفاديهم بالمال أو بأسارى المسلمين
 واليه ذهب ابن عروة قال الحسن وعطاء وأكثر الصحابة والعامة وهو قول الثوري والشافعي
 وأحمد واسحق قال ابن عباس رضي الله عنهما لما كثرا المسلمون واشتد سلطانهم أنزل الله تعالى
 في الأسارى فاما من بعد واما فداء وهذا هو الأصح والاختيار لانه عمل به صلى الله عليه وسلم
 والخلفاء بعده روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم
 خيلا قبل نجد فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له شامة بن ثال فربطوه في سارية من

سوارى المسجد فخرج اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما عندك يا غمامة فقال عندى
خير يا غمامة ان تقبلنى فقتل ذامم وان تنعم تنعم على شاكر وان كنت تريد المال فسل ما شئت
حتى كان الغد فقال له صلى الله عليه وسلم ما عندك يا غمامة قال عندى ما قلت لك ان تنعم
تنعم على شاكر فتر كد حتى اذا كان بعد الغد قال ما عندك يا غمامة قال عندى ما قلت لك قال
أطلقوا غمامة فانطلق الى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال أشهد أن لا اله
الا الله وأن محمداً رسول الله والله ما كان على وجه الارض وجه أبغض الى من وجهك فقد
أصبح وجهك أحب الوجوه الى والله ما كان من دين أبغض الى من دينك فأصبح دينك أحب
الدين الى والله ما كان من بلد أبغض الى من بلدك فقد أصبح بلدك أحب البلاد الى وان
خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فإذ اتري فيشره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره أن يعتمر
فلما قدم مكة قال له قائل صبوت قال لا ولكن أسلمت مع محمد صلى الله عليه وسلم وعن عمران بن
حصين قال أسر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من عقيل فأوثقوه وكانت ثقيف
قد أسرت رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقده رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالرجلين اللذين أسرتهم ما ثقيف وقوله تعالى (ذلك) يجوز أن يكون خبر مبتدأ مضمر أى الامر
ذلك وان ينصب باضمار افعوا قال الرازى ويحتمل أن يقال ذلك واجب أو مقدم كما يقول
القائل ان فعلت فذلك أى الفمقة ومطلوب قال المفسرون ومعناه ذلك الذى ذكرت
وينت من حكم الكفار (ولو يشاء الله) أى الملك الاعظم الذى له جميع السكال (لا تبصر
منهم) أى بنفسه من غير أحد انصار اعطيه فيهم لملكهم بأن لا يبق منهم أحد أو كفاكم أمرهم بغير
قتال (وايكن) أمرهم بذلك (ليلاق) أى يعتبر (بعضكم ببعض) أى يفعل فى ذلك فعل المختبر
ليرتب عليه الجزاء فيصير من قتل من المؤمنين الى الجنة ومن قتل من الكافرين الى النار (فان
قبل) فافائدة الابتلاء مع حصول العلم عند المبلى فاذا كان الله تعالى عالما بجميع الاشياء فأى
فائدة فيه (أجيب) بأن هذا السؤال كقول القائل لم عاقب الكافر وهو مستغن ولم خلق النار
محروقة وهو قادر على أن يخلقها بحيث تنفع ولا تضر وجوابه لا يسئل عما يفعل * ونزل يوم أحد
لما فشا فى المسلمين القتل والجراحات (والذين قتلوا فى سبيل الله) أى لاجل تسهيل طريق الملك
الاعظم المتصف بجميع صفات السكال (فلن يضل) أى لا يضيع ولا يبطل (أعمالهم) وقرأ
أبو عمرو وحفص بضم القاف وكسر التاء مبنيا للمفعول على معنى أنه أصاب القتل بعضهم
كقوله تعالى قتل معه ربيون والباقيون بفتح القاف والتاء وألف بينهما أى جاهدوا (سبيلهم)
أى أيام حياتهم فى الدنيا الى أرشد الامور وفى الآخرة الى الدرجات بوعده لا خلف فيه (ويصلح
بالهم) أى يرضى خصماءهم ويقبل أعمالهم (ويدخلهم الجنة) أى الكاملة فى النعيم (عزفها)
أى أعلمها وبينها (الهم) أى بما يعلم به كل أحد منزله ودرجته من الجنة قال مجاهد يمدى أهل
الجنة الى مساكنهم منها لا يخطئون كأنهم كانوا ساكنين من قبل خلقوا يستدلون عليها وعن مقاتل
ان الملك الذى وكل بحفظ علمه فى الدنيا يشئ بين يديه فيعرفه كل شئ أعطاه الله تعالى وعن ابن

عباس رضى الله عنهم ما عرفها لهم طيبها مشق من العرف وهو الريح الطيبة بقدر الطعام
 معرف أى مطيب (يا أيها الذين آمنوا) أى أفترؤا بذلك (ان تنصروا الله) أى دينه ورسوله
 صلى الله عليه وسلم (ينصركم) أى على عدوكم فإنه الناصر لغيره من عدد أو عدد (ويثبت
 أقدامكم) أى فى القيام بحقوق الاسلام والمجاهدة مع الكفار ولما بين تعالى ما لاهل الايمان بين
 ما لاهل الكفر ان بقوله تعالى (والذين كفروا) وهو مبتدأ أى سترؤا ما دل عليه العقل وقادت
 اليه الفطرة الاولى وخبره نعوأيدل عليه قوله تعالى (فتعسا لهم) أى هلاكهم وخيبة من
 الله تعالى وقال ابن عباس أى بعد الهم وقبل التمس الجزع على الوجه والنكس الجزع على الرأس
 وقوله تعالى (وأضل أعمالهم) عطف على نعوأى ابطها وان كانت ظاهرة الاتقان
 لاجل تضيمع الاساس وهو الايمان وقوله تعالى (ذلك) يجوز أن يكون مبتدأ والخبر الجار
 بعده أو خبر مبتدأ مضمر أى الامر ذلك (بأنهم) أى بسبب أنهم (كرهوا ما أنزل الله) أى الملك
 الاعظم الذى لا نعمة الا منه من القرآن وما أنزل الله تعالى فيه من التكليف والاحكام
 لانهم قد ألفوا الإهمال واطلاق العنان فى الشهوات والملاذشق عليهم ذلك وتعاطمهم
 والذى أنزله من القرآن وغيره هو روح الوجود الذى لا يقامدونه فلما كرهوا الروح الاعظم
 بطلت أرواحهم فتبعها أشباحهم وهو معنى قوله تعالى مسبباً لىانا لمعنى اضلال أعمالهم
 (فأحبط) أى أبطل ابطال الاصلاح معه (أعمالهم) بسبب أنهم أفسدوها بنياتهم فصارت
 وان كانت صورها صالحة ليس لها أرواح لكونها واقعة على غير ما أمر به الله الذى لا أمر الا له
 ولا يقبل من العمل الاماحة ورسمه ثم خوف الكفار بقوله تعالى (أولم يسروا فى الارض) أى
 التى فيها آثار الوقائع (فينظروا كيف كان عاقبة) أى آخر أمر (الذين من قبلهم قد دمر الله)
 أى أوقع الملك الاعظم الهالك (عليهم) بما عم أهلهم وأموالهم وكل من رضى أفعالهم أو مقالهم
 وعدل عن أن يقول ولهؤلاء الى قوله تعالى (وللكافرين) تعميماً وتعميداً للحكم بالوصف وهو
 الغرابة فى الكفر (أمثالها) أى أمثال عاقبة من قبلهم (ذلك) أى الامر العظيم وهو نصر
 المؤمنين وقهر الكافرين (بأن الله) أى بسبب أن الملك الاعظم المحيط بصفات الكمال (مولى)
 أى ولي وناصر (الذين آمنوا) فهو يفعل معهم بما له من الجلال والجمال ما يفعل القريب
 بقريبه الحبيب له قال القشيري ويصح أن يقال أرجى آية فى القرآن هذه الآية لأن الله تعالى
 لم يقل انه هادى العباد وأصحاب الاوراد والاجتهاد بل علق ذلك بالايمان (وان الكافرين)
 أى الغريقين فى هذا الوصف (لامولى لهم) فيدفع العذاب عنهم وهذا لا يخالف قوله تعالى
 وردوا الى الله مولاهم الحق فان المولى فيه معنى المالك ثم ذكر سبحانه وتعالى ما للقرىقين بقوله
 تعالى (ان الله) أى الذى له جميع الصفات (يدخل الذين آمنوا) أى أوقعوا التصديق
 (وعملوا) تصديقاً لما ادعوا أنهم أوقعوه (الصالحات) أى الطاعات (جنات) أى بساتين
 عظيمة الشأن موصوفة بأنها (تجرى من تحتها) أى من تحت قصورها (الانهار) فهى دائمة
 النور والبهجة والنضارة والثمرة (والذين كفروا يمتعون) أى فى الدنيا بالملاذ كما تمتع الانعام

ناسين ما أمر الله تعالى به معرضين عن كتابه (ويا كلون) على سبيل الاستمرار (كأننا كل
 الأنعام) أى كل التذاذ وصرح من أى موضع كان وكيف الأكل من غير تعذيب الحرام من
 غيره اذ ليس لهم همة الا بطونهم وفروجهم لا يلتفتون الى الآخرة لان الله تعالى أعطاهم الدنيا
 ووسع عليهم فيها وفرغهم الها حتى شغلهم عنه هو انابهم وبغض الله لهم فدخلهم ناراً وقودها الناس
 والحجارة كما قال تعالى (والنار مثوى لهم) أى منزل ومقام ومصير ولما ضرب الله تعالى لهم
 مثلاً بقوله تعالى أفلم يسروا فى الارض ولم ينفعهم مع ما تقدم من الدلائل ضرب للنبي صلى
 الله عليه وسلم مثلاً نسبية له فقال تعالى (وكأين) أى وكى (من قرية) أريد أهلها أى كذبت
 رسولها (هى أشد قوة) وأكثرت عدداً (من قرينك) مكة أى أهلها وقوله تعالى (التي
 أخرجتك) روى فيه لفظ قرية وقوله تعالى (أهلكا هم) أى بأنواع العذاب روى فيه
 معنى قرية الاولى (فلاناصر لهم) يدفع عنهم الهلاك كذلك نفعل بهم فاصبر كما صبر رسولهم قال
 ابن عباس لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة الى الغار التفت الى مكة وقال أنت
 أحب أرض الله الى الله وأحب بلاد الله الى ولوات المشركين لم يخرجوني لم أخرج منك فأنزله
 الله تعالى هذه (أفنى كان) أى فى جميع أحواله (على بينة) أى حجة ظاهرة البيان فى أنها حق
 (من ربه) أى المربي والمدير له المحسن اليه وهم النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون (كنزى له)
 بتزيين الشيطان بتسليطنا له عليه (سوء عمله) فراه حسناً وهم أبوجهل والكفار (واتبعوا
 أهواءهم) فى ذلك ولا شبهة لهم فى شئ من أعمالهم السيئة فضلاً عن دليل * ولما تكثر ذكر الجنة
 فى هذه السورة بين صفاتها بقوله تعالى (مثل) أى صفة (الجنة) أى البساتين العظيمة التى تستر
 داخلها من كثرة أشجارها (التي وعد المتقون) أى الذين حلتهم تقواهم بعد الوقوف عن فعل
 لم يدل عليه دليل على أن اسقوا منكم فانتفعوا بما دللهم عليه من أمور الدين * (تنبيهه)
 اختلاف فى اعراب هذه الآية على أوجه أحدها أن مثل مبتدأ وخبره مقدرة الضر
 ابن شميل مثل الجنة ما تسمعون فما تسمعون خبره وفيها أنها مفسر له وقدره سبب فيه فيما تلى
 عليكم مثل الجنة والجنة بعدها أيضاً مفسرة للمثل ثانياً أن مثل زائدة تقديره الجنة التى
 وعد المتقون (فيها أنهار) ونظير زيادة مثل حنا زيادة اسم فى قول القائل

الى الحول ثم اسم السلام عليكم * ثالثها أن مثل الجنة مبتدأ والخبر قوله تعالى كن هو خالد
 فى النافذة قدره ابن عطية أمثل أهل الجنة كن هو خالد فقد رحر الانكار ومضاف اليه
 وقدره الزمخشري أمثل الجنة كمثل جزء من هو خالد والجنة من قوله تعالى فيها أنها رحال من
 الجنة أى مستقرة فيها أنهار (من ماء) ولما كان ماء الدنيا مختلف الطعوم مع اتحاد الارض
 ببساطها وشدة اتصالها للدلالة على أن الفاعل ذلك قادر مختار وقد يكون أسماً أى متغيراً
 عن الماء الذى يشرب بريح منتمية من أصل خلقته أو من عارض عرض له من منبعه أو مجراه
 قال تعالى (غير آسن) أى ثابت له فى وقت ماشئ من الطعم أو اللون أو الريح بوجه من الوجود
 وان طالت أقامته وان أضيف اليه غيره فإنه لا يقبل التغيير بوجه بخلاف ماء الدنيا فى تغيير

لعارض وقرأ ابن كثير بقصر الهمزة والباقون بمدّها وهما الغتان (وأما من لبن) ولما كان
التغير غير محمود قال تعالى (لم يتغير طعمه) أي بنفسه عن أصل خلقته وإن أقام مدى الدهر
بخلاف لبن الدنيا لخروجه من الضرع وهذا يفهم أنهم لو أرادوا تغييره لشهوة أو شتموها تغييراً
مع طيبه على أنواع كثيرة كما كان في الدنيا متنوعاً (وأما من خمر) ولما كان الخمر يكره
طعمها وأما يشربها أشار بوجهها لثرتها وأنه متى تغير طعمها زال اسمها عرفت أن كل ما في خمر
الجنة في غاية الحسن غير متغير طعم فقال تعالى (لذة) أي لذية (للسابرين) في طيب
الطعم وحسن العاقبة بخلاف خمر الدنيا فإنها كريمة عند الشرب (وأما من عسل) ولما كان
عسل الدنيا لا يوجد الا مخلوطاً بخروجه من بطون النحل بالشمع وغيره من القذى قال تعالى
(مصفي) أي هو صاف صفاء ما اجتمع في تصفيته من ذلك وهذا الوصف ثابت لا دائماً
لانفسكاله في وقت ما* (تنبيه)* قال أبو حيان في حكمه ترتيب هذه الانهار انه بدأ بالماء الذي
لا تستغنى عنه المشروبات ثم اللبن اذ كان يجري مجرى المطعومات في كثير من أوقات العرب
ثم بالخمر لانه اذا حصل الرى والطعم تشوّقت النفس الى ما تلتذ به ثم بالعسل لان فيه الشفاء
في الدنيا مما يعرض من المطعوم والمشروب اهـ (فان قيل) ما الحكمة في قوله تعالى في الخمر لذة
للسابرين ولم يقل في اللبن لم يتغير طعمه للطاعمين ولا قال في العسل مصفى للناظرين (أجاب)
الرازي بأن اللذة تختلف باختلاف الأشخاص فرب طعام يلتذ به شخص ويعافيه الآخر فقال
لذة للسابرين بأسرهم ولأن الخمر كريمة الطعم في الدنيا فقال لذة أي لا يكون في خمر الا شجرة
كراهية الطعم وأما الطعم واللون فلا يختلف باختلاف الناس فان الخمر والحامض وغيرهما يدركه
كل أحد لكن قد يعافيه بعض الناس ويلتذ به البعض مع اتفاقهم على أن له طعماً واحداً
وكذلك اللبن فلم يكن للتصرح به بالتعميم حاجة* (فائدة)* روى عن كعب الاحبار أنه قال نهر
دجلة نهر ماء أهل الجنة ونهر الفرات نهر لبنهم ونهر مصر نهر خمرهم ونهر سيجان وحيحان نهر
عسلهم وهذه الانهار الاربعة تخرج من نهر الكوثر وقال ابن عبد الحكم في فتوح مصر ان
كعب الاحبار سئل هل تجد لهذا النيل في كتاب الله عز وجل خيراً فقال اى والذي فلق البحر
لموسى انى لا جده في كتاب الله تعالى ان الله عز وجل يوحى اليه في كل عام مرتين يوحى اليه عند
جريه ان الله يأمر لادن تجرى فيجرب ما كتب الله تعالى له ثم يوحى اليه بعد ذلك يا نبى غر جدها
وعن كعب أيضاً أنه قال أربعة أنهار من الجنة وضعها الله تعالى في الدنيا فالنيل نهر العسل
في الجنة والفرات نهر الخمر في الجنة وسيجان نهر الماء في الجنة وحيحان نهر اللبن في الجنة وعنه
أيضاً أنه قال النيل في الآخرة يكون عسلاً أغزر ما يكون من الانهار التى سمى الله عز
وجل ودجلة في الآخرة لبناً أغزر ما يكون من الانهار التى سمى الله عز وجل والفرات
خبيرا أغزر ما يكون من الانهار التى سمى الله عز وجل وحيحان ماء أغزر ما يكون من
الانهار التى سمى الله عز وجل وأصل هذا كله ما في الصحيح في وصف الجنة عن أبي هريرة أن
النبي صلى الله عليه وسلم قال سيجان وحيحان والنيل والفرات من أنهار الجنة ولما كانت النمار

أَلَمْ يَسْتَطَاعَ بَعْدَ مَنَافِعِ الشَّرَابِ قَالَ تَعَالَى (وَلَهُمْ فِيهَا) وَقَوْلُهُ تَعَالَى (مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ) فِيهِمَا
 وَجْهَانِ أَحَدُهُمَا أَنَّ هَذَا الْبَارِ صِفَةٌ لِمَقْدَرِ ذَلِكَ الْمَقْدَرِ مَبْدَأٌ وَخَبَرُ الْبَارِ قَبْلَهُ وَهُوَ لَهُمْ وَفِيهَا
 مَعْلُوقٌ بِمَا تَعَلَّقَ بِهِ وَالتَّقْدِيرُ وَلَهُمْ فِيهَا زَوْجَانِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَأَنَّهُ انْتَزَعَهُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى فِيهِمَا
 مِنْ كُلِّ فَاكِهِةٍ زَوْجَانِ وَقَدْ وَدَّ بَعْضُهُمْ صَنْفَ وَالْأَوَّلُ كَمَا قَالَ ابْنُ عَادِلٍ أَلَيْقَ ثَانِيهِمَا أَنَّ مَنْ
 حَزَبَهُ فِي الْمَبْدَأِ (وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ) فَهُوَ رَاضٍ عَنْهُمْ مَعَ احْسَانِهِ إِلَيْهِمْ عَادَ كَرَّ بِخِلَافِ
 سَيِّدِ الْعَبِيدِ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّهُ قَدْ يَكُونُ مَعَ احْسَانِهِ إِلَيْهِمْ سَاطِئًا عَلَيْهِمْ وَقَوْلُهُ تَعَالَى (كَنْ هُوَ خَالِدٌ
 فِي النَّارِ) خَبَرٌ مَبْدَأٌ مُقَدَّرٌ أَيْ أَمِنْ هُوَ فِي هَذَا النَّعِيمِ كَنْ هُوَ مُقِيمٌ أَقَامَهُ لَا انْقِطَاعَ مَعَهَا
 فِي النَّارِ أَلَيْ لَا يَنْطَفِئُ لِهَيْبِهَا وَلَا يَنْفَكُ أَسْبِيرُهَا وَوَحْدَهُ لَا أَنَّ الْخُلُودَ يَمُوتُ مِنْ فِيهَا عَلَى حَدِّ سَوَاءٍ
 (وَسَقُوا) أَيْ عَوْضٌ مَازٍ مِنْ شَرَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ (مَاءٌ جَمِيمٌ) هُوَ فِي غَايَةِ الْحَرَارَةِ (فَقَطَّعَ
 أَمْعَاءَهُمْ) أَيْ مَصَارِيَهُمْ فَخَرَجَتْ مِنْ أَدْبَارِهِمْ وَهُوَ جَمْعٌ مَعِيَ بِالْقَصْرِ وَالْفَتْحِ عَنْ يَدَيْهِمْ لِقَوْلِهِمْ
 مَعِيانٍ (وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ) أَيْ فِي خُطْبِ الْجَمْعَةِ وَهُمْ الْمُنَافِقُونَ وَالضَّامِرُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى
 وَمِنْهُمْ يَحْتَمِلُ أَنْ يَعُودَ إِلَى النَّاسِ كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ
 بَعْدَ ذِكْرِ الْكُفَّارِ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَعُودَ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ لِأَنَّهُمْ سَبَقُوا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ
 قُرَيْشٍ أَلَيْ أَنْ خَرَجْتَكَ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسَقُوا مَاءً جَمِيمًا
 أَيْ وَمِنْ الْخَالِدِينَ فِي النَّارِ قَوْمٌ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ (حَقِّ إِذَا) أَيْ وَاسْتَمِعُوا قَوْلَهُمْ لَأَنَّهُمْ
 فِي الْأَصْغَاءِ حَقِّ إِذَا (خَرَجُوا) أَيْ الْمُسْتَمِعُونَ وَالسَّامِعُونَ (مَنْ عِنْدَكَ قَالُوا) أَيْ الْفَرِيقَانِ
 نَعَامِيَا وَاسْتَمَرَّ (لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ) بِسَبَبِ تَهْنِئَةِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُمْ مِنْ صَفَاءِ الْإِفْهَامِ تَجَرَّدَهُمْ
 عَنِ النَّفُوسِ وَالْحَفَظِ وَاتَّقِيادَهُمْ لِمَا تَدْعُو إِلَيْهِ الْفُطْرَةِ الْأُولَى مِنْهُمْ ابْنُ مَسْعُودٍ وَابْنُ عَبَّاسٍ
 (مَاذَا قَالَ) أَيْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (أَنفًا) أَيْ قِيلَ اقْتِرَافًا وَخَرَجْنَا عَنْهُ رَوَى مَقَاتِلُ
 أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَخْطُبُ وَيُعِيبُ الْمُنَافِقِينَ فَازْخَرَجُوا مِنَ الْمَسْجِدِ سَأَلُوا
 عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ مَاذَا قَالَ مُحَمَّدٌ أَنفًا أَيْ السَّاعَةَ أَيْ لَأَنَّهُمْ رَجَعُوا إِلَيْهِ وَقَرَأَ الْبَرَزِيُّ بِقَصْرِ
 الْهَمْزَةِ بِخِلَافِ عَنْهُ وَالْبَاقُونَ بِالْمَدِّ وَمَا لِقَتَانِ بَعْنَى وَاحِدٍ وَهُمَا اسْمَا فَاعِلٍ كَمَا ذَكَرَ وَحَذَرَ
 (أَوَّلُنَّ) أَيْ الْبَعْدَاءُ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ (الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ) أَيْ الْمَلِكُ الْأَعْظَمُ (عَلَى قُلُوبِهِمْ) أَيْ
 بِالْمَكْنَرِ فَلَمْ يَفْهَمُوا فِيهِمْ اتِّفَاعٌ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَكُونُونَ الْإِبْدَاءُ (وَاتَّبَعُوا) أَيْ بِغَايَةِ
 جَهْدِهِمْ (أَهْوَاهِهِمْ) أَيْ فِي الْكُفْرِ وَالنِّفَاقِ فَلِذَلِكَ هَمَّ يَتَهَاوَنُونَ بِأَعْظَمِ الْكَلَامِ وَيَقْبَلُونَ
 عَلَى جَمْعِ الْخَطَايَا فَهَمَّ أَهْلُ النَّارِ الْمَشَارِإِ إِلَيْهِمْ قَبْلَ آيَةِ مَثَلِ الْجَنَّةِ بِأَنَّهُمْ زَيْنَ لَهُمْ سَوْءُ عَمَلِهِمْ ثُمَّ ذَكَرَ
 تَعَالَى أَضْدَادَهُمْ بِقَوْلِهِ سَجَّانَهُ (وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا) أَيْ اجْتَهَدُوا بِإِسْتِغْنَائِهِمْ مِنْكَ فِي الْإِيمَانِ
 وَالتَّسْلِيمِ وَالْإِذْعَانِ بِأَنْوَاعِ الْمَجَاهِدَاتِ وَهُمْ الْمُؤْمِنُونَ (زَادَهُمْ) أَيْ اللَّهُ الَّذِي طَبَعَ عَلَى قُلُوبِ
 الْكُفَرَةِ (هَدَى) بِأَنْ شَرَحَ صُدُورَهُمْ وَنَوَّرَهَا بِأَنْوَارِ الْمَشَاهِدَاتِ فَصَارَتْ أَوْعِيَةً لِلْعَكْمَةِ
 (وَأَنَاهُمْ نَقَوَاهُمْ) أَيْ أَلْهَمَهُمْ مَا يَتَقَوَّنَ بِهِ النَّارُ قَالَ ابْنُ بَرَحَانَ التَّقْوَى عَمَلُ الْإِيمَانِ كَمَا أَنَّ
 أَعْمَالَ الْجَوَارِحِ عَمَلُ الْإِسْلَامِ (فَهَلْ) أَيْ مَا (يَنْظُرُونَ) أَيْ يَنْتَظِرُونَ وَجُودَهَا إِشَارَةً إِلَى شِدَّةِ

قربها (الا الساعة) وقوله تعالى (أن تأتيهم) أي الكافر ين بدل اشتغال من الساعة
 أي ليس الامر الآن تأتيهم (بغتة) أي فجأة من غير شعور بها ولا استعداد لها وقوله تعالى
 (فقد جاء أشرطها) جمع شرط بسكون الراء وفحتها قال أبو الاسود

فان كنت قد أزمعت بالصرم بيننا * فقد جعلت أشرطاً وأوله تبدو

والأشرط العلامات ومنه أشرط الساعة وأشرط الرجل نفسه أي ألزمها أمورا قال أوس
 فأشرط فيها نفسه وهو يقسم * قالني بأسباب له وتو كلا

والشرط القطع أيضا مصدر شرط الجليد بشرطه شرطا قال السهيلي عن ابن سعد عن أنس قال
 رأيت النبي صلى الله عليه وسلم قال باصبعيه هكذا بالوسطى والتي تلى الابهام بعنت والساعة
 كهاتين وعن أنس قال لا حدثتكم بحديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
 ان من أشرط الساعة أن يرفع العلم ويكثر الجهل ويكثر الربا ويشرب الخمر وتقل الرجال
 وتكثر النساء حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد وعن أبي هريرة قال بينما النبي صلى الله
 عليه وسلم في مجلس يحدث القوم أذ جاء أعرابي فقال متى الساعة فحضر رسول الله صلى الله عليه
 وسلم يحدث فقال بعض القوم سمع ما قال فكلمه ما قال وقال بعضهم لم نسمع حتى إذا قضى حديثه
 قال أين السائل عن الساعة قال ها أنا يا رسول الله قال إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة فقيل
 كيف اضيعتها قال إذا وُسد الامر لغير أهله فانتظروا الساعة ومن أشرطها انشقاق القمر
 المؤذن بآية الشمس في طلوعها من مغربها وغير ذلك وما بعد مقتدات الشيء الاحضوره (فأني)

أي فكيف وأين (لهم) أي التذكروا الانعاظ والتوبة (إذا جاءتهم ذكراهم) أي الساعة
 لاتنفعهم نظيره قوله تعالى يومئذ يذكرون الانسان وأنى له الذكري ولما علم بذلك أن الذكري
 غير نافعة إذا انقضت هذه الدار التي جعلت للعمل أوجبات الأشرط الحقيقة الكاشفة لها سبب
 عنه أمر أعظم الخلق تكوينا ليكون لغيره تكليف فقال (فاعلم أنه) أي الشأن العظيم (لا اله)
 أي لا معبود بحق (الا الله) أي إذا علمت سعادة المؤمنين وشقاوة الكافرين فاثبت على ما أنت
 عليه من العلم بالوحدانية فانه النافع يوم القيامة وقيل الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم
 والمراد غيره وقال الحسن بن الفضل فازدد علما الى علمك وقال أبو العالية وابن عيينة معناه
 إذا جاءتهم الساعة فاعلم أنه لا ملجأ ولا مفرج عند قيامها الا الى الله (واستغفروا لذنوبكم) أي لاجله
 أمر بذلك مع عصمته لتستنبه أمته وقد فعله قال صلى الله عليه وسلم اني لاستغفرا الله في اليوم
 مائة مرة وقيل معني قوله لذنوبك أي الذنب أهل بيتك وللمؤمنين والمؤمنات الذين ليسوا من
 أمتك بأهل بيت وقيل المراد النبي والذنب هو ترك الأفضل الذي هو بالنسبة اليه ذنب وحسناتنا
 دون ذلك قال صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي واني لاستغفرا الله في كل يوم مائة مرة
 وقيل هو كل مقام عال ارتفع منه الى أعلى منه وقوله تعالى (وللمؤمنين والمؤمنات) فيه إكرام
 من الله تعالى لهذه الامة حيث أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يستغفروا لذنوبهم (والله) المحيط
 بجميع صفات الكمال (يعلم متقلبكم) أي تصرفكم لاشغالكم بالهار ومكانه وزمانه

(ومثواكم) أى ما وأاكم الى مضاجعكم بالليل أى هو عالم بجموع أحوالكم لا يخفى عليه شئ منها
 فاحذروه والخطاب للمؤمنين وغيرهم وقيل يعلم مستقبلكم فى أعمالكم ومثواكم فى الجنة والنار
 ومثله حقيق بأن يخشى ويتقى وأن يستغفر ويسترحم وعن سفيان ابن عيينة أنه سئل عن فضل
 العلم فقال ألم تسمع قوله تعالى حين بدأ به فاعلم أنه لا اله الا الله واستغفر لذنبك فأمر بالعمل
 بعد العلم وقال اعملوا أنما الحياة الدنيا لعب ولهوا والآية (ويقول الذين آمنوا) طلبا للجهاد
 (ولولا) أى هلا ولا النفقات الى قول بعضهم ان لازائفة والاصل لو (نزلت سورة) أى سورة
 كانت نسر بسماعها وتعب بدلائلها ونعم عمل بما فيها (فاذا أنزلت سورة) أى قطعة من
 القرآن تكامل نزولها كلها تدريجا أو جملة وزادت على مطلوبهم فى الحسن بأنها (محكمة)
 أى مبينة لا يلتبس شئ منها بنوع اجمال ولا ينسخ لكونه جامعا للمعاسن فى كل زمان ومكان
 وقال قتادة كل سورة ذكر فيها الجهاد فهى محكمة وهى أسد القرآن على المنافقين (وذكر فيها
 القتال) أى الامر به (رأيت الذين فى قلوبهم مرض) أى شك وهم المنافقون (ينظرون
 الملك) شررا بتعديق شديد كراهية منهم للجهاد وجبن منهم عن لقاء العدو (نظر المغشى)
 والاصل نظرا مثل نظر المغشى (عليه من الموت) الذى هو نهاية الغشى فهو لا يطرف بعينه
 بل شاخص لا يطرف كراهية القتال من الجبن والخوف والمعنى أن المؤمن كان ينتظر نزول
 الاحكام والتكاليف ويطلب تنزيلها واذا أتأخر عنه التكليف كان يقول هلا أمرت بشئ من
 العبادة خوفا من أن لا يؤهل لها وأما المناقق فاذا أنزلت السورة أو الآية وفيها تكليف شق
 عليه ذلك فحصل التباين بين الفريقين فى العلم والعمل وقوله تعالى (فأولى لهم) وعيد بمعنى
 فويل لهم وهو أفعل من الولي وهو القرب ومعناه الدعاء عليهم بأن يليمهم المكروه وقوله تعالى
 (طاعة وقول معروف) مستأنف أى طاعة ومعروف خير لهم وأمثل أى لو أطاعوا وقالوا قولا
 معروفا لكان أمثل وأحسن وساغ الابتداء بالهـ كبره لانها وصفت بدليل قوله تعالى وقول
 معروف فانه موصوف فكانه تعالى قال طاعة مخصصة وقول معروف خير وقيل يقول المنافقون
 قبل نزول السورة المحكمة طاعة ورفع على الحكاية أى أمرنا طاعة أو منا طاعة وقول معروف
 حسن وقيل متصل بما قبله واللام فى قوله تعالى لهم بمعنى الباء أى فأولى بهم طاعة الله ورسوله
 وقول معروف بالاجابة أولى بهم وهذا قول ابن عباس فى رواية عطاء ثم سبب عنهم ما قوله تعالى
 مسندا الى الامر ما هو لاهل تأكيده المضمون الكلام (فاذا عزم الامر) أى فاذا أمر بالقتال
 الذى ذكر فى أول السورة وغيره من الاوامر أمرهم بحزم ومابه مقر وحاعليه (فلو صدقوا الله) أى
 الملك الاعظم فى قوالهم الذى قالوه فى طلب التنزيل (لكان) أى صدقهم له (خبر اللهم) أى من
 فعلهم وجهه لوجوب اذ انتموا اذا جاءنى طعام فلو جئتني لأطعمتك وقيل محذوف تقديره
 فاصدق كذا قدره أبو البقاء وعزم الامر على سبيل المجاز كقوله * قد جدت الحرب فجدوا *
 أو ويكون على حذف مضاف أى عزم أهل الامر وقوله تعالى (فهل عسيتم) فيها النفات
 عن الغيبة أى لعليكم (ان توليتم) أى أعرضتم عن الايمان والجهاد (ان تقسبوا) أى

توقعوا الفساد العظيم الذي يستتر تحت يده (في الأرض) بالمعصية والبعث وسفك الدماء الذي
يسخط الله تعالى ويغضبه أشد غضب على فاعله وتكونوا في غاية الجحرة عليه وترجعوا إلى
الفرقة بعد ما جمعكم الله بالاسلام وقرأ نافع بكسر السين والباءون بفتحها (وتقطعوا) أي
تقطعوا كثيرا (أرحامكم) أي تعودوا إلى أمر الجاهلية في الاغارة من بعض على بعض وغير
ذلك قال قتادة كيف رأيتم القوم حين تولوا عن كتاب الله تعالى ألم يسفكوا الدم الحرام وقطعوا
الارحام وعصوا الرحمن وقال بعضهم هو من الولاية قال القراء يقول فهل عسيتم ان توليتم
أمر الناس أن تفسدوا في الأرض بالظلم نزلت في بني أمية وبني هاشم (أولئك) أي المفسدون
(الذين لعنهم الله) أي طردهم أشد الطرد المالك الاعظم لما ذكر من افسادهم وتقطيعهم ثم سبب
عن لعنهم قوله تعالى (فأصمهم) أي عن الاتساع بما سمعوه (وأعمى أبصارهم) أي عن
الاتساع بما يبصرون فليس سمعهم سمع ادراك ولا ابصارهم ابصار اعتبار فلا سمع
ولا ابصار (أفلا يتدبرون) بقلوب منفتحة مفسحة ليهتدوا إلى كل خير (القرآن) أي يجهدوا
أنفسهم في أن يتفكروا في الكتاب الجامع لكل خير الفارق بين الحق والباطل حتى لا يجسروا
على المعاصي (فان قيل) قال تعالى فأصمهم وأعمى أبصارهم فكيف يمكنهم التدبر في القرآن
وهو كقول القائل للاعمى أبصر ولا اصم اسمع (أجيب) بثلاثة أوجه مترتبة بعضها أحسن من
بعض الاول تكليف ما لا يطاق جائز والله تعالى أمر من علم منه بأنه لا يؤمن أن يؤمن فلذلك
جاز أن يصمهم ويعمىهم ويذتهم على ترك التدبر الثاني أن قوله أفلا يتدبرون القرآن المراد منه
الناس الثالث أن يقال ان هذه الآية وردت محقة لمعنى الآية المتقدمة كانه تعالى قال
أولئك الذين لعنهم الله أي أبعدهم عنه وعن الصدق وأخباره وغير ذلك من الامور الحسنة
فأصمهم لا يسمعون حقيقة الكلام وأعمى أبصارهم لا يبصرون طريقة الاسلام فاذا هم بين أمرين
أما لا يتدبرون القرآن فيبعدون عنه لان الله تعالى لعنهم وأبعدهم عن الخير والصدق والقرآن
منهما هو الصنف الاعلى بل النوع الاشرف وأما يتدبرون لكن لا تدخل معانيه في قلوبهم
لكونها مغلقة تقديره أفلا يتدبرون القرآن لكونهم ملعونين مبعدين (أم) أي بل (على
قلوب) أي من قلوب الفاعلين لذلك (أفقالها) فلاتعنى شيئا ولا تفهم أمرا ولا ترداد الاغباوة
وعنادا لانهم لا تقدر على التدبر قال القشيري فلا يدخلها زواجر التنبيه ولا ينسبط عليها
شعاع العلم فلا يحصل لهم فهم الخطاب والباب اذا كان مغلقا فكلا يدخل فيه شيء لا يخرج
ما فيه فلا كفرهم يخرج ولا الأيمان الذي يدعون اليه يدخل اه (فان قيل) ما الفائدة في تنكير
القلوب (أجاب) الزمخشري بقوله يحتمل وجهين أحدهما أن يكون للتنبيه على كونه موصوفا
لان التنكير بالوصف أولى من المعرفة كانه قال أم على قلوب قاسية أو مظلمة الثاني أن تكون
للتبعيض كانه قال أم على بعض القلوب لان التنكير لا تعم تقول جاءني رجال فيفهم البعض وجاءني
الرجال فيفهم الكل والتنكير في القلوب للتنبيه على الانكار الذي في القلوب وذلك لان القلب
اذا كان عارفا كان معروفا لان القلب خلق للمعرفة فاذا لم تكن فيه المعرفة فكانه لا يعرف قلبا

فلا يكون قلبا يعرف كما يقال للانسان المؤذى هذا ليس بانسان فكذلك يقال هذا ليس بقلب
 هذا مجرؤ اذا علم هذا فالتعريف اما بالالف واللام واما بالاضافة بأن يقال على قلوبهم أقفالها
 وهى لعدم عود فائدة اليهم كأنهم ليست لهم (فان قيل) قد قال تعالى ختم الله على قلوبهم - وقال
 تعالى فويل للقايسة قلوبهم (أجيب) بأن الاقفال أبلغ من الختم فترك الاضافة لعدم انتفاعهم
 رأسا (فان قيل) ما الحكمة في قوله تعالى أقفالها بالاضافة ولم يقل أقفال كما قال قلوب (أجيب)
 بأن الاقفال كأنها ليست الالهة ولم يصف القلوب اليهم لعدم نفعها اليهم وأضاف الاقفال اليها
 ليكون مناسبة لها أو يقال أراد به اقفا لا مخصوصة هي اقفال الكفر والعناد * ولما أخبر تعالى
 بأقفال قلوبهم بين منشا ذلك فقال تعالى (ان الذين ارتدوا) أى من أهل الكتاب وغيرهم (على
 أدبارهم) أى رجعوا كفارا (من بعد ما تبين) أى غاية البيان (لهم الهدى) أى بالدلائل
 التى هى من شدة ظهورها غشيت عن بيان مبين (الشيطان سول لهم) أى زين وسهل لهم اقتراح
 الكفار (وأملى) أى ومد الشيطان (لهم) فى الآمال والاماني بارادته تعالى فهو المضل لهم
 وقرأ أبو عمرو بضم الهمزة وكسر اللام وفتح الباء والباقون بفتح الهمزة واللام وسكون الالف
 المنقلبة وأمالها حجة والكسائي محضة وقرأ ورش بالفتح وبين اللقطين والباقون بالفتح قال
 فى الكشف فان قلت من هؤلاء قلت اليهود وكروا بحمد صلى الله عليه وسلم من بعد ما تبين لهم
 الهدى وهونعتهم فى التوراة وقيل هم المنافقون (ذلك) أى اضلالهم (بأنهم) أى بسبب
 انهم (قالوا) أى المنافقون (للذين كرهوا) أى وهم المشركون (ما) أى جميع ما (نزل الله)
 أى الملك الاعظم على التدريج بحسب الوقائع تنزيلا فى اعجاز الخلق فى بلاغة التركيب
 مع فصاحة المفردات وحز التمام السهولة فى النطق والعذوبة فى السمع والملائمة للطبع
 (سنطيعكم فى بعض الامر) أى أمر المعاونة على عداوة النبي صلى الله عليه وسلم وتبسيط
 الناس عن الجهاد معه قالوا ذلك سرا فاطهره الله تعالى (والله) أى قالوا ذلك والحال ان الملك
 الاعظم المحيط بكل شئ علما وقدره (يعلم) أى على عمر الاوقات (اسراهم) أى كلها هذا الذى
 أقساه عليهم وغيره مما فى ضمائرهم مما لم يرز على ألسنتهم ولعلمهم لم يعلموه فضلا عن أقوالهم التى
 تحدثت بها أنفسهم فبان بذلك انه لا أديان لهم ولا عقول ولا امر وآت وقرأ حجة والكسائي
 وحفص بكسر الهمزة مصدرا والباقون بفتحها جمع سر (فكيف) أى حالهم (اذ توفتهم
 الملائكة) أى قبضت رسلنا وهم ملك الموت وأعوانه أرواحهم كاملة وقوله تعالى (يضربون
 وجوههم وأدبارهم) تصوير لتوفيتهم بما يخافون منه ويحشون عن القتال له وعن ابن عباس
 لا يتوفى أحد على معصية الا يضرب من الملائكة فى وجهه ودره وقوله تعالى (ذلك) إشارة
 الى التوفى الموصوف (بأنهم) أى بسبب انهم (اتبعوا) أى عالجوا فطرته الاولى فى أن اتبعوا
 (ما أمحط الله) أى الملك الاعظم وهو الكفر وكتبت نعت الرسول صلى الله عليه وسلم وعصيان
 الامر (وكرهوا) بالاشراك (رضوانه) بكسر الهمزة أعظم أسباب رضاه وهو الايمان فهم
 لما دونه بالقعود عن الطاعات أكره لان ذلك ظاهر غاية الطهور فى أن فاعله غير معذور فى ترك

الظفر فيه (فأحبط) أي فلذلك تسبب عنه انه أفسد (أعمالهم) أي الصالحة فأسقطها بحيث لم يبق لها وزن أصلا لتضييع الاساس من مكارم الاخلاق من القرى والاخذ بيد الضعيف والتمصدق والاعتاق وغير ذلك من وجوه الارفاق (أم حسب الذين) وكان الاصل أم حسبوا اضعف عقولهم كما أفهمه التعبير بالحسين ولكنه عبر تعالى ببادل على الآفة التي أدت بهم الى ذلك بقوله تعالى (في قلوبهم) أي التي اذا فسدت فسدت جميع أجسادهم (مرض) أي آفة لا طب لها حسبنا هو في غاية الثبات كما دل عليه التأكيدي قوله تعالى (أن لن يخرج الله) أي يبرز من هو محيط بصفات الكمال للرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على سبيل التجديد والاستمرار وقوله تعالى (أضغانهم) جمع ضغن وهي الاحقاد أي احقادهم على المؤمنين فيسديها حتى تعرفوا نفاقهم وكانت مدورهم تغلى حنقا عليهم (ولونشاه لاري بنا كههم) من رؤية البصر وجاء على الافصح من اتصال الضميرين ولوجاء على اريناك اياهم جاز وقال الرازي الاراءة هنا بمعنى التعريف وقوله تعالى (فلا تعرفهم) عطف على جواب لو (بسيماهم) أي بسبب علاماتهم التي تجعلها غالبية عليهم عالية لهم في اظهار ضمائرهم غلبة لا يقدررون على مداومتها بوجه ولم يذكرهم سبحانه بأسمائهم ابقاء على قراياتهم المخلصين من الفتن وقوله تعالى (ولتعرفنهم) جواب قسم محذوف (في لحن القول) أي الصادر منهم ولحنه فحواه أي معناه وما يدل عليه ويلوح عليه من ميله عن حقائقه الى عواقبه وما يؤل اليه أمره مما يخفى على غيره قال أنس ما خفى على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية شيء من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم وعن ابن عباس لحن القول هو قولهم ما لنا ان أطعنا من الثواب ولا يقرولون ما علينا ان عصينا وقيل اللحن ان لحن بكلامك أي قبله الى نحو من الانحاء ليفطن له صاحبك كالتعريض والتورية قال

واقدر لحنك لكم لكيما تفهموا * واللحن يعرفه ذوو الالباب

وقيل للحنطى لحن لانه يعدل بالكلام عن الصواب وقال أبو حيان كانوا اصططحو على ألفاظ يخاطبونهم الرسول صلى الله عليه وسلم بمظاهره حسن ويعنون به القبيح (والله) أي بما له من الكمال (يعلم أعمالكم) كلها الفعلية والقولية جليلة وخفية علمنا غيبيا وعلمنا راسخا شهوديا يتجسد بحسب نتيجتهما مستترا باستقرار ذلك (ولتبلىونكم) أي تعاملكم معاملة المبني بأن نخالطكم بالثامن العظمة بالاوامر الشديدة على النفوس والنواهي الكريمة اليها (حتى نعلم) أي بالابتلاء علمنا شهوديا يشهد به غيرنا مطابقا لما كنا فعله علمنا غيبيا فنستخرج من سرائركم ما جبلناكم عليه مما لا يعلمه أحد منكم بل ولا تعلمونه حق علمه (الجاهدين منكم) في القتال وفي سائر الاعمال والشدائد والاهوال امتنا لالا مريدك (والصابرين) أي على شدة الجهاد وغيره من الانكاد قال القشيري فبالابتلاء والامتحان تبين جواهر الرجال فيظهر المخلص ويقضخ المماذق وينكشف المناق اه وعن الفضيل انه كان اذا قرأ هذه الآية بكى وقال اللهم لا تبلىنا فانك ان بليتنا فضحتنا وهتكت أسرارنا وعذبتنا (ونبأوا خبركم) أي نخالطها

بأن نسلط عليه من يحرفها فيجعل حسنها قبيحا وقبيحها احسنا ليظهر للناس العامل لله والعامل
للا شيطان فان العامل لله اذا سمى قبيحا باسم الحسن علم ان ذلك احسان من الله تعالى اليه فيستحي
منه ويرجع واذا سمى حسنه باسم القبيح واشهر به علم ان ذلك لطف من الله تعالى به لكي لا يدركه
العجب أو يهاجه الرياء فيزيد في احسانه والعامل للشيطان يزاد في القبايح لان شهرته عند
الناس محط نظره ويرجع عن الحسن لانه لم يوصل الى ما أراد به من ثناء الناس عليه بالخير (ان
الذين كفروا) أي غطوا ما دلهم عليه عقولهم من ظاهر آيات الله لاسيما بعد ارسال الرسول
صلى الله عليه وسلم المؤيد بواضح المعجزات (وصدوا) أي امتنعوا ومنعوا غيرهم زيادة في كفرهم
(عن سبيل الله) أي الطريق الواضح الذي نهجه الملك الاعظم (وشاقوا الرسول) أي الكامل
في الرسالة المعروف غاية المعرفة (من بعد ما تبين) أي غاية البيان بالمعجز (لهم الهدى) بحيث
صار ظاهرا بنفسه غير محتاج ما أظهره الرسول من الآيات الظاهرة وهم قريظة والنضير
والمطعمون يوم بدر (لن يضروا الله) أي ملك الملوك (شيئا) بما هم عليه من الكفر والصدأ ولن
يضروا رسوله صلى الله عليه وسلم بمشاقته وحذف المضاف لتعظيمه وتفضيع مشاقته (وسيجب)
أي يفسد فيبطل بوعده لا خلف فيه (أعمالهم) من المحاسن لبنائهم على غير أساس (يا أيها الذين
آمنوا) أي أقروا بأسمائهم (أطيعوا الله) أي الملك الاعظم تصديق الدعاكم طاعة لشدة الاجتهاد
فيها أنتم الخاصة وعظم الرسول صلى الله عليه وسلم بإفراده فقال تعالى (وأطيعوا الرسول) لان
طاعته من طاعة الذي أرسله فاذا فعلتم ذلك حصنتم أنفسكم وأعمالكم فتكون صحيحة ببنائهم
على الطاعة بتعحيح النيات وتوفيقها مع الاحسان للصورة في الظاهر ليستكمل العمل صورة
وروحا (ولا تبطلوا أعمالكم) قال عطاء بالشك والتناق وقال الكبي بالرياء والسمعة وقال
الحسن بالمعاصي والكابر وقال أبو العالية كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرون
انه لا يضرم مع الايمان ذنب كما لا ينفع مع الشرك عمل فنزلت هذه الآية فخافوا الكابران
تجبت الأعمال وقال مقاتل لا تنوعوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتبطلوا أعمالكم فنزلت
في بني أسد قال تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمان والاذى وعن حذيفة نخافوا ان تجبت الكابر
أعمالهم وعن ابن عمر كان يرى انه ليس شيء من حسناتنا الا مقبولا حتى نزل ولا تبطلوا أعمالكم
فقلنا هذا الذي يبطل أعمالنا فقلنا الكابر الموجهات والقوا حش حتى نزل ان الله لا يغفر
أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فكففنا عن القول في ذلك فكلنا نخاف على من اصاب
الكابر ونرجو لن لم يصبها وعن قتادة رحم الله عبدالم يحبط عمله الصالح بعمله السيئ وعن ابن
عباس لا تبطلوا بالرياء والسمعة أعمالكم وعنه أيضا بالشك والتناق وقيل بالعجب فان العجب
بأكل الحسنات كإتاء كل النار الحطب (ان الذين كفروا) أي أوقعوا الكفر بفعلهم فعل
الساتر لما دل عليه العقل من آيات الله المرئية والمسموعة (وصدوا عن سبيل الله) أي الملك
الاعلى عن الواضح المستقيم الموصل الى كل ما ينبغي ان يقصد كل من أراد بهتادهم على باطلهم
واذا هم لمن خالفهم (ثم ماتوا) بعد المآلهم في مضمارهم بالتطويل في أعمالهم (وهم) أي

والحال انهم (كفار فلان يغفر الله) أى المحيط بجميع صفات الكمال الذى يمنع من تسوية
المسىء بالمحسن (لهم) فلا يحسدونهم ولا يستعيبونهم بل يقضح سرائرهم ويردّهم على أعقابهم
فى كل ما يلقبون فيه لانهم قد أبطلوا أعمالهم بالخروج عن دائرة الطاعة فلم يبق لهم ما يغفر لهم
تسببه وقد دلت هذه الآية على ما دلت عليه آية البقرة من ان احباط العمل فى المرتبة مشروط
بالموت على الكفر قيل زلت فى أصحاب القلب قال الزخشري والظاهر العموم ثم رغب
تعالى فى لزوم الجهاد محذرا من تركه بقوله تعالى (فلا تموتوا) أى تضعفوا ضعفا يؤدى بكم الى
الهوان والذل (وتدعوا) أعداءكم (الى السلم) أى المسالمة وهى الصلح (وأنتم) أى والحال
إنكم (الاعلون) أى الظاهرون الغالبون قال الكلبي آخر الامر لكم وان غلبوكم فى بعض
الافاق وأهل الاعلون الاعليون فأعلّ وقرا حجة وشعبة بكسر السين والباءون بفكها ثم
عطف على الحال قوله تعالى (والله) أى الملك الاعظم الذى لا يعجزه شئ ولا كف له (معكم)
أى بنصره ومعونه وجميع ما يفعله الكريم اذا كان مع عبده ومن علم انه سيده وعلم انه قادر
على ما يريد لم يبال بشئ أصلا (ولن يترككم) أى ينقصكم (أعمالكم) أى ثوابها كما يفعل مع
أعدائكم فى احباط أعمالهم لانكم لم تبطلوا أعمالكم بجعل الدنيا محط أمركم (انما الحياة)
وأشار الى دنائتها تنفيرا عنها بقوله (الدنيا) أى الاشتغال بها (لعب) أى أعمال ضائعة سافلة
تزيد فى السرور ما يسرع اضعف لاله فيبطل من غير عثرة (واهو) أى مشغلة يطلب بها اثاره اللذة
كالغناء (وان تؤمنوا وتمتوا) أى تخافوا فتجعلوا بينكم وبين غضبه سبحانه وتعالى وقاية
من جهاد أعدائه وذلك من أعمال الآخرة (يؤتكم) أى الله سبحانه الذى فعاتم ذلك من أجله
فى الدار الآخرة (أجوركم) أى ثواب كل أعمالكم بينائهم على الاساس ولانه غنى لا ينقصه
الاعطاء (ولا يسألكم) أى الله فى الدنيا (أموالكم) أى لنفسه ولا كلها غيره بل يقتصر على
جزء يسير بما تفضل به عليكم ربع العشر وعشره (ان يسألكموها) أى كلها (فيحفكم) أى
يبالغ فى سؤالكم ويبلغ فيه الغاية حتى يستأصلها فيجهدكم بذلك فالاحفاء المبالغة وبلوغ الغاية
فى كل شئ يقال احفاه فى المسئلة اذا لم يترك شيئا من الاحلاح واحفى شاربها استأصله (تبخلوا) فلا
تعطوا شيئا (ويخرج أضغانكم) أى ما تضغنون على رسول الله صلى الله عليه وسلم والضغير فى
يخرج لله تعالى أو الرسول أو السؤال أو البخل واقتصر عليه الجلال المحلى قال قتادة علم الله تعالى
ان فى مسئلة الاموال خروج الاضغان يعنى ما طلبها ولو طلبها وألح عليكم فى الطلب لجنتم كيف
وأنتم تبخلون باليسير فكيف لا تبخلون بالكثير (ها أنتم) وحقر أمرهم بقوله تعالى (هؤلاء)
أى أنتم يا مخاطبون هؤلاء الموصوفون وقوله تعالى (تدعون لتنفقوا فى سبيل الله) أى الملك
الاعظم الذى يرحى خيره ولا يخشى غيره استئناف مقرر لذلك أو صله لهؤلاء على أنه بمعنى الذين
وهو يعم نفقة الغزو والزكاة وغيرهما (ففسدكم من يبخل) أى ناس يبخلون وحذف القسم الآخر
وهو ومنكم من يجوز دلالة المراد الاستدلال على ما قبله من البخل ولما كان بخله عن اعطائه
المال بجزء يسير منه انما يطلبه لينفع المطلوب منه فقط زاد العجب بقوله تعالى (ومن) أى

والحال انه من (يَجْزَل) بذلك (فَانَمَا يَجْزَل) بحاله بخلاف (عن نفسه) فان نفع الاتفاق
 وضرر الجزل عائدان اليه والجزل يعذى بهن وعلى لتضمنه معنى الامسالك والتعدي فانه امسالك
 عن يستحق (والله) أى المالك الاعظم الذى له الاحاطة بجميع صفات الكمال (الغنى) وحده
 عن نفقتكم (وانتم) أي المكلفون خاصة (الفقراء) لاحتياجكم في جميع أحوالكم اليه
 (وان تتولوا) عطف على وان تؤمنوا وتتقوا (يستبدل قوم غيركم) أى يخلق قوما سواكم على
 خلاف صفتكم راغبين في الايمان والتقوى (ثم لا يكونوا أمثالكم) في التولى عنه والزهد
 في الايمان كقوله تعالى ويأت بخلق جديد قيل هم الملائكة وقيل الانصار وعن ابن عباس كندة
 وانزع وعن الحسن العجمي وعن عكرمة فارس والروم وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
 القوم وكان سلمان الى جنبه فضرب على فخذه وقال هذا وقومه والذى نفسى بيده لو كان
 الايمان منوطا بالثبات لولاه رجال من فارس رواد الترمذي والحاكم وصححه ومارواه
 البيضاوي تبعالزمخشري من أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة محمد كان حقا على الله
 تعالى ان يسقيه من أنهار الجنة حديث موضوع

﴿سورة الفتح مكية﴾

وهي تسع وعشرون آية وخمسمائة وستون كلمة وألفان وأربعمائة وعثمانية وثلاثون حرفا
 (بسم الله) أى المحيط بكل شئ قدرة وعلم (الرحمن) الذى عم خلقه بنعمه (الرحيم) الذى خص
 أهل وداده بمزيد فضله روى زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يسير مع
 رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره فسأله عمر عن شئ فلم يجبه ثم سأله فلم يجبه قال عمر
 فخرت بعيرى حتى تقعدت امام الناس وخشيت أن يكون نزل في قرآن فانشبت ان سمعت
 صار خابصر خبي فحث رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه فقال لقد أنزلت على الليلة
 سورة هي أحب الى مما طلعت عليه الشمس ثم قرأ (انافتحنا لك) أى بما لنا من العظمة التي
 لا تثبت لها الجبال (فتحاميننا) أى لا لبس فيه على احد واختلفوا في هذا الفتح فروى عن
 أنس انه فتح مكة وقال مجاهد فتح خيبر والاكثرون على أنه صلح الحديبية قال أنس نزلت على
 النبي صلى الله عليه وسلم انافتحنا لك الى آخر الآية عند مرجعه من الحديبية وأصحابه مخالطوا
 الحزن والبكاء فقال نزلت على آية هي أحب الى من الدنيا جميعها فلما تلاها نبي الله صلى الله
 عليه وسلم قال رجل من القوم هنيأمر يا قديين الله لك ما يفعل بك فإذا فعل بنا فنزل الله تعالى
 ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار حتى ختم الآية وقيل فتح الروم
 وقيل فتح الاسلام بالحنة والبرهان والسيف واللسان وقيل الفتح الحكم لقوله تعالى فافتح بيننا
 وبين قومنا بالحق وقوله تعالى ثم يفتح بيننا بالحق فن قال هو فتح مكة قال لانه مناسب لا غير
 السورة التي قبلها من وجوه أحدها انه تعالى لما قال ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل
 الله الى ان قال ومن يجمل فأنما يجمل عن نفسه بين تعالى انه فتح لهم مكة وغنموا ديارهم وحصل

لهم اضعاف ما أنفقوا ولو بخلوا الضاع عليهم ذلك فلا يكون بخلهم الاعلى أنفسهم ثانياً لما قال
 تعالى والله معكم وقال تعالى وأنتم الاعلون بين ربها ففتح مكة فانهم كانوا هم الاعلون ثالثها
 لما قال تعالى فلا تنهوا وتدعوا الى السلم وكان معناه لا تسألوا الصلح بل اصبروا فانكم تسألوا
 الصلح كما كان يوم الحديبية فكان المراد فتح مكة حيث أتى صناديد قريش مستأمنين ومؤمنين
 ومسلمين ومستسلمين (فان قيل) ان كان المراد فتح مكة فمكة لم تكن فتحت فكيف قال تعالى
 فتحنا بلطف الماضي (أجيب) من وجهين أحدهما فتحنا في حكمنا وتقديرنا ثانياً ما قدره
 الله تعالى فهو كائن فأخبر بصيغة الماضي إشارة الى أنه أمر واقع لا دافع له وأما حجة قول
 الأكثرين على أنه صلح الحديبية فلما روى البراء قال تعدون أنتم الفتح فتح مكة وقد كان فتح مكة
 فتحاً وشحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية كطامع النبي صلى الله عليه وسلم أربع عشرة مائة
 والحديبية بئر فزحنا فلم تترك فيها قطرة فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فأتاها فجلس على
 شفيرها فدعا عباده فمضوا ثم تضرع ودعا وصيه فيها فدرت بالماء حتى شرب جميع من كان معه
 وقيل جاش حتى امتلأت ولم يبق ماء وها بعد وقال الشعبي في قوله تعالى أنا فتحنا لآل
 فتحامينا قال فتح الحديبية عقر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر واطعموا مثل خيبر وبلغ الهدى
 محله وظهرت الروم على فارس ففرح المؤمنون بظهور أهل الكتاب على الجوس قال الزهري
 ولم يكن فتح أعظم من صلح الحديبية وذلك ان المشركين اختلطوا بالمسلمين فسمعوا كلامهم
 فتبكن الاسلام في قلوبهم واسلم في ثلاث سنين خلق كثير وكثر سواد الاسلام وقال البغوي أنا
 فتحنا لآل فتحامينا أي قضينا لك قضاء مينا وقال النعمان أي بغير مال وكان الصلح من الفتح
 واختلاف قول المفسرين في معنى اللام في قوله تعالى (ليغفر لك الله) أي الملك الأعظم فقال
 البضاوي عليه للفتح من حيث انه مسبب عن جهاد الكفار والسعي في اعلاء الدين وازاحة
 الشرك وتكميل النفوس الناقصة وقال البغوي قبل اللام كي معناه أنا فتحنا لآل فتحا
 مينا الصلح يجمع لك مع المغفرة تمام النعمة في الفتح وقال الجلال المحلى اللام للعلو الغاية
 فدخلوها مسبب لاسبب وقال بعضهم انها لام القسم والاصل ليغفرن فكسرت اللام تشبيهاً
 بالام كي وحذفت النون وردها بأن اللام لا تكسر وبأنها لا تنصب المضارع قال ابن عادل وقد
 يقال ان هذا ليس بنصب وانما هو بقاء الفتح الذي كان قبل نون التوكيد بقى ليدل عليها ولا كنهه
 قول مردود وقال الزنجشيري فان قلت كيف جعل فتح مكة علو للمغفرة قلت لم يجعل علو
 للمغفرة ولكن لاجتماع ما عد من الامور الاربعة وهي المغفرة واتمام النعمة وهذا الصراط
 المستقيم والنصر العزيز كانه قال يسرنالك فتح مكة ونصرنالك على عدوك لتجمع لك بين عز الدارين
 واغراض الاجل والعاجل ويجوز أن يكون فتح مكة من حيث انه جهاد للعدو وسبباً للمغفرة
 والثواب اه قال ابن عادل وهذا الذي قاله يخالف لظاهر الآية فان اللام داخله على المغفرة
 فتكون المغفرة علو للفتح والفتح معلل به افكان ينبغي أن يقول كيف جعل فتح مكة معللاً
 بالمغفرة ثم يقول لم يجعل معللاً اه وقيل غير ذلك والاسلم ما اقتصر عليه الجلال المحلى واختلف أيضاً

في الذنب في قوله تعالى (ما تقدم من ذنبك) فقال البقاعي أي الذي تقدم في القتال أمره
 بالاستغفار له وهو ما تنقل عنه من مقام كامل إلى مقام فوقه أكل منه قتره بالنسبة إلى أكمله
 المقام الثاني ذنبا وكذا قوله تعالى (وما تأخر) وقال الرازي المغفرة المعتبرة لها درجات كما أن
 الذنوب لها درجات حسنات الأبرار سيئات المقترين وقال عطاء الخراساني ما تقدم من ذنبك
 يعني ذنب أبويك آدم وحواء ببركتك وما تأخر ذنوب أمتك بدعوتك وقال سفيان الثوري
 ما تقدم ما علمت في الجاهلية وما تأخر كل شيء لم تعمله قال البغوي ويذكر مثل ذلك على سبيل
 التأكيد كما يقال أعطى من رآه ومن لم يره وقيل ما تقدم من حديث مارية وما تأخر من امرأة
 زيد وقيل المراد به ترك الأفضل وقيل الصغار على طريق من جوار الصغار على الانبياء وقيل
 المراد بالمغفرة العصمة ومعنى قوله تعالى وما تأخر قيل أنه وعد النبي صلى الله عليه وسلم بأنه لا يذنب
 بعد النبوة وقيل ما تقدم على الفتح وما تأخر عنه وقيل المراد ذنب المؤمنين وقيل غير ذلك
 والاولى في ذلك هو الاول واختلف أيضا في النعمة في قوله تعالى (ويتم نعمته عليكم) فقال
 البقاعي بنقلك من عالم الشهادة إلى عالم الغيب ومن عالم الكون والفساد إلى عالم الثبات
 والصلاح الذي هو أخص بمحضته وأولى برحمته واطهار أصحابك من بعدك على جميع أهل
 الملل وقال البيضاوي باعلاء الدين وضم الملك إلى النبوة وقال الجلال المحلى بالفتح المذكور وقيل
 إن التكليف عند الفتح تمت حيث وجب الحج وهو آخر التكليف والتكليف نعمة وقيل
 بإجلاء الأرض لك عن معانديك فإن من يوم الفتح لم يبق للنبي صلى الله عليه وسلم عدو فإن
 بعضهم قتل يوم بدر والباقي آمنوا واستأمنوا يوم الفتح وقيل ويتم نعمته عليك في الدنيا
 والآخرة أما في الدنيا فبإستجابة دعائك في طلب الفتح وفي الآخرة بقبول شفاعتك وقيل غير
 ذلك والاولى وأولى واختلف أيضا في معنى الهداية في قوله تعالى (ويهديك صراطا) أي طريقا
 (مستقيما) أي واضحاً جليلاً فقال البقاعي أي هداية جميع قومك * ولما كانت هدايتهم من
 هدايته أضافها سبحانه إليه إعلاماً له أنه هداية تليق بجنايه الشريفة سروراً له وقال
 البيضاوي في تبليغ الرسالة وإقامة مراسم الرياسة وقيل يهديك وقيل يديك على الصراط
 المستقيم وقيل جعل الفتح سبب الهداية إلى الصراط المستقيم لأنه سهل على المؤمنين الجهاد
 لعلمهم بفوائده العاجلة والآجلة وقيل المراد التعريف أي لتعرف أنك على صراط مستقيم
 (وينصرك الله) أي على ملوك الأمم نصر ايليق استناده إلى اسمه المحيط بيسائر العظم (نصر
 عزيزاً) أي يغلب المنصور به كل من ناواه ولا يغلبه شيء مع دوامه فلاذل بعده لأن الأتمة التي
 تتصف به لا يظهر عليها أحد والدين الذي قضاه لاجله لا ينسخه شيء (فان قيل) إن الله تعالى
 وصف النصر بكونه عزيراً والعزير من له النصر (أجيب) من وجهين أحدهما قال الزمخشري
 أنه يحتمل وجوهاً ثلاثة الأول معناه نصر إذا عزة كقولك في عيشة راضية أي ذات رضا ثانيها
 وصف النصر بما يوصف به المنصور اسماء اجازاً يقال له كلام صادق كما يقال له متكلم صادق
 ثالثها المراد نصر عزيراً صاحبه الوجه الثاني أن يقال انما يلزم ما ذكره الزمخشري إذا قلنا

العزة في الغلبة والعزير الغالب وأما إذا قلنا العزير هو النفس القليل النظير والمحتاج اليه
 القليل الوجود يقال عز الشيء في سوق كذا أي قل وجوده مع أنه محتاج اليه فالنصر كان
 محتاجا اليه ومثله لم يوجد وهو أخذيت الله تعالى من الكفار المقيمين فيه من غير عدد ولا عدد
 (هو) أي وحده (الذي أنزل) أي في يوم الحديبية وغيره (السكينة) أي الثبات على الدين
 والطمأنينة (في قلوب المؤمنين) أي الراسخين في الايمان وهم أهل الحديبية بعد ان دهمهم فيها
 ما من شأنه ان يرجع النفوس ويرى القلوب من صد الكفار ورجوع الصحابة دون بلوغ
 مقصودهم فلم يرجع أحد منهم عن الايمان بعد ان هاج الناس وزلوا حتى عمر مع انه فاروق
 ومع وصفه في الكتب السابقة بأنه قرن من حديد فما الظن بغيره وكان عند الصديق من القدم
 الثابت والاصل الراسخ ما علم به انه لم يسابق ثم نبتهم الله تعالى أجمعين وقال الرازي السكينة
 الثقة بوعده الله والصبر على حكم الله وقيل السكينة ههنا معنى يجمع فوزا وقوة وروحا يسكن
 اليه الخائف ويتسلى به الحزين وأثر هذه السكينة الوفا والخشوع وظهور الخزم في الامور اه
 وقال أكثر المفسرين ان هذه السكينة غير السكينة المذكورة في قوله تعالى يأتيكم التابوت
 فيه سكينة من ربكم ويحتمل أن تكون هي تلك لأن المقصود منها على جميع الوجوه اليقين
 وثبات القلب (ليزدادوا) أي بصديق الرسول صلى الله عليه وسلم حين قال لهم انه لا بد أن
 تدخلوا مكة وتطوفوا بالبيت (ايمانا) عند التصديق بالغيب (مع ايمانهم) الثابت من قبل هذه
 الواقعة أو بشرائع الدين مع ايمانهم بالله واليوم الآخر وقال القشيري بطاوع اقرار عين اليقين
 على فجوم علم اليقين ثم يطاوع شمس حق اليقين على بدر عين اليقين وقال ابن عباس بعث الله
 رسوله صلى الله عليه وسلم بشهادة أن لا اله الا الله فلما صدقوا زادهم الصلاة ثم الزكاة ثم الصيام
 ثم الحج ثم الجهاد حتى أكمل لهم دينهم فكلما أمروا بشئ فصداقوه ازدادوا وتصديقوا الى
 تصديقهم وقال النخعي يقينام يقيهم وقيل ازدادوا ايمانا استدلالا مع ايمانهم القطري
 (فان قيل) ما الحكمة في قوله تعالى في حق الكفار انما غلب لهم ليزدادوا انما لم يقل مع كفرهم
 وقال في حق المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم (أجيب) بأن كفر الكافر عنادى وليس
 في الوجود كفر فطرى ولا في الامكان كفر غير عنادى لينضم الى الكفر العنادى بل الكفر
 ليس الاعناد وكذلك الكفر بالفروع لا يقال انضم الى الكفر بالاصول لأن من ضرورة الكفر
 بالاصول الكفر بالفروع وليس من ضرورة الايمان بالاصول الايمان بالفروع بمعنى الطاعة
 والالتقياد ولهذا قال تعالى ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم (ولله) أي الملك الاعظم الذي انزل
 السكينة في قلوب المؤمنين (جنود السموات والارض) فهو قادر على اهلاك عدوه بجنوده
 بل بصيحة ولم يفعل بل أنزل السكينة على المؤمنين ليكون اهلاك أعدائه بأيديهم فيكون لهم
 الثواب وجنود السموات والارض الملائكة وقيل جنود السوات الملائكة وجنود الارض
 الجن والحیوانات وقيل الاسباب السماوية والارضية (وكان الله) أي الملك الاعظم ألا
 وأبدا (علما) أي بالذوات والمعاني (حكما) في اتقان ما يصنع وقوله تعالى (ليدخل) متعلق

بعذوف أى امر بالجهد ليدخل (المؤمنين والمؤمنات) الذين جبلتهم جبلة خير بجهاد بعضهم
 ودخول بعضهم فى الدين بجهاد المجاهدين ولولم يسلط على الكفار جنوده من أول الامر
 فأهلكوهم أو دمر عليهم بغير واسطة لقات دخول أكثرهم الجنة وهم من آمن منهم بعد صلح
 الحديبية (جنات) أى بساكن لا يصل الى عقولكم من وصفها الا ما تعرفونه بعقولكم وان كان
 الامر أعظم من ذلك (تجربى من تحتها الانهار) فأى موضع أردت أن تجربى منه نهر اقدرت
 على ذلك لان الماء قريب من وجه الارض مع صلاحيتها وحسنها (خالدين فيها) أى لا الى آخر
 (فان قيل) ما الحكمة فى انه تعالى ذكر فى بعض المواضع المؤمنين والمؤمنات وفى بعضها اكتفى
 بذكر المؤمنين ودخلت المؤمنات فيهم كقوله تعالى قد أفلح المؤمنون وقوله تعالى وبشر المؤمنين
 (أجيب) بأنه فى المواضع التى فيها ما يوجب اختصاص المؤمنين بالخير الموعود به مع مشاركة
 المؤمنات لهم ذكرهن الله تعالى صريحا وفى المواضع التى فيها ما لا يوجب ذلك اكتفى بدخولهم
 فى المؤمنين كقوله تعالى وبشر المؤمنين ولما كان ههنا قوله تعالى ليدخل المؤمنين متعلقا بالامر
 بالقتال والمرأة لا تقابل فلا تدخل الجنة الموعود به اصرح الله تعالى بذكرهن (ويكفر)
 أى يستتر ابلغا (عنهم سيئاتهم) فلا يظهرها (فان قيل) تكفير السيئات قبل الادخال
 فكيف ذكر بعده (أجيب) بأن الواو لا تقتضى الترتيب وبأن تكفير السيئات والمغفرة
 من توابع كون المكاف من أهل الجنة فقدم الادخال فى الذكر بمعنى انه من أهل الجنة
 (وكان ذلك) أى الادخال والتكفير (عند الله) أى الملك الاعظم ذى الجلال والاكرام
 (فوزا عظيما) لانه منتهى ما يطلب من جلب نفع ودفع ضرر * (تنبيه) * عند متعلق بعذوف
 على أنه حال من فوزا * ولما كان من أعظم الفوز اقرار العين بالانتقام من العدو وكان العدو
 الكاظم أشد من المجاهر المرائع قال تعالى (ويعذب المنافقين) الخفين للكفر المظهرين الايمان
 أى فيزيل كل ما لهم من العذوبة (والمنافقات) لما غاظهم من ازدياد الايمان (والمشركين
 والمشركات) أى المظهرين الكفر للمؤمنين وقدم المنافقين على المشركين فى كثير من المواضع
 لانهم كانوا أشد على المؤمنين من الكفار المجاهرين لان المؤمن كان يتوقى المشرك المجاهر
 ويخالط المنافق لظنه ايمانه وكان يفشى أسرار له والى هذا اشار النبى صلى الله عليه وسلم بقوله
 أعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك ولهذا قال الشاعر

احذر عدوك مرة * واحذر صديقك ألف مرة

فربما انقلب الصديق فكان أخيرا بالمضرة

وقوله تعالى (الظانين بالله) أى المحيط بصفات الكمال صفة للفريقين وأما قوله تعالى (ظان السوء)
 فقال أكثر المفسرين هو أن لا ينصر محمد صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ولا يرجعهم -م الى مكة
 ظافرين (عليهم دائرة السوء) أى دائرة ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين فهو حائق بهم ودائر عليهم
 لا يخطأهم وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وبضم السين والباقون بالفتح وهه الغنان كالكره والكره
 والضعف والضعف من ساء الا أن المفتوح غلب فى أن يضاف اليه ما يراذمه من كل شئ

وأما السوء فيجار مجرى الشر الذي هو نقيض الخير (وغضب الله) أي الملك الاعظم بما له من صفات الجلال والجلال فاستعلى غضبه (عليهم) وهو أنه تعالى يعاملهم معاملة الغضبان بما لا طاقة لهم به (ولعنهم) أي طردهم طردا زلوا به أسفل السافلين فبعدد وابه عن كل خير (وأعد) أي هيا (لهم) الآن (جهنم) تلقاهم بالعبوسة والتعظيم والزفير والنهم كما كانوا يتجهمون عباد الله مع ما فيها من العذاب والحز والبرد والاحراق وغير ذلك من أنواع المشاق (وساءت) أي جهنم (مصيرا) أي مرجعا وقوله تعالى (ولله) أي الملك الاعظم (جنود السموات والارض) تقدم تفسيره وفائدة الاعادة التأكيد وجنود السموات والارض منهم من هو للرحمة ومنهم من هو للعذاب وقدم ذكر جنود السموات والارض قبل ادخال المؤمنين الجنة ليكون مع المؤمنين ملائكة الرحمة فتبشرهم على الصراط وعند الميزان فإذا دخلوا الجنة أقضوا إلى جوار الله تعالى ورجته والقرب منه فلا حاجة لهم بعد ذلك إلى شيء وأخذ ذكر جنود السموات والارض بعد ذكر تعذيب الكفار والمنافقين ليكون معهم جنود السموات فلا يفارقونهم أبدا كما قال تعالى عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم (فان قيل) قال الله تعالى وكان الله عليا حكيما وقال هنا (وكان الله) أي الملك الذي لا أمر لاحد معه أزل وأبدا (عزيرا) أي يغلب ولا يغلب (حكيما) أي يضع الشيء في أحسن مواضعه فلا يستطيع نقض شيء مما ينسب إليه (أجيب) بأنه لما كان في جنود السموات والارض من هو للرحمة ومن هو للعذاب وعلم الله تعالى ضعف المؤمنين ناسب أن تكون خاتمة الآية الثانية وكان الله عزيرا حكيما (أنا) أي بالثامن العز والحكمة (أرسلناك) أي بالثامن العظمة إلى الخلق كافة (شاهدا) على أفعالهم من كفر وإيمان وطاعة وعصيان من كان بحضرتك فينفسك ومن كان بعد موتك أو غابا عنك في كتابك مع ما أيدنا لك به من الحفظ من الملائكة الكرام (ومبشرا) أي لمن أطاع بأنواع البشارة (ونذيرا) أي مخوفا لمن خالفك وعصى أمرك بالنار ثم بين تعالى فائدة الإرسال بقوله سبحانه (ليؤمنوا بالله) أي لا يسوغ لاحد من خلقه والكل خلقه التوجه إلى غيره (ورسوله) أي الذي أرسله من له كل شيء كما وخلقنا إلى جميع خلقه (ويعزروه) أي يعينونه وينصرونه والتعزير نصر مع تعظيم (ويوقروه) أي يعظمونه والتوقير التعظيم والتبجيل (ويسبحوه) من التسبيح الذي هو التثنية عن جميع التثنايص أو من السجدة وهي الصلاة قال الرخشمري والضمائر لله عز وجل والمراد بعزير الله تعزير دينه ورسوله ومن فرق الضمائر فقد أبعد وقال غيره الكليات في قوله ويعزروه ويوقروه راجعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند هاتم الكلام قالو قف على ويوقروه وقف تام ثم يمتدئ بقوله تعالى ويسبحوه (بكرة وأصيلا) أي غدوة وعشيا أي دائما وعن ابن عباس صلاة الفجر وصلاة الظهر والعصر على أن الكناية في ويسبحوه راجعة إلى الله عز وجل وقال البقاعي الأفعال الثلاثة يحتمل أن يراد بها الله تعالى لأن من سعى في قمع الكفار فقد فعل فعل المعز والموقر فيكون اما عائدا على المذكور واما أن يكون جعل الاسمين واحدا إشارة إلى اتحاد المسميين

في الامر فلما اتحد امرهما وحذا الضمير اشارة الى ذلك اه فعنده انه يصح رجوع الثلاثة
 الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه فسر وسبحوه بقوله ينزهوه عن كل وخيمة بخلاف الوعد
 بدخول مكة والطواف بالبيت الحرام ونحو ذلك وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وبالباء في الاربعة على
 الغيبة رجوعا الى قوله تعالى ليدخل المؤمنون والمؤمنات والباقون بالتاء على الخطاب ولما بين
 تعالى أنه مرسل ذكر أن من بايع رسول الله فقد بايعه فقال تعالى (ان الذين يبايعونك) يا أشرف
 الرسل بالحديبية على أن لا يفرؤا (انما يبايعون الله) أي الملك الاعظم لان عملك كله من قول أو
 فعل له تعالى وما ينطق عن الهوى وسميت مبايعة لانهم باعوا أنفسهم فيها من الله تعالى بالجنة قال
 الله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة الآية وروى يزيد بن أبي
 عبيد قال قلت لسلمة بن الاكوع على أي شيء بايعتم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية
 قال على الموت وعن معقل بن يسار قال لقد رأيتني يوم الشجرة والنبي صلى الله عليه وسلم يبايع
 الناس وأنار افع غصنا من أغصانها عن رأسه ونحن اربعة عشر مائة قال لم يبايعه على الموت
 ولكن بايعناه على أن لا نفر قال أبو عيسى معنى الحديثين صحيح بايعه جماعة على الموت أي
 لانزال نقاتل بين يديك ما لم تقتل وبايعه آخرون وقالوا لا نفر وقوله تعالى (يد الله) أي المتردى
 بالكبرياء (فوق أيديهم) أي في المبايعة يحتمل وجوها وذلك أن اليد في الموضعين اما أن تكون
 بمعنى واحد واما أن تكون بمعنىين فان كانت بمعنى واحد فقه وجهان أحدهما قال السكبي
 نعمة الله عليهم في الهداية فوق ما صنعوا من البيعة كما قال تعالى بل الله يبين عليكم أن هذا لكم
 للذي ان ناهما قال ابن عباس ومجاهد يد الله بالوفاء بما وعدهم من النصر والخير أقوى وأعلى
 من نصرتهم اياه يقال اليد للفلان أي الغلبة والقوة وان كانت بمعنىين ففي حق الله تعالى بمعنى
 الحفظ وفي حق المتبايعين بمعنى الجارحة قال السدي كانوا يأخذون بيد رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ويباعونه ويد الله تعالى فوق أيديهم في المبايعة وذلك أن المتبايعين اذا مآد أحدهما
 يده الى الآخر في البيع وبينهما ثالث يضع يده على أيديهما ويحفظ أيديهما الى أن يتم العقد
 ولا يترك أحدهما يترك الآخر لكي يلزم العقد ولا يتفاسخ ان فصار وضع اليد فوق الأيدي سببا
 لحفظ البيعة فقال تعالى يد الله فوق أيديهم يحفظهم على البيعة كما يحفظ المتوسط أيدي
المتبايعين قال البقاعي فلعنة الله على من حمله على الظاهر من أهل العناد بيعة الاتحاد
 وعلى من تبعهم على ذلك من الذين شاقوا الله ورسوله عليه الصلاة والسلام وسائر الأئمة
 الاعلام ورضوا لانفسهم بأن يكونوا أتباع فرعون اللعين وناهيك به من ضلال مبين اه
 وقدمت ان التأويل في الآيات المتشابهات مذهب الخلف ومذهب السلف السكوت عن
 التأويل وامرارا الصفات على ما جاءت وتفسيرها قراءتها والايان بها من غير تشبيه
 ولا تكيف ولا تعطيل (فن نكت) أي نقض البيعة في وقت من الاوقات فجعلها كالكساة
 والحبل البالي الذي ينقض (فانما ينكت) أي يرجع وبالنقضه (على نفسه) أي فلا ينقض
 الاهي (ومن اوفى) أي فعل الاتمام والاتكثار والاطالة (بما عاهد) وقدم الظرف في قوله

(عليه الله) أى الملك المحيط بكل شئ قدرة وعلم من هذه المبيعات وغيرها اهتمام به وقترأ حفص
 بضم الهاء قبل الاسم الجليل والباقون بكسر الهاء والترقيق (فسيؤتيه) بوعدمو كد لاخلف
 فيه (أجر اعظيما) لاتسع عقولكم شرح وصفه قال ابن عادل والمراد به الجنة وقرأ أبو عمرو
 والكوفيون بالياء التحتية والباقون بالنون * ولما ذكر تعالى أهل بيعة الرضوان وأضافهم
 إلى حضرة الرحمن ذكر من غاب عن ذلك الختاب وأباطأ عن حضرة تلك العمرة بقوله تعالى
 (سيقول) أى بوعد لاخلف فيه (لك) أى لانهم يعلمون شدة رجلك ورفقتك وشفتقتك على عباد
 الله فهم يطمعون في قبولك من فاسد عذرهم ما لا يطمعون فيه من غيرك من خلص المؤمنين
 (المخلفون) أى الذين خلفهم الله تعالى عنك فلم يرضهم لصحبك في هذه العمرة فجعلهم كالشئ
 القافه الذى يخلقه الانسان لانه لا فائدة فيه فلا يعاب به وقال تعالى (من الاعراب) ليخرج
 من تخلف بالجسد من خلص الانصار وغيرهم ممن كان حاضرا معه صلى الله عليه وسلم بالقلب قال
 ابن عادل وابن عباس ومجاهد يعنى بالاعراب أعراب غفار ومزينة وجهينة وأشجع وأسلم
 وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أراد المسير إلى مكة عام الحديبية معقر استنفر من
 حول المدينة من الاعراب والبوادي ليخرجوا معه حذرا من قريش أن يعرضوا له بحرب أو
 يصدوه عن البيت فأحرم بالعمرة وساق معه الهدى ليعلم الناس أنه لا يريد حربا فقتل كثير من
 الاعراب وتخلفوا واعتلوا بالشغل فأنزل الله تعالى فيهم سيقول لك المخلفون أى الذين خلفهم
 الله تعالى من الاعراب عن صحبتك اذ رجعت اليهم من عمرتك وعابتهم على التخلف (شغلنا)
 أى عن اجابتك في هذه العمرة (أموالنا وأهلونا) أى النساء والذراري فانالوتركناهم
 اضاعوا لانه لم يكن لنا من يقوم بهم وأنت قد نيت عن ضياع المال والتفريط في العمال
 ثم سبوا عن هذا القول المراد به سوء قولهم (فاستغفر) أى اطلب المغفرة لنا من الله تعالى
 ان كنا خطأ نوقصرنا فكذبهم الله تعالى في اعتذارهم بقوله سبحانه وتعالى (يقولون بألسنتهم)
 أى في الشغل والاستغفار وأكدهما فقهه ذكر اللسان من أنه قول ظاهرى نصيا للكلام الحقيقى
 الذى هو النفسى بكل اعتبار بقوله تعالى (ماليس في قلوبهم) لانهم لم يكن لهم شغل ولا كانت
 لهم نية في سؤال الاستغفار فانهم لا يبالون استغفر لهم الرسول أم لا (قل) يا أشرف الرسل
 لهؤلاء الاغبياء واعظاهم مسيبا عن مخادعتهم لمن لا تخفى عليه خافسة إشارة إلى أن العاقل
 يقبح عليه أن يقدم على ما هو بحيث تخشى عواقبه (فمن يملك لكم) أى أيها المخادعون (من
 الله) أى الملك الذى لا أمر لاحد معه لانه لا كف له (شيأ) يمنعكم (أن أراد بكم ضرا) أى نوعا
 من أنواع الضرر عظيما أو حقيقا فاهلك الاموال والاهلين وأنتم محمطون في حفظها فلم ينفعها
 حضوركم وأهلككم أنتم وقرأ حمزة والكسائي بضم الصاد والباقون بفتحها (أو أراد بكم
 نفعاً) يحفظها ما به في غيبكم فلا يضرهم بعدكم عنهم ويحفظكم في أنفسكم (بل كان الله)
 أى المحيط ازلا وأبدا بكل شئ قدرة وعلمنا (بما تعملون) أى أيها الجهلة (خبيرا) يعلم بواطن
 أموركم هذه وغيرها كما يعلم ظواهرها (بل ظننتم) أى فأنتم واقفون مع الظنون الظاهرة ليس

لكم تنوذا الى البواطن وقرأ الكسائي بادغام اللام في الظاء والباقون بالانظهار وأشار الى
 تأكد ظنهم على زعمهم بقوله تعالى (أن ان ينقلب الرسول والمؤمنون الى أهليهم أبدا) أى
 ظننتم ان العدو يسأتأصلهم ولا يرجعون لما في قلوبكم من عظمة المشركين وحقارة المؤمنين
 فحملكم ذلك على أن قلتم ما هم في قريش الا كلة رأس (فان قيل) ما الفرق بين حرق الاضراب
 (أجيب) بأن الاضراب الاول اضراب معناه رد أن يكون حكم الله أن لا يتبعوه واثبات الحسد
 والثاني اضراب عن وصفهم باضافة الحسد الى المؤمنين أى وصفهم بما هو أعم منه وهو الجهل
 وقلة الفقه (ورين ذلك) أى الامر القبيح الذى هو خراب الدنيا (في قلوبكم) حتى قلتموه
 (وظننتم) أى بذلك وغيره مما يترب عليه من اظهار الكفر وما يتقرر عنه (ظن السن) أى
 الذى لم يدع شيئا مما يكرهه غاية الكراهة الا حاط به وقوله تعالى (وكنتم قوم ابورا) اجمع بان رأى
 هالكين عند الله تعالى بهذا الظن وهذا بالنظر الى الجمع من حيث هو جمع بالانسية الى كل
 فرد فاته قد أخلص منهم بعد ذلك كثير وبتوا ولم يرتدوا (ومن لم يؤمن) أى منكم ومن غيركم
 (بالله) أى الذى لا موجود على الحقيقة سواه (ورسوله) أى الذى أرسله لاظهار دينه (فانا)
 على ما لنا من العظمة (اعتدنا) أى له هكذا كان الاصل ولكنه قال تعالى معللا للحكم
 بالوصف (للكافرين) ايذا بانأبأنه لم يجمع الايمان به ما فهو وكافروا وعدله (سعيها) أى نارها
 شديدة (ولله) أى الملك الاعظم وحده (ملك السموات والارض) أى من الجنود وغيرها
 يدبر ذلك كله كيف يشاء (يفغر لمن يشاء ويعذب من يشاء) أى لا اعتراض لاحد عليه
 لانه لا يجب عليه شيء ولا يكافئه أحد وليس هو كالمولوك الذين لا يتمكنون من مثل ذلك لكثرة
 الاكفاء المعارضين لهم في الجاهة وعلم من هذا أن منهم من يرتفع ذبه ومنهم من يثبت على
 الاسلام فيغفر له لانه لا يعذب بغير ذنب وان كان له أن يفعل ذلك لانه لا يستل عما يفعل وملكه
 تام فتصرفه فيه عدل كيف كان (وكان الله) أى المحيط بصفات الكمال أزلا وأبدا لم يتجدد له
 شيء لم يكن (غفورا) أى لذنوب المسيئين (رحيما) أى مكرما بعد الاسترخاء لا تسعه العقول
 وقدرته على الانعام وقدرته على الانتقام (سيقول) أى بوعدا خلف فيه (المخلفون) أى الذين
 تخلفوا عن الحديدية (إذا انطلقتم) أى سرتهم أيهم المؤمنون (الى مغامرتنا أخذوها) أى مغامرتنا
 خير وذلك ان المؤمنين لما انصرفوا من الحديدية على صلح من غير قتال ولم يصيبوا من المغامرت شيئا
 وعدهم الله تعالى فتح خير وجعل غنائمها لمن شهد الحديدية خاصة عوضا عن غنائم أهل مكة
 حيث انصرفوا عنهم ولم يصيبوا منهم شيئا (ذرونا) أى على أى حاله تشتم من الاحوال الدينية
 (تبعكم) أى الى خير لشهد معكم قتال أهلها وفي هذا بيان كذب المخالفين عن الحديدية حيث
 قالوا شغلنا أموالنا وأهلونا اذ لم يكن لهم هذا الطمع في الغنمة وهنا قالوا ذرونا تتبعكم حيث
 كان لهم طمع في الغنمة (يريدون) أى يذهاهم معكم (أن يبدلوا كلام الله) أى يريدون
 أن يغيروا مواعد الملك الاعظم لاهل الحديدية بغنمة خير خاصة وهذا قول جمهور المفسرين
 وقال مقاتل يعنى أمر الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم حيث أمره أن لا يسير معه منهم أحد

الى خير وقال ابن زيد هو أن النبي صلى الله عليه وسلم لما تخلف القوم أطلعهم الله تعالى على
 ظنهم وأظهر له تفاقمهم وقال للنبي صلى الله عليه وسلم فإذا استأذنوك للخروج فقل ان يخرجوا
 معي أبدا وقرأ حجة والكسافي بكسر اللام بعد الكاف ولا أنف بعد اللام والهاقون بفتح اللام
 وأنف بعدها (قل) يا أشرف الخلق لهؤلاء المبعدين اذا بلغك كلامهم أنت بنفسك فان غيرك
 لا يقوم مقامك في هذا الامر المهم قولوا مؤكدا (لن تتبعونا) أي وان اجتهدتم في ذلك وساقه
 مساقاة النقي وان كان المراد به النسي مع كونه آكد ليكون علما من أعلام النبوة وهو أنجر
 وأدل على استهانتهم (كذلكم) أي مثل هذا القول البديع الشأن العالی الرتبة (قال الله) أي
 الذي لا يكون الا ما يريد وليس هو كالمالك الذين لا قدرة لهم على الغفران لمن شأوا والعقاب لمن
 شأوا (من قبل) أي من قبل مرجعنا اليكم ان غنيمه خير لمن شهد الحديبية ليس غيرهم فيها
 نصيب ولما كانوا منافقين لا يعتقدون شيئا من هذه الاقوال بل يظنون انها حيل على التوصل
 الى المرادات الدنيوية بسبب عن قوله لهم ذلك قوله تعالى تنبيه على جلافتهم وفساد ظنونهم
 (فسبقولون) ليس الامر كما ذكر مما ادعى أنه قول الله تعالى (ل) انما قلتم ذلك لانهم
 (يخسدوننا) فلا تريدون أن يصل اليامن مال الغنائم شيء وقرأ هشام وحزرة والكسافي بادغام
 اللام في التاء والهاقون بالظهار (بل كانوا) أي جبله وطبعها (لا يفقهون) أي لا يفهمون
 فهم الحاذق الماهر (الاقليلا) أي في أمر دنياهم ومن ذلك اقرارهم باللسان لاجلها وأما أمور
 الآخرة فلا يفهمون منها شيئا (قل) أي يا أشرف الرسل (للتخلفين) وزاد في ذمتهم بنسبتهم
 الى الجلافة بقوله تعالى (من الاعراب) أي أهل غلظ الابدان (سمدعون) بوعد لا خلف فيه
 (الى قوم أولى) أي أصحاب (بأس شديد) أي شدة في الحرب وشجاعة قال ابن عباس
 ومجاهد هم أهل فارس وقال كعب الروم وقال الحسن فارس والروم وقال سعيد بن جبیر
 هوازن وثقف وقال قتادة هوازن وغلطان قوم حنين وقال الزهري ومقاتل وشجاعة
 هم بنو حنيفة أصحاب الائمة أصحاب مسيلة الكذاب وقال رافع بن خديج كان قرأ هذه
 الآية ولا تعلم منهم حتى دعا أبو بكر الى قتال بني حنيفة فعلمنا أنهم هم وقال أبو هريرة لم يأت
 تأويل هذه الآية بعد قال ابن الخازن وأقوى هذه الاقوال قول من قال انهم هوازن
 وثقف لان الداعي هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعده قول من قال انهم بنو حنيفة
 أصحاب مسيلة الكذاب وقوله تعالى (تقاتلونهم) أو يسلمون (فيه اشارة الى وقوع
 أحد الامرين اما المقاتلة منكم واما الاسلام منهم فان لم يسلموا كان القتال لا غير وان أسلموا
 لم يكن قتال لان الغرض ليس الا اعلاء كلمة الله تعالى (فان طمعوا) أي توقعوا الطاعة للداعي
 الى ذلك (يؤتكم الله) أي الذي له الاحاطة (أجر احسن) دنيا و هو الغنيمه وأخرى وهي الجنة
 (وان تولوا) أي تعرضوا عن الجهاد (كما توليتم من قبل) أي عام الحديبية (يفسدكم) أي
 يخالطكم بعقوبة تزيل العدو في الدنيا أو في الآخرة أو فيهما (عذابا أليما) لاجل تكرار
 ذلك منكم فلما أنزلت هذه الآية قال أهل الزمانه كيف بنا يا رسول الله فأنزل الله عز وجل

(ليس على الاعمى) أى فى تخلفه عن الدعاء الى الخروج مع النبي صلى الله عليه وسلم أومع غيره
من أئمة الهدى (حرج) أى ميل بشقل الاثم لانه لا يمكنه الاقدام على العدو والطلب ولا يمكنه
الاحتراز منه ولا الهرب (ولا على الاعرج) وان كان نقصه أدنى من نقص الاعمى (حرج)
وفى معنى الاعرج الزمن المقعد والاقطع (ولا على المريض) أى بأى مرض كان ينعجه
(حرج) وفى معناه صاحب السعال الشديد والطحال الكبير والذين لا يقدرّون على الكثر
والقرفه هذه اعذار مانعة من الجهاد ظاهرة ومن وراء ذلك أعذار أخرى كترريض
المريض الذى ليس له من يقوم مقامه عليه * (تنبيه) * جعل تعالى كل جملة مستقلة تأكيذا
لهذا الحكم وقدم الاعمى على الاعرج لأن عذرا الاعمى مستمر لا يمكن الانتفاع به فى حرس ولا غيره
بخلاف الاعرج وقدم الاعرج على المريض لأن عذره أشد من عذر المريض لا يمكن زوال
المرض عن قرب (ومن يطع الله) أى المحيط بجميع صفات الكمال المفيض من آثار صفاته
على من يشاء ولو كان ضعيفا المانع منها من يشاء وان كان قويا (ورسوله) من المعذورين
وغيرهم فيما نأى به أى طاعة كانت (يدخله) أى الله الملك الاعظم جزاء له (جنات تجري
من تحتها الانهار) أى من أى موضع أردت أجريت نهرا (ومن يتول) أى يعرض عن
الطاعة ويستمر على الكفر والنفاق (بعذبه) أى على تولىه فى الدارين أو أحدهما (عذابا ليما)
أى مؤلما وقرأ نافع وابن عامر ندخله ونعذبه بالنون فيه ما والباقون بالياء التحية ولما بين تعالى
حال الخلقين بعد قوله تعالى ان الذين يابغونك انما يبغون الله عاد الى حال بيان المبايعين بقوله
تعالى (لقد رضى الله) أى الذى له الجلال والكمال (عن المؤمنين) أى الراغبين فى الايمان
أى فعل بهم فعل الرضى بما جعل لهم من الفتح وما قدر لهم من الثواب وأفهم ذلك أنه لم يرض
عن الكافرين فخذلهم فى الدنيا مع ما أعد لهم فى الآخرة فالآية تقر بما ذكر من جزاء
الفريقين بأمر ومشاهدة وقوله تعالى (اذ) أى حين (يأبغونك) منصوب برضى واللام فى قوله
تعالى (تحت الشجرة) للعهد الذهبى وكانت شجرة فى الموضع الذى كان النبي صلى الله عليه
وسلم نازلا به فى الحديبية ولاجل هذا الرضا سميت ببيعة الرضوان وقصتها أن النبي صلى الله عليه
والسلام حين نزل الحديبية بعث جواس بن أمية الخزاعى رسولا الى أهل مكة فهاجوا به فنعاه
الاحابيش واحدها حبوش وهو الفوج من قبائل شتى فلما رجع دعا عمر ليعنه فقال انى أخافهم
على نفسى لما أعرف من عداوتى اياهم وما بمكة عدوى ينعنى ولكنى أدلك على رجل هو أعز بها
منى وأحب اليهم عثمان بن عفان فبعثه فخيرهم أنه لم يأت لحرب وانما جاء زائرا لهذا البيت
معظم الحرمته فوقروه وقالوا ان شئت أن تطوف بالبيت فافعل فقال ما فعل قبل أن يطوف به
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحتبس عندهم فأرجف انهم قتلوه فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا تبرح حتى تنابز القوم ودعا الناس الى البيعة فبايعوه تحت الشجرة روى البغوى
من طريق الثعلبى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل النار أحد من بايع تحت الشجرة
وقال سعيد بن المسيب حدثنى أبى أنه كان فى بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت

الشجرة قال فلما خرجنا من العام المقبل نسديناها فلم نقدروا عليها وروى أن عمر مر بذلك المكان
 بعد أن ذهبت الشجرة فقال أين كانت فجعل بعضهم يقول ههنا وبعضهم يقول ههنا فلما كثر
 اختلافهم قال سيرا وقد ذهبت الشجرة وروى جابر بن عبد الله قال قال لنا رسول الله صلى الله
 عليه وسلم يوم الحديبية أنتم خير أهل الأرض وكألفا وأربعمائة ولو كنت اليوم مبصرا لأريتكم
 مكان الشجرة وقيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا في أصل الشجرة وعلى ظهره
 غصن من أغصانها قال عبد الله بن المغفل وكنت قائما على رأسه ويدي غصن من الشجرة
 اذبح عنه ففعلت الغصن عن ظهره وباعوه على الموت ودونه على أن لا يفر وأقال لهم رسول الله
 صلى الله عليه وسلم أنتم اليوم خير أهل الأرض وكان عدد المبايعين ألفا وخمسمائة وخمسة
 وعشرين وروى سالم عن جابر قال كنا خمس عشرة مائة وقال عبد الله بن أبي أوفى كنا أصحاب
 الشجرة ألفا وثلاثمائة ولمادل على اخلاصهم بما وصفهم سبب عنه قوله تعالى (فعل) أي بحاله
 من الاحاطة (ما في قلوبهم) أي من الصدق والوفاء فيما يبايعوا عليه (فأنزل السكينة) أي
 الطمأنينة والامن بسبب الصلح (عليهم) أي بالتشجيع وسكون النفس في كل حالة ترضى الله
 ورسوله فلم يخافوا عاقبة القتال لما تدبوا اليه وان كانوا في كثرة الكفار كالشجرة البيضاء
 في جنب النور الاسود (وأنا بهم) أي أعطاهم جزاءهم على ما وهبوه من الطاعة (فحقا قريبا)
 هو فتح خيبر عقب انصرافهم وعن الحسن فتح هجر وبنه تعالى بصيغة منتهى الجموع في قوله
 تعالى (ومغانم) على أنها عظيمة ثم صرح بذلك بقوله تعالى (كثيرة تأخذونها) وهي مغنم خيبر
 وكانت أرضا ذات عقار وأموال ففقهها رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم (وكان الله) أي
 الذي لا كف له (عزيزا) يغلب ولا يغلب (حكيم) أي يقضي ما يريد فلا ينقض فحكم لكم
 بالغنائم ولا عدائكم بالهلاك على أيديكم لينتصركم عليه (وعدكم الله) أي الملك الاعظم (مغانم)
 وحقق معناها بقوله تعالى (كثيرة تأخذونها) أي فيما يأتي من بلدان شتى لا تدخل تحت حصر
 وليس المغنم كل الثواب بل الجنة والنظر إلى وجهه الكريم قد أمهم وانما هي كعاجلة عمل
 بها ولهذا قال تعالى (فجعل لكم) أي من الغنائم (هذه) أي مغنم خيبر (وكف أيدي الناس
 عنكم) وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قصد خيبر وحاصر أهلها همت قبائل من أسد
 وغطفان أن يغيروا على عمال المسلمين وذرائعهم بالمدينة فكيف الله تعالى أيديهم بالقاء الرعب
 في قلوبهم فنهكصوا وقيل أيدي أهل مكة بالصلح وقوله تعالى (ولتكون) أي هذه المحملة
 عطف على مقدرا أي لتذكروا ولتكون (آية) أي علامة في غاية الوضوح (للمؤمنين) أي
 أنهم من الله تعالى بمكان أو صدق الرسول صلى الله عليه وسلم في وعدهم فتح خيبر في حين رجوعه
 من الحديبية أو وعدهم الغنم أو عنوا بالفتح مكة (ويهديكم صراطا) أي طريقا (مستقيما)
 أي يثبتكم على الاسلام ويزيدكم بصيرة ويقيننا بصلح الحديبية وفتح خيبر وذلك أن رسول الله صلى
 الله عليه وسلم لما رجع من الحديبية أقام بالمدينة ببيعة ذي الحجة وبعض الحرم ثم خرج في سنة
 سبع إلى خيبر روى أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا غزا بناقوا ما لم يكن

يغزو بنا حتى يصبح ويظهر فان سمع اذانا كف عنهم وان لم يسمع اذانا اغار عليهم قال فخرجنا الى
 خيبر فاتفقنا اليهم ليل الا فلما اصبح ولم يسمع اذانا ركب وركبنا وركبت خلف أبي طلحة وان
 قد مضى فمضى قدم النبي صلى الله عليه وسلم لم قال فخرجوا الى النجدة فمضى فمضى فمضى فمضى فمضى
 الله صلى الله عليه وسلم قالوا والله محمد والخميس أي الجيش فلما رأهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
 قال الله أكبر خرجت خيبر انا اذ انزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين وروى اياس بن سلمة
 قال حدثني أبي قال خرجنا الى خيبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فجعل عبي عامر بن نجيز
 بالقوم ثم قال

تالله لولا الله ما هتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا
 ونحن عن فضلك ما استغنيانا * فثبت الاقدام ان لا قينا
 * وأزلن سكينتنا علينا *

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا قال أنا عامر فقال غفر لك ربك وما استغفر رسول الله
 صلى الله عليه وسلم لاحد الا استشهد قال فنأدى عمر بن الخطاب وهو على جبل له يأنبي الله
 لولامة عتبا بعامر قال فلما قدمنا خيبر خرج ملكهم مرحب يحظر بسيفه ويقول
 قد علمت خيبراني مرحب * شاكي السلاح بطل مجرب
 * اذا الحروب أقبلت تلتهب *

قال فبرز له عامر بن عثمان فقال

قد علمت خيبراني عامر * شاكي السلاح بطل مقامر

فاختلفا ضربتين فوق سيف مرحب في ترس عامر فرجع سيف عامر على نفسه فقطع أكله
 فكانت فيها نفسه قال فأنت النبي صلى الله عليه وسلم وأنا أباكي فقلت يا رسول الله بطل عمل
 عامر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال ذلك قلت ناس من أصحابك قال من قال ذلك
 بل له أجره مرتين ثم أرسلني الى علي وهو أرمده فقال لا أعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله
 ويحبه الله ورسوله فانت عليا فحجت به أقوده وهو أرمده حتى أنت به رسول الله صلى الله عليه
 وسلم فبصق في عينيه فبرئ وأعطاه الراية وخرج مرحب وقال

أنا الذي سميتني أمي مرحب * شاكي السلاح بطل مجرب

فقال علي كرم الله تعالى وجهه

أنا الذي سميتني أمي حيدره * كليت غابات كربه المنظرة

* أكيلكم بالسيف كبل السندره *

قال فعزب رأس مرحب فقتله ثم كان الفتح على يديه ومعنى * أكيلكم بالسيف كبل السندره
 أي أقتلكم قتلا واسعا ذريعا والسندرة ميكال واسع قيل يحتمل أن يكون اتخذ من السندرة
 وهي شجرة يعمل منها النبل والقسي والسندرة أيضا الحجلة والنون زائدة قال ابن الاثير
 وذكرها الجوهري في هذا الباب ولم ينبه على زيادتها وروى فتح خيبر من طرق أخرى بعضها

زيادات وفي بعضها نقصان عن بعض وقوله تعالى (وأخري) مفعلة مفعلاً مقدرًا مبتداً وقيل
هي مبتدأ والخبر (لم تقدر وعلما) وهي كما قال ابن عباس فارس والروم وما كانت العرب
تقدر تقايل فارس والروم بل كانوا خولا لهم حتى قدروا عليهم ما بالاسلام وقال الشيخ الهادي خبير
وعدها الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم قبل أن يصيبها ولم يكونوا يرجونها وقال قتادة هي مكة
وقال عكرمة حنين وقال البقاعي هي والله أعلم غنائمها وزن التي لم يحصل قبلها ما يقاربها
(قد أحاط الله) أي المحيط بكل شيء قدرة وعلما (بها) أي علم انها ستكون لكم (وكان الله)
أي المحيط بجميع صفات الكمال أزلا وأبداً (على كل شيء) منها ومن غيرها (قدراً) أي بالغ
القدرة لانه بكل شيء عليم (ولو قاتلكم الذين كفروا) وهم أهل مكة ومن وافقهم وكانوا
قد اجتمعوا ووجعوا الاحايش ومن أطاعهم وقدموا خالد بن الوليد طليعة لهم الى كراع الغميم
ولم يكن أسلم بعد (ولو) أي بغاية جهدهم (الادبار) منهزمين (ثم) أي بعد طول الزمان
وكثرة الاعوان (لا يجدون) أي في وقت من الاوقات (ولما) أي من يفعل معهم فعل
القريب من الشفقة (ولا نصراً) ينصرهم ولما كانت هذه عادة جارية قديمة مع أولياء الله
تعالى حيثما كانوا من الرسل وأتباعهم وان جندنا لهم الغالبون قال تعالى (سنة الله) أي
سنن المحيط بكل شيء علماً غلبة أنبيائه وأتباعهم (التي قد خلت من قبل) أي في من مضى من الامم
كما قال تعالى لا غلب لنا ورسلي (ولن نجد) أيها السامع (أسنة الله) أي الذي لا يخلف قوله لانه
محيط بجميع صفات الكمال (تبدلاً) أي تغييراً من مغير ما يغيرها بما يكون بدلها ثم عطف على
ما تقدمه هو الذي سن هذه السنة العاتية قوله تعالى (وهو الذي كف) أي وحده (أيديهم)
أي الذين كفروا من أهل مكة وغيرهم فان الكف مشروع لكل أحد (عنكم وأيديكم) أيها
المؤمنون (عنهم يطن مكة) أي بالحدودية وقيل التسعيم وقيل وادي مكة وقيل داخل مكة (من
بعد ان أظهركم) أي أظهركم (عليهم) وهذا تبين لما تقدم من قوله تعالى ولو قاتلكم الذين كفروا
ولو لا الادبار بقدرانه كما كف أيديهم عنكم بالقرار وأيديكم عنهم بالرجوع عنهم وتركهم روى
ثابت عن أنس بن مالك ان ثمانية رجال من أهل مكة هبطوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من
جبل التسعيم متسلحين يريدون غرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فأخذهم سلمان فاستحباهم
فنزات هذه الآية وقال عبد الله بن مغفل المزني كأمع النبي صلى الله عليه وسلم بالحدودية في أصل
الشجرة التي قال الله في القرآن وعلى ظهره غصن من أغصان تلك الشجرة فرفعته عن ظهره
وعلى بن أبي طالب بين يديه يكتب كتاب الصلح فخرج علينا ثلاثون شاباً عليهم السلاح فناروا في
وجوهنا فدعا عليهم نبي الله صلى الله عليه وسلم فأخذ الله أبصارهم فقمنا اليهم فأخذناهم فقال
لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم جئتم في عهد أو هل جعل لكم أحد أمابا قالوا اللهم لا نخلي
سبيهم فأنزل الله تعالى هذه الآية وعن ابن عباس أظهر الله المسلمين عليهم بالحجارة حتى
أخذلهم السيوف وقيل ان ذلك كان يوم فتح مكة وبه استشهد أبو حنيفة على ان مكة فتحت عنوة
لا صلحاً (وكان الله) أي المحيط بالجلال والإكرام أزلا وأبداً وقرأ (بما يغفلون) أبو عمرو وبالياء

التَّحِيَّةُ أَيُّ الْكَفَّارِ وَالْبَاقُونَ بِالنَّاءِ الْفَوْقِيَّةِ أَيُّ أَنْتُمْ (بَصِيرًا) أَيُّ مَحِيطِ الْعِلْمِ بِوَاطِنِ ذَلِكَ كَمَا هُوَ
 مَحِيطٌ بظواهره ولما كان ماضى من وصف الكفار يشتمل كفار مكة وغيرهم عنهم بسبب كفرهم
 النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُؤْمِنِينَ عَنِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى (هُم) أَيُّ أَهْلِ مَكَّةَ وَمَنْ لَاقَهُمْ
 (الَّذِينَ كَفَرُوا) أَيُّ أَوْغَلُوا فِي هَذَا الْوَصْفِ بِوَاطِنِهِمْ وَظَوَاهِرِهِمْ (وَصَدَّوْكُمْ) زِيَادَةً عَلَى كُفْرِهِمْ
 فِي عَرَةِ الْحَدِيدِيَّةِ (عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) أَيُّ مَنْعَكُمْ الْوُصُولَ إِلَى مَكَّةَ وَنَفْسِ الْمَسْجِدِ وَالْكَعْبَةِ
 لِلْإِحْلَالِ عَمَّا أَنْتُمْ فِيهِ مِنْ شُعَائِرِ الْأَحْرَامِ بِالْعَمْرَةِ رَوَى الزَّهْرِيُّ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنِ الْمُسَوِّبِ بْنِ
 مَخْرَمَةَ وَمَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ كُلُّ مَنِ مَآ يَصْدُقُ حَدِيثُ صَاحِبِهِ قَالَ أَخْرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ مِنَ الْمَدِينَةِ عَامَ الْحَدِيدِيَّةِ فِي بَضْعِ عَشْرَةِ مِائَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ يَرِيدُ زِيَارَةَ الْبَيْتِ لَا يَرِيدُ قِتَالَ وَسَاقٍ
 مَعَهُ سَبْعِينَ بَدَنَةً وَالنَّاسُ سَبْعُمِائَةَ رَجُلٍ وَكَانَتْ كُلُّ بَدَنَةٍ عَنْ عَشْرَةِ نَقَرٍ فَلَمَّا أَتَى ذَا الْخَلِيفَةِ
 قَادَ الْهَدْيَ وَأَشْعَرَهُ وَأَحْرَمَ مِنْهَا بِعَمْرَةٍ وَبِعَثَ عَيْنَاهُ مِنَ خِرَافَةٍ يَحْبِرُهُ عَنْ قُرَيْشٍ فَسَارَ النَّبِيُّ صَلَّى
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى إِذَا كَانَ بِغَدِيرِ الْأَشْطَاطِ قَرِيْبًا مِنْ عَسْفَانَ أَتَاهُ عَتَبَةُ الْخَزَّاعِي وَقَالَ إِنَّ قُرَيْشًا
 قَدْ جَعَلُوا لَكَ جُوعًا وَقَدْ جَعَلُوا لَكَ الْأَحْيَادِشَ وَهُمْ مَقَاتِلُوكَ وَصَادُوا لَكَ عَنِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ فَقَالَ
 النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشِيرُوا عَلَيَّ أَيُّ النَّاسِ أَتَرُونَ أَنِّي أُمِيلُ عَلَى ذَرَارِي هَؤُلَاءِ الَّذِينَ
 عَاوَنُوهُمْ فَصَيِّبُهُمْ فَإِنْ قَعَدُوا قَعَدُوا وَامُوتُوا مَوْتًا وَإِنْ لَجُوا تَكُنْ عَنْقًا قَطَعَهَا اللَّهُ أَوْ تَرُونَ نَوْمَ الْبَيْتِ
 فَمَنْ صَدَّ عَنْهُ قَاتِلْنَاهُ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّمَا جِئْتُ عَامِدَ الْهَذَا الْبَيْتِ لَا يَرِيدُ قِتَالَ أَحَدٍ
 وَلَا حِرَافَتَهُ فَمَنْ صَدَّ عَنْهُ قَاتِلْنَاهُ قَالَ امْضُوا عَلَى اسْمِ اللَّهِ فَفَقَرُوا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ بِالْغَمِيمِ فِي خَيْلِ قُرَيْشٍ طَلِيعَةٌ تَخْذُوا ذَاتَ الْيَمِينِ فَوَاللَّهِ مَا شَعَرْتُ بِهِمْ
 خَالِدٌ حَتَّى إِذَا هُمْ بِغَبْرَةِ الْجَيْشِ فَأَنْطَلَقَ يَرْكُضُ نَذِيرُ الْقُرَيْشِ وَسَارَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى
 إِذَا كَانَ بِالْمُدْنَةِ الَّتِي يَهْبِطُ عَلَيْهِمْ مِنْهَا بَرَكْتُ بِهِ وَاحِلَتَهُ فَقَالَ النَّاسُ حُلْ حُلْ فَاحِلَتْ فَقَالُوا
 خَلَّاتْ أَيُّ حَرَنْتِ الْقَصُوءَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا خَلَّاتِ الْقَصُوءَ وَمَا ذَا لَهَا بِخَلْقٍ
 وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ ثُمَّ قَالَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْعُونِي قُرَيْشَ الْيَوْمَ إِلَى خُطْبَةٍ يَعْظُمُونَ
 فِيهَا حُرْمَاتِ اللَّهِ وَفِيهَا مَهْلُ الرِّحِمِ إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا ثُمَّ زَجِرَ هَافُوئُتِ قَالَ قَعْدَلٌ حَتَّى تَزُلْ بِأَقْصَى
 الْحَدِيدِيَّةِ عَلَى ثَمَدٍ قَلِيلٍ مِنَ الْمَاءِ يَتَبَرَّضُهُ النَّاسُ تَبَرُّضًا فَلَمْ تَلْبَثِ النَّاسُ أَنْ تَرْجُوهُ وَشَكَا النَّاسُ
 إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعَطَشَ فَتَزَعَّ سَهْمًا مِنْ كَنَاتِهِ وَأَعْطَاهُ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ يُقَالُ لَهُ
 نَاجِيَةُ بْنُ عَمْرِوهُ وَهُوَ سَاقِيُ بَدَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَزَلَّ فِي الْبَرِّ فَعَرَّزَهُ فِي جَوْفِهِ فَوَاللَّهِ مَا زَالَ
 يَجِيئُ لَهُمْ بِالرِّيِّ حَتَّى صَدَّرُوا عَنْهُ فَيَتِمُّ هَاجَهُمْ كَذَلِكَ إِذَا جَاءَ بَدِيلُ بْنُ وَرْقَاءَ الْخَزَّاعِي فِي نَقَرٍ مِنْ قَوْمِهِ
 وَكَانَتْ خِرَافَةُ عَيْبَةٍ نَصَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَهْلِ تَهَامَةٍ فَقَالَ إِنِّي تَرَكْتُ كَعْبَ
 ابْنِ لُؤَيٍّ وَعَاصِرَ بْنَ لُؤَيٍّ زَلَامَعَ جَمْعَ أَعْدَادِ مِائَةِ الْحَدِيدِيَّةِ وَمَعَهُمُ الْعُودُ الْمَطَافِيلُ وَهُمْ مَقَاتِلُوكَ
 وَصَادُوا لَكَ عَنِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا لَمْ تَجِبْ لِقِتَالِ أَحَدٍ وَلَكِنْ جِئْنَا
 مَعْتَرِينَ وَإِنْ قُرَيْشٌ قَادَتْهُمْ كَتَمَتْهُمْ الْحَرْبُ وَأَضْرَتْ بِهِمْ فَإِنْ شَاءُوا مَا دَدْتُمْ مَدَّةً وَجَلَّوْا بَيْنِي وَبَيْنَ
 النَّاسِ فَإِنْ أَطَهَرُوا فَانْشَأُوا أَنْ يَدْخُلُوا فَيَمَادُخِلَ فِيهِ النَّاسُ فَعَلُوا وَالْأَفْقُ دَجَّوْا وَإِنْ أَبَوَا

قوالذي نفسي بيده لا قاتلهم على أمرى هذا حتى تنفرد سالفتي ولينفذ الله أمره فقال بديل
 سأبلغهم ما تقول فانطلق حتى أتى قريشاً فقال انا قد جئناكم من هذا الرجل وسمعناه يقول قولاً
 فان شئتم ان نعرضه عليكم فعلنا فقال سقهاؤهم لاحاجة لنا أن نخبرنا عنه بشيء وقال ذو الرأى
 منهم هات ما سمعته يقول قال سمعته يقول كذا وكذا فخذتهم بما قال النبي صلى الله عليه
 وسلم فقام عروة بن مسعود الثقفي فقال أي قوم ألسنتم بالوالد قالوا بلى قال أولست بالوالد قالوا بلى
 فقال فهل نتهمونني قالوا لا قال ألسنتم تعلمون اني استنقرت أهل عكاظ فلما لجؤا على جئتكم
 بأهل وولدي ومن أطاعني قالوا بلى قال فان هذا الرجل قد عرض عليكم خطة رشداً فاقبلوها
 ودعوني آتة قالوا آتة فأتاه فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
 نحو من قوله لبدل فقال عروة عند ذلك أي محمد أرايت ان استأصلت قومك فهل سمعت أحداً
 من العرب اجتراح أصله قبلك وان تـكـن الاخرى فوالله اني أرى وجوهاً وأشواً من الناس
 خليفاً أن يقرأوا ويدعوك فقال له أبو بكر الصديق امصص بنظر اللات والعزى أن نحن نفرغنه
 ونذعه فمقال من ذا قالوا أبو بكر فقال أما والذي نفسي بيده لو لا يد كانت لك عندي لم أجزك
 بها الا جبتك قال وجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فكلما كلمه أخذ بلحيته والمغيرة قائم على
 رأس النبي صلى الله عليه وسلم ومعه السيف وعليه المغفر فكلاماً هو عروة بيده الى حمية النبي
 صلى الله عليه وسلم ضرب بيده بنعل السيف وقال أخريدك عن حمية رسول الله صلى الله عليه
 وسلم فرفع عروة رأسه وقال من هذا قالوا المغيرة بن شعبه فقال أي غدرألسنت أسعي في غدرنا
 وكان المغيرة يحب قوماً في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاءه فأسلم فقال النبي صلى الله عليه
 وسلم أما الاسلام فهدم ما قبله وأما المال فليست منه في شيء ثم ان عروة جعل يرمق أصحاب النبي
 صلى الله عليه وسلم بغينيه قال فوالله ما تنخم رسول الله صلى الله عليه وسلم نخامة الا وقعت
 في كف رجل منهم فذلك بها وجهه وجلده واذا أمرهم ابتهروا أمره واذا توضعوا كادوا
 يقتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحسدون النظر اليه تعظيمه فرجع
 عروة الى أصحابه فقال أي قوم والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى
 والنجاشي والله ان أي ما رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمد والله ان أي
 ما تنخم نخامة الا وقعت في كف رجل منهم فذلك بها وجهه وجلده واذا أمرهم ابتهروا أمره
 واذا توضعوا كادوا يقتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا أصواتهم وما يحسدون النظر اليه
 تعظيمه وانه قد عرض عليكم خطة رشداً فاقبلوها فقال رجل من بني كنانة دعوني آتة فقالوا آتة
 فلما أشرف على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه قال النبي صلى الله عليه وسلم هذا فلان من
 قوم يعظمون البدن فابعثوه اليه فبعثوه اليه واستقبله الناس يلعبون فلما رأى ذلك قال سبحان الله
 ما ينبغي لهؤلاء أن يصعدوا عن البيت فلما رجع الى أصحابه قال رأيت البدن قد قلدت وأشعرت
 بما أرى أن يصعدوا عن البيت ثم بعثوا اليه الخليل بن علقمة وكان يومئذ سيد الاحابيش فلما رآه
 رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان هذا من قوم يتألهون فابعثوا بالهدي في وجهه حتى يراه

فلما رأى الهدى يسيل عليه من عرض الوادى فى قلائده قدأ كل أو تاده من طول الحبس عن
 محله رجع الى قريش ولم يصل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اعظاما لما رأى فقال يا معشر قريش
 انى قد رأيت ما لا يحيل صدته الهدى فى قلائده قدأ كل أو تاده من طول الحبس عن محله قالوا له
 اجلس فانما أنت رجل أعراى لا علم لك فغضب الحليس عند ذلك وقال يا معشر قريش والله ما
 على هذا حالنا كم ولا على هذا عقدينا كم أن تصدوا عن بيت الله من جاءه معظما له والذى نفس
 الحليس بيده لتخلن بين محمد وبين ما جاءه أو لا تفرن بالاحايش نفرة رجل واحد فقالوا ما كفى
 عسايا حليين حتى تأخذ لانهبنا ما نرضى به فقام رجل يقال له مكرز بن حفص فقال دعونى
 آتة فقالوا له آتة فلما أشرف عليهم قال النبى صلى الله عليه وسلم هذا مكرز وهو رجل فاجر فجعل
 يكلم النبى صلى الله عليه وسلم فلم يمتحها ويكلمه اذ جاءه سهيل بن عمرو وقال عكرمة لما رآه النبى
 صلى الله عليه وسلم قال قد سهل لكم من أمركم قال الزهرى فى حديثه بخاء سهيل بن عمرو فقال
 هات نكتب بيننا وبينك كتابا فدا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب فقال اكتب
 بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل أما الرحمن فلا أدري ما هو ولكن اكتب باسمك اللهم كما
 كنت تكتب فقال المسلمون والله لا نكتبها الا بسم الله الرحمن الرحيم فقال النبى صلى الله عليه
 وسلم اعلى اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله فقال سهيل والله
 لو كانا نعلم انك رسول الله ما صدناك عن البيت وما قاتلناك ولكن اكتب محمد بن عبد الله فقال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم والله انى لرسول الله وان كذبتمونى اكتب محمد بن عبد الله قال
 الزهرى وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم لا يسألونى خطه يعظمون فيها حرمان الله الا أعطيتهم
 اياها فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو واصطالحا على وضع الحرب عشر
 سنين يأمن الناس فيه ويكف بعضهم عن بعض فقال له النبى صلى الله عليه وسلم وعلى ان تحلوا
 بيننا وبين البيت فظوف به فقال سهيل والله لا نتحدث العرب انأخذنا خطه ولكن ذلك
 من العام المقبل فكتب فقال سهيل وعلى أن لا يأتيتك منارج رجل وان كان على دينك الا ردته
 الينا فقال المسلمون سبحان الله كيف يرذالى المشركين وقد جاء مسلما وروى ابن اسحق عن البراء
 قصة الصلح وفيها قالوا لو تعلم انك رسول الله ما منعه منك شيئا ولكن أنت محمد بن عبد الله قال
 أنا رسول الله وأنا محمد بن عبد الله ثم قال لعلى اخبر رسول الله فقال والله لا أمجوك أبدا فقال
 فأرنيه فأراه اياه فجاءه النبى صلى الله عليه وسلم بيده وفى رواية فأخذ رسول الله صلى الله عليه
 وسلم الكتاب وليس يحسن يكتب فكتب هذا ما قاضى محمد بن عبد الله قال البراء صلح على ثلاثة
 أشهر على أن من أتى من المشركين يردته اليهم ومن أتاهم من المسلمين لم يردوه وعلى أن يذخلها
 من قابل ويقسم بها ثلاثة أيام ولا يذخلها ايجلنان السلاح السيف والقرص ونحوه وروى
 فى صلح الحديبية طرق اخرى فى بعضها زيادات وفى بعضها نقصان عن بعض وقوله تعالى
 (واللهدى) معطوف على كم من صدوكم أى وصدوا الهدى وهو البدن التى ساقها رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وكانت سبعين وقوله تعالى (معكروفا) أى محبوسا حال وقوله تعالى

(أن يبلغ محله) أى مكانه الذى يغير فيه عادة وهو الحرم بدل اشتغال (ولولا لجال) أى مقبوعون
بين أظهر الكفار بمكة (مؤمنون) أى غير يقون في الايمان فكانوا لذلك أهلا للوصف
بالرجولية (ونساء مؤمنات) أى كذلك حبس الكل عن الهجرة العذرة لان الكفار لكثرتهم
استضعفهم فنعوهم الهجرة على أن ذلك شامل لمن جيله الله تعالى على الخروج وعلم منه الايمان
وان كان في ذلك الوقت كافرا (لم نعوهم) أى لم يحط علمكم بهم من جميع الوجوه لتمييزهم
بأعيانهم عن المشركين لانهم ليس لهم قوة التمييز منهم وانتم لا تعرفون أما كنهم لتعاملوهم
بما هم له أهل ولا سيما في حال الحرب والطعن والضرب ثم أبطل من الرجال والنساء قوله تعالى
(أن تطوهم) أى تؤذوهم بالقتل أو ما يقارب من الجراح والضرب والنهب ونحو ذلك ومنه قوله
ضلى الله عليه وسلم اللهم أشدد وطأتك على مفسد (قمصيكم) أى فتسبب عن هذا الوطء أن
قمصيكم (منهم) أى من جهتهم ويسعيهم (معزة) أى مكروه كوجوب الديّة والكفارة بقتلهم
والتأسف عليهم وتغيير الكفار بذلك والاثم بالتقصير في البحث مفعلة من عزه اذا عارها ما يكرهه
وقوله تعالى (بغير علم) متعلق بأن تطوهم أى غير عالين بهم وجواب لولا محذوف دلالة الكلام
عليه والمعنى ولولا كراهة أن تهلكوا أنا سامونين بين أظهر الكافرين جاهلين بهم فيصيبكم
بأهلاكم مكره لما كف أيديكم عنهم (فان قيل) أى معرفة تصيبهم اذا قتلوهم وهم لا يعلمون
(أجيب) بأنهم يصيبهم وجوب الديّة والكفارة وسوء حالة المشركين انهم فعلا بأهل دينهم
مثل ما فعلوا بناس من غير تمييز والمآثم اذا جرى منهم بعض التقصير وقوله تعالى (ليدخل الله) أى
الذى له جميع صفات الكمال متعلق بمقدّر رأى كان انتفاء التسليط على أهل مكة وانتفاء العذاب
ليدخل الله قال البغوى اللام في ليدخل متعلق بمحذوف دل عليه معنى الكلام يعنى
ليدخل الله (في رحمته) أى في اكرامه وانعامه (من يشاء) بعد الصلح قبل أن يدخلوها من
المشركين بأن يعطفهم الى الاسلام ومن المؤمنين بأن يستنقذهم منهم على أرفق وجه وقوله
تعالى (لوتربوا) يجوز أن يعود على المؤمنين فقط أو على الكافرين أو على الفريقين والمعنى
لو تمربوا من هؤلاء (لعذبنا) أى بأيديكم بتسلطنا لكم عليهم بالقتل والسبي (الذين كفروا)
أى أوقعوا ستر الايمان (منهم) أى أهل مكة (عذابا أليما) أى شديد الابعاج قال قتادة في
الآية ان الله تعالى يدفع بالمؤمنين عن الكافرين كما دفع بالمستضعفين من المؤمنين عن مشركي
مكة ولما بيس شرط استحقيقهم للعذاب بين وقته وفيه بيان العلة فقال تعالى (اذ) أى حين
(جعل الذين كفروا) أى ستر ومانراى من الحق في مرأى عقولهم وقوله تعالى (في قلوبهم)
أى في قلوب أنفسهم يجوز أن يتعلق بجعل على انه بمعنى التي فتعدي لواحد أى اذا أتى
الكافرون في قلوبهم الحمية وأن يتعلق بمحذوف على أنه مفعول ثان قديم على أنها بمعنى صير
(الحمية) أى المنع الشديد والاباء الذى هو في شدة حره ونفوذه في أشدة الاجسام كالهمم والناذر
وأنشدوا الا اننى منهم وعرضى عرضهم * كذا الرأس يحمى أنفه أن يهشما
وقرأ أبو عمرو في الوصل بكسر الهمزة والميم وحزرة والكساف يضم الهمزة والميم والباثون بكسر

الهاء وضم الميم وأظهر الذال عند الجيم نافع وابن كثير وابن ذكوان وعاصم وأدغمها الباقون
 وقوله تعالى (جيمه الجاهلية) بدل من الجيم قبلها ووزن فاعيله وهى مصدر يقال جيت من كذا
 جية وجيمه الجاهلية هى التى مدارها مطلق المنع سواء كان بحق أم باطل فتتبع من الازعان للحق
 ومبتاها على التشقى على مقتضى الغضب لغير الله فتوجب تحطى حدود الشرع ولذلك أنفقوا
 من دخول المسابين مكة المشرفة لزيارة البيت العتيق الذى الناس فيه سواء قال مقاتل قال أهل
 مكة قتلوا أبناءنا وأخواننا ثم يدخلون علينا فتحدث العرب أنهم دخلوا علينا على رغم أنفنا
 واللات والعزى لا يدخلونها علينا فهذه جيمه الجاهلية التى دخلت قلوبهم (فأنزل الله) أى الذى
 لا يغلبه شئ وهو يغلب كل شئ بسبب جيتهم (سكنته) أى الشئ اللائق اضافته اليه سبحانه من
 الفهم عن الله والروح الموجب لسكون القلب المؤثر للاقدام على العدو والنصر عليه انزالا
 كافيا (على رسوله) الذى عظمت من عظمته ففهم عن الله مراده فى هذه القضية فجرى على أتم
 ما يرضيه (وعلى المؤمنين) أى الغريبين فى الايمان لانهم اتباع رسوله وانصار دينه فآزهمهم
 قبول أمره وجهاهم من همزات الشياطين ولم يدخلهم ما دخل الكفار من الجيم فيقاتلوا غضبا
 لانفسهم فيباعدوا حدود الشرع (وآزهمهم) أى المؤمنين الزام اكرام وتشريف لا الزام اهانة
 وتعنيف (كلمة التقوى) فانها السبب الاقوى وهى كل قول أو فعل ناشئ عن التقوى وأعله كلمة
 الاخلاص المتقدمة فى القتال وهى لا اله الا الله التى هى أحق الحق ولا بد من قول محمد رسول
 الله والالم بتم اسلامه وعن الحسن كلمة التقوى هى الوفاء بالعهد ومعنى اضافتها الى التقوى انها
 سبب التقوى وأساسها وقبل كلمة أهل التقوى وقيل هى بسم الله الرحمن الرحيم ومحمد رسول
 الله (وكانوا) أى جبلة وطبعا (أحق بها) أى كلمة التقوى من الكفار (وأهلها) أى وكانوا
 أهلها فى علم الله تعالى لأن الله تعالى اختار له دينه وصحبه نبيه أهل الخير (وكان الله) أى المحيط
 علما وقدره (بكل شئ) من ذلك وغيره (علما) أى محيط العلم وروى أنه صلى الله عليه وسلم رأى
 فى المنام فى المدينة عام الحديبية قبل خروجه انه يدخل مكة وهو وأصحابه آمنين ويحلقون
 ويقصرون فأخبر بذلك أصحابه ففرحوا فلما خرجوا معه وصدهم الكفار بالحديبية رجعوا
 وشق عليهم ذلك ورأب بعض المنافقين فأنزل الله قوله تعالى (لقد صدق الله) أى الذى لا كفو
 له المحيط بجميع صفات الكمال (رسوله) الذى هو أعز الخلائق عنده وهو غنى عن الاخبار
 عما لا يكون أنه يكون فكيف اذا كان الخبر رسوله (الرؤيا) التى هى من الوحي أى صدقه
 فى رؤياه ولم يكذبته تعالى الله عن المكذب وعن كل قبيح علوا كبيرا فخذف الجار وأوصل الفعل
 كقوله تعالى صدقوا ما عاهدوا الله عليه وروى عن مجمع بن حارثة الانصارى قال شهدنا
 الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انصرفنا عنها اذا الناس يهزون اليا بعر فقال
 بعضهم ما بال الناس قالوا أوحى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فخرجنا زجف فوجدنا
 النبي صلى الله عليه وسلم واقفا على راحلته على كراع الغميم فلما اجتمع عليه الناس قرأنا
 فتحنا لك فتحا ميمنا فقال عمر أوفى هو يا رسول الله قال نعم والذى نفسى بيده فقيه دليل على أن

المراد بالفتح صلح الحديبية وتحقيق الرؤيا كان في العام المقبل فقال جل ذكره لقد صدق الله
 رسوله الرؤيا بالحق أخبران الرؤيا التي أراه إياها في نحر جبهه الى الحديبية أنه يدخل هو وأصحابه
 المسجد الحرام صدق وحق وقوله تعالى (بالحق) فيه أربعة أوجه أحدها أنه يتعلق بصدق
 ثانيها أن يكون صفة مصدر محذوف أي صدقاً ملتبساً بالحق أي بالغرض الصحيح والحكمة
 البالغة وذلك ما فيه من الابتلاء والتمييز بين المؤمنين المخلص وبين من في قلبه مرض ثالثها
 أن يتعلق بمحذوف على أنه حال من الرؤيا أي ملتبساً بالحق رابعها أنه قسم وجوابه (لتدخلن)
 أي بعده هذا دخوله لا قد فتح أمره (المسجد) أي الذي يطاف فيه بالكعبة ولا يكون دخوله
 الا بدخول الحرم (الحرام) أي الذي أجاره من امتنان الجابرة ومنه من كل ظالم قال
 الزمخشري وعلى تقديره قسمًا أما أن يكون قسمًا بالله تعالى فإن الحق من أسماءه تعالى وأما أن
 يكون قسمًا بالحق الذي هو نقيض الباطل (فان قيل) ما وجه دخوله (ان شاء الله) أي الذي له
 الاطاعة بصفات الكمال (أجيب) بأوجه أحدها أنه تعالى ذكره تعليمًا لعباده الادب لان يقولوا
 في غدا هم مثل ذلك متأدين بأذاب الله ومقتدين بسنته لقوله تعالى ولا تقولن لشيء إني فاعل
 ذلك غدا الا أن يشاء الله ثانيها أن يريد لتدخلن جميعاً ان شاء الله ولم يمت منكم أحد ثالثها أن
 ذلك كان على لسان ملك فأدخل الملك ان شاء الله رابعها انها حكاية ما قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم لأصحابه وقص عليهم وقال أبو عبيدة ان يعني اذ مجازاه اذ شاء الله كقوله تعالى
 ان كنتم تعلمون خامسها انها التبرك وقيل هي متعلقة بآمينين فالاستثناء واقع على الامن لا على
 الدخول لان الدخول لم يكن فيه شك كقوله صلى الله عليه وسلم عند دخول المقبرة وانا ان شاء
 الله بكم لاحقون فالاستثناء راجع الى اللحق لا الى الموت وقوله تعالى (آمينين) حال من فاعل
 لتدخلن وكذا (مخلصين رؤسكم) أي كلها (ومقصرون) أي بعضها أي منقسمين بحسب التخليق
 والتقسيم الى قسمين لا تخشون الا الله تعالى وفيه اشارة الى أنهم يتوكلون على الحج من أوله الى آخره
 فقوله لتدخلن فيه اشارة الى الاول وقوله مخلصين ومقصرون اشارة الى الآخر (فان قيل)
 مخلصين حال الداخلين والداخل لا يكون الا محرماً والمحرّم لا يكون محققاً (أجيب) بأن قوله
 آمينين معناه متمكنين من أن تتوا الحج مخلصين ومقصرون وأشار بصيغة التفعيل الى السكثرة فيهم ما
 غير أن التقديم يفهم ان الاول أكثر وقوله تعالى (لا تخافون) أي لا يتجعد ذلكم خوف بعد
 ذلك يجوز أن يكون مستأنفاً أو أن يكون حالاً لثالثه آمينين فاعل لتدخلن أو من ضمير آمينين أو
 مخلصين أو مقصرون فان كانت حالاً من آمينين أو حالاً من فاعل لتدخلن فهي حال للتوكيد
 وآمينين حال مقارنته وما بعده حال مقدرة الاقوله لا تخافون اذا جعل حالاً فانها مقدرة أيضاً
 (فان قيل) قوله تعالى لا تخافون معناه غير خائفين وذلك يحصل بقوله تعالى آمينين (أجيب) بأن
 فيه كمال الامن لان بعد الخلق يخرج الانسان عن الاحرام فلا يحرم عليه القتال وكان عند
 أهل مكة يحرم قتال من أحرّم ومن دخل الحرم فقال تدخلون آمينين وتخلقون ويبقى أمينكم بعد
 خروجكم عن الاحرام (فعل) أي الله في الصلح من المصلحة (مالم تعملوا) من المصالح فان الصلح

كان في الصلح وأن دخولكم في سفتكم سبب لوطه المؤمنين والمؤمنات وهو قوله تعالى ولولا
 رجال مؤمنون ونساء مؤمنات الآية (فان قيل) الفاء في قوله تعالى فعلم فاء التعقيب
 فقوله تعالى فعلم وقع عقب ماذا (أجيب) بأنه ان كان المراد من فعل وقت الدخول فهو عقب
 صدق وان كان المراد فعلم المصلحة فالمراد علم الوقوع والشهادة لاعلم الغيب والتقدير
 لما حصلت المصلحة في العام القابل فعلم ما لم تعلموا من المصلحة المتجددة (يجعل) أي بسبب
 احاطة علمه (من دون) أي أدنى رتبة من (ذلك) أي الدخول العظيم في هذا العام (فما قرىبا)
 يقولكم به من فتح خيبر ووضع الحرب بين العرب بهذا الصلح واختلاط بعض الناس بسبب
 ذلك ببعض الموجب لاسلام ناس كثيرة يتقون بهم فتكون تلك الكثرة والقوة بسبب هيبة
 الكفار المانعة لهم من القتال فقتل المقتلى ترفقا بأهل حرم الله اكراما لهذا النبي الكريم صلى
 الله عليه وسلم وقوله تعالى (هو الذي أرسل رسوله) أي الذي لا رسول أحق منه باضافته اليه
 (بالهدى) أي الكامل الذي يقتضى ان يهتدى به أكثر الناس تأكيد ايمان صدق الله تعالى
 للرؤيا لانه لما كان مرسلارسوله ليهدي لا يريه مالا يكون فيحدث الناس فيظهر خلافه فيكون
 ذلك سببا للضلال (فان قيل) الرؤيا للواقع قد تقع لغير المرسل (أجيب) بأن ذلك قليل لا يقع
 لكل أحد (تنبيه) * الهدي يحتمل أن يكون هو القرآن كقوله تعالى أنزل فيه القرآن هدى
 للناس وعلى هذا أقوله تعالى (ودين الحق) هو ما فيه من الاصول والفروع ويحتمل أن يكون
 الهدي هو المعجزة أي أرسله بالمعجزة فيكون قوله تعالى ودين الحق اشارة الى ما شرع والالف
 واللام في الهدي يحتمل أن تكون للعهد وهو قوله تعالى ذلك هدى الله يهدي به من يشاء وأن
 تكون للتعريف أي كل ما هو هدى * (تنبيه) * دين الحق يحتمل أن يكون المراد دين الله لأن
 الحق من أسماء الله تعالى ويحتمل أن يكون الحق نقض الباطل فكأنه قال ودين الامر الحق
 (ليظهره) أي دينه (على الدين كله) أي جميع باقي الاديان (وكفى بالله) أي الذي له الاحاطة
 بجميع صفات الكمال (شهيذا) أي على أنك مرسل بما ذكر كما قال تعالى (محمد رسول الله)
 أي الملك الذي لا كفو له فهو الرسول الذي لا رسول يساويه فانه رسول الى جميع الخلق من
 أدرك زمانه بالفعل في الدنيا ومن تقدمه بالقوة فيها وبالفعل في الآخرة يوم يكون الكل تحت
 لوائه وقد أخذ على الانبياء كلهم الميثاق بأن يؤمنوا به ان أدركوه وأخذ ذلك الانبياء على أعمهم
 وشاربه كهذا الاسم بخصوصه في سورة الفتح الى أنه صلى الله عليه وسلم هو الخاتم بما أشارت
 اليه الميم التي خثر بها ختام الخارج واستنبط بهض العلماء من محمد ثلثمائة وأربعة عشر
 رسولا فقال فيه ثلاث ميمات واذا بسطت كل منها قلت فيه م م وعدتها بحسب الجبل
 الكبير تسعون فيحصل منها مائتان وسبعون واذا بسطت الحاء والدال قلت دال بخمسة وثلاثين
 وحاء بتسعة فالجمله ما ذكره الاسم واحد فتم عدد الرسل كما قيل انهم ثلثمائة وخمسة عشر وقد
 تقدم الكلام على أولى العزم منهم في سورة الاحقاف * (تنبيه) * يجوز أن يكون محمد خبر
 مبتدأ مبضم لانه لما تقدم هو الذي أرسل رسوله دل على ذلك المقدور أي هو أي الرسول بالهدى

محمد ورسول الله بدل أو بيان أو نعت وأن يكون محمد مبتدأ وخبره رسول الله وقيل غير ذلك ولما
 ذكر الرسول ذكر المرسل اليهم فقال تعالى (والذين معه) أي بعبة الصخرة من الصحابة وحسن
 التبعية من التابعين لهم بإحسان (أشداء) أي غلاظ (على الكفار) منهم لا تأخذهم بهم رافة
 بل هم معهم كالأسد على فريسته لأن الله تعالى أمرهم بالغلبة عليهم لا يرجونهم (رجاء بينهم)
 أي متعاطفون متوادون كالوالد مع الولد كما قال تعالى أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين
 وعن الحسن بلغ من تشددهم على الكفار أنهم كانوا يهتزون من شياهم أن تلتزم بشياهم ومن
 أبدانهم أن تمس أبدانهم وبلغ من تراجمهم فيما بينهم أنه كان لا يرى مؤمن مؤمنة إلا صافحه وعانقه
 ومن حق المسلمين في كل زمان أن يراعوا هذا التذلل وهذا التعطف فيشددوا على من ليس
 من دينهم ويتحاموه ويعاشروا إخوانهم المؤمنين في الاسلام متعطفين بالبر والصلة والمعاونة
 وكف الأذى والاحتمال منهم * (تنبه) * والذين معه مبتدأ خبره أشداء على الكفار ورجاء
 بينهم خبر ثان وقيل غير ذلك ثم بين تعالى الحامل لهم على ذلك بقوله سبحانه وتعالى (تراههم)
 أي أيها الناظر لهم (ركعاً سجداً) أي دائماً الخشوع فأكثر أوقاتهم صلاة قد غلبت صفة
 الملكية على صفاتهم الحيوانية فكانت الصلاة آصرة بالخير مصينة عن كل نقص وضير ثم أشار
 إلى اخلاصهم بقوله تعالى (يتبعون) أي يطلبون بذلك وغيره من جميع أحوالهم بغاية جهدهم
 تغليباً لبقولهم على شهوراتهم وحظوظهم (فضلاً) أي زيادة من الخير (من الله) أي الذي له
 الإحاطة بصفات الكمال من الجلال والجمال الذي أعطاهم ملكة العظمة على الكفار بما
 وهبهم من جلاله والرافة على أوليائه (ورضواناً) أي رضامنه عظيم بما نالههم من رحمته التي
 هيأهم بها للإحسان إلى عباده فزعوا الهوى من صدورهم فصاروا برونه وحده سيدهم
 المحسن اليهم لا يرون سيده غيره ولا محسن سواه ثم بين كثرة صلاتهم بقوله تعالى (سجداً)
 أي علامتهم التي لا تفارقهم (في وجوههم) ثم بين تعالى العلامة بقوله (من أثر السجود) وهو نور
 وبياض في وجوههم يوم القيامة كما قال تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه رواء عطية العوفي
 عن ابن عباس * وعن أنس هو استنارة وجوههم من كثرة صلاتهم وقال شهر بن حوشب
 تكون مواضع السجود من وجوههم كالقمر ليلة البدر * وقال مجاهد هو السمت الحسن
 والخشوع والتواضع والمعنى أن السجوداً ورنهم الخشوع والسمت الحسن الذي يعرفون
 به وقال الضحاك هو صفرة الوجه وقال الحسن إذا رأيتهم حسبتهم مرضى وما هم بمرضى
 وقال عكرمة هو أثر التراب على الجباه قال أبو العالية لأنهم يسجدون على التراب لا على
 الثياب وقال عطاء استنارت وجوههم من طول ما صابوا بالليل لأن من كثرت صلاته بالليل
 حسن وجهه بالنهار قال بعضهم دخل في هذه الآية كل من حافظ على الصلوات الخمس قال
 البقاعي ولا يظن أن من السجدة ما يصنعه بعض المرائين من أثر هيئة السجود في جهته فإن ذلك
 من سيما الخوارج وفي نهاية ابن الأثير في تفسير النقات ومنه حديث أبي الدرداء أنه رأى
 رجلاً بين عينيه مثل نقطة البعير فقال لو لم يكن هذا كان خيراً يعني كان على جهته أثر السجود

وانما كرهها خوفا من الرباء عليه وعن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اني لا بغض
الرجل وأكرهه اذا رأيت بين عينيه اثر السجود وعن بعض المتقدمين كأنه صلى فلا يرى بين
أعيننا شي ونرى أحدهما الا أن يصلي فيرى بين عينيه ركبة البعير فلا ندري أثقلت الرأس أم
خسنت الارض وانما أراد بذلك من تعمده ذلك للنفاق ثم أشار تعالى الى علو مرتبة ذلك
الوصف بقوله سبحانه (ذلك) أي هذا الوصف العالي جدا البديع المثال البعيد المثال (مثلهم)
أي صفتهم (في التوراة) وههنا تم الكلام فان مثلهم مبتدأ وخبره في التوراة وقوله تعالى
(ومثلهم في الانجيل) أي الذي نسخ الله تعالى به بعض أحكام التوراة مبتدأ وخبره (زرع)
أي مثل زرع (أخرج شطأه) أي فراخه يقال أشطأ الزرع اذا فرخ وهل يختص ذلك بالحنطة
فقط أو بهما أو بالشعير أو لا يختص خلاف مشهور قال الشاعر

أخرج الشطأ على وجه الثرى * ومن الاشجار أبقان الثمر

وقرأ ابن كثير وابن ذكوان بفتح الطاء والباقون بإسكانها وهم العتقان كالنهر والنور وأدغم
أبو عمرو والحميم في الشين بخلاف عنه ثم سبب عن هذا الاخراج قوله تعالى (فازره) أي قواه
وأعانه وقرأ ابن ذكوان بقصر الهمزة بعد الفاء والباقون بالمد (فاستغظ) أي فظلم المذكور
من الزرع والشطأ والغلط وأوجده فسبب عن ذلك اعتداله (فاستوى) أي قوى واستقام
وقوله تعالى (على سوقه) متعلق باستوى ويجوز أن يكون حالا أي كأنه على سوقه أي قائما
عليها هذا مثل ضربته الله تعالى لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم في الانجيل أنهم يكونون قدلا
ثم يزادون ويكثرون قال قتادة مثل أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم في الانجيل مكتوب أنه
سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وقيل الزرع محمد صلى
الله عليه وسلم والشطأ أصحابه والمؤمنون وروى مبارك بن فضالة عن الحسن قال محمد
رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين معه أبو بكر الصديق أشداء على الكفار عمر بن الخطاب
رجاء بينهم عثمان بن عفان تراهم ركعا سجدا على بن أبي طالب يتبعون فضلا من الله العشرة
المبشرون بالحنطة كمثل زرع محمد صلى الله عليه وسلم أخرج شطأه أبو بكر فآزره عمر فاستغظ عثمان
يعني استغظ عثمان بالاسلام فاستوى على سوقه على بن أبي طالب رضى الله عنه استقام الاسلام
بسيقه (يجب الزراع) قال المؤمنون (ليغيظهم الكفار) قول عمر لاهل مكة بعدما أسلم لا يعبد
الله سريعا بعد اليوم روى أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ارحم أمتي أبو بكر
وأشد هم في أمر الله عمر وأصدقهم حياء عثمان وأقرضهم زيد وأقرؤهم أبي وأعلمهم
بالحرام والحلال معاذ بن جبل ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح وفي
رواية أخرى وأقضاهم على وروى بريدة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من مات من أصحابي
بأرض كان نورهم وقائد هم يوم القيامة * (تنبيه) * يجب حال أي معجبا وههنا تم الكلام وقوله
تعالى ليغيظ بهم الكفار فيه أوجه أحدها أنه متعلق بمعذوف دل عليه تشبيههم بالزرع
في نعماتهم وقوتهم قال الزمخشري أي شبههم الله تعالى بذلك ليغيظ ثانيها أنه متعلق بمبادل

عليه قوله تعالى أشدّ امتعلق على الكفار الخ أي جعلهم بهذه الصفات ليعيظ نالهم أنه متعلق
بقوله تعالى (وعدا الله) أي الملك الأعظم (الذين آمنوا) لأن الكفار إذا سمعوا بعزة المؤمنين
في الدنيا وما أعد الله لهم في الآخرة غاظهم ذلك وقوله تعالى (وعملوا الصالحات) فيه إشارة إلى
تصديق دعواهم ومن في قوله تعالى (منهم) البيان لا التبعية لأنهم كلهم كذلك فهي كقوله
تعالى فاجتنبوا الرجس من الأوثان * ولما كان الإنسان وان اجتمع مدعصر أعما يجب لله
تعالى من العبادة أشار إلى ذلك بقوله تعالى (مغفرة) أي لما يقع منهم من الذنوب والهفوات
(وأجر عظيم) بعد ذلك الستر وهو الجنة وهما أيضا لمن بعدهم بمن يأتي * (فائدة) * قد جمعت
هذه الآية الخاتمة لهذه السورة جميع حروف المعجم وفي ذلك إشارة تلوينية مع ما فيها من البشائر
التصريحية باجتماع أمرهم وعلو نصرهم رضي الله عنهم وحشرنا معهم نحن ووالدينا ومحبينا
وجميع المسلمين بمنه وكرمه قال وهذا آخر القسم الأول من القرآن وهو المطول وقد ختم كما ترى
بسورتين هما في الحقيقة للنبي صلى الله عليه وسلم وحاصلهما الفتح بالسيف والنصر على من
قاتله ظاهرا كما ختم القسم الثاني المفصل بسورتين هما النصر له صلى الله عليه وسلم بالحال على
من قصده بالضرب باطنا اه ومارواه البيضاوي بعمالز مخشري من أنه صلى الله عليه وسلم قال
من قرأ سورة الفتح فكانما كان من شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة حديث
موضوع وقال ابن عادل روى أن من قرأ في أول ليلة من رمضان أنا فتحنا لك فتحنا مينا
في التطوع حفظ في ذلك العام ولم أره لغيره اه

﴿سورة الجرات مدنية﴾

وهي ثمان عشرة آية وثلاثمائة وثلاث وأربعون كلمة وألف وأربعمائة وستة وسبعون حرفا

(بسم الله) الجبار المتكبر الذي أعز رسوله صلى الله عليه وسلم (الرحمن) الذي من عموم رحمة
الآداب للتوصل إلى حسن المآب (الرحيم) الذي خص أولى الألباب بالاقبال على ما يوجب
لهم دار الثواب * ولما توه سبحانه في القتال بذكر النبي صلى الله عليه وسلم وصرح في ابتدائها
باسمه الشريف وسعى السور بيه وملا سورة الفتح بتعظيمه وختمها باسمه ومدح اتباعه لاجله افتتح
هذه السورة باشتراط الآداب معه في القول والفعل فقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا) أي أقروا
بالإيمان (لا تتقدموا) من قدم بمعنى تقدم أي لا تتقدموا وحذف المفعول ليم كل ما يصح تقديمه
فيذهب الوهم كل مذهب ويجوز أن يكون حذفه من غير قصد إليه أصلا بل يكون النهي
موجه إلى نفس التقدم أي لا تلبسوا به هذا الفعل (بين يدي الله) أي الملك الأعظم الذي
لا يطاق انتقامه (ورسوله) أي الذي عظمته ظاهرة جده الانهائية له لأن عظمته من عظمته ولذلك
قرن اسمه باسمه واختلف في سبب نزول ذلك فقال الشعبي عن جابر أنه في الذبح يوم الأضحية قبل
الصلاة أي لا تذبحوا قبل أن يذبح النبي صلى الله عليه وسلم وذلك أن أناسا ذبحوا قبله صلى الله
عليه وسلم فأمرهم أن يعيدوا الذبح وقال من ذبح قبل الصلاة فأنما هو لحم عمار لا هله ليس من

النسك في شيء وعن مسروق عن عائشة رضي الله عنها انه في النهي عن صوم يوم النسك أي
 لا تصوموا قبل أن يصوم نبيكم وعن ابن الزبير أنه قدم ركب من بني تميم على النبي صلى
 الله عليه وسلم فقال أبو بكر أقر القعقاع بن معبد بن زرارة وقال عربيل أمر الأقرع بن حابس
 فقال أبو بكر ما أردت إلا خلا في فقال عمر ما أردت إلا خلا فكم يا حنظل ارتفعت أصواتهما
 فنزلت هذه الآية قال ابن الزبير فكان عمر لا يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية
 حتى يستفهمه وعن ابن أبي مليكة نزل يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم وهذا أنسب
 وقال الشيخناك يعني في القتال وشرائع الدين أي لا تقطعوا أمرادون الله ورسوله قال الرازي
 والأصح أنه إرشاد عام يشمل الكل ومنع مطلق يدخل فيه كل اقتيات وتقدم واستبداد بالامر
 وإقدام على فعل غير ضروري من غير مشاورة * (تنبيه) * معنى بين يدي الله ورسوله أي
 بحضوره مالا أن ما يحضرة الإنسان فهو بين يديه ناظر إليه وحقيقة قولهم جلست بين يدي فلان
 أن يجلس بين الجهتين المسميتين ليمنه وشماله قريباً منه فسميت الجهتان يدين لكونهما على
 سمت اليدين مع القرب منهما ما توسعا كما يسمى الشيء باسم غيره إذا جاوزه وداناه في غير موضع وقد
 جرت هذه العبارة هنا على ضرب من الجواز وهو الذي يسميه أهل البيان تمثيلاً وقيل المراد بين
 يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الله تعالى تعظيم له وأشعاراً أنه من الله تعالى يمكن يوجب
 اجلاله (واتقوا الله) اجعلوا بينكم وبين غضب الملك الأعظم وقاية فإن التقوى مانعة من أن
 تضعوا حقه وتحالفوا أمره أو تقدموا على شيء لم تعلموا رضاه فيه (أن الله) أي الذي له الاحاطة
 بصفات الكمال (سميع) لا قوا لكم (عليهم) بأعمالكم ونزل فيمن رفع صوته عند النبي عليه
 الصلاة والسلام (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم) أي في شيء من الأشياء عند النطق
 إذا نطقتم (فوق صوت النبي) إذا نطق * (تنبيه) * في إعادة النداء فواء منها أن في ذلك بيان
 زيادة الشفقة على المسترشد كقول لقمان لابنه يا بني لا تشرك بالله يا بني انما أنا نك يا بني أقوم
 الصلاة لأن النداء تنبيه للمعادي لمقبل على استماع الكلام ويجعل بالله منه فاعادته تفيد تجديد
 ذلك ومنها أن لا يوهم أن المخاطب ثانياً غير المخاطب أولاً فان من الجائز أن يقول القائل يا زيد
 افعل كذا وكذا يا عمر فاذا أعاد مرة أخرى وقال يا زيد قل يا زيد قل كذا وقل كذا يعلم أن
 المخاطب أولاً هو المخاطب ثانياً ومنها أن يعلم أن كل واحد من الكلامين مقصود ليس الثاني
 تأكيداً للاول كقولك يا زيد لا تنطق ولا تتكلم إلا بالحق وأنه لا يحسن أن يقول يا زيد لا تنطق
 يا زيد لا تتكلم كما يحسن عند اختلاف المطاوعين (ولا تجهروا به بالقول) أي إذا كلمتموه سواء كان
 ذلك مثل صوته أو أخفض من صوته فإن ذلك غير مناسب لما يهاب به العظماء ويوقر الكبراء
 (تجهر بعضكم لبعض) أي ولا تبلغوا به الجهر الدائر بينكم بل اجعلوا أصواتكم أخفض
 من ذلك فانكم إن لم تفعلوا ذلك لم يظهر فرق بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين غيره (فان قيل)
 ما الفائدة في ولا تجهروا بعد لا ترفعوا (أجيب) بأن المنع من رفع الصوت هو أن لا يجعل كلامه
 أو صوته أعلى من كلام النبي صلى الله عليه وسلم وصوته والنهي عن الجهر منع من المساواة

أى لا تجهروا له بالقول كما تجهرون لنظر انكم بل اجعلوا كلمته عليا ثم حذرهم بقوله تعالى
 (أَنْ) أى كراهة أن (تجبط) أى تفسد ففسقط (أعمالكم) التى هى الاعمال بالحقيقة وهى
 الحسنات كلها (وأنتم لا تشعرون) أى بأنهم احدثت فان ذلك اذا اجترأ الانسان عليه استخف
 به واذا استخف واظب عليه واذا واظب عليه أوشك أن يستخف بالمخاطب فيكفر وهو لا يشعر
 روى أنس بن مالك قال لما نزل قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم الاية جلوس
 ثابت بن قيس في بيته وقال أنا من أهل النار واحتبس عن النبي صلى الله عليه وسلم فسأل
 النبي صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ فقال يا أبا عمر وما شأن ثابت أشتكى فقال سعد انه
 يلجأرى وما علمت له شكوى قال فأما سعد فذكر له قول رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فقال ثابت نزلت هذه الاية وقد علمت أنى من أرفعكم صوتا على رسول الله صلى الله عليه
 وسلم فانا من أهل النار فذكر ذلك سعد للنبي صلى الله عليه وسلم فقال بل هو من أهل الجنة
 وروى لما نزلت هذه الاية قعد ثابت في الطريق يبكي فزبه عاصم بن عدي فقال وما يبكيك
 يا ثابت قال هذه الاية أتخوف أن تكون نزلت في وأنا رفيع الصوت أخاف أن يحبط عملي
 وأكون من أهل النار فغضى عاصم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وغلب ثابت بالبكاء فألقى
 امرأته جميلة بنت عبد الله بن أبي ابن ساول فقال لها اذا دخلت بيت فرشي فسدنى على الضبة
 بسمار فضربت عليه بسمار وقال لا أخرج حتى يتوفاني الله أو يرضى عني رسول الله صلى
 الله عليه وسلم فألقى عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره خبره فقال اذهب فادعه الى
 بجاء عاصم الى المكان الذى رآه فيه فلم يجده فجاء الى أهله فوجدته في بيت الفرش فقال له
 ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك فقال كسر الضبة فأتي رسول الله صلى الله
 عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا ثابت فقال أنا صيت فأخاف أن تكون
 هذه الاية نزلت في فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أما ترضى أن تعيش حميدا وتقتل
 شهيدا وتدخل الجنة فقال رضيت بيشري الله ورسوله لا أرفع صوتي أبدا على رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فأ نزل الله عز وجل (ان الذين يغضون) أى يخفون ويلبسون لما وقع
 عليهم من السكينة من هيبة حضرته قال الطبري وأصل الغض الكف في لبن (أصواتهم)
 تخشعا وتخضعا ورعاية للادب وتوقيرا (عند رسول الله) أى الذى من شأنه أن يعلو كلامه
 على كل كلام لانه مبلغ عن الملك الاعظم وعبر بعند الذى للظاهر اشارة الى أن أهل حضرة
 الخصوصية لا يقع منهم الا أكمل الادب (أولئك) أى عالى الرتبة (الذين آمنوا بالله)
 أى فعل المحيط بجميع صفات الكمال فعل المختبر (قلوبهم التقوى) أى اختبرها وأخلصها
 لتظهر منهم من آمن الذهب اذا أذابه وميزا برز من خبشه فان الامتحان اختبار بليغ يؤدى
 الى خبر فالمعنى أنه طهر قلوبهم ونقاها كما يمتحن الصائغ الذهب والقضة بالاذابة والتقية
 والتخلص من كل غش لاجل اظهار ما بطن فيه من التقوى ليصير معاوما للخلق في عالم الشهادة
 كما كان له سبحانه في عالم الغيب (لهم مغفرة) أى لهقوااتهم وزلاتهم (وأجر عظيم) لغضهم وسائر

طاعتهم والتسكير للتعظيم قال أنس فكأن أي بعد نزول هذه الآية في حق ثابت بن نضر إلى رجل
من أهل الجينة عشي بين أيدينا فلما كان في يوم حرب مسيئة رأى ثابت من المسلمين بعض
الانكسار فانهم زمت طائفة منهم فقال أف لهؤلاء ثم قال ثابت لسالم مولى أبي حذيفة ما كنا
نقاتل أعداء الله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل هذا ثم ثبتا وقتالا حتى قتلا واستشهد
ثابت وعليه درع فرأه رجل من الصحابة بعد موته في المنام فقال له أعلم أن فلانا رجل من المسلمين
نزع درعي فذهب بها وهي في ناحية من العسكر عند فرس يستن في طول له وقد وضع علي درعي
ثوبه فأتى أبا بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقل له ان علي ديناً حتى يقضيه عني
وفلان من رقيق عتيق فأخبر الرجل خالد أبا بكر ووجد درعه والفرس على ما وصفه فاسترد الدرع
وأخبر خالد أبا بكر تلك الرؤية فأجاز أبو بكر وصيته قال مالك بن أنس لأعلم وصية أجزيت بعد
موت صاحبها إلا هذه واختلف في سبب نزول قوله عز وجل (ان الدين يتداولونك من وراء
الجزات) فقال ابن عباس رضي الله عنهما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية إلى بني
النضير وأمر عليهم عتبة بن حصن الفزاري فلما علموا هربوا وتركوا عيالهم فسباهم عتبة وقدم
بهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءهم بعد ذلك رجالهم يقدون الذراري فقدموا وقت
الظهيرة ووافقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلاً في أهل فلان أراهم الذراري اجهشوا إلى
آبائهم يميكون وكان لكل امرأة من نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم حجرة فجهلوا أن يخرج
اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلوا ينادون يا محمد اخرج النبا حتى أيقظوه من نومه فخرج
اليهم فقالوا يا محمد اذنا عما لنا فنزل جبريل عليه السلام فقال ان الله تبارك وتعالى يأمر لك أن
تجعل بينك وبينهم رجلاً فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أترضون أن يكون بيني
وبينكم شبرمة بن عمرو وهو على دينكم فقالوا نعم فقال شبرمة أنا لا أحكم بينهم وعي شاهد وهو
الاعور بن بسامة فرضوا به فقال الاعور أرى أن تفادي نصفهم وتعتق نصفهم فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم قدر ضيت ففادي نصفهم وأعنت نصفهم فأنزل الله تعالى ان الذين
يتداولونك من وراء الجزات جمع حجرة وهي ما تحجر من الارض بجائط ونحوه كان كل واحد
منهم نادى خلف حجرة لانهم لم يعلموه في أيهم امة اداة الاعراب بغلظة وجفاء (أكثرهم) أي
المنادى والراضي دون الساكت لعذر (لا يعقلون) أي محلك الرفيع وما يناسبه من التعظيم
فلم يصبر وأبل فعلوا معه صلى الله عليه وسلم كما يفعل بعضهم ببعض (ولو أنهم) أي المنادى
والراضي (صبروا) أي حبسوا أنفسهم ومنعوها عن مناداتهم والصبر حبس النفس عن أن
تنازع إلى هواها وهو حبس فيه شدة وصبر (حتى تخرج اليهم) من تلقاء نفسك عند فراغ
ما أنت فيه مما يملك من واردات الحق ومصالح الخلق (لسكان) أي الصبر (خير اليهم) أي
من استعجل اليهم ايقاظك في الهاجرة وعما لو قرعوا الباب بالاظافر كما كان يفعل غيرهم من
الصحابة قال أبو عثمان الادب عند الاكابر يبلغ بصاحبه إلى الدرجات العلى والخير في الاولى
والعقبى اه فانهم لو قاتلوا اليهم لزادهم صلى الله عليه وسلم في الفضل فأعتق جميع سبيهم

وأطلقهم بلا فداء (والله) أي المحيط بجميع صفات السكال (غفور) أي ستور ذنب من تاب
من جهله (رحيم) أي يعاملهم معاملة الراحم فيسبغ عليهم نعمه وقال قتادة نزلت في ناس
من أعراب تميم جاؤا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فنادوا على الباب اخرج إلينا يا محمد فإن
مدحنا زين وذمنا شين فخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول أغاذلكم الله
الذي مدحهم زين وذمهم شين فقالوا نحن ناس من بني تميم جئنا بشاعرنا وخطيبنا نشاعرك
ونفاحرك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بالشعر بعثت ولا بالفخار أمرت ولكن
هاؤا فقام شاب منهم فذكر فضله وفضل قومه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تبين
قيس بن شماس وكان خطيب النبي صلى الله عليه وسلم قم فأجبه فاجابه وقام شاعر فذكر
أبيانا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت أجبه فأجبه فقام الأقرع بن حابس
فقال ان محمد المولى تسكلم خطيبنا فكان خطيبهم أحسن قولا وتسكلم شاعرنا فكان شاعرهم
أشعرا وحسن قولا ثم نادى من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أشهد أن لا إله الا الله وأنت
رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يضرتك ما كان من قبل هذا ثم أعطاهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم وكساهم وكان قد تخلف في ركابهم عمرو بن الأبيهم لحدائة سنة فأعطاه
رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما أعطاهم فأزرى به بعضهم وارتفعت الاصوات وكثر اللغط
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل فيهم يأيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت
النبي الآيات الأربع إلى قوله تعالى غفور رحيم وقال زيد بن أرقم جاء ناس من العرب إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم لبعض انطلقوا بنا إلى هذا الرجل فان يكن نبيا فنحن
أسعد الناس به وان يكن ملكا نعش في جناحه فجاءوا فجعلوا ينادون من وراء الحجار يا محمد
فأنزل الله تعالى ان الذين ينادونك الآية وقيل المراد بأكثرهم كلهم لان العرب تذكر الاكثر
وتريد الكل احتراز عن الكذب واحتياط في الكلام لان الكل ما لا يحيط به علم الانسان
في بعض الاشياء فيقول الاكثر وفي اعتقاده الكل ثم ان الله تعالى مع احاطة علمه بالامور التي
بما يناسب كلامهم وفيه اشارة إلى لطيفة وهي ان الله تعالى يقول مع احاطة على بكل شئ
جريت على عادتك استحسن تلك العادة وهي الاحتراز عن الكذب فلا تتركوها واجعلوا
اختياري ذلك في كلامي دليلا قاطعا على رضاي بذلك منكم * (تنبيه) * جعل الرخصى
أنهم من ولو أنهم فاعلا بفعل مقدراى ولو ثبت صبرهم وجعل اسم كان ضمير اعاندا على هذا
الفاعل ولكن مذهب سيبويه أنها في محل رفع بالابتداء وحينئذ يكون اسم كان ضمير اعاندا على
صبرهم المفهوم وجرى على الاول البيضاء وعلى الثاني الجلال المحلى واختلف في سبب
نزول قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم) أي في وقت من الاوقات (فاسق) أي خارج
من رتبة الديانة (بنيا) أي خبر يعظم خطبه فيشرشر (فتبينوا) صدقه من كذبه فقال أكثر
المفسرين نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط وهو أخو عثمان لأمه وذلك أن النبي صلى الله
عليه وسلم بعثه إلى بني المصطلق بعد الوقعة واليا ومصدقا أي يأخذ منهم الصدقة وكان بينه

ويبينهم عداوة في الجاهلية فلما سمع به القوم تلقوه تعظيماً لاهل رسول الله صلى الله عليه وسلم
خذه الشيطان أنهم يريدون قتله فهابهم فرجع من الطريق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال انهم منعوا صدقاتهم وأرادوا قتلي فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم أن يغزوههم
فبلغ القوم رجوعه فأبوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله سمعنا برسولك نخرجنا
تلقاه ونكرمه ونؤدى اليه ما قبلنا من حق الله فبداله في الرجوع نخشينا أنه انما رده من
الطريق كذب جاءه منك لغضب غضبته علينا واننا نعدو بذات الله من غضبه وغضب رسوله فاتهمهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث خالد بن الوليد خفيته في مسكره وأمره أن يخفي عليهم قدومه
وقال انظر فان رأيت منهم ما يبدل على ايمانهم فخذ منهم زكاة أموالهم وان لم تر ذلك فاستعمل
فيهم ما تستعمل في الكفار ففعل ذلك خالد ووافاهم فسمع منهم أذان صلاتي المغرب والعشاء
فأخذ منهم صدقاتهم ولم ير منهم الا الطاعة والخير وانصرف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأخبره الخبر فزل قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا (أن تصيبوا) أي
بأذى (قوماً) أي هم مع قوتهم النافعة لاهل الاسلام برأى مما نسب اليهم (بجهالة) أي مع الجهل
بحال استحقاقهم لذلك (فصبحوا) أي قصير واولئك عنه عبر بذلك لان أشنع الندم ما استقبل
الانسان صباحاً وقت انتباهه وفرأه واقباله على لذاته (على ما فعلتم) أي من اصابتهم (نادمين)
أي غريقين في الاسف على ما فات مما توقع الله تعالى في نفوسكم من أمور ترجف القلوب وقال
الرازي هذا ضعيف لان الله تعالى لم يقل اني أنزلها بالكذب والنبي صلى الله عليه وسلم لم ينقل عنه
أنه قال وردت الآية لبيان ذلك حسب غاية ما في الباب أنهم انزلت في ذلك الوقت وهو مثل
تاريخ نزول الآية وما يصدق ذلك ويؤيده أن اطلاق لفظ الفاسق على الوليد بعيد لانه لو هم
وظن فإخطأ والمخطئ لا يسمى فاسقاً فكيف والفاسق في أكثر المواضع المراد به من خرج عن رتبة
الايمان كقوله تعالى ان الله لا يهدي القوم الفاسقين وقوله تعالى ففسق عن أمر ربه وقوله
تعالى وأما الذين فسقوا فإلهام النار الآية الى غير ذلك اه وقال ابن الخازن في تفسيره وقيل
هو عام نزلت لبيان الثبوت وترك الاعتماد على قول الفاسق وهذا أولى من حكم الآية على رجل
بعينه * (تنبيه) * قوله تعالى أن تصيبوا مفعول له كقوله تعالى أن تحبط قال الرازي معناه على
مذهب السكوفيين لثلاث تصيبوا وعلى مذهب البصريين كراهة أن تصيبوا وقرأه أجزء والكسائي
بعد التاء المثناة بباء مثناة وبعد الباء الواحدة بباء مثناة فوق من الثبوت أي فتوقنوا الى أن
يتبين لكم الحال والباقيون بعد التاء المثناة بباء واحدة وبعد هاء بفتحها وبعد هاءون من
البيان (واعلموا) أي أيها الاممة (أن فيكم) أي على وجه الاختصاص بكم وباله من شرف
(رسول الله) أي الملك الاعظم المتصف بالجلال والاکرام فلا تقولوا الباطل فان الله يخبره بالحال
(لو يطعكم) وهو لا يجب عنتكم ولا شيئاً يشق عليكم (في كثير من الامر) أي الذي تريدونه على
فعله من أنه يعمل في الحوادث على مقتضى ما يعين لكم وتستصوبونه ليعكون فعله معكم فعمل
المطواع لغيره التابع له في قلب حيثئذ الحال ويصير المتبوع تابعا والمطاع طائعا (لعمركم) أي

لأنتم دونهم وهلكتم لأن من أراد أن يكون أمر الرسول صلى الله عليه وسلم تابعاً لأمره فقد
 زين له الشيطان الكفران وقوله تعالى (ولكن الله) أي الملك الأعظم الذي يفعل ما يريد
 (حبب إليكم الإيمان وزينه) أي حسنه (في قلوبكم) فازتم طاعته وعشقتم متابعتها استدرأكم
 من جهة المعنى لأن جهة اللفظ إيمان عذرهم وهو أنه من فرط حبهم للإيمان وكراهتهم للكفر
 كما قال تعالى (وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان) جعلهم على ذلك لما سمعوا قول الوليد
 أو نصفة من لم يفعل ذلك منهم إجماد الفعلهم وتعرضاً بدم من فعل قال الرازي هذه الأمور
 الثلاثة في مقابلة الإيمان الكامل المزين وهو التصديق بالجنان والاقرب باللسان والعمل
 بالاركان ف قوله تعالى كره إليكم الكفر وهو التكذيب وهو في مقابلة التصديق بالجنان
 وأما الفسوق فمقابل هو الكذب كما قاله ابن عباس قال تعالى ان جاءكم فاسق بنبأ فسعى الكاذب
 فاسقا وقال البيضاوي الكفر تغلبه نعم الله بالجود والفسوق الخروج عن القصد والعصيان
 الامتناع عن الانقياد وقال بعضهم الكفر ظاهر والفسوق هو الكبيرة والعصيان هو الصغيرة
 (أولئك) أي الذين أعلی الله تعالى مقاديرهم (هم الراشدون) أي الكاملون في الرشد الثابتون
 الاستقامة وعلى دينهم وفي تفسير الاصفهاني الرشد هو الاستقامة على طريق الحق مع تصلب
 فيه وقوله تعالى (فضلاً) مصدر منصوب بفعله المقدر أي فضل وقيل لتعليل تكرره أو حجب
 وما بينهما اعتراض فهو امتنان عظيم ودرجة عالية (من الله) أي الملك الأعظم الذي بيده
 كل شيء (ونعمة) أي وعيشاً حسناً ناعماً وكرامة (والله) أي المحيط بصفات الكمال (عليهم)
 أي محيط العلم يعلم أحوال المؤمنين وما بينهم من التفاضل (حكيم) أي بانغ الحكمة فهو
 يضع الأشياء في أوفق محالها وأتقن ما فكذلك وضع نعمته من الرسالة والإيمان على حسب
 علمه وحكمته ونزل في قضية (وان طائفتان من المؤمنين) الآية وهي أن النبي صلى الله
 عليه وسلم ركب جارا ومرت على ابن أبي قحافة الجار فسجد ابن أبي قحافة فقال ابن ربيعة
 لبول جاره أطيب ريحا من مسكك فكان بين توهمهما ضرب بالأيدي والنعال والسعف
 وعن أنس قال قيل للنبي صلى الله عليه وسلم لو أتيت عبد الله بن أبي قحافة لقلت له النبي صلى الله
 عليه وسلم وركب جارا وانطلق المسلمون يمشون معه وهو بأرض سبخة فلما أتاه النبي
 صلى الله عليه وسلم فقال اليك عني فوالله لقد أذاني تن جارك فقال رجل من الانصار
 منهم والله لجار رسول الله صلى الله عليه وسلم أطيب ريحا منك فغضب لعبد الله رجل من
 قومه فقتل فغضب لكل واحد منهم أصحابه فكان بينهما ضرب بالجر يد والأيدي
 والنعال فبلغنا انهم انزلت فيهم ويروى انهم انزلت قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فاصططحووا وكف بعضهم عن بعض وعن قتادة نزلت في رجلين من الانصار كان بينهما مداراة
 في حق فقال أحدهما للآخر لا تخذ حق منك عنوة لكثرة عشيرته وان لا تخرداه لبحاكه
 الى النبي صلى الله عليه وسلم فأبى أن يتبعه فلم يزل الامر بينهما حتى تدافعا وتناول بعضهم
 بعضا بالأيدي والنعال ولم يكن قتال بالسيف وعن سفيان عن السدي قال كانت امرأة

من الانصار يقال لها أم زيد تحت رجل وكان بينهما وبين زوجها شئ فرقي به الى عليه وجسمها
 فبلغ ذلك قومها فجاءوا بقاء قومه واقتلوا بالايدي والنعال فزلت وجمع تعالى قوله سبحانه
 (اقتلوا) نظرا للمعنى لان كل طائفة جماعة وشئ الضمير في قوله تعالى (فأصلحوا) أى أوقعوا
 الاصلاح ليحصل الصلح (بينهما) نظرا للفظ أى أصلحوا بينهما بالنصح والدعاء الى الله ثم الله
 تعالى (فان بغت) أى أوقعت الارادات السيئة الكائنة من النفوس التي لاتأمر بخير
 (أحدكما) أى الطائفتين (على الاخرى) فلم ترجع الى حكم الله الذي خرجت عنه ولم تقبل
 الحق (فقاتلوا) أى اطلبوا وأوجدوا مقتله (التي تبغى) أى توقع الارادة السيئة ونصر
 عليها وأديروا القتال لها (حتى تفي) أى ترجع عما صارت اليه من حر القطيعة الذي كانه
 حر الشمس حتى تمشه الظل الى ما كانت فيه من البرد والخير الذي هو كظل الذي تمشه
 الشمس وهو معنى قوله تعالى (الى أمر الله) أى التزام ما أمر به الملك الذي لا يمهل الظالم بل
 لابد من أن يقاصه وقرأنا نافع وابن كثير وأبو عمرو بتسهيل الهمزة الثانية كالباء والباقون
 بتحقيقها (فان قامت) أى رجعت الى ما كانت عليه من التسليم بأمر الله الذي هو العدل
 (فأصلحوا) أى أوقعوا الاصلاح (بينهما بالعدل) أى بالانصاف ولا يحملنكم القتال على
 الحقد على المقاتلين فتحبوا (وأقسطوا) أى وأزيلوا القسط بالفتح وهو الجور بأن تفعلوا
 القسط بالكسر وهو العدل الذي لا جور فيه في ذلك وفي جميع أموركم ثم علاه ترغيبا فيه بقوله
 تعالى مؤكدا تنبها على أنه من أعظم ما يتبادر به وردا على من اعسده يقول انه لا يلزم نفسه
 الوقوف عنده الاضعف (ان الله) أى الذي بيده النصر والخلاص (يحب المقسطين) أى
 يفعل مع أهل العدل من الاكرام فعل الحب (انما المؤمنون) أى كلهم وان تباعدت أنسابهم
 وبلادهم (اخوة) أى في الدين لا تنسابهم الى أصل واحد هو الايمان ولما كانت الاخوة
 داعية ولا بد الى الاصلاح تسبب عنها قوله تعالى (فأصلحوا بين أخويكم) كما تصلحون
 بين أخويكم من النسب ووضع الظاهر موضع الضمير مضافا الى المأمور ومبالغة في التقرير
 والتحضيض وخص الاثنين بالذكر لانهم أقل من يقع بينهما الشقاق وعن أبي عثمان الحيري
 ان اخوة الدين أثبت من اخوة النسب فان اخوة النسب تنقطع بمخالفة الدين واخوة الدين
 لاتنقطع بمخالفة النسب (واتقوا الله) أى الملك الاعظم في مخالفة حكمه والاهمال فيه
 (لعلكم ترجون) أى لتكونوا اذا فعلتم ذلك على رجاء عند أنفسكم أن يكرمكم الذي لا قادر
 على الاكرام في الحقيقة غيره بأنواع الكرامات كما رحمت اخوانكم باكرامكم عن افساد
 ذات البين وعن الزهري عن سالم عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان المسلم أخو
 المسلم لا يظلمه ولا يشتمه فمن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم كربة ففرج
 الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة * (تنبيه) *
 في هاتين الآيتين دليل على أن البغى لا يزيل اسم الايمان لان الله تعالى سماهم اخوة مؤمنين
 مع كونهم باغين يدل عليه ما روى عن علي بن أبي طالب سئل وهو القدوة في قتال أهل

البغي عن أهل الجبل وصفين أمشركون فقال لا من الشرك فزوا فقبل أمنا فقولهم فقال لا إن
 المنافقين لا يذكر الله الا قليلا قبل فباحا لهم قال اخواننا بغوا علينا والباغي في الشرع
 هو الخارج عن الامام العدل بتأويل محتمل وشوكة لهم ومطاع يحصل به قوة الشوكة
 وان لم يكن لهم امام والحكم فيهم أن يعث اليهم الامام أمينا فطنا ناصحا يتصحبهم ما ينعمون
 فان ذكروا مظلة أو شبهة أزالها وان أصروا نصحبهم ثم أعلمهم بالقتال فان استهوا اجتهد وفعل
 ما رآه صوابا والحكم في قتالهم أن لا يتبع مدبرهم ولا يقتل أسيرهم ويرد سلاحهم وخيلهم اليهم
 اذا انقضت الحرب وأمنت غائلتهم ولا يستعمل في قتال الا لضرورة ولا يقاتلون بعظيم كثار
 ومجنبيق الا لضرورة ولو أقاموا حدا أو أخذوا زكاة وجزية وخرجا وفروا سهم المرتقة على
 جندهم صح ما فعلوه وما أنفق به باع على عادل وعكسه ان كان بسبب قتال فلا ضمان على واحد
 منهما والا فلي المتلف الضمان قال ابن سهل كانت في تلك الفتنة دما يغرق في بعضها القتال
 والمقول وأنفق فيها أموال ثم صار الناس الى أن سكت الحرب بينهم وجرى الحكم عليهم
 فبارأيتهم اقتض من أحد ولا أغرم ما لأنفق ولو أظهر قوم رأى الخوارج كثر الجاعات
 وتكفير ذي كبرية ولم يقاتلوا فلا تعرض لهم. روى ان عليا سمع رجلا يقول في ناحية المسجد
 لا يحكم الله تعالى فقال على رضي الله عنه كلمة حق أريد بها بطل لكم علينا ثلاثة لا تمنعكم
 مساجد الله أن تذكروا فيها اسم الله ولا تمنعكم التي مما دامت أيديكم مع أيدينا ولا نبذكم بقتال
 فان قاتلوا حكمهم حكم قطاع الطريق وتفريعات أحكام البغاة مذكورة في الفتنة وفي هذا
 القدر كفاية واختلف في سبب نزول قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا) أي وقعوا الاقرار
 بالتصديق (لا ينسخر) أي لا يهزأ والسخرية هي أن لا ينظر الانسان الى أخيه بعين الاجلال
 ولا يلتفت اليه ويسقطه عن درجته (قوم) أي ناس فيهم قوة المحالة وهم الرجال وفي التعبير
 بذلك تنبيه على قيام الانسان على نفسه وكفها عما تريد من النقائص منكرا لما أعطاه الله تعالى
 من القوة (من قوم) أي من رجال فان ذلك يوجب الشر لان أضعف الناس اذا استهزئ به
 قوى لما يثور عنده من حظ النفس فقال ابن عباس نزلت في ثابت بن قيس كان في أذنه وقر
 أي ثقل فكان اذا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سبقه وبالجلس أو سعه الى حتى يجلس
 الى جنبه فيسمع ما يقول فا قبل ذات يوم وقد فاتته ركعة من صلاة الفجر فلما انصرف النبي صلى
 الله عليه وسلم من الصلاة أخذ أصحابه بمجالسهم فضع أي يجلس كل رجل منهم بمجلسه فلا يكاد
 يسمع أحد لا حد فكان الرجل اذا جاء فلم يجد مجلسا قائما فلما فرغ ثابت من صلاته أقبل نحو
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخطى رقاب الناس ويقول تقسحوا تقسحوا فجعلوا يتسحكون
 حتى انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينه وبينه رجل فقال له تقسح فقال الرجل
 قد أصبت مجلسا فاجلس فجلس ثابت خلفه مغضبا فلما انجلت الظلة غرث ثابت الرجل فقال
 من هذا فقال له أنا فلان فقال له ثابت ابن فلانة ذكر أماله كان يعبرهم في الجاهلية فنيكس الرجل
 رأسه فاستحيا فأ نزل الله تعالى هذه الآية وقال الضحالي نزلت في وفد قيم كانوا يستهزئون

بشقراء أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مثل عمار وخبب وبلال وصهيب وسلمان وسالم
 مولى أبي حذيفة لما رأوا من رثاء حالهم ومعنى الآية لا تحقروا إخوانكم ولا تستصغروهم
 ثم قال النبي بقوله تعالى (عسى) أى لانه جدير وخلق لهم (أن يكونوا) أى المستزائم -
 (خير منهم) فينقلب الامر عليهم وتكون لهم سوء العاقبة قال ابن مسعود البلاء موكل
 بالقول لو سخرت من كذب خشيته أن أخول كلبا وقال القشيري ما استصغر أحد أحد
 الأساط على ولا ينبغي أن يغير بظواهر أحوال الناس فإن في الزوايا خبايا والحق سبحانه يستتر
 أوليائه في حجاب الظنة وكذا في الخبر كرم من أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله
 لأبره (ولا) يسخر (نساء من نساء) ثم قال النبي بقوله تعالى (عسى) أى ينبغي أن يخفف من
 (أن يكن) أى المسخور بهن (خير منهن) أى الساخرات روى انه ما زلت في نساء النبي صلى
 الله عليه وسلم عيرن أم سلمة بالقصر وروى عكرمة عن ابن عباس أنه ما زلت في صفية بنت حيي
 ابن أخطب قال لها النساء يهودية بنت يهوديين * (تنبيهان) * أحدهما قال الرازي القوم
 اسم يقع على جمع من الرجال ولا يقع على النساء ولا على الأطفال لانه جمع قائم والقائم
 بالأمور - هم الرجال وعلى هذا ففي افساد الرجال والنساء فائدة وهي أن عدم الالتفات
 والانتباه أن يصدر في أكثر الامر من الرجال بالنسبة الى الرجال لان المرأة في نفسها ضعيفة
 قال صلى الله عليه وسلم النساء لحم على وضغف المرأة لا يوجد منها استحقر الرجل لانها مضطرة
 اليه في رفع حوائجها وأما الرجال بالنسبة الى الرجال والنساء بالنسبة الى النساء فانه يوجد
 فيهن ذلك (الثاني) في حكمة قوله تعالى عسى أن يكونوا خيرا منهم - هي أنهم - اذ اوجدوا منهم
 التكبر المقتضى الى احباط العمل جعل نفسه خيرا منهم كما فعل ابلis حيث لم يلتفت الى آدم
 وقال أنا خير منه فصار هو خيرا منه ويحتمل أن يكون المراد بقوله تعالى يكونوا أي يصيروا
 فان من استحق انسا بالفقرة أو وضعفه لا يأمن أن يفتقر هو ويستغنى الفقير ويقوى الضعيف
 (ولا تلهوا) أى تعيسوا على وجه الخفية (أنفسكم) بأن يعيب بعضكم بعضا بإشارة أو نحوها
 فكيف اذا كان على وجه الظهور فانكم في التواصل والتراحم كنفس واحدة أو يعمل
 الانسان ما يعاب به فيكون الانسان قد لم نفسه أو يلز غيره فيكون له شبهة لان يبحث
 عن عيوبه فيلزمه فيكون هو الذي لم نفسه (ولا تنازوا بالالقباب) أى ولا يدع بعضكم بعضا
 بلقب السوء فان النبز يختص بلقب السوء واختلاف في هذا اللقب فقال عكرمة هو قول
 الرجل للرجل يا فاسق يا منافق يا كافر وقال الحسن كان اليهودى والنصراني يسلم فيقال له
 بعد اسلامه يا يهودى يا نصراني فثم وعن ذلك وقال عطاء هو أن يقول الرجل لآخره يا جاحد
 يا خنزير وعن ابن عباس التناز بالالقباب هو أن يكون الرجل عمل السيئات ثم تاب عنها فنهى
 أن يعير بما سلف من عمله والحاصل أنه يحرم تلقيب الشخص بما يكره وان كان فيه كالاغور
 والاعمش ويجوز ذكره بنية التعريف لمن لا يعرفه الآية وأما ألقاب المدح فنعمها هي فقد لقب
 الصديق بعقيق وعمر بالفاروق وجزء بأسد الله وخالد بن الوليد بسيف الله وما زالت الألقاب

الحسنة في الجاهلية والاسلام قال الزنجشري الامأأحمدته الناس في زماننا من التوسع
 حتى لقبوا السفلة باللقاب العلية وهب أن العذر مبسوط فمأقول لمن ليس من الدين في قبيل
 ولادير بفلان الدين لعمرى والله انها الغصة التي لاتساغ ومعنى اللقب اسم زائد على الاسم
 يشعر بضعة المسمى أو رفعته والمقصود به الشهرة فما كان مكروها منى عنه ويستأن أن يكنى
 أهل الفضل الرجال والنساء وان لم يكن لهم ولد وأما التكنى بأبى القاسم فهو حرام وقيل
 انما يحرم في زمانه صلى الله عليه وسلم فقط وقيل انما يحرم على من اسمه محمد ولا يكنى كافرا
 ولا فاسقا ولا مبتدعا لان الكنية لله ~~مكرمة~~ وليسوا من أهلها بل أمرنا بالاعلاظ عليهم
 الخوف فتنة من ذكره باسمه أو تعريفه كما قيل به في قوله تعالى بنت يدا أبى لهب واسمه
 عبد العزى ولا بأس بكنية الصغير ويستأن أن يكنى من له أولاد بأ كبرا أولاده ويستأن لولد
 الشخص وتليذه وغلما أنه لا يسميه باسمه والادب أن لا يكنى الشخص نفسه في كتاب أو غيره
 الا ان كان لا يعرف بغيرها وكانت أشهر من الاسم * (تنبيه) * ذكر في الآية ثلاثة أمور
 مرتبة بعضهم ادون بعض كما علم من تفسر رها (بئس الاسم) أى المذكور من السخرية واللمز
 والتنازير وقوله تعالى (الفسوق) أى الخروج من ربة الدين (بعد الايمان) بدل من الاسم
 لا فائدة انه فسق لتكرره عادة وروى ان الآية نزلت في صفية بنت حيأت رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فقالت ان النساء يقلن لى يا يهودية بنت يهوديين فقال هلا قلت ان أبى
 هرون وعى موسى وزوجى محمد صلى الله عليه وسلم (ومن لم يتب) أى يرجع عما منى الله عنه
 تخفف على نفسه ما كان شتد عليهم (فأولئك) أى المبعدين من الله تعالى (هم الظالمون) أى
 الغريقون في وضع الاشياء في غير مواضعها وأدغم أبو عمرو والكسائى الباء في القاء واختلف
 عن خـ لاد والباقون بالاظهار (يا أيها الذين آمنوا) أى اعترفوا بالايمان وان كانوا فى أول
 مراتبه (اجتنبوا) أى كفوا أنفسكم أن تتركوا وتبعدوا وتجعلاوا في جانب بعيد عنكم
 (كثير من الظن) أى في الناس وغيرهم واحاطوا في كل ظن ولا تتأدوا معه حتى تجزموا
 بسببه * (تنبيه) * أفهم ذلك ان من الظن ما لا يجنب كما في الاجتماع حيث لا قاطع وكما في ظن
 الخير في الله تعالى في الحديث أنا عند ظن عبدي بي فلا يظن بي الا خيرا بل قد يجب كما في قوله
 تعالى لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقيل نزلت في رجلين اغتابا
 رفيقهما وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا غزا أو سافر ضم الرجل المحتاج الى
 رجلين موسرين يتخدمهما ويتقدم لهما الى المنزل فيهيئ لهما طعاما ويشربهما فضم سلمان
 الفارسي الى رجلين في بعض أسفاره فتقدم سلمان الى المنزل فغلبته عيناه فلم يهيئ لهما أفلا قدما
 قال الله ما صنعت شيئا قال لا غلبتني عيناي قال الله انطلق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطلب
 لنامته طعاما فجاء سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله طعاما فقال له رسول الله صلى
 الله عليه وسلم انطلق الى أسامة بن زيد وقل له ان كان عندك فضل من طعام فليعطك وكان أسامة
 خازن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى رحله فأناه فقال ما عندى شئ فرجع سلمان اليهما

من باب القياس الظاهر لان عرض الانسان أشرف من لحمه ودمه فاذا لم يحسن من العاقل
أكل لحوم الناس لم يحسن منه قرض عرضهم بالطريق الاولى لان ذلك أشد ألما وقوله تعالى
لحم أخيه أكد في المنع لان العدو يحمله الغضب على مضغ لحم العدو وفي قوله تعالى ميتا
اشارة الى دفع وهم وهو ان يقال ان الشتم في الوجه يؤلم فيحرم وأما الاعتباب فلا اطلاع عليه
فلا يؤلم فيقال لحم الاخ وهو ميت أيضا لا يؤلم ومع هذا هو في غاية القبح كما أنه لو اطلع عليه لتألم
فان الميت لو أحسن بأكل لحمه لآلمه وفيه معنى لطيف وهو أن الاعتباب أكل لحم الأدي ميتا
ولا يحل أكله الا للمضطر بقدر الحاجة والمضطر اذا وجد لحم الشاة الميتة ولحم الأدي
فلا يأكل لحم الأدي فكذلك المعتاب اذا وجد لحاجته مدفعا غير الغيبة فلا يباح له الاعتباب
قال مجاهد لما قيل لهم أيجب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا قالوا لا قيل فكم كرهتموه أي
كما كرهتم هذا فاجتنبوا ذكره بالسوء غائبا قال الزجاج تأويله ان ذكر لمن لم يحضر له بسوء
بمنزلة أكل لحمه وهو ميت لا يحس بذلك قال الرازي وفي ضمير فكرهتموه وجوه أظهرها أن يعود
الى الأكل وثانيها أن يعود الى اللحم أي فكرهتم اللحم وثالثها أن يعود الى الميت في قوله
تعالى ميتا تقديره أيجب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا متغيرا فكرهتموه فكانه صفة لقوله ميتا
ويكون فيه زيادة مبالغة في التحذير يعني الميتة ان أكلت في الندرة تستطاب نادرا ولكن
اذا أتت وأروح وتغير لا يؤكل أصلا فكذلك ينبغي أن تكون الغيبة وذلك يحقق الكراهة
ويوجب النفرة الى حد لا يشتهي الانسان أن يسب في بيت فيه ميت فكيف يقرب به بحيث
يأكله وفيه اذا كراهية شديدة وكذلك حال الغيبة وعنه عليه الصلاة والسلام أنه قال
لما عرج بي صريت يقوم لهم أطاير من نحاس يخمشون وجوههم ولحومهم فقلت من هؤلاء
يا جبريل قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم وقال ميمون بن سنان
بينما أنا نائم اذا أنا بجميفة زنجي وقائل يقول لي كل هذا قلت يا عبد الله ولم آكل هذا قال انك
اعتبت عبد فلان قلت والله ماذا كرت فيه خيرا ولا شرا قال ولكنك سمعت ورضيت فكان
ميمون لا يغتاب أحدا ولا يدع أحدا يغتاب عنده وقوله تعالى (وانتقوا الله) أي اجملوا
بينكم وبين الملك الأعظم وقاية بطاعته معطوف على ما تقدم من الاوامر والنواهي أي
اجتنبوا وانتقوا الله (ان الله) أي الملك الأعظم (تواب) أي مكثر للتوبة وهي الرجوع
عن المعصية الى ما كان قبلها من معاملة التائب وان كثر الذنب فلا بأس أحد وان كثرت
ذنوبه وعظمت (رحيم) يزيد على ذلك بأن يكرمه غاية الأكرام (تنبيه) * ختم سبحانه وتعالى
الآيتين بذكر التوبة فقال في الاولى ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون وقال ههنا ان الله تواب
رحيم لكن لما كان الابتداء في الآية الاولى بالنهي في قوله تعالى لا يسخر قوم من قوم ذكر الذنبي
الذي هو قريب من النهي وفي الثانية كان الابتداء بالامر في قوله تعالى اجتنبوا كثيرا فذكر
الاثبات الذي هو قريب من الامر وقوله تعالى (يا أيها الناس) أي كافة المؤمنين وغيره (أنا) أي
على ما لنا من العظمة (خلقناكم) أي أوجدناكم من العدم على ما أنتم عليه من المقادير

(من ذكر وآتى) الآية مبين ومقرر لما تقدم لأن السخرية من الغير وغيبته ان كان ذلك بسبب
غير الدين والايان فلا يجوز لأن الناس بعمومهم كافرهم ومؤمنهم يشتركون فيما يقتر به المقتخر
لأن التكبر والافتخار ان كان بسبب الغنى فالكافر قد يكون غنيا والمؤمن فقيرا وبالعكس
وان كان بسبب النسب فالكافر قد يكون نسبيا والمؤمن مولى وعبدًا أسود وبالعكس فالناس
فيما ليس من الدين والتقوى متساوون ومتقاربون ولا يورثون من ذلك مع عدم التقوى كما قال
تعالى ان أكرمكم عند الله أتقاكم فقوله تعالى يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وآتى أى آدم
وحواء فأنتم متساوون في النسب فلا تفاخر لبعض على بعض لكونهم ابنا رجل واحد وامرأة
واحدة قال ابن عباس نزلت في ثابت بن قيس وقوله للرجل الذي لم يفسح له ابن فلانة فقال
النبي صلى الله عليه وسلم من اذا كرفلانة قال ثابت أنا يا رسول الله فقال انظر في وجوه القوم
فتنظر فقال ما رأيت يا ثابت قال رأيت أبيض وأحمر وأسود قال فانك لا تفضلهم الا في الدين
والتقوى فنزلت هذه الآية ونزل في الذي لم يفسح له يا أيها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا
في المجالس الآية وقال قتادة لما كان فتح مكة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم باللاحق علا
على ظهر الكعبة فأذن فقال عتاب بن أسيد بن أبي العيص الحمد لله الذي قبض أبي حتى لم ير
هذا اليوم وقال الحرث بن هشام أما وجد محمد أغبر من هذا الغراب الاسود مؤذنا وقال
سهيل بن عمرو ان يراد الله شيئا يغيره وقال أبو سفيان اني لا أقول شيئا أخاف أن يخبره به رب
العالمين رب السموات فأتى جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بما قالوه فدعاهم وسألهم
عما قالوا فافقروا فأنزل الله تعالى هذه الآية وزجرهم عن التفاخر بالانساب والتكاثر بالاموال
والازدراء بالفقراء * (تنبيه) * الحكمة في اختيار النسب مع أن غيره من جملة أسباب
التفاخر ولم يذكر الامور التي يقتخر بها في الدنيا وان كانت كثيرة لأن النسب أعلاها لأن المال
قد يحصل للفقير فيبطل افتخار الغنى المقتخر به عليه والسمن والجنس وغير ذلك لا يدوم والنسب
ثابت مستمر غير مقدور التحصيل لمن ليس له ذلك فاختره الله تعالى للذكر وأبطل اعتباره
بالنسبة الى التقوى ليعلم منه بطلان غيره بطريق الاولى (فان قيل) اذا كان ورود الآية
ليمان عدم جواز الافتخار بغير التقوى فما فائدة قوله تعالى انا خلقناكم (أجيب) بأن فائدة
أن كل شيء يترجح على غيره فاما أن يترجح بأمر فيه بلحقه ويرتب عليه بعد وجوده واما أن يترجح
عليه بأمر قبله فالذي بعده كالحسن والقوة وغيرهما من الاوصاف المطلوبة من ذلك الشيء
واما الذي قبله فاما راجع الى أصله الذي وجد فيه أو الى الفاعل الذي أوجده فالاول كقولك
هذا من نحاس وهذا من فضة والثاني كقولك هذا عمل فلان وهذا عمل فلان فقال تعالى
لا ترجع بالنسبة الى فاعلكم لانكم كلكم خلق الله تعالى فان كان عندكم تفاور فهو
بأمر يخص لكم بعد وجودكم وأشرفها التقوى ولما كان تفصيلهم الى فرق كل منها يعترف
به أمر اباهر اعبر فيه بنون العظمة فقال تعالى (وجعلناكم) أى بعظمتنا (شعوبا) جمع شعب
بفتح الشين وهو أعلى طبقات الانسان من ربيعة ومضر والاسوس والخزرج (وقبائل) أى تحت

الشعوب وذلك أن طبقات النسل التي عليها العرب سبعة الشعب والقبيلة والعمارة والبطون
والفخذ والفصيلة والعشيرة وكل واحد يدخل فيما قبله فالقبائل تحت الشعوب
والعمائر تحت القبائل والبطون تحت العمائر والافخاذ تحت البطون والفصائل تحت
الافخاذ والعشائر تحت الفصائل خزاعة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصى بطن وعبد
مناف فخذ وهاشم فصيلة والعباس عشيرة قال البغوي وليس بعد العشيرة حتى يوصف اه
وسمي الشعب شعبا لشعب القبائل منه واجتماعهم به كشعب أغصان الشجرة والشعب من
الاضداد يقال شعب أي جمع ومنه شعب القدرح وشعب أي فزق والقبائل واحدها قبيلة
سميت بذلك لتقابلها شملت بقبائل الرأس وهي قطع متقبلة وقيل الشعوب في العجم
والقبائل في العرب والإسباط في بني إسرائيل وقيل الشعب النسب الابعد والقبيلة الاقرب
والنسبة الى الشعب شعوبية بفتح الشين وهم جيل يغيضون العرب والعمائر واحدها عمارة
بفتح العين والبطون واحدها بطن والفصائل واحدها فصيلة والعشائر واحدها عشيرة
وقال أبو روق الشعوب الذين لا يعترفون الى أحد بل ينتسبون الى المدائن والقرى والقبائل
العرب الذين ينتسبون الى آبائهم ثم ذكر تعالى علة الشعب بقوله تعالى (لتعارفوا) أي
ليعرف الانسان من يقاربه في النسب ليصل من رحمه ما يحق له لالتفاخر (ان أنكر مكتم)
أي المتفاخرون (عند الله) أي الملك الذي لأمره لا حدم معه ولا كريم الا من أخبركم بكرمه
ولا كمال لاحد سواه (أنعام) أي أرفعكم منزلة عند الله أنعام قال قتادة في هذه الآية
أكرم الكرم التقوى وألأم اللوم الفجور وقال عليه الصلاة والسلام الحسب المال
والكرم التقوى وقال ابن عباس كرم الدنيا الفنى وكرم الآخرة التقوى وعن ابن عمر أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم طاف يوم النخ على راحته يستلم الأركان بمجنته وهو عصا محنية الرأس
فلما خرج لم يجد منا حافظا على أيدي الرجال ثم قام فخطبهم فحمد الله وأثنى عليه فقال الحمد لله
الذي أذهب عنكم عبية الجاهلية يعني كبرها وفخرها الناس رجل تقى كريم على الله وفاجر شقى
هين على الله ثم تلايأى بها الناس أنا خلقناكم من ذكر وأثنى ثم قال أقول قولي هذا واستغفر الله
لى ولكم وعن أبي هريرة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الناس أكرم قال أكرمهم
عند الله أتقاهم قالوا ليس عن هذا نسألك قال فأكرمهم الناس يوسف نبي الله بن نبي الله
ابن نبي الله بن خليل الله قالوا ليس عن هذا نسألك قال فعن معادن العرب تسألوني قالوا نعم
قال خياركم في الجاهلية خياركم في الاسلام اذا فقهوا بضم القاف على المشهور وحكى كسرهما
ومعناه اذا تعلموا أحكام الشرع وقال صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينظر الى صوركم ولكن
ينظر الى قلوبكم قال الرازي في المراتب الآية وجهان الاقل ان التقوى تفيد الاكرام الثاني
ان الاكرام يورث التقوى كما يقال المخلصون على خطر والاقل أشهر والثاني أظهر (فان قيل)
التقوى من الاعمال والعلم أشرف لقوله صلى الله عليه وسلم لفتيه واحد أشد على الشيطان من
ألف عابد (أجيب) بأن التقوى عمرة العلم لقوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فلا تقوى

الا للعالم فالتقى العالم أغر علمه والعالم الذي لا يتقى كشجرة لا تغر لها لكن الشجرة المثمرة أشرف
 من التي لا تثمر بل هي حطب قال الحسن البصري انما النقيمة العامل بعلمه أى وهو المراد من
 قوله صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ومن قوله عز من قائل قل هل يستوى
 الذين يعلمون والذين لا يعلمون (فان قيل) خطاب الناس بقوله تعالى أكرمكم يقتضى اشتراك
 الكل في الاكرام ولا كرامة لكافر فانه أفضل من الانعام (أجيب) بأن ذلك غير لازم مع أنه
 حاصل بدليل قوله تعالى واقد كرمنا بنى آدم لان كل من خلق فقد اعترف بربه ثم من استقر عليه
 وزاد زيد في كرامته ومن رجع عنه أزيل عنه أكثر الكرامة (ان الله) أى المحيط بكل شئ علما
 وقدرة (عليم) أى بالغ العلم بطواهركم يعلم أنسابكم (خبير) أى محيط العلم بواطنكم لا تخفى عليه
 أسراركم فاجعلوا التقوى رداكم ولما قال تعالى ان أكرمكم عند الله أتقاكم والاتقى لا يكون
 الا بعد حصول التقوى وأصله الايمان والاتقاء من الشرك (فالت اعراب) أى أهل
 البادية من بنى أسد وغيرهم الذين هم معدن الغلظة والجفاء (أمناء) أى بجميع ما جئت به
 فامثلتنا ما أمرنا به في هذه السورة ولنا لقب الخالص فحن أشرف من غيرنا من أهل المدر
 (قل) يا أشرف الخلق تكذيب الهم مع مراعاة الادب في عدم التصريح بالتكذيب (لم تؤمنوا)
 أى لم تصدق قلوبكم لانكم لو آمنتم لم نعو الان الايمان التصديق بجميع ما لله من الكمال الذى
 منه انه لو لامنه بالهداية لم يحصل الايمان فله ورسوله الذى كان ذلك على يديه الحق والفضل
 (ولكن قولوا أسلمنا) أى أظهرنا الانقياد في الظاهر لاحكام الظاهرة وأمننا من أن نكون حربا
 للمؤمنين وعونا للمشركين فأخبر الله تعالى ان حقيقة الايمان هو التصديق بالقلب وان الاقرار
 باللسان واطهار شرائعها بالابدان لا يكون ايمانا دون التصديق بالقلب والاخلاص فالاسلام
 هو الدخول في السلم كما يقال أسئت اذا دخل في الشتاء وأصاف اذا دخل في الصيف وأربع
 اذا دخل في الربيع فن الاسلام ما هو طاعة على الحقيقة باللسان والابدان والحنان كقوله
 عز وجل لا يبراهيم أسلم قال أسلمت لرب العالمين ومنه ما هو انقياد باللسان دون القلب وذلك قوله
 تعالى ولكن قولوا أسلمنا (ولما يدخل الايمان) أى المعرفة النافذة لم تدخل الى هذا الوقت
 (في قلوبكم) فلا يبعد اقرار اللسان ايمانا لا بغواطة القلب قال ابن بركان فعموم الناس
 وأكثر أهل الغفلة مسلمون غير مؤمنين وعن سعد بن أبي وقاص قال أعطى رسول الله صلى
 الله عليه وسلم رهطا وأتانا جالس فيهم فترك رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا منهم لم يعطه وهو
 أعجبهم الى فقصت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسار رته فقلت مالك عن فلان والله انى
 لاراه مؤمنا فقال صلى الله عليه وسلم أو مسلمانا كذلك سعد ثلاثا وأجاب به بمثل ذلك ثم قال انى
 لا عطى الرجل وغيره أحب الى منه خشية أن يكب في النار على وجهه وقال الرازى المسلم
 والمؤمن واحد عند أهل السنة فقول الفرق بين العايم والخاص ان الايمان لا يحصل الا بالقلب
 والانقياد قد يحصل بالقلب وقد يحصل باللسان فالاسلام أعم لكن العامة في صورة الخاص
 متحد مع الخاص ولا يكون أمرا آخر غيره مثاله الحيوان في صورة الانسان أمر لا ينقل عن

الانسان فلا يجوز أن يكون ذلك الحيوان حيوانا ولا يكون انسانا فالعام والخاص مختلفان
في العموم متحدان في الوجود وكذلك المؤمن والمسلم وسيأتي زيادة على ذلك في الذاريات
ان شاء الله تعالى وقال الرازي في الآية اشارة الى بيان حال المؤلفة اذا أسلموا ويكون ايمانهم
ضعيفا فيقال لهم لم تؤمنوا لان الايمان ليقان وذلك بعد لم يدخل في قلوبهم وسيدخل باطلاعهم
على محاسن الاسلام انتهى بل الايمان دخل في قلوبهم ولكن لم يتألفوا بأهل الاسلام * (تنبيه) *
التعبير بل ايفهم انهم آمنوا بعد ذلك ويجوز أن يكون المراد بهذا النقيض التمكن في القلب
لانني مطلق الدخول بدليل انما المؤمنون دون انما الذين آمنوا (وان تطيعوا الله) أي الملك
الذي من خالفه لم يأمن عقوبته (ورسوله) أي الذي طاعته من طاعته على ما أنتم عليه من
الامر الظاهر فتؤمن قلوبكم (لا يأتكم) أي لا ينقصكم (من أعمالكم شيئا) بل يعطيكم
ما يليق به من الجزاء لان من جمل الى ملك فأكهة طيبة قدرتها في السوق درهم فأعطاه الملك
درهما انتسب الملك الى الخجل فهو يعطى ما توقعون بأعمالكم وزيادة من غير نقص فلا حاجة
الى اخباركم عن ايمانكم بغير ما يدل عليه من الاقوال والافعال وقرأ الدوري عن أبي عمرو بعد
الياء التحتية بهمزة ساكنة وأبدلها السوسى ألفا والباقيون بغير همز ولا ألف ولما كان
الانسان مبنيا على النقص وان اجتهد غاية اجتهاده قال الله تعالى (ان الله) أي الذي له صفات
الكمال (غفور) أي ستور للنفقات والزلات لمن تاب وصحت نيته ولغيره ان شاء فلا عتاب
ولا عقاب (رحيم) أي يزيد على الاستعظيم الاكرام ثم بين تعالى لهم حقيقة الايمان بقوله
تعالى (انما المؤمنون) أي العريقون في الايمان الذي هو حياة القلوب قال القشيري والقلوب
لا تحيا الا بعد ذبح النفوس والنفوس لا تموت ولكنها تعيش (الذين آمنوا) أي صدقوا
معتقدين بالله معتقدين بجميع ما له من صفات الكمال (ورسوله) شاهدين برسالته وهذا الاثبات
هنا يدل على ان المنفي فيما قبل الكمال المطلق والاقوال تعالى انما الذين آمنوا (ثم لم يرتابوا)
أي لم يشكوا في دينهم وأيقنوا بأن الايمان ايقان * (تنبيه) * ثم للتراخي في الحكاية كأنه يقول
آمنوا ثم أقول شيئا آخر لم يرتابوا ويحتمل أن تكون للتراخي في الفعل أي آمنوا بالله ورسوله
ثم لم يرتابوا فيما نقل النبي صلى الله عليه وسلم من الحشر والنشر (وجاهدوا) أي أوقعوا
الجهاد بكل ما ينبغي أن تجهد النفوس فيه تصديقا لما ادعوه بالسنتهم من الايمان (بأموالهم)
وذلك هو النية وقوله تعالى (وأنفُسهم) أعم من النية وغيره وذلك هو الشجاعة وقدم
الاموال لقلتم عند العرب (في سبيل الله) أي طريق الملك الاعظم يقال الكفار وغيره
من سائر العبادات المحتاجة الى المال والنفس لا الذين يتخلفون ويقولون شغلنا أموالنا
وأهلونا قال القشيري جعل الله تعالى الايمان مشروطا بنحو ما ذكرها وذكره بلفظ انما وهي
للتحقيق يقتضي الطرد والعكس فمن أفرد الايمان عن شرائطه التي جعلها له فردود عليه قوله
(أو لئنك) أي العاقل الرتبة (هم الصادقون) أي في قولهم وفعلهم انهم مؤمنون ولما نزل هاتان
الآيتان أتت الاعراب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحلفون بالله انهم مؤمنون صادقون

وعلم الله منهم غير ذلك قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم (قل) أي لهؤلاء الأعراب مجيئاً
 لهم ومبكراً (أتعلمون الله) أي أتخبرون أخباراً عظمياً الملك الأعظم المحيط بقدرة وعلم (بدينكم)
 أي بقولكم آمناً (والله) أي والحال أن الملك المحيط بكل شيء (يعلم ما في السموات) كلها على
 عظمتها وكثرة ما فيها (وما في الأرض) كذلك (والله) أي الذي له الإحاطة الكاملة (بكل
 شيء) أي عما ذكره وما لم يذكر (عليه) أي لا تخفى عليه خافية وهو تجهيل لهم وتوبيخ (يمنون
 عليكم) أي يذكرون ذكر من اصطنع صنعة وأسدى اليك نعمة (أن أسألو) أي من غير قتال
 بخلاف غيرهم من أسلم بعد قتال منهم ولما كان المن هو القطع من العطاء الذي لا يراد عليه جزاء
 قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم (قل) أي في جواب قولهم هذا (لا تمنوا على إسلامكم) لو
 فرض أنكم كنتم متدينين بدين الإسلام الذي هو انقياد الظاهر مع ادعان الباطن أي
 لا تذكروا الامنان أصلاً لأن الإسلام لا يطلب جزاءه إلا من الله تعالى فلا ينبغي عده صنعة
 على أحد فإن ذلك يفسده (بل الله) أي الملك الأعظم الذي له المنّة على كل موجود ولا منّة
 عليه بوجه (يمن عليكم) أي يذكركم أنه أسدى اليكم نعمته (أن) أي بأن (هداكم للإيمان) أي
 فهو المان عليكم لأنتم عليه وعلى (فان قيل) كيف منّ عليهم بالهداية إلى الإيمان مع أنه تبين
 أنهم لم يؤمنوا (أجيب) بأوجه أحدها أنه تعالى لم يقل بل الله يمن عليكم أن رزقكم الإيمان بل
 قال أن هداكم للإيمان ثانياً أنه تعالى منّ عليهم بما رزقوا فكانت نعمة تعالى قال أنتم قلتم أسأف ذلك
 نعمة في حقكم حيث تخلصتم من النار فقال تعالى هداكم في رزقكم ولهذا قال تعالى (إن كنتم
 صادقين) أي في قولكم آمناً فإنه على تقدير الصدق أنما هو توفيق الله تعالى وهو الذي خلق لكم
 قدرة الطاعة فهو الفاعل في الحقيقة فله المنّة عليكم قال القشيري من لاحظ شيئاً من أحواله
 فإن رآه من نفسه كان مشركاً وإن رآه لنفسه كان مكرماً فكيف بمن العبد بما هو شركاً أو
 مكرماً والذي يجب عليه قبول المنّة كيف يرى لنفسه على غيره منة هذا العمرى فضيحة والمنّة
 تذكر الصنعة إذا كانت من المخلوقين وبالمنّة تطيب النعمة إذا كانت من قبل الله تعالى (إن
 الله) أي المحيط بكل شيء بقدرة وعلم (يعلم غيب السموات) أي ما غاب فيها كلها (والأرض)
 كذلك ولما أريد التعميم من غير تقييد بالخافقين أظهر ولم يضر قوله تعالى (والله) أي الذي
 له الإحاطة بذلك وبغيره مما لا تعلمون (بصير) أي عالم أتم العلم (بما تعملون) أي من ظاهر
 إسلامكم في الماضي والحاضر والآتي سواء أكان ظاهراً أم باطناً سواء أكان قد حدث
 فصار بحيث تعلمونه أنتم أو كان مغروراً في جملاتكم وهو خفي عنكم وقرأ ابن كثير بالياء
 النخبة على الغيبة نظر القول تعالى يمنون وما بعده والباقون بالفوقية على الخطاب نظراً إلى
 قوله تعالى لا تمنوا على إسلامكم إلى آخره وفي هذه الآية إشارة إلى أنه يبصر أعمال جوارحكم
 الظاهرة والباطنة لا يخفى عليه شيء وما رواه البيضاوي تعالى لم يخش من أنه صلى الله عليه
 وسلم قال من قرأ سورة الجرات أعطى من الأجر بعدد من أطاع الله وعصاه حديث موضوع

﴿سورة ق مكية﴾

الاقوله تعالى ولقد خلقنا السموات والارض الانية قدنية وهى خمس وأربعون آية
وثلاثة وسبع وخسون كلمة وألف وأربعمائة وأربعة وتسعون حرفا

(بسم الله) أى الذى أحاط علمه بجميع خلقه العاكف منهم والبادى (الرحمن) أى الذى عم خلقه
برحمته حين أرسل اليهم بشرا نعه أصدق العباد (الرحيم) أى الذى خص بالفوز فى دار القرار
أهل الرشاد واختلف فى تفسير قوله عز من قائل (ق) فقال ابن عباس هو قسم وقيل هو اسم
للسورة وقيل اسم من أسماء القرآن وقال القرطبي هو مفتاح اسمه قدیر وقادر وقاهر وقريب
وقايب وقال عكرمة والفضائل خروج جبل محيط بالارض من زمردة خضراء ومنه خضرة السماء
والسماء مقببة عليه وعليه كنفها ويقال هو وراء الجباب الذى تغيب الشمس من وراءه بمسيرة
سنة وقيل متصلة عروقه بالصخرة التى عليها الارض والسماء كهيئة القببة وعليه كنفها
قال الرازى وهذا القول ضعيف لوجوه أحدها أن أكثر القراء يثقف عليها ولو كان اسم جبل
لما جاز الوقف فى الادراج لأن من قال ذلك قال ان الله تعالى أقسم به نائبا لأنه لو كان كما ذكر لكان
يكتب قاف مع الالف والفاء كما يكتب عين جارية ويكتب أليس الله بكاف عبده وفى جميع
المصاحف تدب حرف ق ثالثها ان الظاهر كون الامر فيه كالامر فى ص ون وحم وهى
حروف لا كلمات فكذلك فى ق (فان قيل) هو منقول عن ابن عباس (نقول) المنقول عنه ان
القاف اسم جبل وامان المراد ههنا ذلك فلا اه وقيل معناه قضى الامر وقضى ما هو كائن كما
قالوا فى حم وفى ص صدق الله قال الرازى وقد ذكرنا أن الحروف تنبيهات قدمت على القرآن
ليكون السامع بسببها يقبل على استماع ما يرد على الاسماع فلا يقوته شئ من الكلام الرائق
والمعنى الفائق وذكرنا أيضا ان العبادة منها قلبية ومنها لسانية ومنها جارية ظاهرة ووجد
فى الجارية ما عقل معناه ووجد فيها ما لم يعقل معناه كاعمال الحج من الرى والسج وغيرهما
ووجد فى القلبية ما عقل بالدليل وعلم كالتوحيد واسكان الحشر وصفات الله تعالى وصدق
الرسول ووجد فيها ما لم يعقل ولا يمكن التصديق به لولا السمع كالصراط الممدود الا حذ من
السيف الارق من الشعر والميزان الذى توزن به الاعمال فكذلك ينبغى أن تكون الاذكار
التي هى العبادة اللسانية فيها ما يعقل معناه بجميع القرآن الا قليلا منه وفيها ما لا يعقل ولا
يفهم كحروف التهجي ليكون التلفظ به محض الانقياد للامر لا لما يكون فى الكلام من طيب
الحكاية والقصد الى غرض كقولك ربنا اغفر لنا وارحمنا بل يكون النطق به تبعدا ومحضاً ويؤيد
هذا وجه آخر وهو ان هذه الحروف مقسم بها الا ان الله تعالى لما أقسم بالتين والزيتون كان
تشرى بقالهما فاذا أقسم بالحروف التى هى أصل الكلام الشريف الذى هو دليل المعرفة وآلة
التعريف كان أولى واذا عرفت هذا فنتقول القسم من الله تعالى وقع بأمر واحد كافى قوله
تعالى والعصر وقوله تعالى والنجم وبحرف واحد كافى قوله تعالى ص ون ووقع بأمرين كما
فى قوله تعالى والضحى والليل وفى قوله تعالى والسماء والطارق وبحرفين كما قال فى قوله تعالى

قوله كما قالوا فى حم الخ عبارة فى سورة القم وقال الضحاك والكسائي معناه قضى ما هو كائن كما نرى ما أشار الى أن معنى حم حم بضم الحاء

طه وطس رحم ووقع بثلاثة أمور كما في قوله تعالى والصابغات فالزاجرات فالتاليات وقوله
 تعالى والسماء ذات البروج واليوم الموعود وشاهد مشهود وثلاثة أحرف كما في قوله تعالى
 الم وطس الم ووقع بأربعة أمور كما في قوله تعالى والذاريات فالحمالات فالجاريات
 فالمتسميات وفي قوله تعالى والنبين والزيوتون وطور سينين وهذا البلد الامين وبأربعة أحرف
 كما في قوله تعالى المص والمر ووقع بخمسة أمور كما في قوله تعالى والطور وكاب مسطور
 والبيت المعمور والسقف المرفوع والبحر المسجور وفي قوله تعالى والمرسلات فالعاصمات
 والناشرات فالشارقات فالملقيات وفي النازعات وفي النجر وبخمسة أحرف كما في قوله تعالى
 كهيعص وحم عسق ولم يقسم بأكثر من خمسة أشياء الا في سورة واحدة وهي الشمس
 وضحاها ولما أقسم بالاشياء المعهودة ذكر حرف القسم وهو الواو فقال والطور والنجم
 والشمس وعند القسم بالحروف لم يذكر حرف القسم فلم يقل وحم وق لان القسم لما كان
 بنفس الحروف كان الحرف مقسما به فلم يورده في موضع كونه آلة القسم تسوية بين
 الحرف وغيره ولم يدخل القسم بالحروف في أثناء السورة لانه يحل بالنظم وقوله تعالى (والقرآن)
 أي الكتاب الجامع الفارق (الجميد) أي الذي له العلو والشرف والكرم والعظمة على
 كل كلام قسم وفي جوابه أوجه أحدها قوله تعالى قد علمنا ما تنقص الارض منهم ثانيا
 ما سدل القول لدى ثالثها ما يلفظ من قول رابعها أن في ذلك لذكرى خامسها بل عجبوا وهو
 قول كوفي قالوا لان معناه قد عجبوا سادسها انه محذوف قدره الزجاج والمبرد والاختفش
 لتبعين وغيرهم لقد جاءكم منذر وقدره الجلال المحلى بقوله ما آمن كفار مكة بمحمد صلى الله عليه
 وسلم (تنبيه) جوابات القسم سبعة أن المشددة كقوله تعالى والعصران الانسان لني خسر
 وما النافية كقوله تعالى والضحي والليل اذا سمعي ما ودعك ربك واللام المفتوحة كقوله
 تعالى فو ربك لتسألنهم أجعين وان انخيفة كقوله تعالى تالله ان كآتي ضلال مبين والنافية
 كقوله تعالى وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت وقد كقوله تعالى والشمس
 وضحاها قد أفلح من زكاه وبلى كقوله تعالى والقرآن الجميد (بلى) أي ان تكذيبهم ليس لانكار
 شيء من مجده ولا انكار صدق بلى لانهم (عجبوا) أي الكفار وأضرهم قبل الذكر اشارة الى
 أنه اذا ذكر شيء خارج عن سنن الاستقامة انصرف اليهم والعجب تغير النفس لامر خارج عن
 العادة (ان جاءهم منذر منهم) أي رسول من أنفسهم يخوفهم بالنار بعد البعث واقتصر على
 الانذار لان المقام لتخويف من قدم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم أو من عليه باسلام
 أو غيره ولتخويف من أنكر البعث والعجب منهم هو العجب لان العادة عندهم وعند جميع الناس
 انه اذا كان النذير منهم لم يداخلهم في انذاره شك بوجه من الوجود وهو لا خالفوا إعادة الناس
 في تعجبهم من كون النذير وهو أحدهم خص بالرسالة دونهم ولم يدركوا وجه الخصوصية لكونه
 مثلهم فلذلك أنكروا رسالته وفضل كتابه بأنفتهم تعاندا وحسد الانهم كانوا معتقدين بخصائصة
 التي رفعه الله تعالى به عليهم قبل الرسالة فخطهم بحجهم ذلك الى الحضيض من دركات السند

وخفة الاحلام لانهم يحبوا أن كان الرسول بشرا وأوجبوا أن يكون الإله حجرا وعجبوا أن
 يعادوا من تراب لم يكن له أصل في الحياة ولذلك سبب عنه قوله تعالى (فقال) أي بسبب انذاره
 بالبعث (الكافرون) وصرح به في موضع الاضمار ايدانا بأنهم لم يخف عليهم شيء من أمره
 ولكنهم ستروا وتعديا برأى عقولهم الدالة على جميع أمره دلالة ظاهرة وعبر بمادل على النذارة
 لانها المقصود الاعظم من هذه السورة وجميع سياق الحجرات ظاهر فيها (هذا) أي كون
 النذير منا خصص بالرسالة من دوننا وكون ما نذره هو البعث بعد الموت (شيء عجيب) أي
 بليغ في الخروج عن عادة اشكاله وقد كذبوا في ذلك أمام من جهة النذير فان أكثر الرسل من
 الطوائف الذين أرسلوا اليهم وقليل منهم من كان غريبا من أرسل اليه وأما من جهة البعث
 فان أكثر ما في الكون مثل ذلك من إعادة كل من الملوين بعد دهباه وحياء الارض بعد
 موتها وإخراج النبات والاشجار والثمار وغير ذلك مما هو ظاهر جدا ولما كان المتعجب منه
 مجملا أوضحه بقوله تعالى حكاية عنهم مبالغين في الانكار باقتراح انكارهم باستفهام انكارى
 (أئذا متنا) ففارق أرواحنا أبداننا (وكنا ترابا) لافرق بينه وبين تراب الارض ولما كان
 العامل في النظر ما تقديره نرجع دل عليه بقوله تعالى دالا بالاشارة بأداة البعد الى عظيم
 استبعادهم (ذلك) أي الامر الذي في غاية البعد وهو مضمون الخبر يرجوعنا (رجع) أي ردة
 الى ما كان عليه (بعيد) جدا لانه لا يمكن تغييرا بنا من بقية التراب وقرأ قالون وأبو عمرو بتشهيل
 الهمزة الثانية وهي المكسورة وإدخال ألف بينهما وبين الهمزة الاولى المقصورة وقرأ أورش
 وابن كثير بتشهيل الثانية من غير ادخال وقرأ الباقر بتحقيقهما وأدخل هشام بينهما ألفا
 بخلاف عنه والباقر غير ادخال وكسر الميم من متنا نافع وحفص وحزرة والكسائي والباقر
 بالضم وقوله تعالى (قد علمنا) أي بما لنا من العظمة (ما تنقص الارض منهم) أي تأكل من
 أجزائهم المتحالة من أبدانهم بعد الموت وقبله ردة لاستبعادهم لأن من لطف علمه حتى تغفل الى
 ما تنقص الارض من أجزاء الموتي وتأكله من لحومهم وعظامهم كان قادرا على رجوعهم أحياء
 كما كانوا وعنه عليه الصلاة والسلام كل ابن آدم يلى الا عجب الذنب وعن السدى ما تنقص
 الارض منهم من يموت منهم ومن يبقى وهذه الآية تدل على جواز البعث وقدرته تعالى عليه لأن
 الله تعالى عالم باجزاء كل واحد من الموتي لا يشبه عليه جزء واحد يجزء الاخر قادر على الجمع
 والتأليف فليس الرجوع منه بعيد وهذا كقوله تعالى وهو الخلاق العليم حيث جعل للعالم
 مدخلا في إعادة وهذا جواب ما كانوا يقولون أئذا ضللتنا في الارض أي انه تعالى كما يعلم
 أجزائهم يعلم أعماهم فيرجعهم ويعيدهم كما كانوا يقولون وبما كانوا يعملون (وعندنا)
 أي على ما لنا من الغنى عن كل شيء (كتاب) أي جامع لكل شيء (حفيظ) أي بالغ في الحفظ
 لا يشذ عنه شيء من الاشياء جل أودق وقيل محفوظ من الشياطين ومن أن يندرس أو يغير وعلى
 الحالين الحفيظ هو اللوح المحفوظ قال الرازي والإقول هو الاصح لأن الحفيظ بمعنى الحافظ وارد
 في القرآن قال الله تعالى وما أنت عليهم بحفيظ وقال تعالى حفيظ عليهم ولأن الكتاب للتخيل

ومعناه العلم عندى كما يكون في الكتاب فهو يحفظ الاشياء وهو مستغن عن أن يحفظ وقوله تعالى (بل كذبوا بالحق) أى الامر الثابت الذى لا أثبت منه اضراب بان قال الزمخشري اضراب اتبع للاضراب الاول للدلالة على انهم جاؤا بما هو أقطع من تعجبهم وهو التكذيب بالحق (لما) أى حين (جاءهم) أى لما ناء عندهم من أجل تعجبهم من ارسال رسولهم من حظوظ النفوس حسد امنهم من غير تأمل لما قالوه ولا تدبر ولا نظرفيه ولا تذكر فلذلك قالوا لا يعقل من أن من قدر على إيجاد شئ من العدم وابدائه لا يقدر على اعادته بعد اعدامه له (فهم) أى لاجل مبادرتهم الى هذا القول السفساف (فى امر حرج) أى مضطرب جداً مختلط من المرجح الذى هو اختلاط الذنب بالانواع المختلفة فهم تارة يقولون سحر وتارة كهانة وتارة شعرو تارة كذب وتارة غير ذلك لا يثبتون على شئ واحد والاضطراب موجب للاختلاف وذلك أدل دليل على الباطل كما أن الثبات والخلوص موجب للاتفاق وذلك أدل دليل على الحقيقة قال الحسن مارتل قوم الحق الامر حرج أمرهم وكذا قال قتادة وزاد والتبس عليهم دينهم ثم ذكر تعالى الدليل الذى يدفع قوله هم ذلك رجع بعيد بقوله تعالى (أفلم ينظروا) أى بعين البصر والبصيرة (الى السماء) أى المحيطة بهم (فوقهم) فان غيرها انما هو فوق ناس منهم لافوق الكل (كف بيناها) أى اوجدناها على ما لنا من المجد والعز مبنية كالخيمة الانهم من غير عمد (وبيناها) أى بما فيها من الكواكب النجرات والصغار السيارة والثابتة (وما) أى والحال ان ما (لها) وأى كد النبي بقوله تعالى (من فروج) أى فتوق وطافات وشقوق بل هى ملاءمة ملاصقة الاجزاء (والارض) أى المحيطة بهم التى هم عليها (مددناها) أى بسطناها بما لنا من العظمة (والقينا) أى بعظمنا (فيها رواسى) أى جبالاً ثوابت كانت سبباً لثباتها وطافت عادة المراسى فى أنفاس من فوق والمراسى التى تعالجونها أنتم من تحت (وأبناها) أى بما لنا من العظمة (فيها) أى الارض وعظم قدرته بالتبعض فقال تعالى (من كل زوج) أى صنف من النبات تراوحت اشكاله (بهم) أى هى فى غاية الرنق والاعجاب فكان مع كونه رزقا منبترها (تبصرة) أى جعلنا هذه الاشياء كلها لاجل أن تنظروا بأبصاركم وتتفكروا ويصائركم فتعبروا منها الى صانعها فتعلموا ما له من العظمة (وذكرى) أى ولتذكروا بها تذكروا عظيم ما لكم من القوى والقدرة فتعلموا بجزركم عن كل شئ من ذلك ان صانعها لا يجزه شئ وأنه محيط بجميع صفات الكمال وقرأ أبو عمرو وجزرة والنكسائى بالامالة المخسنة وقرأ أورش بالامالة بين بين والباقون بالفتح (تنبيه) * قال الرازى يحتمل أن يكون الامر ان عائدتين الى السماء والارض أى خلقى السماء تبصرة وخلقى الارض ذكرى ويدل على ذلك ان السماء وزينتها غير مستحبة فى كل عام فهى كالشئ المرفى على عمر الزمان وأما الارض فهى كل سنة تأخذ زينتها وزخرفها فتذكر فبالسما تبصرة والارض تذكرة ويحتمل أن يكون كل واحد من الامرين موجودا فى كل واحد من الامرين فالسما تبصرة وتذكر والارض كذلك والفرق بين التذكرة والتبصرة هو أن فيها آيات مستمرة منصوبة فى مقابلة البصائر وآيات متجددة مذكرة عند التناسى (لكل عبد) أى

لتبصر وتذكر كل عبد جماله من النقص وبجادل عليه هذا الصنع من السكال أنه عبد مرئوب
 لصانعه (متنب) أي رجع عما حظه اليه طبعه الى ما يعلبه عليه عقله فيرجع من شهود هذه
 الافعال الى شهود الصفات الى علم الذات ثم ذكر تعالى دليلا بقوله تعالى (وزلنا من السماء)
 أي الحمل العالي الذي لا يمسك فيه الماء عن دوام التقاطر الا بقاهر (ماء) أي شيا فشيأ في أوقات
 وعلى سبيل التقاطر ولو لا عظمتنا التي لا تضاهي لغلب جماله من الثقل والميوع والنفوذ فقل
 دفعة واحدة فأهلك ما نزل عليه فزال المسرة وعادت المنفعة مضرة (مباركا) أي نافع عاجدا
 كثير البركة وفيه حياة كل شيء وهو المطر فيكون الاستدلال بالسماء والارض وما بينهما وهو
 انزال الماء من فوق واخراج النبات من تحت (فأنبثنا) أي بما لنا من القدرة الباهرة (به جنات)
 من الشجر والتمر والبرقع والريحان وغيره مما تجمعه البساتين فنجن أي نستتر الداخل فيها
 (وحب الحصيد) أي النجم الذي من شأنه أنه يحصد كالبز والشعر ونحوهما وقوله تعالى
 (والنخل) منصوب عطفا على مفعول أنبتنا أي وأنبثنا النخل وقوله تعالى (باسقات) أي طوالا
 حال مقدرة لانها وقت الانبات لم تكن طوالا والبسوق الطول يقال بسق فلان على أصحابه أي
 طال عليهم في الفضل ومنه قول ابن نوفل في ابن هبيرة

يا ابن الذين يمجدهم * بسقتهم قيس فزاره

وهو استعارة والاصل استعمله في بسقت النخل تنسيقا بسوقا أي طالت قال الشاعر

لنا خير وليست بخير كرم * ولكن من نتاج الباسقات

كرام في السماء ذهبن طولا * وفات غمارها أيدي الجناة

وبسقت الشاة ولدت وأبسقت الناقة وقع في ضرعها اللبن قبل النتاج وقال سعيد بن جبيرة
 باسقات مستويات وأفردها بالذ كلفرط ارتفاعها (لها طلع) يجوز أن تكون الجملة حالا من النخل
 أو من الضمير في باسقات ويجوز أن يكون الحال وحدها وطلع فاعل به وقوله تعالى (نضيد)
 بمعنى منضود بعضها فوق بعض في اكمامها كما في سنبلة الزرع وهو عيب فان الاشجار الطوال
 غمارها بارزة بعضها على بعض لكل واحدة منها أصل يخرج منه كالخوز والوزر الطلع كالسنبلة
 الواحدة تكون على أصل واحد وقوله تعالى (رزقا) يجوز أن يكون حالا أي مرزوقا (للعباد)
 ويجوز أن يكون مفعولا له والعباد اما نصفة واما متعلق بالمصدر (فان قيل) ما الحكمة في قوله
 تعالى عند ذكر خلق السماء والارض تبصرة وذكرى وفي التمار قال رزقا والتمار أيضا فيها تبصرة
 وفي السماء والارض أيضا منفعة غير التبصرة والتذكرة (أجيب) بان الاستدلال وقع لوجود
 أمرين أحدهما الاعادة والثاني البقاء بعد الاعادة فان النبي صلى الله عليه وسلم كان يخبرهم
 بخبره وجمع يكون بعده الثواب الدائم والعقاب الدائم وأنكر واذك فقال أما الاول فالله القادر
 على خلق السموات والارض قادر على خلق الخلق بعد القناء واما الثاني فلا في البقاء في الدنيا
 بالرزق والقادر على اخراج الارزاق من النخل والشجر قادر على أن يرزق بعد الحشر فكان الاول
 تبصرة وتذكير بالخلق والثاني تذكرة بالبقاء والرزق ويدل على هذا الفصل بينهما بقوله تعالى

تبصرة وذكري حيث ذكر ذلك بين الاتيين ثم بدأ بذكر الماء وانزاله وابيات النبات * (تنبيه) *
 لم يقيد هنا العباد بالانابة وقيد في قوله تعالى تبصرة وذكري لكل عبد منيب لان التذكيرة
 لا تكون الا للمنيب والرزق يعنى كل احد غير ان المنيب يأكل ذاكرا وشاكر الانعام وغيره يا كل
 كائنا كل الانعام فلم يخص بقيد ولما كان في ذلك اعظم مذكر للبصرا بالبعث وبجميع صفات
 الكمال اتبعه ما له من التذكير بالبعث بخصوصه فقال تعالى (وأحيينا به) أى الماء بعظمنا
 (بلدة) ومعها بالتأنيث اشارة الى انها في غاية الضعف والحاجة الى النبات والخلوق عنه وذكر
 (ميتا) للزيادة في تقرير يمكن الحاجة فيها وجل على معنى المكان (فان قيل) ما الفرق بين هذا
 الموضع وبين قوله تعالى وآية لهم الارض الميتة حيث أثبت الهاء هناك (أجيب) بأن الأصل
 في الارض الوصف فقال الميتة لان معنى الفاعلية ظاهر هناك والبلدة الأصل فيها الحياة لان
 الارض اذا صارت حية صارت آهلة وأقام بها القوم وعمرها فصارت بلدة فأسقط التاء لان
 معنى الفاعلية غير ظاهر فتثبت فيه الهاء واذا كان معنى الفاعل لم يظهر لا ثبت فيه الهاء وبحقيق
 هذا القول قوله تعالى بلدة طيبة حيث أثبت الهاء حيث ظهر معنى الفاعل ولم يثبت حيث لم يظهر
 (كذلك) أى مثل الانحراج العظيم (الخروج) من قبورهم على ما كانوا عليه في الدنيا اذ لا فرق بين
 خروج النبات بعد ما تم شمس وتفتت في الارض وصارت رابا كما كان من بين أصفره وأبيضه وأحمره
 وأزرقه الى غير ذلك وبين انحراج ما نفقت من الموتى كما كانوا في الدنيا * (تنبيه) * قال أبو حيان
 ذكر تعالى في السماء ثلاثة البناء والتزيين ونفي الفروج وفي الارض ثلاثة المسد والقاء الرواسي
 والانبات فقابل المذبذبة لان المذبذبة والبناء ورفع والقاء الرواسي بالتزيين بالكواكب لا تركاب
 كل واحد منها أى على سطح ما عوفيه والانبات المترتب على الشق باستقاء الفروج فلا شق فيها
 ونبه فيما يتعلق به الانبات على ما يقطف كل سنة ويبقى أصله وما يزرع كل سنة أو سنتين ويقطف كل
 سنة وعلى ما يختلط من جنسين فبعض الثمار فاكهة لا قوت وأكثر الزرع قوت والتمر فاكهة
 وقوت وقوله تعالى (كذب قبله هم) الآية فيه تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتنبيه بأن حاله
 تكال من تقدمه من الرسل كذبوا وصبروا فأذلك الله تعالى مكذبينهم ونصرهم ولما لم يكن لهؤلاء
 المكذبين شهرة يعرفون بها قال تعالى (قوم نوح) الذين كان آخر أمرهم أنه التقي عليهم الما أن
 نزل عليهم ماء السماء وطلع عليهم ماء الارض فأغرقهم ووسم القمل بالآء اشارة الى هوانهم
 في جنب هذا المجد وأسقط الجار من قوله تعالى قبلهم اشارة الى أن هؤلاء الاخراب لقوتهم
 وكنتهم كانوا أهل الارض قد استغرقوا مكانها وزمانها ثم اتبع قوم نوح بمشابهتهم بقوله تعالى
 (وأصحاب الرس) أى البئر كانوا مقيمين عليها عواشيمهم يعبدون الاصنام ونبيهم قيل حنظلة
 ابن صفوان وقيل غيره فحسفت تلك البئر مع ما حولها فذهبت بهم وبكل ما لهم كما ذكرت قصتهم
 في الفرقان ثم اتبع أصحاب الرمن يقوم صالح عليه السلام فقال تعالى (وعود) لان الرجفة التي
 أخذتهم منبداً أنلسف ثم اتبع عود يقوم هود عليه السلام فقال تعالى (وعاد) لان الریح التي
 أهلكتهم أثرت بها صيحة عود وقال تعالى (وفرعون) ولم يقل قوم فرعون لانه ليس في قادة هذه

الفرق كافر وغيره والنص عليه يفهم عظمتة وأنه استخف قومه فأطاعوه (واخوان لوط) أى
اصهاره الذين صار بينه وبينهم مع المصاهرة المناصرة بملوكهم على من قاراهم بنفسه وعنه خليل الله
ابراهيم عليه السلام ومع ذلك عاملوه بالخيانة والتكذيب (وأصحاب الايكة) أى الغيضة
وهم قوم شعيب والغريزة الشجر الملتف بعضه على بعض ولما كان تبع الجبرى واسمه سعد
وكنته أبو كرب مع كونه فى قومه ملكا فاهرا وخالفوه مع ذلك وكان لقومه نار فى بلادهم
يتحاجون اليها فأتوا كل الظالم ختم بهم فقال تعالى (وقوم تبع) مع كونه ملكا وهو يدعوههم الى
الله تعالى فلا يظن أن التكذيب مخصوص بمن كان قويا لمن كان مستضعفا بل هو واقع بمن شئت
من قوى وضعيف لا يخرج شئ عن مرادنا (كل) أى من هذه الفرق (كذب الرسل) أى كلهم
تكذيب رسولهم فان الكل متساوون فيما يوجب الايمان من اظهار المعجز والدعاء الى الله
تعالى (حقى) أى فبسبب عن تكذيبهم لهم أن ثبت عليهم ووجب (وعند) أى الذى كانوا
يكذبون به عند انذارهم لهم اياه فجعلنا لهم منه فى الدنيا ما حكمنا به عليهم فى الازل فأهلكناهم
اهلا كاعاما كاهلا لنفس واحدة على أنحاء مختلفة كما هو مشهور وعند من له بامثاله عناية واتعناه
ما هو فى البرزخ وآخرنا ما هو فى القيامة الى يوم البعث فثبت باهلا كآلهم على تنافى ديارهم وتباعد
أعصارهم وكثرة أعدادهم أن لنا الا حاطة البالغة فقتل باخوانك المرسلين وتأس بهم ولا يحذر
قومك ما حل عن كذبهم ان أصبروا (أفعمينا بالخلق) أى أحصل لنا مع ما لنا من العظمة
الاعياء وهو العجز بسبب الخلق فى شئ من ايجادهم أو اعدامهم (الاول) أى من السموات
والارض وما بينهما حين ابتدأنا اختراعنا من العدم ومن خلق الانسان وسائر الحيوان مجتدا
فى كل أوان فى الأطوار المشاهدة على هذه التدرجات المعتادة بعد أن خلقنا أصله على ذلك
الوجه مما ليس له أصل فى الحياة ومن اعدامه بعد خلقه جملة كهذه الامم وتدرجيا كغيرهم
(بل هم فى لبس) أى شك شديد وشبهة موجبة للتكلم بكلام مختلط لا يعقل له معنى بل السكوت
عنه أجهل (من) أى لاجل (خلق جديد) أى بالاعادة ولما ذكر الخالقين أتبعه خلق ما هو
جامع لجميع ما هو فيه ما قال تعالى (ولقد) أى والحال أنا قد (خلقنا) أى بما لنا من العظمة
(الانسان) وهو أعجب خلقا وأجمع من جميع ما مضى ذكره بما فيه من الانس والطفين والذكر
والنسيان والجهل والعرفان والطاعة والعصيان وغير ذلك من عجيب الشأن وكنايته من جنودنا
من يحفظه فيضبط حركانه وسكانه وبسبع أحواله (وقوله) والحال أنا نعلم بما لنا من الاحاطة
(ما تيسوس) أى تمكلم على وجه الخفاء (به) أى الآن وفيما بعد ذلك (نفسه) مما لم يتقدح بعد من
خزان الغيب الى سر النفس كما علمنا تمكلم نفسه وهى الخواطر التى تعرض له حق أنه هو ربنا عز
عن ضبطها فمن نعلم أن قلوبهم عالمة بقدرتنا على أكمل ما تريد وبهجة القرآن وبهجة وصف
الرسول به صلى الله عليه وسلم وامتيازهم الحسد والتفاقة والكبر والرياسة على
الانكار باللسان حتى صار لهم ذلك خلقا وعنادا فيه حتى غطى على عقولهم فصاروا فى لبس محيط
بهم من جميع الجوانب (وفحن) أى بما لنا من العظمة (أقرب اليه) أى قرب علم وشهود من غير

مسافة (من جبل الوريد) لأن أبعاضه وأجزائه يحجب بعضها بعضا ولا يحجب علم الله تعالى شئ والوريدان عرقان مكتنفان يصفحتي العنق في مقدمهما متصلان من الرأس الى الوتين وهو عرق متصل بالقلب اذا قطع مات صاحبه وهذا مثل في فطر القرب واضافته مثل مسجد الجامع أى جبل العرق الوريد أولان الجبل أعم فأضيف للبيان نحو بر ساقية أو يراد جبل العاتق وأضيف الى الوريد كما يضاف الى العاتق لانهما في عضو واحد وقال الغوى جبل الوريد عرق الفرق وهو عرق بين الخقوم والعلباوين يتفرق في البدن والجبل هو الوريد فأضيف الى نفسه لاختلاف اللفظين قال القشيري وفي هذه الآية هيبه وفزع وخوف لقوم وروح وأنس وسكون قلب اقوم وقوله تعالى (اذ يتلقى) ظرف لاقرب ويجوز أن يكون منصوبا باذ كراذ يتلقى أى بغاية الاجتماع والمراقبة والمراماة من ككل انسان خلقناه وأبرزناه الى هذا الوجود (المتلقين) أى المملكان الموكلان بعمل الانسان ومنطقه يحفظانه ويكتبانه حال كونهما (عن اليمين) لكل انسان (وعن الشمال) أى أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله فالذى عن اليمين يكتب الحسنات والذى عن الشمال يكتب السيئات وقوله تعالى (قعيد) أى قاعدان مبتدأ وخبره ما قبله لأن زعمنا يطلق على الواحد والمتعدد كقوله تعالى بعد ذلك ظهير قال ابن عادل والاجود أن يدعى حذف اما من الاول أى عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد واما من الثانى فيكون قعيدا الملقوظ به للاول ومثله قوله رماى بأمر كنت منه والذى * بريأ ومن أجل الطوى رماى وقال مجاهد القعيد المرصد ونحن أعلم منهما وأقرب وانما استخفناهما لاقامة الحجتهما على مجارى عاد اتكنم وغير ذلك من الحكم (ما يلفظ) أى يرمى ويخرج المكلف من فيه وعنه فى النفي بقوله تعالى (من قول) جل أو قل (الالديه) أى الانسان أو القول على هيئة من القدرة والعظمة من أغرب المستغرب (رفيع) من حفظنا شديد المراجعة فى كل من أحواله (عبيد) أى حاضر مراقب غير غافل بوجه قال الجلال المحلى وكل منهما معنى المنى أى رقيبان عبيدان روى أبو أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيئات على يسار الرجل وكاتب الحسنات أمين على كاتب السيئات فاذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين عشرة اواذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح أو يستغفر * (تنبيه) * اختلف فيما يكتبان فقال مجاهد يكتبان عليه حتى آتته فى مرضه وقال عكرمة لا يكتبان الا ما يوجب عليه أو يوزر فيه * (فائدتان) * احدهما قال الحسن ان الملائكة يجتنبون الانسان عند حالتيه عند غائطه وعند جماعه الثانية قال الضحاك جلسهما تحت الشعر على الحنك ومثله عن الحسن وكان الحسن يعجبه أن يتلف عنقه (وجاءت) أى أتت وحضرت (سكرة الموت) أى حاله عند النزع وشدة وغمرته يصير المريض بها كالسكران لا يعي وتخرج بها أقواله وأفعاله عن قانون الاعتدال مجيأ ملتبسا (بالحق) أى الامر الثابت الذى يطابقه الواقع فلا حيلة فى الاحتراس منه وقيل للميت بلسان الحال ان لم يكن بلسان المقال (ذلك) أى هذا الامر العظيم العالى الرتبة الذى يحق لكل أحد الاعتماد له بغاية الجهد (ما) أى الامر الذى (كنت) أى جدلة

وطبعا (منه محمد) أي غيل وتنفر وتزوغ وتهرب * (تنبيه) * قيل الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم قال الرازي وهو منكر وقيل مع الكافر قال ابن عادل والاقوي أن يقال هو خطاب عام مع السامع وهذا أولى وقوله تعالى (وتفتح في الصور) عطف على قوله تعالى وجاءت سمكة الموت وهو القرن الذي يفتح فيه اسرافيل عليه السلام للموت العام والبعث العام عند التكامل وانقطاع أو ان التعامل وهو بحيث لا يعلم قدر عظمته واتساعه الا الله تعالى وهو عليه السلام قد التزم الصور من حين بعث النبي صلى الله عليه وسلم وحتى جبهته وأصغى سمعه ينتظر متى يؤمر فيالها من عظمة ما أغفلنا عنها وأنسا نالها والمراد به هذه نفخة البعث وقوله تعالى (ذلك) إشارة الى الزمان المفهوم من قوله تفتح لأن الفعل كما يدل على المصدر يدل على الزمان فكانه تعالى قال ذلك الزمان العظيم الا هو الال والوجال (يوم الوعيد) أي للكفار بالعذاب (وجاءت) أي فيه (كل نفس) أي مكافئة (معها سائق) أي ملك يسوقها اليه (وشهيد) يشهد عليه بعملها قال الضحاك السائق من الملائكة والساهد من أنفسهم وهو الايدي والارجل وغيرها وهي رواية العوفي عن ابن عباس رضى الله عنهما وقيل هما جميعا من الملائكة فالسائق كما قيل لا تعلق له بالشهادة لئلا تقول ذلك النفس انه خصم والخصم لا تقبل شهادته وقيل السائق هو الذي يسوقه الى الموقف ومنه الى مقعده والشهيد هو الكاتب والسائق لازم للبر والقاجر أما البر فيساق الى الجنة وأما القاجر الى النار قال تعالى وسينق الذين كفروا وقال تعالى وسينق الذين اتقوا والشهيد يشهد عليهم بما علمت * (تنبيه) * يجوز في جملة معها سائق وشهيد أن تكون في موضع جر صفة لنفس وأن تكون في موضع رفع صفة لكل وأن تكون في موضع نصب على الحال من كل ويقال للكافر (لقد كنت) أي كونا كأنه جملته لك (في غفلة) أي غفلة محيطه بك ناشئة لك (من هذا) أي من تصور هذا اليوم على ما هو عليه من انقطاع الاسباب والجزاء بالثواب أو العقاب لانه على شدة جلالة خفي على من اتبع الشهوات (فكثفتا) بعظمتهما بالموت ثم البعث (عنك غطاء) الذي كان في الدنيا على قلبك وسمعت وبصرت من الغفلة بالآمال في الحال والمآل وسائر الحظوظ والشهوات (فبصرت اليوم) أي بعد البعث (حديدا) أي في غاية الحدة والنفوذ فلذا انقر بما كنت تنكر في الدنيا وقال مجاهد يعني نظرك الى لسان ميزانك حين توزن حسنتك وسيئاتك والمعنى أن لنا غفلة فبصرت اليوم حديدا وكان من قبل كذبا واختلف في القرنين في قوله تعالى (وقال قرينه) فأكثر المفسرين على أنه الملك الموكل به فيقول (هذاما) أي الذي (لدى عيسى) أي حاضر ونقل الكرماني عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه الشيطان الذي سيطر على اغوائه واستدراجه الى ما يريد فزين له الكفر والعصيان ويدل لهذا قوله تعالى وقبضنا لهم قرناه وقال تعالى نقبض له شيطانا فهو له قرين وقال تعالى فبئس القرين فالإشارة بهذا الى المسوق المرتكب الفجور والفسوق والعقيد معناه المعتد للنار ومعناه ان الشيطان يقول هذا العاصي هو شئ عندى معتمد بلههم أعدته لها بالاغواء والاضلال وقوله تعالى (ألقيا في جهنم) أي النار التي تلقى الملقى فيها بما كان يعامل به عباد الله تعالى من الكبر والعبوسة (كل كفار) خطاب من

الله تعالى للذائق والشهيد أو للملكين من خزنة النار أو الواحد وثلاثة القائل منزل منزلة تنبيه
 الفعل وتكريره كأنه قيل ألق ألقى وقيل أراد القبايل النون الخفيفة فأبدلها ألقا اجرا للوصل
 مجرى الوقف وقيل العرب تتخاطب الواحد مخاطبة الاثنين تأكيذا كقوله
 فان تزجراني يا ابن عفا ان أردبجر * وان تدعاني أحمر عرضا معنا

قال ابن عادل وقيل المأمور مثنى وهذا هو الحق لان المراد ملكان يعلان ذلك اه وهو القول
 المتقدم (عنيد) وهو المبالغ في ستر الحق والمعاداة لاهله بغير حجة وأتفه نظرا الى استحسان
 ما عنده والنبات عليه تجبر او تكبر على ما عند غيره ازدرأه كانه آمن كان (مناع) أى كثير المنع
 (التعبر) من المال وغيره من كل معروف يعلق بالمال والمقال والفعل وقيل المراد الاسلام فان
 الآية نزلت في الواليد بن المغيرة لما منع بني أخيه عنه (معتد) أى مجاوز للحدود (مرتب) أى
 داخل في الرتب وهو الشك والتمسمة في أهل الدين وقوله تعالى (الذى جعل مع الله) أى الذى له
 الاحاطة بجميع صفات الكمال (الها آخر) يجوز أن يكون منصوبا على الذم أو على البذل من
 كل وأن يكون مجرورا بـ لا من كفارا أو مرفوعا بالابتداء والخبر (فألقياه في العذاب) أى الذى
 ينزل كل عذوبة (الشديد) ودخلت الفاء في الخبر لتضمن المبتدأ معنى الشرط ويجوز أن يكون
 خبر مبتدأ مضمرا أى هو الذى جعل ويكون فألقياه تأكيذا (قال قرينه) مناديا بإسقاط الاداة
 كدأب أهل القرب أيها ما انه منهم (ربنا) أى أيها المحسن اليها الخلائق كلهم (ما أطيعته)
 أى ما وقعته فيما كان فيه من الطغيان فاني لاسلطان لي عليه وأنت أعلم بذلك (واسكن كان)
 أى بجبلته وطبعه (في ضلال بعيد) أى محيط به من جميع جوانبه لا يمكن رجوعه معه فلذلك
 كان يبادر الى كل ما يفضب الله تعالى * (تبيسه) * هذا جواب لكلام مقدرفان الكافر حين
 ما يلقي في النار يقول ربنا أطفاني شيطاني فيقول ربنا ما أطيعته بدليل قوله تعالى لا تختصموا لدي
 لان الخصامة تستدعى كلاما من الجانبين ونظيره قوله تعالى في سورة ص قالوا بل أنتم لامر حبا
 بكم الى قوله تعالى ان ذلك الحق قحاصم أهل النار قال الزمخشري وهذا يدل على أن المراد بالقرين
 في الآية المتقدمة هو الشيطان لا الملك الذى هو شهيد وقعيد قال الرازي وجاءت هذه الآية
 بلا واو وفي الاولى واو عاطفة لان الاولى اشارة وقعت الى معنيين مجتمعين فان كل نفس في ذلك
 الوقت تجيء ومعها سائق وشهيد فيقول الشهيد ذلك القول وفي النامية لم يوجد هنالك معنيين
 مجتمعين حتى تذكر الواو فان الفاء في قوله تعالى فألقياه في العذاب لا تناسب قوله تعالى قال
 قرينه ربنا ما أطيعته فليس هنالك مناسبة مقضية للعطف (فان قيل) كيف قال ما أطيعته مع
 انه قال لاغوينهم أجعين (أجيب) بأن المراد من قوله لاغوينهم أى لا دينهم على الغواية كما ان
 الضال اذا قال له شخص أنت على الجادة فلا تتركها يقال انه يضل كذا هنا فقوله ما أطيعته
 أى ما كان ابتداء الغي مني وقوله تعالى (قال) أى الله تعالى المحيط علما وقدرة الذى حكم
 عليهم بذلك في الازل (لا تختصموا) أى لا توقعوا الخصومة بهذا الجدل والاجتهاد استئناف
 كان قائلا يقول فماذا قال الله تعالى فأجيب بقال لا تختصموا وقوله تعالى (لدى) أى

في دار الجزاء بهذه الحضرة التي هي فوق ما صكتم تدركونه من الاخبار عنهما بكثير فيصدق
 مفهومه أن الاختصاص كان ينبغي أن يكون قبل الحضور والوقوف بين يدي وقوله تعالى (وقد
 قدمت اليكم بالوعيد) أي التهديد وهو التخويف العظيم على جميع ما ارتكبتوه من الكفر
 والعدوان جلالة حاله ولا بد من تأويلها وذلك أن النهي في الآخرة وتقدمه الوعيد في الدنيا
 فاختلف الزمان فكيف يصح جعلها حالية وتأويلها هو أن المعنى وقد صرح أني قدمت وزمان
 الصحة وزمان النهي واحد وقد تمت يجوز أن يكون بمعنى تقدمت فتكون الواو للحال ولا بد
 من حذف مضاف أي وقد تقدم قولكم ملتبساً بالوعيد ويجوز أن يكون قدمت على حاله
 متعدياً والباء مزيدة في المفعول أي قدمت اليكم الوعيد كقوله تعالى تنبت بالدهن على قول من
 قال بزيادتها هذا وقيل الباء هنا للمصاحبة كقولك اشتريت القرس بلحامة أي معه فكأنه قال
 تعالى قدمت اليكم ما يجب مع الوعيد على تركه والانداز (ما يبدل) أي يغير بوجه من الوجوه
 (القول لذي) أي الواصل اليكم من حضرة التي لا يحيط بها أحد من خلقي وعبر بما التي هي
 للحاضر دون لا التي للمستقبل لأن الاوقات كلها عنده حاضرة (وما أنا) وأكداً للنفي بقوله تعالى
 (بظلام للعبيد) فأعذبهم بغير ظلم (فان قيل) الظلام مبالغة في الظلم ويلزم من اتفانه اثبات أصل
 الظلم فإذا قال القائل هو كذاب يلزم أن يكون كثيراً لكذب ولا يلزم من نفيه في أصل الكذب
 لحوا أن يقال ليس بكذاب كثيراً لكذب لكنه يكذب أحياناً فقوله تعالى ما أناب ظلام لا يفهم
 منه نفي أصل الظلم وأن الله ليس بظالم (أجيب) بأربعة أجوبة أحدها أن الظلام بمعنى الظالم
 كالتمازج بمعنى التمازج فتكون اللام في قوله تعالى للعبيد لتحقيق النسبة لأن الأفعال حينئذ بمعنى
 ذي ظلم لقوله تعالى لا ظلم اليوم ثانياً قال الزمخشري أن ذلك أمر تقديرى كأنه تعالى يقول
 لو ظلمت عبدي الضعيف الذي هو محل الرحمة كان ذلك غاية الظلم وما أناب ذلك فيلزم من نفي كونه
 ظلاماً نفي كونه ظالماً ويحقق هذا الوجه اظهار لفظ العبيد حيث قال الله تعالى وما أناب ظلام
 للعبيد أي في ذلك اليوم الذي أملا فيه جهنم مع سعتها حتى تصبح وتقول لم يبق في طاقة بهم ولم
 يبق في موضع لهم فهل من مزيد استفهام استنكار ثالثاً انه لم يقابل الجمع بالجمع والمعنى أن ذلك
 اليوم مع أني ألقى في جهنم عدداً لا يحصره لآكون بسبب كثرة التعذيب كثيراً لانه تعالى
 قال فما أناب ظلام للعبيد (يوم نقول) أي على ما لنا من العظمة (لجهنم) ولم يقل ما أناب ظلام
 في جميع الأزمان وخصص بالعبيد ولم يطلق فذلك خصص المعنى بنوع من أنواع الظالم ولم يطلق
 ولم يلزم منه أن يكون ظالماً في غير ذلك الوقت لأن التخصيص بالذكر لا يدل على نفي ما عداه لانه نفي
 كونه ظالماً ولم يلزم منه كونه ظالماً نفي كونه ظالماً للعبيد ولم يلزم منه كونه ظالماً لغيرهم
 * (تنبيه) * يحتمل أن يكون المراد بالعبيد الكفار كقوله تعالى يا حسرة على العاديا أي أنهم من
 رسول الآية والمعنى أعذبهم وما أناب ظلام لهم ويحتمل أن يكون المراد منه المؤمنين والمعنى أن
 الله تعالى يقول لو بدلت قولي ورجت الكفار لكنت في تكليف العباد ظالماً للعباد المؤمنين
 لأنني منعهم من الشهوات لأجل هذا اليوم فلو كان ينال من لم يأت بما أتى به المؤمن ما يناله

المؤمن لكان اتيان المؤمن بما أتى به من الايمان والعبادة غير مفيد وهذا معنى قوله تعالى
 لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة ويحتمل أن يكون المراد التعميم وهذا أظهر وقوله تعالى
 لجهنم أي التي هي دار العذاب مع الكرامة والعبوسة والتجهنم (هل امتلاّت) استفهام تحقيق
 لوعده عليه وهو قوله تعالى لا ملأّن جهنم من الجنة والناس أجمعين (رتقول) بصورة
 الاستفهام كالسؤال (هل من مزيد) أي قد امتلاّت ولم يبق في موضع لم يمتلئ فهو استفهام انكار
 وقيل بمعنى الاستزادة رواه أبو صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما وعلى هذا يكون السؤال
 وهو قوله تعالى هل امتلاّت قبل دخول جميع أهلها فيها وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن
 الله تعالى سبقت كلمته لا ملأّن جهنم من الجنة والناس أجمعين فلما سبق أعداء الله اليها الباقى فيها
 فوج الأذهب فيها ولا يعلوها فتقول ألت قد أقسمت لمتلاّ في موضع قدمه عليه أفيقول هل
 امتلاّت فتقول هل من مزيد قط قط قد امتلاّت وليس في مزيد وعن ابن عباس رضي الله عنهما
 أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب
 العرش وفي رواية رب العزة فيها قدمه فيزوى بعضها الى بعض وتقول قط بعد ذلك ولا يزال
 في الجنة فضل حتى ينشئ الله تعالى لها خلقا فيسكنهم فضول الجنة ولا يهريرة رضي الله عنه
 نحوه ولا يظلم الله تعالى من خلقه أحدا * (تنبيه) * هذا الحديث من مشاهير أحاديث الصفات
 وللعلماء فيه وفي أمثاله مذهبان أحدهما وهو مذهب جمهور السلف وطائفة من المتكلمين أنه
 لا يتكلم في تأويلها بل تقوّل بأنها حق على ما أراد الله ورسوله ونجربها على ظاهرها وأولها معنى
 يليق بها وظاهرها غير مراد المذهب الثاني وهو قول جمهور المتكلمين أنها تقول بحسب ما يليق
 بها فعلى هذا اختلفوا في تأويل الحديث فقيل المراد بالقدم التقدم وهو شائع في اللغة والمعنى
 يضع الله تعالى فيها من قدمه لها من أهل العذاب وقيل المراد به قدم بعض المخلوقين فيعود الضمير
 في قدمه الى ذلك المخلوق المعلوم وقيل يحتمل أن في المخلوقات من يسمى بهذه التسمية وخلقوا
 لها قال القاضى عياض أظهر التأويلات أنهم استحقوها وخلقوا لها قال المتكلمون ولا بد من
 صرفه عن ظاهره لقيام الدليل العقلي القطعى على استحالة الجارحة على الله تعالى وقولها قط
 أي حسبي حسبي قد اكتفيت وفيها ثلاث لغات اسكان الطاء وكسرها منوثة وغير منوثة ولما ذكر
 النار التي هي دار الفجار وقدمها لأن المقام للانداز تبعها دار الابرار فقال تعالى سائر الهم باسقاط
 منوثة المسبوطة مشقة البعد (وأرأست الجنة) أي قربت بأيسر أمر مع الدرجات والحياض
 الممثلة (للمتقين) أي الغريقين في هذا الوصف فاذا رأوها تسابقوا اليها وتركوها ما كانوا فيه
 في الموقف من منابر النور وكثبان المسك ونحو هذا وأما غيرهم من أهل الايمان فقد يكون لهم
 غير هذا الوصف فيساق اليها الذين اتقوا كما مضى في الزمر وقوله تعالى (غير بعيد) يجوز أن يكون
 حالا من الجنة ولم يؤث لانها بمعنى البستان أولان فعلا لا يؤث لانه برنة المصادره قاله الزمخشري
 ومنعه أبو حيان وتقدم الكلام على ذلك في قوله تعالى ان رجة الله قريب من المحسنين ويجوز
 أن يكون منصوبا على الظرف المكاني أي مكانا غير بعيد ويجوز أن يكون نعتا لصدور محمد و

أى أزالا فاعبر بعيد وهو ظاهر عبارة الزمخشري فإنه قال أو شيئا غير بعيد (فان قيل) ما وجه
 التقريب والجنة مكان والامكنة يقرب منها وهى لا تقرب (أجيب) من أوجه أولها أن الجنة
 لا تزال ولا يؤمر المؤمن في ذلك اليوم بالانتقال اليها مع بعدها لكن الله تعالى يطوى المسافة
 التي بين المؤمن والجنة فهو التقريب (فان قيل) فعلى هذا ليس أزالا الجنة من المؤمن بأولى
 من أزالا المؤمن من الجنة فما فائدة قوله تعالى أزلت الجنة (أجيب) بأن ذلك اكرام للمؤمن
 وبيان لشرفه وأنه ممن يعيش اليه ثانياه اقرب من الحصول في الدخول لا بمعنى القرب المكاني
 ثالثا ان الله تعالى قادر على نقل الجنة من السماء الى الارض فيقرهم المؤمن ويحتل انما
 أزلت بمعنى جمعت محاسنها لانها مخلوقة واما بمعنى قرب الحصول لهما لانها تنال بكلمة طيبة
 وحسنة وخمس المتقين بذلك لانهم أحق بها وقوله تعالى (هذا) أى الأزالا والذي ترونه من
 كل ما يسركم (ما) أى الامر الذي (توعدون) أى وقع الوعد لكم به في الدنيا يجوز فيه وجهان
 أحدهما أن يكون معترضا بين البذل والمبدل منه وذلك أن (لكل آواب) أى رجاء الى طاعة
 الله تعالى بدل من المتقين باعادة العامل ثانيا سما أن يكون منصوبا بقول مضمر ذلك القول
 منصوب على الحال أى مقولا لهم وقرأ ابن كثير بالياء على الغيبة والباقيون بالياء على الخطاب
 ونسب أبو حيان قراءة الياء لابن كثير ولا يبي عمرو وانما هى لابن كثير فقط وقال سعيد
 ابن المسيب الآواب هو الذى يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب وقال الشعبي ومجاهد هو الذى
 يذكر ذنوبه في الخلافة يستغفر منها وقال ابن عباس رضى الله عنهما وعطاء هو المسبح من قوله
 تعالى يا جبال أتوبي معه وقال قتادة هو المصلى وقوله تعالى (حقيق) اختلف فيه فقال ابن
 عباس رضى الله عنهما هو الذى يحفظ ذنوبه حتى يرجع عنها ويسبغ تغفر منها وعن ابن عباس
 رضى الله عنهما أيضا الحقيق لا امر الله وقال قتادة الحقيق طمأنينة استودع الله تعالى من حقه
 والآواب والحقيق كلاهما من باب المبالغة أى يكون كثيرا لاوب شديد الحفظ ثم أبدل من كل
 تميم ما البيان المتقين قوله تعالى (من خشى) أى خاف ونبه على كثرة خشيته بقوله تعالى
 (الرجن) لانه اذا خافه مع استحضار الرحمة العامة للمطيع والعاصى كان خوفه مع استحضار
 غيرها أولى وقال القشيري التعبير بذلك للإشارة الى أنها خشية تكون مقرونة بالانس بمعنى
 الرجاء كما هو المشروع قال ولذلك لم يقل الجبار أو القهار ويقال الخشية ألفت من الخوف
 فكانها اقرب من الهيبة وقوله تعالى (بالغيث) حال أى غاب عنه فيصتمل أن يكون حالا من
 الفاعل أو المفعول أو منهما وقيل الباء للمصاحبة أى مصاحب له من غير أن يطلب آية أو امرا
 يصير به الى حد المكاشفة بل استغنى بالبراهين القطعية التي منها أنه مر بوب وهو أيضا بيان
 لبلوغ خشيته ويجوز أن يكون صفة لمصدر خشى أى خشية خشية ملتبسة بالغيث ومعنى
 الاية من خاف الرحمن فأطاعه بالغيث ولم يره وقال الضحاك والسدي يعنى في الظلوة حيث لا يراه
 أحد وقال الحسن اذا أرخى الستور وأخلق الباب وقوله تعالى (وجاء) أى بعد الموت (بقلب
 منيب) أى راجع الى الله تعالى صفة مدح لان شأن الخائف أن يهرب فأما المتقي فخاره لعله أنه

لا ينبغي القرار منه والباء في يقلب اما للتعدية واما للمضاحبة واما للسببية والقلب المنيب كالقلب
 السليم في قوله تعالى اذ جاء ربه بقلب سليم أى سليم من الشرك والضيق في قوله تعالى (ادخلوها)
 عائد الى الجنة وقوله تعالى (يسلام) حال من فاعل ادخلوها أى سالمين من العذاب والهموم
 فهي حال مقارنة أو بسلام من الله تعالى وملائكته عليهم فهي حال مقدرة كقوله تعالى
 فادخلوها خالدين كذا قيل قال ابن عادل وفيه نظر اذ لا مانع من مقارنة تسليم الملائكة عليهم
 حال الدخول بخلاف فادخلوها خالدين فإنه لا يعقل الخلود الا بعد الدخول (ذلك) أى اليوم
 الذى حصل فيه الدخول (يوم الخلود) أى الدوام فى الجنة الذى لا آخر له ولا نقاد لشيء من لذاته
 أصلا وذلك وصل به قوله تعالى جوابا لمن قال على أى وجه خلودهم (لهم) بطوارهم
 وبواطهم (ما يشاؤون) أى تجدد مشيئتهم أو يمكن مشيئتهم له (فيها) أى الجنة (والدينا) أى
 عندنا من الامور التى هي فى غاية الغرابة عندهم وان كان كل ما عندهم مستغنيا (مزيد) أى
 مما لا يدخل تحت أوهامهم ليساؤه فان سياق الامتنان يدل على ان تنويعه للتعظيم والتعظيم
 يلدى بؤ كذا ذلك (فان قيل) ما الحكمة فى أنه تعالى قال ادخلوها بسلام على مخاطبة ثم قال لهم
 ولم يقل لكم (أجيب) من وجوه أولها أن قوله تعالى ادخلوها فيه مقدر أى فيقال لهم ادخلوها
 فلا يكون التقاطعا ثانياً انه التفات والحكمة الجمع بين الطرفين كأنه تعالى يقول غير محمل بهم
 فى غيبتهم وحضورهم فى حضورهم الحبور وفى غيبتهم الحور والقصور ثالثاً أنه يجوز أن
 يكون قوله تعالى لهم كلاماً مع الملائكة يقول للملائكة تكلوا بحمدتهم واعلموا أن لهم
 ما يشاؤون فيها أنا حضروا بين أيديهم ما يشاؤون وأما أنا فعندى ما لا يحيطو به لا تقدر أنتم
 علمه والمزيد يحتمل أن يكون معناه الزيادة كقوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ويحتمل
 أن يكون بمعنى المفعول أى عندنا ما نزيده على ما يرجون ويأملون قال أنس وجابر وهو النظر
 الى وجه الله الكريم قبل تجلى لهم الرب تبارك وتعالى فى كل ليلة جمعة فى دار كرامته فهذا هو
 المزيّد ولما ذكر تعالى أول السورة تكذيب الامم السابقة ذكر هنا اهلاك قرون ماضية بقوله
 تعالى (وكم أهلكنا) أى بما لنا من العظمة (قبلهم من قرن) أى جيلهم فى غاية القوة وزاد
 فى بيان القوة قوله تعالى (هم أشد منهم) أى من قريش (بطشاً) أى قوة وأخذ الماير يدونه
 بالعنف والسطوة والشدة * (تنبيه) * كم منصوب بما بعده وقدم اما لانه استفهام واما لان
 كم الخبرية تجرى مجرى كم الاستفهامية فى التصدير ومن قرن تمييز وهم أشد صفة آمالكم واما
 لقرن والقاء فى قوله تعالى (فدعّبوا) عاطفة على المعنى كأنه قيل استدبّطتهم فنقبوا (فى البلاد)
 والضهير فى نقبوا اما للقرن المتقدم وهو الظاهر واما القريش والتقيب التقيب والتقبش
 ومعناه التطواف فى البلاد قال الحرث بن حازم

نقبوا فى البلاد من حذر المومنين وجالوا فى الارض كل مجال

* (وقال امرؤ القيس) *

وقد نقبت فى الآفاق حتى * رضيت من الغنمة بالاياب

ولما كان التقدير ولم يسلموا مع كثرة تنقيحهم توجه سؤال تنبيه للغافل الذاهل وتقريب
وتسكين للمعاندين الجاهل بقوله تعالى (هل من محيص) أي معدل ومحمد ومهرب وان دق من
قضايتنا اليك كون لهؤلاء وجه ما في رد أمرنا (أن في ذلك) أي فيما ذكر في هذه السورة من
الاساليب العجيبة والطرق الغريبة (الذكرى) أي تذكر اعظم اجتهاد (لمن كان) أي كونا عظيما
(له قلب) أي عقل في غاية العظمة فهو يحيط بفهم ما يراه ويعتبر به ومن لم يكن كذلك فلا قلب له
سليم بل له قلب لاه (أو ألقى السمع) أي استمع الوعظ بغاية اصغائه حتى كأنه يرى بشئ ثقيل من
علو إلى سفلى (وهو) أي والحال أنه في حال القائه (شهيد) أي حاضر بكليته فهو في غاية ما يكون
من تصويب الفكر وجمع الخاطر فلا يغيب عنه شئ مما أتى عليه وألقى إليه فيذكر وعطف على
قوله تعالى ولقد خلقنا الإنسان قوله تعالى (ولقد خلقنا) أي بما لنا من العظمة التي لا يقدر
قدرها ولا يطاق حصرها (السماوات والارض) أي على ما هما عليه من الكبر وكثرة المنافع
(وما بينهما) من الامور التي لا ينتظم الامر على قاعدة الاسباب والمسببات بدونها (في ستة أيام)
الارض في يومين ومنافعها في يومين والسماوات في يومين ولو شاء لكان ذلك في أقل من لمح
البصر ولكنه تعالى سن لنا الثاني بذلك (وما مسنا) لاجل ما لنا من العظمة أدنى مس وعم
في النقي فقال تعالى (من الغيوب) أي اعياء فانه لو كان لا تقتضي ضعفا فاقضى فسادا فكان
من ذلك شئ على غير ما أردناه فكان تصرفنا فيه غير تصرفنا في الباقي وأنتم تشاهدون الامر
في الكل على حد سواء من نفوذ الامر وتعام التصرف (فاصبر) يا أشرف الخلق (على
ما يقولون) أي اليهود وغيرهم من انكار البعث والتشبيه وغير ذلك فان من قدر على خلق
العالم بلا اعياء قدر على البعث وغيره (وسبح) أي أوقع التنزيه عن كل شائبة نقص ملتبسا
(بمحمد ربك) أي بآيات الاحاطة بجميع صفات الكمال السيد المذبر المحسن اليك بجميع هذه
البراهين التي خصلت بهم مفضلاتك على جميع الخلق وقوله تعالى (قبل طلوع الشمس وقبل
الغروب) إشارة إلى طرفي النهار وقوله تعالى (ومن الليل فسبحه) إشارة إلى زاني من الليل
وتقريره أنه صلى الله عليه وسلم كان مشغولا بأمرين أحدهما عبادة الله تعالى والثاني هداية
الخلق فاذا لم يهتدوا قبل له أقبل على شغلك الآخر وهو العبادة قبل الطلوع وقبل الغروب
لانهم أوقنا اجتماعهم ويكون المراد بقوله تعالى ومن الليل أوله لانه أيضا وقت اجتماعهم
وقال أكثر المفسرين قبل طلوع الشمس صلاة الصبح وقبل الغروب الظهر والعصر ومن الليل
العشاء والتسجد (وأدبار السجود) التسفل بعد المكتوبات وقبل الوتر بعد العشاء
وقال مجاهد ومن الليل يعني صلاة الليل أي وقت صلى وقرأ نافع وابن كثير وحجة بكسر
الهمزة على أنه مصدر قام مقام ظرف الزمان كقولهم آتيت حقوق النجم وخلافة الخراج ومعنى
وقت ادبار الصلاة أي انقضاءها وتماها والباقيون بالفتح جمع دبر وهو آخر الليل وعقبها ومنه
قول أوس

على دبر الشهر الحرام فأرضنا * وما حولها جدد سنون تلح

ولم يختلفوا في وادبار النجوم وقوله تعالى وأدبار معطوف اما على قبل الغروب واما على ومن الليل وقال عمر بن الخطاب وعلى بن أبي طالب رضي الله عنهما: ادبار السجود الر كعتان بعد صلاة المغرب وادبار النجوم الر كعتان قبل صلاة الفجر وهي رواية العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما وروى عنه مرفوعا قال البغوي هذا قول أكثر المفسرين عن عائشة رضي الله عنها قالت ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم على شيء من النوافل أشد معاهدة منه على الر كعتين أمام الصبح وعن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها يعني بذلك سنة الفجر وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ما أحصى ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في الر كعتين بعد المغرب والر كعتين قبل الفجر بقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد وعن مجاهد وادبار السجود هو التسبيح باللسان في أدبار الصلوات المكتوبات وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سبح في دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وكبر ثلاثا وثلاثين وحمد الله ثلاثا وثلاثين فذلك تسعة وتسعون ثم قال تمام المائة لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير غفرت خطاياهم وإن كانت مثل زبد البحر وعنه أيضا أن نقرأ المهاجر إن أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالدرجات والنعيم المقيم فقال صلى الله عليه وسلم وما ذاك فقالوا صلوا كما صلينا واجاهدوا كما جاهدنا وأتفقوا من فضول أموالهم وليست لنا أموال قال أفلا أخبركم بأمر تدركون به من قبلكم وتسمعون من جاء بعدكم ولا يأتي أحد مثل ما جئتم به إلا من جاء بمثله تسبحون في دبر كل صلاة عشر وتسبحون عشر وتسبحون عشر وتسبحون عشر وتسبحون عشر (واسمع) أي لما أخبرك به من أحوال القيامة فيه تمويل وتعظيم للمخبر به والحدث عنه كما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال سبعة أيام لعاذن جبل يا معاذ اسمع ما أقول ثم حدثه بعد ذلك وقوله تعالى (يوم) ظرف لاسمع أي اسمع ذلك في يوم (ينادي المنادي) أي اسرافيل يقف على صخرة بيت المقدس فينادي بالحشر فيقول أيتها العظام البالية واللحوم المتترقة والشعور المتفرقة إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء وقيل المنادي جبريل (من مكان قريب) بحيث يسمع الصوت من بعد كما يسمعه من قرب يكونون في السماع سواء لا تفاوت بينهم أصلا واختلف في ذلك المكان القريب فأكثر المفسرين أنه صخرة بيت المقدس فإنها أقرب الأرض إلى السماء بأثنى عشر ميلا وهي وسط الأرض وقيل من تحت أقدامهم وقيل من منابت شعورهم يسمع من كل شعرة أيتها العظام البالية وقوله تعالى (يوم يسمعون الصيحة) بدل من يوم ينادي والصيحة النفخة الثانية وقوله تعالى (بالحق) حال من الصيحة أي ملتبسة بالحق أو من القاعل أي يسمعون ملتبسين بسماع حق (ذلك) أي اليوم العظيم الذي يظهر به المجد ويعلو بضعفاء المؤمنين الجنة (يوم الخروج) أي الذي لا خروج أعظم منه وهو خروجهم من قبورهم من الأرض التي خلقوا منها إلى الحشر وهو من أسماء يوم القيامة (أنا) أي بآلنا من العظيمة (نحن) أي خاصة (نحي ونحيب) أي نجد ذلك شيئا بعد شيء سنة مستقرة وعادة

وعادة مستقرة كما شاهدونه فقد كان منها بالاحياء الاول المبدأ (والينا) أى خاصة بالامانة
ثم الاحياء (المصير) أى فى الآخرة وقيل تقديره نعيم فى الدنيا ونحي فى الآخرة للبعث والينا
المصير بعد البعث وقوله تعالى (يوم) يدل من يوم قبله وما بينهما اعتراض وقرأ (تثاق الارض)
نافع وابن كثير وابن عامر بتشديد الشين والباقون بالتخفيف (عنهم) أى مجاوزة لهم بعد
أن كانوا فى بطنها فيخرجون منها أحياء كما كانوا على ظهورها أحياء حال كونهم (سراعا) أى
اجابة منادينا وهو جمع سريع وأشار الى عظمة الامر بقوله تعالى (ذلك) أى الاخراج العظيم
جدا (حشر) أى جمع يكره وزاد فى بيان عظمة هذا الامر بدلالته على اختصاصه بتقديم الجار
فقال تعالى (علينا) أى خاصة (يسير) فكيف يتوقف فيه عاقل فضلا عن أن ينكره وأما غيرنا
فلا يمكنه ذلك بوجه * (تنبه) * علينا متعلق بيسير ففصل بعمول الصفة بينهما وبين موصوفها
ولا يضر ذلك وقال الرمنشوى التقديم للاختصاص وهو ما أشرت اليه أى لا يتيسر ذلك
الا على الله تعالى وحده وهو اعادة جواب قولهم ذلك رجع بعيد وقوله تعالى (نحن أعلم) أى
عالمون (بما يقولون) أى فى الحال والاستقبال من التكذيب بالبعث وغيره تسلية للنبي صلى
الله عليه وسلم وتم ديدلهم (وما أنت عليهم بحجبار) أى بساط تجبرهم على الاسلام انما أنت
مذخر وقد فعلت ما أمرت به ونحن القادرون على ردهم بما لنا من العلم المحيط وهذا قبل الامر
بالقتال (فذكر) أى بطريق البشارة والتذكرة (بالقرآن) أى الجامع بجمعه لكل خير المحيط بكل
صلاح (من يخاف وعبد) فانه لا ينتفع به غيره وهم المؤمنون وقرأ ورش بآيات الباء بعد
الدال وصلالا وقفوا وحذفوا الباقون وصلوا وقفوا وما رواه البيضاوى تعالى الرمنشوى من
أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة ق هو ن الله عليه ثارات الموت وسكراته حديث
موضوع وثارات الموت بثلاثة وهمزة مفتوحة أهواله

﴿سورة الذاريات مكية﴾

وهى ستون آية وثلاثمائة وستون كلمة وألف ومائتان وتسعة وثمانون حرفا

(بسم الله) أى المحيط بصفات الكمال فهو لا يخلف الميعاد (الرحمن) الذى عم الخلاق بعممة
الابجاد (الرحيم) الذى خص من اختاره بالتوفيق لما يرضاه من المراد ولما ختم الله سبحانه
وتعالى قى بالتميز كبير الوعيد افتتح هذه بالقسم البالغ على صدقه فقال عز من قائل مناسب بين
القسم والمقسم عليه (والذاريات) أى الرياح تذر والتراب وغيره وقيل النساء والوالدات
فانهن يذرين الاولاد وقوله تعالى (ذرورا) منصوب على المصدر المؤكد والعامل فيه فرعه وهو
اسم الفاعل والمفعول محذوف اقتصارا يقال ذرت الريح التراب وأذرته (فالحاملات) أى
السحب تحمل الماء وقيل الرياح الحاملة للسحاب وقيل النساء الحوامل (وقرا)
أى ثقلا مفعول به بالحاملات كما يقال حمل فلان عدلا ثقيلا قال الرازى ويحتمل أن يكون
اسما أقيم مقام المصدر كقوله ضربته سوطا (فالحاريات) أى السفن وقيل الرياح الحاربية

في مهابها وقيل الكواكب التي تجري في منازلها وقوله تعالى (يسرا) أي بسهولة تصدر
 في موضع الحال أي مبصرة (فالمقسمات) أي الملائكة التي تقسم الارزاق والامطار وغيرها
 بين العباد والبلاد وقوله تعالى (أمرأ) يجوز أن يكون مفعولا به كقولك فلان قسم الرزق
 أو المال وأن يكون حالا أي مأمورة وهذه أشياء مختلفة فتكون الفاء على بابها من
 عطف المتغيرات والفاء للترتيب في القسم لافي المقسم به قال الرخصى ويجوز أن يراد الريا
 وحدها لانها تنشي السحاب وتقبله وتصرفه وتجري في الجوف ريا سهلا وعلى هذا يكون من
 عطف الصفات والمراد واحد فتكون الفاء على هذا الترتيب الامور في الوجود وعن علي بن
 أبي طالب رضي الله تعالى عنه أنه قال وهو على المنبر سلوني قبل أن لاتسألوني وإن تسألوا
 بعدي مثلي فقام ابن الكواء فقال ما الذاريات قال الرياح قال فالحاملات وقرأ قال السحاب
 قال فالحاريات يسرا قال الفلك قال فالمقسمات أمرأ قال الملائكة وكذا عن ابن عباس وعن
 الحسن المقسمات السحاب يقسم الله تعالى به الارزاق العباد وقد جلت على الكواكب
 السبعة ويجوز أن يراد الرياح لا غير لانها تنشي السحاب وتقبله وتصرفه وتجري في الجوف ريا
 سهلا وتقسم الامطار بتصرف السحاب (فان قيل) ان كان وقرا مفعولا فلم يجمع وقيل
 أو قارا (أجيب) بان جماعة من الرياح قد تحمل وقرا واحدا وكذا القول في المقسمات أمرأ اذا
 قيل انه مفعول به لان جماعة من الملائكة قد تجتمع على أمر واحد (فائدة) * أقسم الله تعالى
 بجمع السلامة المؤنث في خمس سور ولم يقدم بجمع السلامة المذكور في سورة أصلا فلم يقل
 والصالحين من عبادي ولا المقرين الى غير ذلك مع ان المذكور أشرف لان جوع السلامة بالواو
 والنون في الغالب لمن يعقل ولما كانوا يكذبون بالوعد كذا الجواب بعد التاكيد بنفس
 القسم فقال تعالى (ان ما وعدون لصادق) أي مطابق الاخبار به للواقع وسترون مطابقتها له
 * (تنبيه) * ما يجوز أن تكون اسمية وعاندها محذوف أي توعدونه وأن تكون مصدرية
 فلا عائد على المشهور وحينئذ يحتمل أن يكون توعدون مبنيا من الوعد وأن يكون مبنيا من
 الوعيد لانه يصلح أن يقال أوعده فهو يوعد ووعدته فهو يوعد لا يختلف فالتقديران وعدكم
 أو ان وعيدكم (وان الدين) أي المجازاة لكل أحد بما كسب يوم البعث (لواقع) لا بد منه وان
 انكرتم (والسماء ذات الحبك) قال ابن عباس وقتادة وعكرمة ذات الخلق الحسن المستوى
 يقال للساج اذا نسج الثوب فاجاد ما أحسن حبكه وقال سعيد بن جبيرة ذات الزينة أي المزينة
 بزينة الكواكب قال الحسن حبكتها النجوم وقال مقاتل والكبي والضحك ذات الطريق
 تحبك الماء اذا ضربته الريح وحبك الرمل والشعر الجعد وهو آثار تشبهه وتكسره قال زهير
 مكلل باصول النجم تنسجه * ربح خريق لصاحي مانه حبك
 والحبك يحتمل أن يكون مفردة حبسكة كطريقة وطرق أو حبك الفخوجار وجر قال الشاعر
 كأنما جلها الحوائك * ظننته في وشها حبك
 وأصل الحبك احكام الشيء واقفانه ومنه يقال للدرع محبوكة وجواب القسم (انكم) بامعشر

قريش (لحق قول) محيط بكم في أمر القرآن والالتقي به وجميع أمر دينكم وغيره مما تريدون به
ابطال الدين الحق (مختلف) فتقولون في القرآن سحر وكهانة وأساطير الأولين وفي محمد صلى الله
عليه وسلم ساحر وشاعر ومجنون وكاهن وكاذب (يقول) أي يصرف (عنه) أي عن النبي صلى
الله عليه وسلم أو القرآن أي عن الايمان بذلك (من افك) أي صرف عن الهداية في علم الله تعالى
ومعناه حثيذ الذم وقيل انه مدح للمؤمنين ومعناه يصرف عن القول المختلف من يصرف عن
ذلك القول ويرشد الى القول المستوي (قتل) أي اهن (الخراصون) أي الكذابون وهم الذين
لا يجوزون بأمر بل هم شاكون متحيرون وهم أصحاب القول المختلف ثم وصفهم الله تعالى فقال
تعالى (الذين هم) أي خاصة (في غمرة) أي جهل بغمهم (ساهون) أي غريقون في السهو وهو
النسيان والغفلة والحيرة وذهاب القلب الى غير ما يمه ففعل ذلك ذوالوان متخالفه من
هول ما هو فيه وشدة كربته (يسألون) النبي استمزا (أيان) أي متى وأي حين (يوم الدين) أي
وقوع الجزاء الذي تخبرنا به ولولا أنهم بهذه الحالة لتذكروا من أنفسهم أنه ليس أحد منهم يترك
عبيده واجراه في عمل من الاعمال الا وهو يحاسبهم على أعمالهم وينظر قطعاً في أحوالهم
ويحكم بينهم في أقوالهم وأفعالهم فكيف الظن بأحكام الحاكمين أن يترك عبيده الذين خلقهم
على هذا النظام المحكم وأبدع لهم هذين الخافقين وهياً لأجلهم فيهما كل ما يحتاجون اليه
فيتركهم سدى ويوجههم عبثاً وقوله تعالى (يوم هم) منصوب بضمير أي الجزاء كائن يوم هم (على
النار يفتنون) أي يعذبون فيها جواب لسؤالهم أيان يوم الدين وقال الرازي يحتمل وجهين
أحدهما أن يكون جواباً عن قولهم أيان يقع فكما أنهم لم يسألوا سؤال مستقيم طاب العلم
كذلك لم يجيبهم جواب معلوم مبين بل قال يوم هم على النار يفتنون فجعلهم بالشأن أقوى من
جهلهم بالآل ولا يجوز أن يكون الجواب بالآخى فلو قال قائل متى يقدم زيد فلو أجيب بقوله
يوم يقدم رفيقه ولا يعلم يوم قدوم الرفيق لم يصح هذا الجواب ثانيهما أن يكون ذلك ابتداء كلام
تمامه في قوله تعالى (ذوقوا فنتنكم) أي تعذبيكم (فان قيل) هذا يفضي الى الاضمار (أجيب)
بأن الاضمار لا بد منه لان قوله تعالى ذوقوا فنتنكم لا يتصل بما قبله الا باضمار يقال (هذا) أي
العذاب المألون (الذي كنتم به تستعجلون) في الدنيا استمزا ولما بين تعالى حال المجرمين بين بعده
حال المتقين فقال تعالى (آآ المتقين) أي الذين كانت التقوى لهم وصفاً ثابتاً (في جنات) أي
بساتين عظيمة تجن داخلها أي تستبره من كثرة ظلالها كثرة أشجارها وعظمتها (وعيون)
جارية في خلال الجنان * (تنبه) * المتقي له مقامات أدناها أن يتقى الشر ولو أعلاها أن يتقى
الدنيا والآخرة وأدنى درجات المتقي الجنة فإمن مكلف اجتناب الكفر الا ويدخل الجنة وقرأ
ابن كثير رواين ذكوان وشعبة وحجرة والكسائي بكسر العين والباقون بالضم وقوله تعالى
(آخذين) حال من الضمير في خبران وقوله تعالى (ما آتاهم ربهم) أي المحسن اليهم المذنب لهم
بتمام علمه وشامل قدرته ان كان مما في الجنة فتكون الحاقية وان كان مما آتاهم من أمره
ونهبه في الدنيا فتكون الحاقية لا اختلاف الزمانين * (تنبه) * اعلم أن الله تعالى وحده الجنة

تارة قال تعالى مثل الجنة وأخرى جمعها كقوله تعالى هنا ان المتقين في جنات ونارة ثناها قال
تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان والحكمة فيه ان الجنة في توحيدها لا اتصال المنازل
والاشجار والانهار كجنة واحدة وأما جمعها فانها بالنسبة الى الدنيا وبالإضافة اليها جنات
لا يحصرها عدد وأما تشبيهاً فسيأتي الكلام عليها ان شاء الله تعالى في سورة الرحمن وهو قوله
تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان فقبل الجنة لخوفه من ربه وجنة لترك شهوته وقيل جنة لخائف
الانس وجنة لخائف الجن فيكون من باب التوزيع قال الرازي غير أننا نقول ههنا ان الله تعالى
عند الوعد وحد الجنة وكذلك عند الشراء فقال تعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم
وأموالهم بأن لهم الجنة وعند الاعطاء جمعها اشارة الى ان الزيادة في الوعد موجودة بخلاف
مال الوعد بجنات ثم يقول انه في جنة لانه دون الموعد ومعنى أخذين قابضين ما آتاهم شيئاً
ولا يستوفونه بكمله لا مستاع استيفاء ما لانها ياله وقيل قابضين قبول رضا كقوله تعالى وبأخذ
الصدقات أى قبلها قاله المحدثين وقوله تعالى (انهم كانوا قبل ذلك محسنين) اشارة الى أنهم
أخذوها بنقمة وما يكوها بالاحسان في الدنيا والاشارة بذلك اما الدخول الجنة واما لايتاء الله
تعالى واما اليوم الدين والاحسان يكون في معاملة الخلق والخلق وقيل هو قول لا اله الا الله
ولهذا قيل في معنى كلمة التقوى انه لا اله الا الله وفي قوله تعالى ومن أحسن قولاً من دعا الى
الله وقوله تعالى هل جزاء الاحسان الا احسان هو الاتيان بكلمة لا اله الا الله ثم فسر احسانهم
معبر عنه بما هو في غاية المبالغة بقوله تعالى (كانوا) أى لما عندهم من الاجلال له والحب فيه
بحيث كانوا مطبوعون فيه (قليل من الليل) الذى هو وقت الراحة وقضاء الشهوات
(ما يجمعون) أى يفعلون المهجوع وهو النوم الخفيف القليل بالليل فان تلك بما فوقه فامزجة
ويمجمعون خبر كان وقيل لا ظرف أى ينامون في زمن يسير من الليل ويصلون أكثره وقال ابن
عباس رضى الله عنه كانوا اقل ليلة تمر بهم الاصلوا فيها شيئاً ما من أولها أو من وسطها وعن أنس
ابن مالك كانوا يصلون من المغرب الى العشاء وقال محمد بن علي كانوا لا ينامون حتى يصلون
العقّة وقال مطرف بن عبد الله قل ليلة أنت عليهم هجوعاً كلها وقال مجاهد كانوا لا ينامون
كل الليل ووقف بعضهم على قليلا وما اختبها قوله تعالى وقيل ما هم وقيل من عبادى الشكور
ويتمدنى من الليل ما يجمعون أى ما يجمعون من الليل والمعنى كانوا من الناس قليلا
ثم ابتدأ فقال ما يجمعون من الليل وجعل مجداً أى لا ينامون بالليل البتة بل يقومون للصلاة
والعبادة وهو قول النحاة ومقاتل وقيل ان ما معنى الذى وعاندها محذوف تقديره كانوا قليلا
من الليل الوقت الذى يجمعونه وهذا فيه تكلف ولما كان المحسن لا يرى نفسه الا مقصراً قال
تعالى دال على ذلك وعلى أن تسميهم متضللاً آخر الليل (وبالاسحار) قال ابن زيد السحر
السدس الاخير من الليل (هم) أى دائماً بنظواهرهم وبواطنهم (يستغفرون) أى يعدون مع
هذا الاجتهاد أنفسهم مذبذبين ويسألون غفران ذنوبهم لو فور عليهم بالله تعالى وأنهم لا يقدر
على أن يقدروه حتى قدره وان اجتهدوا لقول سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم لأحصى ثناء

عليك وإبراز الضمير دل على أن غيرهم لو فعل هذه الدلالة لا يجب بنفسه ورأى أنه لا أحد أفضل منه
وعلى أن استغفارهم في الكثرة يقتضي أنهم يكونون بحيث يظن أنهم أحق بالتدليل من المصريين
على المعاصي فإن استغفارهم ذلك على بصيرة لانهم نظروا ما له سبحانه في الآفاق وفي أنفسهم
من الآيات والخصم البالغة فأقبلوا على الاستغفار عالين بأنه تعالى لا يقدر حق قدره
(تنبيه) بالاسحار متعلق يستغفرون والباء بمعنى في وقدم متعلق الخبر على المبتدأ الجواز
تقديم العامل وقال الكلبي ومجاهد وبالاسحار يصلون وذلك أن صلاتهم بالاسحار لطلب
المغفرة روى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل الله إلى السماء كل ليلة حتى
يبقى ثلث الليل فيقول أنا الملك أنا الملك من الذي يدعوني فأستجيب له من الذي يسألني فأعطيه
من الذي يستغفرني فأغفر له وهذا الحديث من أحاديث الصفات وفيه مذهبان معروفان
أحدهما وهو مذهب السلف وغيرهم أنه يمتدح كما حرم غير تأويل ولا تعطيل وترك الكلام فيه
وفي أمثاله مع الإيمان به وتزويه الرب سبحانه عن صفات الاجسام المذهب الثاني وهو قول
جماعة من المتكلمين وغيرهم أن الصعود والنزول من صفات الاجسام فالتعالى منزوع عن ذلك
فعلى هذا يكون معناه نزول الرحمة والالطاف الالهية والاقبال على الداعين بالاجابة والالطف
وتخصيصه بالثلث الاخير من الليل لأن ذلك وقت التجدد والدعاء وغفله أكثر الناس وعن
ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قام من الليل يتسجد قال اللهم لك الحمد أنت
قوم السموات والارض ومن فيهن ولك الحمد أنت نور السموات والارض ومن فيهن ولك الحمد
أنت ملك السموات والارض ومن فيهن ولك الحمد أنت الحق ووعدك حق واقاؤك حق وقولك
حق والجنة حق والنار حق والنيبون حق ومحمد حق والساعة حق اللهم لك أسلمت وبك أمنت
وعليك توكلت وبك استعصمت وبك خاضعت واسئلك ما قدمت وما أخرت
وما أسررت وما أعلمت وزادني رواية وما أنت أعلم به مني أنت المقدم وأنت المؤخر لا اله الا أنت
ولا اله غيرك زاد النسائي ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم * ولما ذكر تعالى معاملتهم للخالق
أتبعه المعاملة للخلق فكمل الحقيقة الاحسان فقال تعالى (وفي أموالهم) أي كل أصنافها
(حق) أي نصيب ثابت (للسائل) أي الذي ينسب على حاجته بسؤال الناس وهو المنة كفف
(والمحروم) وهو المنة كفف الذي لا يجد ما يغنيه ولا يسأل الناس ولا يقطن له ليتصدق عليه وهذه
صفة أهل الصفة رضي الله تعالى عنهم فالمحمدون يعرفون صاحب الوصف لما لهم من ناقد
البصيرة ولله تعالى بهم العناية وقدم السائل لانه يعرف بسؤاله أو يكون اشارة الى كثرة
العطاف فيعطى السؤال فاذا لم يجدهم يسأل عن المحتاجين فيكون سائلا ومسؤلا وقيل قدم
السائل لتجانس رؤس الآي وقبل السائل هو الآدي والمحروم كل ذي روح غيره من
الحيوانات المحترمة قال صلى الله عليه وسلم في كل كبد حراة أجر وهذا ترتيب حسن لان
الآدي مقدم على البهائم وقال ابن عباس وسعيد بن المسيب السائل الذي يسأل الناس
والمحروم الذي ايسر له في الغنائم سهم ولا يجري عليه من القى مئتي وقال قتادة والزهرى المحروم

المعنف الذي لا يسأل الناس وقال زيد بن أسلم المحروم هو المصاب غمراً أو زرعاً أو نسل
 ماشيته وهو قول محمد بن كعب القرظي قال المحروم صاحب الجائحة ثم قرأ أنا المغرمون بل
 نحن محرومون (وفي الأرض) أي من الجبال والبحار والأشجار والثمار والنبات وغيرها
 (آيات) أي دلالات على قدرة الله تعالى ووحدايته (للموقنين) أي الذين صاروا لا يقنن
 لهم غريرة ثابتة فهم لذلك يتقنون لرؤية ما فيها قال القشيري من الآيات فيها أنهم يحمل
 كل شيء فكذلك العارف يحمل كل أحد ومن استنقل أجداً أو تبرم برؤية أحد فلعينته عن
 الحقيقة ومطالعته الخلق بعين التفرقة وأهل الحقائق لا يتصفون بهذه الصفة ومن
 الآيات فيها أنه ياتي عليها كل قدر وقامة فتنب كل زهر وتورف كذلك العارف يتشرب
 ما ينفي من الخفاء ولا يترشح إلا بكل خلق حسن على وشية زكية (وفي أنفسكم)
 آيات أيضاً من مبدا خلقكم إلى منتهاه وما في تركيب خلقكم من العجائب (أفلا تبصرون)
 أي بأبصاركم وبصائركم فتأملوا ما في ذلك من الآيات فمن تأملها علم أنه عبد
 ومتى علم ذلك علم أن له ربا غير محتاج إلى أحد (وفي السماء) أي جهة العلو (رزقكم)
 بما يأتي من المطر والرياح والحر والبرد وغير ذلك مما ربه سبحانه وتعالى لمنافع العباد وقال
 ابن عباس يعني بالرزق المطر لأنه سبب الرزاق وقيل في السماء رزقكم مكتوب وقيل تقدير
 الرزاق كلها من السماء ولولا ما حصل في الأرض حبة قوت (وما تعدون) قال عطاء من
 الثواب والعقاب وقال مجاهد من الخير والشر وقال الضحاک من الجنة والنار ثم أقسم
 سبحانه وتعالى بنفسه فقال عز من قائل (فورب) أي مبدع ومدبر (السماء والأرض) أي
 وما أودع فيهما مما علمه وهما لم تعلموه (أنه) أي الذي تعدونه من الخير والشر والجنة
 والنار وما ذكر من أمر الرزق وما تقدم الأقسام عليه (لحق) أي ثابت بباطنه الواقع (مثل
 ما أنكم تنطقون) أي مثل نطقكم كما أنه لا شك في أنكم تنطقون ينبغي لكم أن لا تنكروا
 في تحقيق ذلك وقال بعض الحكماء معناه أن كل إنسان ينطق بلسان نفسه ولا يمكن أن ينطق
 بلسان غيره كذلك كل أحد يأكل رزق نفسه الذي قدس له لا يقدر أن يأكل رزق غيره
 وأنشدوا في المعنى

ما لا يكون فلا يكون بجيلة * أبدا وما هو كائن سيمكون

سيمكون ما هو كائن في وقته * وأخو الجهالة مكمدم مغبون

وقيل معناه أن القرآن لحق تكلم به الملك النازل من السماء مثل ما تتكلمون وقرأ سورة
 والكسائي وشعبة برفع اللام على أنه نعت لحق وما حريدة وانكم مضاف إليه أي لحق مثل
 نطقكم ولا يضر تقدير اضافتها لمعرفة لانها لا تعرف بذلك لاجل انما والياقون بالنصب على أنه
 نعت لحق أيضا كافي القراءة الاولى وانما في الاسم لاضافته الى غير ممكن كإنباء القائل في قوله
 فتداعى مخزما بدم * مثل ما أخر جاض الجبل

بفتح مثل مع أنها نعت لدم وقيل أنها نعت لمصدر محذوف أي لحق حقاً مثل نطقكم وقوله

تعالى (حل آتاك) أى يأكل الخلاق (حديث ضيف ابراهيم المكرم) تسليمة للنبي صلى الله عليه وسلم وبشير له بالخرج وسماهم ضيفا لانه حسبههم كذلك ويتبع على الواحد والجمع لانه مصدر وسماهم مكرمين عند الله تعالى اولان ابراهيم عليه السلام اكرمهم بأن عمل قراهم وأجلسهم فى أكرم المواضع واختيار ابراهيم ليكون شيخ المرسلين وكون النبي صلى الله عليه وسلم مأمورا بأن يتبع ملته وكان ابراهيم عليه السلام أكرم اخطيئة وضيف الكرام مكرمون وقال ابن أبى نجيج عن مجاهد لان ابراهيم عليه السلام خدمهم بنفسه وعن ابن عباس سماهم مكرمين لانهم جاءوا غير مدعورين وقال صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه (فان قيل) اذا كان المراد من الآية التسليمة والانداز فأى فائدة فى حكاية الضيافة (أجيب) بأن فى ذلك اشارة الى أن الفرج فى حق الانبياء والبلاء على الجهة له يأتى من حيث لم يحتسبوا كقوله تعالى فاناهم العذاب من حيث لا يشعرون فلم يكن عند ابراهيم عليه السلام خبر من انزال العذاب مع ارتفاع منزلته قال القشيري وقيل كان عددهم اثني عشر ملكا وقيل جبريل عليه السلام وكان معه تسعة وقيل كانوا ثلاثة وقرأ هشام بفتح الهاء وألف بعدها والباقون بكسر الهاء وياء بعدها (اذ) أى حديثهم حين (دخلوا عليه) أى دخول استعلاء يخالف لدخول بقية الضيوف وقرأ نافع وابن كثير وعاصم باظهار الدال عند الدال والباقون بالادغام * (تنبه) * اختلف فى العامل فى اذ على أربعة أوجه أحدها أنه حديث أى هل أتاك حديثهم الواقع فى وقت دخولهم عليه ثانيا أنه منصوب بما فى ضيف من معنى الفعل لانه فى الاصل مصدر ولذلك استوى فيه الواحد المذكور وغيره كأنه قيل الذين أضافهم فى وقت دخولهم عليه ثالثا أنه منصوب بالمكرمين ان أريد باكرامهم أن ابراهيم عليه السلام اكرمهم بمخدمته لهم كأنه تعالى يقول اكرموا اذ دخلوا رابعها أنه منصوب باضمار اذ كرولا يجوز نصبه بأتاك لاختلاف الزمانين (فان قيل) انما أرسلوا الى قوم لوط فما الحكمة فى مجيئهم الى ابراهيم عليه السلام (أجيب) من وجهين أحدهما أن ابراهيم عليه السلام شيخ المرسلين ولوط من قومه وعادة الملك اذا أرسل رسولا لملك وفى طريقه من هو أكبر منه يقول له ابر على فلان الملك وأخبره برسالتك وخذ فيه رأيه ثانيا أن ابراهيم عليه السلام كان شديد الشفقة حليما فكان يشق عليه اهلاك أمة عظيمة وكان ذلك مما يحزن ابراهيم عليه السلام شفقة منه على العباد فقال لهم بشروهم بغلام يخرج من صلبه أضاعاف من حلك ويكون من صلبه فروع الانبياء عليهم السلام (فقالوا سلاما) أى هذا اللفظ (قال سلام) أى هذا اللفظ والمشهور أن السلام الاوّل المزايدة التحية أى تسلم سلاما وقيل ان سلاما معناه حسنا لانه كلام سلم به المتكلم من أن يلغوا ويأثم فكانهم قالوا قولا حسنا سلميا من الاثم فيكون مفعولا به لانه فى معنى القول وأما رفع الثانى فالمشهور أنه التحية فهو مبتدأ وخبره محذوف أى علمكم وقيل انه السلامة أى أمرى سلام لاني لأعرفكم وقرأ حمزة والكسائي بكسر السين وسكون اللام والباقون بفتح السين واللام وألف بعدها والمعنى واحد

وقوله تعالى (قوم منكرون) أى غرباء لا أعرفهم قال ذلك فى نفسه كما قاله ابن عباس خبر مبتدأ مقدر أى هؤلاء وقيل انما أنكرأمرهم لانهم دخلوا عليه من غير استئذان وقال أبو العالبيه أنكر اسلامهم فى ذلك الزمان وفى تلك الارض (فراغ) أى ذهب فى خفية من ضيفه فان من آداب المضيف أن يبادر بالقرى حذرا من أن يكفه الضيف أو يصير منتظرا (الى أهله) أى الذين عندهم بقرة (فجاء بعجل) أى قفى من أولاد البقر لانه كان عامة ماله البقر (سمين) قد شواه وأنضجه كما قال تعالى فى سورة هود حينئذ أى مشوى (فقرب اليهم) بأن وضعه بين أيديهم ليأكلوا فلم يأكلوا (قال ألا تأكلون) والهزمة أما لانكار عليهم فى عدم أكلهم وأما للعرض وأما للتخصيص فلم يجيبوا (فأوجس) أى أضمري فى نفسه (منهم خيفة) لما رأى اعراضهم عن طعامه لظنه أنهم جاؤوا لشر وقيل وقع فى نفسه أنهم ملائكة أرسلوا بعذاب فلما عرفوا منه ذلك (قالوا) مؤنسبه له (لا تحف) وأعلموه أنهم رسل الله (وبشروه بغلام) يأتيه على شيخوخته ويأس امرأته بالطعن فى السن بعد عقمها وهو اسحق عليه السلام

(عليه) أى مجبول جملة مهيأة للعلم ولا يموت حتى يظهر علمه بالفعل فى أوانه فان جميع الانبياء بعده من ذريته الا يبيننا محمدا صلى الله عليه وسلم فانه من ذرية اسمعيل عليه السلام * (تنبيه) *

ذكر ههنا من آداب الضيافة تسليم المضيف على الضيف ولقائه بالوجه الحسن والمبالغة فى الاكرام بقوله سلام وهو أكد وسلامهم بالمصدر فى قوله سلام بالرفع زيادة على ذلك ولم يقل سلام عليكم لان الامتناع من الطعام يدل على العداوة والغدر لا يليق بالانبياء فقال سلام أى امرئى مسالمة ثم فيها من آداب المضيف تعجيل الضيافة فان الفاء فى قوله فراغ تدل على التعقيب واخفاؤها لان الروغان يقتضى الاخفاء وغيبة المضيف عن الضيف ليستريح ويأتى بما ينفعه الحياطة ويخدم الضيف بنفسه ويختار الاجود لقوله سمين ويقدم الطعام للضيف فى مكانه ولا ينقل الضيف للطعام لقوله قرب اليهم ويعرض الاكل عليه ولا يامرءه لقوله تعالى قال ألا تأكلون ولم يقل كوا وسرور به كماله لا كما يوجد فى بعض الجناء الذين يحضرون طعاما كثيرا ويجعل نظره ونظر أهل بيته الى الطعام حتى يسلك الضيف يده عنه لقوله تعالى فأوجس منهم خيفة لعدم أكلهم ومن آداب الضيف اذا حضر الطعام ولم يكن يصلح له لكونه مضرا به أو يكون ضعيف القوة عن هضم ذلك الطعام أن لا يقول هذا طعام غليظ لا يصلح لى بل يأتى بعبارة حسنة ويقول فى مانع من أكل الطعام لانهم أجابوه بقولهم لا تحف ولم يذكر وفى الطعام شيئا ولا أنه يضرهم بل بشروه بالوداشعار بأنهم ملائكة وبشروه بالاشرف وهو الذك حيث فهموه انهم ليسوا بمن يأكلون ثم وصفوه بالعلم دون المال والجمال لان العلم أشرف الصفات ثم أدب آخر فى البشارة وهو أن لا يخبر الانسان بما سره دفعة واحدة لانه يورث مرضا لانهم جلسوا واستأنس بهم ابراهيم ثم قالوا نبشرك (فان قيل) قال تعالى فى سورة هود فلما رأى أيديهم لا تصل اليه نكرهم فدل على أن انكاره حصل بعد تقرب العجل اليهم وههنا قال فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون ثم قال فراغ الى أهله بقاء التعقيب وذلك يدل على أن تقرب الطعام منهم

بعد حصول انكاره وتواجهه (أجيب) بأن يقال لعلهم كانوا مخالفين لصفة الناس في الشكل
 والهيئة ولذلك قال قوم منكم ~~كرون~~ أي عند كل أحد واشترك إبراهيم عليه السلام وغيره فيه
 ولهذا لم يقل أنكرتم بل قال أنتم منكم ~~كرون~~ في أنفُسكم عند كل أحد منا ثم امتنعوا من الطعام
 تأكدا لانكار لان إبراهيم فترد بعشادة امساكهم فذكرهم فوق الانكار الاول وكتابة الحال
 في سورة هود أبسط مما ذكره ههنا فانه هنال لم يبين المشرية وههنا ذكره باسمه وهو اسحق
 وههنا لم يقل ان القوم قوم من وههنا قال قوم لوط ولما كانا بعيدين عن قبول الولد تسبب
 عن ذلك قوله تعالى دال الاعلى أن الولد اسحق مع الدلالة على أن خفاء الاسباب لا يؤثر في وجود
 المسببات (فأقبلت) أي من سماع هذا الكلام (امرأته) سارة قبل لم يكن ذلك اقبالا
 من مكان الى مكان بل كانت في البيت فهو كقول القائل أقبل بفعل كذا اذا أخذ فيه وقوله
 تعالى (في صرة) أي صيحة حال أي جاءت صائحة لانهم اقدموا لتعجبا (فصهكت) قال
 ابن عباس لطمت (وجهها) واختلاف في صفة فقيل هو الضرب بالسيد مبسوطه وقيل
 هو ضرب الوجه باطراف الاصابع فعل المتعجب وهي عادة النساء اذا أنكرن شيئا وأصل
 الصك ضرب الشيء بالشيء العريض وقيل جمعت أصابعها وضربت جبهتها تعجبا وذلك من عادة
 النساء أيضا اذا أنكرن شيئا (وقالت) تريد أن تستبين الامر هل الولد منها أو من غيرها
 (عجوز) قال القشيري قبل انها كانت يومئذ ابنة ثمان وتسعين سنة ومع ذلك (عقيم) فهي حال
 شبابه لم تكن تقبل الحمل فلم تلد قط ولما قالت ذلك قالوا عجيبين لها (قالوا كذلك) أي مثل
 ما قلناه من هذه البشري العظيمة (قال ربك) أي المحسن اليك بتأهيلك لذلك على ما ذكرت من
 حالك وبتأهيلك من قبل الاتصال بخليله صلى الله عليه وسلم (انه هو) أي وحده (الحكيم) أي
 الذي يضع الأشياء في أحق مواضعها (العليم) المحيط العلم فهو لذلك لا يعجزه شيء ثم بين سبحانه
 وتعالى ما كان من حال إبراهيم وحال الملائكة بعد ذلك بقوله تعالى (قال) أي إبراهيم عليه
 السلام مسببا عما رأى من حالهم وان اجتماع الملائكة على تلك الحالة لم يكن لهذه البشارة
 فقط (فاخطبكم) أي خبركم العظيم (أيها المرسلون) أي لامر عظيم وههنا أيضا من آداب
 المضيف اذا بادراضيف بالخروج قال له ما هذه العجلة وما شأنك لان في سكوتهم ما يؤهم استغفاله
 ثم انهم أتوا بما هو من آداب الصديق الذي لا يسر عن الصديق شيئا وكان ذلك باذن الله تعالى لهم
 في اطلاع إبراهيم عليه السلام على اهلاكهم وجبر قلبه بتقديم البشارة بأبي الانبياء اسحق عليه
 السلام (فان قيل) فما الذي اقتضى ذكره بالفاء ولم لافال ما هذا الاستعجال وما خطبكم المجل
 لكم (أجيب) بأنه لما أوجس منهم خيفة لخرجوا من غير بشارة واناس فلما أنسوه قال فما
 خطبكم أي بعد هذا الانس العظيم ما هذا الايحاش الاليم (قالوا) فاطعين بالتأكيدي بأن مضمون
 خبرهم حتم لا بد منه ولا ندخل للشقاعة فيه (انا أرسلنا) أي بارسال من تعلم (الى قوم مجرمين)
 أي هم في غاية القوة على ما يحا ولونه وقد صرفوا ما أنعم الله تعالى به عليهم من القوة في قطع
 ما يحق وصله ووصل ما يحق قطعه يعنون قوم لوط (المرسل عليهم) أي من السماء التي فيها

ما وعد العباد به وتوعدوا (حجارة من طين) أى مهيا للاحراق والاحتراق (مسومة) أى
 معلة بعلامة العذاب المخصوص عليها اسم من يرى بها وقوله تعالى (عند ربك) أى المحسن
 اليك بهذه البشارة وغيرها ظرف لمسومة أى معلة عنده (للمسرفين) أى المتجاوزين
 الحد وغيره فانهين بما أبيع لهم فالمسرف المتدادى ولو فى الصغار فقههم مجرمون أى مسرفون
 والجرم قال ابن عباس هو الشرك لأن الشرك أعظم الذنوب * وهنا لطيفة * وهى أن الحجارة
 سومت للمسرف الذى لا يترك الذنب فى المستقبل وذلك انما يعلمه الله تعالى فلذلك قال
 عند ربك للمسرفين ولما كان الاجرام ظاهرا قالوا انما أرسلنا الى قوم مجرمين واللام
 فى المسرفين لتعريف العهد أى لهؤلاء المسرفين اذ ليس لكل مسرف حجارة مسومة واسرافهم
 بأنهم أتوا بما لم يسبقهم به أحد من العالمين وفى هذا دليل على رجم اللأطى والفائدة فى ارسال
 جماعة من الملائكة لهذا الامر وان كان يكفى فيه الواحد منهم اذا ملك العظيم قديم لك بالامر
 الحقيق كما أهلك النمر وذبالبعوض وكما أهلك فرعون بالقمل والجراد بل بالريح التى بها الحياة
 اظهارا للقدرة وقد تكرر الاسباب كما فى يوم بدرأمر خمسة آلاف من الملائكة باهلاك أهل بدر
 مع قتلهم اظهارا العظيم قدرته * (تنبيهه) * قوله تعالى من طين أى ليس من البرد والفاعل لذلك
 هو الله تعالى لا كما تقول الحكماء فانهم يقولون ان البرد يسمى حجارة فقوله تعالى من طين يدفع
 ذلك التوهم قال الرازى ان بعض من يدعى العقل يقول لا ينزل من السماء الاحجارة من طين
 مدورات على هيئة البرد وهىة البنادق التى يتخذها الرماة قالوا وسبب ذلك أن الاعصار
 تصعد الغبار من الفلوات العظيمة التى لا عمارة فيها والرياح تسوقها الى بعض البلاد ويتفق
 ذلك الى هواء ندى فيصير ذلك طينا رطبا والرطب اذا نزل وتفرق استدار بدليل انك اذا رميت
 الماء الى فوق ثم نظرت اليه رأيت يقطر كرات مدورات كاللؤلؤ الكبار ثم فى النزول ان اتفق
 أن تضربه النيران التى فى الجو جعلته حجارة كالآجر المطبوخ فينزل فيصيب من هيا الله تعالى
 هلاكه وقد ينزل كثيرا فى المواضع التى لا عمارة بها فلا يرى ولا يدرى به فلهذا قال من طين
 لأن ما لا يكون من طين كالآجر الذى يكون فى الصواعق لا يكون كثيرا بحيث يطر وهذا تعسف
 لأن ذلك الاعصار لما وقع فان وقع لحادث آخر لم التسلسل ولا بد من الانتهاء الى محدث ليس
 بمحدث فذلك المحدث لابد وأن يكون فاعلا مختارا ومختار له أن يفعل ذلك وله ان يخاق الحجارة
 من طين على وجه آخر من غير نار ولا عيار لكن العقل لا طريق له الى الجزم بطريق احداثه
 وما لا يصل العقل اليه لا يؤخذ بالانقل والنص ومن المعلوم أن نزول حجارة الطين من السماء
 أغرب وأعجب من غيرها ولما أراد الله تعالى أن يهلك المجرمين ميز المؤمنين بقوله تعالى
 (فأخرجنا) أى بما لنا من العظمة بعد أن ذهب ورسنا اليهم ووقعت بينهم وبين لوط عليه
 السلام محاورات معروفة لم يدع الحال هما الى ذكرها (من كان فيها) أى قري قوم لوط (من
 المؤمنين) أى المصدقين بقلوبهم لاننا نسوقهم بالمجرمين فخلصناهم من العذاب على قائمهم
 وضعفهم وقوة المخالفين وكثرتهم (فما وجدنا فيها) أى تلك القرى أسند الامر اليه تشريفا

لرسله واعلاما بأن فعلهم فعله تعالى (غيريت) أى واحد وهو بيت ابن أخى ابراهيم عليهما
 السلام وقيل كانت عتة الناجين منهم ثلاثة عشر (من المسلمين) أى العريقين فى اسلام
 الطاهر والباطن لله تعالى من غير اعتراض أصلا وهم ابراهيم وآله عليهم السلام وانهم أقول
 من وجد منهم الاسلام الاثم وتسموا به كما مر فى سورة البقرة وسماوا به أتباعهم فكان هذا البيت
 الواحد صادقا عليه الايمان الذى هو التصديق والاسلام الذى هو الانقياد قال البغوى
 وصفهم الله تعالى بالايمان والاسلام جميعا لانه ما من مؤمن الا وهو مسلم يعنى لما ينضم ما من
 التلازم وان اختلف المذهب وان قال الاصفهاني وقيل كان لوط وأهل بيته الذين شجوا ثلاثة
 عشر وقيل هم لوط وابنتاه وصفوا بالايمان والاسلام أى هم مصدقون بقلوبهم عاملون
 بجوارحهم الطاعات * (تنبيه) * فى الآية إشارة الى أن الكفر اذا غلب والفسق اذا فشا
 لا تنفع معه عبادة المؤمنين بخلاف ما لو كان أكثر الخلق على الطريقة المستقيمة وفيهم شريعة
 يسيرة يسرقون ويرزقون ومثاله أن العالم كالبدن ووجود الصالحين كالغذية الباردة والحارة
 والسموم الواردة عليه الضارة ثم إن البدن اذا خلا عن النافع وفيه الضار هلك وان خلا
 عن الضار وفيه النافع طاب ونما وان وجد فيه مع عاقل الحكم لا غلب واطلاق الخاص على العام
 لا مانع منه لأن المسلم أعم من المؤمن فاذا سمى المؤمن مسلما لا يدل على اتحاد مفهوميهما
 فكأنه تعالى قال أخرجنا المؤمنين فابعدنا الاعتم منهم الايمان المسلمين ويلزم من هذا
 أن لا يكون هناك غيرهم من المؤمنين (وتركا) أى بما لنا من العظمة (فيها) أى تلك القرى
 بما أوقعنا بها من العذاب (آية) أى علامة عمرة على هلاكهم كالجارية أو الماء المنفق فانا قلنا
 قراهم كلها وصعدت فى الحق كالغمام الى عنان السماء ولم يشعر أحد من أهلها بشئ من ذلك
 ثم قلبت واتبع بالجارية ثم خسف بها وغمرت بالماء الذى لا يشبهه شئ من مياه الارض كما أن
 جنائتهم لم تكن تشبه جنابة أحد من تقدمهم من أهل الارض (الذين يخافون العذاب
 الاليم) أى أن يحل بهم كالحل بهذه القرى فى الدين ان رفع الملائكة كقوتهم فى الهواء الذى
 الى عنان السماء وقلوبهم واتباعهم الجارية المحرقة وغمرهم بالماء المناسب لفعلهم بنسبه وعدم نفعه
 وما أدخلهم فى الآخرة أعظم وخص الذين يخافون بالذكر لانهم المعتبرون بها وقوله تعالى
 (وفى موسى) عطف على قوله تعالى فيها باعادة الجارية لان المعطوف عليه ضمير مجرور فيتم على
 بتر كما من حيث المعنى ويكون التقدير وتر كفى قصة موسى آية (اذا أرسلناه) أى بما لنا
 من العظمة (الى فرعون بسطان ميين) أى بحجة واضحة وهى معجزاته الظاهرة كاليد
 والعصا ومع ذلك لم ينتفع بها ولذلك سبب عنها وعقبها قوله تعالى (فتولى) أى كلف
 نفسه الاعراض عنها بعد ما دعاه علمها الى الاقبال اليها وأشار الى قواه بقوله تعالى (بركنه) أى
 بسبب ما ركن اليه من القوة فى نفسه وبأعوانه وجنوده لانهم له كالركن وقيل بجميع بدنه
 كناية عن المبالغة فى الاعراض (وقال) معلما بعجزه عما أتاه به وهو لا يشعر (ساحر) ثم ناقض
 كتمانكم فقال بجهله عما يلزم على قوله (أو يحنون) أى لاجترائه على مع ما لى من عظيم الملك

بمثل هذا الذي يدعو اليه * (تنبية) * أو حنا على بابهم من الابواب على السامع أولئك نزل نفسه
 مع أنه يعرفه نياحاً منزلة الشاك في أمره تنويعاً على قومه وقال أبو عبدة أو بمعنى الواو قال
 لأنه قد قالهما قال تعالى إن هذا الساحر عليم وقال في موضع آخر أن رسولكم الذي أرسل اليكم
 ليجنون ورد الناس عليه هذا وقالوا لا ضرورة تدعو إلى ذلك وأما الآيتان فلا تدلان على أنه
 قالهما معاً في آن واحد وإنما يفيدان أنه قالهما أعم من أن يكونا معاً وهذه في وقت وهذه في آخر
 ولما وقعت التسليمية بهذا الالواء قال تعالى محذراً للاعداء (فأخذناه) أي أخذ غضب
 وقهر بعظمتنا وقوله تعالى (وجنوده) يجوز أن يكون معطوفاً على مفـعول أخذناه وهو
 الظاهر وأن يكون مفعولاً معه (فمذناهم) أي طرحناهم طرح مستهين بهم كإطراح الحصيات
 (في اليم) أي البحر الذي هو أهل لان بقصد بعد أن سلطنا الريح عليه فغرقته لما ضرب به موسى
 عليه السلام بعضاه ونشفت أرضه وأبيست ما أبرزت فيه من الطرق لنجاة أوليائنا وهلاك
 أعدائنا (وهو) أي والحال أن فرعون (مليم) أي آت بما يلام عليه من تكذيب الرسول
 ودعوى الربوبية وغير ذلك ثم ذكر تعالى قصصاً آخر تسليمة لنا صلي الله عليه وسلم أحداها
 قوله تعالى (وفي عاد) أي أهلاكهم وهم قوم هود عليه السلام آية عظيمة (اذ) أي حين
 (أولسنا) بعظمتنا (عليهم الريح) فأتتهم تحمل سحابة سوداء وهي تدرك الرمل وترمي بالحجارة
 كما مرّت الإشارة إليه على كيفية الانطاق (العقيم) أي التي لا خير فيها لا تحمل المطر ولا تلقح
 الشجر وهي الدبور ثم بين عقمها واعقامها بقوله تعالى (ماتذر) أي تترك على حالة رديئة
 وأغرق في النفي فقال تعالى (من شيء أتت عليه) أي آتينا بأرادهم سلها إهلاكها (الاجعلته
 كالريم) أي الشيء البالي الذي دهكته الأيام والليالي إلى حالة الدمار وخوفي كلامهم ما ييسر
 من نبات الأرض وديس قاله ابن جرير (فان قيل) الجبال والخصور وغير ذلك أتت عليهم
 وما جعلتهم كالريم (أجيب) بأن المراد أتت عليه فاصدة له وهو عاد وابتستهم وعروشهم لأنها
 كانت مأمورة بأمر من عند الله فكانها كانت فاصدة لهم فأتت شيئا من تلك الأشياء
 الاجعلته كالريم ثانياً قوله تعالى (وفي نود) أي أهلاكهم وهم قوم صالح عليه السلام
 آية عظيمة (اذ) أي حين (قيل لهم) أي عن لا يختلف الميعاد وقرأ هشام والكسائي بضم
 القاف والباقون بكسرها (تتعوا) أي بلبن الناقة وغيره مما مكأهم فيه من الزروع والنبخل
 والانبية في الجبال والسهول وغير ذلك من جلائل الأمور على الوجه الذي أمرناكم به
 ولا تظفوا (حتى حين) أي وقت ضربناه لآجالكم (فتعوا) أي أوقعوا بسبب احساننا إليهم
 العتو وهو التكبر والاباء (عن أمر ربهم) أي مولاهم الذي أعظم إحسانه إليهم فغفروا
 ناقته وأرادوا قتل نبيه صالح عليه السلام (فأخذتهم) أي بسبب عتوهم أخذ قهر وعذاب
 (الصاعقة) أي الصيحة العظيمة التي حملتها الريح ناوصلتها إلى مسامعهم بغاية العظمة ورجت
 ديارهم رجّة أزال أرواحهم بالصعق وقرأ الكسائي باسكان العين ولا ألف قبلها والباقون
 بكسر العين وقبلها ألف وقوله تعالى (وهم ينظرون) دال على أنها كانت في غمام وكان فيها

نار ويجوز مع كونه من النظر أن يكون أيضاً من الانتظار فانهم وعدوا نزول العذاب بعد ثلاثة
 أيام وجعل في كل يوم علامة وقعت بهم فحققت واقوعه في اليوم الرابع وقال بعض المفسرين
 المراد منه هو ما أمهلهم الله تعالى بعد عقربهم الناقة وهو ثلاثة أيام بقوله تعالى تمتعوا في داركم
 ثلاثة أيام وكان في تلك الأيام تغيراً لأوانهم فتمحروا وصفروا ونسود قال الرازي وهذا ضعيف
 لأن قوله تعالى تمتعوا عن أمر ربهم يحرف الفاء دليل على أن العتق كان بعد قوله تعالى تمتعوا
 فإذا الظاهر أن المراد هو ما قدر الله تعالى للناس من الأجل فإما من أحد الأوهو عمل مدة
 الأجل انتهى وحسن هذا فسر الآية به (فما) أي فبسبب عن ذلك أنهم ما (استطاعوا)
 أي تمكنوا وأكداً للنفي بقوله تعالى (من قيام) أي فإقاموا بعد نزول العذاب وما قدروا
 على نهوض قال قتادة لم ينهضوا من تلك الصرعة كقوله تعالى فأصبحوا في ديارهم جاءين
 وقيل هو من قولهم ما يقوم به إذا عجز عن دفعه (وما كانوا) أي كوناً (من متصدين) أي لم يكن
 فيهم أهلية الانتصار بوجه لا بأنفسهم ولا بناصر ينصرهم فمطاوعونه في النصرة لأن تهميؤهم
 لذلك سقط به على اعتبار ثالثها قوله تعالى (وقوم نوح) بالجر وهي قراءة أبي عمرو وجزء
 والكسائي عطف على نوح أي وفي أهلاكهم بعماء السماء والأرض آية وبالنصب وهي قراءة
 الباقي أي وأهل كذا قوم نوح (من قبل) أي من قبل أهلاك هؤلاء المذكورين ثم علل
 أهلاكهم بقوله تعالى (أنهم كانوا) خلقاً وطبعاً لاجل تغير زمان أهل الأسباب في صلاحهم
 (قوماً) أي أقوياء (فاسقين) أي غريقين في الخروج عن حظيرة الدين ثم ذكر ما يدل على تمام
 القدرة على البعث بقوله تعالى (والسما بنيناها) أي بما لنا من العظمة (بأيدي) أي بقوة وشدة
 عظيمة لا يقدر قدرها * (فائدة) * سمعت بأيدينا بعد الألف (وانا) على عظمتنا بعد ذلك
 (لموسعون) أي أغنياء وقادرون ذوو سعة لا تنهاه ولذلك أوسعنا بقدر جرمها وما فيها من
 الرزق عن أهلها فالأرض كلها على اتساعها كالنقطة في وسط دائرة السماء بما اقتضته صفة
 الأهمية التي لا تصح معها الشراكة أصلاً قلنا كن تعرفون من الملوك لأنهم إذا فعلوا شيئاً
 لم يقدروا على أعظم منه وإن قدروا كان ذلك منهم بكلفة ومشقة وسيترون في اليوم الآخر
 ما يتلاشى ماترون في جنبه ومن اتساعنا جعلها بلا عمد مع ما هي عليه من العظمة إلى غير ذلك
 من الأمور الخارقة للعوائد وعن الحسن لموسعون الرزق بالمطر وقبل جعلنا بينهما وبين الأرض
 سعة (والأرض فرشناها) أي بسطناها ومهدناها بما لنا من العظمة فصارت ممهدة جذيرة بأن
 تستقر عليها الأشياء وهي آية على تهديد أرض الجنة وشقنا لأنهارها وغرسنا لأشجارها (فتمم)
 أي فتمت عن ذلك أن يقال في وصفنا (المباهدون) والمخصوص بالمدح محذوف الفهم المعنى
 أي نحن لسكمال قدرتنا فنزل من السماء شيء ولانبع من الأرض شيء الأبارادتنا واختيارنا
 وتقديرنا من الأزل لانا إذا صنعنا شيئاً علمنا ما يكون منه من حين انشائه إلى حين افتائه
 ولا يكون شيء منه إلا بتقديرنا وذلك تذكير بالجنة والعارفاً فيها من خير فهو آية على الجنة وما فيها
 من شرفها وآية على النار وقوله تعالى (ومن كل شيء خلقنا) يجوز أن يتعلق بخلقنا أي خلقنا

من كل شيء (زوجين) وأن يتعلق بمحذوف على أنه حال من زوجين لأنه في الأصل صفة له اذ
 التقدير خلقنا زوجين كائين من كل شيء أي صنفين كل منهما من أزواج الآخر من وجهه وان خالفه
 من آخر ولا يتم نفع أحدهما الا بالآخر من الحيوان والنبات وغيرهما ويدخل فيه الاضداد
 من الغنى والفقر والحسن والقبح والحياة والموت والظلام والنور والليل والنهار
 والصحة والسقم والبر والبحر والسهل والجبل والشمس والقمر والحار والبارد اللذين
 هما من نفس جهنم آية يئس عليها وبنائها على الاعتدال في بعض الاحوال آية على الجنة مذكرة
 بها مشوقة اليها والايمان والكفر والسعادة والشقاوة والحق والباطل والحلو والمر قال
 الحسن كل اثنين منها زوج والله سبحانه وتعالى فرد لا مثيل له (لعلكم تذكرون) أي فعلنا
 ذلك كله من بناء السماء وفرش الارض وخلق الأزواج ارادة أن تتذكروا فعملوا ان خالق هذه
 الاشياء واحد لا شريك له لا يعجزه حشر الاجساد وجميع الارواح وقراء حفص والكسائي
 بتخفيف الذال والباقون بالتشديد (فقدروا) أي اقبلوا والحواء (الى الله) أي الذي لا يسمي له
 فضلا عن مكافئ له الكمال كله فهو في غاية العلو فلا يقرب ويسكن أحد الى غير محتاج مثله فان
 المحتاج لا غنى عنده ولا يفر اليه سبحانه الامن تجرد عن حضيض عوائقه الجسمية الى أوج
 صفاته الروحية وذلك من وعيده الى وعده اللذين دل عليهم ما بالزوجين فتكمل السياق بالتحذير
 والاستعطاف بالاستدعاء فهو من باب لا ملجأ منك الا اليك أعوذ بك منك قال القشيري
 ومن صح فراره الى الله تعالى صح قراره مع الله تعالى قال البقاعي وهو بكال المتابعة ليس عينا
 ومن فهم منه اتحادا بذات أو صفة فقد نابذ طريق القوم فعليه لعنة الله (اني لكم منه) أي
 لا من غيره (نذير) أي من أن يفر أحد الى غيره فانه لا يصلح له قصد (مبين) أي بين الانذار
 فقرار العامة من الجهل الى العلم عقد اوسعيا ومن الكسل الى التشمير حذر اوحزما ومن الضيق
 الى السعة ثقة ورجاء وقرار خاصة الخاصة مما دون الحق الى الحق استغراقا في وحدانية
 (ولا تجمعوا) أي باهوائكم (مع الله) وكثر الاسم الاعظم ولم يضر تعميما المراد لانه
 لم يشارك في التسمية به أحد وتنبها على ماله من صفات الكمال ونعمها لوجوه المقاصد لئلا
 يظن لو قيل معه ان المراد النهي عن الجعل من جهة القرار لا من جهة غيرها (الها آخر)
 ثم علل النهي مع التأكيذ بطعنهم في نذارته فقال (اني لكم منه) أي لا من غيره فان غيره لا يقدر
 على شيء (نذير) أي محذر من الهلاك الابدي بالعقوبة التي لا خلاص معها ان فعلتم ذلك
 (مبين) أي لا أقول شيئا من واضح النقل الاودلية ظاهر (كذلك) أي مثل قول قومك
 المختلف العظيم الشناعة البعيد من الصواب بحاله من الاضطراب وقيل لمن قبلهم ودل على هذا
 المقدر بقوله تعالى مستأنفا (ما أتى الذين من قبلهم) أي كفار مكة وعم النبي فقال تعالى
 (من رسول) أي من عند الله تعالى (الا قالوا ساحر أو مجنون) أي مثل تكذيبهم لك بقولهم
 ذلك لان الرسول يأتيهم بخالفة ما لوفااتهم التي قادتهم اليها أهواؤهم والهوى هو الذي
 أوجب لهم هذا التناقض الظاهر سواء كانت أوله تفصيل لان بعضهم قال واخذوا بعضهم

قال آخرا وكانت للشك لأن الساحر يكون ليبا فطنا آتيا بما يعجز عنه كثير من الناس والمجنون
بالضد من ذلك (فان قيل) قوله تعالى الا قالوا يدل على انهم كلهم قالوا ذلك والآخر ليس كذلك
لأن ما من رسول الا وآمن به قوم (أجيب) بأن ذلك ليس بعام فانه لم يقل الا قالوا كلهم وانما قال
الا قالوا لما كان كثير منهم قائلين قال تعالى الا قالوا (فان قيل) فلم يذكر المصدقين كما ذكر
المكذبين وقال الا قال بعضهم صدقت وبعضهم كذبت (أجيب) بأن المقصود التسلية وهي أعلى
التكذيب فكانه تعالى قال لا تأس على تكذيب قومك فان اقواما قبلك كذبوا ورسلا كذبوا
ثم عجب منهم بقوله تعالى (أنواصوا به) فهو واستفهام للتعجب والتوبيخ والضمير في به يعود
على القول المدلول عليه بقاوا أى أنواصوا الاولون والآخرين بهذا القول المتضمن لساحر
أو مجنون والمعنى كيف اتفقوا على معنى واحد كلهم نواطوا عليه وأوصى أولهم آخرهم
بالتكذيب وقوله تعالى (بل هم قوم) أى ذو شناعة وكبر (طاغون) اضرب عن أن التواصي
جامعهم لتباعد أيامهم الى أن الجامع لهم على هذا القول مشاركتهم في الطغيان الحامل عليه
ثم ان الله تعالى سلى نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى (فتول) أى أعرض (عنهم) أى كلف
نفسك الاعراض عن الابلاغ في ابلاغهم ولا تأسف على تخلفهم عن الاسلام (فأنت تعلم)
لأنك بلغت الرسالة وما قصرت فيما أمرت به قال المفسرون لما نزلت هذه الآية حزن النبي صلى
الله عليه وسلم واشتد ذلك على أصحابه وظنوا ان الوحي قد انقطع وان العذاب قد حضر
اذ أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يتولى عنهم فأنزل الله تعالى (وذكر) أى ولا تدع التكذيب
والموعظة (فان الذكرى تنفع المؤمنين) فطابت أنفسهم والمعنى ليس التولى مطلقا بل تول
وأقبل وأعرض وادع فلا التولى يضرك اذا كان عليهم ولا التدكير يضيع اذا كان
مع المؤمنين وقال مقاتل معناه عظم بالقرآن كفار مكة فان الذكرى تنفع من علم الله تعالى
انه مؤمن منهم وقال الكلبي عظم بالقرآن من آمن من قومك فان الذكرى تنفعهم * ولما بين حال
من قبل النبي صلى الله عليه وسلم في التكذيب بين سوء صنيعهم حيث تركوا عبادة الله تعالى
الذى خلقهم للعبادة بقوله تعالى (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) واختلاف في تفسير
ذلك فأكثر المفسرين على أن المراد بهم العموم ولا ينافي ذلك عدم عبادة الكافرين لأن الغاية
لا يلزم وجودها كما في قولك برئت هذا القلم لا كتب به فانك قد لا تكتب به هكذا قال الجلال
الحلي وأوضح منه ما قاله ابن عادل ان المعنى الامعدين للعبادة ثم منهم من يتأق منه ذلك ومنهم
من لا كقولك هذا القلم بريته للكتابة ثم قد لا تكتب به وقد تكتب انتهى أو ان المراد الا لاهرهم
بالعبادة وليقرؤا به وهذا منقول عن علي بن أبي طالب أو ان المراد ليطيعوا وينقادوا لقضائى
قائمين يفعل ذلك طوعا والكافر يفعل ذلك كرها أو ان المراد الا ليوحدون فأما المؤمن فيوحد
اختيارا في الشدة والرخاء وأما الكافر فيوحد اضطرارا في الشدة والبلاء دون النعمة والرخاء
وقال مجاهد معناه الا ليعرفون قال البغوي وهذا أحسن لانه لو لم يخلقهم لم يعرف وجوده
ويوحده بدليل قوله تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله وقيل المراد به الخصوص أى

ما خلقت السعداء من الجن والانس والاشقياء منهم الملعونين قال زيد بن اسلم
قال هو ما جلاوا عليه من السعادة والشقاوة ويؤيده قوله تعالى ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من
الجن والانس وقيل وما خلقت الجن والانس المؤمنين وقيل الطائعين * (تبيينه) * استدلال
المعتزلة بهم هذه الآية على أن أفعال الله تعالى معللة بالاعراض وأجيبوا بوجودهم منها أن اللام
قد ثبتت لغير الغرض كقوله تعالى أقم الصلاة لذالك الشمس وقوله تعالى فطلقوهن لعدتهن
ومعناه المقارنة فيكون معناه قرنت الخلق بالعبادة أي خلقتهم وفرضت عليهم العبادة ومنها
قوله تعالى الله خالق كل شيء ومنها ما يدل على أن الاضلال بفعل الله كقوله تعالى يضل
من يشاء وأمثاله ومنها قوله تعالى لا يسئلكم عما يفعل وقوله تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد
(فان قيل) ما الحكمة في أنه لم يذكر الملائكة مع أنهم من أصناف المكلفين وعبادتهم أكثر
من عبادة غيرهم من المكلفين قال تعالى بل عبادكم كرمون وقال تعالى لا يستكبرون
عن عبادته (أجيب) بوجود أحد هاتين الآيةين سبقت لبيان قبح ما يفعله الكفرة من ترك
ما خلقوا له وهذا يختص بالجن والانس لأن الكفر موجود فيهما دون الملائكة ثانيها
أن النبي صلى الله عليه وسلم كان مبعوثا إلى الجن والانس فلما قال تعالى وذكر بين ما يذكر به
وهو كون الخلق للعبادة وخصص أمته بالذكر أي ذكر الجن والانس ثالثها أن عباد الاصنام
كانوا يقولون ان الله تعالى عظيم الشأن خلق الملائكة وجعلهم مقرين فهم يعبدون الله تعالى
وخلقتهم لعبادته ونحن لنزول درجتنا لنعلم لعبادة الله تعالى فنعبد الملائكة وهم يعبدون الله
تعالى كما قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا إلى الله زلفى فقال تعالى وما خلقت الجن والانس الا
ليعبدون ولم يذكر الملائكة لأن الامر فيهم كان مسلمان القوم فذكر المنازع فيه رابعها فعل
الجن يتناول الملائكة لأن أصل الجن من الاستنار وهم مستترون عن الخلق فذكر الجن لدخول
الملائكة فيهم * ولما خص سبحانه خلقهم في ارادة العبادة صرح بهذا المفهوم بقوله تعالى
(ما أريد منهم) أي في وقت من الاوقات وعم في النبي بقوله تعالى (من رزق) أي شيء من
الاشياء على وجه ينفعني من جلب أو دفع لاني منزوع من طاق نفع أو ضرر كما يفعل غيري من
الموالي مع عبيدهم فان ملائكة العبيد انما يكونهم لستمعينا بهم في تحصيل معاشهم
وأرزاقهم فاما تجهيز في تجارة لبني ورجاء أو مرتب في فلاحه ليغفل أرضاً ومسلم في حرفة لينتفع
بأجره أو محتطب أو محتش أو مستق أو طابيح أو خبز وما أشبه ذلك من الاعمال والمهن التي
هي تصرف في أسباب المعيشة وأبواب الرزق لاني الغنى المطلق وكل شيء مضمّن الرزق (وما أريد)
أصلا (أن يطعمون) أي أن يرزقون رزقا خاصا هو الاطعام وفيه تعريض بأصنامهم فانهم كانوا
يعملون معها ما ينفعها ويحضرولها المأككل فربما أكلت الكلاب ثم قالت على الاصنام
ثم لا يصدق ذلك عن عبادتها وقيل في الآية حذف مضاف أي وما أريد أن يطعموا أحدا
من خلقي وانما أسند الاطعام الى نفسه لأن الخلق كله عيال الله ومن أطعم عيال الله
فقد أطعمه كما صرح في الحديث عن أبي هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل يقول

يوم القيامة يا ابن آدم مرضت فلم تعدني قال يارب كيف أعودك وأنت رب العالمين قال أما
 علمت أن عبدى فلان مرض فلم تعده أما تعلم أنك لو عدته لوجدتني عنده يا ابن آدم أستطعمتك
 فلم تطعمني قال يارب كيف أطعمك وأنت رب العالمين قال استطعمتك عبدى فلان فلم تطعمه
 أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقيني قال يارب كيف
 أسقيك وأنت رب العالمين قال استسقا لعبدى فلان فلم تسقه أما علمت أنك لو أسقيته لوجدت
 ذلك عندي (فان قيل) ما الفائدة في تكرير الارادتين مع أن من لا يريد من أحد رزقا لا يريد أن
 يطعمه (أجيب) بأن السيد قد يطلب من العبد المكتسب له الرزق وقد يكون السيد مال وافر
 يستغنى به عن التكسب لكنه يطلب من العبد قضاء حوائجه واحضار الطعام بين يديه فقال
 لا يريد ذلك ولا هذا وقد تم طلب الرزق على طلب الطعام من باب الارتقاء من الأدنى الى الأعلى
 (فان قيل) ما الفائدة تخصيص الطعام بالذكر مع أن المراد عدم طلب فعل منهم غير التعظيم
 (أجيب) بأنه لما عمى النفي في طلب الاقل بقوله تعالى من رزق وذلك إشارة الى التعميم فذكر
 الطعام ونفى الأدنى ليلتبعه بنى الأعلى بطريق الأولى فكانه قال ما أريد منهم من غنى ولا عمل
 (فان قيل) المطالب لا يتخصص فيما ذكره فان السيد قد يشتري العبد لا يطلب رزق منه ولالة تعظيم
 بل يشتره للتجارة (أجيب) بأن العموم في قوله تعالى ما أريد منهم من رزق يتناول ذلك ثم بين
 تعالى انه الرزاق لا غيره بقوله عز من قائل (ان الله) أى المحيط بجميع صفات الكمال المنزه عن
 جميع صفات النقص (هو) أى لا غيره (الرازق) أى على سبيل التكرار لكل حتى وفى كل
 وقت (ذو القوة) أى التى لاتزول بوجه (المتين) أى الشديد الدائم (فان قيل) لم يقل انى
 رزاق بل قال على الحكاية عن الغائب ان الله هو الرزاق فما الحكمة (أجيب) بأن المعنى
 قل يا محمد ان الله هو الرزاق أو يكون من باب الالتفات من التكلم الى الغيبة أو يكون
 قل مضمرا عند قوله تعالى ما أريد منهم من رزق ولم يقل القوى بل قال ذو القوة لان المقصود
 تقرير ما تقدم من عدم رادة الرزق وعدم الاستعانة بالغير وقيد بالمتين لان ذو القوة لا يدل
 الا على أن له قوة ما فرادى الوصف المتانة وهو الذى له ثبات لا يتزلزل والمعنى فى وصفه سبحانه
 بالقوة والمتانة انه القادر البليغ الاقتدار على كل شئ * ولما أقسم سبحانه على الصدق
 فى وعيدهم الى أن ختم بقوته التى لاحتمالها سبب عن ذلك ايقاعه بالمتوعدين فقال تعالى مؤكدا
 لاجل انكارهم (فان للذين ظلموا) أى أوقعوا الاشياء فى غير مواقعها (ذنوبا) أى نصيبا
 من العذاب طويل الشر كأنه من طوله صاحب ذنب (مثل ذنوب أصحابهم) أى الذين تقدم
 ظلمهم يتكذب الرسل من قوم نوح وعاد وثمود والذنوب فى الاصل الدلو العظيمة المملوءة ماء
 وفى الحديث فأتى بذنوب من ماء فان لم تكن ملائى فهى دلوهم عبر به عن النصيب قال عمرو
 ابن شاس وفى كل شئ قد خبطت بنعمة * فحق لشاس من الذنوب
 قال الملك نعم وأذنبه قال الزحشرى وهذا اعتييل أصله فى السقاة يتقسمون الماء فيكون لهذا
 ذنوب ولهذا آخر قال الشاعر

لكم ذنوب ولنا ذنوب * فان آيتم فلنا القلب

وقال الراغب الذنوب الدوال التي له ذنب انتهى فراعى الاشتقاق والذنوب أيضا الفرس الطويل الذنب وهو صفة على فعول والذنوب لحم أسقل المتن ويقال يوم ذنوب أى طويل الشر استعارة من ذلك ويجمع في القلة على أذنبه وفي الكثرة على ذنائب (فلا تستجلبون) أى تطلبوا أن آتيكم به قبل أوانه الاخق به فان ذلك لا يفعله الا ناقص وأنامتعال عن ذلك لا أخاف الفتوت ولا يلحقنى عجز ولا أوصف به ولا بد أن أوقعه بهم في الوقت الذي قضيت به في الازل فانه أحق الاوقات بعقابهم لشكمال ذنوبهم (فويل) أى شدة عذاب (للذين كفروا) أى ستره اما ظهر من هذه الادلة التي لا يسع عاقلا انكارها (من يومهم الذي يوعدون) أضافه اليهم لانه خاص بهم دون المؤمنين وهو يوم القيامة وقيل يوم بدر وحذف العائد لاستكمال شروطه أى يوعدونه وقرأ أجزء والكسائي في الوصل بضم الهاء والميم وأبو عمرو بكسر الهاء والميم والباقون بكسر الهاء وضم الميم وأما الوقف عليها فالجميع بكسر الهاء ومارواه البضاوى تبعاً للزمخشري من أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة والذاريات أعطاه الله تعالى عشر حسنات بعد ذلك ربح هبت وجرى في الدنيا حديث موضوع والله أعلم

﴿سورة الطور مكية﴾

وهي تسع وأربعون آية وتلثمائة واثناعشرة كلمة وألف وخمسمائة حرف

(بسم الله) الملك الاعظم ذي الملك والملكوت (الرحمن) الذي عمّ خلقه بالرحمت (الرحيم) الحي الذي لا يموت وقوله تعالى (والطور) وما بعده أقسام جوابها ان عذاب ربك لواقع والواو التي بعد الاولى عواطف لا حروف قسم كما قاله الخليل والطور هو الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام وهو جدين أقسم الله تعالى به وقيل هو الجبل الذي قال الله تعالى وطور سينين وقيل هو اسم جنس * (تنبيه) * مناسبة هذه السورة لما قبلها من حيث الاقتراح بالقسم وبيان الحشر فيهما والمراد بالكتاب في قوله تعالى (وكتاب مسطور) أى متفق الكتابة بسطور مصفوفة في حروف مرتبة جامعة لكلمات متفقة هو كتاب موسى عليه السلام وهو التوراة وقيل القرآن وقيل اللوح المحفوظ وقيل صحائف أعمال الخلق قال تعالى ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً وقوله تعالى (في رق) متعلق بمسطور أى مكتوب في رق والرق الجلد الرقيق يكتب فيه وقال الراغب الرق ما يكتب فيه شبه كاغد اه وهو أعم من كونه جلداً وغيره (منشور) أى مبسوط مهيا للقراءة وقوله تعالى (والبيت المعمور) مختلف في مكانه فتبيل في السماء العليا تحت العرش وقيل في السماء الثالثة وقيل في السادسة وعلى كل قول هو بحيال الكعبة يقال له الضراح حرمة في السماء كحرمة الكعبة في الارض يدخله كل يوم سبعون ألف ملك يطوفون به ويصاون فيه ثم لا يعودون اليه أبداً ووصفه بالعمارة لكثرة الطائفتين به من الملائكة وقيل هو بيت الله الحرام لكونه معجوراً بالجباح والعمار والمجاورين وقيل الامام

في البيت المعمور لتعريف الجنس كانه تعالى أقسم بالبيوت المعمورة والعمائر المشهورة وقوله
 تعالى (والستف المرفوع) مختلف فيه أيضا فالأكثر على أنه السماء كما قال تعالى وجعلنا السماء
 سقفا محفوظا وقيل المراد به سقف الكعبة وقيل سقف الجنة وهو العرش ونقل عن ابن عباس
 وقوله تعالى (والبحر المسجور) من الاضداد يقال بحر مسجور أى مملوء وبحر مسجور أى فارغ
 وروى ذو الرمة الشاعر عن ابن عباس أنه قال خرجت أمة لتستقي فقالت ان الحوض مسجور
 أى فارغ وبؤيد هذا ان البحار يذهب ماؤها يوم القيامة وقيل المسجور المسلول ومنه
 ساجور الكلب لانه يسكه ويحبسه وقال محمد بن كعب القرظي يعنى بالمسجور الموقد المحي
 بمنزلة التنور المسجور وهو قول ابن عباس لما روى انه تعالى يجعل البحار كلها يوم القيامة نارا
 فيزاد بها في نار جهنم كما قال تعالى واذا البحار سجرت وعن علي أنه قال هو ديار من موضع النار
 في كتابكم قال في البحر قال علي ما أراه الا صادقا لقوله تعالى والبحر المسجور وعن ابن عمر
 أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يركب البحر رجل الا غزيا أو معتمرا أو حاجا فان تحت
 البحر نارا وتحت النار بحرا وقال الربيع بن أنس المختلط العذب بالملح وروى الضحاك
 عن المنزل بن سمرة عن علي أنه قال البحر المسجور هو بحر تحت العرش غمره كباين سبع سموات
 الى سبع أرضين فيه ماء غليظ يقال له بحر الحيوان يطرد العباد منه بعد النفقة الاولى أربعين
 صباحا فينبون في قبورهم وهذا قول مقاتل (فان قيل) ما الحكمة في القسم بهذه الثلاثة أشياء
 (أجيب) بأن هذه الاماكن الثلاثة وهى الطور والبيت المعمور والبحر المسجور كانت لثلاثة
 أنبياء للخلوة بربهم والخلاص من الخلق وخطابهم مع الله تعالى أما الطور فانتقل اليه موسى
 عليه السلام وخطب الله سبحانه وتعالى هناك وأما البيت المعمور فانتقل اليه محمد صلى الله
 عليه وسلم وقال الربيه سلام علينا وعلى عباد الله الصالحين لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على
 نفسك وأما البحر المسجور فانتقل اليه يونس عليه السلام ونادى في الظلمات أن لا اله الا أنت
 سبحانه انى كنت من الظالمين فصارت هذه الاماكن شريفة بهذه الاسباب فأقسم الله تعالى
 بها وأما ذكر الكتاب فلان الانبياء كان لهم مع الله تعالى في هذه الاماكن كلام والكلام
 في الكتاب * (تنبيه) * أقسم الله تعالى في بعض السور بمجموع كقوله تعالى والذريات
 والمرسلات والنازعات وفي بعضها بافراد كقوله تعالى والطور ولم يقل والاطوار والابحار قال
 الرازى والحكمة فيه ان في أكثر الجوع أقسم عليهم بالمتحركات والريح الواحدة ليست بثابتة
 بل هى متبدلة بافرادها مستقرة بأنواعها والمقصود منها لا يحصل الا بالتبدل والتغير فقال
 والذريات اشارة الى النوع المستقر لا الى الفرد المعين المستقر وأما الجبل فهو ثابت غير متغير
 عادة فالواحد من الجبال دائم زمانا ودورا فأقسم في ذلك بالواحد وكذلك في قوله تعالى والنجم
 ولو قال والريح لما علم المقسم به وفي الطور علم وقوله تعالى (ان عذاب ربك) أى الذى تولى
 تربيتك (لواقع) أى ثابت نازل بحسب تحققة جواب القسم كما مر (ماله من دافع) أى مانع
 لانه لا شريك لموقعه لما دللت عليه هذه الاقسام من كمال القدرة وبجلال الحكمة قال جبير

ابن مطعم قدمت المدينة لا كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم في أسارى بدر فدفعته اليه وهو
يصلى بأصحابه المغرب وصوته يخرج من المسجد فسمعه يقرأ والطور الى قوله تعالى ان عذاب
ربك لواقع ماله من دافع فكانت مصادع قلبي حين سمعته ولم أكن أسلمت يومئذ فأسلت خوفا من
العذاب وما كنت أظن أني أقوم من مكاني حتى يقع بي العذاب ثم بين تعالى أنه متى يقع بقوله
تعالى (يوم تقوم السما) أي تتحرك وتضطرب ويحي وتذهب وتدور ودوران الرجي ويوج بعضها
في بعض وتتكفأ بأهلها تنكأ السفينة وتختلف أجزاؤها بعضها في بعض قال البغوي والمور
يجمع هذه المعاني وهو في اللغة الذهاب والحجي والتردد والدوران والاضطراب قال الرازي
وقيل تجيء وتذهب كالذخا ثم تضمحل (مورا) أي اضطرابا شديدا (وتسير الجبال) أي تنقل
من أماكنها انتقال السحاب وحقق معناه بقوله تعالى (سيرا) فتصير هباء منثورا وتكون
الأرض قاعا مفصفا ثم بين من يقع عليه العذاب بقوله تعالى (فويل) أي شدة عذاب (يومئذ)
أي يوم اذ يكون مائة ثم ذكره (للكاذبين) أي الغريبين في المكذيب للرسول (الذين هم) من
بين الناس بظواهرهم وبواطنهم (في خوض) أي أقوالهم وأفعالهم أفعال الخائض في الماء
فهو لا يدري أين يضع رجله (يلعبون) فاجتمع عليهم أمران موجبان للباطل الخوض واللعب
فهم بحيث لا يكاد يقع لهم قول ولا فعل في موضعه فلا يؤسر على بيان أوجه (فان قيل) أهل
الكفار لا يكذبون فمقتضى ذلك أنهم لا يعذبون (أجيب) بأن ذلك العذاب لا يقع على أهل
الكفار لقوله تعالى كلما ألقى فيه فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا
فالمؤمن لا يلقى فيها القاء هو ان وانما يدخل فيها لتنطهير ادخال مع نوع اكرام فالويل انما هو
للكاذبين وقوله تعالى (يوم يدعون) بدل من يوم تقوم السماء أو من يومئذ قبله تقديره فويل
يومئذ يوم يدعون أي يدفعون دفعا عنيفا بحقوة وغلظة من كل من يقبضه الله تعالى اذ ذلك ذاهبين
ومتهين (الى نار جهنم) وهي الطبقة التي تلقاهم بالعبوسة والكرهية وأكدا المعنى وحققه
بقوله تعالى (دعا) قال البغوي وذلك ان خزنة جهنم يغلقون أيدهم الى أعناقهم ويجمعون
نواصيهم الى أقدامهم ثم يدفعون دفعا على وجوههم وزجاف أقفيتهم مقولا لهم تسكينوا وتوبوا
(هذه النار) أي الجسم المحرق المفسد لما أتى عليه الشاغل عن اللعب (التي كنتم بها)
في الدنيا (تكذبون) على التجدد والاستمرار وقوله تعالى (أفسح) خبر مقدم وقوله تعالى
(هذا) هو المبتدأ وقدم الخبر لانه المقصود بالانكار والتوبيخ وذلك أنهم كانوا ينسبون محمدا
صلى الله عليه وسلم الى السحر وأنه يغطي الابصار بالسحر وان اشتقاق القصور وأمثلة السحر
فربما يجوابه وقيل لهم أفسح هذا أي الذي أنتم فيه من العذاب مع هذا الاحراق الذي
تصلون فيه (أم أنتم) في منام أو نجوه (لا تبصرون) بالقلوب كما كنتم تقولون في الدنيا قلوبنا
في أكنة ولا بالاعين كما كنتم تقولون للمنذر يبيننا وبينك حجاب فاعمل انعاما لو ان
(اصنافها) أي اذالم يمكنكم انكارها وتحققتم أنه ليس بسحر ولا خلل في ابصاركم فقا سوا
شتمها (فاصبروا) على هذا الذي لا طاقة لكم به (أولا تصبروا) فانه لا محيص لكم عنه (سواء

عليكم) أي الصبر والجزع فإن صبركم لا ينفعكم وقوله تعالى (انما يجزون ما كنتم تعملون) تعليل
للاستواء فإنه لما كان الجزاء واجباً كان الصبر وعدمه سبباً في عدم النفع ولما ذكر ما للمكذبين من
العذاب أتبعه ما لصادقهم من الثواب فقال تعالى (إن المتقين) أي الذين صارت التقوى لهم
صفة راسخة (في جنات) أي بساكنين أية بساكنين دعا في الدنيا حكماً وفي الآخرة حقيقة (ونعيم)
أي نعيم في العاجل يعني بما لهم فيه من الانس وفي الآجل بالفعل وزاد في تحقيق النعيم بقوله
تعالى (فاكهين) أي متلذذين معجبين ناعمين (بما آتاهم) أي أعطاهم (ربهم) الذي تولى تربيتهم
بعملهم بالطاعات إلى أن أوصلهم إلى هذا النعيم (ووفاهم) أي قبل ذلك (ربهم) أي المفضل
بتربيتهم بكفهم عن المعاصي والقاذورات (عذاب الجحيم) أي النار الشديدة التوقد ولما كان من
بشر النعمة وجواب النعمة في غنى عظيم قال مترجماً لذلك على تقدير القول (كأولئك) أي أكلاهم
(واشربوا) أي شرباً (هنيئاً) وهو الذي لا تنغيص فيه فكل ما تتناولونه مأمون العاقبة من التخم
والسقم وغيرهما (بما) أي بسبب ما (كنتم) أي كوناً راسخاً (تعملون) أي مجددين العمل على
سبيل الاستمرار حتى كأنه طمع لكم ثم نبه على أنهم مع هذا النعيم يخدمون بقوله تعالى (مسكينين)
أي مستندين استناداً راحة لأنهم يخدمون فلا حاجة لهم إلى الحركة (على سرر مصفوفة) أي
منصوبة واحدة إلى جنب واحدة مستوية كأنها المستوية على أحسن نظام وأبدع ثم نبه على تمام
سرورهم بالتمتع بالنساء بقوله تعالى (وزوجناهم) أي تزويجاً يليق بما لنا من العظمة أي صبرناهم
ممتعين (بجور) أي نساء هن في شدة بياض العين وسوادها واستدارة حدقتهم وورقة جفونهن
في غاية حسن لا توصف (عين) أي واسعات العين في رونق وحسن * (تنبه) * اعلم أنه تعالى
بين أسباب النعيم على الترتيب فأول ما يكون المسكن وهو الجنان ثم الأكل والشرب ثم الفرش
والبساط ثم الأزواج فهذه أمور أربعة ذكرها الله تعالى على الترتيب وذكر في كل واحد منها
ما يدل على كماله فقوله جنات إشارة إلى المسكن وقال فاكهين إشارة إلى عدم التنغيص وعلو
المرتبة لكونه مما آتاهم الله وقال كأولئك وواشربوا هنيئاً أي مأمون العاقبة وترك ذكر الماء كقول
والمشروب دلالة على تنويعهما وكثرتهما وقوله تعالى بما كنتم تعملون إشارة إلى أنه تعالى
يقول اني مع كوني ربكم وخالقكم وأدخلتكم الجنة بفضلتي فلامنة لي عليكم اليوم وانما مني
عليكم كانت في الدنيا هديتكم ووفقتكم للأعمال الصالحة كما قال تعالى بل الله يثق عليكم ان
هذا لكم للإيمان وأما اليوم فلامنة عليكم لأن هذا النجاء الوعد وقوله تعالى (والذين آمنوا)
أي أقروا بالإيمان وان لم يبالغوا في الأعمال الصالحة مبتدأ وقرأ أبو عمرو (وأنعمناهم) أي
بما لنا من الفضل الناشئ عن العظمة بقطع الهمزة وسكون التاء الفوقية وسكون العين وبعد
العين نون مفتوحة بعدها ألف والباقيون بهمزة وصل مخدوفة وتشديد التاء الفوقية وفتح العين
وبعد هاء تاء فوقية ساكنة وهو معطوف على آمنوا (ذرياتهم) أي الصغار والبنات والبنات
بإيمانهم بأنفسهم والصغار بإيمان آبائهم فإن الولد الصغير يحكم بإسلامه تبعاً لأبيه
(بإيمان) أي بسبب إيمان حاصل منهم ولو كان في أدنى درجات الإيمان ولكنهم ثبتوا عليه إلى

ان ما تو اود ذلك شرط اتباعهم الذريات قال البقاعي ويجوز ان يراد وهو اقرب بسبب ايمان
 الذرية حقيقة ان كانوا كبارا او حكاما كانوا صغارا ثم اخبر عن الموصول المبتدأ بقوله تعالى
 (الحقنا بهم) تفضلا منا عليهم (ذرياتهم) وان لم يكن للذرية أعمال لانه
 * لعين تجازي ألف عين وتكرم * والذريات هذا تصدق على الآباء وعلى الابناء وان المؤمن
 اذا كان عمله أكثر الحق به من دونه في العمل ابنا كان أو أباً وهو مئة قول عن ابن عباس وغيره
 ويلحق بالذرية من النسب الذرية بالسبب وهو الخمسة فان كان معها أخذ لعلم أو عمل كانت
 أجدر فتكون ذرية الافادة كذرية الولادة وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم المرء مع من أحب
 في جواب من سأل عن يجب القوم ولما يلحق بهم وقرأ ذرياتهم بايمان وأحقنا بهم ذرياتهم نافع
 بالقصر في الاولى والجمع في الثانية مع كسر التاء وقرأ ابن كثير والكوفيون بالقصر فيم ماع ضم
 التاء وقرأ أبو عمر وبالجمع فيم ماع كسر التاء وقرأ ابن عامر بالجمع فيم ما لأنه رفع التاء في الاولى
 ويكسرها في الثانية (فان قيل) قوله تعالى أتبعناهم ذرياتهم بنفسه فائدة قوله تعالى ألحقناهم
 ذرياتهم (أجيب) بأن قوله تعالى ألحقناهم أي في الدرجات والاتباع انما هو في حكم الايمان
 وان لم يبلغه كما مر ثم أشار الى عدم نقصان المتبوع بقوله تعالى (وما ألتناهم) أي ما نقصنا
 المتبوعين (من عملهم) وأكدا لنفي بقوله تعالى (من شيء) أي بسبب هذا الالحاق ولما بين تعالى
 اتباع الادنى للداعي في الخير بين أن الادنى لا يتبع الاعلى في الشر بقوله تعالى (كل امرئ)
 من الذين آمنوا والمتقين وغيرهم (بما كسب) أي عمل من خيراً أو شراً (رهين) أي رهون
 يؤخذ بالشر ويحازى بالخير وقال مقاتل كل امرئ كافر بما عمل من الشر رهين في النار
 والمؤمن لا يكون مرتباً بالقوله تعالى كل نفس بما كسبت رهينة الا أصحاب اليمين وقال
 الواحدى هذا يعود الى ذكر أهل النار وهو قول مجاهد أيضاً قال الرازى وفيه وجه آخر
 وهو أن يكون الرهن فعلاً بمعنى الفاعل فيكون المعنى كل امرئ راهن أي دائم أن أحسن
 ففي الجنة مؤبداً وان أساء ففي النار محمداً لأن في الدنيا دوام الاعمال بدوام الاعيان فان العرض
 لا يبقى الا في جوهر ولا يوجد الا فيه وفي الآخرة دوام الاعيان بدوام الاعمال فان الله تعالى
 يبقى أعمالهم لكونها عند الله تعالى من الباقيات الصالحات وما عند الله باق والباقي يبقى مع
 عمله (وأمددناهم) أي الذين آمنوا والمتقين ومن ألحق بهم من ذرياتهم بما لنا من العظمة
 (بنّا كهة) وبقا بعد وقت زيادة على ما تقدم ولما كانت الفاكهة ظاهرة فيما نعرفه في الدنيا وان
 كان عيش الجنة بجميع الاشياء تفكها ليس فيه شيء يقصده حفظ البدن قال تعالى (ولهم
 مما يشتهون) من أنواع اللحمان والمعنى زدناهم ما كولو ومشرّبوا بالفاكهة كولو الفاكهة واللحم
 والمشروب الكاس وفي هذا الطيفة وهي أنه تعالى لما قال وما ألتناهم من عملهم من شيء ونفي
 النقصان يصمدق بمصطلح المساوى فقال ليس عدم النقصان بالاقتصار على المساوى بل بالزيادة
 والامداد وقوله تعالى (يتنازعون) في موضع نصب على الحال من مفعول أمددناهم ويجوز
 أن يكون مستأنفاً وقوله تعالى (فيها) يجوز أن يعود الضمير لشربها ويجوز أن يعود للجنة

ومعنى يتنازعون يتعاطون ويحتمل أن يقال التنازع التجاذب ويكون تجاذبهم تجاذب
 ملاعبة لا تجاذب منازعة وفيه نوع لئلا يلزمهم يفعلون ذلك هم وجلساؤهم من أقر بائهم
 واخوانهم (كأسا) أى خمر من ورقة حاشيتها تكاد أن لا ترى فى كأسها (لألفو) أى لاسقط
 حديث وهو ما لا ينفع من الكلام ولا يضر (فيها) أى فى تنازعها ولا يسيبها لأنها لا تذهب
 بعقولهم فلا يتكلمون إلا بالحسن الجميل بخلاف المتنازعين فى الدنيا على الشراب بسفههم
 وعربتهم (ولأنهم) أى لا يكون منهم ما يؤثمهم وقال الزجاج لا يجزى منهم ما بلغى ولا ما فيه
 أثم كما يجزى فى الدنيا الشربة الخمر قال الرازى ويحتمل أن يكون المراد من التأييم السكر وقيل
 لا يأثمون فى شربها وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ونصب لغو وتأنييم من غير تنوين والباقيون بالرفع
 فيهم ماع التنوين ولما كانت المعاطاة لا يكمل بسطها ويعظم أنسها إلا بخدم وسقاة قال تعالى
 (ويطوف عليهم) بالكؤس وغيرها من أنواع التحف (غلمان) أى أرقاء ولما كان أحب مال
 إلى الإنسان ما يختص به قال تعالى (لهم) ولم يقل تعالى غلمانهم لئلا يظن أنهم الذين كانوا
 يخدمونهم فى الدنيا فيشفق كل من خدم أحدا فى الدنيا بقول أو فعل أن يكون خادما له فى الجنة
 فيحزن بكونه لا يزال تابعا وأقاد التذكيرات كل من دخل الجنة وجد له خدما لم يعرفهم قبل
 ذلك (كأنهم) فى بيضهم وشدة صفاتهم (لؤلؤم كنون) أى مخزون مصون لم تمسه الأيدي
 قال سعيد بن جبيرة يعنى فى الصدف لأنه فيها أحسن منه فى غيره ومصون فى الجنة لم تغيره
 العوارض قال عبد الله بن عمر ما من أحد من أهل الجنة إلا يسعى عليه ألف غلام وكل
 غلام على عمل ما عليه صاحبه هذه صفة الخادم وأما الخدم فروى عن الحسن أنه لما تلا هذه
 الآية قال يا رسول الله الخادم كاللؤلؤ المكنون فكيف الخدم قال فضل الخدم على الخادم
 كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال ان أدنى أهل
 الجنة منزلة من ينادى الخادم من خدامه فيجيبه ألف يابا يابا ليلى وقرأ السوسى وشعبة
 لؤلؤ بالبدل والباقيون بالهمز (وأقبل بعضهم) لما أزداهم من السرور واللذة والجور (على
 بعض يشاءون) أى يسأل بعضهم بعضا فى الجنة قال ابن عباس يتذاكرون ما كانوا فيه من
 التعب والخوف فى الدنيا (قالوا) أى قال كل منهم (أنا كاقبل) أى فى دار العمل (فى أهلنا) على
 ما لهم من العدد والعدد والسعة ولناهم من جوانب اللذة والدواعى إلى اللعب (مشفقين)
 أى عريقين فى الخوف من الله تعالى لا يلهيها عنه شئ مع لزومنا لما تقدر عليه من طاعته لعنا
 بأننا لا نقدره لماله من العظمة والجلال والكبرياء والكمال حتى قدره والمعنى أنهم يسألون
 عن سبب ما وصلوا إليه تلذذا واعترافا بالنعمة فيه ولون ذلك خشية الله تعالى أى كاخفاف
 الله تعالى (فحق الله) الذى له جميع الكمال بسبب اشفاقنا منه (علينا) بالرحمة والتوفيق (ووفانا)
 أى وجبتنا بما سترناه (عذاب السموم) قال السكبي عذاب النار وقال الحسن السموم
 من أسماء جهنم والسموم فى الأصل الريح الحارة التى تتخلل المسام والجوع سماء يقال سم
 يومنا أى اشتد حره وقال ثعلب السموم شدة الحر أو شدة البرد فى النهار وقال أبو عبيدة

السموم بالنهار وقد تكرر بالليل والحروب بالليل وقد تكون بالنهار (أنا كما) أي بما طبعنا عليه
وهيئته (من قبل) أي في الدنيا (ندعوه) أي نسأله ونعبده بالفعل وأما خوفنا بالقوة فقد كان
في كل حركة وسكون ثم عللوا دعاءهم بإياه مؤكدين لأن انعامه عليهم مع تقصيرهم عما لا يكاد ينفقه
غيره فهو مما يتجرب منه غاية التجرب بقولهم (أنه هو) أي وحده وقرأ نافع والسكسائي بفتح
الهمزة والباقون بكسرهما (البر) أي الواسع الجود الذي عطاؤه حكمة ومنعه راحة لأنه
لا ينقصه اعطاء ولا يزيد منه فهو يبر عبده المؤمن بما يوافق نفسه فبر عباده بالنعمة وبر عباده
بالبؤس فهو يختار له من الأحوال ما هو خير له ليوسع له البر في العقبي فعلى المؤمن أن لا يهتم
ربه في شيء من فضائه (الرحيم) أي المكرم لمن أراد من عبادته بأقامته فيما يرضاه من طاعته
ثم يفضله عليه وإن قصر في خدمته ولما بين تعالى أن في الوجود قوما يخافون الله تعالى
ويشفقون في أهلهم والنبي صلى الله عليه وسلم ما أمر به من يخاف الله تعالى لقوله تعالى
فذكر بالقرآن من يخاف وعيد فوجب التذكير فذلك قال تعالى (فذكر) أي عذاباً أشرف
الخلق بالقرآن ودم على ذلك ولا ترجع عنه لقول المشركين لك كاهن ومجنون (فأنت بنعمة
ربك) أي بسبب ما أنعم به عليك المحسن اليك من هذا الناموس الاعظم بعد تأهيك له بما أحياك
به من راحة العقل وعلو الهمة وكرم الفعال وجود الكف وطهارة الاخلاق وجعلك أشرف
الناس عنصراً وأكملهم نفساً وأزكاهم خلقاً وهم معترفون لك بذلك قبل النبوة وأكد النبي
بقوله تعالى (بكاهن) أي تقول كلاماً مخفياً كونه سجعاً متكلفاً أكثره فارغ وتحكم على المغيبات
من غير وحي (ولامجنون) أي تقول كلاماً لا يتظام له مع الاخبار ببعض المغيبات فلا يفتكر
قوالهم هذا عن التذكير فانه قول باطل لا يلحقك به معرفة أصلاً وعما قليل يكون عيالهم
لا يغدله عنهم الا اتباعهم الكفن اتبعك منهم غل عاره ومن استقر على عناده استقرت به وخساره
* (تنبيه) * نزلت هذه الآية في الذين اقتسموا عقاب مكة يرمون رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالمكهاة والسحر والجنون والشعر (أم يقولون) أي هؤلاء المقتسمون (شاعر) أي هو شاعر
قال الشعلي قال الخليل كل ما في سورة والطور من أم فاستفهام وليس بعطف وقال أبو البقاء
أم في هذه الآيات منقطعة وتقدم الخلاف في المنقطعة هل تقدر بيل وحدها أو بيل والهمزة
أو بالهمزة وحدها والصحيح الثاني وقال مجاهد في قوله تعالى أم تأمرهم تقديره بل تأمرهم
(تربص) أي تنتظر (به ريب المنون) أي حوادث الدهر وتقلبات الزمان لأن الاندوم على
حال كالمربص وهو الشك فانه لا يبقى بل هو مترزل قال الشاعر

تربص به ارباب المنون لعلها * تطلق يوماً أو يموت جليها

* (وقال أبو ذؤيب)

أمن المنون وريها تتوجع * والدهر ليس بمعتب من مجزع
والمنون في الأصل الدهر وقال الراغب المنون المنية لأنها تنقص العدد وتقطع المدد والمعنى
بل يقولون يعني هؤلاء المقتسمين الخراصين شاعر تربص به ريب المنون حوادث الدهر

وسروفه وذلك أن العرب كانت تحتز عن ايداء الشعراء فان الشعر كان عندهم يحفظ
ويدون فقالوا لانعاضه في الحال مخافة ان يغلبنا بقوة شعره وانما نصبر ونترقبص موته وبمهلك
كأهلك من قبله من الشعراء وتفتقر أصحابه فان آباء مات شلوا ونحن نرجو أن يكون موته
كموت أبيه والمذون يكون بمعنى الدهر وبمعنى الموت سيما بذلك لانهم يقطعان الاجل ثم انه تعالى
أمر نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بقوله (قل) أي لهؤلاء البعداء (تربصوا) أي انتظروا إلى
الموت ولم يعرج على محاجتهم في قولهم هذا تنبيهها على أنه من السقوط بمنزلة ما لا يحتاج معه إلى
رد بمجادلة ثم سبب عن أمره لهم بالتربص بقوله (فاني معكم من المتربصين) أي العربيين
في التربص وان ظننتم خلاف ذلك وأكده تنبيهها على أنه يرجو الفرج بمصيبتهم كما يرجو الفرج
بمصيبته وأشار بالمعية إلى أنه مسأولهم في ذلك وان ظنوا الكثرة منهم وقوتهم ووحدته وضعفه
ان الأمر بخلاف ذلك قال القشيري جاء في التفسير ان جميعهم أي الذين تربصوا به ما قال
ولا ينبغي لاحد أن يؤمل نفاق سوقه بموت أحد لئن تهى النوبة إليه فقل من تكون هذه صفاته
الاوسبقته المنية ولا يدرك ما تنهه من الامنية (فان قيل) هذا أمر للنبي صلى الله عليه وسلم واقتض
الامر بوجوب الأمور به أو يبيحه ويجوز له تربصهم كان حراما (أنجيب) بأن ذلك ليس بأمر
وانما هو تهديد أي تربصوا ذلك فاني متربص بالهلاك بكم كقول الغضبان لعبداه فاعل ما شئت
فاني لست عنك بغافل (أم تأمرهم) أي ترين لهم ترين ايصير ما لهم اليه من الانبعاث كالامر
(احلامهم) أي عقولهم التي يزعمون انهم اختصوا بجمود تهادون الناس بحيث انه كان
يقال فيهم أولوا الاحلام والنبي فأمرى الله تعالى بعقولهم حين لم تتم لهم معرفة الحق من الباطل
وذلك أن الاشياء لا يعاينها الا ان ترين بعقل أو نقل فقال هل ورد أمر سعي أم عقولهم تأمرهم
(بهذا) أي قولهم له ساحر كاهن مجنون وقيل إلى عبادة الاوثان وقيل إلى التربص أي لا تأمرهم
بذلك (أم) أي بل (هم) بظواهرهم وبواطنهم (قوم) ذوو قوة على ما يحاولونه فهم لذلك
(طاغون) أي مفترون ويقولون ما لا دليل عليه سمعوا ولا مقتضى له عقلا والطغيان مجاوزة
الحد في العصيان وكذلك كل شيء مكره ظاهر قال تعالى لما طغى الماء * (تنبيه) * اعلم ان
قوله تعالى أم تأمرهم متصل تقديره أنزل عليهم ذكر أم تأمرهم أحلامهم هذا وفي هذه الآية
إشارة إلى أن كل ما لا يكون على وفق العقل لا ينبغي أن يقال وانما ينبغي أن يقال ما يجب قوله
عقلا والاحلام جميع حلم وهو العقل فهم من باب واحد من حيث المعنى لان العقل يضبط
المرء فيكون كالبعير المعقول لا يتحرك من مكانه والحلم من الاحلام وهو أيضا سبب وقار المرء
وشبانه لان الحلم في أصل اللغة هو ما يراه النائم فينزل ويلزم الغسل الذي هو سبب البلوغ وعنده
يصير الانسان مكلفا فانه تعالى من لطيف حكمته قرن الشهوة بالعقل وعند ظهور الشهوة يكمل
العقل ويكف صاحبها فأشار تعالى إلى العقل بالإشارة إلى ما يقارنه وهو الحلم ليعلم انه يريد به
كمال العقل (أم يقولون) ما هو أخش عارا من الناقض (تقوله) أي تكلف قوله من عند نفسه
كذبا وليس بشجر ولا كهانة ولا جنون وهم على كثرتهم والمأمم بعضهم بالعلم وعراقة آخرين

في الشعر والخطب والترسل والسجع يعجزوا عن مثله بل عن مثل شيء منه * (تنبيه) * التقول
 تكلف القول ولا يستعمل الا في الكذب وهذا ايضا متصل بقوله تعالى أم يقولون شاعر
 تقديره أم يقولون شاعر أم يقولون تقوله والمعنى ليس الامر ~~كما~~ زعموا (بل لا يؤمنون)
 بالقرآن استكبارا ثم ألزمهم الحجة وأبطل جميع الاقسام فقال عز من قائل (فلما نوا) أي على أي
 تقدير أرادوه (بحديث) أي كلام مقروق مجتزأ تاتيه مع الازمان (مثله) أي القرآن
 في البلاغة وصحة المعاني والاخبار بالمغيبات مما كان أو يكون على ما هي عليه لا تكلفهم أن يأتوا
 به جملة (فان قيل) الصفة تتبع الموصوف في التعريف والتشكيروالموصوف هنا حديث وهو
 منكر ومثله مضاف الى القرآن والمضاف الى القرآن معترف فكيف هذا (أجيب) بأن مثلا
 وغير الاليتعرفان بالاضافة وذلك أن غيرا ومثلا ومثاله ما في غاية التشكيرولانك اذا قلت مثل
 زيد يتناول كل شيء فان كل شيء مثل زيد في شيء فالجاء مثله في الجسم والحجم والامكان والنبات
 مثله في النمو والنس والذبول والقناء والحيوان مثله في الحركة والادراك وغيره ما من
 الاوصاف وأما غير فهو عند الاضافة ينكر وعند قطع الاضافة ربما يتعرف فانك اذا قلت
 غير زيد صار في غاية الابهام فانه يتناول أمور الاحصر لها وأما اذا قطعت غير عن الاضافة
 فربما يكون الغير والمغايرة من باب واحد وكذلك التغير فتجمل الغير كما سماه الاجناس وتجعله
 مبتدأ أو ترديده معنى معينا * (تنبيه) * قالت المعتزلة الحديث محدث والقرآن سماه حديثا
 فيكون محدثا وأجيبوا بأن الحديث اسم مشترك يقال للمحدث والمنقول ولهذا يصح أن يقال
 هذا حديث قديم أي متقدم العهد لا يعني سلب الاولية وذلك لانزاع فيه قال بعض العلماء
 وهذا أمر تعجز قال الرازي والظاهر أن الامر ههنا على حقيقته لانه لم يقل اتوا مطلقا بل قال
 تعالى (ان كانوا) أي كوناهم راسخون فيه (صادقين) أي في أنه تقوله من عند نفسه كما
 يزعمون فهو أمر معلق على شرط اذا وجد ذلك الشرط يجب الاتيان به وأمر التعجيز كقوله
 تعالى فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأتى من المغرب فثبت الذي كثر وفي هذا تشنيع
 عليهم سواء ادعوا أنه مجنون أم شاعر أم كاهن أم غير ذلك لان العادة تحيل ان يأتي واحد
 من قوم وهو مسأولهم بما لا يقدرون كملهم على مثله والعاقل لا يعجز عن شيء الا وهو عالم به
 ويلزم من علمهم بذلك قدرتهم على مثل ما يأتي به فانه صلى الله عليه وسلم مثلهم في القصاحة
 والبلد والنسب وبعضهم يزيد عليه بالكتابة وقول الشعر ومخالطة العلماء وفراولة الخطب
 والرسائل وغير ذلك فلا يقدر على ما يعجزون عنه الا بتأييد الهى وهو المراد من تكذيبهم
 (أم خلقوا) أي وقع خلقهم على هذه الكيفية المتقنة (من غير شيء) أي خالق خلقهم فوجدوا
 بلا خالق وذلك مما لا يجوز أن يكون لان تعلق الخلق بالخالق من ضرورة الاسم فان
 أنكروا الخالق لم يجز ان يوجدوا بلا خالق (أم هم الخالقون) لانفسهم وذلك في البطلان أشد
 لان ما لا وجود له كيف يخلق فاذا بطل الوجهان قامت الحجة عليهم بأن لهم خالقا وهو الله تعالى
 فلم لا يؤحدونه ويؤمنون به وبرسوله وبكتابه وقال الزجاج معناه أخلقوا باطلا لا يحاسبون

ولا يؤمنون وقال ابن كيسان أخلقوا عبثا وتركوا سدى لا يؤمنون ولا ينهون كقول القائل
فعلت كذا وكذا من غير شيء أى غير شيء أم هم الخالقون لأنفسهم فلا يجب عليهم الله أمر وقيل
معناه أخلقوا من غير أب وأم * (تنبية) * لا خلاف أن أمهم هذا ليست بمعنى بل لكن أكثر
المفسرين على أن المراد ما يقع في صدر الكلام من الاستفهام بالهمزة كأنه يقول أخلقوا
من غير شيء قال الرازى ويحتمل أن يقال هو على أصل الوضع للاستفهام الذى يقع في أثناء
الكلام وتقديره أخلقوا من غير شيء أم هم الخالقون (أم خلقوا) أى على وجه الشراكة
(السوات والارض) فهم بذلك عالمون بما فيه سما على وجه الاحاطة واليقين حق علموا أنك
تقولته لصيرلهم ردهم والتهكم عليه (بل لا يؤقنون) أى ليس لهم نوع يقين والا لا آمنوا برسوله
وكتابه (أم عندهم) أى خاصة دون غيرهم (خزائن ربك) أى المحسن اليك بإرسالك فيعلموا
أن هذا الذى أتيت به ليس من قول الله تعالى فيصح قولهم أنك تقولته (أم هم) أى لا غيرهم
(المسيطرون) أى الرقباء الحافظون المتسلطون الجبارون الرؤساء الحكام المكتبة لم يكونوا
ضابطين للأشياء كلها كما هو شأن كتاب السر عند الملوك فيعملون أنك تقولت هذا الذكرا لأنهم
لم يكتبوا به اليك (أم لهم سلم) يصعدون به إلى السماء (يستعون) أى يتعمدون السماع لكل
ما يكون فيها ومنها (فيه) أى صاعدين في ذلك السلم إلى كلام الملائكة وما يوحى إليهم من علم
الغيب حتى يعلموا ما هو كائن (فليات مستمعهم) أى مدعى الاستماع (بسلطان مبين) أى
بحجة بينة واضحة ولشبه هذا الزعم زعمهم أن الملائكة بنات الله قال تعالى (أم له البنات)
أى بزعمكم (ولكم البنون) أى خاصة لتكونوا أقوى منه فتكذبوا برسوله صلى الله عليه
وسلم وزدوا قوله من غير حجة فتكونوا آمنين من عذاب يأتيكم منه لضعفه وقوتكم (أم
تسألهم) أى أيها الظاهر الشيم البعيد عن مواقع التهم (أجرا) على إبلاغ ما أتيتهم به (فهم
من مغرم) أى غرم لك ولو قل والمغرم التزام ما لا يجب (مفتلون) فهم لذلك يكدبون من
كان سببا في هذا النقل بغير مستند ليس يحوا محاجره لهم من الثقل (أم عندهم) أى خاصة بهم
(الغيب) أى علم ما غاب عنهم (فهم يكتبون) أى يجتدون للناس كتابة جميع ما غاب عنهم مما
ينفعهم ويضرهم حتى يحسدوك فيما شاركهم به منه فيردوه لذلك وينسبوا لك ما نسبوا
إليه مما يعلم كل أحد نراه منك وبعدك منه وقال ابن عباس معناه أم عندهم الألواح المحفوظ
فهم يكتبون ما فيه ويخبرون الناس به واللام في الغيب للالعهد ولا التعريف الجنس بل المراد
نوع الغيب كما تقول اشتر اللحم تريد لسان الحقيقة لا كل لحم ولا الجامعينا (أم يريدون) أى
بهذا القول الذى يرمونك به (كيدا) أى مكر واضر اعظم اليك لكونك به (فالذين كفروا)
وكان الاصل فهم ولكنهم قال تعميما وتعليقا بالحكم بالوصف (هم) أى خاصة (المكيدون)
أى المغلوبون المهلكون فانهم مكروابه في دار الندوة فحفظه الله تعالى منهم ثم أهل كلهم بيد
عند انتقام سنين عدتها عدة ما هن من أم وهى خمس عشرة مرة لأن بدرا كانت فى الثانية من
الهجرة وهى الخامسة عشر من النبوة فقد سبب الله تعالى فيها من الأسباب ما أوجب سعيهم إلى

هلاكهم بأمر خارقة للعادة فلو كانت لهم بصائر لكفتهم في الهداية والرد عن الضلالة والغواية
 (أم لهم الله) أي يمنعهم من التصديق بكنائنا أو يستندون إليه اللامان من عذابنا (غير الله)
 أي الذي أحاط بجميع صفات الكمال (سبحان الله) الملك الأعظم الذي تعالى عن أن يداني جنابه
 شائبة نقص (عما يشركون) من الأصنام وغيرها * (تبسه) * الاستفهام بأم في مواضعها
 للتمجيح والتوبيخ ولما بين تعالى فساد أقوالهم وسقوطها أشار إلى أنهم لم يبق لهم عذر فإن
 الآيات والحجج قد ظهرت ولم يؤمنوا فبعد ذلك استحقوا الانتقام وقوله تعالى (وان يروا)
 أي معانية (كسفا) أي قطعة وقيل قطعاً واحداً كسفة مثل سدره وسدر (من السماء)
 جهاراً نهاراً (ساقطاً يقولوا) جواب لقولهم فأسقط علينا كسفاً من السماء كان الله تعالى
 يقول لو عذبناهم بسقوط قطعة من السماء عليهم لم ينتوا عن قولهم ويقولون لمعاندتهم هذا
 (سحاب) فإن قيل لهم هو مخالف للسحاب بصلابته وغلظته قالوا (مر كرم) أي مركب
 بعضه على بعض فتلبد وتصلب وقوله تعالى (فذرهم) أي اتركهم على شر أحوالهم كقوله تعالى
 فأعرض عنهم وقوله تعالى قول عنهم إلى غير ذلك فقل كلهم منسوخة بآية القتال قال ابن عادل
 وهو ضعيف وإنما المراد التهديد كقول السيد لعبده الجاني لمن يصحبه دعه فإنه سينال جنائمه
 (حتى يلاقوا يومهم الذي فيه) أي لا في غيره لأن ما حكمنا به لا يقدّم ولا يتأخر (يصعقون) أي
 يهولون من شدة الأهوال وعظم الزلزال كما صعق بنو إسرائيل في الطور ولكن لا نقيمهم كما
 أقمنا أولئك الأعداء النفخ في الصور لنخسرهم الحساب الذي يكذبون به قال البقاعي والظاهر
 أن هذا اليوم يوم بدر فأنهم كانوا قاطعين بالنصر فيه فأغنى أحد منهم عن أحد شيئاً كما قال
 أبو سفيان بن الحارث ما هو إلا أنا لقيناهم ففخناهم ككفنا يقتلونا كيف شأوا وبأسر ونا
 كف شأوا وقوله تعالى (يوم لا يغني) أي بوجه من الوجوه بدل من يومهم (عنهم كبدهم)
 أي الذي يرمونه بهذه الأقوال المتناقضة (شيئاً) من الأغناء في دفع شيء يكرهونه من الموت ولا
 غيره كما يظنون أنه يغني عنهم في غير ذلك من أحوال هذه الدار (ولاهم نصرون) أي يتجدد
 لهم نصر ما في ساعة ما يمنعهم من العذاب وقوله تعالى (وان للذين ظلموا) يجوز أن يكون من
 إيقاع الظاهر موضع الضرر وأن لا يكون والمعنى وان للذين أوقعوا الأشياء في غير مواقعها كما
 يقولونه في القرآن ويفعلونه من العصيان ويعتقدونه من الشرك والبهتان (عذاباً دون ذلك)
 أي غير عذاب ذلك اليوم قال ابن عباس يعني القتل يوم بدر وقال الضحّاك هو الجوع
 والقطط سبع سنين وقال البراء بن عازب عذاب القبر والآية تحتمل هذه المعاني كلها
 (ولكن أكثرهم لا يعلمون) أن العذاب نازل بهم (فاصبر) أي أوجد هذه الحقيقة لتصبر على
 ما أنت عليه من أداء الرسالة (لحكم ربك) أي المحسن اليك فإنه هو المريد لذلك ولولم يرد له
 يكن شيء منه فهو أحسان منه إليك وتدريبك وترقية في معارج الحكم وسبب عن ذلك قوله
 تعالى مؤكداً لما يغلب على الطبع البشري في بعض أوقات الامتحان من نوع نسيان (فانك
 بأعيننا) أي برأي منازلك وتحفظك وجمع لما اقتضته نون العظمة التي هذا أساسها وهي

ظاهرة في الجمع وإشارة إلى أنه محفوظ بالجنود الذين رؤيتهم من رؤيته سبحانه وتعالى (وسبح)
 ملبسا (بجملد ربك) أي المحسن إليك فأثبت له كل كمال مع تزيينك له عن كل نقص فلا
 يكون في ملكه ما لا يريد ولا يريد إلا ما هو حكمة بالغة (حين تقوم) قال سعيد بن جبير وعطاء أي
 قل حين تقوم من مجلسك سبحانه اللهم وبحمدك فإن كان المجلس خيرا ازدادت احسانا وإن
 كان غير ذلك كان كفارة له وروى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من جلس
 مجلسا وكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه سبحانه اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا
 أنت أستغفرك وأتوب إليك إلا كان كفارة لما بينهما أي من الذنوب الصغار وقال ابن عباس
 فعنه صلى الله عليه وسلم حين يقوم من مقامك وقال الضحالك والربيع إذا قلت إلى الصلاة قتل سبحانه
 اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك وقال السكبي هو ذكر الله تعالى
 باللسان حتى تقوم من الفراش إلى أن تدخل في الصلاة لما روى عاصم بن حميد قال سألت
 عائشة بأى شيء كان يفتح رسول الله صلى الله عليه وسلم قيام الليل فقالت كان إذا قام كبر
 عشرا وحمد الله تعالى عشرا وهال عشرا واستغفر عشرا وقال اللهم اغفر لي واهدني
 وارزقني وعافني ويعود من ضيق المقام يوم القيامة وقيل حين تقوم لأمر ما (ومن الليل) أي
 الذي هو محل السكون والراحة (فسبحه) أي صل له قال مقاتل يعني صلاة المغرب والعشاء
 (وأدبار النجوم) أي صل الركعتين قبل صلاة الشجر وذلك حين تدبر النجوم أي تغيب بضوء
 الصبح هذا قول أكثر المفسرين وقال الضحالك هي فريضة صلاة الصبح وهذه الآية تظهير قوله تعالى
 فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وقد تقدم الكلام عليها قال الرازي قال تعالى هنا وأدبار
 النجوم وقال في سورة ق وأدبار السجود فيجتمعا أن يكون المعنى واحدا والمراد من السجود جمع
 ساجد والنجوم سجد قال تعالى والنجم والشجر يسجدان وقيل المراد من النجوم نجوم السماء
 وقيل النجم ما لا ساق له من النبات قال الله تعالى والله يسجد من في السموات ومن في الأرض
 الآية والمراد من النجوم الوظائف وكل وظيفة نجم في اللغة أي إذا فرغت من وظائف الصلاة
 قتل سبحانه الله كما سر وما رواه البيضاوي تبعا للزمخشري من أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ
 سورة الطور كان حقا على الله أن يؤمنه من عذابه وأن ينعمه في جنة حديث موضوع

﴿سورة النجم مكية﴾

ثلاثون آية وثلاثمائة وستون كلمة وألف وأربع مائة وخمسة أحرف

(بسم الله) الذي أحاط بصفات الكمال (الرحمن) الذي عم الموجودات بصفته الجمال (الرحيم)
 الذي خص أهل وده بصالح الأعمال (والنجم إذا هوى) قال ابن عباس في رواية العوفي يعني
 الثريا إذا غابت وسقطت وهوت مغيبة والعرب تسمى الثريا نجما وجاه في الحديث عن أبي هريرة
 مرفوعا ما طلع النجم قطوف في الأرض شيء من العاهات الازرع وأراد بالنجم الثريا وقال مجاهد
 هو نجم السماء كلها حين يغرب لفظه واحد ومعناه الجمع سمى الكوكب نجما طلوعه وكل طالع

نجم يقال نجسم السن والنبت والقرن اذا طلع وروى عكرمة عن ابن عباس أنها ماير جسم به
الشياطين عند استراقهم السمع وقال أبو حنيفة الثمالي هي النجوم اذا انتشرت يوم القيامة وقيل
المراد بالنجم القرآن سمي نجما لانه نزل فجوامدة ترققه في عشرين سنة ويسمى النفر بقنجيما
والمفرق منجمها هذا قول ابن عباس في رواية عطاء وقال الكلبي والهوى النزول من أعلى الى
أسفل وقال الاخفش النجم هو الذب الذي لاساقله ومنه قوله تعالى والنجم والشجر يسجدان
وهو به سقوطه على الارض وقال جعفر الصادق يعني محمد صلى الله عليه وسلم اذا نزل من السماء
ليلة المعراج والهوى النزول يقال هوى يهوى هوياء والسكلام في قوله تعالى والنجم كالسكلام في
قوله تعالى والطور حيث لم يقل والنجوم والاطوار وقال والذاريات والمرسلات كما مر * (تنبيه)
أقول هذه السورة مناسبة لآخر ما قبلها فانه تعالى قال في آخر تلك وأدبار النجوم وقال تعالى في
أول هذه والنجم اذا هوى قال الرازي والقائده في تقييد القسم به في وقت هويته أنه اذا كان في
وسط السماء يكون بعيدا عن الارض لانه لا يهتدى به الساري لانه لا يعلم به المشرق من المغرب
ولا الجنوب من الشمال فاذا نزل عن وسط السماء عين ينزوله جانب المغرب عن المشرق والجنوب
عن الشمال وقوله تعالى (ماض) أى عن طريق الهداية (صاحبكم) محمد صلى الله عليه وسلم
وقيام من الاوقات جواب القسم وعبر بالجمبة لانهم اجمع كونها أدل على القصد مرغبة لهم فيه
ومقبلة بهم اليه ومقبحة عليهم اتهامه في انذارهم يعرفون طهارة شماليه (وما غوى) أى
وما مال أدنى ميل ولا كان مقصده مما يسوء فانه محروس من أسباب غواية الشياطين وغيرها
* (تنبيه) الذى جهل عن اعتقاد فاسد بخلاف الضلال وذهب أكثر المفسرين الى أن الغي
والضلال بمعنى واحد وقرئ بعضهم بينهم ما فقال الضلال في مقابلة الهدى والغنى في مقابلة الرشد
قال تعالى قد تبين الرشد من الغنى وقال تعالى وان يروا سبيلا للرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا
سبيلا للغي يتخذوه سبيلا قال الرازي وتحقيق القول فيه أن الضلال أعم استعمالا في الوضع
تقول ضل يعيرى ورحلى ولا نقول غي * (فائدة) قد دفع الله سبحانه عن نبيينا محمد صلى الله عليه
وسلم وأما باقي الانبياء فدفعوا عن أنفسهم ليس بى ضلالة ليس بى سفاهة ونحو ذلك قاله القشيري
(فان قيل) كيف الجمع بين قوله تعالى ماض صاحبكم وبين قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى
(أجيب) بأن المراد من الآية الآتية ووجدك ضالا عما أنت عليه الآن من الشريعة فهذا
المراد بخلاف هذه الآية (وما ينطق) أى بما ورثه في وقت من الاوقات لاني هذا الحال
ولاني الاستقبال لنطقنا شأنا (عن الهوى) أى عن أمره كالكمهان الذين يغلب كذبهم صدقهم
والشعراء وغيرهم وما يقول هذا القرآن من عند نفسه (ان) أى ما (هو) أى الذى يتكلم به
من القرآن وكل أقواله وأفعاله وأحواله (الوحي) أى من الله تعالى وأكده بقوله تعالى
(يوحي) أى يجدد اليه ايماءه منا وقتا بعد وقت * (تنبيه) استدل بهذه الآية من لا يرى
الاجتهاد للانبياء (وأجيب) بأن الله تعالى اذا سوغ لهم الاجتهاد كان الاجتهاد وما يتجدد اليه
كله وحيا لا نطقا عن الهوى (علمه) أى صاحبكم الوحي الذى أتاكم به ملك (شديد القوى)

فلا تنجبوا من عند البحار الزاخرة فان معلمهم هذه الصفة التي هو بها بحيث يتخذ كل ما أمره
 الله تعالى به وهو جبريل عليه السلام فانه الواسطة في ابداء الخوارق روى أنه قلع قرى قوم لوط
 ورفعها الى السماء ثم قلبها وصاح صيحة يثود فأصبحوا جاثمين وكان حبوطه على الانبياء وصعوده
 في أوحى من رجعة الطرف ورأى ابليس يكلم عيسى على بعض عقاب الارض المقدسة فنقحه
 نقعة يجناحه فألقاه في أقصى بلاد الهند (ذو مرة) قال ابن عباس ذو منظر حسن وقال أكثر
 المفسرين ذو قوة وقدر عظمية على الذهاب فيما أمر به والطاقة للجد بغاية النشاط والحدة كانه
 ذو منراج غلبت عليه الحدة فهو صعب المراس في مناولته ماض على طريقة واحدة على غاية من
 الشدة لا توصف لا التفات له بوجهه الى غير ما أمر به فهو مجتمع القوى مستحكم الشأن شديد
 الشكينة لا يسأم في شيء زاوله ومن جملة ما أعطى من القوة القدرة على التشكيل والى ذلك أشار
 بما تسبب عن هذا من قوله تعالى (فاستوى) أى فاستقام واعتدل بغاية ما يكون من قوته على
 أكل حالاته في الصورة التي فطر عليها (وهو) أى والحال أن جبريل عليه السلام (بالافق الاعلى)
 أى عند مطلع الشمس وذلك أن جبريل عليه السلام كان يأبى النبي صلى الله عليه وسلم في صورة
 الآدميين كما كان يأبى الانبياء عليهم الصلاة والسلام قبله فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم أن
 يريه نفسه على صورته التي خلق عليها فأراه نفسه مرتين مرة في الارض ومرة في السماء فأما التي في
 الارض ففي الأفق الاعلى والمراد بالا على جانب المشرق وذلك أنه صلى الله عليه وسلم كان بجرا
 وكان جبريل واعده أن يأتيه وهو بجرا فطلع له جبريل من المشرق فسد الأفق الى المغرب فخر
 صلى الله عليه وسلم مغشياً عليه فنزل له جبريل عليه السلام في صورة الآدميين (ثم دنا) أى قرب
 منه (فقدلى) أى زاد في القرب (فكان) منه (قاب) أى قدر (قوسين) أى عريبتين (أو أدنى) من
 ذلك وضمه الى نفسه حتى أفاق وسكن روعه وجعل يسبح التراب عن وجهه وأما في السماء فعند
 سدرة المنتهى ولم يره أحد من الانبياء في صورته الحقيقية غير محمد صلى الله عليه وسلم * (تنبيه) *
 القاب والقيب والقاد والقيد والقيس المقدار وقد جاء التقدير بالقوس والرمح والسطوط
 والذراع والباع والخطوة والشبر والفترو والاصبع ومنه لاصلة الى أن ترتفع الشمس مقدار
 رحين وفي الحديث لقاب قوس أحدكم من الجنة وموضع قدمه خير من الدنيا وما فيها والقدر
 السوط ويقال بينهما خطوات يسيرة وقال الشاعر * وقد جعلتني من خزينة اصبعها
 (فان قيل) كيف تقدير قوله فكان قاب قوسين (أجيب) بأن تقديره فكان مسافة قريبة مثل
 قاب قوسين فخذت هذه المضافات كما قال أبو علي في قوله * وقد جعلتني من خزينة اصبعها
 أى ذام مقدار مسافة اصبع وروى الشيباني قال سألت زراعاً عن قوله تعالى فكان قاب قوسين أو
 أدنى قال أخبرنا عبد الله يعني ابن مسعود أنه سمع صلى الله عليه وسلم رأى جبريل له سمانه جناح
 وبهذا قال ابن عباس والحسن وقتادة وقال آخرون ذنا الرب عز وجل من محمد صلى الله عليه وسلم
 فتدلى ف قرب منه حتى كان قاب قوسين أو أدنى ومعنى دنوه تعالى قرب منزلة كقوله صلى الله عليه
 وسلم حكاية عن ربه تبارك وتعالى من تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعاً ومن تقرب الى ذراعاً

تقربت اليه بأعوان من مشى الى آتية هرولة وهذا اشارة الى المعنى المجازي قال البغوي وروينا
في قصة المعراج من رواية شريك بن عبد الله بن أبي نمر عن أنس قد نال الجبار رب العزة فتدلى حتى
كان منه قاب قوسين أو أدنى وهذه رواية أبي سلمة عن ابن عباس وقال مجاهد دنا جبريل من ربه
وقد قدمت الكلام على المعراج وعلى جواز رؤيته صلى الله عليه وسلم ربه في أول الاسراء
وقال الخصال دنا محمد صلى الله عليه وسلم من ربه عز وجل فتدلى فأهوى للسجود فكان منه قاب
قوسين أو أدنى وتقدم الكلام على القاب والقوس ما جرى به في قول مجاهد وعكرمة وعطاء عن
ابن عباس فأخبر أنه كان بين جبريل عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم مقدار قوسين وقال
مجاهد معناه حيث ألوتر من القوس وهذا اشارة الى تأكيد القرب والاصل في ذلك أن الخلفين
من العرب كانا إذا أرادوا الصفاء والعهد خرجا بقوسهما فالصقاين هما ما يريدان بذلك أنهما
متظاهران يحاكي كل واحد منهما ما عن صاحبه وقال عبد الله بن مسعود قاب قوسين قدر ذراعين
وهو قول سعيد بن جبيرة والقوس الذراع يقاس بها كل شيء أو أدنى بل أقرب وانما ضرب المثل
بالقوس لانها لا تختلف بالقاب (فأوحى) أي الله تعالى وان لم يجز له ذلك لعدم اللبس (الى عبده)
أي جبريل عليه السلام (مأوحى) أي جبريل عليه السلام الى النبي صلى الله عليه وسلم ولم
يذكر الموحى تفخيما لثأته وهذا التفسير ما جرى عليه الجلال المحلى وهو ظاهر وقيل فأوحى الى
جبريل بسبب هذا القرب وعقبه الى عبده أي عبد الله مأوحى أي جبريل وقيل الضمائر كلها
لله تعالى وهو المعنى بشديد القوى كما في قوله تعالى ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين ودنوه منه
برفع مكانته وتدليه جذبه بكليته الى جانب القدس واختلف في الموحى على أقوال الأول قال
سعيد بن جبيرة أوحى اليه ألم يجسدك يتيماً الى قوله تعالى ورفعه نالك ذكرك الثباني أوحى اليه
الصلاة الثالث أن أحداً من الانبياء لا يدخل الجنة قبلك وأن أمة من الامم لا تدخلها قبل أمتك
الرابع أنه مبهم لا يطلع عليه أحد وتعبدنا به على الجملة الخامس أن ما للعموم والمراد كل ما جاء به
جبريل (ما كذب الفؤاد) أي فؤاد النبي صلى الله عليه وسلم (ما رأى) أي ما رآه يبصره
من صورة جبريل عليه السلام وهذا أيضاً ما جرى عليه الجلال المحلى وقال البقاعي ما رأى
البصر أي حين رؤية البصر كأنه حاصر القلب لأنها رؤية بصر فقط يمكن فيها الخلوع عن حضور
القلب وقال القشيري ما معناه ما كذب فؤاد محمد صلى الله عليه وسلم ما رآه يبصره على الوصف
الذي علمه قبل ان رآه فكان علمه حق البقين وقرأ هشام بتشديد الدال والباقيون بالتخفيف
وقوله تعالى (أفتأتونه) أي تجادلونه وتغلبونه (على ما يرى) خطاب للمبشرين المكذبين ورؤية
النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل وهذا ما قاله ابن مسعود وعائشة ومن قال ان المرئي هو الله تعالى
اختلفوا في معنى الرؤية فقال بعضهم جعل يبصره في فؤاده فراه بفؤاده وهو قول ابن عباس قال
راه بفؤاده مرتين ما كذب الفؤاد ما رأى وقال أنس والحسن وعكرمة رأى محمد صلى الله عليه
وسلم ربه عز وجل بعينه وروى عكرمة عن ابن عباس قال ان الله تعالى اصطفى ابراهيم عليه
السلام بالخلة واصطفى موسى عليه السلام بالكلام واصطفى محمد صلى الله عليه وسلم بالرؤية

وكانت عائشة تقول لم ير محمد صلى الله عليه وسلم ربه وتحمل الرؤية على رؤية جبريل قال مسروق
قلت لعائشة يا أمته أهمل رأي محمد ربه فقالت لقد قف شعري عما قلت أين أنت من ثلاث من
حدثكهن فقد كذب من حدثك أن محمدا رأى ربه فقد كذب ثم قرأت لا تدركه الابصار وهو
يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب ومن
حدثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب ثم قرأت وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى
أرض عتوت ومن حدثك أنه كتم شيئا مما أنزل الله تعالى فقد كذب ثم قرأت يا أيها الرسول بلغ
ما أنزل اليك من ربك الآية ولكنه رأى جبريل في صورته مرتين وروى أبو ذر قال سألت رسول
الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك قال نوراني أراه وحاصل المسئلة أن الصحيح ثبوت الرؤية
وهو ما جرى عليه ابن عباس جبر الاثمة وهو الذي يرجع اليه في المعضلات وقد راجعه أبو عمرو
فأخبره أنه رآه ولا يقدح في ذلك حديث عائشة لانهم لم يخبروا أنها سمعت من رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال لم أروا غما اعتقدت على الاستنباط مما تقدم وجوابه فطاهر فان الادراك هو الاحاطة
والله تعالى لا يحاط به واذا ورد النص بنفي الاحاطة لا يلزم منه نفي الرؤية بغير احاطة وأجيب
عن احتجاجها بقوله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله الاية بأنه لا يلزم من الرؤية وجود الكلام
حال الرؤية فيجوز وجود الرؤية من غير كلام وبأنه عام مخصوص بما تقدم من الأدلة وأما قوله صلى
الله عليه وسلم نوراني أراه فقال الماوردي الضمير في أراه عائدا الى الله تعالى ومعناه أنه خالق النور
المانع من رؤيته أى رؤية احاطة كما مر آدمي المحتمل أن تكون ذات الله نورا اذا انوار من جملة
الاجسام والله تعالى منزّه عن ذلك (فان قيل) فلا قيل أفقارونه على ما رأى بصيغة الماضي لانهم
انما جادلوه حين أنسرى به فقالوا وصف لنا بيت المقدس وأخبرنا عن عيسى في الطاريق وغير ذلك مما
جادلوه به وما الحكمة في ابراز ديبغة المضارع (أجيب) بأن التقدير أفقارونه على ما يرى
فكيف وهو قد رآه في السماء بماذا تقولون فيه والواو في قوله تعالى (وانذراهم) يحتمل أن تكون
عاطفة ويحتمل أن تكون للعالم أى كيف تجادلونه فيما رآه وهو قد رآه (نزلة أخرى) على
وجه لا شك فيه * (تنبيه) * قوله تعالى نزلة فعلة من النزول بكسمة من الجئوس فلا بد من نزول
واختلفوا في ذلك النزول وفيه وجوه الاول أن الضمير في رآه عائدا الى جبريل أى رأى جبريل
نزلة أخرى أى رأى جبريل في صورته التي خالق عليهم سائر الامم السماء مرة أخرى وذلك أنه رآه
في صورته مرتين مرة في الارض ومرة في السماء (عند سدرة المنتهى) قال الرازي ويحتمل أن
تكون النزلة لمحمد صلى الله عليه وسلم الثاني أن الضمير عائدا الى الله تعالى أى رأى الله نزلة أخرى
وهذا قول من قال في قوله تعالى ما كذب النوادمار أى هو الله تعالى وقد قيل ان النبي
صلى الله عليه وسلم رأى ربه بقلبه مرتين وعلى هذا ففي النزول وجهان أحدهما قول من يجوز
على الله الحركه من غير تشبيه وثانيهما ما أن نزوله بمعنى القرب بالرحمة والفضل الثالث أن محمدا
رأى الله تعالى نزلة أخرى والمراد من النزلة ضد ما رآه العرجة كانه قال رآه عرجة أخرى قال
ابن عباس نزلة أخرى هو أنه كان للنبي صلى الله عليه وسلم عرجات في تلك الليلة لمسه له التخفيف

في الصلوات فيكون لكل عرجة تلة قرأى ربه في بعضه وروى عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى ربه بفؤاده مرتين وعنه أنه رأى ربه بعينه وعلى أن المرئى هو الله تعالى فيكون قوله تعالى عند سدرة المنتهى طرفا للرأى كما إذا قال القائل رأيت الهلال فيقال له أين رأيت فيقول على السطح وقد يقول عند الشجرة الفلانية وأما قول من قال بأن الله تعالى في مكان فذلك باطل وإن قيل بأن المرئى جبريل عليه السلام فظاهر * (تبينه) * إضافة السدرة إلى المنتهى تحت مل وجوهاً أحدها إضافة الشيء إلى مكانه كقولك أشجار بلدة كذا فالمنتهى حيثئذ موضع لا يتعداه ملك قال هلال بن كيسان سألت ابن عباس كعباً عن سدرة المنتهى وأما حضر فقال كعب أنها سدرة في أصل العرش على رؤس جملة العرش واليه ينتهى علم الخلائق وما خلفها غيب لا يعلمه إلا الله تعالى وقيل ينتهى إليها ما هبط من فوقها ويصعد من تحتها وقال كعب تنتهى إليها الملائكة والأنبياء وقال الريس تنتهى إليها أرواح المؤمنين وثانيها إضافة الملك إلى مالكه كقولك دار زيد وشجر زيد وحيثئذ المنتهى فيه محذوف تقديره سدرة المنتهى إليه قال الله تعالى إلى ربك المنتهى فالمنتهى إليه هو الله تعالى وإضافة السدرة إليه حيثئذ كإضافة البيت إليه للتشريف والتعظيم كما يقال في التسيح يا غاية رغبته ويا منتهى أملاه وثالثها إضافة المحل إلى الحال فيه كقولك كتاب الفقه وعلى هذا فالقدير سدرة عند هانتهى العلوم فتلقى هناك قال البقاعي وذلك والله أعلم ليلة الأسراء في السنة الثالثة عشرة من النبوة قبل الهجرة بقليل بعد أن ترقى في معارج السماوات من السنين على عدد السموات وما بينهما من المسافات فانتهى إلى منتهى سمع فيه صرير الأقلام وعظمها بقوله تعالى (عندها) أى السدرة (جنة المأوى) أى التى لا مأوى فى الحقيقة غيرها وهى الجنة التى وعد بها المتقون كقوله تعالى دار المقامة وقيل هى جنة أخرى عند هان تكون أرواح الشهداء تأوى إليها وقيل هى جنة الملائكة وقوله تعالى (أذن) معمول لرأى أى رأى من آيات ربه الكبرى حين (بغشى السدرة) وهى شجرة النبق وقوله تعالى (ما يغشى) تعظيم وتكثير لما يغشاها واختلفوا فيما يغشاها فقيل فراش أو جراد من ذهب وهو قول ابن عباس وابن مسعود والضحاك قال الرازى وهذا ضعيف لأن ذلك لا يثبت الإبدال سمعى فإن صح فيه خبره والأفلا وجه له اه قال القرطبي ورواه ابن مسعود وابن عباس مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال أيضاً عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال رأيت السدرة بغشاها فراش من ذهب ورأيت على كل ورقة ملكاً قائماً يسبح الله تعالى وذلك قوله عز من قائل أذ يغشى السدرة ما يغشى وقيل ملائكة تغشادها كأنهم طيور يرتقون إليها متشوقين متبركين بها زائرين كما يزور الناس الكعبة وروى فى حديث المعراج عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذهب بى إلى سدرة المنتهى وإذا ورقها كأذان القملة وإذا غرها كفسال حجر قال فلما غشيتها من أمر الله تعالى ما غشى تغيرت فإحده من خلق الله تعالى يقدر أن نعتم من حسنهما فأوحى إلى مأوى ففرض على تسعين صلاة فى كل يوم وليلة وقيل يغشاها أنوار الله تعالى لأن النبي صلى الله عليه وسلم لما وصل إليها تجل ربه لها كما تجل للجبيل

فظهرت الانوار لكن السدرة كانت أقوى من الجبل وأثبت فجعل دكا ولم تتحرك الشجرة وخر موسى عليه السلام صعقا ولم يتزلزل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل أبهمه تعظيما له والغشيان يكون بمعنى التغطية قال الماوردي في معاني القرآن فان قيل لم اختيرت السدرة لهذا الامر دون غيرها من الشجر قلنا لان السدرة تختص بثلاثة أوصاف نال مديدا وطعم لذيزا ورائحة ذكية فشابهت الايمان الذي يجمع قولاً وعملاً ونية فظالمها من الايمان بمنزلة العمل لتجاوره وطعمها بمنزلة النية لكيمونه ويريجها بمنزلة القول لظهوره وروى أبو داود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قطع سدرة صوب الله تعالى رأسه في النار ورسول أبو داود عن معنى هذا الحديث فقال هو مختصر يعني من قطع سدرة في فلاة يستظل بها ابن السبيل والبهائم عبثا وظلما بغير حق يكون له فيها صوب الله تعالى رأسه في النار ثم أكد سبحانه الرؤية وقررها بقوله تعالى (ما زاغ) أي ما مال أدنى ميل (البصر) أي الذي لا بصير لخلق أو كمال منه فاقصر عن النظر الى ما أذن له فيه وما زاد (وما طغى) أي تجاوز الحد الى ما لم يؤذن له فيه مع أن ذلك العالم غريب عن بني آدم وفيه من العجائب ما يحير الناظر بل كانت له الصفة الصادقة المتوسطة بين الشر والزهادة على أتم قوانين العدل فأثبت ما رآه على حقيقة كما هو قال السهروردي في أول الباب الثاني والثلاثين من عوارفه وأخبر تعالى بحسن أدبه في الحضرة بهذه الآية وهذه غامضة من غوامض الأدب اختص بها رسول الله صلى الله عليه وسلم * (تنبيه) * اللام في البصر تحتل وجهين أحدهما المعروف أي ما زاغ بصير محمد صلى الله عليه وسلم وعلى هذا ان قيل بأن الغاشي للسدرة هو الجراد والقراش فعنه لم يلتفت اليه ولم يشغل به ولم يقطع نظره عن مقصوده فيكون غشيان الجراد والقراش ابتلاء واختبارا ل محمد صلى الله عليه وسلم وان قيل ان الغاشي أنوار الله تعالى ففيه وجهان أحدهما لم يلتفت بمئة ولا يسرة بل اشتغل عطا العتم الثاني ما زاغ البصر بصعقه بخلاف موسى عليه السلام فانه قطع النظر وغشى عليه في الاول بيان أدب محمد صلى الله عليه وسلم وفي الثاني بيان قوته الوجه الثاني أن اللام لتعريف الجنس أي ما زاغ بصره أصلا في ذلك الموضع اعظم هيئته (فان قيل) لو كان كذلك لقال ما زاغ بصره فانه أدل على العموم فان السكره في معرض النبي ذم (أجيب) بأن هذا مثل كتوله تعالى لا تدركه الابصار ولم يتبدل ولا يدركه بصير ولما كا واقد أنكر والاسراء انكارا لم يقع لهم في غيره مثله زاد في تأكيد على وجهه بغيره فقال تعالى (انقدراي) أي أبصروا ما أهله من الرسالة تلك الليلة ابصارا ساريا الى البواطن غير مقتصر على الظواهر (من آيات به) أي المحسن اليه بما لم يصل اليه أحد قبله ولا يصل اليه أحد بعده (الكبرى) أي العظام أي بعضها واختلاف في ذلك البعض فقيل جبريل عليه السلام رآه في صورته له ستمائة جناح وقال الرازي والظاهر ان هذه الآيات غير تلك لان جبريل عليه السلام وان كان عظيم الكنه ورد في الاخبار أن الله تعالى ملائكة أعظم منه والكبرى تأنيث الاكبر فكانه تعالى قال رأي من آيات ربه آيات هن أكبر الآيات وقيل رأي رفرقا أخضر سد الافق وقيل أراد ما رأي في تلك الليلة في مسيره وعوده ومن اجتماعه تلك الليلة بالانبياء عليهم الصلاة

والسلام في السموات ولما قرئ تعالى الرسالة ذكر ما ينبغي أن يتدبَّر به الرسول وهو التوحيد ومنع الخلق عن الاشرار بقوله تعالى (أفرايتم اللات والعزى) إشارة إلى ابطال قوليهم كما إذا ادعى ضعف المالك ثم رآه العدة إلا في غاية البعد عما يدعيه يقولون انظروا إلى هذا الذي يدعى المالك منكربين عليه غير مستدين بذليل اظهروا أمره فلذلك قال تعالى أفرايتم اللات والعزى أى كما هما فكيف تشركونهما بالله سبحانه وتعالى واللات صنم ثقيف والعزى شجرة لغسان وهما أعظم أصنامهم اشتة والهما اسمين من أسماء الله تعالى فقالوا من الله اللات ومن العزى العزى وقيل العزى تأنيث الاعز وعن ابن عباس كان اللات رجلا يلبت السويق للحاج فلما مات عكفوا على قبره يعبدونه وعن مجاهد أن العزى شجرة لغطقان كانوا يعبدونها فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها فجعل خالد يضربها بالناس ويقول يا عز كفرانك لا سبحانك * انى رأيت الله قد أهانك

فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها داعية بولها واضعة يدها على رأسها ويقال ان خالد ارجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال قد قطعتم افعال ما رأيت قال ما رأيت شيئا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما فعلت فعادوها ومعه الماعول فقايعها واجتأ أصلها فخرجت منها امرأة عريانة فقملها ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال ذلك العزى ولن تعبد أبدا وقال الضحالة هي صنم لغطقان وضعها لهم سعيدين ظالم الغطفاني وذلك أنه لما قدم مكة فرأى الصفا والمروة ورأى أهل مكة يطوفون بها فاعاد إلى نخلة وقال لقومه ان لاهل مكة الصفا والمروة وليست بالكم ولهم اله يعبدونه وليس لكم قالوا غاتا أمرنا به قال انا أصنع لكم كذلك وأخذ حجرا من الصفا وحجرا من المروة ونقلهما إلى نخلة فوضع الذى أخذه من الصفا وقال هذا الصفا ووضع الذى أخذه من المروة وقال هذه المروة ثم أخذ ثلاثة أحجار فاسندها إلى شجرة فقال هذا ربكم فجعلوا يطوفون بين الحجرين ويعبدون الحجاره حتى افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فأمر برفع الحجاره وبعث خالد بن الوليد إلى العزى فقطعها وقال ابن زيد هي بيت بالطائف كان تعبد به ثقيف وأما قوله تعالى (ومنات) فقال قتادة هي صخرة كانت تزرع بقديد وقالت عائشة في الانصار كانوا يصلون لمناة فكانت جذوة قد يد وقال ابن زيد بيت بالمشل تعبد به بنو كعب وقال الضحالة مناة صنم لهذيل وخراعة يعبد به أهل مكة وقيل اللات والعزى ومناة أصنام من حجارة كانت في جوف الكعبة يعبدونها وقوله تعالى (المناتة الأخرى) نعمت لمناة أذهى المناتة للصنمين في الذكروا أما الأخرى فقال أبو البقاء **ك**يدلان المناتة لا تكون الأخرى وقال الزمخشري الأخرى ذم وهي المناتة الوضعية المقدسة التي قال تعالى وقالت أنهارهم أى وضعوا وهم لا ولا هم أى لا شرافهم ويجوز أن تكون الأولية والتقدم عندهم اللات والعزى اه قال ابن عادل وفيه نظر لأن الأخرى إنما تدل على الغيرية وليس فيها تعرض لمدح ولا ذم فان جاء شئ فلقبته حارجية اه ووجه الترتيب أن اللات كان وشاع على صورة آدمى والعزى شجرة نبات ومناة صخرة فهي جناد فهي في أخريات المراتب (فإن قيل) ما فائدة القاء في

قوله تعالى أفرأيتم وقد وردت في مواضع بغیر فاف كقوله تعالى أفرأيتم ما تعب سدون سن دون الله
أفرأيتم شركاءكم (أجيب) بأنه تعالى لما قدم عظمته في ملكوته وأن رسوله الى الرسل يسد
الافاق ببعض أجنحته وبذلك المدائن بشدة وقوته ولا يمكنه مع هذا ان يتعدى السدرة في مقام
جلال الله وعزته قال أفرأيتم هذه الاصنام مع ذلتها وحقارتها شركاء الله تعالى مع ما تقدم فقال
بالقضاء أي عقب ما سمعتم من عظمة آيات الله الكبرى ونفاذ علمه في الملا الاعلى وما تحت الثرى
انظروا الى اللات والعزى تعلموا فساد ما ذهبت اليه * (تنبيه) * مفعول أرايت الاول اللات
وما عطف عليه والثاني مخدوف والمعنى أخبروني أهذه الاصنام قدرة على شيء ما فتعبدونها
دون الله القادر على ما تقدم ذكره وقرأ ابن كثير مائة بهمزة مفتوحة بعد الالف والباءون بغیر
همز * وما زعوا أيضا ان الملائكة بنات الله مع كراهتهم للبنات نزل (ألکم) أي خاصة (الذكر)
أي النوع الاعلى (وله) أي وحده (الانثى) أي النوع الاسفل (ذلك) أي هذه القسمة البعيدة
عن الصواب (إذا) أي اذ جعلتم البنات له والبنين لکم (قسمة ضیزي) أي جائرة ظالمة ناقصة
فيها ينحس الحق الى الغاية عوجا غیر معتدلة حيث خصصتم به ما وصلتكم الكراهة له الى دفنه
حيابل كان ينبغي أن تجعلوا الاعظم للعظيم والانقص للحقير فخالفت العقل والنقل والعادة
(ان) أي ما (هي) أي هذه الاصنام (الاسماء) أي لاحقاقك لها في ادعيتهم لها من الالهية ليس
لها من ذلك غير الاسماء وكذلك بقوله تعالى (سميتموها) أي ابتدعت تسميتها (فان قيل)
الاسماء لا تسمى وانما يسمى بها (أجيب) بأن التسمية وضع الاسم فكانه قال أسماء وضعتوها
فاستعمل سميتموها استعمال وضعتوها (أنتم وابطاركم) أي لا غير (ما أنزل الله) أي الذي له
جميع صفات الكمال (بها) أي باستحقاقها للاسماء أو لما سميتموها به من الالهية وأعرق
في النبي فقال (من سلطان) أي حجة تصلح بمسائط على ما يدعى فيها بل مجرد الهوى لم تروا منها آية
ولا كتبتكم قط بكملة تعتمدونها وعلى تقدير أن تتكلم الشياطين على ألسنتها فأى طريقة قوية
شرعت لکم وأى كلام صالح أو بليغ برز اليکم منها وأى آية كبرى ارتكبوها (ان) أي
ما (يتبعون) أي في وقت من الاوقات في أمر هذه الاوثان بغاية جهدهم من انها آلهة وأنها
تشفع لهم أو تقرهم الى الله تعالى (الالظن) أي وهو غاية أمرهم لمن يحسن الظن بهم والظن
ترجيح أحد الجائزين على زعم الطان * ولما كان الظن قد يكون موافقا للحق مخالف الهوى قال
تعالى (وماتهوى الانفس) أي تشتهى وهي لما لها من النقص لا تشتهى أبدا الا ما يهوى بها
عن غاية أو وجهها الى أسفل حضيضها وأما المعالى وحسن العواقب فانما يسوق اليها العقل قال
القشيري فأما الظن الجليل بالله تعالى فليس من هذا الباب والتباس عواقب الشخص عليه
ليس من هذه الجمله بسبيل انما الظن المعقول في الله تعالى وأحكامه وصفاته اه ولهذا كان
كثير من الفقه ظنيا وقال صلى الله عليه وسلم حكاية عن ربه أنا عند ظن عبدي بي (ولقد
جاههم) أي العجب أنهم يقولون ذلك والحال أنهم قد جاءهم (من ربهم) المحسن اليهم
(الهدى) على لسان النبي صلى الله عليه وسلم بالبرهان القاطع أنهم ليسوا بالهة وان العبادة

لا تصلح الله الواحد القهار فلم يرجعوا عما هم عليه وقرأ حمزة والكسائي في الوصل بضم الهاء
 والميم وقرأ أبو عمر وبكسرهما والباقون بكسر الهاء وضم الميم (أم للانسان) أي كل انسان منهم
 (ماتني) أي من اتباع ما يشتهي من جاه ومال وطول عمر ورفاهة عيش ومن أن الاصنام تشفع له
 ليس الامر كذلك (فله) أي الملك الاعظم وحده (الآخرة) فهو لا يعطي ما فيها الا لمن تبع هداه
 وترك هواه (والاولى) أي الدنيا فهو لا يعطي جميع الاماني فيها لاحد أصلاً كما هو مشاهد ولكنه
 يعطي منها ما يشاء لمن يريد وليس لاحد أن يتحكم عليه سبحانه في شيء منها (وكم من ملك) أي
 كثير من الملائكة أي ممن يعبدهم هؤلاء الكفار ودل على زيادة قوتهم بشرف مسكنهم وهو
 قوله تعالى (في السموات) أي وهم في الكرامة والرفي (لا تغني شفاعتهم) أي عن أحد من
 الناس (شيئاً) ثم قصر الامر عليه ورده بمخالفته اليه بقوله تعالى (الامن بعد أن يأذن) أي
 يمكن ويريد (الله) أي الملك الذي لا أمر أصلاً لاحد معه (لمن يشاء) من عباده من الملائكة
 أو من الناس أن يشفع (ويرضى) أي يراه أهلاً لذلك فكيف تعبد الاصنام مع حقارتها للتشفع
 لهم (إن الذين لا يؤمنون بالآخرة) أي لا يصدقون ولا يقرّون بالبعث وغيره من أحوال يوم
 القيامة (ليسعون الملائكة) أي كل واحد منهم (تسمية الانبي) بأن سموه بنتاً وذلك أنهم كانوا
 يقولون الملائكة وجدوا من الله تعالى فهم أولاده بمعنى اليجاد ثم انهم رأوا في الملائكة نساء
 التأنيت وصح عندهم أن يقال سجدت الملائكة فقالوا بنات الله فسموهن تسمية الاناث (فان
 قيل) كيف يقال انهم لا يؤمنون بالآخرة مع أنهم كانوا يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وكان
 من عادتهم أن يربطوا امر كوابل على قبر من يموت ويعتقدون أنه يحشر عليه (أجيب) بأنهم
 ما كانوا يجزمون به بل كانوا يقولون لاحشر فان كان فلنا شفعاؤنا بدليل ما حكى الله تعالى عنهم
 وما أظن الساعة فأتية ولئن رجعت الى ربي انى عنده للعسنى وبأنهم ما كانوا يعرفون
 بالآخرة على الوجه الذي وردت به الرسل (فان قيل) كيف قال تسمية الانبي ولم يقل تسمية
 الاناث (أجيب) بأن المراد بيان الجنس وهذا اللفظ أليق بهذا الموضع لمواخاة رؤس الانبي
 (وما) أي والحال أنهم ما (لهم به) أي بما يقولون وقيل الضمير يعود الى ما تقدم من عدم قبول
 الشفاعة وقيل يعود الى الله تعالى أي ما لهم بالله تعالى (من علم) ثم بين تعالى الحامل لهم على
 ذلك بقوله تعالى (ان) أي ما (يتبعون) أي بغاية ما يكون من شهوة النفس في ذلك وغيره
 (الالظن) أي الذي يتخلونه (وان) أي والحال ان (الظن) أي مطلقاً في هذا وفي غيره ولذلك
 أظهر في موضع الاضمار (لا يغني) أي اغناء مبتدأ (من الحق) أي الامر الثابت في نفس
 الامر الذي هو حقيقة الشيء وذاته بحيث يكون الظن بدله والظن انما يعتبر في العمليات لا في
 العمليات ولا سيما الاصولية (شيئاً) أي من الاغناء عن أحد من الخلق فانه لا يؤدي أبداً الى
 الجزم بالعلم بالشيء على ما هو عليه في نفس الامر فهو ممنوع في أصول الدين فان المقصود فيها
 تحقيق الامر على ما هو عليه في الواقع وأما الفروع فان المكلف به فيها هو الظن لكن بشرطه
 المأذون فيه وهو رده الى الاصول المستنبط منها العجز الانسان عن القطع في جميع الفروع

تنبيهاً على عجزه واقتضاره الى الله تعالى ايقبل عليه ويشير من حوله وقوته ليكشف له عن
 الحقائق ونما أن أصروا على الهوى بعد مجي الهدي سبب عن ذلك قوله تعالى (فأعرض) أي
 بأشرف الرسل (عن نولي) أي كلف نفسه خلاف ما يدعوا اليه العقل والقطرة الاولى (عن
 ذكرنا) أي القرآن الذي أنزلناه فلم يتله ولم يتدبر معانيه (ولم يرد) أي في وقت من الاوقات
 (الاحياء الدنيا) أي الحاضرة لتقيده بالمحسوسات كاليهم مع العمى عن دناءتهم وحقارتها
 قال الجلال المحلى وهذا قبل الامر بالجهد قال الرازي وأكبر المفسرين يقولون بأن كل مافى
 القرآن من قوله تعالى فأعرض منسوخ بآية القتال وهو باطل لان الامر بالاعراض موافق
 لآية القتال فكيف ينسخ بها وذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم في الاول كان مأموراً
 بالدعاء بالحكمة والموعظة الحسنة فلما عارضوه بأباطيلهم أمر بازالة شبههم والجواب عن
 أباطيلهم وقيل له وجادلهم بالتي أحسن ثم لما لم ينفع قال له زبه أعرض عنهم ولا تقل لهم بالدليل
 والبرهان فانهم لا يتفقون به ولا يتبعون الحق وقالت لهم والاعراض عن المناظرة شرط لجواز
 المقابلة فكيف يكون منسوخاً بها (ذلك) أي الامر المتناهي في الجهل والقباحة (مبلغهم)
 أي نهاية بلوغهم وموضع بلوغهم والحاصل لهم وتسميهم بقوله تعالى (من العلم) أي غايتهم
 من العلم أنهم أتوا الدنيا على الاثرة والجله اعتراض مقرر لقصورهم على الدنيا وقوله
 تعالى (إن ربك) أي المحسن اليك بالرسالة (هو أعلم) أي عالم (بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن
 اهتدى) أي ظاهراً وباطناً لتعليل الامر بالاعراض أي انما يعلم الله من يجيب من لا يجيب
 فلا تعب نفسك في دعوتهم اذ ما عليك الا البلاغ وقد بلغت لان النبي صلى الله عليه وسلم كان
 كالطبيب للقلوب فأتى على ترتيب الاطباء في أن المرض اذا أمكن اصلاحه بالغذاء
 لا يستعملون الدواء وما أمكن اصلاحه بالدواء الضعيف لا يستعملون الدواء القوي ثم اذا
 عجزوا عن المداواة بالمسروبات وغيرها عدلوا الى الحديد والكي كما قيل آخر الدواء الكي فالنبي
 صلى الله عليه وسلم أولاً أمر القلوب بذكر الله تعالى فقط فان بذكر الله تطمئن القلوب كما أن بالغذاء
 تطمئن النفوس والذكر غذاء القلوب ولهذا قال صلى الله عليه وسلم أولاً قولوا لا اله الا الله
 أمر بالذكر فانتفع مثل أبي بكر ومن لم ينتفع ذكر لهم الدليل وقال أولم يتفكروا قل انظروا
 أفلا ينظرون الى غير ذلك فلما لم ينتفعوا أتى بالوعيد والتهديد فلما لم ينتفعهم قال أعرض عن
 المعالجة واقطع الفاسد لا يفسد الصالح (فان قيل) ان الله تعالى بين أن غايتهم ذلك في العلم
 ولا يكاف الله تعالى نفساً الاوسعها والمجنون الذي لاعلم له أو الصبي الذي لا يؤمر بما فوق
 احتماله فكيف يعاقبهم الله تعالى (أجيب) بأنه ذكر قبل ذلك أنهم تولوا عن ذكر الله فكان
 عدم علمهم لعدم قبولهم العلم واعتادوا الله تعالى توليهم ليضاف الجهل الى ذلك فيحقق العقاب
 (ولله) أي الملك الاعظم وحده (ما في السموات وما في الارض) أي من الذوات والمعاني فيشمل
 ذلك السموات والارض معترض بين الآية الاولى وبين قوله تعالى (ليجزى الذين أساءوا) أي
 بالضلال (بما عملوا) أي بسببه أو بجهنسه اما بواسطتك بسيوفك وبسيوف اتباعك اذا أدنت لكم

في القتال واما بغير ذلك فالموت حقيق الاتف تضرب الملائكة وجودهم وأدبارهم ثم عذاب
 الآخرة على جميع ذنوبهم من غير أن يكون بحمل ليم في الدنيا شيء ينقص بسببه عذاب الآخرة
 * (تنبيه) * اللام في ليجزى يجوز أن تتعلق بقوله تعالى بن صل وبن اهتدى واللام للصيرورة
 أي عاقبة أمرهم جميعا الجزاء بما عملوا قال معناه الرمحسرى وأن تتعلق بمادل عليه قوله تعالى
 أعلم بن ضل أي حفظ ذلك ليجزى قاله أبو البقاء (ويجزى) أي ويشيب ويكرم (الذين أحسنوا)
 أي على ثباتهم على الدين وصبرهم عليه وعلى أذى أعدائهم (بالحسن) أي بالمتوبة الحسنى وهي
 الجنة وبين المحسنين بقوله تعالى (الذين يجتنبون) أي يكفون أنفسهم ويجهدونهم على أن
 يتروا (بكرالانم) أي ما عظم الشارع انهم بعد تحريمه بالوعيد والحد وقرأ حزمة والكسائي
 بكسر الباء الموحدة وبعدها ياء ساكنة والباقون بفتح الموحدة وبعدها ألف وبعدها ألف همزة
 مكسورة وعطف على بكائر قوله تعالى (والفواحش) والفاحشة من الكبائر ما كرهه الطبع
 وانكره العقل واستخبه الشرع والكبيرة صفة عائذة الى الكيفية وقوله تعالى (الا اللهم) فيه
 أوجه أحدها وهو المشهور أنه استثناء منقطع أي لكن اللام لانه الصغار فلم تدرج فيما قبلها
 ثانيها أنه صفة والابعى غير كقوله تعالى لو كان فيه ما آلهة الا الله لقد اتاى بكائر الانم
 والفواحش غير اللهم ثانيها أنه متصل وهذا عند من يفسر اللهم بغير الصغار قالوا ان اللهم من
 الكبائر والفواحش قالوا ان معنى الآية الا أن يلزم بالفاحشة مرة ثم يوب ويقع الواقعة ثم ينهى
 وهو قول أبي هريرة ومجاهد والحسن ورواه عطاء عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال عبد الله
 ابن عمرو بن العاص اللهم ما دون الشرك قال السدى قال أبو صالح سئلت عن قول الله عز وجل
 الا اللهم فقلت هو الرجل يلزم بالنسب ثم لا يعبأ به فذكرت ذلك لابن عباس رضى الله تعالى عنهما
 فقال لقد اعانك عليهما ملك كريم وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال ما رأيت
 شيئا أشبه باللهم مما قال أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل كتب على
 ابن آدم حفظه من الزنا أدرك ذلك لامحالة فزنا العينين النظر وزنا اللسان النطق والنفس تنهى
 وتشتهى والفرج يصدق ذلك أو يكذبه وسلم كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا يدرك ذلك لامحالة
 العينان زناهما النظر والاذنان زناهما الاستماع واللسان زناهما النطق واليد زناهما البطش
 والرجل زناهما الخطا والقلب يهوى ويتمى ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه * (تنبيه) * ذهب
 الجاهل من السلب واختلف من جميع الطوائف الى انقسام المعاصي الى كبائر وصغائر وقد
 تظاهرت على ذلك دلائل الكتاب والسنة وقد اختلف في ضبط الكبيرة بالحد فقال جمع هي
 ما لحق صاحبها وعيد شديد بنص كتاب أو سنة وقال جمع هي المعصية الموجبة للحد والاول أوجه
 لانهم عدوا الربا وكل مال اليتيم وشهادة الزور ونحوها من الكبائر ولا حد فيها وقال امام
 الحرمين هي كل جرمة تؤذن بقله أكثر من تكبها بالدين وأما تعريفها بالحد فقال ابن عباس
 رضى الله تعالى عنهما هي الى السبعين أقرب وقال سعيد بن جبير هي الى السبع مائة أقرب أي
 باعتبار أصناف أنواعها وماعد الحد ومن المعاصي فن الصغار ولا بأس بذلك من النوعين

فمن الاول تقديم الصلاة أو تأخيرها عن وقتها بلا عذر ومنع الزكاة وترك الامر بالمعروف
 والنهي عن المنكر مع القدرة ونسيان القرآن والياس من رحمة الله تعالى وأمن مكر الله
 تعالى وقتل النفس عمدا أو شبهة وعد والقرار من الزحف وأكل الربا وأكل مال اليتيم
 والافطار في رمضان من غير عذر وعقوق الوالدين والزنا واللواط وشهادة الزور وشرب
 الخمر وإن قل والسرقة والغصب وقبضه جماعة بما يبلغ ربع مثقال كما يقطع به في السرقة
 وكتمان الشهادة بلا عذر وضرب المسلم بغير حق وقطع الرحم والكذب على رسول الله صلى
 الله عليه وسلم عمدا أو سب العصاة وأخذ الرشوة والسحر والنيمة وأما الغيبة فإن كانت في أهل
 العلم وحمل القرآن فهي كبيرة والافصغرة ومن الصغار النظر المحرم وكذب لاحد فيه
 ولا ضرر والاشراف على سوات الناس وهجر المسلم فوق ثلاث والضحك في الصلاة المفروضة
 والنياحة وشق الجيب في المصيبة والتجتر في المشي والجلوس بين الفساق أيا سالهم وادخال
 مجانين وصبيان ونجاسة يغلب تخسيسهم المسجد واستعمال نجاسة في بدن أو ثوب لغير حاجة
 والأصرار على صغيرة من نوع أو أنواع بصيرها كبيرة إلا أن تغلب طاعاته معاصيه
 كما أوضحت ذلك في شرح المنهاج وغيره (أن ربك) أي المحسن اليك بإرسالك درجة للعالمين
 والتخفيف عن أمتك (واسع المغفرة) يغفر الصغار باجتناب الكبائر ويغفر الكبائر بالتوبة
 وله أن يغفر ما شاء من الذنوب ما عدا الشرك صغيرها وكبيرها كما قال تعالى إن الله لا يقفركم
 بشركه ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء بخلاف غيره من الملوك فإنه لا يغفر لمن تكررت ذنوبه اليه -م
 وإن صغرت قال البيضاوي ولعله عقب به وعيد المسيئين لئلا يأس صاحب الكبيرة من رحمة
 ولا يتوهم وجوب العقاب على الله تعالى ٥١ ونزل فيمن كان يقول صلاتنا صابنا نجنا (هو أعلم
 بكم) أي بذواتكم وأحوالكم منكم بأنفسكم (اذ) أي حين (أنشأكم من الأرض) أي التي
 طبعها طبع الموت البرد واليبس بإنشاء أيكم آدم عليه السلام منها وتهيئتهم للتكوين بعد أن لم
 يكن فيكم وأنتم تراب قابلية للحياة بقوة قريية ولا بعيدة أصلا فيز التراب الذي يصلح لتكوينكم
 منه والذي لا يصلح (واذ) أي وحين (أنتم أجنة) أي مستورون (في بطون أمتهاكم) فهو يعلم
 اذ ذلك ما أنتم صائرون اليه من خير وشر وإن علمت مدة من العمر بخلافه لانه يعلم ما جباكم عليه
 من ذلك وقرأ أجزاء والكسائي في الوصل بكسر الهمزة والباقون بضمها وكسر حزة الميم وقصها
 الباقون وأما في الابداء بالهمزة فالجميع بضمها (فلاتر كوا) أي تدحوا بالزكاة وهي البركة
 والطهارة عن الدناءة (أنفسكم) أي حقيقة بأن ينشئ الانسان على نفسه فان تركه لنفسه قال
 القشيري من علامات كونه محبوبا عن الله تعالى أي من مدح نفسه على سبيل الإعجاب أما على
 سبيل الاعتراف بالنعمة فحسن أو مجازا بأن ينشئ على غيره من اخوانه وأنه كثيرا ما ينشئ بشئ
 فيظهر خلافه وربما حصل له الاذى بسببه وإن العبد له عمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه
 وبينها الا باع أو ذراع الحديث ولذلك علل بقوله تعالى (هو أعلم) أي منكم ومن جميع الخلق
 (عن انفي) أي فإنه يعلم المتقي وغيره منكم قبل أن يخرجكم من صلب أيكم آدم عليه السلام فمن

جاهد نفسه حتى حصل منه تقوى فهو يوصله فوق ما يؤمل من الثواب في الدارين فكيف بمن
صار له التقوى وصفا ثابتا * ولما بين جهل المشركين في عبادة الاصنام ذكر واحد منهم بسوء
فعمله فقال تعالى (أفرايت الذي نولي) أي عن اتباع الحق والتباعد عنه قال مجاهد وأبو زيد
ومقاتل نزلت في الوليد بن المغيرة كان قد اتبع النبي صلى الله عليه وسلم على دينه فغيره بعض
المشركين وقال له تركت دين الأشياخ وضللتهم فقال اني خشيت عذاب الله تعالى فضمن الذي
عابته ان هو أعطاه كذا من ماله ورجع الى شركه أن يتعمل عنه عذاب الله فرجع الوليد الى
الشرك وأعطي الذي عيبره بعض ذلك الذي ضمن ومنعه تمامه فأنزل الله تعالى أفرايت الذي
نولي أي أدبر عن الايمان (وأعطى قليلا) أي من المال المسمى (وأكدى) أي منع الباقي
ما أخذ من الكدية أرض صلبة كالخضرة تمنع حافر البئر اذا وصل اليها من الحفر فأكدى أصله
من أكدى الحافر اذا حفر شيئا فصادف كدية منعه من الحفر ومثله أجبل اذا صادف جبلا
منعه من الحفر وكديت أصابعه كدت من الحفر ثم استعمل في كل من طلب شيئا فلم يصل اليه أول
يتمه ولمن طلب شيئا ولم يبلغ آخره قال الخطيب

وأعطى قليلا ثم أكدى عطاه * ومن يفعل المعروف في الناس محمد

وقال السدي نزلت في العاصي بن رائل السهمي وذلك انه وعيا يوافق النبي صلى الله عليه وسلم
في بعض الامور وقال محمد بن كعب القرظي نزلت في أبي جهل وذلك انه قال والله ما بامرنا
محمد الا بمكارم الاخلاق فذلك قوله تعالى وأعطي قليلا وأأكدى أي لم يؤمن به ومعنى أكدى
قطع وروى ان عثمان رضي الله تعالى عنه كان يعطي ماله في الخير فقال عبد الله بن مسعود بن أبي
سرح وهو أخوه من الرضاعة يوشك أن لا يبقى لك شيء فقال عثمان ان لي ذنوبا وخطايا واني
أطلب بما أصنع رضا الله تعالى وأرجو عفوه فقال عبد الله أعطني ناقلك برحلتها وأنا أتحمل
عنك ذنوبك فأعطاه وأشهد عليه وأمسك عن العطاء فنزلت وقوله تعالى (أعنده علم
الغيب) أي ما غاب هو المفعول الثاني لرأيت بمعنى أخبرني والمفعول الاول محذوف اقتصارا
لاعطي (فهو) أي فتسبب عن ذلك أنه (يرى) أي يعلم ان صاحبه يتعمل عنه ذنوبه (أم) أي
بل (لم ينبا) أي يخبر اخبارا عظيمة متابعا (بما في صحف موسى) أي التوراة المنسوبة اليه
بازالها عليه وكذا ما سمعها من أسفار الانبياء الذين جاؤا بعده بتقريرها وقدم مصحف موسى
عليه السلام على قوله (وأبراهيم) أي وصحفه لان كتاب موسى عليه السلام أعظم كتاب بعده
القرآن مع انه موجود بين الناس تمكن من مراجعته ثم مدح ابراهيم عليه السلام بقوله تعالى
(الذي وفى) أي أتم ما أمر به من ذلك تبليغ الرسالة واستقلاله بأعباء النبوة وقيامه بأضافه
وخدمته من اياه بنفسه وانه كان يخرج كل يوم فيشقى فرسخا يرا دافعا فافان وافقه اكرمه
والانوى الصوم وعن الحسن ما أمره الله تعالى بشي الا وفى به وصبر على ما امتحن به وما قلق
شيئا من قلق وضرب على حذبع الولد وعلى حر النار ولم يستعن بمخلوق بل قال بلبريل عليه
السلام لما قال له ألك حاجة قال أما اليك فلا وقال الفخار وفى المناسك وروى عن النبي

صلى الله عليه وسلم انه قال ابراهيم الذي وفي أربع ركعات من أول النهار وهي صلاة النضى
 وروى الأخير كرم لم يسمي الله خليفته الذي وفي كان يقول اذا أصبح وأمسى فسبحان الله حين
 تمسون وحين تصبحون الى تظهرون وقيل وفي سهام الاسلام وهي ثلاثون عشرة في التوبة
 الثابتون وعشرة في الاحزاب ان المسلمين وعشرة في المؤمنون قد أفلح المؤمنون وخص هذين
 النبيين لان الموعدين من بني اسرائيل اليهود والنصارى يدعون متابعة موسى عليه السلام
 ومن العرب يدعون متابعة ابراهيم عليه السلام ومن عداهم لا متسلل لهم ولا سلف في نبوة
 محقة ولا شريعة محفوظة وقرأ هشام بن غنم الهام وألف بعدها والباقيون بكسر الهاء وياء بعدها
 ثم فسر تعالى الذي في الصحف واستأنف بقوله تعالى (أن لاترز) أي قائم وتحمل (وازره) أي
 نفس بلغت مبلغا تكون فيه حامله لوزر (وزر أخرى) أي جعلها الثقيل من الائم وفي هذا البطل
 قول من ضمن للوليد بن المغيرة أن يحمل عنه الائم وروى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما
 قال كانوا قبل ابراهيم عليه السلام يأخذون الرجل بذنب غيره وكان الرجل يقتل يقتل أبيه
 وابنه وأخيه وعمه وخاله وامرأته والعبد بسيدته حتى جاءهم ابراهيم عليه السلام فنهاهم عن
 ذلك وبلغهم عن الله عز وجل أن لاترزوا زرا أخرى ولما نفي أن يضرة ائم غيره نفي أن ينفعه
 سعي غيره بقوله تعالى (وأن ليس للانسان) كأنما من كان (الاماسي) فلا بد أن يعلم الحق في أي
 جهة فيسعي فيه ودعاء المؤمنين للمؤمن من سعيه بموادته ولو جوافقته لهم في الدين فقط وكذا
 الحج عنه والصدقة ونحوها وأما الولد فواضح في ذلك وأما ما كان بسبب العلم والصدقة
 ونحوها فكذلك وتخصية النبي صلى الله عليه وسلم عن أمته أصل كبير في ذلك فان من تبعه
 فقد واده وهو أصل في التصديق عن الغير واهدا ماله من الثواب في القراءة ونحوها اليه وقال
 ابن عباس رضي الله عنهما عدا منسوخ الحكم في هذه الشريعة أي وانما هو في صحف موسى
 وابراهيم عليهم السلام بقوله ألحقنا بهم ذرياتهم فأدخل الابناء الجنة بصالح الآباء وقال
 عكرمة ان ذلك لقوم موسى وابراهيم عليهم السلام وأما هذه الامة فلم يمسحوا وما سعى لهم
 غيرهم لما يروى ان امرأته رفعت صيدا لها فقالت يا رسول الله ألهذا حج فقال نعم ولك أجر وقال
 رجل للنبي صلى الله عليه وسلم ان أمي أنسلت نفسها فهل لها أجران تصدقت عنها قال نعم قال
 الشيخ في الدين أبو العباس أحمد بن حنبل من اعتد ان الانسان لا ينفع الاب بعمله فقد شق
 الاجماع وذلك باطل من وجوه كثيرة أحدها ان الانسان ينفع بدعاء غيره وهو انتفاع بعمل
 الغير ثانيا ان النبي صلى الله عليه وسلم يشفع لاهل الموقف في الحساب ثم لاهل الجنة
 في دخولها ثم لاهل الصكبات في الخروج من النار وهذا انتفاع بعمل الغير ثالثا ان كل
 نبي وصالح له شفاعته وذلك انتفاع بعمل الغير رابعا ان الملائكة يدعون ويستغفرون لمن
 في الارض وذلك منفعه بعمل الغير خامسا ان الله تعالى يخرج من النار من لم يعمل خيرا قط
 ببعض رحمة وهذا انتفاع بغير علمهم سادسا ان أولاد المؤمنين يدخلون الجنة بعمل آباؤهم
 وذلك انتفاع بمحض عمل الغير سابعا قال تعالى في قصة الغلامين اليتيمين وكان أبوهما صالحا

فانتفاع بالصالح أيهما وليس هو من سعيهما ثامن أن الميت ينتفع بالصدقة عنه وبالعتق بنص
 السنة والاجماع وهو من عمل الغير تاسعها أن الحج المقر وض يسقط عن الميت بخبر ولية بنص
 السنة وهو انتفاع بعمل الغير عاشرها أن الحج المذور أو الصوم المذور يسقط عن الميت بعمل
 غيره بنص السنة وهو انتفاع بعمل الغير حادي عشرها أن المدين الذي امتنع صلى الله عليه وسلم
 من الصلاة عليه حتى قضى دينه أبو قتادة وقضى دين الأسخر على ابن أبي طالب وانتفع بصلاة
 النبي صلى الله عليه وسلم وبردت جلده بقضائه وهو من عمل الغير ثاني عشرها أن النبي
 صلى الله عليه وسلم قال لمن صلى وحده أو لأرجل يتصدق على هذا فيصلي معه فقد حصل له فضل
 الجماعة بفعل الغير ثالث عشرها أن الإنسان تبرأ ذمته من ديون الخلق إذا قضاها قاض عنه
 وذلك انتفاع بعمل الغير رابع عشرها أن من عليه تبعات ومظالم إذا أحل منها سقطت عنه
 وهذا انتفاع بعمل الغير خامس عشرها أن الجار الصالح ينتفع في الحيا والمات كما جاء في الآثار
 وهذا انتفاع بعمل الغير سادس عشرها أن جليس أهل الذكر برحمهم وهو لم يكن منهم ولم
 يجلس لذلك بل الحاجة عرضت له والأعمال بالنيات فقد انتفع بعمل غيره سابع عشرها الصلاة
 على الميت والدعاء له في الصلاة انتفاع للميت بصلاة الحي عليه وهو عمل غيره ثامن عشرها أن
 الجمعة تحصل باجتماع العدد وكذلك الجمعة بكثرة العدد وهو انتفاع ببعض البعض تاسع
 عشرها أن الله تعالى قال انبيه صلى الله عليه وسلم وما كان الله بعذبهم وأنت فيهم وقال تعالى
 ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات ولو لأدفع الله الناس بعضهم بعضا ففقد دفع الله تعالى
 العذاب عن بعض الناس بسبب بعض وذلك انتفاع بعمل الغير عشروها أن صدقة الفطر تجب
 عن الصغير وغيره ممن يوفيه الرجل فينتفع بذلك من يخرج عنه ولا سعي لهما حادي عشرها أن
 الزكاة تجب في مال الصبي والمجنون وشاب على ذلك ولا سعي له ومن تأمل العلم وجد من انتفاع
 الإنسان بما يعمل ما لا يكاد يحصى فكيف يجوز أن تتأول الآية على خلاف صريح الكتاب
 والسنة واجماع الأمة والمراد بالإنسان العموم وقال الربيع بن أنس ليس للإنسان يعني
 الكافر وأما المؤمن فله ماسعي وماسعي له وقيل ليس للكافر من الخير إلا ما عله يناب عليه في الدنيا
 حتى لا يبق له في الآخرة خير وروى أن عبد الله بن أبي كان أعطى العباس قصبة ألبه أياه فلما
 مات أرسل النبي صلى الله عليه وسلم لقصه ليكفن فيه فلم تنق له حسنة في الآخرة يناب عليها
 (وأن سعيه) أي من خير وشرك (سوف يرى) أي في ميزانه من غير شك يوم القيامة بوعده لا خلف فيه
 وإن طال المدى من أريته الشيء أي يعرض عليه ويكشف له (فإن قيل) العمل كيف يرى بعد
 وجوده ومضيه (أجيب) بأنه يرى على صورة جملة أن كان العمل صالحا قال الرازي وذلك
 على مذهبا غير بعيد فإن كل موجود يرى والله تعالى قادر على إعادة كل ما عدم فيعيد الفعل
 فيرى وفيه بشارة للموخذ وذلك أن الله تعالى يريه أعماله الصالحة ليفرح بها ويحزن الكافر
 بأعماله الفاسدة فيزداد غما (ثم يجزاه) أي السعي (الجزء الاوفا) أي الاثم الاكل والمعنى
 أن الإنسان يجزي جزاء سعيه بالجزاء الاوفا يقال جزيت فلا بأس به وبسعيه قال الرازي

الجزاء الاوفى يلقى بالمؤمنين الصالحين لان جزاء الطالح وافر قال تعالى فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا وذلك ان جهنم ضررها أكثر من نفع الآثم فهي في نفسها أوفر (وان الى ربك) أى المحسن اليك لا الى غيره (المنتهى) أى الانتهاء برجوع الخلائق ومصيرهم اليه فيجازيهم بأعمالهم وقيل منه ابتداء المنّة واليه انتهاء الآمال وروى أبو هريرة مرفوعا تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق فان الله تعالى لا يحيط به الفكر وفي رواية لا تفكروا في الله فانكم إن تقدروا قدره قال القرطبي ومن هذا المعنى قوله صلى الله عليه وسلم بأني الشيطان أحكم فيقول من خلق كذا من خلق كذا حتى يقول له من خلق ربك فاذا بلغ ذلك فليستعذ بالله تعالى ولقد أحسن من قال

ولا تفكروا في ذي العلا عز وجهه * فانك تردى ان فعلت وتخذل

ودونك مخد لوقاته فاعتبر بها * وقل مثل ما قال الخليل المجل

وقيل المراد من الآية التوحيد وفي الخطاب وجهان أحدهما انه عام تقديره الى ربك أيها السامع أو العاقل والثاني انه خطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم فعلى الأول يكون تهديدا وعلى الثاني يكون تسلية لقلب النبي صلى الله عليه وسلم فعلى الأول تكون الالام في المنتهى للعهد المعهود في القرآن وعلى الثاني تكون للعموم أى الى ربك كل منتهى وقوله تعالى (وانه هو) أى لا غيره (أضحك وأبكى) يدل على ان كل ما يعمل به الانسان فبقضاء الله تعالى وخلقته حتى النحك والبكاء وروى انه صلى الله عليه وسلم مر على قوم من أصحابه وهم يضحكون فقال صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا فتنزل عليه جبريل عليه السلام فقال يا محمد ان الله يقول لك وانه هو أضحك وأبكى أى قضى أسباب ما فرجع اليهم صلى الله عليه وسلم فقال ما خطوت أربعين خطوة حتى أتاني جبريل فقال انت هؤلاء قتل لهم الله تعالى يقول هو أضحك وأبكى أى قضى أسباب الضحك والبكاء وقال بسام بن عبد الله أضحك اسنانهم وأبكى قلوبهم وأنشد يقول

السن تضحك والاحشاء تحترق * وانما ضحكها زور ومحتلق

يارب بالبعين لادموع لها * ورب ضاحك سن ما به رملق

وقال مجاهد والكافي أضحك أهل الجنة في الجنة وأبكى أهل النار في النار وقال الضحك أضحك الارض بالنبات وأبكى السماء بالمطر وقال عطام بن أبي مسلم يعنى أفرح وأحزن لان الفرح يجلب الضحك والحزن يجلب البكاء وقيل ان الله تعالى خص الانسان بالضحك والبكاء من سائر الحيوان وقيل الفرد وحده يضحك ولا يبكي وان الابل وحدها تبكي ولا تضحك وقال يونس بن الحسين سئل طاهر المقدسي انضحك الملائكة فقال ما ضحكوا ولا كل من دون العرش منذ خلقت جهنم وعن عائشة قالت لا والله ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قط ان اميت يعذب بيبك أحد ولكنه قال ان الكافرين يذبح الله بيبك أهل عذابا وان الله تعالى هو أضحك وأبكى * (تنبيه) قوله تعالى وانه هو أضحك وأبكى وما بعده بسمية البيانون الطباق المتضادة

وهو نوع من البديع وهو أن يذكركم رضوان أنقيضان أو متنافيان بوجه من الوجود
وأضحك وأبكي لا مفعول لهما في هذا الموضع لأنهما سيقا القدرة الله تعالى لا لبيان المقدور فلا
حاجة إلى المفعول كقول القائل فلان يده الأخذ والعطاء يعطى وينع ولا يريد ممنوعا ومعطى
واختار هذين الموضعين المذكورين لأنهما أمران لا يعللان فلا يقدر أحد من الطبائعين
لاختصاص الإنسان بالضحك والبكاء وجهها ولا سببها وإذا لم يعمل بأمر فلا بد له من موجد وهو
الله تعالى بخلاف النحلة والسقم فانهم يقولون سببهما الاختلال المزاج وخروجه عن
الاعتدال ومما يدل على ذلك أنهم إذا عللوا الضحك قالوا القوة التعجب وهو باطل لأن الإنسان
ربما بهت عند رؤية الأمور العجيبة ولا يضحك وقبل لقوة الفرح وليس كذلك لأن الإنسان
قد يبكي لقوة الفرح كما قال بعضهم

هجم السرور على حتى أنه * من عظم ما قد سرتني أبكاني

(وأنه هو) أى لا غيره (أمات وأحيى) وان رأيت أسبا باظاهرة فانها لا عبرة به في نفس الامر
بل هو الذي خلقها أى أمات في الدنيا وأحيى في البعث وقال القرطبي قضى أسباب الموت
والحياة وقيل أمات الآباء وأحيى الأبناء وقيل أمات الكافر بالكفر وأحيى المؤمن بالإيمان
(وأنه خلق الزوجين) ثم فسره بقوله تعالى (الذكر والأنثى) فانه لو كان ذلك في غيره مانع البنات
لأنهم مكرهه لغالب الناس وقوله تعالى (من نطفة إذا تمنى) أى نصب يشمل سائر الحيوانات
لأن ذلك مختص بالدم وحواء عليهم ما السلام لأنهما ما خلقا من نطفة وهذا أيضا تنبيه على كمال
القدرة لأن النطفة جسم متناسب الاجزاء ويخلق الله تعالى منها أعضاء مختلفة وطبعا متباينة
وخلق الذكر والأنثى منها أوجب ما يكون ولهذا لم يقدر أحد على أن يدعى خلق السموات
والارض ولا خلق أنفسهم قال تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله وقال تعالى ولئن سألتهم
من خلق السموات والارض ليقولن الله (فان قيل) ما الحكمة في قوله تعالى وأنه خلق ولم يقل
وأنه هو خلق كما قال تعالى وأنه هو أضحك وأبكي (أجيب) بأن الضحك والبكاء ربما يتوهم أنهما
بفعل الإنسان والامانة والاحياء وان كان ذلك التوهم أبعد فهم ما لكن ربما يقول به جادل كما قال
من حاج إبراهيم عليه السلام أنا أحيى وأميت فأكد ذلك بالفصل وأما خلق الذكر والأنثى
من النطفة فلا يتوهم أحد أنه بخلاف أحد من الناس فلم يؤكده بالنصل ألا ترى الى قوله تعالى
وأنه هو أغنى وأفنى حيث كان الاغناء عندهم غير مستند الى الله تعالى وكان في معتقدهم ان
ذلك بفعلهم كما قال قارون انما أوتيته على علم عندي ولذلك قال هورب الشعرى فأكد
في مواضع استبعادهم الى الاسناد ولم يؤكده في غيره (وان عليه) أى خاص به علما وقدرة
(النشأة) أى الحياة (الآخري) للبعث يوم القيامة بعد الحياة الاولى (فان قيل) الاعادة لا تجب
على الله تعالى فماعتى عليه (أجيب) بأنه عليه بحكم الوعد فانه قال انما نحن نحي الموتى فعليه
بحكم الوعد لا بالعقل ولا بالشرع وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح الشين وبعدها ألف ممدودة
قبل الهمزة والباقون بسكون الشين وبعدها الهمزة المفتوحة وإذا وقف حمزة نقل حركة

الهمزة الى الشين (وانه هو) أى وحده من غير نظر الى سعي ساع ولا غيره (أغنى) قال أبو صالح أغنى الناس بالاموال (وأقنى) أعطى القنية وأصول الاموال وما يدخرونه بعد الكفاية وقال الضحاك أغنى بالذهب والفضة وصنوف الاموال وأقنى بالابل والبقر والغنم وقال الحسن وقتادة اخذم وقال ابن عباس أغنى وأقنى أعطى فارضى وقال مجاهد ومقاتل اقنى أرضى بما أعطى وقنع قال الراغب وتحقيقه انه جعل له قنية من الرضا وقال سليمان التيمي أغنى نفسه وأفقر خلقه اليه وقال ابن زيد أغنى أكثر وأقنى أقل وقرأ ييسط الرزق لمن يشاء ويقدر وقال الاخفش أقنى أفقر وقال ابن كيسان أولاد وقال الرخشيروى أقنى أعطى القنية وهى المال الذى تأتله وعزمت على أن لا يخرج من يدك * (تنبيه) * حذف مفعولا أغنى وأقنى لأن المراد نسبة هذين الفعلين اليه وكذلك باقيها وألف أقنى منقلبة عن ياء لانه من القنية قال الشاعر * الا تبعد العدم للمرء قنية * ويقال قنيت كذا وأقنيته قال الشاعر * قنيت حياتى عفة وتكرما * (وانه هو) أى لا غيره (رب الشعرى) أى رب معبودهم وكانت خزاعة تعبد الشعرى وأول من سن ذلك رجل من اشرافهم يقال له أبو كبشة عبدها وقال لان الجبوم تقطع السماء عرضا والشعرى تقطعها طولاً فهى مخالفة لها فعبدها وعبدها خزاعة وحجر وأبو كبشة أحد أجداد النبي صلى الله عليه وسلم من قبل أمتهاته وبذلك كان مشركو قريش يسمون النبي صلى الله عليه وسلم بابن أبي كبشة حين دعا الى الله تعالى وخالف أديانهم تشبيهاً بذلك الرجل فى أنه أحدث ديناً غير دينهم والشعرى فى لسان العرب كوكبان تسمى أحدهما الشعرى العبور وهى المرادة فى الآية الكريمة وهى تطلع بعد الجوزاء فى شدة الحر ويقال لها هرزم الجوزاء وتسمى كاب الجبار أيضاً وتسمى الشعرى البمانية والثانية الشعرى الغميصاء وهى التى فى الذراع والجرة بينهما وتسمى الشامية وبسبب تسميتها بالغميصاء على ما رآه العرب انهما كانا أختين أو زوجتين لسهيل فأنحدر سهيل الى البن فاتبعتة الشعرى العبور فعبرت الجرة فسميت العبور وأقامت الغميصاء تبكى حتى غمست عينها ولذلك كانت أخفى من العبور وكان من لا يعبد الشعرى من العرب يعظمها ويعتقد تأثيرها فى العالم (وأنه أهلك عاد الأولى) وهم قوم هود عليه السلام هلكوا برح صرصرو والآخرى قوم صالح وقبيل الأخرى ارم وقبيل الأولى أول الخلق هلاكاً بعد قوم نوح وقرأ نافع وأبو عمرو بتشديد اللام بعد الدال المفتوحة نقلاً وهمز قالون الواو بعد اللام همزة ساكنة والباقون بتقوين الدال وكسر التنوين وسكون اللام وبعد هاء همزة مضمومة فاذا قرأ القارئ عاد الأولى لقالون وأبى عمرو فله فى الوصل أى وصل عاد بالاولى وجه واحد وهو النقل المذكور وقالون على أصله بالهمزة كما ذكر فاذا وقف على عاداً ابتداءً بلولى فله الابتداء بهمزة الوصل وهو أولى وله أيضاً الابتداء بغيرهمز الوصل وهو لولى وقالون بهمز الواو فى الوجهين الأولين ولم يهز فى الوجه الثالث الذى هو الاصل ووافقهم ما ورث فى الوجه المذكور فى الوصل

والابتداء لافي الوجه الثالث الذي هو الاصل فانه ليس من مذهبه الا النقل (وغودا)
وهم قوم صالح اهلكهم الله تعالى بصيحة (فأبقى) منهم أحدا وقرأعاصم وحزوة بغير تنوين
للدال في الوصل وسكون الدال في الوقف والباقون بالتنوين في الوصل والوقف على
الالف (وقوم نوح) أي اهلكهم لاجل ظلمهم بالكذب (من قبل) أي قبل القرينين
(انهم) أي قوم نوح (كانوا) أي بحالهم من الاخلاق التي هي كالجبلات التي لا تتشكل عنها
(هم) أي خاصة (أظلم) أي من الطائفتين المذكورتين (وأطغى) أي وأشدد تجاوزا في الظلم
وعلو أو اسرافا في المعاصي وتجبيرا وعموا التماذي دعوة نوح عليه السلام قريبا من ألف سنة
ولانهم أطول أعمارا وأشدد أبدانا وكانوا مع ذلك ملء الأرض روى ان الرجل منهم كان يأخذ
بيد ابنه فيطلق به الى نوح عليه السلام فيقول احذر هذا فانه كذاب وان أبي قد مشى بي الى
هذا وقال لي ما قلت لك فيموت الكبير على الكفر وينشأ الصغير على وصية ابيه ولهذا قال
نوح عليه السلام رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا
يلدوا الا فاجرا كفارا وقوله تعالى (والموتفة) منصوب بقوله تعالى (أهوى) وقدم لاجل
القواصل والمراد بالموتفة قري قوم لوط رفعها الى عنان السماء على جناح جبريل عليه السلام
ثم أهواها الى الأرض أي أسقطها وأسبعها بحجارة النار الكبرى ثم وهى قوله تعالى (فقتلناها)
أي أتبعها ما غطاها فكان لها بمنزلة الغشاء وهوى بقوله تعالى (ماغشى) أي أمر أعظمها
من الحجارة المنصودة المسومة وغيرها مما لا تنس العقول وصفه (فبأى آلاء) أي أنعم (ربك)
أي المحسن اليك (تتبارى) أي تشك أيها الانسان وقيل أراد الوليد بن المغيرة وقال ابن
عباس تتبارى أي تكذب وقيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي تشك في اجالة الخواطر
في فكرك في ارادة هداية جميع قومك بحيث لا تريد ان أحد منهم يهلك وقد حكى ربك باهلاك
كثير منهم لما اقتضته حكمته فكان بعض خواطر في تلك الاجالة يشكك بعضها بعضا (هذا)
أي النبي صلى الله عليه وسلم (نذير) أي محذر بليغ التحذير (من النذر الاولى) أي من
جنسهم أي رسول كالرسول قبله أرسل اليكم كما أرسلوا الى أقوامهم وقال تعالى الاولى على
تأويل الجماعة أو هذا القرآن نذير من النذر الاولى أي انذار من جنس الانذارات الاولى
التي أئذريهم من قبلكم (ازنت الازفة) أي قربت الموصوفة بالقرب في قوله تعالى اقتربت
الساعة وهو يوم القيامة (ليس لها من دون الله) أي من أدنى رتبة من رتبة الملاك المحيط بكل
شيء قدرة وعلم وقوله تعالى (كاشفة) يجوز أن يكون وصفا وأن يكون مصدرا فان كان وصفا
احتمل أن يكون التأنيث لاجل انه وصف لمؤنث محذوف تقديره نفس كاشفة أو حال كاشفة
أي مبينة متى تقوم كقوله تعالى لا يجليهم الوقت الا هو وأليس لها نفس كاشفة أي قادرة على
كشفها اذا وقعت الا الله تعالى غير أنه تعالى لا يكشفها وأليس لها الآن نفس كاشفة بالتأخير
وان كانت مصدرا فهي بمعنى الكشف كالعاقبة والمعنى ليس لها من دون الله كشف أي
لا يكشف عنها ولا يظهرها غيره (أفمن هذا الحديث) قال أكثر المفسرين المراد بالحديث القرآن

العظيم الذي يأتي على سبيل التجدد بحسب الوقائع والحاجات (تعجبون) أنكارا وهو في غاية ما يكون من تريق القلوب وقرأ أبو عمر وبأدغام المثلثة في التاء المنة بخلاف عنه (وتعجبون) أي استهزا من هذا الحديث وتجددون ذلك في كل وقت (ولا تكون) أي كما هو حق من يسمعه لما فيه من الوعد والوعيد وغير ذلك وقال الرازي يحتمل أن يكون ذلك إشارة إلى حديث ازنت الآزفة فانهم كانوا يتعجبون من حشر الأجساد والعظام البالية وقوله تعالى (وأنتم سامدون) جلة مستأنفة أخبر الله تعالى عنهم بذلك ويحتمل أن تكون حالا أي اتقى عنكم البكاء في حال كونكم سامدين واختلف في معنى السمود ف قيل هو الأعراس والغفلة عن الشيء أي وأنتم معرضون غافلون عما يطلب منكم وقيل هو اللهو يقال دع عنا سمودك أي لهولك قاله الوالي والعوفي عن ابن عباس وقال الشاعر

الأيام الإنسان أنك سامد * كأنك لا تنفى ولا أنت هالك

فهذا بمعنى لاه لاعب وقيل هو الجود وقيل هو الاستبكار قال الشاعر

ومي الحديثان نسوة آل سعد * بمقدار سمعدن له سمودا

فرد شعورهن السود بيضا * ورد وجوههن البيض سودا

فهذا بمعنى الجود والخشوع وقال عكرمة وأبو عبيدة السمود الغناء بلغة جبر يقولون يا جارية اسمدي لنا أي غني فمكنا إذا سمعوا القرآن تغنوا ولعبوا وقال مجاهد شرون وقال الضحالك غضاب يبرطمون وقال الراغب السامد الإلهي الرافع رأسه من قولهم بهر سامد في سبيله وقال الحسن السامد الواقف للصلاة قبل وقوف الامام لما روى أنه صلى الله عليه وسلم خرج والناس ينتظرونه قياما فقال مالي أراكم سامدين وتسبدا الأرض ان يجعل فيها السمود وهو سرجين ورماد وقوله تعالى (فاسجدوا) أي اخضعوا خضوعا كثيرا بالسجود (لله) أي الملك الأعظم يحتمل أن يكون المراد به سجود التلاوة وأن يكون المراد به سجود الصلاة (واعبدوا) أي أشغلوا بكل أنواع العبادة ولم يقل واعبدوا الله أتمال كونه معلوما من قوله تعالى فاسجدوا لله وأمالا أن العبادة في الحقيقة لا تكون إلا لله وبقوى الاحتمال الأول ما روى عكرمة عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم سجد في النجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس وعن عبد الله بن مسعود قال أول سورة أنزلت فيها سجدة النجم قال فسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وسجد من خلفه الأرجل شيخنا من قريش أخذ كفا من حصا أو تراب فرفعه إلى جبهته وقال يكفيني هذا قال عبد الله فلقدر أيته بعد ذلك قتل كافرا وهو أمية بن خلف كما في بعض الروايات وروى زيد بن ثابت قال قرأت على النبي صلى الله عليه وسلم والنجم فلم يسجد فيها وهذا يدل على أن سجود التلاوة غير واجب قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه إن الله تعالى لم يكتبكم علينا إلا أن نشاء وهو قول الشافعي وأحمد رضي الله عنهم أي فهي مستحبة وذهب قوم إلى وجوبه على القارئين والمستمع جميعا وهو قول سفيان الثوري وأصحاب الرأي وذهب قوم إلى أنها في الفصل غير مستحبة وما رواه البيضاوي

بسم الله الرحمن الرحيم من قرأ سورة النجم أعطاه الله عشر حسنات
بعدد من صدق بحمد صلى الله عليه وسلم وبتحديده حديث موضوع

﴿سورة النجم وتسمى اقتربت مكينة﴾

الاسم زم الجمع ويولون الدبر الايات وهي خمس وخمسون آية وثلاثمائة واثنان
وأربعون كلمة وألف وأربعمائة وثلاثة وعشرون حرفاً

(بسم الله) أى الذى أحاط علمه فتمت قدرته (الرحمن) الذى وسعت رحمته كل شئ فعمت الشئ
والسعيد نعمته (الرحيم) الذى خص بإتمام نعمته من اصطفاها فاسعدتهم رحمته (اقتربت
الساعة) دنت القيامة وفى أول هذه السورة مناسبة لآخر ما قبلها وهو قوله تعالى ازفت الآزفة
فكانه أعاد ذلك مستدلاً عليه بقوله تعالى ازفت الآزفة فهو حق اذ القمر انشق وقوله تعالى
(وانشق القمر) ماض على حقيقته وهو قول عامة المسلمين الا من لا يلتفت الى قوله وقد صح
فى الاخبار ان القمر انشق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين وعن ابن مسعود قال
انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا وروى أنس بن مالك أن أهل مكة سألو رسول الله صلى الله
عليه وسلم أن يريهم آية فأرهم القمر شقين حتى رأوا حرا بينهما وقال سنان عن قتادة فأرهم
انشقاق القمر مرتين وقال أبو الضحى عن مسروق عن عبد الله لم ينشق بمكة وقال مقاتل
انشق القمر ثم التأم بعد ذلك وقيل انشق بمعنى سينشق يوم القيامة وأوقع الماضى موقع
المستقبل وهو خلاف الاجماع وقيل انشق بمعنى انقلع عنه الظلام عند طلوعه كما يسمى الصبح
فلقوا وأنشد النابغة فلما أدبروا ولهم دوى * دعانا عند شق الصبح داع

وانما ذكرت ذلك تبييناً على ضعفه وروى أبو الضحى عن مسروق عن عبد الله قال انشق القمر
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت قريش سحقكم ابن أبى كبشة فسلوا السفار فسألوهم
فقالوا نعم قدرأيناه فأنزل الله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر (وان يروا) أى كفار قريش
(آية) أى معجزة له صلى الله عليه وسلم كأنشقاق القمر (يعرضوا) عنها (ويقولوا) هذا (سحر
مستمر) أى ذاهب سوف يذهب ويضطل من قولهم مر الشئ واستمر إذا ذهب مثل قولهم
قروا سبقره فانه مجاهد وقتادة وقال أبو العالسة والضحاك مستمر أى قوى شديد من قولهم
مر الحبل إذا صلب واشتد وأمر ربه إذا أحكمت قتله واستمر الشئ إذا قوى واستحكم وقيل مستمر
أى دائم فان محمد صلى الله عليه وسلم كان يأبى كل زمان بمعجز فقالوا هذا سحر مستمر دائم
لا يختلف بالنسبة الى شئ بخلاف سحر السحرة فان بعضهم يقدر على أمر وأمرين وثلاثة ويعجز
عن غيرها وهو قادر على الكل قاله الرمحشري ومنه قول الشاعر

الا نعلم الدنيا بال وأعصر * وليس على شئ قديم بمستمر

وعن حذيفة انه خطب بالمدينة ثم قال الا ان الساعة قد اقتربت وان القمر قد انشق على عهد

نبيكم مستقر دائم مطرد وكل شيء قد انقادت طريقه ودامت حاله قيل فيه قد استقر وقال أبو
 حيان سبب نزولها أن مشركي قريش قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم إن كنت صادقاً فاشق لنا
 القمر فرفقنا ووعدوا بالايمن أن فعل ذلك وقال ليله بدرأى ليله أربعة عشر في الشهر فسأل
 ربه فأنشق القمر فقالوا سحر مستقر ولم يؤمنوا (وكذبوا) بكون انشقاقه دالاً على صدق
 الرسول صلى الله عليه وسلم وجرموا بالكذب عنادا (واتبعوا) أي بعبادة فطرهم الأولى
 المستقيمة في دعائها إلى التصديق (أهواهم) في أنه صلى الله عليه وسلم سحر القمر وأنه خسوف
 في القمر وظهور شيء في جانب آخر من الجوى شبه نصف القمر وأنه سحر أعيننا وأن القمر لم يصبه
 شيء فهذه أهواؤهم قال القشيري إذا حصل اتباع الهوى فن شؤمه يحصل التكذيب لأن الله
 تعالى يلدس على قلب صاحبه حتى لا يستبصر والرشد واتباع الرضا مقررون بالتصديق لأن الله
 تعالى بركات الانباع للحق يفتح عين البصيرة فيأتي بالتصديق (وكل أمر) أي من أموركم من
 الخير والشر (مستقر) أي بأهلها في الجنة أو النار وقال قتادة وكل أمر مستقر فالخير مستقر
 بأهل الخير والشر مستقر بأهل الشر وقيل مستقر قول المصدقين والمكذبين حتى يعرفوا
 حقيقة الثواب والعذاب وقيل كل أمر مستقر في علم الله تعالى لا يخفى عليه شيء فهم كذبوا
 واتبعوا أهواءهم والانبياء صدقوا وبلغوا كقوله تعالى لا يخفى على الله منهم شيء (ولقد
 جاءهم) أي أهل مكة في القرآن قبل الانشقاق (من الانباء) أي اخبار واهلاك الامم الماضية
 المكذبة رسلاً لهم لأن الانباء الاخبار العظام التي لها وقع كقول الهدد وحتشك من سبأ نبأ
 يقين لانه كان خبراً عظيماً له وقع وخطر وقال تعالى ان جاءكم فاسق بنبأ أي بأمر عظيم له خطر
 وانما يجب الثبوت فيما يتعلق به حكم ويترب عليه أمر ذو بال (مفيه) خاصة (مزدجر) أي
 عما هم فيه من الباطل ولكن لم يزدجر منهم الا من أراد الله تعالى * (تنبيه) * المزدجر اسم
 مصدر أي ازدجراً واسم مكان أي موضع ازدجار والدال بدل من تاء الافتعال وازدجرته
 وزجرته نهيته بغلظة ومأموصولة او موصوفة وقوله تعالى (حكمة) خبر مبتدأ محذوف أو
 بدل من ما أو من مزدجر (بالغة) أي لها أعظم البلوغ إلى أنهي غايات الحكمة لصحتها ووضوحها
 ففيها مع الزجر جرئة ومواعظ وأحكام ودقائق (فانغن) أي تنفع (النذر) أي الانذارات
 والمندرون والامور المندرجة ومنها انما المغنى بذلك هو الله تعالى فإشاءه كان وما لم يشأ لم يكن
 قال البقاعي ولعل الإشارة بإسقاط يا تغني باجماع المصاحف من غير موجب في اللفظ إلى أنه
 كما سقطت غاية أحرف الكلمة سقطت ثمرة الانذار وهو القبول * (تنبيه) * يجوز في ما أن
 تكون استفهامية وتكون في محل نصب مقعولة لا مقدماً أي أي شيء تغني النذر وأن تكون نافية
 أي لم تغن النذر شيئاً والنذر جمع نذير والمراد به المصدر واسم الفاعل ولما كان صلى الله عليه
 وسلم شديد العلق بطلب نجاتهم فهو لذلك رعا شتمى اجابتهم إلى مقترحاتهم تسبب عن ذلك قوله
 تعالى (فقول عنهم) أي كلف نفسك الاعراض عن تقي ذلك فاعليك الا البلاغ وأما الهداية
 فإلى الله تعالى وحده * (تنبيه) * قال أكثر المفسرين نسختم آية السيف وقال الرازي

ان قول المفسرين في قوله تعالى فتول منسوخ ليس كذلك بل المراد منه لانتظارهم
بالكلام وقوله تعالى (يوم) منصوب باذكر أي واذكر يوم (يدع الداعي) وقيل منصوب
ببخر جون بعده والداعي معرف كالنادي في قوله تعالى يوم ينادي المنادي لانه معلوم قد أخبر
عنه فقيل ان مناديا ينادي وداعا يادع وقيل الداعي اسرافيل عليه السلام ينفخ فاعلم على
خزنة بيت المقدس قاله مقاتل وقيل جبريل عليه السلام وقيل ملك موكل بذلك والتعريف
حينئذ لا يقطع حد العلية ويكون كقولنا جاء رجل فقال الرجل قاله الرازي وقرأ نافع وأبو عمرو
بجذف الياء بعد العين وقفا وانباتهم ووصلا وابن كثير بانباتهم وقفا ووصلا والباقون بجذفها وقفا
ووصلا (الى شيء تكرر) أي منكر فظيع لم ير مثله فينكرونه استعظاما (فان قيل) ما ذلك الشيء
المنكر (أجيب) بأنه الحساب أو الجمع له أو النشر للجمع (فان قيل) النشر لا يكون منكرا
فانه احياء ولأن الكافر من أين يعرف وقت النشر ما يجزي عليه إنه كره (أجيب)
بأنه يعلم ذلك لقوله تعالى عنهم يا ويله امن بعثنا من امر قدنا وقرأ ابن كثير يسكون الكافر
والباقون بالرفع ولما بين تعالى دعاه بما هال أمره بين حال المدعوين وزيادة في الهول فقال
تعالى (خاشعاً أبصارهم) أي ينظرون نظرا خاضع الذليل السافل المنزلة المستوحش الذي
هو شر حال ونسب الخشوع الى الابصار لان الذل والعز يتبين في النظر والذل أن يرحى به صاحبه
الى الارض مثلاً مع هيبة يعرف منها ذلك كما قال تعالى خاشعين من الذل ينظرون من
طرف خفي وقرأ أبو عمرو ووجزة والكسائي بفتح الخاء وألف بعدها وكسر الشين والباقون
بضم الخاء ولا ألف بعدها وفتح الشين مشددة أما القراءة الاولى فهي جارية على اللغة الفصحى
من حيث ان الفعل وما جرى مجراه اذا قدم على الفاعل وحده تقول تخشع أبصارهم ولا تقول
تخشعن أبصارهم وأما القراءة الثانية فجاءت على لغة طي يقولون أكلوني البراغيث قال
الزحخشري ويجوز أن يكون في خشعهم بفتح الخاء وبقع أبصارهم بدلا عنه اه وتقدم نظير ذلك
في قوله تعالى في الانبياء وأسروا النجوى الذين ظلموا وجهه خاشعاً أبصارهم حال من فاعل
(يخرجون) أي الناس (من الاحداث) أي القبور (كانهم جراد) أي في كثيرهم وتراكم
بعضهم على بعض وصغارهم وضعفهم وقو جهم يقال في الجيش الكثير المائج بعضه فوق
بعض جاؤا كالجراد وكالذباب (منتشر) أي منبث مبتثر في كل مكان لكثرتهم لا يدرون
أين يذهبون (مطعين) أي مسرعين مادي أعناقهم (الى الداعي) مصوب رؤسهم اليه
لا ياتقون الى سواه كما يفعل من ينظر في ذل وخضوع وصمت واستكانة هذا حال الكل
وأما الكافر فنبه عليه بقوله تعالى (يقول) أي على سبيل التكرار (الكافرون) أي الذين
كانوا في الدنيا عريقين في ستر الادلة واطهار الاباطيل المضلة (هَذَا) أي الوقت الذي نحن فيه
لما نرى فيه من الاحوال (يوم عسر) أي في غاية العسر والصعوبة والشدة وذلك بحسب
حالهم فيه كما قال تعالى في سورة المدثر يوم عسير على الكافرين * ولما فرغ من حكاية كلام
الكافرين ومن ذكر علامات الساعة أعاد ذكر بعض الانبياء فقال تعالى (كذبت) أي

أوقعت التكذيب العظيم الذي عوا به جميع الرسالات وجميع الرسل (قبلهم) أي أهل مكة
(قوم نوح) مع ما كان بهم من القوة ولهم من الانتشار في جميع الاقطار وأنت فعلهم تعقيرا
لهم وتهويئنا الامرهم في جنب قدرته تعالى (فان قيل) الحاق الضمير الموثق بالفعل قبل ذكر
الفاعل جائز وحسن بالاتفاق والحاق ضمير الجمع بالفعل قبيح عند أكثرهم فلا يجوزون كذبوا
قوم نوح ويجوزون كذبنا الفرق (أجاب) الرازي بأن التأييد انما جاز قبل الجمع
لان الانوثة والذكورة للفاعل أمر لا يتبدل ولم تحصل الانوثة للفاعل بسبب فعله بخلاف الجمع
لان الجمع للفاعل يسبب فعلهم (فكذبوا عبدنا) فوحا عليه السلام على ما له من العظمة بنسبته
البنائع تشریفنا اياه بالرسالة (وقالوا) زيادة على التكذيب (محزون) أي فهذا الذي يصدر
منه من الطوارق أمر من الجن (وازدجر) وهل هذا من مقولهم أي قالوا انه ازدجر أي
ازدجرته الجن وذهبت بلبه قاله مجاهد أو هو من كلام الله تعالى أخبر الله تعالى عنه بأنه انهر
وازدجر بالسب وأنواع الاذى وقالوا التلم تنه يا نوح لتكون من المرجومين قال الرازي
وهذا أصح لان المقصود تقوية قلب النبي صلى الله عليه وسلم بذكر من تقدمه وأيضا يترتب عليه
قوله تعالى (قد عارب) وهذا الترتيب في غاية الحسن لانهم لما زجروه وانزجر هو عن دعائهم
دعاربه الذي ربا به بالاحسان اليه وبرساته (أني) أي بأنني (مغلوب) أي من قومي كلهم
بالقوة والمنعة بالاجحة وأكده ابلاغاً في الشكاية واطهارا للعبودية لان الله تعالى عالم بسر
العبد وجهه فاشرع الدعاء في أصله الا لاطهار التذلل وكذا البلاغ فيه وقال ابن عطية
غلبتني نفسي وجعلتني على الدعاء عليهم قال ابن عادل وهو ضعيف (فاتصغر) أي أوقع نصرتي
عليهم أنت وحدك على أبلغ وجه فاتقم لي منهم (ففتحنا) أي بسبب دعائه فتحنا يليق بعظمتنا
(أبواب السماء) أي كلها في جميع الاقطار وعبر بجمع القلة عن جمع الكثرة والمراد من الفتح
والابواب والسماء حقاً تنفتحها فان للسماء أبواباً تنفتح وتغلق وقيل هذا على سبيل الاستعارة
فان الظاهر ان الماء كان من السحاب فهو كقول القائل في المطر الوابل جرت ميازيب السماء
وفي قوله تعالى ففتحنا بيان بأن الله تعالى انتصر منهم واتقم بماء لا يجند أنزله ومن العجب أنهم
كانوا يطلبون المطر سبباً فأهلكهم الله تعالى بطلوبهم وقرأ ابن عامر بتشديد التاء بعد الفاء
والباقون بالتخفيف وفي الباب في قوله تعالى (بماء) وجهان أظهرهما انه التعمدية وذلك على
المبالغة في أنه جعل الماء كالآلة للفتح به كما تقول ففتح بالفتاح والثاني أنها الحال أي فتحناها
ماتبة بماء (منهم) أي منصب بأبلغ ما يكون من السيلان والصب كثرة وعظما ولذلك
لم يقل بطلانه خارج عن تلك العادة واستمر ذلك أربعين يوماً (وجفنا) أي صدعنا بمالنا من
العظمة وشققنا وبعمنا وأسلنا (الارض عيونا) أي جميع عيون الارض ولكنه عدل عنه
للتحويل بالابهام ثم البيان وافادة أن وجه الارض صار كله عيونا وقرأ ابن كثير وابن ذكوان
وشعبة وحزرة والكسائي بكسر العين والباقرن بضمها (فالتقي الماء) أي العهود وهو ماء السماء
وماء الارض بسبب قعلنا هذا وزاد في قطعها بأداة الاستعلاء فقال تعالى (على أمر) أي حال

(قد قدر) أى قضى أى فى الازل وهو هلا كههم غرقا بما مقدرا لا يزيد قطرة ولا يهلك غير من
أمرناه باهلا كههم (وجلناه) أى نوحا عليه السلام تيمنا لاتصاها (على ذات) أى سفينة
صاحبة (الواح) أى أخشاب فجرت حتى صارت عريضة (ودسر) جمع دسار ككتاب
وهو ما تشد به السفينة من مسمار وحديد وخشب أو من خيوط الليف ونحوها قال البقاعى
ولعله عبر عن السفينة بما شرحها تنبيه على قدرته على ما يريد (تجرى) أى السفينة (بأعيننا)
أى محفوظة من أن تدخل بحر الظلمات أو يأتى عليها غير ذلك من الآفات بحفظنا على مالنا
من العظمة حفظ من ينظر الشئ بأعين كثيرة ولا يغيب عنه أصلا وجوز أن يكون جمع
تكسير لعين الماء وقوله تعالى (جاء) منصوب بفعل قد رأى أغرقوا التصارا (لمن كان كذرا)
وهو نوح عليه الصلاة والسلام أو البارى تعالى (ولقد تركناها) أى أبقينا هذه النعمة العظيمة من
جرى السفينة على هذا الوجه وابقا نوعها دالة على النامن العظمة وقيل تلك السفينة بعينها
بقيت على الجودى حتى أدرك بقاياها أول هذه الأمة (آية) أى علامة عظيمة على النامن العلم
المحيط والقدرة التامة (فهل من ذكر) أى معتبر ومنعظ بها وأصله مذكرة أبديت التاء دالا
مهملة وكذا المجبة وأدغمت فيها وقوله تعالى (فكيف كان) أى وجد وتحقق (عذابي) أى
لمن كفر وكذب رسلى (ونذر) أى انذارى استفهام تقرير فكيف خبر كان وهى للسؤال
عن الحال والمعنى حل المخاطبين على الاقرار بوقوع عذابه تعالى بالمكذبين لنوح موقعه
وقرأ ورش بآيات البلاء بعد الرأ وصلالا وقنا جميع ما فى هذه السورة والباقيون بغيراء وقفنا
وبوصلا قال البقاعى ولما كان هذا المفضل مما أنزل أول القرآن تيسيرا على الأمة تبه على ذلك
بقوله تعالى (ولقد يسرنا) أى على النامن العظمة (القرآن) أى على ماله من الجمع والفرق
والعظمة المناسبة لكونه وصفا لنا (لذكر) أى الاتعاظ والنذرك والتدبر والفهم والتشريف
والحفظ لمن يراعيه قال ابن بركان أنزلناه باللسان العربى ونزلناه للأفهام تنزيلا وضربنا لهم
الامثال وأطلعناهم فى هذه الاعمار ليتذكروا الميثاق المأخوذ عليهم وقال القشيري يسر قراءته
على السنة قوم وعلمه على قلوب قوم وفهمه على قلوب قوم وحفظه على قلوب قوم وكلهم أهل
القرآن وخاصته وليس يحفظ من كتب الله تعالى عن ظهر قلب غيره قاله المحلى (فهل من ذكر)
أى معتبر ومنعظ بها وبقدم أصله * ولما انقضت قصة نوح عليه السلام على هذا الهول العظيم
ذكر قصة عاد لانها أعظم قصة جرت بعد قوم نوح فيها تعرف العرب بقوله تعالى (كذبت عاد)
أى أوقعت التكذيب العام المطلق الذى أوجب تكذيبهم برسولهم هود عليه الصلاة
والسلام فى دعائه لهم الى واندازه عذابي (فكيف) أى فعلى أى الاحوال لاجل
تكذيبهم (كان عذابي) لهم (ونذر) أى وانذارى اياهم بلسان رسولى قبل نزوله أى
وقع موقعه (فان قيل) لم يقل فكذبوا هودا كما قال تعالى فى قصة نوح فكذبوا عبدنا
(أجيب) بأن تكذيب قوم نوح أبلغ لطول مقامه فيهم وكثرة عنادهم وأما لان قصة عاد
ذكرت مختصرة ثم بين عذابهم بقوله تعالى (انا أرسلنا) أى بما النامن العظمة (عليهم ريحا)

وعبر بحرف الاستعلاء اعلاما بالنقمة ثم وصف الريح بقوله تعالى (صرصرا) أى شديدة الصوت من صرصر الباب أو القلم اذا صوت وقيل الشديدة البرد من الصر وهو البرد وقال مكي أصله صر من صر الشيء اذا صوت لكن أبدا من الراء المشددة صادوا وهذا قول النكوفيين وقال الرازي الصرصر الدائمة الهبوب من أصر على الشيء اذا دام وثبت وأكسد شؤمه انبذ زمانه فقال تعالى (في يوم نحس) أى شديد القباحة قيل كان ذلك يوم الاربعاء في آخر الشهر وهو شوال لثمان بقين منه واستمر الى غروب شمس الاربعاء آخره فانه قال تعالى في سورة الحاقة سبع ليال وثمانية أيام حسوما وقال تعالى في حم السجدة في أيام نحسات فالمراد باليوم هنا الوقت والزمان وقوله تعالى (مستقر) أى دائم الشؤم الى وقت نفاذ المرامنه يفيد ما تنفيده الايام لان الاستمرار ينبئ عن امتداد الزمان كما تنبئ عنه الايام والحكاية مذكورة هنا على سبيل الاختصار فذكر الزمان ولم يذكر مقداره على سبيل الإيجاز فاستقر عليهم بخوسه ولم يبق منهم أحد الا أهلكه هذا وصفها في ذاتها وأما وصفها بفعلها فيهم فذكره بقوله تعالى (تنزع) أى تأخذ (الناس) أى الذين هم صور لاثبات لهم بأرواح التقوى من الارض بعضهم من وجهها وبعضهم من حفر حفرها ليمنعوا بها من العذاب فتطيرهم بين السماء والارض كأنهم الهباء المنثور فتقلع رؤسهم من جثثهم وقوله تعالى (كأنهم) أى حين ينزعون فيلقون لأرواح فيهم (أعجاز نخل) أى أصول نخل قطعت رؤسها حال من الناس مقذرة وقوله (منقعر) صفة للنخل باعتبار الخنس وأنت في الحاقة فقال نخل خاوية باعتبار معنى الجماعة قال ابن عادل وانما ذكر هنا وأنت هنا لمرعاة للقواصل في المواضعين وقال الرازي ذكر الله تعالى لفظ النخل في مواضع ثلاثة ووصفها على الوجة الثلاثة فقال تعالى والنخل باسقات وذلك حال عنها وهى كالوصف وقال تعالى نخل خاوية ونخل منقعر فثبت قال منقعر كان المختار ذلك لان المنقعر في حقيقة الامر كالفعول لانه ورد عليه القعر فهو مقعرور والخاوى والباسق فاعل واخلاء المفعول من علامة التأنيث أوتى تقول امرأة قتيل وأما الباسقات فهى فاعلات حقيقة لان البسوق أمر قائم بها وأما الخاوية فهى من باب حسن الوجه لان الخاوى موضعها فكأنه قال نخل خاوية المواضع وهذا غاية الإعجاز حيث أتى بلفظ مناسب للإلفاظ السابقة واللاحقة من حيث اللفظ * (تنبيه) * الإعجاز جع عجز وهو مؤخر الشيء ومنه العجز لانه يؤدى الى تأخير الامور والمنقعر المنقلع من أصله يقال قعرت النخلة قلعت ما من أصلها فانقعرت وقعرت البئر وصلت الى قعرها وقعرت الاناء شربت ما فيه حتى وصلت الى قعره وكرر قوله تعالى (فكيف كان عذابي ونذر) للتحويل وقيل الاول لما حاق بهم في الدنيا، والثاني لما يحيق بهم في الآخرة كما قال أيضا في قصتهم لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخرى وتقدم تفسير قوله تعالى (وله سيمرنا اقرآن للذكر فهل من مدكر) وكرره ايدانا بأن تفسير القرآن مع إعجازه لا يكون الا بعظمة تفوق قوى البشر وتعجز عنهم القدر * ولما انقضت قصة عاد ذكر تعالى قصة ثمود لانها تلي

قصة عاد في الظفاعة فقال تعالى (كذبت عود) أي قوم صالح عليه السلام وقوله تعالى
 (بالنذر) جمع نذير بمعنى منذر أي بالانذارات التي أنذرهم بها نبيهم صالح عليه السلام
 أن لم يؤمنوا به ثم عمل ذلك وعقبه بقوله تعالى (فقالوا) منكرين لما جاءهم من الله تعالى
 غاية الانكار (أبشرا) انكار الرسالة هذا النوع ليكون انكار النبوة نبيهم على أبلغ الوجوه
 وهو منصوب بفعل يقسره تبعه الآتي وقولهم (منا) نعت له أي فلا فضل له علينا فإجابه
 اختصاصه بذلك من بيننا وقولهم (واحد) نعت له أيضا ثم عظموا الانكار بقولهم (تبعه)
 أي يجاهد أنفسنا في خلق ما لوفا وما كان عليه آباؤنا والاستغفاهم بمعنى النفي والمعنى كيف
 تبعه ونحن أشد الناس قوة وكثرة وهو واحد منا ثم استعجوا من هذا الانكار الشديد قولهم
 مؤكدين (انا إذا) أي ان اتبعناه (لننضل) أي ذهب عن الصواب محبطنا (وسعر)
 أي ويران جمع سعير فعكسوا عليه وقالوا ان اتبعناك كذا كما تقول وقيل الشعر الجنون
 يقال ناقة مسعورة قال الشاعر

كان بهم اسعر اذا العيس هزها * ذميل وارخاء من السير متعب

ثم استدلو بأمر آخر ساقوه منساق الانكار فقالوا (أأنتي) أي أنزل (الذكر) أي الوحي
 الذي يكون به الشرف الاعظم بغتة في سرعة (عليه) لأنه لم يكن عندهم في ضمائر هذا الشأن
 ولا توهموا فيه قبل اشارته به شيئا منه بل أناهم به بغتة في غاية الاسراع ودلوا على وجه التعجب
 والانكار بالاختصاص بقولهم (من بيننا) أي وفينا من هو أولى بذلك منه سوا وشرفا وقرأ
 نافع وابن كثير وأبو عمرو بتحقيق الهمزة الاولى المفتوحة وتسهيل الثانية المضمومة كالواو
 وأدخل قالوا وأبو عمرو بينهما ألفا بخلاف عن أبي عمرو ولم يدخل ورش وابن كثير ألفا
 وأما هشام فله تسهيل الثانية وتحقيقها وادخال الالف بينهما مع التحقيق والباقرن بتحقيقهما
 مع عدم الادخال وإذا وقف حزة فله في الثانية التسهيل وابدالها واو والتحقيق ثم أضربوا عن
 ذلك الاستغفاهم لأنه بمعنى النفي بقولهم (بل هو كذاب) أي بليغ في الكذب في قوله
 انه أوحى اليه ما ذكر (أشهر) أي متكبر بطر غلبت عليه البطالة حتى أعجبته نفسه فخبير
 فهو يريد الترفع قال الله تعالى (سيعلمون) أي بوعد لا خلف فيه (غدا) أي في الزمن الآتي
 القريب وهو يوم القيامة لأن كل ما حقق ايمانه قريب عند نزول العذاب في الدنيا ويوم
 القيامة وقرأ ابن عامر وحزرة بعد السين بباء الخطاب وفيه وجهان أحدهما أنه حكايه
 عن قول صالح عليه السلام لقومه والثاني أنه خطاب من الله تعالى على جهة الالتفات والباقرن
 بباء الغيبة جريا على الغيب قبله في قوله تعالى فقالوا أبشرا واختار هذه القراءة مكي لأن علمها
 الاكثر (من الكذاب الاشر) أي وهو هم بأن يعذبوا على تكذيبهم لنبيه صالح صلى الله عليه
 وسلم وروى انهم تعصوا عليه فسالوه أن يخرج لهم من صخرة ناقة جراء عشره فقال تعالى
 (انا) أي بما لنا من العظمة (مرسلو الناقة) أي موبدوها لهم ومخرجوها كما اقترحوا
 من حجر أهلنا لذلك وخصصناه من بين الانبياء دلالة على ارسالنا صالحا عليه السلام مخصصا له

من بين قومه وذلك انهم قالوا الصالح عليه السلام نريد أن نعرف الحق من ابان ندعوا لهتنا
 وتدعو الهلك فن أجابه الله علم أنه الحق فدعوا أو ثابتم فلم يجبههم فقالوا ادع انت فقال
 فما تريدون قالوا نخرج لنا من هذه الصخرة ناقة عشرة ابراء فأجابهم الى ذلك بشرط الايمان
 فوعدهم بذلك وأكذبا كذبوا بعد ما كذبوا في أن الهتهم يجيبهم وصدق هو عليه السلام
 في كل ما قال فأخبره ربه سبحانه أنه يجيبهم الى اخراجها (فقسه لهم) أي امتحانا ليخاطبهم به
 فيعلمهم عن حالهم التي وعدوا بها وتخليهم عنها لأن المعجزة قسنة لأن بها يتميز المصاب من المعذب
 فالمعجزة تصديق وحينئذ يفتقر المصدق من المكذب أو يقال اخراج الناقة من الصخرة
 معجزة ودورانها بينهم وقسمة الماء كان قسمة ولهذا قال تعالى ان امرسوا الناقة ولم يقل يخرجو
 (فارتقبهم) أي كلف نفسك انتظارهم فيما يكون لهم جزاء على أعمالهم انتظار من يحرسهم
 (واصطبر) أي عالج نفسك واجتهد في الصبر عليهم وأصل الطاء في اصطبر تاه فتحوط طاء
 لتكون موافقة للصادق في الاطباق (ونبئهم) أي أخبرهم اخبارا عظيما بأمر عظيم وهو (أن الماء)
 أي الذي يشربونه وهو ماء بئرهم (قسمة بينهم) أي بين قوم صالح عليه السلام والناقة فغلب
 الماعقل عليها والمعنى أنا ذا ابعتها كان لهم يوم لا تشاركهم فيه ولها يوم لا تدع في البئر قطرة
 يأخذها أحد منهم وتوسع البكل بدل الماء لبنا (كل شرب) أي نصيب من الماء (مختصر)
 أي فالناقة تحضر الماء يوم وردتها وتغيب عنهم يوم وردهم قاله مقاتل وقال مجاهد ان
 غود يحضرون الماء يوم غيبها فيشربون ويحضرون اللبن يوم وردها فيحلبون * (تبسه) *
 الحكمة في قسمة الماء اتماما لان الناقة عظيمة الخلق فتقسم منها خيواتهم فكان يوم للناقة
 ويوم لهم واما لقلة الماء فلا يحملهم واما لان الماء كان مقسوما بينهم لكل فريق يوم فيوم ورد
 الناقة على هؤلاء يرجعون على الاخرين وكذلك الاخرون فيكون النقصان على الكل
 ولا يختص الناقة بجميع الماء روى انهم كانوا يكتفون في يوم وردها بلبنها وليس في الآية
 الا القسمة دون كيفية اظهار قوله تعالى كل شرب مختصر يعرضه الوجه الثالث وحضر
 واحتضر بمعنى واحد وقوله تعالى (فنادوا صاحبهم) فيه حذف قبله أي فنادوا على ذلك
 ثم ملوه فعزموا على عقرها فنادوا صاحبهم وهو قدار بن سالف الذي اتدبوه بطرا وأسر القتل
 الناقة وكذبوا وعدهم الايمان وكرامها بالاحسان وكان أشجعهم وقيل كان رئيسهم
 (فتماعطى) أي فاجترأ على تماعطى الامر العظيم غير مكتر به (فمعر) أي فتسبب عن ذلك
 عقرها وقيل فتماعطى الناقة فمعرها وقمعاعطى السيف فقتلها والتماعطى تفاعل الشئ
 بشكف قال محمد بن اسحق كن لها في أصل شجرة على طريقها فاماها فانتظم به عضله ساقها
 ثم شد عليها بالسيف فكشف عرقوبها انفرت ورغت رعاة واحدة ثم فخرها وقال ابن عباس
 كان الذي عقرها أحرأ رزق أشقرا كشف أفعى يقال له قدار بن سالف والعرب تسمى الجزار
 قدارا تشبهها بقدار بن سالف مشؤم آل غود (فكشف كان عذابي) أي كان على حال ووجهة هو
 هل لان يجتهد في الاقبال على تعرفه والسؤال عنه (ونذر) أي انتذري لهم بالعذاب قبل نزوله

أى وقع موقعه وبينه بقوله تعالى (أنا) أى بما لنا من العظمة (أرسلنا) أى أرسلنا العظيمة (عليهم
 صيحة) وحشرناهم بالنسبة إلى عظمة عذابه بقوله تعالى (واحدة) صاحبها عليهم جبريل عليه
 السلام فلم يكن لهم بصيخته هذه التي هي واحدة طاقة كما قال تعالى (فكانوا كهيثم المحتظر)
 وهو الذي يجعل لغنمه حظيرة من يابس الشجر والشوك يحفظهن فيها من الذئاب والسياع
 وما يسقط من ذلك فناداسته هو الهشيم والهشيم المهشوم المكسور ومنه سمي حاشم لهشيمه
 الثريد في الحفان غير أن الهشيم يستعمل كثيرا في الخطب المتكسر اليابس قال المفسرون كانوا
 كالخشب المتكسر الذي يخرج من الحظائر بدليل قوله تعالى خشبنا تذروه الرياح وهو من
 باب إقامة الصفة مقام الموصوف وتشبيههم بالهشيم أما لكونهم يابسين كما روي الذين ماتوا
 من زمان أول انضمام بعضهم إلى بعض فاجتذعوا بعضهم فوق بعض كما يجمع الحطاب الحطاب
 يضعه شيا فوق شيء منتظر احضور من يشتري منه قال ابن عادل ويحتمل أن يكون ذلك لبيان
 كونهم في الجحيم أى كانوا كالحطاب اليابس الذي لو قيد كقوله تعالى انكم وما تعدون
 من دون الله - صبر جهنم وقوله تعالى فكانوا لجهنم حطباً (تنبيهات) * أحدها أنه تعالى ذكر
 فكيف كان عذابي وبذرت في ثلاثة مواضع ذكرها في حكاية نوح عليه السلام بعد بيان العذاب
 وذكرها هنا قبل بيان العذاب وذكرها في حكاية عاد قبل بيانه وبعد بيانه فحث ذكر قبل بيان
 العذاب فليبين كقول العارف حكاية لغير العارف هل تعلم كيف كان أمر فلان وغرضه
 أن يقول أخبرني عنه وحيث ذكرها بعد بيان العذاب ذكرها للتعظيم كقول فلان أى ضرب
 وأما ضرب ويقول ضربته وكيف ضربته أى قويا وفي حكاية عاد ذكرها مرتين للبيان
 والاستفهام ثانياً أنه تعالى ذكر في حكاية نوح عليه السلام الذي للتعظيم وفي حكاية نوح
 ذكر الذي للبيان لأن عذاب قوم نوح كان بأمر عظيم عام وهو الطوفان الذي عم العالم
 ولا كذلك عذاب قوم هود فإنه كان مختصاً بهم ثالثاً أنه تعالى ذكر في هذه السورة خمس قصص
 وجعل القصة المتوسطة مذكورة على أتم وجه لأن حال صالح عليه السلام كان أتم مشابهة
 بحال محمد صلى الله عليه وسلم لأنه أتى بأمر عجيب أَرْضَى وكان أعجب مما جاء به الأنبياء عليهم
 الصلاة والسلام لأن عيسى عليه السلام أحيا الميت لكن الميت كان محلاً للحياة فقامت
 الحياة بأذن الله تعالى في محل كان قابلاً لها وموسى عليه السلام انقلبت عصاه ثعباناً فأثبت الله
 تعالى له في الخشب الحياة بأذنه سبحانه لكن الخشب نبات كان له قوة في النمو فأشبه الحيوان
 في النمو وصالح عليه السلام كان الظاهر في بدنه خروج الناقة من الحجر والحجر جلا ليس محلاً
 للحياة ولا محلاً للنمو وثبتنا صلى الله عليه وسلم أتى بأعجب من الكل وهو المتصرف في الحرم
 السماوي الذي يقول المشرك لا وصول لأحد إلى السماء وأما الارضيات فقالوا انها أجسام
 متحركة المواد تقبل كل واحد منها صورة الأخرى والسمويات لا تقبل ذلك فلما أتى
 بما اعترفوا بأنه لا يقدر على مثله أدى كان أتم وأبلغ من معجزة صالح عليه السلام التي هي أتم
 من معجزة سائر الأنبياء غير محمد صلى الله عليه وسلم (ولقد يسرنا) أى على ما لنا من العظمة

(القرآن) أى الكتاب الجامع لكل خير الفارق بين كل ملبس (لأن ذكر) أى الحفظ والتذكر والتدبر وحصول الشرف في الدارين (فهل من مدكر) أى من ناظر بعين الانصاف والتجرد عن الهوى ليرى كل ما أخبرنا به فيعينه عليه * ولما انقضت قصة ثمود بما تعرفه العرب بالاخبار ورؤية الاسرار فقال تعالى (كذبت قوم لوط) أى وهم في قوة عظيمة على ما يحاولونه وان كانوا في تكذيبهم هذا أضعف من عقول النساء عن التجرد عن الهوى بما دل عليه تأنيث الفعل بالتاء وكذا ما قبلها من القصص (بالتنذر) أى بالامور المندرة لهم على لسان نبيهم لوط عليه السلام ودل على تناهي القباحة في مرتكبيهم بتقديم الاخبار عن عذابهم فقال تعالى مؤكداً نوءد المن استقر على التكذيب (انا) أى بما لنا من العظمة (أرسلنا عليهم حاصباً) أى ريحاً شديدة ترميهم بالحصاب وهي صغار الحجارة الواحدة دون ملء الكف فهلكوا (الآل لوط) وهم من آمن به فكان اذا رأته فكانت رأيت لوطا عليه السلام لما يلوح عليه من أفعاله والمشى على منواله في أقواله وأفعاله (نجيناهم) أى نجية عظيمة (بسحر) أى بأخريليلة من الليالي وهي الليلة التي عذب فيها قومهم وانصرف لانه نكرة لانا لا نعرف تلك الليلة بعيننا ولوقصد به وقت بعينه لمنع الضعف للتعريف والعدل عن آل هذا هو المشهور وزعم صدر الافاضل أنه مبنى على الفتح كما مس مبني على الكسر * (تنبيه) قال الجلال المحلى وهل أرسل الحاصب على آل لوط أولاً قولان وعبر عن الاستثناء على الأول بأنه متصل وعلى الثاني بأنه منقطع طمع وان كان من الجنس تسميها وقوله تعالى (نعمه) اما مفعول له واما مصدر بفعل من لفظها أو من معنى نجيناهم لأن نجيتهم انعام فالتأويل اتماني العامل واما في المصدر وقوله تعالى (من عندنا) متعلق بنعمة أو بمعذرة صفة لها (كذلك) أى مثل هذا الانجاء العظيم الذي جعله جزاء لهم (نجزي من شكر) أى من آمن بالله تعالى واطاعه قال بعض المفسرين وهو وعد الله تعالى محمد صلى الله عليه وسلم بأنه يصونهم عن الهلاك العام وقال الرازي ويمكن أن يقال هو وعد لهؤلاء بالثواب يوم القيامة كما أنجناهم في الدنيا من العذاب اقول تعالى ومن يرد ثواب الآخرة فؤته منها وسنجزي الشاكرين وقال مقاتل من وحده الله تعالى لم يعذبه مع المشركين (ولقد نذرهم) أى رسولنا لوط عليه السلام (بطشتنا) أى أخذتنا المقرونة من الشدة بما لنا من العظمة وهي العذاب الذي نزل بهم وقيل هي عذاب الآخرة لقوله تعالى يوم نبطش البطشة الكبرى (فتماروا) أى تجادلوا وكذبوا (بالتنذر) أى بانذاره فكان سبب الأخذ (واتسدر اودوه عن ضيقه) أى أرادوا أن يخيل بينهم وبين القوم الذين أنقذوا في صورة الاضياف ليخشوا بهم وكانوا ملائكة في صورة شباب مردوا وقد لان المراد الجنس (فطمسنا) أى فمسحوا عن مواردهم ان طمسنا بعظمتنا (أعينهم) أى أعينناها وجعلناها بلاشك كباقي الوجه بأن صفحتها جبريل عليه السلام يجناحه وقال الضحاك البجلي أعماهم الله تعالى فلم يروا الرسل وقالوا القدر أيانهم حين دخلوا البيت فأين ذهبوا فرجعوا فلم يروههم وهذا قول ابن عباس وروى أنهم صارت أعينهم مع وجوههم كالفقحة الواحدة وقال

القشيري ميسج بيناحه على وجوههم فعموا ولم يهتدوا للخروج قال ابن جرير ولعرب
 تقول طمست الريح الاعلام اذا دفنتها بما تنسني عليها فانطلقوا هاربين مسرعين الى الباب
 لا يهتدون اليه ولا يتبعون عليه بل يصادون الجدران خوفا مما هو أعظم من ذلك وهم
 يقولون عند ذلك لوط سحر الناس وما آتتهم عقولهم الى أن يؤمنوا فينجوا أنفسهم قال
 القشيري وكذلك أجرى الله تعالى ستمه في أوليائه بأن يطمس على قلوب أعدائهم حتى يلتبس
 عليهم كيف يؤذون أوليائه ويخلصهم من كيدهم وقوله تعالى (فذوقوا عذابي ونذر) أي
 انذاري وتخويفي خطاب لهم أي قلنا لهم على لسان الملائكة فذوقوا فهو خطاب مع كل مكذب
 أي ان كنتم تكذبون فذوقوا قال القرطبي والمراد من هذا الامر الخير أي فأذقتهم عذابي
 الذي أنذرهم به لوط عليه السلام (فان قيل) النذر كيف تذاق (أجيب) بأن المراد شره وفأذنته
 (فان قيل) اذا كان المراد بقوله تعالى عذابي هو العذاب العاجل وقوله تعالى ونذرهم
 العذاب الآجل فهم ما لم يكونا في زمان واحد فكيف قال تعالى فذوقوا (أجيب) بأن العذاب
 الآجل أوله متصل بآخر العذاب العاجل فهما كالواقع في زمان واحد وهو قوله تعالى أغرقوا
 فأدخلوا ناراً (ولقد صبحهم) أي أتاهم وقت الصباح وقرأ نافع وابن كثير وابن ذكوان وعاصم
 باظهار الدال عند الصاد والباقون بلا اظهار وحقق المعنى بقوله تعالى (بكرة) أي في أول نهار
 العذاب وانصرف بكرة لانه منكرة ولو قصده وقت بعينه امتنع الصرف للتأنيث والتعريف
 (عذاب) أي فقلع بلادهم ورفعها ثم قلبها وحصبها بحجارة النار وخسفها وغمرها بالماء
 المنتن الذي لا يعيش به حيوان (مستقر) أي ثابت عليهم غير زائل ليس بخيال ولا سحر كما قالوا
 عند الطمس فانه أهلكتهم فاقبل بعذاب البرزخ المتصل بعذاب القيامة المتصل بالعذاب
 الاكبر في الطبقة التي تناسب أعمالهم من عذاب النار فقال لهم لسان الحال ان لم ينطق
 لسان المقال (فذوقوا) أي بسبب أفعالكم الخبيثة (عذابي ونذر) * (تنبيه) * قد علم
 من تكرر هذا أن سبب العذاب التكذيب بالانذار لا يرسول كان وكان استئناف كل
 قصة منها على انهم أهل على حديثهم لان تعذب بها (ولقد يسرنا) أي على ما لنا من العظمة
 (القرآن) أي الجامع الفارق بين الحق والباطل ولو شئنا لاعيناهم بما لنا من القدرة الى
 حدة تعجز القوى عن فهمه كما أعليناه الى رتبة وقفت القوى عن معارضته (لذلك رفهل
 من مذكر) أي فيخلص نفسه من مثل هذا الذي أوقع فيه هؤلاء أنفسهم ظنا منهم ان الامر
 لا يصل الى ما وصل اليه جهالهم وعدم اكتراب بالعواقب * ولما انقضت قصة لوط عليه
 السلام أتبعها قصة موسى عليه السلام لانها بعد قوم لوط بقوله تعالى (ولقد جاء آل فرعون
 أي فرعون ملك القبط بعصر وقومه الذين اذا رآهم أحد كان كأنه فيهم لشدة قريتهم منه
 وتخلقههم باخلاقه) (البنذر) أي الانذار على لسان موسى وهرون عليهم السلام فلم يؤمنوا بل
 (كذبوا) أي تكذبا عظيماسه تترتين (بآياتنا) التي أتاهم بها موسى عليه السلام (كلها)
 أي التسع التي أوتيتها وهي العصا واليد والسنين والطمس والطوفان والجراد والقمل

والضفادع والدّم (فان قيل) كيف قال ولقد جاء ولم يقل في غيره جاء (أجنب) بأن موسى عليه السلام لما جاء كان غائباً عن القوم فقدم عليهم كما قال تعالى فلما جاء آل لوط المرسلون وقال تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم لانه جاءهم من عند الله من السموات بعد المعراج كما جاء موسى قومه من الطور والتذرالرسول ولقد جاءهم يوسف وبنوه الى أن جاءهم موسى عليه السلام وقيل التذرالانذارات * (تنبيه) * ههنا همزتان مقتوحتان من كلمتين فقرأ أبو عمرو وقالون بأسقاط الهمزة الاولى مع المد والقصر وسهل ورش وقبل الهمزة الثانية وله ما أيضاً بدها ألفا وورش على أصله في الهمزة المسهلة ومتبع بعد الجيم حمزة وابن ذكوان والباقون بالفخ وإذا وقف حمزة وهشام أبداً الهمزة ألقامع المد والتوسط والقصر (فأخذناهم) أي بما لنا من العظمة بنحو ما أخذنا به قوم نوح من الاغراق (أخذ عزيز) أي لا يغلبه شيء وهو يغلب كل شيء (مقتدر) أي لا يعجز بالاخلال لانه لا يخاف القوت ولا يخشى معقباً لحكمه بالغ القدرة الى حد لا يدرك الوصف كنهه ثم خوف كفار مكة فقال تعالى (أكفاركم) أي الراخون منكم يا أهل مكة في الكفر الشايعون عليه أيها المكذبون لهذا النبي الكريم الساترون لشموس دينه (خير) في الدنيا بالقوة والكثرة أوفى الدين عند الله وعند الناس (من أولئكم) أي المذكورين من قوم نوح الى فرعون الذين وعظناكم بهم في هذه السورة وهذا استفهام بمعنى الانكار أي ليسوا بأقوى منهم فعنه أي أي ليس كفاركم خيرامن كفار من تقدم من الامم الذين أهلكوا بكفرهم * (تنبيه) * قوله تعالى خير مع أنه لا خير فيهم اما أن يكون كقول حسان * فشر كالحير كالفداء أو هو مجرب زعمهم واعتمادهم والمراد بالحير شدة القوة أو لأن كل ممكن فلا بد وأن يكون له صفات محجودة فالمراد تلك الصفات (أم لئكم) أي يا أهل مكة (براءة في الزبر) أي أنزل اليكم من الكتب السماوية أن من كفر منكم فهو في أمان من عذاب الله تعالى والاستفهام هنا أيضاً بمعنى النبي أي ليس الامر كذلك (أم يقولون) أي كفار قريش (نحن جميع) أي جمع واحد ما بالغ في اجتماعه فهو في الغاية من الضم فلا افتراق له (منتصر) أي على كل من يعاديه لانهم على قلب رجل واحد ولم يقل منتصرون لموافقة رؤس الاي ولم قال أبو جهل يوم بدر انما جميع منتصر نزل (سيهزم الجمع) بأيسر أمر يوعده لا خلف فيه وقال مقاتل ضرب أبو جهل يوم بدر فرسه فتقدم من الصف وقال نحن نتصر اليوم على محمد وأصحابه فأنزل الله تعالى أم يقولون نحن جميع منتصر وقال سعيد بن المسيب سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لما نزلت سيهزم الجمع ويولون الدبر كنت لأدري أي جمع يهزم فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يثب في درعه ويقول سيهزم الجمع (ويولون الدبر) فهزم مزاييدرو نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقل الادبار لموافقة رؤس الاي (بل الساعة) أي القيامة التي يكون فيها الجمع الاكبر والهلوالاعظم (موعدهم) أي للعذاب (والساعة أدهى) أي من كل ما يفرض وقوعه في الدنيا وأدهى أفعل تنضيل من الداهية وهي أمر هائل لا يهتدى لدوائه فهي أمر عظيم يقال دهاه أمر صك كذا أي أصابه دها ودهيا

وقال ابن السكيت دهته داهية دهواء ودهياء وهي توكيدها وقرأ حزة والكسائي بالامالة
محضة وقرأ ورش بالفتح وبين اللظنين والباقون بالفتح (وأمر) لأن عذابيها الكفار غير
مفارق ولا مزيل فهي أعظم نائلة وأشد مرارة من الأسر والقتل يوم بدر وفي رواية أن
النبي صلى الله عليه وسلم كان يثب في درعه ويقول اللهم ان قريشا جادتك وتجاهر رسولك
تفخرها بجيلائها فأخضعهم الغداة يقال أخنى عليه الدهر أي غلبه وأهلكه ومنه قول النافعة

أخنى عليه الذي أخنى علي لسد * وأخنى عليه أفسدت ثم قال سبيهم الجمع ويولون
الدبر قال عمر فعرفت تأويلها وهذا من معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه أخبر عن
غيب فكان كما أخبر قال ابن عباس كان بين نزول هذه الآية وبين بدر سبع سنين فالآية على
هذا مكية وفي البخاري عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت لقد أنزل على محمد صلى
الله عليه وسلم مكة وإني لحارية ألعب بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر وعن ابن
عباس انه صلى الله عليه وسلم قال وهو في قبة له يوم بدر أنشدك عهدك ووعدك اللهم ان
شئت لم تعبد بعد اليوم أبدا فأخذ أبو بكر بيده وقال حسبك يا رسول الله فقد ألححت على ربك
وهو في الدرع فخرج وهو يقول سبيهم الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم يريد يوم
القيامة والساعة أدهى وأمر محلقهم يوم بدر (ان المجرمين) أي المشركين القاطعين لما
أمر الله تعالى ان يوصل (في ضلال) أي هلاك بالقتل في الدنيا (وسعر) أي نار مسعرة أي
مهيج في الآخرة وقيل في ضلال أي عى عن القصد بسكذبيهم بالبعث وسعر قال الضحاك
أي نار تسعر عليهم وقيل ضلال ذهاب عن طريق الجنة في الآخرة وسعر جمع سعير نار مسعرة
وقال الحسين بن الفضل ان المجرمين في ضلال في الدنيا ونار في الآخرة وقال قتادة في عناء
وعذاب ثم بين عذابهم في الآخرة بقوله تعالى (يوم يسحبون) أي في القيامة اهانة لهم من أي
ساحب كان (في النار) أي الكاملة النارية (على وجوههم) لانهم في غاية الذل والهوان
جزاء بما كانوا يذنون أولياء الله تعالى مقولاهم من أي قائل اتفق (ذوقوا) لانه لا منعة لهم
ولا حيلة يوجه (مس سقر) أي حر النار وألمها فان مسها سبب التألم بها وسقر علم لجهنم مشتقة
من سقرته الشمس أو النار أي لوجهه ويقال مصقرته بالصا وهو مبدله من السين قال ذو الرمة
إذا ذابت الشمس اتقى صقراتها * بافتان مر بوع الصرعة معبل

وعبد مصرفها للتعريف والتأنيث وقال بعض المفسرين ان هذه الآية تنزلت في القدرة
لما روى انه صلى الله عليه وسلم قال مجوس هذه الامة القدريه وهم المجرمون الذين سماهم
الله تعالى في قوله سبحانه ان المجرمين في ضلال وسعر وفي مسلم عن أبي هريرة قال جاء مشركو
قريش يخاضعون رسول الله صلى الله عليه وسلم في القدر فنزلت هذه الآية إلى آخرها قال
الرازي والقدري هو الذي ينكر القدر وينسب الحوادث لاتصالات الكواكب لما مر ان
قريشا خاصوا والنبي صلى الله عليه وسلم في القدر ومذهبه ان الله تعالى مكن العبد من الطاعة
والمعصية وهو قادر على خلق ذلك في العبد وقادر على أن يطعم الفقير ولهذا قالوا انظم من لو

يشاء الله أطعمه منكرين لقدرته تعالى على الاطعام وقوله صلى الله عليه وسلم القدرية
 مجوس هذه الامة ان أريد بالامة المرسل اليهم مطلقا كالقوم فالقدريه في زمانه صلى الله عليه
 وسلم هم المشركون المنكرون قدرته على الحوادث فلا يدخل فيهم المعتزلة وان كان المراد بالامة
 من آمن به صلى الله عليه وسلم فعنا ان نسبة القدرية اليهم كنسبة المجوس الى الامة المتقدمة
 فان المجوس أضعف الكفرة المتقدمين شبهة وأشد مخالفة للعقل وكذا القدرية في هذه الامة
 وكونهم كذلك لا يقتضى الجزم بكونهم في النار فالحق ان القدرى هو الذى يشكر قدرة الله
 تعالى وقدرته عليهم بالكاتب والسنة أمان الكتاب فقوله تعالى (آنا) أى بما لنا من العظمة
 (كل شئ) من الاشياء المخلوقة صغيرها وكبيرها (خلقناه بقدر) أى قضاء وحكم وقياس
 مضبوط وقسمة محدودة وقوة بالغة وتدير بحكم في وقت معلوم ومكان محدد ومكتوب ذلك
 في اللوح قبل وقوعه وأمان السنة فاروى عبد الله بن عمرو بن العاص انه سمع رسول الله
 صلى الله عليه وسلم يقول كتب الله مقادير الخلائق كلها قبل أن يخلق السموات والارض
 بخمسين ألف عام قال وعرشه على الماء وعن طاوس اليماني قال أدركت ما شاء الله تعالى من
 أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون كل شئ بقدر الله تعالى قال وسمعت من عبد الله
 ابن عمرو يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شئ يقدر حتى العجز والكيس أو
 الكيس والعجز وعن علي بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم لا يؤمن بالله عبد حتى يؤمن بأربع يشهد أن لا اله الا الله واني رسول الله بعثني بالحق
 ويؤمن بالموت وبالبعث بعد الموت ويؤمن بالقدر وزاد عبد الله خيره وشره * (تنبيه) * كل
 شئ منصوب بفعل مضمير يفسره الظاهر ولما بين سبحانه وتعالى ان كل شئ بفعله بين بسر ذلك
 وسهولته عليه بقوله تعالى (وما أمرنا) في كل شئ أردناه وان عظم أمره (الواحدة) أى فعله
 بسيرة لا معالجة فيها وليس هنالك احداث قول لانه قديم بل تعلق القدرة بالمقدور على وفق
 الارادة الازلية وقيل الاكلمة واحدة وهى قوله تعالى كن كما قال تعالى اذا أردناه أن نقول له
 كن فيكون ثم مثل لنا ذلك بأسرع ما نعتقه واخفه بقوله تعالى (كلمح بالبصر) واللمح النظر
 بالعجلة وفي الصحاح لمح وألمحه اذا أبصره بنظر خفيف أى فكما ان لمح أحدكم بصره لا كلفة
 عليه فيه فكذلك الافعال كلها عندنا بل أيسر وعن ابن عباس معنا وما أمرنا بمجيء الساعة
 في السرعة الا كطرف البصر (ولقد أهلكنا) أى بما لنا من العظمة (أشياءكم) أى اشباهكم
 ونظراءكم في الكفر من الامم السابقة والقدرة عليكم كالقدرة عليهم فاحذروا أن يصيبكم
 ما أصابهم ولذلك سبب عنه قوله تعالى (فهل من مدكر) أى بما وقع لهم انه مثل من مضى بل
 أضعف وان قدرته تعالى عليه كقدرته تعالى عليهم ليرجع عن غيه خوفا من سطوته والاستفهام
 بمعنى الامر أى اذكروا واتعظوا (وكل شئ فعلاه) قال الجلال المحلى أى العباد وقال
 أكثر المفسرين أى الاشياء لانه هو المتقدم ذكره (في الزبر) أى مكتوب في دواوين الحفظ
 وقيل في اللوح المحفوظ وقيل في أم الكتاب فلتحذروا من أفعالهم فانهم غير منسية هذا ما أطبق

عليه القراء بما أدى الى هذا المعنى من رفع كل لانه لو نصب لا وهم تعلق الجار بالفعل فيوهم
 انهم فعلوا في الزبر كل شيء من الاشياء وهو فاسد (وكل صغير وكبير) أى من الخلق وأعمالهم
 وأجالهم (مستطرن) أى مكتوب في اللوح المحفوظ ولما وصف الكفار وصف المؤمنين مؤكدا
 رداعلى المنكر فقال عز من قائل (إن المتقين) أى العزيقين فى وصف الخوف من الله الذى
 وفقهم لطاعته (فى جنات) أى خلال بساين ذات أشجار تستر داخلها وقوله تعالى
 (ونهر) أریده الجنس لان فيها أنهار من ماء وعسل ولبن وخرأفرد لموافق رؤس الآى
 ولشدة اتصال بعضها ببعض فكأنها شئ واحد والمعنى انهم يشربون من أنهارها وقيل هو
 السعة والصفاء من النهار وكما جعل للمتقين فى تلك الدار ذلك جعل لهم فى هذه الدار أيضا جنات
 العلوم وأنهار المعارف ولهذا كانوا (فى مقعد صدق) أى حق لا لغوفيه ولا تأثيم ولم يقل
 فى مجلس صدق لان القعود جلوس فيه مكث ومنه قواعد البيت والقواعد من النساء ولذا قال
 (عند ملك) أى ملك تام الملك (مقعد) أى قادر لا يحجزه شئ وهو الله تعالى وعند اشارة
 للزينة والكرامة والمنزلة من فضله تعالى جعلنا الله تعالى وبحييفنا منهم وما رواه البضاوى تبعا
 للزخشرى من أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة القبر فى كل غيب أى يقرأ يوما
 ويترك يوما بعنه الله تعالى يوم القيامة ووجهه مثل القمر ليلة البدر حديث موضوع

﴿سورة الرحمن وتسمى مودس القرآن﴾

لانها تجمع النعم والجمال والبهجة فى نوعها والكمال مكية كلها فى قول الحسن وعروة وابن الزبير
 وعطاء وجابر وقال ابن عباس الآية منها وهى قوله تعالى يسأله من فى السموات والارض الآية
 وقال ابن مسعود ومقاتل هى مدينة كلها قال ابن عادل والاول أصح لما روى عروة بن الزبير
 قال أول من جهر بالقرآن بمكة بعد النبي صلى الله عليه وسلم ابن مسعود وذلك ان الصحابة قالوا
 ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر به قطغن رجل سمعهم موه فقال ابن مسعود أنا فقلوا نخشى
 عليك وانما يريد رجلاه عشيرة ينعونه فأبى ثم قام عند المقام فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم
 الرحمن علم القرآن ثم تبادى بهارافعا صوته وقرئ فى أديته فقاموا وقالوا ما يقول ابن أم عبد
 قالوا هو يقول الذى يزعم محمد انه أنزل عليه ثم ضربوه حتى أثروا فى وجهه وصح ان النبي صلى
 الله عليه وسلم قام بصلى الصبح بخلة فقرأ بسورة الرحمن ومن النقر من الجن فآمنوا به وهى
 سبع وعشرون آية وثلاثمائة واحد وخمسون كلمة وألف وستمائة وستة وثلاثون حرفا

(بسم الله) الذى ظهرت احاطة كماله بما ظهر من عجائب مخلوقاته (الرحمن) الذى ظهر عوم
 رحمة بما بهر من بدائع مصنوعات (الرحيم) الذى ظهر اختصاصه لاهل طاعته بما تحققوا من
 اللذات المفيدة للعباد بلزوم عباداته ولما كانت هذه السورة مقصورة على تعداد النعم الدينية
 والاخرى يفسد رها بقوله تعالى (الرحمن علم) أى من شاء (القرآن) وقدم من نعمه الدينية
 ما هو أعلى مراتبها وأقصى مراتبها وهو انعامه تعالى بالقرآن العظيم وتنزيله وتعليمه لانه أعظم

وحى الله تعالى رتبة وأعلام منزلة وأحسنه في أبواب الدين أثرًا وهو سنام الكتب السماوية
ومصدقها والعيار عليها * (تنبيه) * أقول هذه السورة مناسبة لآخر ما قبلها لأن آخر تلك
ملك مقدر وأقول هذه رجن قال سعيد بن جبيرة عامر والشعبي الرجن فاتحة ثلاث سور وإذا
جمعن كن اسم من اسم الله تعالى الرحمن فيكون مجموع هذه الرجن والله تبارك وتعالى
رجتان رجة سابقة بها خلق الخلق ورجة لاحقة بها أعطاهم الرزق والمنافع فهو رجن باعتبار
السابقة رحيم باعتبار اللاحقة ولما اختص بالإيجاد لم يقل لغيره رجن ولما خلق بعض
خلق الصالحين بعض أخلاقه بحسب الطاقة البشرية فأطعم ونفع جاز أن يقال له رحيم وفي
أعراب الرجن ثلاثة أوجه أحدها أنه خبر مبتدأ مضمر أي الله الرجن الثاني أنه مبتدأ وخبره
مضمر أي الرجن ربنًا الثالث أنه مبتدأ خبره علم القرآن (فان قيل) كيف يجمع بين هذه الآية
وبين قوله تعالى وما يعلم تأويله إلا الله (أجيب) بأننا قلنا بعطف الراسخين على الله فهو ظاهر
وان قلنا بالوقوف على الله ويبدأ بقوله تعالى والراسخون فلان من علم كتابًا عظيمًا فيه مواضع
مشكلة قليلة وتأملها بقدر الامكان فانه يقال فلان يعلم الكتاب القلاني وان كان لم يعلم مراد
صاحب الكتاب يبين في تلك المواضع القليلة وكذا القول في تعليم القرآن أو يقال المراد
لا يعلمه من تلقا نفسه بخلاف الكتب التي تستخرج بقوة الذكاء والفكر واختلاف في سبب
نزول هذه الآية فقال أكثر المفسرين نزلت حين قالوا وما الرجن وقيل نزلت جوابًا لاهل مكة
حين قالوا انما يعلمه بشر وهو رجن اليمامة يعنون مسيلة الكذاب فانزل الله تعالى الرجن
علم القرآن أي سم له ليدكر ويقرأ كما قال تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر ولما كان كانه قيل
كيف يعلمه وهو صفة من صفاته ولان علمه قال تعالى مستأنفًا ومعللاً (خلق الانسان) أي
الجنس بأن قدره وأوجده على هذا الشكل المعروف والتركيب الموصوف منفصلاً عن جميع
الجمادات وأصله منها ثم عن سائر الناميات ثم عن غيره من الحيوانات وخلق له دليل على خلقه
لكل شيء موجوداً ناكل شيء خالقها بقدر وقيل علم القرآن جعله علامة وآية (علمه البيان)
أي القوة الناطقة وهي الإدراك للأمور الكمية والجزئية والحكم على الحاضر والغائب
بقياسه على الحاضر وغير ذلك مما أودعه له سبحانه مع تعبيره عما أدركه مما هو غائب في ضميره
وافهامه لغيره تارة بالقول وتارة بالفعل نطقاً وكتابة وإشارة وغيره فصار بذلك ذا قدرة في نفسه
والتكميل لغيره فهذا تعليم البيان الذي يمكن من تعليم القرآن وقال ابن عباس وقادة
والحسن يعني آدم عليه السلام علم أبهما كل شيء وقيل علمه اللغات كلها وكان آدم يتكلم
بسبعين ألف لغة أفضلها العربية وعن ابن عباس أيضاً وابن كيسان المراد بالانسان
ههنا محمد صلى الله عليه وسلم والمراد من البيان الحلال والحرام والهدى من الضلال وقيل
ما كان وما يكون لانه بين الأولين والآخرين وعن يوم الدين وقال الضحاك البيان الخير
والشر وقال الربيع بن أنس هو ما يتبعه وما يضتره وقال السدي علم كل قوم لسانهم
الذي يتكلمون به وقيل بيان الكتابة والخط بالقلم بظهيره قوله تعالى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم

وقال سعيد بن جبيرة قالوا انما يعلمه بشر

(فان قيل) لم تقدم تعليم القرآن للانسان على خلقه وهو متأخر عنه في الوجود (أجيب) بأن
التعليم هو السبب في ايجاده وخلقته (فان قيل) كيف صرح بذكر المفعولين في علمه البيان
ولم يصرح بهم في علم القرآن (أجيب) بأن في ذلك اشارة الى ان النعمة في التعميم لافي تعليم
شخص دون شخص وبأن المراد من قوله تعالى علمه البيان تعديد النعم على الانسان واستدعاء
الشكر منه ولم يذكر الملائكة لان المقصود ذكر ما يرجع الى الانسان وقيل تقديره علم جبريل
القرآن وقيل علم محمد صلى الله عليه وسلم وقيل علم الانسان وهذا أولى لعدم * (تنبيه) * هذه
الجل من قوله تعالى علم القرآن الى هنا حتى بهم من غير عاطف لانها سبقت لتعديد نعمة كقولك
فلان أحسن الى فلان أكرمه أشاد ذكره رفع قدره فلشدة الوصل ترك العاطف وهي أخبار
مترادفة للترجى ولما ذكر تعالى خلق الانسان وانعامه عليه بتعليمه البيان ذكر نعمتين عظيمتين
بقوله تعالى (الشمس) وهي آية النهار (والقمر) وهو آية الليل (بحسبان) فانهم ماعلى قانون
واحد وحساب لا يتغيران وبذلك تم منفعتهما للزراعات وغيرها ولولا الشمس والقمر لفات
كثير من المنافع الظاهرة بخلاف غيرهما من الكواكب فان نعمها لا تظهر لكل أحد مثل
ظهور نعمتهما وانهم بحسبان لا يتغير أبدا ولو كان سيرهما غير معلوم للخلق لما انتفعوا
بالزراعات في أوقاتها ومعرفة فصول السنة والمعنى يجريان بحسبان معلوم فأضرب الخبر قال
ابن عباس وقادة وأبومالك يجريان بحسبان في منازل لا يعدوانها ولا يجيدان عنها وقال
ابوزيد وابن كيسان بهما تحسب الاوقات والاعمار ولولا الليل والنهار والشمس والقمر لم
يدروا أحد كيف يحسب شأن كان الدهر كله ليلا أو نهارا وقال السدي بحسبان تقدير آجالهما
أي يجريان بأجل كآجال الناس فاذا جاء أجلهما هلكا نظيره كل يجري الى أجل مسمى
(والنجم) أي النبات الذي ينجم أي يطلع من الارض ولا ساق له كالنبق (والشجر) أي
الذي له ساق كشجر الرمان وتقدم الجواب عن قوله تعالى وأبنتنا عليه شجرة من يقطين
في سورة الصافات (يسجدان) أي ينقادان لله تعالى فيما يريد طبعاً انقياد الساجدين
المكلفين طوعاً وقال الضحاك سجدوهما سجدوا ظلألهما وقال القراء سجدوهما انهما
يستقبلان اذا طلعت الشمس ثم عيلا ن معها حتى ينكسر النقي وقال الزجاج سجدوهما دوران
الظل معهما كما قال تعالى يتفياً ظلأله وقال الحسن ومجاهد النجم نجم السماء وسجوده
في قول مجاهد دوران ظله وقيل سجود النجم أقوله وسجد الشجر امكان الاجتناء لثمارها
حكاها الماوردي وقال الثعالب أصل السجود في اللغة الاستسلام والانقياد لله عز وجل فهو
من الموات كلها استسلامها لامر الله عز وجل وانقيادها له ومن الحيوان كذلك (فان قيل)
كيف اتصلت هاتان الجملتان بالرحمن (أجيب) بأنه استغنى فيهما عن الوصل اللفظي بالوصل
المعنوي لما علم ان الحسبان بحسبانه والسجود له لاغيره كأنه قيل الشمس والقمر بحسبانه
والنجم والشجر يسجدان له (فان قيل) أي تناسب بين هاتين الجملتين حتى وسط بينهما العاطف
(أجيب) بأن الشمس والقمر سماويان والنجم والشجر أرضيان فبين القسيلين تناسب من

حيث التقابل فإن السماء والارض لاتزالان تذكران قرينتين وان جرى الشمس والقمر
 بحسبان من جنس الانقياد لامر الله تعالى فهو مناسب لسجود النجم والشجر (والسما) أى
 أى ورفع السماء ثم فسر ناصبها فيكون كالمذكور مرتين إشارة الى عظيم تدبيره لشدة ما فيها من
 الحكم فقال تعالى (رفعها) أى حسا قال البقاعى بعدما كانت ملتصقة بالارض ففتتها
 وأعلاها عنها وقال الزنجشري وتبعه البيضاوى خلقها من فوعة قال البيضاوى محلورة
 وقال الزنجشري حيث جعلها منشأ أحكامه ومصدر قضايه ومتنزل أو امره ونواهيته ومسكن
 ملائكته الذين يهبطون بالوحي على أنبيائه ونبيه بذلك على كبرياء شأنه وملكه وسلطانه (ووضع
 الميزان) أى العدل الذى يدبر به الخافقين من الموازنة وهى المعادلة لتتظم أمورنا كما قال صلى
 الله عليه وسلم بالعدل قامت السموات والارض وقال السدى وضع فى الارض العدل الذى
 أمر به يقال وضع الله الشريعة ووضع فلان كذا أى ألقه وقيل على هذا الميزان القرآن
 لأن فيه بيان ما يحتاج اليه وهو قول الحسين بن الفضل وقال الحسن وقادة والضحاك
 هو الميزان الذى يوزن به لينصف به الناس بعضهم من بعض وهو خبر بمعنى الامر بالعدل يدل
 عليه قوله تعالى وأقيموا الوزن بالقسط والقسط هو العدل وقيل هو الحكم وقيل المراد وضع
 الميزان فى الآخرة لوزن الاعمال (ان) أى لاجل ان (لاتطغوا) أى تجاوزوا الحدود
 (فى الميزان) ففى قال الميزان العدل قال طغيانه الجور ومن قال انه الميزان الذى يوزن به قال
 طغيانه الجحش قال ابن عباس لانتخونوا من وزنتم له وعنه انه قال يامعشر الموالى وليتم أمرين
 بهما هلك الناس الميزان والميزان ومن قال انه الحكم قال طغيانه التحريف وقيل فيه
 اضممار أى وضع الميزان وأمركم أن لاتطغوا فيه (فان قيل) اذا كان المراد به ما يوزن به فأى
 نعمة عظيمة فيه حتى يعد فى الآلام (أجيب) بأن النفوس تأبى الغبن ولا يرضى أحد أن يغلبه
 غيره ولو فى الشئ اليسير ويرى ان ذلك اسمائه به فلا يترك خصمه يغلبه فوضع الله تعالى معيارا
 بين به التساوى ولا تقع به البغضاء بين الناس وهو الميزان وهو كل ما يوزن به الاشياء بين الناس
 ويعرف مقاديرها به من ميزان ومقياس فهو نعمة كاملة ولا ينظر الى عدم ظهور نعمته
 وكثرته وسهولة الوصول اليه كالهواء والماء الذين لا يتبين فضلهم الا عند فقدهما (وأقيموا
 الوزن بالقسط) أى افعلوهم مستقيما بالعدل وقال أبو الدرداء أقيموا لسان الميزان بالعدل
 وقال ابن عينية الاقامة باليد والقسط بالقلب وقال مجاهد القسط العدل بالرومية (ولا تخسروا
 الميزان) أى لاتقصوا الموزون أمر بالتسوية ونهى عن الطغيان الذى هو اعتداء وزيادة
 وعن الخسران الذى هو تطفيف ونقصان وكثر لفظ الميزان تشديدا للتوصية وتقوية للامر
 باستعماله والحث عليه وقيل كثره لجمال رؤس الآسى وقيل كثره ثلاث مرات الاوّل بمعنى
 الآلة وهو قوله تعالى ووضع الميزان والثانى بمعنى المصدر أى لاتطغوا فى الوزن والثالث
 للمفعول أى لاتخسروا الموزون قال ابن عادل وبين القرآن والميزان مناسبة فإن القرآن
 فيه العلم الذى لا يوحى فى غيره من الكتب والميزان به يقام العدل الذى لا يقام بغيره من

الآلات ولما ذكر انعامه الدال على اقتداره برفع السماء ذكر على ذلك الوجه مقابلهما بعد
 ان وسط بينهما ما قامتا به من العدل تنبيه على شدة العناية والأهتمام به فقال تعالى (والارض)
 أى ووضع الارض ثم فسر ناصبها كما فعل في قوله تعالى والسماء رفعها فقال تعالى (وضعها) أى
 دحاها وبسطها على الماء (الانام) أى كل من فيه قابلية النوم أو قابلية الزنيم وهو
 الصوت وقيل هو الحيوان وقيل بنو آدم خاصة وهو مروى عن ابن عباس ونقل النورى
 في التهذيب عن الزيدى الانام الخلق قال ويجوز الانيم وقال الواحدى قال البث الانام
 ما على ظهر الارض من جميع الخلق وقال الحسن هم الانس والجن (فيها) أى الارض
 (فاكهة) أى ما يتفكه به الانسان من ألوان الثمار ونكرها لان الانتفاع بها دون الانتفاع
 بما ذكر بعدها فهو من باب الترقى من الأدنى الى الأعلى اذ التكبير فيه التتبع والتكثير نسبة
 عليه بتعريف فرع منها ونومه لان فيه مع التفكه الثغوت وهو أكثر مما نازل العرب المقصودين
 بهذا المذكور بالصدق الاول فقال تعالى (والنخل) ودل على تمام القدرة بقوله تعالى (ذات)
 أى صاحبة (الانام) أى أوعية ثمرها وهو الطلع قبل أن ينفتح بالثمر والكام جمع كم بالكسر
 قال الجوهري والكم بالكسر والكامنة وعاء الطلع وغطاء النور والجمع كام وأكمة والكام
 والكامنة ما يكم به فم البعير لئلا يعرض وكم القمص بالضم والجمع الكام وكمة والكامنة
 القلتسوة المدورة لانها تغطي الرأس (والحب) أى جميع الحبوب التى يقات بها كالحنطة
 والشعير (ذو العصف) قال ابن عباس تبن الزرع وورقه الذى يعصفه الريح وقال مجاهد
 ورق الشجر والزرع وقال سعيد بن جبيرة بقل الزرع الذى أول ما ينبت منه وهو قول القراء
 والعرب تقول خرجنا نصف الزرع اذا قطعوا منه قبل أن يدرك وقيل العصف حطام النبات
 (والريحان) وهو فى الاصل مصدر ثم أطلق على الرزق قال ابن عباس ومجاهد والضحاك
 هو الرزق بلغة جبر كقولهم سبحان الله وريحانه نصبوهما على المصدر يريدون تنزيهه
 واستترافا وعن ابن عباس أيضا والضحاك وقادة انه الريحان الذى يشم وهو قول ابن زيد
 وقال سعيد بن جبيرة هو ما قام على ساق وقال القراء العصف الماء كقول من الزرع والريحان
 ما لا يؤكل وقال الكلبي العصف الورق الذى يؤكل والريحان هو الحب الماء كقول وقيل
 كل بقله طيبة الريح سميت ريحان لان الانسان يراح لها رائحة طيبة أى يشم وفى الصحاح
 والريحان نبت معروف والريحان الرزق تقول خرجت استنقى ريحان الله وفى الحديث الولد
 من ريحان الله وقرأ ابن عامر بنصب الحب وذو الريحان بخلق مضمر أى وخلق الحب
 وذو العصف والريحان وقرأ جزء والكسائى برفع الحب وذو عطفاء على فاكهة وجرة
 الريحان عطفاء على العصف والباقون برفع الثلاثة عطفاء على فاكهة أى وفيها أيضا هذه
 الاشياء ولما دخل فى قوله تعالى والارض وضعها لانام الجن والانس خاطبهم بما يقوله
 تعالى (فبأى آلاء) أى نعم (ربكم) أى المحسن اليكم المديبر لكم ولا سبيل لكم
 غيره (تكذبان) أبلك النعم أم بغيرها وكرر هذه الآية فى هذه السورة فى احد وثلاثين

قوله الزنيم وهو الصوت لم يذكره القاموس اه

موضعا تقريرا للنعمة وتأكدا في التذكير وفصل بين كل نعمتين بما يفهمهم عليهم الفقههم النعم
ويقرهم بها كما تقول لمن يتابع عليه احسانك وهو يكفره وينكره ألم تكن فقيرا فأغنيته
أفمنكر هذا ألم تكن خائلا فعزتك أفمنكر هذا ألم تكن راجلا فحملتك أفمنكر هذا
والتكريم حسن في مثل هذا قال القائل * كم نعمة كانت لكم كم لكم كم * وقال آخر

لا تقملي مسلما ان كنت مسلمة * اياك لمن دمه اياك اياك

(وقال آخر) *

لا تقطعن الصديق ما طرفت * عينك لمن قول كاتع أشهر

ولا تملن يوما زيارته * زره وزره وزر وزر وزر

وقال الحسن بن الفضل التكريمر طرد الغفلة وتأكدا كيدا للجمعة قال بعض العلماء والتكريم
ههنا كما تقدم في قوله تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر وكفوله تعالى فيما ساء أذى ويل يومئذ
للكاذبين وذهب جماعة منهم ابن قتيبة إلى أن التكريم لا يختلف النعم فبذلك كثر التوقيف
مع كل واحدة وقال الرازي وذكره بلفظ الخطاب على سبيل الالتفات والمراد به التقرير
والزجر وذكر لفظ الرب لانه يشعر بالرحمة قال وكررت هذه اللفظة في هذه السورة يقاوم ثلاثين
مرة أما التأكيد ولا يعقل لخصوص العدد معني وقيل الخطاب مع الانس والجن والنعمة
منصورة في دفع المكره وتحصيل المقصود وأعظم المكرهات نار جهنم ولها سبعة أبواب
وأعظم المقاصد نعيم الجنة ولها ثمانية أبواب فالجموع خمسة عشر وذلك بالنسبة للانس والجن
ثلاثون والزائد لبيان التأكيد وروى جابر بن عبد الله قال قرأ علينا رسول الله صلى الله
عليه وسلم سورة الرحمن حتى ختمها ثم قال مالي أراكم تسكنون الجنة كأنوا أحسن منكم ردا
ما قرأت عليهم هذه الآية من مرة فبأي آلاء ربكم ~~كذب~~ ان قالوا ولا بشئ من نعمك
ربنا تكذب فلك الحمد وقرأ ورش فبأي آلاء على أصله بالمدة والتوسط والقصر جميع ما في هذه
السورة * ولما ذكر تعالى خلق العالم الكبير من السماء والارض وما فيها من الدلالات على
وجدانيته وقدرته ذكر خلق العالم الصغير فقال تعالى (خلق الانسان) أي آدم عليه السلام
(من صلصال) أي من طين يابس له صلصلة أي صوت اذا انقر (~~كالخضار~~) أي كالخزف
المصنوع المشوي بالنار وقيل هو طين خلط برمل وقيل هو الطين الممتن من صل اللحم وأصل
اذا أمتن * (تنبيه) * قال تعالى هنا من صلصال كالفخار وقال تعالى في الحجر من جامسنون
وقال تعالى في الصافات من طين لازب وقال تعالى في آل عمران كمثل آدم خلقه من تراب وكله
متفق المعنى وذلك أنه أخذ من تراب الارض فجعله بالماء فصارت طينا ثم ترك حتى صار جأ
سمنونا ثم متنا ثم صورهم كما يصور الابريق وغيره من الاواني ثم أيسه حتى صار في غاية
الصلاية فصارت كالخزف الذي اذا انقر صوت صوتا يعلم منه هل فيه عيب أولا فالمد كوزها آخر
تخليقه وهو أنسب بالرحمانية وفي غيرها تارة بسبب مدوه وتارة أشأوه فالارض أمته والماء أبوه
ممزوجين بالهواء الحامل للجزء الذي هو من فيج جهنم فن التراب جسده ونفسه ومن الماء روحه

وعقله ومن النار غوايته وحدته ومن الهواء سرته وتقلبه في محامده ومذامه فالغالب في جبلته
التراب فلهذا نسب اليه وان خلق من العناصر الاربع كما أن الجآن خلق من العناصر الاربع
لكن الغالب في جبلته النار فنسب اليها كما قال تعالى (وخلق الجآن) أي أبا الجآن وهو ابليس
وقيل هو أبوه سم وليس هو ابليس وقيل هو اسم جنس كالانسان (من مارج من نار) وهو لهما
الخاص من الدخان وقال القشيري هو اللهب المختلط بسواد النار فالنار أغلب عناصره
وقال الليث المارج الشعلة الساطعة ذات اللهب الشديد وعن ابن عباس أنه اللهب الذي
يعلو النار فيختلط بعضه ببعض أحر وأصف وأخضر وهو مشاهد في النار ترى الألوان الثلاثة
مختلطة بعضها ببعض ونحوه عن مجاهد وقال أبو عبيدة والحسن المارج المختلط من النار
وأصله من مريج إذا اضطرب واختلط قال القرطبي يروى أن الله تعالى خلق نارين مريج
احدهما بالآخرى فأكت احدهما الآخرى وهي نار السموم فخلق منها ابليس * (تنبيه) *
من مارج من نار من الاولى لابتداء الغاية وفي الثانية وجهان أحدهما أنها اللبيان والثاني
أنها التبعية (فبأي آلاء) أي نعم (ربك) الناشئة عن مبدئكما ومريكما وسيدكما
(تسكذبان) أي مما أفاض عليكم في أطوار خلقه تسكبا حتى صير كما أفضل المركبات وخلصة
الكائنات (رب) أي خالق ومدبر (المشرقين) أي مشرق الشتاء ومشرق الصيف (ورب
المغربين) كذلك (فبأي آلاء) أي نعم (ربك) أي الذي دبر لك هذا التدبير العظيم (تسكذبان)
أي بما في ذلك من القوائد التي لا تحصى كاعتدال الهواء واختلاف الفصول وحدوث
ما يناسب كل فصل فيه الى غير ذلك (مريج) أي أرسل الرحمن (البحرين) أي العذب والمالح
فجعلهما مضطربين من طبعهما الاضطراب حال كونهما (يلتقيان) أي يتماسان على وجه
الارض بلا فصل بينهما في رؤية العين وقال ابن عباس بحر السماء وبحر الارض قال سعيد
ابن جبلة يلتقيان في كل عام وقيل يلتقي طرفاهما وقال الحسن وقتادة بحر فارس والروم
وقال ابن جريج البحر المالح والانهار العذبة وقيل بحر المشرق وبحر المغرب وقيل بحر اللؤلؤ
وبحر المرجان (بينهما برزخ) أي حاجز عظيم فعلى القول بأنهما بحر السماء وبحر الارض فالحاجز
الذي بينهما هو ما بين السماء والارض قاله الضحاك وعلى الاقوال المابقة قال الحسن وقتادة
هو الارض وقال بعضهم هو القدرة الالهية وهذا أولى (لا يغيان) اختلف فيه فقال قتادة
لا يغيان على الناس فيعرفانهم كما طغيا فأهلكا من على الارض في أيام نوح عليه السلام فجعل
بينهما وبين الناس ابليس وقال مجاهد وقتادة أيضا لا يغي أي أحدهما على صاحبه فيغلبه
وقيل البرزخ ما بين الدنيا والآخرة أي بينهما مدة قدرها الله تعالى وهي مدة الدنيا فهما لا يغيان
فإذا أذن الله تعالى في انقضاء الدنيا صار البحران شيئا واحدا وهو كقوله تعالى وإذا البحار فجرت
وقال سهل بن عبد الله البحران طريق الخير والشر والبرزخ الذي بينهما التوفيق والعصمة
وقال الرازي معنى الآية أن الله تعالى أرسل بعض البحرين الى بعض ومن شأنهما الاختلاط
فجزهما ببرزخ من قدرته فهما لا يغيان أي لا يتجاوز كل واحد منهما ما حدده الله خالقه

لافي الظاهر ولا في الباطن فحق حفرت على جنب الملح في بعض الاماكن وجدت الماء العذب
 وان قربت الحفرة منه قال البقاعي بل كل اقربت كان أحلى فخلطهما سحمانه في رأى العين
 ويجزي منهما في غيب القدرة هذا وهو اجساد ان لانطق لهما ولا ادراك فكيف يغني بعضكم
 على بعض أي المذكر يكون العقلاء (قبأى آلاء) أي نعم (ربك) أي الموجد لك والمربي
 (تكذبان) أتلك النعم أم بغيرها فها لا اعتبارتم بهذه الاصول من أنواع الموجودات فصدقتم
 بالآخره لعلكم تجنون من عذاب الله تعالى (يخرج منهما اللؤلؤ) وهو بكار الجوهر
 (والمرجان) وهو صغار الجوهر قاله علي وابن عباس والضحك وقيل بالعكس وقيل المرجان
 حجر أحمر وقيل حجر شديد البياض والمرجان أجمع أي بمنجالة العذب المالح من غير واسطة
 أو بواسطة السحاب فصارت ذلك كالأثر والآخر وقال الرازي فيكون العذب كالتفاح للملح
 وقال أبو حيان قال الجمهور انما يخرج من الاجاج في المواضع التي تقع فيها الانهار والمياه
 العذبة فاستند ذلك اليهما وهذا مشهور وعند الغواصين قال مكي كما قال علي رجل من القريتين
 عظيم أي من احدي القريتين وحذف المضاف كثير شائع وقيل هو كقوله تعالى نسيما حوتهما
 وانما الناسي فتاه ويعزى لابي عبيدة قال البغوي وهذا جازي في كلام العرب ان يذكر
 شيان ثم يخص أحدهما بفعل كقوله تعالى يامعشر الجن والاناس ألم يأتكم رسل منكم
 وكانت الرسل من الانس وقيل يخرج من أحدهما اللؤلؤ ومن الآخر المرجان وقيل
 بل يخرجان منهما جميعا وقال ابن عباس تكون هذه الاشياء في البحر بنزول المطر والصدف
 تفتح أفواهها للمطر وقد شاهدته الناس فيكون تولده من بحر السماء وبحر الارض وهذا قول
 الطبري وقال الزمخشري فان قلت لم قال منهما وانما يخرجان من الملح قلت لما التقيا وصارا
 كالشيء الواحد جاز أن يقال يخرجان منهما كما يقال يخرجان من البحر ولا يخرجان من جميع
 البحر وانما يخرجان من بعضه وتقول خرجت من البلد وانما خرجت من محلة من محاله بل
 من دار واحدة من دوره وقيل لا يخرجان الا من ملتي الملح والعذب اه وقال بعضهم كلام الله
 تعالى أولى بالاعتبار من كلام بعض الناس فمن الجائز انه يسوقهما من البحر العذب الى الملح
 وانفق أنهم لم يخرجوهما الا من الملح واذا كان في البر أشياء تنقي على التجار المترددين القاطعين
 المفاوز فكيف بمنافي قعر البحر قال ابن عادل والجواب عن هذا ان الله تعالى لا يخاطب
 الناس ولا يمتحن عليهم الامناء اتقون وبشاهدون وقرأ نافع وأبو عمرو ويخرج بضم الياء وفتح
 الراء مبنيا للمفعول والباقون بفتح الياء وضم الراء مبنيا للقاء على الجواز وقرأ السوسي
 وشعبة بإبدال الهمزة الساكنة واوا وصلاد ووقفا واذا وقف حزة أبدل الاولى والثانية
 (قبأى آلاء) أي نعم (ربك) أي الملك الاعظم المالك لك (تكذبان) أبكثرة النعم من
 خلق المنافع في البحار وتسليطكم عليهما واخراج الحلي العجيبة أم بغيرها (وله) أي لافتره
 (الحواري) أي السفن الكبار والصغار الفارغة والمشحونة فلا تغتروا بالاسباب الظاهرة
 فتقفوا معها فتسندوا شيئا من ذلك اليها وقرأ (المنشآت) حزة وأبو بكر بخلاف عنه بكسر

الذين بمعنى أنها تشيئ الموج بحريها وتشئ السيرا قبلها وادباراً وألتي رفعت شراعها أي
قلوعها والشراع القلاع وعن مجاهد كل ما رفعت قلوعها فهي من المنشآت والافليست منها
ونسبة الرفع اليها مجاز كما يقال أنشأت السحابة المطر وقرأ الباقون بفتح الشين وهو اسم
مفعول أي أنشأها الله تعالى أو الناس أو رفعوا شراعها * (تنبية) * الجواري جمع
جارية وهي اسم أو صفة للسفينة وخصصها بالذكور لأن جريها في البحر لا يصنع للبشر فيه وهم
معترفون بذلك فيقولون لك الفلك ولك الملك وإذا خافوا الفرق دعوا الله وحده وسميت
السفينة جارية لأن شأنها ذلك وإن كانت واقفة في الساحل كما سماها في موضع آخر
بالجارية كما قال تعالى أنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية وسماها بالفلك قبل أن لم تكن كذلك
فقال تعالى لنوح عليه السلام واضع الفلك بأعيننا ثم بعد ما عملها سماها سفينة فقال تعالى
فأنجيناه وأصحاب السفينة قال الرازي فالفلك أولاً ثم السفينة ثم الجارية اه والمرأة
المملوكة تسمى أيضاً جارية لأن شأنها الجرى والسعي في حوائج سيدها بخلاف
الزوجة فهي من الصفات الغالبة والسفينة فعيلة بمعنى فاعلة عند ابن دريد كأنها تنفس الماء
وفعيلة بمعنى مفعولة عند غيره بمعنى مسفونة وقوله تعالى (في البحر) متعلق بالمنشآت
وقوله تعالى (كلاعلام) حال أمان الضمير المستكن في المنشآت وأما من الجوارى
وكلاهما بمعنى واحد والاعلام الجبال والعلم الجبل الطويل علما على الأرض قال القائل
* إذا قطعنا علما لدنا علم * وقال آخر

ربما أوقيت في علم * ترفعن ثوبى شمالات

وقالت الخنساء في أخيها صخر

وإن صخر التأم الهداية * كأنه علم في رأسه نار

أي جبل فالسفن في البحر كالجبال في البر وجمع الجوارى ووحيد البحر وجمع الاعلام إشارة
إلى عظيمة البحر (قبأى آلاء) أي نعم (ربك) العظمى التي عمت خلقه (تكذبان) أبتلك النعم
من خلق مواد السفن والارشاد إلى أخذها وكيفية تركبها وأجرائها في البحر وأسباب لا يقدر
على خلقها ووجعها غيره أم غيرها وقوله تعالى (كل من عليها فان) أي هالك غلب فيه من يعقل
على غيره وجميعهم مراد والضمير في عليها الأرض قال بعضهم وإن لم يجر لها ذكر كقوله تعالى
حتى توارت بالجباب وردها بأنه قد تقدم ذكرها في قوله تعالى والأرض وضعها وقيل الضمير
عائد إلى الجوارى قال ابن عباس لما ترات هذه الآية قالت الملائكة هلك أهل الأرض
فقل كل شيء هالك إلا وجهه فأيقنت الملائكة بالهلاك (فان قيل) الكلام في تعدد النعم
فأين النعمة في فناء الخلق (أجيب) بأنها التسوية بينهم في الموت والموت سبب للنقل إلى دار
الجزاء والثواب (ويبقى) أي بعد فناء الكل بقاء مستمرا إلى ما لا نهاية له (وجه ربك) أي ذاته
فالوجه عبارة عن وجود ذاته قال ابن عباس الوجه عبارة عنه (فان قيل) كيف خاطب
الإنسين بقوله قبأى آلاء ربك تكذبان وخاطب ههنا الواحد فقال ويبقى وجه ربك ولم يقل وجه

ربكم (أجيب) بأن الإشارة ههنا وقعت الى كل أحد فقال ويبي وجه ربك أيها السامع ليعلم
كل أحد أن غيره فان فلوقال ويبي وجه ربك لكان كل أحد يخرج نفسه ورفيقه الخاطب
عن الفناء (فان قيل) فلوقال ويبي وجه الرب من غير خطاب كان أذل على فناء الكل (أجيب)
بأن كاف الخطاب في الرب إشارة الى اللطف والبقاء إشارة الى القهر والموضع موضع بيان
اللطف وتعدد النعم فلهذا قال بلفظ الرب وكاف الخطاب * ولما ذكر تعالى مبادئه للمخلوقات
وصف نفسه بالاحاطة الكاملة فقال تعالى (ذوالجلال) أي العظمة التي لا ترام وهو وصفة
ذاته التي تقتضي اجلاله عن كل ما لا يليق به (والاكرام) أي الاحسان العام وهو وصفة فعله مع
جلاله وعظمته (فبأي آلاء) أي نعم (ربكم) أي الرب ليكاف على هذا الوجه الذي مآله الى العدم
الى أجل مسمى (تسكذبان) أبتلك النعم من بقاء الرب وفناء الكل والحياة الدائمة والنعم المقيم
أم غيرها وقوله تعالى (يسأله من في السموات) أي كلها كلهم (والارض) كذلك مستأنف
وقيل حال من وجه والعامل فيه يبي أي يبي مسؤولان أهل السموات والارض بلسان الحال
أو المقال أوهم ما قال ابن عباس وأبو صالح أهل السموات يسألونه المغفرة ولا يسألونه الرزق
وأهل الارض يسألونهم ما جميعا وقال ابن جرير يسأله الملائكة الرزق لاهل الارض
فكانت المسئلة من أهل السماء وأهل الارض لاهل الارض كما في الحديث قال القرطبي
وفي الحديث ان من الملائكة ملكا له أربعة أوجه وجه كوجه الانسان يسأل الله تعالى الرزق
لبني آدم ووجه كوجه الاسد وهو يسأل الله تعالى الرزق للسباع ووجه كوجه الثور وهو يسأل
الله تعالى الرزق للبهائم ووجه كوجه النسر وهو يسأل الله تعالى الرزق للطير وقال ابن عطاء انهم
يسألونه القوة على العبادة وقوله تعالى (كل يوم) منصوب بالاستقرار الذي تضمنه الخبر وهو قوله
تعالى (هو في شان) والشان الامر روى أبو الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل يوم هو
في شان قال من شأنه أن يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع أقواما ويضع آخرين وعن ابن عمر عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال يغفر ذنبا ويكشف كربا ويحبب داعيا وقال أكثر المفسرين من
شأنه أنه يحيي ويميت ويرزق ويعز ويذل قومًا ويشقى قوماً ويفرج مكروباً ويحبب
داعيا ويعطي سائلاً ويغفر ذنبا الى ما لا يحصى من أفعاله واحداً في خلقه ما يشاء وروى
البغوي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال ان مما خلق الله عز وجل لوطاً من درة بيضاء
دفعها من ياقوته تجراء قلته نور وكلما نور ينظر الله تعالى فيه كل يوم ثلثائة وستين نظرة يخلق
ويرزق ويحيي ويميت ويعز ويذل ويفعل ما يشاء فذلك قوله تعالى كل يوم هو في شان وقال
سفیان بن عیینة الدهر كله عند الله تعالى يومان أحدهما اليوم الذي هو مدة عمر الدنيا فشأنه فيه
أي في كل يوم من أيامها الامر والنهي والامانة والاحياء والاعطاء والمنع والثاني يوم القيامة
وشأنه فيه الجزاء والحساب والثواب والعقاب وقال أبو سليمان الداراني في هذه الآية له
في كل يوم الى العبد برب جديد وقال بعض المفسرين شأنه تعالى أنه يخرج في كل يوم وليله ثلاثة
عساكر عسكرا من أصلاب الآباء الى أرحام الأتهات وعسكرا من الأرحام الى الدنيا وعسكرا

من الدنيا الى القبور ثم يرتجلون جميعا الى الله تعالى وقبل زلت في اليوم وحين قالوا ان الله لا يقضى يوم السبت شيئا وسأل بعض الملوك وزيره عن هذه الآية فاستعمله الى الغد وذهب كثيرا يتفكر فيها فقال له غلام أسود يا مولاي أخبرني ما أصابك لعل الله تعالى يسئل لك على يدي فأخبره فقال أنا أفسر للملك فأعلمه فقال أيها الملك شأن الله تعالى أن يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ويخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويشفي سقما ويسقم صحيا ويميتني معافي ويعافي مبتلي ويعز ذليله ولا يذل عزيزا ويفقر غنيا ويغني فقيرا فقال الأمير أحسنت وأمر الوزير أن يخلع عليه ثياب الوزارة فقال يا مولاي هذا من شأن الله تعالى وعن عبد الله بن طاهر أنه دعا الحسين بن الفضل وقال له أشككت على ثلاث آيات دعوتك لتكشف لي قوله تعالى فاصبح من التادمين وقد صبح أن الندم توبة وقوله تعالى كل يوم هو في شأن وصرح أن القلم جف بما هو كائن الى يوم القيامة وقوله تعالى وأن ليس للانسان الا ما سعى فغناه ليس له الا ما يسعى فبال الاضعاف قال الحسين يجوز أن لا يكون الندم توبة في تلك الآتية ويكون في هذه الآتية لأن الله تعالى خص هذه الآتية بخصائص لم تشاركهم فيها الا هم وقيل ان ندم قاتل لم يكن على قاتل هابيل ولم يكن على حمله وأما قوله تعالى وأن ليس للانسان الا ما سعى فغناه انه ليس له الا ما يسعى عد لا ولي أن أجزيه بواحدة ألفا فضلا وأما قوله تعالى كل يوم هو في شأن فانهم اشؤون يديها لاشؤون يتسديها فقام عبد الله فقبل رأسه وسوغ خراجه (قبأى آلام) أي نعم (ربك) المدبر لك هذا التدبير العظيم (تكذبان) أبنتك النعم أم بغيرها (سنفرغ لكم) أي سنقصده لحسابكم وجزائكم وقرأ حجة والكسائي بعد السين بالياء النخبة والباقون بالنون (آية الثقلان) أي الانس والجن وذلك يوم القيامة فانه تعالى لا يفعل ذلك في غيره قال القرطبي يقال فرغت من الشغل أفرغ فراغا وفروغا وفرغت لكذا واستفرغت مجهودى في كذا أي بذلت وليس بالله تعالى شغل يفرغ منه وانما المعنى سنقصده لجزائكم ومحاسبتكم فهو وعيد لهم وتهديد قاله ابن عباس والضحاك كقول القائل لمن يريد تهديده اذا تفرغ لك أي أقصصك وأشد ابن الأنباري للحرير

الآن وقد فرغت الى غير * فهذا حين كنت لهم عذابا

يريد وقد قصدت وأنشد الزجاج والنحاس * فرغت الى العبد المقيد في الجبل * وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم انه لما بايع الانصار ليلة العقبة صاح الشيطان يا أهل الحياحب هذا مذم يبايع بني قبله على حربكم فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا أرب العقبة أما والله يا بعدد والله لا تفرغ من ذلك أي أقصده الى ابطال أمرك وهذا اختيار الكسائي وغيره قال ابن الاثير لا ارب في اللغة الكثير الشعر وهو ههنا شيطان اسمه أرب العقبة وهو الحية وقبل ان الله تعالى وعد على التقوى وأعد على الفجور ثم قال تعالى سنفرغ لكم أيها الثقلان أي ما وعدناكم ونوصل كلا الى ما وعدناه أقسم ذلك وأنفرغ منه قاله الحسن ومقاتل وابن زيد * (تنبيه) * رسم أي بغير ألف فاذا وقف عليها وقف أبو عمرو والكسائي أيها الالف ووقف الباكون على الرسم أي وفي

الوصول قرأ ابن عامر أنه برقع الهاء والباقون بنصها* (قائدة)* سمي الانس والجن بالثقلين لعظم
 شأنهم بالاضافة الى ما في الارض من غيرهم ما بسبب التكليف وقيل سوا بذلك لانهم ما ثقلا
 الارض احياء وأمواتا قال الله تعالى وأخرجت الارض أثقالها ومنه قولهم اعطه ثقله أى
 وزنه وقال بعض أهل المعاني كل شيء له قدر ووزن يتنافس فيه فهو ثقل ومنه قيل لبسض النعام
 ثقل لان واجده وصانده يفرح به اذا ظفر به وقال جعفر الصادق سمي ثقلين لانهم ما ثقلان
 بالذنوب وقيل الثقل الانس لشرفهم وسمى الجن بذلك مجازا للمجاورة والتغليب كالقمرين
 والعمرين والثقل العظيم الشريف قال صلى الله عليه وسلم انى تاركتكم ثقلين كتاب الله
 عز وجل وعترتى (قبأى آلاء) أى نعم (ربكم) أى المحسن اليكم هذا الصنيع المحكم
 (تكذبان) أى أبلاك النعم من انابة أهل طاعته وعقوبة أهل معصيته أم بغيرها (بامعشر الجن)
 أى ياجماعة فيهم الالهية والعشرة والتصادق (والانس) أى الخواص والمستأنسين والمأنوسين
 المبني أمرهم على القامة والاجتماع (ان استطعتم) أى وجدت لكم اطاعة الكون فى (ان
 تنفذوا) أى تسلكوا بأجسامكم وعضوامين غير مانع عنكم (من أقطار) أى نواحي (السموات
 والارض) هاربين من الله تعالى من أنواع الجزاء بينكم أو عصيانا عليه فى قبول أحكامه
 وجرى مراداته وأقضيته عليكم من الموت وغيره وقوله تعالى (فانفذوا) أمر تعجيز والمعنى
 ان استطعتم أن تجوزوا نواحي السموات والارض فتعجزوا ربكم حتى لا يقدر عليكم فجوزوا
 يعنى لا مهرب لكم ولا خروج لكم عن ملك الله تعالى أينما تولوا فثم ملك الله عز وجل
 (فان قيل) ما الحكمة فى تقديم الجن على الانس ههنا وتقديم الانس على الجن فى قوله تعالى قل
 لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأثوا بمنزل هذا القرآن (أجيب) بأن النفوذ من أقطار
 السموات والارض بالجن أليق ان أمكن والاثبات بمنزل القرآن بالانس أليق ان أمكن فقدم
 فى كل موضع ما يليق به (فان قيل) لم جمع فى قوله تعالى سنفرغ لكم وفى قوله تعالى ان استطعتم
 ونهى فى قوله أنه الثقلان (أجيب) بأنهم افرىقان فى حال الجمع كقوله تعالى فاذا هم فرقة ان
 يختصمون وهذا ان خصمان اختصموا فى ربهم (لا تنفذون) أى لا تقدررون على النفوذ
 (الابسلطان) أى الابدوة وقهر وأنى لكم ذلك وروى عن ابن عباس رضى الله عنه ما أنه قال
 معناه ان استطعتم أن تعلموا ما فى السموات والارض فاعلموا ولن تعلموا الا بسلطان أى بينة من
 الله تعالى (تنبيه) فى هذه الآيات والتي فى الاحقاف وفى قل أوحى دليل على أن الجن
 مكلفون مخاطبون مأمورون منهيون مثابون معاقبون كالانس سواء مؤمنهم كؤمنهم وكافرهم
 ككافرهم (قبأى آلاء) أى نعم (ربكم) المحسن اليكم المربى لكم بما تعرفون به قدرته على ما يريد
 (تكذبان) أبلاك النعم أم بغيرها وقال البغوى وفى الخبر يحاط على الخلق بالملائكة وبلسان
 من نار ثم ينادون يا معشر الجن والانس ان استطعتم الاية فذلك قوله تعالى (يرسل عليكم) أى
 أمهم المعاندون قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهم ما حين يخرجون من القبور لسوقهم الى
 المحشر (شواظ من نار) قال مجاهد هو اللهب الاخضر المنقطع من النار وقال ابن عباس

رضي الله تعالى عنهما هو الاله الخالص الذي لا دخان له وقال الضحاك هو الدخان الذي يخرج من الاله ليس كدخان الخطب وقال سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضي الله عنهما اذا خرجوا من قبورهم ساقهم شواظ الى المحشر وقيل هو الاله الاخر وقال عمرو وهو النار والدخان جميعا وحكاه الاخفش عن بعض العرب قال حسان

هجو تلك فاختضعت لها بذل * بقافية تأج كالشواظ

وقرأ ابن كثير بكسر الشين والياقون بضمها وهما لغتان بمعنى واحد مثل صوار من البقر وصوار وهو القطيع من البقر. واختلف في قوله سبحانه وتعالى (ونحاس) فقيل هو الصقر المعروف بذي الهة الله تعالى ويعذبهم به وقيل هو الدخان الذي لاله مع قاله الخليل وهو معروف في كلام العرب وأنشد الاعشى

تضيء كضوء سراج السليط لم يجعل الله فيه نكاحا

وقال ابن برحان والعرب تسمى الدخان نحاسا بضم النون وكسرها وأجمع القراء على ضمها اه وقال الضحاك هو دري الزيت المغلي وقال الكسائي التي لها ريح شديدة (فلا تنصران) أي فلا تنسغان ولا ينصر بعضكم بعضا من ذلك بل يسوقكم الى المحشر (قبأى الآء) أي نعم (ربك)

أي المدبر لك هذا التدبير المتقن (تكذبان) أثبتك النعم فان التهديد لطف والتميز بين المطيع والعاصي بالجزاء والالتزام من الكفار في عداد الآء أم بغيرها (فاذا انشقت السماء) أي

انفجرت فكانت أبواب النزول الملائكة (فكانت وردة) أي حمرة مثل الورد (كالدهان) أي كالاديم الاخر على خلاف العهد به الشدة حر نار جهنم وقال مجاهد والضحاك وغيرهما

الدهان الدهن والمعنى صارت في صفاء الدهن والدهان على هذا جمع دهن وقال سعيد بن جبيرة وقتادة المعنى تصير في حرة الورد وجران الدهن أي تذوب مع جريان الدهن حتى تصير جرا من

حرارة نار جهنم وتصير مثل الدهن لرقمتها وذوبانها وقال الحسن كصب الدهن فانك اذا صبته ترى فيه ألوانا وجواب اذا غما أعظم الهول (قبأى الآء) أي نعم (ربك) أي الخالق والرازق

لك (تكذبان) أثبتك النعم أم بغيرها عما يكون بعد ذلك (فيومئذ) أي فتسبب عن يوم اذا انشقت السماء أنه (لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان) أي سؤال تعرف واستعلام بل سؤال

تقرع وتوبيخ ولام وذلك أنه لا يقال له هل فعلت كذا بل يقال له لم فعلت كذا على أن ذلك اليوم طويل وهو ذو ألوان تارة يستل فيه وتارة لا يستل والامر في غاية الشدة وكل لون من تلك

الالوان يسمى يوما فيسئل في بعض ولا يسئل في بعض وقيل المعنى لا يسألون اذا استقروا في النار وقال الحسن وقتادة لا يسألون عن ذنوبهم لأن الله تعالى حفظها عليهم وكتبها

الملائكة رواه العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما وعن الحسن ومجاهد لا تسأل الملائكة عنهم لانهم يعرفونهم بسميهم دليله قوله تعالى يعرف المجرمون بسميهم ورواه مجاهد عنه

أيضا في قوله تعالى فوربك لنسألنهم أجمعين وقوله تعالى فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان قال لا يسألهم ليعرف ذلك منهم ولكنه يسألهم علمه وها سؤال توبيخ وقال أبو العالية لا يسئل

غير الجرم عن ذنب الجرم وقال قتادة يستلون قبل الختم على أفواههم ثم يختم على أفواههم
 وتكلم جوارحهم شاهدة عليهم * (تنبيه) * الجان هنا وفيما يأتي بمعنى الجنى والانس بمعنى
 الانسى (قبأى آله) أى نعم (ربك) أى الذى ربى كلامكم بالامطعم فى انكاره ولاخفاء فيه
 (تكذبان) أثبتك النعم أم يغيرها مما أنعم الله تعالى على عباده المؤمنين فى هذا اليوم (يعرف)
 أى لكل أحد (الجرمون) أى العريقون فى هذا الوصف (بسيماهم) أى العلامات التى
 صور الله تعالى ذنوبهم فيها فجعلها ظاهرة بعد أن كانت باطنة وظاهرة الدلالة عليهم كما يعرف الآن
 الليل اذا جاء لا يخفى على أحد أصلا وكذا النهار ونحوهما الغير الاهى قال البقاعى وتلك السيسى
 والله أعلم زرقة العيون وسواد الوجوه والعصى والصم والمشى على الوجوه ونحو ذلك وكما يعرف
 المحسنون بسيماهم من بياض الوجوه واشراقها وتسعها والغزاة والتجبل ونحو ذلك وسبب عن
 هذه المعرفة قوله تعالى مشير بالبناء للمفعول الى سهولة الاخذ من أى آخذ كان (قبوخذ
 بالنواصي) أى منهم وهى مقتدمات الرؤس (والاقدام) بعد أن يجتمع بينها فيسحبون بها
 تحبب من كل صاحب أقامه الله تعالى لذلك لا يقدررون على الامتناع بوجه فيلقون فى النار
 وقال الضحاك يجمع بين ناصيته وقدميه فى سلسلة من وراء ظهره وعنه يؤخذ برجلى الرجل
 فيجمع بينهما وبين ناصيته حتى يندق ظهره ثم يلقي فى النار وفعل بالكافر ذلك ليكون أشد لعذابه
 وقيل تشبهه الملائكة الى النار تارة تأخذ بناصرته وتجره على وجهه وتارة تأخذ بقدميه وتسحب به
 على وجهه (قبأى آله) أى نعم (ربك) أى المنعم عليكم الذى دبره صالحكم بعد أن أوجدهم
 (تكذبان) أثبتك النعم أم يغيرها مما وعد ان يفعل من الجزاء فى الآخرة لكل شخص بما كان
 يعمل فى الدنيا أو غير ذلك من الفضل (هذه جهنم) أى يقال لهم اذا ألقوا فيها هذه جهنم (التي
 يكذب) أى ماضيا وحالا وما لا استمناة ولورؤى الى الدنيا بعد ادخالهم اياها لعداود الماسنوا
 عنه (بها الجرmon) أى المشركون الحقيقون بالاجرام وهو قطع ما من حقه أن يوصل وهو
 ما أمر الله تعالى به وخص هذا الاسم اشارة الى أنهم ساقاهم بالتجهم والعبوسة والكلاحة
 والفظاعة كما كانوا يفعلون مع الصالحين عند الاجرام المذكور (يطوفون بينها) أى بين درك
 النار (وبين حميم) أى حار متناهى فى الحرارة وهو منقوص كقاض يقال أنى يأتى فهو أن كقاض
 يقضى فهو قاض والمعنى أنهم يسعون بين الحميم والخبيم فاذا استغاثوا من النار جعل هذا بهم
 الحميم الآن الذى صار كالمهل وهو قوله تعالى وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل وقال كعب
 الاخبار وادمن أودية جهنم يجمع فيه صديد أهل النار فينطلق بهم فى الاغلال فيغمسون فيه
 حتى تخلع أوصالهم ثم يخرجون منه وقد أحدث الله تعالى لهم خلقا جديدا فيلقون فى النار
 فذلك قوله تعالى يطوفون بينها وبين حميم آن (فان قيل) هذه الامور ليست نعمة فكيف قال عز
 وجل (قبأى آله) أى نعم (ربك) أى المحسن أيها الثقلان اليك (تكذبان) (أجيب) من
 وجهين أحدهما أن ما وصف من هول يوم القيامة وعقاب الجرمين فيه زجر عن المعاصى
 وترغيب فى الطاعات وهذا من أعظم النعم روى أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى على شاب يقرأ فى

الليل فاذا انشقت السماء كانت وردة كالدهان فوق الشارب وخزنته العبرة وجعل يقول
 ويحي من يوم تنشق فيه السماء ويحي فقال النبي صلى الله عليه وسلم ويحك يا فتى من اقول الذي
 نفسي بيده لقد بكت ملائكة السماء من بكائك الثاني أن المعنى ان كذبتم بالهمة المتقدمة
 استحققت هذه العقوبات وهي دالة على الايمان بالغيب وهو من أعظم النعم * ولما عرف ما للعجز
 الجعري على العظام وقدمه لما اقتضاه مقام التكذيب من الترهيب وجعله سابعاً لشارة الى
 أبواب النار السبع عطف عليه ما للخائف الذي اذم خوفه الى الطاعة وجعله ثامناً على عدد
 أبواب الجنة الثمانية فقال تعالى (ولمن خاف) أي من الثقلين ووجد الضمير مرعاة للفظ من
 اشارة الى قوله الخائفين (مقام ربه) أي قيامه بين يدي ربه للحساب بترك المعصية والشهوة قال
 القرطبي ويجوز ان يكون المقام للعبد ثم يضاف الى الله تعالى وهو كالاجل في قوله تعالى فاذا جاء
 أجلهم وقوله تعالى في موضع آخر ان أجل الله اذا جاء لا يؤخر وقال مجاهد هو الذي هم بالمعصية
 فيذكر الله تعالى فيدعها من مخافته عز وجل (جنتان) أي لكل خائف جنتان على حدة قال
 مقاتل جنة عدن وجنة النعيم وقال محمد بن علي الترمذي جنة بخوف ربه وجنة بترك شهوته
 وقال ابن عباس من خاف مقام ربه بعد أداء القرائن وقيل جنتان لجميع الخائفين وقيل جنة
 لخائف الانس واخرى لخائف الجن فيكون من باب التوزيع وقيل مقام هنا مقصم كما تقول
 أخاف جانب فلان وفعلت هذا المكانك وأشد ونقيت عنه * مقام الذنب كالرجل اللعين يريد
 ونقيت عنه الذنب قال ابن عادل وليس بجيد لان زيادة الاسم ليست بالسهلة وقيل ان الجنتين
 جنته التي خلقت له وجنة ورثها وقيل احدى الجنتين منزله والاخرى منزل أزواجه كما يفعل
 رؤساء الدنيا وقيل احدى الجنتين مسكنه والاخرى بيستانه وقيل احدى الجنتين أسافل القصور
 والاخرى أعاليها وقال القراء انه اجنة واحدة وانما ثني مرعاة لرؤس الآتي وأنكر القتيبي هذا
 وقال لا يجوز أن يقال خزنة النار عشرون وانما قال تسعة عشر مرعاة لرؤس الآتي وقيل جنة
 واحدة وانما ثني تأكيداً كقوله تعالى ألقيا في جهنم وعن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى
 الله عليه وسلم يقول من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل الا ان يبلغه الله تعالى اليه الا ان يبلغه الله
 تعالى الجنة أخرجه الترمذي قوله أدلج الادلاج مخفف اسير أو الليل ومنه فلا سير آخر الليل والمراد
 من الادلاج التسمير والجد والاجتهاد في أول الامر فان من سار في أول الليل كان جديراً ببلوغ
 المنزل روي البغوي بسنده عن أبي الدرداء أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقص على المنبر
 وهو يقول ولين خاف مقام ربه جنتان قلت وان زني وان سرق يا رسول الله فقال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ولين خاف مقام ربه جنتان فقلت الثانية وان زني وان سرق يا رسول الله فقال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم الثالثة ولين خاف مقام ربه جنتان قلت الثالثة وان زني وان
 سرق يا رسول الله قال وان زني وان سرق على رغم انفي أبي الدرداء * (فائدة) قال القرطبي في
 هذه الآية دليل على أن من قال لزوجه ان لم أكن من أهل الجنة فأنت طالق انه لا يحنث ان كان
 هم بالمعصية وتركها خوفاً من الله تعالى وحياء منه وقاله سفيان الثوري وأفتى به هذا مذهب

الشافعي أنه لا يحنث اذا كان مسلماً ومات على الاسلام وقال عطاء نزلت هذه الآية في
 أبي بكر حين ذكر ذات يوم الجنة حين أزلت والنار حين أبرزت وقال الضحاك بل شرب ذات يوم
 لبناً على ظمأ فأنجبه فسأل عنه فأخبر عنه أنه من غير حل فاستقامه ورسول الله صلى الله عليه وسلم
 ينظر اليه فقال رحل الله لقد أنزلت فيك آية وتلا عليه الآية (فبأى آلاء) أي نعم (ربك) المربي
 لك بما أحسانه البكار التي لا يقدر أحد على شيء منها (تكذبان) أبتلك النعمة أم بغيرها من نعمه
 التي لا تحصى ثم وصف الجنة بقوله تعالى (ذواتنا) أي صاحبنا وخبر بآية أخذوا في أيهما
 ذروا وفي تنبيه ذات لغتان الرذالة الأصل فإن أصلها ذوبية فالعين واو واللام ياء لانها مؤنثة وذو
 النائية التنسية على اللفظ فيقال ذاتا وقوله تعالى (أقناب) فيه وجهان أحدهما أنه جمع فتن
 كطلال وهو الغصن المستقيم طولا تكون به الزينة بالورق والثمر وكال الانتفاع قال النابغة
 الذبياني

بكاء حمامة تدعو هديلاً * مفجعة على فتن تفتي

وفي الحديث أهل الجنة مرد مكحولون الوفاين يريدان أن يريداً الوفاين وهو جمع أفنان وأفنان جمع فتن
 من الشعر شبه بالغصن ذكره الهروي وقال قتادة ذواتنا أفنان أي ذواتنا سعة وفضل على سواهما
 والوجه الثاني أنه جمع فن واليه أشار ابن عباس والمعنى ذواتنا أنواع وأشكال وقال الضحاك
 ألوان من الفاكهة وأحدها فن لأن الكثير في فن أن يجمع على فنون وقال عطاء كل غصن
 فنون من الفاكهة ولذا سبب عنه قوله تعالى (فبأى آلاء) أي نعم (ربك) أي المحسن اليك والمدير
 لك (تكذبان) أبتلك النعم من وصف الجنة الذي جعل لكم من أمثاله ما تعتبرون به أم بغيرها
 * وما كانت الجنان لا تقوم إلا بانهم أرقا قال تعالى (فيهما عينان تجريان) أي في كل واحدة
 منهما عين جارية قال ابن عباس تجريان ماء بالزيادة والكرامة من الله تعالى على أهل الجنة وعن
 ابن عباس أيضاً والحسن تجريان بالماء الزلال إحدى العينين التسليم والآخرى السلسيل وقال
 عطية أحدهما من ماء غير آسن والآخرى من خمر لذة للشاربين وقيل تجريان من جبل من
 مسك قال أبو بكر الوراق فيهما عينان تجريان لمن كانت عيناه في الدنيا تجريان من مخافة الله عز
 وجل فتجريان في أي مكان شاء صاحبهما وإن علامكانه كما تصعد المياه في الأشجار في كل غصن
 منها وإن زاد علوها (فبأى آلاء) أي نعم (ربك) أي المالك لك والمحسن اليك (تكذبان)
 أبتلك النعم التي ذكرها وجعل لها في الدنيا أمثالا كثيرة أم بغيرها (فيهما) أي الجنة (من كل
 فاكهة) أي تعلمونها ولا تعلمونها (زوجان) أي صنفان ونوعان قبل منعهما أن فيهما من كل ما
 يتفكر به ضمير بين رطباً ويابساً وقال ابن عباس ما في الدنيا ثمرة حلوة ولا ثمرة لاهية في الجنة حتى
 المنظر إلا أنه حلوا فان قيل قوله تعالى ذواتنا أفنان وفيهما عينان تجريان وفيهما من كل فاكهة
 زوجان كلها أوصاف للجنة في فصل الحكمة في فصل بعضه عن بعض بقوله تعالى فبأى آلاء ربك
 تكذبان مع أنه تعالى لم يفصل حين ذكر العذاب بين الصفات بل قال تعالى يرسل عليهم كشواظ من
 نار ونحاس فلا تنتصران مع أن إرسال الشواظ غير إرسال النحاس (أجيب) بأنه تعالى جمع

العذاب جلة وفصل آيات الثواب ترجيحاً لجنب الرحمة على جانب العذاب وتطليبا للقلب
وتهميها للسامع فان اعاد ذكر المحبوب وتطوّل الكلام في اللذات مستحسن (فان قيل)
نما وجه توسط آية العينين بين ذكر الاقنان وآية الفاكهة والفاكهة انما تكون على الاغصان
فالمناسبة ان لا يفصل بين آية الاغصان والفاكهة (أجيب) بأن ذلك على عادة المتنسمين اذا
خرجوا متفرجين في البستان فأول قصدهم الفرجة بالخضرة والماء ثم يكون الاكل تبعاً (قبأى
آلام) أي نعم (ربك) التي ادخرها الموجد لكما المحسن اليكما (تكذبان) أثبتك النعم بغيرها
مما فوضه اليكم من سائر النعم التي لا تحصى * ولما كان التفكه لا يكمل حسنه الا مع النعم من
طيب القرش وغيره قال تعالى مخبراً عن هؤلاء الذين يخافون مقام ربهم (متكئين) أي لهم
ما ذكر حال الاتكاء والعامل في الحال محذوف أي يتنعمون متكئين (على فرش) وعظمتها
بقوله تعالى مخاطباً للمكلفين بما يحتمل عقوبتهم والافليس في الجنة ما يشبهه على الحقيقة شئ من
الدنيا (بطانتهما من استبرق) وهو ما غلظ من الديساج قال ابن مسعود وأبو هريرة اذا كانت
البطائن التي تلي الارض هكذا غلظت بالظاهرة وقيل لسعيد بن جبيرة البطائن من استبرق فما
الظواهر قال هذا مما قال الله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين وقال ابن عباس انما
وصف لكم بطائنهم تمدى اليه قلوبكم فأما الظواهر فلا يعلمها الا الله تعالى وتظهر ذلك في الجنة
قوله تعالى عرضها السموات والارض وأما الطول فلا يعلمه الا الله عز وجل لكن قال القرطبي
وفي الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ظواهرها نوريت لا وقيل الظواهر من السندس
وعن الحسن البطائن هي الظواهر وهو قول القراء وروى عن قتادة والعرب تقول للبطن ظهراً
فيقولون هذا بطن السماء وظهر الارض وقال القراء قد تكون البطانة الظاهرة والظاهرة
البطانة لأن كل واحد منهما ما يكون وجهها والعرب تقول هذا ظهر السماء وهذا بطن السماء
لظواهرها الذي نراه وأتكرار بن قتيبة وغيره هذا وقالوا لا يكون هذا الا في الوجهين المتساويين
اذا ولي كل واحد منهما قوم كالحائط بينك وبين قوم وعلى أديم السماء وقال ابن عباس وصف
البطائن وترك الظواهر لانه ليس في الارض أحد يعرف ماء الظواهر * (تنبيه) * قال الرازي
الاستبرق معرب وهو الديساج الخفي أي وهذا ومثله لا يخرج القرآن عن كونه عربياً لان العربي
ما نطق به العرب وضعا واستعمالاً من لغة غيرهما وذلك كله سهل عليهم وبه يحصل الاعجاز
بخلاف ما لم يستعملوه من كلام الجعم اصعب عليه وذكر الاتكاء لانه حال الصبح الفارغ
القلب المتنسم البدن بخلاف المريض والمهموم (وجنى الجنة) أي غرها (دان) أي قريب قال
ابن عباس تدنو الشجرة حتى يجنيها ولي الله تعالى ان شاء فأتاها وان شاء فاعدا وان شاء مضطجعا
وقال قتادة لا يرديه بعد ولا شوك قال الرازي جنة الآخرة مخالفة لجنة الدنيا من ثلاثة أوجه
أحدها أن الثمرة على رأس الشجر في الدنيا بعيدة على الانسان المتكئ وفي الجنة هو متكئ
والثمرة تتدلى اليه وثانيها ان الانسان في الدنيا يسعى الى الثمرة ويحرك اليها في الآخرة هي
تدنو اليهم وتدور عليهم وثالثها أن الانسان في الدنيا اذا قرب من ثمرة شجرة بعد عن غيرها وغادر

الجنة كلها تدنو اليهم في وقت واحد ومكان واحد (قبأى آلام) أى نعم (ربك) أى المربي
 لكما الذى يقدر على كل ما يريد (تكذبان) أمن قدرته على عطف الاغصان وتقريب الثمار
 أم من غيرها ولما كان ما ذكر لا تتم نعمته الا بالتسوان الحسان قال تعالى (فبين) أى الجنان
 التى علم مما مضى ان لكل فرد من الخائفين منها جنتين فصح الجمع وقال الزمخشري فيهن في هذه
 الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والقرش والجنى أوفى الجنتين لاشتمالهما على
 أماكن وقصور ومجالس ٥٨ قال أبو حيان وفيه أى الاول بعد لان الاستعمال أن يقال على
 الفراش كذا ولا يقال فى الفراش كذا الابتكاف ولذلك جمع الزمخشري مع القرش غيرها حتى
 صح له ان يقول ذلك وقيل يعود على الجنتين لان أقل الجمع اثنان وقال الفراء كل موضع فى الجنة
 جنة فلذلك صح ان يقال فيهن (قاصرات الطرف) أى الاعين على أزواجهن المتكئين من
 الانس والجن قال الرازى وقوله قاصرات الطرف أى نساء أو أزواج فحذف الموصوف لئلا يكتفى
 وهى أنه تعالى لم يذكرهن باسم الجنس وهو النساء بل بالصفات فقال تعالى حور عين كواكب
 أزواج قاصرات الطرف حور مقصورات ولم يقل نساء عربا ولا نساء قاصرات لوجهين اما على عادة
 العظماء كبنات الملوك انما يذكرن بأوصافهن واما لانهن لما يمكن كانهن خرجن عن جنسهن
 وقوله تعالى قاصرات الطرف يدل على عفتهن وعلى حسن المؤمنين فى أعينهن فيجب أن أزواجهن
 حبا شديد يشغلن عن النظر الى غيرهم قال ابن زيد تقول لزوجها وعزة ربي ما أرى فى الجنة
 أحسن منك فالحمد لله الذى جعلك زوجي وجعلنى زوجك ويدل أيضا على الحياة لان الطرف
 حركة الجفن والحياة لا تحترق جفنها ولا ترفع رأسها * (تنبيه) انظر الى حسن هذا الترتيب فانه
 تعالى بين أولا المسكن وهو الجنة ثم بين ما يتزده وهو البستان والاعين الجارية ثم ذكر الماكول
 فقال تعالى فيهما من كل فاكهة ثم ذكر موضع الراحة بعد الاكل وهو الفراش ثم ذكر ما يكون
 فى الفراش معه ولما كان الاختصاص بالشئ من أعظم المميزات لاسيما المرأة قال تعالى
 (لم يعطهن) أى لم يجامعهن ويتسلط عليهن يقال طمشت المرأة كضرب وفرح حاضت وطمشتها
 الرجل اقتضاها وأيضا جامعها (انس قبلهم) أى المتكئين (ولاجان) فكأنه قال هن أبكار
 لم يجالطن أحد فأتى هذا جمع كل من يمكن منه جماع وفى ذلك دليل على أن الجنى يغشى كما يغشى
 الانسى ويدخل الجنة ويككون لهم فيها جنتان قال ضمرة لاه مؤمنين منهم أزواج من الحور
 فالانسيات للانس والجنيات للجن وقال مقاتل لانهن خلقن فى الجنة فعلى قوله يكونون من
 حور الجنة وقال الشعبي من نساء الدنيا لم يمسهن منذ أنشئن خلق وهو قول الكلبي أى
 لم يجامعهن فى هذا الخلق الذى أنشئن فيه انس ولا جان وأما فى الدنيا فقال مجاهد اذا جامع
 الرجل ولم يسم ينطوى الجنى على احمل له فيجامع معه وقال القرطبي لم يعطهن لم يصبهن
 بالجماع قبل أزواجهن أحد وهذا شامل لنساء الجنة ونساء الدنيا بعد انشائهن خلقا جديدا
 وقرأ الكسائي يعطهن بضم الميم فى الموضعين بخلاف عنه وتخييرا فى أحدهما وهما لغتان يقال
 طمشتها بضمها ويعطمتها اذا جامعها (قبأى آلام) أى نعم (ربك) المدبر مصالحكم (تكذبان)

أى بأى نوع من أنواع هذا الاحسان أم غيره (كأنهن الباقوت) أى صفاء والمرجان
 أى اللؤلؤ بياض الباقوت جوهر نفيس يقال أن النار لا تؤثر فيه والمرجان صغار اللؤلؤ وأشده
 بياضا وقيل شبه لونهن بياض اللؤلؤ مع حرة الباقوت لأن أحسن الألوان البياض المشرب
 بحمرة قال ابن الخازن والاصح أنه شبههن بالباقوت لصفائه فإنه حجر لو أدخلت فيه سلكا ثم
 استضاءه لرأيت السلك من ظاهره لصفائه قال عمرو بن عيمون إن المرأة من الحور العين لتلبس
 سبعين حلة فيرى مخ ساقها من وراء الحلال كما يرى الشراب الأحمر من الزجاج البياض يدل على
 صحة ذلك ما روى عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن المرأة من نساء أهل
 الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة حتى يرى مخها وذلك لأن الله تعالى يقول كأنهن
 الباقوت والمرجان فأما الباقوت فإنه حجر لو أدخلت فيه سلكا ثم استضاءه لرأيت من ورائه وعن
 أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول زمرة تلج الجنة صورهم على صورة القمر
 ليلة البدر زاد في رواية ثم الذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء اضاءه لا يصفقون فيها
 ولا يخطون ولا يتغيطون آتيتهم الذهب والفضة وأمشاطهم الذهب وجماميرهم اللؤلؤ أى
 بخورهم العود ورشحهم المسك ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقها من وراء الحلة من
 الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباعد في تلويحهم على قلب رجل واحد (فبأى الآء) أى نعم (ربك)
 أى المالك الملك المرئى بيدائع الترية (تكذبان) أى بما جعله مثلا لما ذكر من وصفهن أم غيره
 (هل جزاء الاحسان) أى بالطاعة من الانس والجن وغيرهما (الا الاحسان) أى بالثواب
 وقال ابن عباس هل جزاء من قال لا اله الا الله وعمل بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم الا الجنة
 وعن أنس بن مالك قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هل جزاء الاحسان الا الاحسان ثم قال
 أتدرون ما قال ربكم قالوا الله ورسوله اعلم قال يقول هل جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد
 الا الجنة وروى الواحدى بغير سند عن ابن عمر وابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 قال في هذه الآية يقول الله عز وجل هل جزاء من أنعمت عليه بمعرفتي وتوحيدي الا أن أسكنه
 جنتي وحظيرة قدسى برحمتي (فبأى الآء) أى نعم (ربك) الكريم الرحيم الجامع لاوصاف الكمال
 (تكذبان) أى بشئ من هذه النعم الجزيلة أم غيرها (ومن دونهما) أى من أدنى مكان ورتبة تحت
 جنتي هؤلاء المحسنين المقربين (جنات) أى لكل واحد من هؤلاء المحسنين من الخائفين وهم
 أصحاب اليمين وقال أبو موسى الأشعري جنات من ذهب للسابقين وجنة من فضة للتابعين
 وقال ابن جرير هي أربع جنات جنات للمقربين السابقين فيهما من كل قاكهة زوجان وجنة من
 لأصحاب اليمين والتابعين فيهما قاكهة ونخل ورومان وقال الكشاف ومن دونهما أى أمامهما
 وقبلهما يدل عليه قول الضحاك الجنة الأولى من ذهب وفضة والاخرى من ياقوت وعلى
 هذا فهما أفضل من الأولين والى هذا القول ذهب أبو عبد الله الترمذى الحكيم فى نوادر
 الاصول وقال ومعنى ومن دونهما جنتان أى دون هذا الى العرش أى أقرب وأدنى الى العرش
 وقال مقاتل الجنة ان الأولى جنة عدن وجنة التعيم والاخرى جنة الفردوس وجنة المأوى

(فبأى آلاء) أى نعم (ربك) أى المحسن بنعمه لجميع خلقه (تكذبان) أبشئ مما تفضل به عليكم أم بغيره ثم وصف تلك الجنة بقوله تعالى (مدهامتان) قال ابن عباس رضى الله عنهما خضراوان وقال مجاهد سوداوان لأن الخضرة إذا اشتدت تضرب إلى السواد وهذا مشاهد بالنظر ولذلك قالوا سواد العراق لكثرة شجره وزرعه والأرض إذا خضرت غاية الخضرة تضرب إلى سواد قال الرازي والتحقيق فيه أن ابتداء الألوان هو البياض وانتهاءها هو السواد فإن الأبيض يقبل كل لون والأسود لا يقبل شيأ من الألوان (فبأى آلاء) أى نعم (ربك) أى المحسن اليك بالرزق وغيره (تكذبان) أبشئ من تلك النعم أم بغيرها ثم وصف تلك الجنة أيضا بقوله تعالى (فيها ما) أى فى جنتى كل شخص منهم (عينان نضاختان) قال ابن عباس أى فوارتان بالماء والنضح بانخلاء المعجزة أكثر من النضح بالماء المهمة لأن النضح بالمهمة الرشح والرش والمعجزة فواران الماء وقال مجاهد المعنى نضاختان بالخير والبركة وعن ابن مسعود تنضح على أولياء الله تعالى بالسك والكاפור والعنبر فى دور أهل الجنة كما ينضح رشح المطر وقال سعيد بن جبيرة أنواع الفواكه والماء (فبأى آلاء) أى نعم (ربك) المربى البليغ الحكمة فى التربية (تكذبان) أبتلك النعمة أم بغيرها ثم وصف الجنة أيضا بقوله تعالى (فيها ما فاكهة) وخص أشرفها وأكثرها وجدانا فى الخريف والشتاء كما فى جنات الدنيا التى جعلت مثالا للهايين بقوله تعالى (وتخلل ورمان) فإن كلامهم ما فاكهة وادام فلهذا خصا تنسرها وتنبها على ما فيها من التفكه وأولها ما أعظم نفعا وأعجب خلقا ولذا قدمه فعضفه ما على الفاكهة من باب ذكر الخاص بعد العام تفصيله كقوله تعالى وملائكته ورسوله وجبريل وميكال وقوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وقال بعض العلماء ليس ذلك من الفاكهة ولهذا قال أبو حنيفة إذا حلف لا يأكل الفاكهة فأكل رطباً أو رماناً لم يحنث وخالفه صاحباه وقال القرطبي وقيل إنما كررها لأن النخل والرمان كانا عندهم فى ذلك الوقت بمنزلة البرعمة لأن النخل عامة قوتهم والرمان كالتمرات فكان يكثر غرسه عندهم لحاجتهم اليه وكانت الفواكه عندهم من ألوان الثمار التى يعجبون بها فأنما ذكر الفاكهة ثم ذكر النخل والرمان لعمومها وكثرتهما عندهم من المدينة إلى مكة إلى ما والاها من أرض اليمن فأخرجهم من ذلك من الفواكه وأفرد الفواكه على حديثها وقيل أفردا بالذكر لأن النخل ثمرة فاكهة وطعام والرمان فاكهة ودواء فلم يخلصا للتفكه قال البغوي وعن ابن عباس قال نخل الجنة جذوعها مزدة أخضر وورقها ذهب أحمر وسعفها كسوة أهل الجنة منها مقطعاتهم وحللهم وثمرها أمثال القلال والدلاء أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وألين من الربدليس له عجم وروى أن الرمان من رمان الجنة مل جلد البعير المقتب وقيل إن نخل الجنة نضيد وثمرها كالقلال كلما نضت عادت مكانها أخرى العنقود منها اثنا عشر ذراعا (فبأى آلاء) أى نعم (ربك) المحسن إلى الثقلين بجليل التربية (تكذبان) أبتلك النعم أم بغيرها مما أحسن به اليكم (فيهن) أى الجنان الأربع أو الجنة وقصورها (خيرات حسان) أى نساء الواحدة خيرة على معنى ذوات خير وقيل خيرات بمعنى خيرات تحفف كهين ولين روى الحسن عن أمه عن

أم سلمة قالت قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله أخبرني عن قوله تعالى خيرات
 حسان قال خيرات الاختلاق حسان الوجوه وقال أبو صالح لأنهن عذارى ابكار قال الحكيم
 الترمذي فالخيرة ما اختارهن الله تعالى فأبدع خلقهن باختياره فاختار الله تعالى لابسببه
 اختياره لا آدميين فوصفهن بالحسن فاذا وصف الله تبارك وتعالى خالق الحسن شيئا بالحسن
 فانظر ما هنالك وقال الرازي في باطنهن الخير وفي ظاهرهن الحسن (فبأي الآدمية أي نعم ربك)
 أي الكامل الاحسان اليك (تكذبان) أبنعمة ما جعل لكم من القوا كد أم غيرها ثم زاد
 في وصفهن بقوله تعالى (حور) جمع حوراء وهي الشديدة سواد العين الشديدة بياضها
 (مقصورات) والمقصورات المحبوسات المستورات (في الخيام) وهي الخجال فلسن بالطوافات
 في الطرق قاله ابن عباس والنساء تمتدح بملازمتن البيوت كما قال قيس بن الاسبغ
 وتكسل عن جيرانهم فيزرنها * وتعتل من ابتائهن فتعذر
 ويقال امرأته مقصورة وقصيرة وقصورة بمعنى واحد قال كثير عزة

وأنت التي حببت كل قصيرة * التي ولم يعلم بذلك القصائر

عنيت قصيرات الخجال ولم أرد * قصار الخطاشر النساء البخائر

والخيام جمع خيمة وهي أربعة أعواد تنصب وتسقف بشئ من نبات الارض وجعلها خيم كثيرة وقمر
 وتجمع الخيم على خيام فهو جمع الجمع واما ما يتخذ من شعر أو وبر أو نحوه فيقاله خيام وقد يطلق
 عليه خيمة تجوزا وقال امر الخيمة درة مجوفة وقاله ابن عباس قال وهي فرسخ في فرسخ لهما أربعة
 آلاف مصراع من ذهب وفي الحديث ان في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة عرضها ستون ميلا في
 كل زاوية منها أهل ما يرون الآخر ينطوف عليهم المؤمنون وقال أبو عبد الله الحكيم
 الترمذي قال بلغنا أن محابة أمطرت من العرش نخلق أي الحور العين من قطرات الرحمة ثم
 ضرب على كل واحدة خيمة انصعدت الخيمة عن باب ما علم ولي الله أن أباصار الخلقين من الملائكة
 والخدم لم تأخذها فهي مقصورة قد قصرها الله عن أباصار الخلقين وقال مجاهد معناه قصر
 اطرافهن وأنفسهن على أزواجهن فلا يغيبن بديلا وقال صلى الله عليه وسلم لو أن امرأة من نساء
 أهل الجنة اطلعت على أهل الارض لاضاعت ما بينهما والملائكة ما بينهما ربحا ونصفها على
 رأسيها خير من الدنيا وما فيها * (قائلة) * اختلقوا أنما أكثر حسنا وأتم جمالا الحور أم الآدميات
 فقيل الحور لما ذكر في وصفهن في القرآن والسنة ولقوله صلى الله عليه وسلم في دعائه في صلاة
 الجنائزة وأبدله زوجا خيرا من زوجته وقيل الآدميات أفضل من الحور العين بسبعين ألف
 ضعف روى ذلك مرفوعا وقيل ان الحور العين المذكورة في القرآن هن المؤمنات من
 أزواج النبيين والمؤمنين يخلقن في الآخرة على أحسن صورة قاله الحسن البصري قال ابن
 عادل والمشهور ان الحور العين لسن من نساء أهل الدنيا انما هن مخلوقات في الجنة لأن الله
 تعالى قال لم يطعمهن انس قبلهم ولا جان وأكثر نساء أهل الدنيا طمونات اه لكن مرآة

لم يطعمهن بعد انشاءهن خلقا آخر وعلى هذا الدليل في ذلك (قبأى آلام) أى نعم (ربك) الذى
 سوركم فأحسن صوركم (تكذبان) أبهذه النعم أم بغيرها (لم يطعمهن أنفس قبلهم ولا جان) كحور
 الجنة الاولين وضميرهم في قبلهم لأصحاب الجنة (قبأى آلام) أى نعم (ربك) الذى جعل
 لكم في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (تكذبان) أبهذه النعم أم
 بغيرها (متكئين) أى لهم ما ذكره حالة الاتكاء والعامل في الحال محذوف أى ينعمون متكئين
 (على رفوف) أى ثياب فاعمة وفرش رقيقة النسج من الديباج لينة ووسائد عظيمة ورياض باهرة
 وبسطها أطراف فاضلة وهو جمع رفرفة لأن الله تعالى وصفه بالجمع بقوله (خضر) ووصفه بذلك
 لأن الخضره أحسن الألوان وأجملها وقال الجوهرى هو ثياب خضر تتخذ منها المحاسن
 الواحدة رفرفة واشتقاقه من رف الطائر أى ارتفع في الهواء ورفرف بجناحيه إذا نشرهما
 للطيران وقيل الرفرف طرف القسطاط والنجاء الواقع على الارض دون الاطناب والواتاد
 وفي الخبر في وفاة النبي صلى الله عليه وسلم فرفع الرفرف فرأى شأ وجهه كأنه ورقة أى رفع طرف
 القسطاط وقال الحليم الترمذى في نوادر الاصول الرفرف أعظم خطر من الفرس فذكر
 في الاولين متكئين على فرش بطائنهم استبرق وقال هنا متكئين على رفرف خضر فالرفرف
 هو مستقر الولي على شئ إذا استوى عليه الولي رفرف به أى طاربه حينما يريد كالمرجاح وروى
 في حديث المعراج أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغ سدره المنتهى جاءه الرفرف فتناوله
 من جبريل وطاربه الى سدة العرش فذكر أنه قال طاربه يحقضى ويرفعنى حتى وقف بى على ربي
 أى في محل تنزلت رجة ربي ثم لما جاء الانصراف تناوله نظاربه خفضا ورفعا يهوى به حتى أداه
 الى جبريل عليه السلام فالرفرف خادم من الخدم بين يدي الله تعالى له خواص الامور من الدنو
 والقرب كما أن البراق دابة تركها الانبياء عليهم السلام مخصوصة بذلك وهذا الرفرف الذى سخر
 لاهل الجنة الدائنين هو متكوهما وفرشهما يرفرف بالولي على حافات تلك الانهار حيث يشاء
 الى خيام أزواجه وقوله تعالى (وعبقرى) منسوب الى عبقر تزعم العرب انه اسم بلد الجن
 فينسبون اليه كل شئ عجيب قال في القاموس عبقر موضع كثير الجن وقرية تياهم فى غابة الحسن
 والعبقرى الكامل من كل شئ وقال الخليل هو كل جليل نفيس فاخر من الرجال وغيرهم
 وقال قطرب ليس هو من المنسوب بل هو منزلة كرمى وبغنى اه والمراد به الجنس ولذلك قال
 تعالى (حسان) جماع على المعنى أى هى فى غاية من كمال الصنعة وحسن المنظر لا توصف
 (قبأى آلام) أى نعم (ربك) المحسن الواحد الذى لا يحسن غيره ولا احسان الا منه (تكذبان)
 أبشئ من هذه النعم أم بغيرها ولما دل ما ذكر في هذه السورة من النعم على احاطة بسدعها
 بأوصاف السكال وختتم نعم الدنيا بقوله تعالى ويحيى وجهه بذكر الجلال والاکرام وفيه اشارة
 الى ان الباقي هو الله تعالى وأن الدنيا فانية ختم نعم الآخرة بقوله عز من قائل (تبارك) قال
 ابن برجان تنافل من البركة ولا يكاد يذكره الا عند أمر محبوب اه ومعناه ثبت ثباتنا
 لاتسع العقول وصفه ولما كان تعظيم الاسم أبغى في تعظيم المسمى قال تعالى (اسم ربك)

أى المحسن اليك بانزال هذا القرآن الذى جبلك على متابعته فصرت مظهره وصار خلقك
فصار احسانه اليك فوق الوصف وقيل لفظ اسم زائد وجرى عليه الجلال المحلى والاول اولى
(ذى الجلال) أى العظمة الباهرة (والاكرام) قال القرطبي كانه يريد به الاسم الذى افتتح به
السورة فقال الرحمن فافتتح بهذا الاسم فوصف خلق الانسان والجن وخلق السموات
والارض وصنعه وانه تعالى كل يوم هو فى شان ووصف تدبيره فيهم ثم وصف يوم القيامة وأهلها
وصفة النار ثم ختمها بصفة الجنان ثم قال فى آخر الصفة تبارك اسم ربك ذى الجلال والاكرام
أى هذا الاسم الذى افتتح به هذه السورة كانه يعلمهم ان هذا كله خرج لكم من رحمتي فمن رحمتي
خلقتكم وخلق لكم السماء والارض والخلقة والجنة والنار فهذا كله لكم من اسم
الرحمن فبدح اسمه فقال تعالى تبارك اسم ربك ذى الجلال والاكرام أى جليل فى ذاته كريم
فى أفعاله وقرأ ابن عامر بالواو رفعا صفة للاسم والباقيون بالياء خفضا صفة لرب فانه هو
الموصوف بذلك روى الثعلبي عن علي أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لكل
شيء عروس وعروس القرآن سورة الرحمن جل ذكره ومارواه البيضاوى تبعه اللزخشرى من أنه
صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الرحمن أدى شكر ما أنعم الله عليه حديثه وموضوع

﴿سورة الواقعة مكية﴾

فى قول الحسن وعكرمة وجابر وعطاء وقال ابن عباس وقتادة الآية منها نزلت بالمدينة وهى
قوله تعالى وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون وقال الكلبي مكية الأربعة آيات منها آيتان
أفهما الحديث أنتم مدهنون وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون نزلتا فى سفره الى مكة وقوله تعالى
ثمة من الأولين وثمة من الآخريين نزلتا فى سفره الى المدينة وقدمنا أن فى المدنى والمكي
اصطلاحين وان المشهور أن المكي ما نزل قبل الهجرة والمدنى ما نزل بعدها وهى ست وتسعون
آية قال الجلال المحلى وهى ست أو سبع أو تسع وتسعون آية اه وثلاثمائة وثمان وتسعون كلمة
وآلف وسبع مائة وثلاثة أحرف

(بسم الله) الذى له الكمال كله فقاوت بين الناس فى الاحوال (الرحمن) الذى عم بنعمة البيان
وفاضل فى قبولها بين أهل الادبار وأهل الاقبال (الرحيم) الذى قرب أهل حربه ففازوا بمحاسن
الاقوال والافعال ولما قسم سبحانه الناس فى تلك السورة الى ثلاثة أصناف مجرمين وسابقين
ولاحقين شرح أحوالهم فى هذه السورة وبين الوقت الذى يظهر فيه أكرامه وانتقامه بقوله
تعالى (أذا وقعت الواقعة) أى التى لا بد من وقوعها ولا واقع يستحق أن يسمى الواقعة بلام
الكمال وتاء المبالغة غيرها وهى النفخة الثانية التى يكون عنها البعث الأكبر الذى هو القيامة
الجامعة لجميع الخلق فسميت واقعة لتحقيق وقوعها وقيل لكثرة ما يقع فيها من الشدائد
وانتصاب اذا جحدوف مثل اذكر أو كان كبت وكبت وقال الجرجاني اذا صله كقوله تعالى
اقتربت الساعة وأنى أمر الله وهو كما يقال جاء الصوم أى ذنا وقرب وقوله تعالى (ليس لوقتها

كاذبة) مصدر بمعنى الكذب والعرب قد تضع الفاعل والمفعول موضع المصدر كقوله تعالى لا يسمع فيها الاغنية أى لغو والمعنى ليس لها كذب قاله الكسائى أو صفة والموصوف محذوف أى ليس لوقعتها حال كاذبة أى كل من يخبر عن وقوعها صادق أو نفس كاذبة بأن تنفيها كما نفى في الدنيا وقال الزجاج ليس لوقعتها كاذبة أى لا يردها شئ وقيل إن قيامها جسد لا هزل وقوله تعالى (خافضة رافعة) تقرير لعظمتها وهو خير لم يتد محذوف أى هي قال عكرمة ومقاتل خففت الصوت فأسمعت من دنا ورفع الصوت فأسمعت من نأى يعنى أسمعت القريب والبعيد وعن السدى خففت المتكبرين ورفعت المستضعفين وقال قتادة خففت أقواما في عذاب الله تعالى ورفعت أقواما إلى طاعة الله تعالى وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه خففت أعداء الله تعالى في النار ورفعت أولياء الله تعالى في الجنة وقال ابن عطاء خففت قوم ما بالعدل ورفعت آخرين بالفضل ولا مانع أن كل ذلك موجود فيها والرفع والخفض يستعملان عند العرب في المكان والمكانة والعز والاهانة ونسب سبحانه وتعالى الخفض والرفع إلى القسامة توسعا وبجاء على عادة العرب في إضافتها الفعل إلى المحل والزمان وغيرهما لا يمكن منه الفعل يقولون ليل قائم ونهار صائم وفي التنزيل بل مكر الليل والنهار والخافض والرافع في الحقيقة هو الله تعالى واللام في قوله تعالى لوقعتها أمّا التعليل أى لا تكذب نفس في ذلك اليوم لشدة وقوعتها وأما التعدية كقولك ليس لزيد ضارب فيكون التقدير اذا وقعت الواقعة ليس لوقعته أمر يوجد لها كاذب اذا أخبر عنه قال الرازى وعلى هذا لا تكون ليس عاملة في اذا وهو بمعنى ليس لها كاذب (اذا رجت الارض) أى كلها على سعتها وثقلها بأيسر أمر (رجا) أى حركت تحريكاً شديداً بحيث ينهدم ما فوقها من بناء وجبل قال بعض المفسرين ترجيح كما يرجع الصبي في المهبد حتى ينهدم ما عليه أو ينكسر كل شئ عليها من الجبال وغيرها والرجوحة الاضطراب وارجح البحر وغيره اضطرب وفي الحديث من ركب البحر حين يريج فلازمة له يعنى اذا اضطربت أمواجه والظرف متعلق بخافضة أو بدل من اذا وقعت * ولما ذكر حركتها المزبحة أتبعها غايتها بقوله تعالى (وبست الجبال بسا) أى فتت حتى صارت كالسويق الملتوت من بس السويق اذا التمه قال ابن عباس ومجاهد كما ليس الدقيق أى يلت والبسيسة السويق أو الدقيق يلت بالسمن أو الزيت ثم يؤكل ولا يطبخ وقد يفتد زاد أقوال الرازي

لا تخسبر أخيرا وبسا بسا * ولا تظلبا غنا حيسا

أوسعت وسيرت من بس الغنم اذا ساقها وبست الابل وأبست الغنم اذا زحزحتها وقلت بس بس قاله أبو زيد وقال الحسن بست قلت من أصلها فذهبت ونظيرها ينسفها ربي نسفا وقال عطية نبطت بالرمل والتراب (فكانت) أى بسبب ذلك (هباء) أى غبارا هو في غاية الانسحاق والى شدة لطافته أشار بصفته فقال تعالى (منبأ) أى منتشر امتقر فأنفسه من غير حاجة إلى هواء يفرقه فهو كالذي يرى في شعاع الشمس اذا دخل من كوة وعن ابن عباس هو ما تطاير من النار اذا أضرمت يطير منها شرر فاذا وقع لم يكن شياً (وكنتم) أى قسمتم بما كان في جبالكم

وطبائعهم في الدنيا (أزواجاً) أي أصفاً (ثلاثة) كل صنف يشاكل ما هو منه كإيشا كل الزوج
الزوجة قال البيضاوي وكل صنف يكون أو يذ كرمع صنف آخر زوج ثم بين من هم بقوله تعالى
(فأصحاب الميمنة) وهم الذين يؤتون كتبهم بإيمانهم مبتدأ وقوله تعالى (ما) استفهام فيه تعظيم
مبتدأ ثان وقوله تعالى (أصحاب الميمنة) خبر المبتدأ الثاني وبالجملة خبر الأول وتكرر بالمبتدأ هنا
بلفظه مغن عن الضمير ومثله الحاققة ما الحاققة القارعة ما القارعة ولا يكون ذلك إلا في مواضع
التعظيم * ولما ذكر الناجين بقسمهم أتبعهم اخدادهم بقوله تعالى (وأصحاب المشأمة)
أي الشمال وهم الذين يؤتون كتبهم بشمائلهم وقوله تعالى (ما أصحاب المشأمة) تحقير لشأنهم
بدخولهم النار وقال السدي أصحاب الميمنة هم الذين يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة وأصحاب
المشأمة هم الذين يؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار والمشأمة الميسرة وكذا الشأمة والعرب
تقول لبيد الشمال الشؤى والجانب الشمال الأشأم وكذلك يقال لما جاء عن اليمين اليمين
ولما جاء عن الشمال الشؤم قال البغوي ومنه سمي الشأم واليمين لأن اليمين عن يمين الكعبة
والشأم عن شمالها وقال ابن عباس رضى الله عنهما أصحاب الميمنة هم الذين كانوا عن
يمين آدم حين أخرجت الذرية من صلبه فقال الله تعالى لهم هؤلاء في الجنة ولأبأى وقال زيد بن
أسلم هم الذين أخذوا من شق آدم الأيمن وقال ابن جرير أصحاب الميمنة هم أصحاب الحسنة
وأصحاب المشأمة هم أصحاب السيئات وفي صحيح مسلم من حديث الأسراء عن أبي ذر عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال فلما علونا السماء الدنيا فإذا رجل عن يمينه أسودة وعن يساره أسودة
قال فإذا نظر قبل يمينه ضحك وإذا نظر قبل شماله بكى قال فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن
الصالح قال قلت يا جبريل من هذا قال آدم عليه السلام وهذه الأسودة عن يمينه وعن شماله نسف
بنيه فاهل اليمين أهل الجنة والأسودة التي عن شماله أهل النار وذكر الحديث وقال المبردا أصحاب
الميمنة أصحاب التقدم وأصحاب المشأمة أصحاب التأخر والعرب تقول اجعلني في يمينك ولا
تجعلني في شمالك أي اجعلني من المتقدمين ولا تجعلني من المتأخرين * (تنبيه) * الفاء في قوله
تعالى فأصحاب تدل على التقسيم وبيان ما ورد عليه التقسيم كأنه قال أزواجاً ثلاثة أصحاب الميمنة
وأصحاب المشأمة والسابقون ثم بين حال كل قسم فقال فأما أصحاب الميمنة وترك التقسيم أولاً
واكتفى بما يدل عليه بأن ذكر الأقسام الثلاثة مع أحوالها (فان قيل) ما الحكمة في اختيار
لفظ المشأمة في مقابلة الميمنة مع أنه قال في بيان أحوالهم وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال
(أجيب) بأن اليمين وضع للجانب المعروف واستعملوا منه الفاعل في مواضع فقالوا هذا ميمنون
تيمناه ووضعوا مقابلة اليمين اليسار من الشيء اليسار إشارة إلى ضعفه واستعملوا منه أفعالاً
تشابهاً به فذكر المشأمة في مقابلة الميمنة وذكر الشمال في مقابلة اليمين فاستعمل كل لفظ مع مقابلة
ولما ذكر تعالى القسمين وكان كل منهم ما قسمين ذكر أعلى أهل القسم الأول ترغيباً في حسن حالهم
ولم يقسم أهل المشأمة ترهيباً في سوء حالهم فقال تعالى (والسابقون) أي إلى أعمال الطاعة مبتدأ
وقوله تعالى (السابقون) تأكيده عن المهدوي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال السابقون الذين

اذا أعطوا الحق قبلوه واذا سئلوه بذلوه وحكموا للناس بحكمهم لانفسهم وقال محمد بن كعب
 القرظي هم الانبياء عليهم السلام وقال الحسن وقتادة السابقون الى الايمان من كل أمة وقال
 محمد بن سيرين هم الذين صلوا الى القبلتين قال تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار
 وقال مجاهد والضعفاء هم السابقون الى الجهاد وأول الناس رواحا الى الصلاة وقال علي بن أبي
 طالب رضى الله عنه هم السابقون الى الصلوات الخمس وقال سعيد بن جبيرة الى التوبة وأعمال
 البر قال تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم ثم أثنى عليهم فقال تعالى أولئك يسارعون في الخيرات
 وهم لها سابقون وقال ابن عباس رضى الله عنهما هم أربعة منهم سابق أمة موسى عليه السلام
 وهو حزقيل مؤمن آل فرعون وسابق أمة عيسى عليه السلام وهو حبيب النجار صاحب انطاكية
 وسابقا أمة محمد صلى الله عليه وسلم وهما أبو بكر وعمر رضى الله عنهما وقال سميط بن عجلان الناس
 ثلاثة رجل ابتكر الخير في حياته سنة ثم داوم عليه حتى خرج من الدنيا فهذا هو السابق المقرب
 ورجل ابتكر عمره بالذنوب ثم طاول العقلة ثم رجع توبته حتى ختم له بها فهذا من أصحاب اليمين
 ورجل ابتكر عمره بالذنوب ثم لم يزل عليها حتى ختم له بها فهذا من أصحاب الشمال وروى عن كعب
 قال هم أهل القرآن المتوجون يوم القيامة وقيل هم أول الناس رواحا الى المسجد وأولهم
 خروجا في سبيل الله وخبر المبتدأ (أولئك) أى العالو الرتبة جدا (المقربون) أى الذين قربت
 درجاتهم في الجنة من العرش وأعليت مراتبهم واصطفاهم الله تعالى للسبق فأرادهم لقربه ولولا
 فضله في تقريهم لم يكونوا سابقين قال الرازي فى اللوامع المقربون تخلصوا من نفوسهم وأعمالهم
 كلها لله تعالى ديناً وديناماً حق الله تعالى وحق الناس وكلاهما ما عندهم حق الله تعالى والدنيا
 عندهم آخرتهم لانهم يراقبون ما يبدولهم من ملكونه فيستلقونه بالرضا والاعتقاد وهم صنفان
 صنف قلوبهم فى جلاله وعظمته هائلة قدم ملكتهم هيئته فالحق يستعملهم فى وصف آخر قد أرنى
 من عنائه والامر عليه أسهل لانه قد جاوز قلبه هذه الخطه ومحلها على فهو أمين الله تعالى فى أرضه
 فيكون عليه أوسع اه ثم بين تقريه اهلهم بقوله تعالى (فى جنات النعيم) أى الذى لا كدر فيه بوجه
 ولا منغص ولما ذكر السابقين فصلهم بقوله تعالى (ثلة) أى جماعة وقيد هذا بالخشري بالكثيرة
 وأنشد وجاءت اليهم ثلة خندفية * تحبش كيدار من السيل مر بد

قال ابن عادل ولم يقيد ما غيره بل صرح بانهم الجماعة قلت أو كثرت ثم قال والكثرة التى فهمها
 الرخشري قد تكون من السياق اه لكن قال البغوى والثلة جماعة غير محصورة العدد (من
 الاولين) أى من الامم السابقة من لدن آدم الى محمد صلى الله عليه وسلم من النبيين عليهم السلام
 ومن آمن بهم (وقليل من الآخرين) وهم من آمن بعهد صلى الله عليه وسلم فقد كان الانبياء
 عليهم السلام مائة ألف ونيفاً وعشرين ألفاً وكان من خرج مع موسى عليه السلام من مصر وهو
 مؤمن به من الرجال المقاتلين مئى هو فوق العشرين ودون الثمانين ستمائة ألف فما ظنك بمن
 عداهم من الشيوخ ومن دون العشرين من البالغين والصبيان ومن النساء فكيف بمن عدا
 من سائر النبيين عليهم السلام المجتدين من بنى اسرائيل وغيرهم قال البيضاوى ولا يخالف ذلك

قوله عليه الصلاة والسلام أمتي يكثر من سائر الأمم بل وازن يكون سابقا لأمم أكثر من
سابق هذه الأمة وتابع هذه الأمة أكثر من تابعهم قيل لما نزلت هذه الآية شق على اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم فنزلت ثلثة من الاولين وثلثة من الآخرين فقال النبي صلى الله عليه وسلم اني
لا رجو أن تكونوا ربيع أهل الجنة بل نصف أهل الجنة وتقاسمونيهم في النصف الثاني رواه ابو هريرة
رضي الله عنه ذكره الماوردي وغيره ومعناه ثابت في صحيح مسلم من حديث عبد الله بن مسعود
وكانه اراد أن منسوخة قال الرازي وهذا في غاية الضعف لان هذه أمة محمد صلى الله عليه وسلم
كان في ذلك الزمان بل الى آخر الزمان بالنسبة الى ماضى في غاية القلة والمراد بالاولين الانبياء
وبكار اصحابهم وهم اذا اجتمعوا كانوا أكثر من السابقين من هذه الأمة ولان هذا خير والخير لا
ينسخ وقال الحسن سابقون مضي أكثر من سابقين فلذا قال تعالى وقيل من الآخرين وقال
في اصحاب البين وهم سوى السابقين ثلثة من الاولين وثلثة من الآخرين ولذا قال صلى الله عليه
وسلم اني لا رجو أن تكون أمتي شطرا أهل الجنة ثم ثلثة من الاولين وثلثة من الآخرين
وروى الطبراني أن الثلثة والقليل كلاهما من هذه الأمة فتكون الصحابة كلهم من هذه الأمة
وكذا من تبعهم باحسان الى رأس القرن الثالث وهم لا يحصيهم الا الله تعالى ومن المعلوم أنه
تناقص الامر بعد ذلك الى أن صار السابق في الناس أقل من القليل رجوع الاسلام الى الحال
التي بدا عليها من الغربة بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوفى للبراء أي وهم الذين
اذا فسد الناس صلحوا كما فسر به النبي صلى الله عليه وسلم ذلك وقال أبو بكر كلا الثلثين من أمة
محمد صلى الله عليه وسلم فمنهم من هو في أول أمتهم ومنهم من هو في آخرها وهو مثل قوله تعالى فمنهم
ظالم لنفسه ومنهم مقصد ومنهم سابق بالخيرات وقيل المراد بالاولين الذين آمنوا وعملوا
الصالحات والآخرين ذرياتهم المحقون بهم في قوله تعالى واتبعناهم ذرياتهم بإيمان ألقناهم
ذرياتهم واشتقاني الثلثة وهي مبتدأ من الثل وهو القطع والخير (على سرر) جمع سرر وهو ما يجعل
للإنسان من المقاعد العالية المصنوعة للراحة والكرامة (موضونة) قال ابن عباس رضي
الله عنهما منسوجة بالذهب وقال عكرمة مشبكة بالدر والياقوت وعن ابن عباس رضي
الله عنهما أيضا موضونة أي مصفوفة لقوله تعالى في موضع آخر على سرر مصفوفة وقيل مفسوجة
يقضبان الذهب مشبكة بالدر والياقوت والموضونة المنسوجة وأصله من وضفت الشيء أي
ركبت بعضه على بعض ومنه قيل للدرع موضونة لتركب حلقتها قال الاعشى
ومن نسج داود موضونة * تسير مع الحى غير افعيرا
ومنه أيضا وضين الناقة وهو حزامها التراكب طاقاته قال عمر رضي الله عنه وهو ما رواد محسر
اليك تعدو قلقا وضينها * معترضا في بطنها جنيها
* مخالفادين النصارى دينها *

رواه البيهقي ومعناه ان ناقتي تعدو اليك مسرعة في طاعتك قلقا وضينها وهو جسر الخزام من
كثرة السير والاقبال التام والاجتهاد البالغ في طاعتك والمراد صاحب المذقة فيسحق للمار

نوادى محسراً أن يقول هذا الكلام الذى قاله عمر رضى الله تعالى عنه ولماذا كرتعالى السرورين
عظمتهاذ كرهنايتافقال سبحانه (متكئين عليها) أى السرور على الجنب أو غيره كحال من يكون على
كرسي فيوضع تحته شئ آخر للإتكاء عليه (متقابلين) فلا ينظر بعضهم الى قنابعض وقال مجاهد
وغيره هذا فى المؤمن وزوجته وأهله أى يتكئون متقابلين قال الكلبي طول كل سرير ثلثمائة
ذراع فاذا أراد العبد أن يجلس عليها تواضعت فاذا جلس عليها ارتفعت وقيل انهم صاروا أرواحا
نورانية صافية ليس لهم أديار ولا ظهور * (تنبيه) * متكئين عليها متقابلين حالان من الضمير فى
على سرور ويجوز أن تكون حالاً متداخلة فيكون متقابلين حالان ضمير متكئين ثم بين تعالى أنهم
فى غاية الراحة بقوله تعالى (يعطون عليهم) أى لكفاية كل ما يحتاجون اليه (ولدان) أى على
أحسن صورة وزى وهىة (مخلدون) قد حكم الله تعالى ببقائهم على ما هم عليه من الهىة على
شكل الاولاد قال الحسن والكلبي لا يهرمون ولا يتغيرون ومنه قول امرئ القيس

وهل ينعمن الا سعيداً ومخلداً * قليل الهموم ما يبيت بأوجال

وقال سعيد بن جبير مخلدون معزطون يقال للقرط الخلد والقرط ما يجعل فى الاذن من الخلق
وقيل مقرطون أى منطوقون من المناطق والمنطقة ما يجعل فى الوسط أو كثر المفسرين انهم على
سن واحد أنشأهم الله تعالى لاهل الجنة يطوفون عليهم نشوا من غير ولادة فيه الان الجنة لا ولادة
فيها وقال على بن أبى طالب والحسن البصرى رضى الله عنهم الولدان ههنا ولدان المسلمين الذين
يعتقون مغاراً ولا حسنة لهم ولا سيئة وقال سلمان الفارسي أطفال المشركين هم خدم أهل الجنة
قال الحسن لم تكن لهم حسنة ولا سيئة يجازون بها ولا سيئات يعاقبون عليها فوضعوا هذا الموضع
والمقصود أن أهل الجنة على أتم السرور والنعمه وقوله تعالى (بأ كواب) متعلق بيطوفون
والا كواب جمع كوب وهى كيزان مستديرة الافواه بلا عرى ولا خراطيم لا يعوق الشارب منها
عائق عن شرب من أى موضع أراد منها فلا يحتاج أن يحول الاناء عن الحالة التى تسالها بها
ليشرب وقوله تعالى (وأباريق) جمع ابريق وهى أوان لها عرى وخراطيم فيها من أنواع المشارب
ما تشتهى النفس وتلذذ العين سعى بذلك ليريق لونه من صفائه (وكأس) أى اناه شراب الخمر (من
معين) أى خمر صافية صفاء الماء ليس يتكلف عصرها جارية من منبع لا ينقطع أبداً (فان قيل)
كيف جمع الاكواب والاباريق وأفراد الكأس (أجيب) بأن ذلك على عادة أهل الشرب فانهم
بعدون الخمر فى أوان كثيرة ويشربون بكأس واحد وفيها عبا يشتم لاهل الدنيا من حيث انهم
يطوفون بالا كواب والاباريق ولا تشغل عليهم بخلاف أهل الدنيا (لا يصعدون عنها) أى بسببها
قال الزمخشري وحقيقته لا يصدر صداعهم عنها والصداع هو الداء المعروف الذى يلحق الانسان
فى رأسه والخمر تؤثر فيه قال علقمة بن عبدمة فى وصف الخمر

تشنى الصداع ولا يؤذيها صالتها * ولا يخالطها فى الرأس تدويم

قال أبو حيان هذه صفة خمر الجنة كذا قال الى الشيخ أبو جعفر من الزبير والمعنى لا تصدع رؤسهم
من شربها فهى لذة بلا أذى بخلاف خمر الدنيا (وقيل) لا يتقرقون عنها (ولا ينزفون) أى تذهب

يعقولهم بوجه من الوجوه أى يغفر شرابهم من نزفت البئر اذا نزع ماؤها كله وقرأ عاصم وحزرة
 والكسائي بكسر الزاي والباقون بفتحها (وقا كمة مما يتخيرون) أى يختارون ما يشتهون من
 الفواكه لكثرة ما وقيل المعنى وقا كمة متخيرة مرضية والتخير الاختيار (ولهم طير عما
 يشتهون) أى يتنون قال ابن عباس رضى الله عنهما ما يخطر على قلبه لحم الطير فيصير عثلا بين يديه
 على ما شتهى ويقال انه يقع على صحيفة الرجل فبأكل منه ما يشتهى ثم يطير فيذهب (فان قيل)
 ما الحكمة فى تخصيص الفا كمة بالتخير واللحم بالاشتواء (أجيب) بأن اللحم والفا كمة اذا
 حضرا عند الجائع تميل نفسه الى اللحم واذا حضر عند الشبعان تميل نفسه الى الفا كمة فالجائع
 مشته والشبعان غير مشته بل هو مختار وأهل الجنة انما يأكلون لامن جوع بل للتفكه فبما لهم
 للفا كمة أكثر فتخيرونها ولهذا ذكرت فى مواضع كثيرة فى القرآن بخلاف اللحم واذا اشتواء
 حضر بين يديه على ما يشتهيه فتميل نفسه اليه اذنى ميل ولهذا قدم الفا كمة على اللحم (فان
 قيل) الفا كمة واللحم لا يطوف بهما الولدان والعطف يقتضى ذلك (أجيب) بأن الفا كمة
 واللحم فى الدنيا يطلبان فى حال الشرب بخلاف أن يطوف بهما الولدان فينالونهم الفواكه
 الغربية واللحوم العجيبة لالاكل بل للاكرام كما يوضع المكرم للضيف أنواع الفواكه بيده أو
 يكون معطوفا على المعنى فى قوله جنات النعيم أى مقربون فى جنات النعيم وفا كمة ولهم أى
 فى هذا التعميم يتقلبون * ولما لم يكن بعد الاكل والشرب أشهى من النساء قال تعالى (وحور)
 أى نساء شديداً سواد العيون وبياضها (عين) أى خفاف العيون وقرأ حمزة والكسائي بخفض
 الإسمعين عطفا على سررفان النساء فى معنى المتكاملين يسمين فراسا والباقون بالرفع عطفا على
 ولدان (كما مثال الأولو المكون) أى المخزون فى الصدف المصون الذى لم تمسه الايدى ولم تقع
 عليه الشمس والهواء فيكون فى نهاية الصفاء قال البغوى ويرى أنه يسطع نور فى الجنة
 فيقولون ما هذا فيقال ثغر حوراء ضحكك فى وجه زوجها ويرى أن الحوراء اذا امتسبح
 تقديس الخلاخل من ساقها وتجميد الاسورة من ساعديها وأن عقد الباقوت يضل فى شجرها
 وفى رجليها نعلان من ذهب شرابهم ما من لؤلؤ يصران بالتسبيح والمبالغ فى وصف جزائهم بالحسن
 والصفاء دل على أن أعمالهم كانت كذلك لأن الجزاء من جنس العمل فقال تعالى (جزاء) أى
 فعل ذلك لهم لاجل الجزاء (بما كانوا يعملون) أى يجتهدون عمله على جهة الاستمرار قالت المعتزلة
 هذا يدل على أن ايصال الثواب واجب على الله تعالى لأن الجزاء لا يجوز الا لخلال به وأجيبوا
 بأنه لو صح ما ذكره لما كان فى الوعد بهذه الاشياء فائدة لأن العقل اذا حكم بأن ترك الجزاء
 قبيح وعلم بالعقل أن القبيح من الله تعالى لا يوجد علم ان الله تعالى يعطى هذه الاشياء لانها جزاؤه
 وايصال الجزاء واجب فكان لا يصح التذبح به (لا يسمعون فيها الفوا) أى شيئا مما لا يتقنع واللغو
 الساقط (ولانها) أى ما يحصل به الاثم والنسبة الى الاثم بل حركاتهم وسكناتهم كلها فى رضا الله
 تعالى وقال ابن عباس رضى الله عنهما باطلا وكذا قال محمد بن كعب ولانها أى لا يؤثم بعضهم
 بعضها وقال مجاهد لا يسمعون شتما ولا مائما وقوله تعالى (الاقبال) فيه قولان أحدهما أنه

استثناء منقطع وهذا واضح لأنه لم يندرج تحت اللغو وإنما ثبت والثاني أنه متصل وفيه بعد قال
ابن عادل فكان هذا رأى أن الأصل لا يسمعون فيها كلاماً فاندرج عنده فيه * ثم بين تعالى ذلك
بقوله (سلاماً سلاماً) أى قولاً سلاماً قال عطاء يعجب بعضهم بعضاً بالسلام أو تحميمهم الملائكة أو
يحميهم بهم وذلك على دوامه بتكريره فقال تعالى سلاماً فيه إشارة إلى كثرة السلام عليهم ولهذا لم
يكرر في قوله تعالى سلام قولاً من رب رحيم وقال القرطبي السلام الثاني بدل من الأول والمعنى
الاقول لا يسلم فيه من اللغو * ولما بين حال السابقين شرع في بيان حال أصحاب اليمين فقال تعالى
(وأصحاب اليمين) ثم نفهم أمرهم وأعلى مدحهم لتعظيم جزائهم فقال تعالى (ما أصحاب اليمين)
فان قيل ما الحكمة في ذكرهم بلفظ أصحاب الميمنة عند تقسيم الأزواج الثلاثة ولفظ أصحاب اليمين
عند ذكر الانعام (أجيب) بأن ذلك تفنن في العبارة والمعنى واحد (في سدر) أى شجر بنق (مخضود)
أى لا شوك فيه كأنه خضد شوكة أى قطع ونزع منه قال ابن المبارك أخبرنا صفوان عن سليم بن
عامر قال كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقولون اناليفنعا الاعراب ومساثلهم قال أقبل
أعراي يوماً فقال يا رسول الله لقد ذكر الله تعالى في القرآن شجرة وذية وما كنت أرى في الجنة
شجرة تؤذى صاحبها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وماهى قال السدر فان له شوكاً مؤذياً
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأليس يقول سدر مخضود خضض الله شوكة جعل مكان كل
شوكه ثمرة فأنما تنبت ثمرا على اثنين وسبعين لونا من الطعام ما فيه لون يشبه الآخر وقال أبو العالية
والضحاك فظن المسلمون الى وج وهو وادى بالطائف مخضب فأعجبهم سدره فقالوا يا ليت لنا مثل هذا
فنزلت قال أمية بن أبي الصلت يصف الجنة وما فيها

ان الحدائق في الجنان ظليلة * فيها الكواكب سدرها مخضود

قال مجاهد في سدر مخضود هو الموقر جلال الذي تنشئ أغصانه كثرة جلاله من خضض الغصن اذا نشأ
وهو رطب وقال سعيد بن جبيرة ثمرا عظيماً من القلال (وطيح منضود) أى منظوم بالجل من
أعلاه الى أسفله ليست له ساق بارزة متراً كم تتركب بعضه على بعض على ترتيب هو في غاية الإعجاب
والطبع جمع الطلحة قال علي وابن عباس رضي الله عنهم وأكثر القصر من الطلح شجر الموز واحده
طلحة وقال الحسن ليس هو موزاً ولكنه شجرة له ظل بارد رطب وقال الفراء وأبو عبيدة شجرة عظيمة
كثير الشوك والطلح كل شجرة عظيمة له شوك وقال الزجاج هو شجرة أم غيلان قال مجاهد ولسكن ثمراها
أحلى من العسل وقال الزجاج لها نور طيب جداً خوطبوا ووعدها بما يحبون مثله الا ان فضله
على ما في الدنيا كفضل سائر ما في الجنة على ما في الدنيا وقال السدي طلع الجنة يشبه طلع الدنيا لكن
له ثمراً أحلى من العسل وقال مسروق أشجار الجنة من عروقها الى أفنانها نضيدة ثمركه كلها كالت
ثمرة عادمكانهم أحسن منها (وظل مخضود) أى دائم لا يزول ولا تنسخه الشمس لقوله تعالى ألم تر الى
ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكناً لظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس وقيل الظل
ليس ظل أشجار بل ظل تخلفه الله تعالى قال الربيع بن أنس رضي الله عنه يعنى ظل العرش
وقال عمرو بن ميمون رضي الله عنه مسيرة سبعين ألف سنة وقال أبو عبيدة تقول العرب للدهر

الطويل والعمر الطويل والشيء الذي لا ينقطع مدود قال الشاعر

غلب العزاء وكان غير مغلب * دهر طويل دائم مدود

وفي صحيح الترمذي وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها وأقرؤا ان شتم وظل تمدود وفي هذا الحديث رد على من يقول أن الاشجار لا ظل لها وقد سئل السبكي عن الرجل الذي هو آخر أهل الجنة دخولا إذا ترامت له شجرة يقول يا رب أدنى من هذه لاستظل في ظلها الحديث من أي شيء يستظل والشمس قد كورت أجاب بقوله تعالى وظل تمدود وبقوله تعالى هم وأزواجهم في ظلال لا يلهيهم من تكوير الشمس عدم الظل لأنه مخلوق لله تعالى وليس بعدم بل أمر وجودي له نفع باذن الله تعالى في الابدان وغيرها فليس الظل عدم الشمس كما قد يتوهم وروى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى وظل تمدود قال شجرة في الجنة يخرج اليها أهل الجنة فيجتمعون ويشتمى بعضهم لهو الدنيا فيرسل الله تعالى عليهم ريحاً من الجنة فتجوز تلك الشجرة بكل لهو في الدنيا (وما مسكوب) أي جار في منازلهم في غير أخذ ولا حجة يجون فيه إلى جلب ما من الأماكن البعيدة ولا ادلاء في بركا كل البوادي فإن العرب كانت أصحاب بادية وبلاذخاة وكانت الأنهار في بلادهم عزيزة لا يصلون إلى الماء إلا بالذلول والرشاق فوعدهوا في الجنة خلاف ذلك (وفاكهة كثيرة) أي أجناسها وأنواعها وأنخصاصها (لامقطوعة ولا ممنوعة) قال

ابن عباس رضي الله عنهما لا تنقطع إذا جنت ولا تمنع من أحد إذا أراد أخذها وقال بعضهم لا مقطوعة بالازمان ولا ممنوعة بالانغان كما تنقطع أكثر غار الدنيا إذا جاء الشتاء ولا يتوصل إليها إلا بالثمن وقيل لا يمنع من أرادها شول ولا بعد ولا حاط بل إذا استمهاها العبد دنت منه حتى يأخذها قال تعالى قطوفها دانية وجاء في الحديث ما قطع من غار الجنة إلا أبدل الله تعالى مكانه اضعفين * ولما كان التفكه لا يكمل إلا تذذبه الامع الراحة قال تعالى (وفرش مرفوعة) أي رفيعة القدر يقال ثوب رفيع أي عزيز مرفوع القدر والثن بدليل قوله تعالى متكئين على فرش بطائنها من استبرق فكيف ظهراؤها مرفوعة فوق السرر بعضها فوق بعض روى الترمذي عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى وفرش مرفوعة قال ارتقاءها كما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة عام قال حديث غريب وقيل هي كتابة عن النساء كما كنى عنهن باللباس أي ونساء مرفوعات الاقدار في حسنهن وكمالهن والعرب تسمى المرأة فرسا ولباسا على الاستعارة دليل هذا التأويل قوله تعالى (انا) أي بما لنا من العظمة التي لا يتعاطها شيء (أنا أنا نحن) أي الفرش التي معناها النساء من أهل الدنيا بعد الموت بالبعث وزاد في التأكيد فقال تعالى (انشاء) أي خلقا جديدا من غير ولادة بل جمعناهن من التراب كسائر بني آدم ليكونوا كأبيهم آدم عليه السلام في خلقه من تراب لتكون الاعادة كالبداءة ولذلك يكون الكل عند دخول الجنة على شكله عليه السلام وروى النحاس بإسناده أن أم سلمة سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى انا أنشأناهن انشاء فقال هن اللواتي قبضن في الدنيا بما ترسطنها عشا

رمصا جعلهن الله تعالى بعد الكبرأترابا على ميلاد واحد في الاستواء وروى أنس بن مالك رضي
 الله عنه رفعه في قوله تعالى انا أنشأناهن انشاء قال هن المجازر العمى الرمح كن في الدنيا عشا
 رمصا وعن المسيب بن شريك عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى انا أنشأناهن انشاء قال
 هن مجازر الدنيا أنشأهن الله تعالى خلقا جديدا كلها أنهن أزواجهن وجدوهن أبكارا فلما
 سمعت عائشة رضي الله عنها ذلك قالت واوجعاه فقال النبي صلى الله عليه وسلم ليس هناك وجع
 وعن الحسن رضي الله عنه قالت أت عجوزا النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ادع الله
 تعالى أن يدخلني الجنة فقال يا أم فلان ان الجنة لا يدخلها عجوز قال فقلت تبكي فقال أخبروها
 أنها لا تدخلها وهي عجوز ان الله تعالى يقول انا أنشأناهن انشاء (فجعلناهن) أي الفرس
 المنشآت وغيرهن بعظمتنا المحيطة بكل شيء (أبكارا) أي عذارى كلها أنهن أزواجهن وجدوهن
 عذارى ولا وجع وذكر المسيب عن غيره انهن فضلن على الحور العين بصلاتهن في الدنيا وقال
 مقاتل وغيره هن الحور العين أنشأهن الله تعالى لم تقع هلمن الولادة وقوله تعالى (عربا) جمع
 عرب كصبر وصبر وهي الغنجة المحببة الى زوجها وقال الرازي في اللوامع الفطنة جراد الزوج
 كفطنة العرب وقيل الحسناء وقيل المحسنة لكلامها وقال ابن عباس رضي الله عنهما هن
 العواتق وأنشدوا وفي الخباء عرب غير فاحشة * ربا الروادف بعشى دونها البصر
 وقرأ حمزة وشعبة بسكون الراء والباقون بضمها كرسل ورسلف ورس وقرش وقوله تعالى (أترابا)
 جمع تراب وهو المساوى لك في سنك لانه يس جلد هما التراب في وقت واحد وهو أكدر في الاختلاف
 وهو من الاسماء التي لا تعرف بالاضافة لانه في معنى الصفة اذ معناه مساويك ومثله خذك لانه
 بمعنى مصاحبك قال القرطبي سن واحد وهو ثلاث وثلاثون سنة يقال في النساء أتراب وفي
 الرجال أقران وكانت العرب تعيل الى من جاوزت حد الفتى من النساء وانحطت عن الكبر وقال
 مجاهد الاتراب الامثال والاشكال وقال السدي أتراب في الاخلاق لا تبغض فيهن ولا تحاسد
 وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يدخل أهل الجنة الجنة جردا مرد
 بضامجعين أبناء ثلاثين أو قال ثلاثا وثلاثين على خلق آدم عليه السلام ستون ذراعا في سبعة
 أذرع وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال من مات من أهل الجنة من صغير وكبير يردون بنى ثلاثين
 سنة في الجنة لا يزيدون عليها أبدا وكذلك أهل النار وعن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى
 الله عليه وسلم انه قال أدنى أهل الجنة الذي له ثمانون ألف خادم واثنان وسبعون ألف زوجة
 وتنصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت مجاين الجاية وصنعاء ينظر وجهه في خدتها أصنى
 من المرأة وان أدنى لؤلؤة عليهم تافى عما بين المشرق والمغرب وأنه ليكون عليهم سبعون ثوبا
 ينقلها بصرة حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك وعن أبي هريرة رضي الله عنه ان أدنى أهل الجنة
 منزلة وما منهم دنى عن يغدو عليه وروح عشرة آلاف خادم مع كل واحد منهم ظريفة ليست مع
 صاحبه وفي تعلق اللام في قوله تعالى (لاصحاب اليين) وجهان أحدهما انهم متعلقة بأنشأناهن
 أي لأجل أصحاب اليين والثاني انهم متعلقة بأترابا كقولك هذا تراب لهذا أي مساو له ثم بينهم

بقوله تعالى (ثلاثة من الأولين) أي من أصحاب المين (وثلاثة) أي منهم (من الآخرين) فلم يبين
فيهم قلة ولا كثرة قال البقاعي والظاهر أن الآخرين أكثر من وصف الأولين بالكثرة لا ينافي
كون غيرهم أكثر ليقف مع قول النبي صلى الله عليه وسلم أن هذه الأمة ثلثا أهل الجنة فانهم
عشرون ومائة صف هذه الأمة منهم ثمانون صفا وأربعون من سائر الأمم وعن عروة بن ربيع
قال لما نزل قوله تعالى ثلثة من الأولين وقليل من الآخرين بكى عمر وقال يا نبي الله آمنا برسول الله
وصدقناه ومن ينجو منا قليل فأنزل الله تعالى ثلثة من الأولين وثلثة من الآخرين قد عارسل
الله صلى الله عليه وسلم عمر فقال قد أنزل الله تعالى فيما قلت فقال عمر رضينا عن ربنا وتصديق نبينا
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آدم المينا ثلثة ومننا إلى يوم القيامة ثلثة ولا يستنهما الأسود
من رعاة الإبل ممن قال لا إله إلا الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما رفعه قال عرضت على الإمام
لجعل علي النبي معه الرجل والنبي معه الرجلان والنبي معه الرجل والنبي ليس معه أحد ورفع إلى
سواد عظيم فقلت انهم امتي فقبل لي هذا موسى وقومه ولكن انظر إلى الأفق فنظرت فإذا سواد
عظيم فقبل لي هذه امتك ومعهم سبعون الفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب فتفرق الناس
ولم يبين لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ذكر أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا ما نحن
فولدنا في الشرك ولكننا آمنا بالله ورسوله ولكن هؤلاء هم أبناء نافع بن أبي نافع رضي الله عنه وسلم
ذلك فقال هم الذين لا يتطهرون ولا يسترقون ولا يكتفون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة
ابن محصن فقال ادع الله تعالى أن يجعلني منهم فقال أنت منهم ثم قام رجل آخر فقال ادع الله أن
يجعلني منهم فقال سبعة قبلهم عكاشة والرهط دون العشرة وقيل إلى الأربعين وعن عبد الله
ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال عرضت على الأنبياء الدلالة باتباعها حتى أتى علي
موسى في كعبة بنى إسرائيل فلما رأيتهم أعجبوني فقلت أي رب من هؤلاء قبل هو أخوك موسى
ومن معه من بنى إسرائيل قلت يارب وابن امتي قبل انظر عن يمينك فنظرت فإذا ظراب مكة قد
سد بوجوه الرجال فقال هؤلاء امتك أرضيت فقلت رضيت رب قبل انظر عن يسارك فنظرت فإذا
الافق قد سد بوجوه الرجال فقبل هؤلاء امتك أرضيت قلت رب رضيت فقبل ان مع هؤلاء سبعين
الفا يدخلون الجنة لأحساب عليهم فقال صلى الله عليه وسلم ان استطعتم ان تكونوا من السبعين
فكونوا وان عجزتم وقصرتم فكونوا من أهل الظراب فان عجزتم فكونوا من أهل الأفق فأتى قد
رأيت اناسيتهم وشؤون كثيرا وعن عبد الله بن مسعود قال كلمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
في قبة شحوا من أربعين فقال اترضون ان تكونوا ربيع أهل الجنة قلنا نعم قال اترضون ان تكونوا
ثلث أهل الجنة قلنا نعم قال والذي نفسي بيده اني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة وذلك ان
الجنة لا يدخلها الا نفس مسلمة وما أنتم في أهل الشرك الا كالشعيرة البيضاء في جلد الثور الأسود
أو كالشعيرة السوداء في جلد الثور الأحمر وتقدم في الحديث المار أنهم ثلثا أهل الجنة ولا منافاة
لأنه صلى الله عليه وسلم أخبر أولا بالقليل ثم أطلعه الله تعالى على الزيادة ولما أتم وصف أصحاب
الجنة أتبعه اصدادهم بقوله تعالى (وأصحاب الشمال) أي الجهة التي تتشامم العرب بها ويعبرها

عن الشيء الاخص والحظ الانقص قال البقاعي والظاهر أنهم أدنى أصحاب المشأمة كما أن أصحاب
اليمين دون السابقين من أصحاب المينة ثم عظم ذمهم ومصابهم فقال تعالى (مأ أصحاب الشمال)
أي أنهم بحال من الشؤم هو جدير بأن يسأل عنه وسماهم بذلك لأنهم يأخذون كتبهم بشمالهم ثم
بين متقلبهم وما أعد لهم من العذاب فقال تعالى (في سموم) أي ريح حارة من النار تنفذ في المسام
(وجيم) أي ما حار بالغ في الحرارة إلى حد يذيب اللحم (وظل من يحوم) أي دخان أسود
كالحم أي الفحم شديد السواد وقيل النار سوداء وأهلها سود وكل شيء فيها أسود وقيل الجحوم
اسم من أسماء النار قال الرازي وفي الامور الثلاثة إشارة إلى كونهم في العذاب دائماً لأنهم ان
تعرضوا لمهب الهواء أصابهم السموم وان استسكنوا كما يفعل الذي يدفع عن نفسه السموم
بالاستسكان ولكن يكونون في ظل من يحوم وان أرادوا التبريد بالماء من حر السموم يكون الماء
من جيم فلا انفكاك لهم من العذاب أو يقال ان السموم تضربه فيعطش وتلتب نار السموم
في احشائه فيشرب الماء فيقطع أمعاءه فيريد الاستظللال بظل فيكون ذلك الظل الجحوم وذكر
السموم والجيم دون النار تنبيه بالادنى على الاعلى كأنه قال أبرد الاشياء في الدنيا حار عندهم
فكيف أحرها وقوله تعالى (لأبارد) أي ليروح النفس (ولا كريم) أي ليوثس به ويلجأ اليه صفتان
للظل كقوله تعالى من يحوم وقال الضحاك لا يارداى كغيره من الظلال بل حار لانه من دخان
شديد جهنم ولا كريم عذب وقال سعيد بن المسيب ولا حسن منظره وكل شيء لا خير فيه ليس بكريم
فسماد ظل لا ونفى عنه برد الظل وروحه ونفعه من يأوى اليه من أذى الحر وذلك كرمه ليحوى
ما في مدلول الظن من الاسترواح اليه والمعنى انه ظل حار ضار الا ان للنفي في نحو هذا شأن ليس
للإثبات وفيه تميمهم بأصحاب المشأمة وأنهم لم لا يستأهلون الظل البارد الكريم الذي هو
لاضدادهم في الجنة ثم بين استحقاقهم لذلك بقوله تعالى (انهم كانوا) أي في الدنيا (قبل ذلك) أي
الامر العظيم الذي وصلوا اليه (مترفين) أي انهم انما استحقوا هذه العقوبة لأنهم كانوا في الدنيا
في سعة من العيش متمكنين في الشهوات مستمتعين بما متمكنين منها (وكانوا بصرون) أي يقيمون
ويدعون على سبيل التجديد لما لهم من الميل الجبلى الى ذلك (على الخنث) أي الذنب ويعبر
بالخنث عن البلوغ ومنه قولهم لم يبلغوا الخنث وانما قيل ذلك لان الانسان عند بلوغه اليه يؤخذ
بالخنث أي الذنب وتحنث فلان أي جانب الخنث وفي الحديث كان يحنث بغارس أي يتعبد
بجانبه الاثم نحو خرج فتعبد في هذه كلها للسلب ولما كان ذلك قد يكون من الصغار التي تغفر
قال تعالى (العظيم) أي وهو الشرك قاله الحسن والضحاك وقال مجاهد هو الذنب الذي لا يتوبون
منه وقال الشعبي هو اليمين الغموس وهو من الكبائر يقال حنث في يمينه أي لم يبرها ورجع فيها
وكانوا يقسمون ان لا يبعث وان الاصنام ابدا الله تعالى فذلك حنثهم (فان قيل) الترفه هو التمتع
وذلك لا يوجب ذمما (اجيب) بأن الذم انما حصل بقوله تعالى وكانوا يصرون على الخنث العظيم
فان صدور المعاصي عن كثرة النعم عليه أقبح القبائح وفي الآية مبالغت لان قوله تعالى يصرون
يقتضى ان ذلك ما حدثهم والاصرار وداومة المعصية ولان الخنث بالغ من الذنب لان الذنب يطلق

على الصغيرة ويدل على ذلك قولهم بلغ الخنثى أى بلغ مبلغا عظيما فيه الكبرية ووصفه بالعظيم يخرج الصغار فأنهم لا توصف بذلك قال الرازى والحكمة فى ذكره سبب عذابهم ولم يذكر فى أصحاب اليمين سبب نوابهم فلم يقل أنهم كانوا قبل ذلك شاكرين مدعنين وذلك تنبيه على أن الثواب منه فضل والعقاب منه عدل والفضل سواء كرسية أو لم يذكروا ولا يهتم بالفضل نقص وظلم وأما العدل ان لم يعلم سبب العقاب يظن أن هذه الظلمة ويدل على ذلك أنه تعالى لم يقل فى حق أصحاب اليمين جزاء كما كانوا يعملون كما قال فى السابقين لأن أصحاب اليمين نجوا بالفضل العظيم لا بالعمل بخلاف من كثرت حسناته يحسن إطلاق الجزاء فى حقهم (وكانوا) أى زيادة على ما ذكر (يقولون) أى انكارا لمجددين لذلك دائما عندنا (أئذا) أى أتيت أذا (متنا وكنا) أى كوننا متنا (ترايا وعظما) ثم أعادوا الاستفهام تأكيذا لانكارهم فقالوا (أنا لمبعوثون) أى كأن وثابت بعثنا ساعة من الدهر واكدوا ليكون انكارهم لما دون ذلك بطريق الاولى وقرأ قالون أئذا بتحقيق الهمزة الاولى المفتوحة وتسهيل الثانية المكسورة وادخل الف بينهما وكسر الميم من متنا وهمزة واحدة مكسورة فى الساوقرا ورش بتحقيق الاولى وتسهيل الثانية ولا دخل بينهما وكسر الميم متنا وهمزة واحدة مكسورة فى الساوقر مع النقل عن اصله وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالاستفهام فيه ماع تسهيل الثانية الا ان اباعمر ويدخل بينهما الفافيه ما وابن كثير لا يدخل الفافيه وضما ميم متنا (أو بأبونا) أى أوتبعنا أبونا (الاولون) أى الذين قد بدلت مع لحومهم عظامهم فصاروا كلهم ترايا ولا سيما ان حلتهم السيول قد رقت اعضاءهم وذهبت بها إلى الآفاق (فان قيل) كيف حسن العطف على المضمر لمبعوثون من غير تأكيدهم (أجيب) بأنه حسن لفواصل الذى هو الهمزة كما حسن فى قوله تعالى ما اشركا ولا بأبونا الفصل لا المؤكدة للنق وقرأ قالون وابن عامر بسكون الواو من اوو الباقون بفتحها ثم رداه تعالى عليهم قولهم ذلك بقوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم (قل) أى لهؤلاء ولكل من كان مثلهم واكد لانكارهم (ان الاولين) أى الذين جعلتم الاستبعاد فيهم وهم الآباء (والآخرين) وهم الابناء (لجوعون) أى فى المكان الذى يكون فيه الحساب (الى ميقات يوم) أى زمان (معلوم) أى معين عند الله تعالى وهو يوم القيامة اذ هو من شأنه ان يعلم بجماعه من الامارات والميقات ما وقت به الشئ من زمان أو مكان الى حد (ثم انكم) أى بعد هذا الجمع (أبها الضالون) أى الذين غلبت عليهم الغباوة فهم لا يفهمون فضلوا عن الهدى ثم اتبع ذلك ما اوجب الحكم عليهم بالضلال فقال تعالى (المكذبون) بالبعث والخطاب لاهل مكة ومن فى مثل حالهم (لا تكون من شجر من زقوم) وهو من اخشب الشجر المرتبامة ينبت الله تعالى فى الجحيم فهو فى غاية الكراهة وبشاعة المنظر وتن الرائحة وقدمر الكلام على ذلك فى الصفات (تنبيه) * من الاولى لا ابتداء الغاية والثانية لبيان الشجر (فالون) أى ملا هو فى غاية الثبات وأنتم فى غاية الاقبال عليه مع ما هو عليه من عظيم الكراهة (منها) أى الشجر وأشبهه لانه جمع شجرة وهو اسم جنس قال البقاعى وهم بكرهون الاناث فتأنيته والله أعلم بزيادة فى تفسيرهم وقال الرخشى أنت ضمير الشجر على المعنى وذكره على اللفظ فى قوله منها وعليه وهو

الف ونشر مرتب (البطون) أي يضطرهم إلى تناول هذا الكربة حتى غلوا بطونكم منه ثم لما
 بين ما كلهم أتبعه مشربهم فقال تعالى (فشاربون عليه) أي الأكل أو الرقوم (من الحميم) لاجل
 حرارته وحرارته يحتاجون إلى شرب الماء فيشربون من الماء الحار (فشاربون) أي منه (شرب
 الهيم) أي الأبل العلباش وهو جمع هيمان للذكور وهي الذئب كعطشان وعطشى والهيماء
 مغطين تشرب الأبل منه إلى أن تعوث أو تسقم سقما شديدا وقبل أنه جمع هائم وهامة من الهيماء
 أيضا إلا أن جمع فاعل وفاعله على فعل قليل نحو نازل ونزل وعائد وعود وقبل أنه جمع هيام بفتح
 الهاء وهو الرمل غير المتماثل الذي لا يروى من الماء أصلا فيكون مثل سحاب وسحب بضمتين ثم
 خفف باسكان عينه ثم كسرت فاءه لتصح الباء كما فعل بالذئب والمعنى أنه يسلفا عليهم من الجوع
 ما يضطرهم إلى أكل الرقوم الذي هو كالمهل فإذا ملؤا منه البطون سلط عليهم من العطش ما
 يضطرهم إلى شرب الحميم الذي يقطع أمعاهم فيشربون منه شرب الهيم (فان قيل) كيف صح
 عطف الشاربين على الشاربين وهما الذوات متفقة وصفتان متفقتان فكان عطف الشيء على نفسه
 (أجيب) بأنهم مالم يستأبنتهم من حيث أن كونهم شاربين الحميم على ما هو عليه من تناهي
 الحرارة وقطع أمعائهم أمر عجيب فشرهم له على ذلك كما يشرب الهيم الماء أمر عجيب أيضا فكانتا
 صفتين مختلفتين وقرأ نافع وعاصم وحزرة بضم الشين والباقون بقحها (هذا) أي ما ذكر (نزلهم)
 أي ما بعد لهم أول قد ومهم مكان ما بعد للضيف أول حاوله كرامة له (يوم الدين) أي الجزاء الذي
 هو حكمة القيامة وإذا كان هذا نزلهم فاطنك بما يأتي بعد ما استقر وافي الحميم وفي هذا تمكم كافي
 قوله تعالى فيشرهم بعداب أليم فإن النزل ما بعد للنازل تكملة له ثم استدرك على منكرى البعث
 بقوله تعالى (نحن) أي لا غيرنا (خلقناكم) أي بما لنا من العظمة (فالولا) تخصيص أي فهلا
 (تصدقون) أي بالبعث فإن الاعادة أسهل من الابتداء وقيل نحن خلقنا رزقكم فهل تصدقون
 أن هذا اطعامكم إن لم تؤمنوا وامتعلق التصديق بمحذوف تقديره فلو لا تصدقون بخلقنا (أقرأ أئيم)
 أي أخبروني هل رأيتم بالبصر والبصيرة (ما تخبون) أي تصبون من المني في أرحام النساء (أأنتم
 تخلقونه) أي توجدونه مقدرا على ما هو عليه من الاستواء والحكمة بعد خلقه من صورة النطفة
 إلى صورة العلقة ثم من صورة العلقة إلى صورة المضغة ثم منها إلى صورة العظام والأعصاب (أم
 نحن) أي خاصة (الخالقون) أي الثابت لنا ذلك وقرأ أقرأ أئيم في الثلاثة مواضع نافع بتسهيل
 الهمزة التي هي عين الكلمة ولورش وجه ثان وهو أيد الها ألقا وأسقطها الكسائي والباقون
 بالتحقيق وقرأ أأنتم في الثلاثة المواضع نافع وابن كثير وأبو عمرو وهشام بتحقيق الأولى وتسهيل
 الثانية بخلاف عن هشام وأدخل بينهم ألقا فالون وأبو عمرو وهشام ولم يدخل بينهم ما ورش وابن
 كثير ولورش وجه ثان وهو أيد ال الثانية ألقا والباقون بتحقيقهما مع عدم الإدخال بينهم ما ورش
 كان الجواب قطعاً أنت الخالق وحده كذا كذلك بقوله تعالى (نحن) أي بما لنا من العظمة لا غيرنا
 (قد رنا) أي تقدير اعظيما لا يقدر سوا نافع نقض شيء منه (يترككم الموت) أي قسمناه عليكم فلم
 نترك أحداً منكم بغير حصة منه واقتنا موت كل بوقت معين لا يتعداه فقصرنا عن هذا وربما كان

في الاوج من قوة البدن وصحة المزاج فلو اجتمع الخلق كلهم على اطالة عمره ما قدروا ان يؤخروه
 لحظة وأطالنا عمر هذا وربما كان في الحضيض من ضعف البدن واضطراب المزاج فلو عاينوا على
 نقصه طرفة عين لعجزوا وقرأ ابن كثير بخفيف الدال والياقون بالتشديد (وما نحن) أى على
 ما لنا من العظمة (بمسبوقين) أى بالموت أى لا عاجزين ولا مغلوبين (على) أى عن (أن تبدل) أى
 تبديلا عظيما (أمثالكم) أى صوركم وأشخاصكم (وننشئكم) أى انشاء جديدا بعد تبديل ذواتكم
 (في ما لا تعلمون) فان بعضكم تأكله الحيتان أو السباع أو الطيور فننشئ أبدانه منها وبعضهم يصير
 ترابا فربما نشأ منه نبات فأكلته الدواب فنشأت منه أبدانهم أو ربما صار ترابه من معادن الارض
 الذهب والفضة والحديد والنحاس والحجر ونحو ذلك وقد لمح الى ذلك قوله تعالى قل كونوا حجارة أو
 حديدا الى آخرها ويكون المعنى كما قال البغوي نأت بخلق منكم بدلا منكم وتخلقكم فيما لا تعلمون
 من الصور أى بتغيير أو صافكم وصوركم الى صور أخرى بالنسخ ومن قدر على ذلك قدر على الاعادة
 وقال الطبري معنى الآية نحن قدرنا ينسبكم الموت على أن تبدل أمثالكم بعد موتكم بأخرين
 من جنسكم وما نحن بمسبوقين في آجالكم أى لا يتقدم متأخرو ولا يتأخر متقدمون وننشئكم فيما
 لا تعلمون من الصور والهيئات قال الحسن أى نجعلكم فردة وخنازير كما فعلنا بأقوام قبلكم وقيل
 المعنى ننشئكم في البعث على غير صوركم في الدنيا فيجمل المؤمن بياض وجهه وتقع الكفاير
 بسواد وجهه * (فائدة) * في ما مقطوعة في الرسم (ولقد علمت النشأة الاولى) أى الترابية لا يكم
 آدم عليه السلام واللحمية لا تمك حواء رضى الله عنها والنطقية لكم وكل منها تحويل من شئ
 الى آخر غيره فما الذى شاهدتم قدوته على ذلك لا يقدر على تحويلكم بعد أن تصيروا ترابا
 الى ما كنتم عليه أو لامن الصور ولهذا سبب عما تقدم قوله تعالى (قلولا) أى فهلا
 ولم لا (تذكرون) أى تذكر اعظيما تذكرون أنفسكم عليه فعملون أن من قدر على النشأة
 الاولى قدر على الثانية فانها أقل ضعفا لحصول المواد وتخصيص الاجزاء وسبق المثال
 وفيه دليل على صحة القياس وفي الخبر عجا كل العجب للممكذب بالنشأة الآخرة وهو يرى
 النشأة الاولى وعجا للمصدق بالنشأة الآخرة وهو يسعى لدار الغرور وقرأ ابن كثير وأبو عمرو
 النشأة بفتح الشين وبعدها ألف قبل الهمزة والياقون بسكونها ولا ألف بعدها فاذا وقف جزء
 نقل حركة الهمزة الى الشين وخفف ذال تذكر جزء والكسائي وحفص وشدها والياقون
 ثم ذكر لهم حجة أخرى بقوله تعالى (أفأرايتم) أى أخبروني هل رأيتم بالبصر والبصيرة ما نبهناكم
 عليه فيما تقدم فتسبب عن تنبيهكم لذلك انكم رأيتم (ما تحزنون) أى تجذدون حزنه على
 الاستمرار من أراضيتكم قطرحون فيه البذر (أنتم ترزعونوه) أى تنشئونه بعد طرحكم
 وتجعلونه زراعا فيكون فيه السنبل والحب (أم نحن) خاصة (الزارعون) أى المنتهون له
 والحافظون روى أنه عليه الصلاة والسلام قال لا يقولن أحدكم زرعت وليقل حرثت
 قال أبو هريرة رأيتم الى قوله تعالى أفأرايتم الآية * ولما كان الجواب قطعاً أنت الفاعل لذلك
 وحده قال تعالى موضعاً لانه ما زرعه غيره (لونشاء) أى لو عاينناكم بصفة العظمة

(جعلناه) أي تلك العظمة (حطاما) أي مكسورا مقتتلا لاجب فيه قبل النبات حتى لا يقبل
الطروج أو بعده يرد مفرط أو حرمه لك أو غير ذلك فلا يتفجع به (فقلتم) أي فأقم بسبب
ذلك نهارا في وقت الاشغال العظيمة وتركتم ما بهمكم (تفكهون) حذف منه إحدى
التي في الأصل تحقيق أي تعجبون مما نزل بكم في زرعكم وقيل تندون على ما سلف
منكم من المعاصي التي أوجبت تلك العقوبة قال الزنجشري ومنه الحديث مثل العالم كمثل
الحية يأتيها البعدها ويتركها القرباء فينبأهم إذا غار ماؤها فالتفجع بها قوم يتفكهون
أي يتنبهون وقال الكسائي التفكه التلهف على ما فات من الاضداد تقول العرب تفككت
أي تعمت وتفككت أي حنت وتقولون (انالمغرمون) بحذف القول ومعنى الغرم
ذهاب المال بغير عوض من الغرام وهو الهلاك ومن مجي الغرام بمعنى الهلاك قول القائل
ان يعذب يكن غراما وان يع* طجر يلافانه لا يبالى

وقال ابن عباس الغرام العذاب أي عذبوا به ذهاب أموالهم والمعنى ان غرما الحب الذي
بذره فذهب بغير عوض ومن الغرام بمعنى العذاب قول القائل

وثقت بأن الحلم منك سقيمة * وأن فؤادي مبتلى بك مغرم

وقرأ شعبة أثمانهم مزة مقموحة بعد هاهمة مكسورة على الاستفهام والباقيون به مزة واحدة
مكسورة على الخبر (بل نحن) أي خاصة (محرومون) أي ممنوعون رزقا حرمانا من لا يرد
قضاؤه فلا حظ لنا في الاكتساب فلو كان الزارع ممن له حظ لا فلع زرعته ثم ذكر تعالى لهم حجة
أخرى بقوله تعالى (أفرايتم الماء) أي أخبروني هل رأيتم بالبصر والبصيرة ما نهنا عليه فيما
مضى من المطعم وغيره فرايتم الماء (الذي تشربون) فتحيوا به أنفسكم وتسكنوا به عطشكم
ذكرهم بنعمه التي أنعم بها عليهم بأنزال المطر الذي لا يقدر عليه أحد الا الله عز وجل
(أنتم أنزلتموه من المزن) أي السحاب وهو اسم جنس واحدة مزنة قال القائل

فلا مزنة ودقت ودقها * ولا أرض أبقل ابقالها

وعن ابن عباس والثوري المزن السماء والسحاب وقال أبو زيد المزنة السحابة البيضاء أي
خاصة وهي أعذب ماء والجمع مزن والمزنة المطرة (أم نحن) أي خاصة (المتزلون) أي له بما لنا
من العظمة (لأنشاء) أي حال انزاله وبعده قبل أن يتفجع به (جعلناه) أي بما تقتضيه صفة
العظمة (أجابا) أي ملجأ محرقا كانه في الاحشاء لهيب النار المؤجج فلا يبرد عطشا ولا ينبت
نبعا يتفجع به وقال ابن عادل الاجاج المالح الشديد الملوحة (فلولا) أي فهلا ولم لا (تشكرون)
أي تجتذون الشكر على سبيل الاستمرار باستعمال ما أفادكم ذلك من القوى في طاعة الله الذي
أوجده لكم ومكتكم منه ثم ذكر تعالى لهم حجة أخرى بقوله تعالى (أفرايتم النار) أي أخبروني
هل رأيتم بالبصر والبصيرة ما تقدم فرايتم النار (التي تورون) أي تخرجون من الشجر الأخضر
(أنتم أنشأتم) أي اخترعتم وأوجدتم وأحيتم وربيتهم ورفعتهم (شجرتها) أي التي يقدر منها
النار وهي المرخ والعفار وما شجران يقدر منهما النار وهما رطبتان وقيل أراد جميع

الشجر الذي توقد به النار (أم نحن) أى خاصة وأكذب قوله تعالى (المنشؤون) أى لها بالنا
 من العظمة على تلك الهيئة فن قدر على إيجاد النار التي هي أيسر ما يكون في الشجر الأخضر
 مع ما فيه من المائية المضادة لها. كان أقدر على إعادة الطراوة في تراب الجسد الذي كان غضا
 طريا فليس * ولما كان الجواب قطعاً أنت وحدك قال تعالى دالاً على ذلك تنبيهاً على عظم هذا
 الخبر (نحن) أى خاصة (جعلناها) أى لما اقتضته عظمتنا (تذكرة) أى شيئاً يذكر به تذكرة
 عظيم جلاله كما أخبرنا به من البعث وعذاب النار الكبرى وما ينشأ فيها من شجرة الزقوم
 وغير ذلك وقيل موعظة يتعظم بها المؤمن وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله
 عليه وسلم قال ناركم التي توقدون جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم قالوا والله إن كانت لكافية
 يا رسول الله قال فأنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً كلها مثلها مثل حرقها (ومتاعاً) أى بركة
 ومنفعة (للمقوين) أى المسافرين والمقوي النازل في أرض القوا بالكسر والقصر والمدة
 وهي القفر البعيدة من العمران والمعنى أنه يتنفع بها أهل البوادي والأسفار فإن منفعتهن بها
 أكثر من المقيم فأنهم يوقدون بها بالليل لتهرب السباع ويهتدى الضال إلى غير ذلك من المنافع وقال
 مجاهد للمقوين أى المستقيمين بها من الناس أجمعين يستضيئون بهم في الظلمة ويصطلون بها من
 البرد ويتنفعون بها في الطبخ والخبز إلى غير ذلك من المنافع ويذكر بها نار جهنم فيستحجروا بالله
 تعالى منها وقال ابن زيد للجائعين في إصلاح طعامهم يقال أقويت منذ كذا وكذا أى ما أكلت
 شيئاً قال الشاعر وإنى لا اختار القوى طاوى الحشى * محافظة من أن يقال للثيم
 وقال قطرب المقوى من الاضداد يقال للفقير مقوئاً وهو من المال ويقال للغنى مقوئاً وقوته على
 ما يريد والمعنى فيها متاعاً ومنفعة للفقراء والأغنياء لا غنى لأحد عنها وقال المهدوي الآية
 تصلح للجميع لأن النار يحتاج إليها المسافر والمقيم والغنى والفقير * ولما ذكر تعالى ما يدل على
 وجوب وحدانيته وقدرته وانعامه على سائر الخلق خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم وأكل أحد
 من الناس بقوله تعالى (فسج) أى أوقع التنزيه العظيم من كل شائبة نقص من ترك البعث
 وغيره ولا سيما بعد بلوغ هذه الأدلة (باسم) أى ملتبساً به كاسم (ربك) أى المحسن اليك
 بهذا البيان الأعظم * (فائدة) * أثبتوا ألف الوصل هنا في اسم ربك لأنه لم يكثر دوره كثرته
 في البسملة وحذفوه منها الكثرة دورها وهم شأنهم الإيجاز وتقليل الكثير إذا عرف معناه وهذا
 معروف لا يجهل وإثبات ما أثبت من اشكاله مما لا يكثر دليل على الحذف منه ولذا لا تحذف
 مع غير الباء في اسم الله ولا مع الباء في غير الجلالة الكبرى من الأسماء وقد أوضحت ذلك
 في مقدمة على البسملة والجدلة * ولما كان المقام للعظمة قال الله تعالى (العظيم) أى الذي
 ملاء الأكوان كلها عظمة فلا شيء منها الا وهو علم بعظمته تنزيهاً عن أن يلحقه شائبة نقص
 أو يقوته شيء من كماله العظيم ضفة للاسم أو الرب والاسم قيل بمعنى الذات وقيل زائد أى فسج
 ربك واختلف في لافى قوله تعالى (فلا أقسم) فقال أكثر المفسرين معناه فاقسم ولا أصله
 مؤكدة بدليل قوله تعالى بعد ذلك وأنه لقسم ومثلها في قوله تعالى لئلا يعلم أهل الكتاب والقدير

ليعلم وقال بعضهم انما اخرفني وان المنفي بها محذوف وهو كلام الكافر الجاهل والتقدير
 فلا حجة بما يقوله الكافر ثم ابتدأ قسما بما ذكر وضعف هذا بأن فيه حذف اسم لا وخبرها قال
 أبو حيان ولا ينبغي فان القائل بذلك مثل سعيد بن جبير تليد حبر القرآن وهو عبد الله
 ابن عباس ويعد أن يقوله سعيد الابتوقيف وقال بعضهم انما لام الابتداء والاصل فلا قسم
 فأشعب الفحمة فتولد منها ألف كقول بعضهم أعوذ بالله من العقرب قال الزمخشري ولا يصح
 أن تكون اللام لام القسم لامر من أحدهما أن حققا أن تقرر بها النون المؤكدة والاخلال
 به اضعيف قبيح والثاني ان لا فعلان في جواب القسم للاستقبال وفعل القسم يجب أن يكون
 للحال واختلاف أيضا في معنى قوله عز وجل (عواقع النجوم) فقال أكثر المفسرين بمساقطها
 لغروبها قال الزمخشري ولعل الله تعالى في آخر الليل اذا انحطت النجوم الى المغرب أفعالا
 عظيمة مخصوصة وللملائكة عبادات موصوفة أولانه وقت قيام المجتهدين والمبتدئين اليه من
 عباد الصالحين ونزول الرحمة والرضوان عليهم فلذلك أقسم بمواقعها واستعظم ذلك بقوله تعالى
 (وانه لقسم لو تعلمون عظيم) وقال عطاء بن رباح أراد بمواقعها منازلها قال الزمخشري
 وله في ذلك من الدليل على عظيم القدرة والحكمة ما لا يحيط به الوصف وقال الحسن مواقعا
 انكسارها وانتثارها يوم القيامة وقال ابن عباس والسدى المراد بنجوم القرآن أي أوقات
 نزولها وقال الضحائي الانواء التي كانت الجاهلية تقول اذا مطر وامطر نابوء كذا
 وقال القشيري هو قسم والله أن يقسم بما يريد وليس لنا أن نقسم بغير الله تعالى وصفاته القديمة
 (فان قيل) لو تعلمون جوابه ماذا أجيب بأنه مقدرة تقديره لعظمته وهى لو كنتم من ذوى العلم
 لعلمتم عظم هذا القسم ولكنكم ما علمتموه فعلم أنكم لا تعلمون وقرأ بموقع حمزة والكسائي
 بسكون الواو ولا ألف بعدها والباتون بفتح الواو وألف بعدها وقوله تعالى (انه) أي القرآن
 الذى أفهمته النجوم بعوم افهامها (القرآن) أى جامع سهل ذو أنواع جليلة (كريم)
 أى بالغ الكرم منزّه عن كل شائبة لؤم ودناءة هو المقسم عليه وفى الكلام اعتراض أحدهما
 الاعتراض بقوله تعالى (انه لقسم) والمقسم عليه والثاني الاعتراض بقوله تعالى
 لو تعلمون بين الصفة والموصوف * (تنبيه) * من كرم هذا القرآن العظيم كونه من الملك
 الاعلى الى خير الخلق بسفارة روح القدس مستقلا على أصول العلوم المهمة فى اصلاح المعاش
 والمعاد وبلسان العرب الذين اتفقت على الفرق على أن لسانهم أفصح الاسن وعلى وجه
 أعجز العرب كافة وبقيمة الخلق أجمعين واختلف فى معنى قوله تعالى (فى كتاب) أى مكتوب
 (مكنون) أى مصون فالذى عليه الاكثر أنه المصحف سمي قرآنا لقرب الجوار على الاتساع
 ولأن النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن يسافر بالقرآن الى أرض العدو وأراد به المصحف وقوله
 تعالى (لا يمسه) خبر بمعنى النهى ولو كان باقيا على خبريه لم يزم منه الخلف لأن غير المطهر يمسّه
 وخبر الله تعالى لا يقع فيه خلف لأن المراد بقوله تعالى (الامطهرون) لا المحدثون وهو قول
 عطاء وطاوس وسالم والقاسم وأكثر أهل العلم وبه قال مالك والشافعي رضى الله عنهما وقال

ابن عادل والصحيح ان المراد بالكتاب المصحف الذي بأيدينا لما روى مالك وغيره ان كتاب عمرو
 ابن حزم لا يمس القرآن الا طاهر وقال ابن عمر قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تمس القرآن
 الا وانت طاهر وقالت أخت لعمر عند اسلامه وقد دخل عليها ودعاها بالمصحف لا يمسسه
 الا المطهرون فقام فاعتسل وأسلم وعلى هذا قال قتادة وغيره معناه لا يمسسه الا المطهرون من
 الاحداث والافجاس انتهى وقال ابن عباس مكنون محفوظ عن الباقل والكتاب
 هنا كتاب في السماء وقال جابر هو اللوح المحفوظ أى لقوله تعالى بل هو قرآن مجيد في لوح
 محفوظ وقال عكرمة التوراة والانجيل فيه ما ذكر القرآن وقال السدي الزبور وقيل
 لا من لا يمس نافية والضمة في لا يمس ضمة اعراب وعلى هذا ففي الجملة وجهان أحدهما
 ان محلها الجزء لكتاب والمراد به اما اللوح المحفوظ والمطهرون حينئذ الملائكة والمراد به
 المصحف والمراد بالمطهرون الملائكة كلهم والثاني محلها رفع صفة لقرآن والمراد بالمطهرين
 الملائكة فقط أى لا يطلع عليه لان نسبة المس الى المعاني متعذرة وقيل انها نافية والفعل
 بعدها مجزوم لانه لو فُت عن الادغام لظهر ذلك فيه كقوله تعالى لم يمسهم سوء ولكنه
 أدغم ولما أدغم حرك بالضم لاجل هاء ضمير المذكر الغائب وفي الحديث ان لم يزد عليه
 لا تاحرم بضم الدال وان كان القياس يقتضى جواز فتحها تخفيفا وبهذا ظهر فساد
 رد من ردى بأن هذا لو كان نهيما كان يقال لا يمس بالفتح لانه خفي عليه جواز ضم ما قبل الهاء
 في هذا التحويل لا يجوز سيبويه غيره * واختلفوا في المس المذكور في الآية فقال أنس وسعيد
 ابن جبير لا يمس ذلك الا المطهرون من الذنوب وهم الملائكة وقال أبو العباس وابن زيد
 هم الذين طهروا من الذنوب كالرسل من الملائكة والرسل من بني آدم وقال الكلبي هم السفرة
 الكرام البررة وهذا كله قول واحد وهو اختيار مالك وقال الحسن هم الملائكة الموصوفون
 في سورة عبس في قوله تعالى صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بأيدي سفرة كرام بررة وقيل معنى
 لا يمس لا ينزل به الا المطهرون أى الا الرسل من الملائكة على الرسل من الانبياء ولا يمس اللوح
 المحفوظ الذى هو الكتاب المكنون الا الملائكة المطهرون ولو كان المراد طهر الحدث
 لقال المتطهرون أو المطهرون بتشديد الطاء ومن قال بالاول قال المطهرون يعنى المتطهرون
 * (تنبيه) * اختلف العلماء في مس المصحف وحمله على غير وضوء فالجمهور على المنع من مسه على
 غير طهارة لحديث عمرو بن حزم وهو مذهب علي وابن مسعود وسعد بن أبي وقاص وسعيد
 ابن زيد وعطاء والزهرى والنخعي والحكم وجاد وجماعة من الفقهاء منهم مالك والشافعي
 وأما الحل فلانه أبلغ من المس سواء حمله بعلاقته أم في كنهه أم على رأسه وسواء مس نفس الاسطر
 أم ما بينها أم الحواشي أم الجلد أم العلاقة أم الخريطة أم الصندوق اذا كان المصحف فيهما
 وسواء مس بأعضاء الوضوء أم بغيرها وقال جماعة بجواز مسه وحمله واحتجوا بأن النبي صلى
 الله عليه وسلم كتب الى هرقل كتابا فيه قرآن وهرقل محدث يمسسه هو وأصحابه وبأن الصبيان
 يحملون الألواح محدثين بلا انكار وبأنه اذا لم تحرم القراءة فالجل والمس أولى وبأنه يجوز حمله

في أمتعة وأجيب عن الأول بأن ذلك الكتاب كان فيه آيات ولا يسنى مصحفا ولا مافي معناه
 وبأنه لو كان كتابا قد تضمن مع القرآن دعاء الى الاسلام فلم يكن القرآن بانقراده مقصودا لحاز
 تغليب المقصود فيه وعن الثاني بأنه أبيع للصبيان للضرورة لانهم غير مكلفين وعن الثالث بأن
 القراءة أبيعحت للحاجة وعسر الوضوء لها كل وقت وبأن الانسليم الاولوية المذكورة بدليل أن
 الكافر لا يمنع من القراءة وينع من حمل المصحف ومسه وعن الرابع بأن جواز حمل المصحف
 في الامتعة محله اذ لم يكن المصحف مقصودا بالحمل وقال آخرون بحرمة المس دون الحمل
 واحتجوا بأن المحرم يحرم عليه مس الطيب دون حمله وأجيب عنه بأنه غير صحيح لان حمل
 المصحف أبلغ في الاستيلاء عليه من مسه فلما حرم الادنى كان تحريم الاعلى أولى ولان تحريم
 المصحف انما هو لمسه فاستوى فيه مسه وحمله بخلاف طيب المحرم فان تحريمه مقصور على
 الاستمتاع به وليس في حمله استمتاع به ولولف كنهه على يده وقلب به أوراق المصحف حرم عليه
 لان القلب يقع باليد لا بالكم بخلاف قلب ذلك بعدد ويحرم كسب شيء من القرآن أو من أسمائه
 تعالى بنجس أو على نجس ومسه به اذا كان غير معفوق عنه ولو خاف على المصحف من حرق أو غرق
 أو وقوع تجاسة عليه أو وقوعه في يد كافر جاز حمله مع الحدث بل يجب ذلك صيانة للمصحف
 ولولم يجد من يودعه المصحف وعجز عن الوضوء فله حمله مع الحدث ويلزمه أن يتيم ان وجد التراب
 ولا يتجاوز المسافة بالمصحف الى أرض الكفار اذ اخيف وقوعه في أيديهم للنهي عنه في الصحيحين
 وخرج بالمصحف غيره نحو كتب الفقه والحديث وكتب التفسير فلا يحرم حملها ولا مسها الا
 أن يكون القرآن أكثر من التفسير أو مساويا له فيحرم الحمل والمس لانه حينئذ في معنى المصحف
 وفي ذلك زيادة ذكرتها في شرح المنهاج وغيره وقوله تعالى (تنزيل) أي منزل اليكم بالتدريج
 بحسب الوقائع والتقريب للافهام والتأني والترقية من حال الى حال وحكم الى حكم بوسايط
 الرسل من الملائكة (من رب العالمين) أي الخالق العالم بتربيتهم صفة القرآن أي القرآن منزل من
 عند رب العالمين سمي المنزل تنزيلا على اتساع اللغة كقوله تعالى هذا خلق الله وأثر المصدر
 لان تعلق المصدر بالفاعل أكثر وفي ذلك رد على قول من قال بأن القرآن شعراً وسجراً وكهانة
 (أفهدا الحديث) أي القرآن الذي تقدمت أوصافه العالية وهو يتجدد اليكم انزاله وقتا بعد
 وقت (أنتم مدهنون) أي متهاونون كمن يدهن في الامر أي يلين جانبه ولا يتصلب فيه متم وانه
 قال ابن برتجان الادهان والمداهنة الملاينة في الامور والتغافل والركون الى التجاوز اه قال
 البقاعي فهو على هذا انكار على من سمع أحدا يتكلم في القرآن بما لا يليق ثم لا يجاهر بالعداوة
 وأهل الاتحاد كابن عربي الطائي صاحب القصص وابن الفارض صاحب التائية أول
 من صوبت اليه هذه الآية فانهم تكلموا في القرآن على وجه يبطل الدين أصلا ورأسا ويحمله
 عروة عروقة فهم أضمر الناس على هذا الدين ومن يتأول لهم أو ينافع عنهم أو يعتذر لهم أو يحسن
 الظن بهم مخالف لاجماع الامة أنجس حالانهم فان مراده ابقاء كلامهم الذي لا أفسد للاسلام
 منه من غير ان يكون لابقائه مصلحة ما بوجه من الوجوه اه وجرى ابن المقرئ في روضه على

كفر من شئت في كفر طائفة ابن العربي الذين ظاهر كلامهم عند غيرهم الاتحاد وهو بحسب ما فهمه من ظاهر كلامهم ولكن كلام هؤلاء مجاز على اصطلاحهم اذا اللفظ المصطلح عليه حقيقة في معناه الاصطلاحي مجاز في غيره والمعتقد منهم لمعناه معتقد لعني صحيح وأما من اعتقد ظاهره من جهالة الصوفية الذين لا علم عندهم بل أكثرهم يدعي ان العلم حجاب ومتدعي ذلك هو المحجوب فانه يعترف ان استمر على ذلك بعد معرفته صار كافرا فانسأل الله تعالى التوفيق والعصمة * ولما كان هذا القرآن متكفلا بسعادة الدارين قال تعالى (وتجعلون رزقكم) أي حفظكم ونصيبكم وجميع ما تنفعون به من هذا الكتاب وهو تنفعكم كله (أنكم تكذبون) فتضعون الكذب مكان الشكر كقوله تعالى وما كان صلاتهم عند البيت الاماء وتصدية أي لم يكونوا يصلون ولكنهم كانوا يصفرون ويصفقون مكان الصلاة قال القرطبي وفيه بيان أن ما أصاب العباد من خير فلا ينبغي أن يروه من قبل الوسائط التي جرت العادة بأن تكون أسبابا بل ينبغي أن يروه من قبل الله تعالى ثم يقابلونه بشكر ان كان نعمة أو صبر ان كان مكر وهاتبعبداله وتذللوا وعن ابن عباس ان المراد به الاستسقاء بالانواء وهو قول العرب مطر نابوء كذا ورواه علي بن أبي طالب عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي صحيح مسلم عن ابن عباس قال مطر الناس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم أصبح من الناس شاكروهم كافر فقال بعضهم هذه رجة الله تعالى وقال بعضهم لقد صدق نوء كذا قال فنزلت هذه الآية فلا أقسم بمواقع النجوم حتى بلغ وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون وفيه أيضا أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج في سفر فعطشوا فقال النبي صلى الله عليه وسلم أرأيتم ان دعوت الله تعالى لكم فسقيتم لعلكم أن تقولوا هذا المطر نبوء كذا فقالوا يا رسول الله ما هذا الجحش الانواء فصلى ركعتين ودعا الله تعالى فهاجت ريح ثم هاجت هابة فقطروا فمر النبي صلى الله عليه وسلم ومعه عصا به من أصحابه برجل يعترف بقدح له وهو يقول سقينا نبوء كذا ولم يقل هذا من رزق الله تعالى فنزل وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون أي شكر الله على رزقه اياكم أنكم تكذبون بالنعمة وتقولون سقينا نبوء كذا كقول القائل جعلت احساني اليك اساءة منك الى وجعلت انعامي عليك أن اتخذتني عدوا قال الشافعي لأحب لاحد أن يقول مطر نابوء كذا وان كان النوء عندنا الوقت لا يضر ولا ينفع ولا يعطر ولا يجبس شيئا من المطر والذي أحب أن يقول مطرنا وقت كذا كما يقول مطرنا شهر كذا ومن قال مطرنا نبوء كذا وهو يريد ان النوء أنزل الماء كما يقول أهل الشر فهو كافر خلال دمه ان لم يتب وحاصله ان اعتقد أن النوء هو الفاعل حقيقة فهو كافر والافكره لذلك كراهة تنزيه وبسبب الكراهة انها كلمة مترددة بين الكفر وغيره فإساء الظن بقائلها ولانهم من شعار الجاهلية ومن سلك مسلكهم ثم بين سبحانه أنه لا فاعل لشيء في الحقيقة سواه بقوله تعالى (قلولا) وهي أداة تفهم طلبا بجزوت ويخ وتقرع بمعنى فهلا ولم لا (اذ بلغت الحلقوم) أي بلغت الروح منك ومن غيركم عند الاحتضار الحلقوم أضمرت من غير ذكر دلالة الكلام عليها دلالة ظاهرة

وفي الحديث ان ملك الموت له أعوان يقطعون العروق ويجمعون الروح شيئا فشيئا حتى تنتهي
الى الخلقوم فيتوفاها ملك الموت والخلقوم مجرى الطعام في الخلق والخلق مساغ الطعام
والشراب معروف فكان الخلقوم أدنى الخلق الى جهة اللسان (وأنتم) أي والخال أنكم
أيها العاكفون حول المحتضر المتوجعون له (حينئذ) أي بلغت الروح ذلك الموضع (تنظرون)
أي الى أمرى وسلطاني أو الى الميت ولا حيلة لكم ولا فعل بغير النظر ولم يقل تبصرون
لئلا يظن ان لهم ادراكا بالبصر لشيء من المواطن من حقيقة الروح ونحوها (ونحن) أي
والخال أنا نحن بما لنا من العظمة (أقرب اليه) أي المحتضر بعلمنا وقد رتبنا (منكم) على شدة
قربكم منه قال عامر بن قيس ما نظرت الى شيء الا رأيت الله أقرب الى منه (ولكن
لا تبصرون) من البصيرة أي لا تعلمون ذلك (فلولا) أي فهلا (ان كنتم) أيها المكذبون بالبعث
(غير مدنين) أي مبرؤين من دان السلطان الرعية اذا ساسهم أو مقهورين لهم لو كن تجزيين
محاسبين بما علمتم في دار البلاء التي أقامكم فيها أحكم الحاكمين من دانه اذا ذله واستعبده وأصل
تركيب دان للذل والانقياد قاله البيضاوي (ترجعونها) أي الروح الى ما كانت عليه
(ان كنتم) كوننا بآياتنا (صادقين) فيما زعمتم فلولا الثانية فأكد لا ولي واذا ظرف لترجعون
المتعلق به الشرطان والمعنى أنكم في جحودكم أفعال الله تعالى وآياته في كل شيء ان أنزل عليكم
كتابا معجز اقلتم سحر واقتراء وان أرسل اليكم رسولا صادقا قلتم ساحر كذاب وان رزقكم مطرا
يحييكم به قلتم صدق نوء كذا على مذهب يؤدي الى الالهال والتعطيل فقالكم لا ترجعون
الروح الى البدن بعد بلوغه الخلقوم ان لم يكن ثم قابض وكنتم صادقين في تعطيلكم وكفركم
بالحي المميت المبدئ المعيد * ثم ذكر تعالى طبقات الخلق عند الموت وبين درجاتهم فقال عز من
قائل (فأما ان كان) المتوفى (من المقربين) السابقين الذين اجتنبهم الحق من أنفسهم
فقرَّبهم منه فكانوا امرادين قبل أن يكونوا امرئيين وليس القرب قرب مكان لانه تعالى منزله
عنه وانما هو بالخلق بالصفات الشريفة على قدر الطاقة البشرية ليصير الانسان روحا خالصا
كاللائكة لا سبيل الى الحظوظ والشهوات عليه اوقوله تعالى (فروح) مبتدأ خبره مقدر قبله أي
فله روح أي راحة ورجة وما ينعشه من نسيم الريح وقال سعيد بن جبيرة فخرج وقال الضحاک
مغفرة ورجة (وريحان) أي رزق عظيم ونبات حسن بهيج وأراهير طيبة الرائحة وقال مقاتل
هو بلسان جبر رزق يقال خرجت أطلب ريحان الله أي رزقه وقيل هو الريحان الذي يشم قال
أبو العالية لا يفارق أحد من المقربين الدنيا حتى يوتى بغصن من ريحان الجنة فيشمه ثم تقبض
روحه وقال أبو بكر الوراق الروح النجاة من النار والريحان دخول دار القرار (وجنت)
أي بستان جامع الفواكه والرياحين (نعيم) أي ذات تنعم فيها غيره واهله مقصودة عليهم
* (تنبيه) جنت هنا مجرورة التاء ووقف عليها بالهاء ابن كثير وأبو عمرو والكسائي فالكسائي
بالامالة في الوقف على أصله والباقون بالتاء على المرسوم (وأما ان كان) المتوفى (من أصحاب
اليمين) أي الذين هم في الدرجة الثانية من أصحاب اليمين (فسلام لك) أي يا صاحب اليمين

(من) اخوانك (أصحاب اليمين) أى يسلمون عليك كقوله تعالى الا قبلا سلاما سلاما وقال القرطبي فسلام لك من أصحاب اليمين أى است ترى منهم الامتثال من السلامة فلا تهم لهم فانهم يسلمون من عذاب الله تعالى وقيل المعنى سلام لك منهم أى أنت سالم من الاعتماد لهم والمعنى واحد وقيل أصحاب اليمين يدعونك يا محمد بأن يصلى الله عليك ويسلم وقيل معناه سلمت أيها العبد مما تكره فانك من أصحاب اليمين فخذف انك وقيل انه يحجى بالسلام تكثر ما وعلى هذا فى محل السلام ثلاثة أقوال أحدها عند قبض روحه فى الدنيا يسلم عليه ملك الموت فانه الضحاك وقال ابن مسعود اذا جاء ملك الموت ليقبض روح المؤمن قال ربك يقرئك السلام الثانى عند مسئلته فى القبر يسلم عليه منكر ونكير الثالث عند بعثه فى القيامة تسلم عليه الملائكة قبل وصوله اليها قال القرطبي ويحتمل أن يسلم عليه فى المواطن الثلاثة ويكون ذلك اكراما بعد اكرامه ولما ذكر تعالى الصنفين الناجيين أتبعهما الهالكين جامعاهم فى صنف واحد لان من أريد له السعادة يكفيه ذلك ومن ختم له بالشقاوة والعياذ بالله تعالى لا ينفعه الاغلاظ والاكتار فقال تعالى (وأما ان كان) المتوفى (من المكذبين) الذى أخذناه من أصحاب المشأمة وأنتم حوله تتقطع أكبادكم له ولا تقدررون له على شئ أصلا (الضالين) أى عن الهدى وطريق الحق (فنزله من جيم) كما قال تعالى ثم انكم أيها الضالون المكذبون الى أن قال فشاربون شرب الهيم وقال تعالى ثم ان لهم عليا السويامن جيم أى ما مستناه فى الحرارة بعد ما نالوا من العطش كما يرد أصحاب المينة الخوض كما يبادر به للقادم ليرد به غله عطشه ويفسل به وجهه ويديه (وتصلية بحميم) أى وزله من تصلية بحميم والمعنى ادخال فى النار وقيل اقامة فى الجحيم ومقاساة انواع عذابها يقال اصلاه النار وصلاه أى جعله يصلها والمصدر هنا مضاف الى المفعول كما يقال لقلان اعطاه ما له أى يعطى المال (ان هذا) أى الذى ذكر فى هذه السورة من أمر البعث الذى كذبوا به فى قولهم أننا لم نعوتون ومن قيام الادلة عليه (لهو حق اليقين) أى حق الخبر اليقين أى لما عليه من الادلة القطعية المشاهدة كأنه مشاهد مباشر وقيل انما جازاضافة الحق الى اليقين وهما واحد لا اختلاف لفظهما وذلك من باب اضافة المترادفين ولما حقق له تعالى هذا اليقين سبب عن أمره لنبيه صلى الله عليه وسلم بالتنزيه عما وصفوه به مما يلزم منه وصفه بالعجز فقال تعالى (فسبح) أى أوقع التنزيه كماه عن كل شائبة نقص بالاعتقاد والقول والفعل بالله لا وعجزها بأن تصفه بكل ما وصف به نفسه من الاسماء الحسنى وتنزهه عن كل ما نزه نفسه عنه (باسم ربك) أى المحسن اليك بما خصه به مما لم يعطه أحد غيرك واذا كان هذا الاسم فكيف بما هو له (العظيم) الذى ملأت عظمته جميع الاقطار والاكوان وزادت على ذلك بما لا يعلمه حق العلم سواه لان من له هذا الخلق على هذا الوجه المحكم وهذا الكلام الاعز الاكرم لا ينبغي لشائبة نقص أن تلم بجنابه أو تدنو من فناء بابه وعن عقبة بن عامر قال لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال النبي صلى الله عليه وسلم اجعلوها فى ركوعكم ولما نزلت سبح اسم ربك الاعلى قال النبي صلى الله عليه وسلم اجعلوها فى سجودكم خرجه أبو داود وعن

ابن ذر قال قال لي عليه الصلاة والسلام ألا أخبرك بأحب الكلام الى الله تعالى سبحانه الله وبجمده وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلتان خفيقتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحانه الله وبجمده سبحانه الله العظيم هذا الحديث آخر حديث في البخاري وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال سبحانه الله العظيم وبجمده غرست له نخلة في الجنة وروى أبو طيبة عن عبد الله بن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا ورواه البيهقي وغيره وكان أبو طيبة لا يدعها أبدا وأخرج ابن الاثير في كتابه جامع الاصول ولم يعزه

﴿سورة الحديد مكية اومدنية﴾

وهي تسع وعشرون آية وخمسة مائة وأربع وأربعون كلمة وألفان وأربعمائة وستة ومبعون حرفا

(بسم الله) الذي أحاطت هيئته بجميع الموجودات (الرحمن) الذي وسعهم جوده في جميع الحركات والسكنات (الرحيم) الذي خص أهل ولايته بمباركياته من العبادات ولما ختم الواقعة بالامر بتزيينهم عما أنكره الكفرة من البعث جاءت هذه لتقرير ذلك التنزيه فقال تعالى (سبح لله) أي الملك المحيط بجميع صفات الكمال (ما في السموات) أي الاجرام العالية والذي فيها (والارض) والذي فيها أي نزهه كل شيء فاللام مزيدة وحيى بمادون من تغليب اللانثر (وهو) أي وحده (العزيز) الذي يغلب كل شيء ولا يغلبه شيء (الحكيم) أي الذي أتقن كل شيء صنعه وقرأ قالون وأبو عمرو والكسائي بسكون الهاء والباءتون بضمها (له) أي وحده (ملك السموات والارض) وما فيهما وما بينهما ظاهر او باطنا فالملك الظاهر ماهو الآن موجود في الديان من ارض مدحجة وسما مبنية وكواكب مضية وأقلام ورياح وسحاب مرئية وغير ذلك مما يحيط به علمه تعالى والملك الباطن الغائب عنا وأعظمه المضاف الى الآخرة وهو الملكوت (يحيي) أي له صفة الاحياء فيحيي ما شاء من الخلق بأن يوجد له على صفة الحياة كيف شاء في أطوار يقلبها كيف شاء وما شاء (ويميت) أي له هاتان الصفتان على سبيل الاختيار والتجدد والاستقرار فهو قادر على البعث بدليل ما ثبت له من صفة الاحياء (وهو على كل شيء) أي من الاحياء والامانة وغيرهما من كل ممكن (قدير) أي بالغ القدرة (هو) أي وحده (الاول) بالازلية قبل كل شيء فلا أول له والقديم الذي منه وجود كل شيء وليس وجوده من شيء لأن كل ما شاهدته متأثرا لانه متغير وكل ما كان كذلك فلا بد له من موجود غير متأثر ولا متغير (والآخر) أي بالابدية الذي ينتهي اليه وجود كل شيء في سلسلة الترقى وهو يعدفناه كل شيء باق فلا آخر له لانه يستحيل عليه نعت العدم لأن كل ما سواه متغير وكل ما تغير بنوع من التغير جاز اعدامه وما جاز اعدامه فلا بد له من معدم يكون بعده ولا يمكن اعدامه (والظاهر) أي الغالب العلي على كل شيء (والباطن) أي العالم بكل شيء هذا معنى قول ابن عباس وقال يمان هو الاول القديم والآخر الرحيم والظاهر

الحكيم والباطن العليم وقال السدي هو الاول بعباده اذ عرفك وتوحيده والاخر بعبوده اذ عرفك التوبة على ما جئت والظاهر بتوفيقه اذ وفقك للعبادة والباطن يستر اذ عصيته فستر عليك وقال الجنيده هو الاول بشرح القلوب والاخر بغفران الذنوب والظاهر بكشف الكروب والباطن يعلم الغيوب وسأل عمر كعبان هذه الآية فقال معناها ان الله بالاول كعلمه بالاخر وعلمه بالظاهر كعلمه بالباطن (وهو بكل شيء عليم) أي لمكون الاشياء عنده على حد سواء والبطون والظهور انما هو بالنسبة الى انطلق وأما هو سبحانه وتعالى فلا بطن من الخلق عنده بل هم في غاية الظهور لديه لانه الذي أوجدهم (فان قيل) ما معنى هذه الواو ان (أجيب) بأن الواو الاولى معناها الدلالة على انه الجامع بين الصفتين الاولى والثانية والثالثة انه الجامع بين الظهور والخلق وأما الوسطى فعلى انه الجامع بين الصفتين الاولى والثانية ومجموع الصفتين الاخرين فهو المستر الوجود في جميع الاوقات الماضية والحاضرة والآتية وهو في جميعها ظاهر وباطن جامع للظهور بالادلة والخلق فلا يدرك بالحواس قال الرخشمي وفي هذا حجة على من جوز اذراك في الآخرة بالحاسة وهذا على رأيه القاسد وهو على رأي المعتزلة المنكرين رؤية الله تعالى في الآخرة وأما أهل السنة فانهم يثبتون الرؤية للاحداث الدالة على ذلك من غير تشبيه ولا تكيف تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وعن سهل قال كان أبو صالح يأمرنا اذا أراد أحدنا أن ينسأ أن يضطجع على شقه الايمن ثم يقول اللهم رب السموات والارض رب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء فالق الحب والنوى ومنزل التوراة والانجيل والفرقان أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عني الدين وأغنني من فضلك وكان يروي ذلك عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم (هو) أي وحده (الذي خلق السموات) وجعلها العلم العرب بتعددتها (والارض) أي الجنس الشامل للكل وأفردتها لعدم توصلهم الى العلم بتعددتها وقال تعالى (في ستة أيام) أي من أيام الدنيا أولها الاحد وآخرها الجمعة سنة الثاني في الامور وقد تدرى الايام التي أوترها سابعها الذي خلق فيه الانسان الذي دل يوم خلقه باسمه الجمعة على أنه المقصود بالذات وبأنه السابع نهاية المخلوقات وقوله تعالى (ثم استوى على العرش) أي السمرير كناية عن انفراده بالتدبير وحاظته قدرته وعلمه كما يقال في ملوكنا جلس فلان على سرير الملك بمعنى أنه انفراد بالتدبير لا يكون هناك سرير فضلا عن جلوس وأني باداة التراجيح تنبها على عظمته (يعلم ما بين) أي يدخل دخولا يغيب فيه (في الارض) أي من النبات وغيره من أجزاء الاموات وغيرها وان كان ذلك في غاية البعد فان الاماكن كلها بالنسبة اليه تعالى على حد سواء في القرب والبعد (وما يخرج منها) كذلك * (تنبيه) * في التعبير بالمضارع دلالة على ما أودع في الخافقين من القوى فصارا بحيث يتجدد منهن ما ذلك بخلقته تجدد ما مستر الى حين خرابها (وما ينزل من السماء) من الوحي والامطار والحر والبرد وغيرهما من الاعيان والمنافع التي يوجدها سبحانه وتعالى

من مقادير أعمار بني آدم ووارزاقهم وغيرهما من جميع شؤونهم (وما يعرج) أى يصعد ويرتقى
ويغيب (فيها) كالأبجرة والألوان والكواكب والأعمال وغيرها ولم يجمع السماء لأن
المقصود حاصل بالواحدة مع افهام التعبير بها الجنس الشامل للكل (وهو معكم) بالعلم
والقدرة أي الخلق (أيما كنتم) لا يتقل عمله وقدرته عنكم بحال فهو عالم بجميع أموركم
وقادر عليكم تعالى الله عن اتصال بالعالم ومماساة وانفصال عنه بغيبة أو مسافة (والله) أى
المحيط بجميع صفات الكمال (عب تعمالون) أى على سبيل التجدد والاستقرار (بصير) أى عالم
بجليلته وحقيقته فيجازيكم به وقد تم الجارلزيد الاهتمام والتنبية على تحقيق الاحاطة (له) أى
وحده (ملك السموات) وجمع لاقتضاء المقام له (والارض) وأورد لحفاة تعددها عليهم مع
ارادة الجنس ودل على ارادة ملكه وحاطته بقوله تعالى (والى الله) أى الملك الذى لا كفو له
وحده (ترجع) بكل اعتبار على غاية السهولة (الامور) أى كلها حسبا بالبعث ومعنى
بالابتداء والافتاء ودل على ذلك بقوله تعالى (يولج) أى يدخل ويغيب بالنقص والمحو (الليل
في النهار) فإذا هو قد قصر بعد طولها وقد انمى بعد شخوصه وحلوله وزاد النهار وملا الضياء
الاظفار بعد ذلك الظلام (ويولج النهار) الذى عم الكون ضياؤه (في الليل) الذى كان قد
غاب في علمه فإذا الظلام قد طبق الاتفاق فيزيد الليل والطول الذى كان في النهار قد صار نقصا
(وهو) أى وحده (عاليم) أى بالغ العلم (بذات الصدور) أى بما فيها من الاسرار والمعققات
على كثرة اختلافها وتغيرها وان خفيت على أصحابها ولما قامت الأدلة على تنزيه سبحانه قال
تعالى أمر بالادعان له ورسوله صلى الله عليه وسلم (آمنوا) أى أيها المقلان (بالله) أى
الملك الاعظم الذى لا مثل له (ورسوله) الذى عظمت من عظمته ونزل في غزوة العسرة وهى
غزرة تبوك (وأنفقوا) أى في سبيل الله (مما جعلكم مستخلفين فيه) أى من الاموال التى
في أيديكم فانها أموال الله تعالى لانها خلقته وانشأه لها وانما أموالكم اياها وخلقكم بالاستمتاع
بها وجعلكم خلفاء في التصرف فيها فليست هى بأموالكم فى الحقيقة وما أنتم فيها إلا بمنزلة
الوكلاء والنواب فأنفقوا منها فى حقوق الله تعالى ولين عليكم الانفاق منها كما همون على
الرجل النفقة من مال غيره اذا أذن له فيه أو جعلكم مستخلفين ممن كان قبلكم فيما في أيديكم
تورثه اياكم فاعتبروا بحالهم حيث انتقل منهم اليكم وسينقل منكم الى من بعدكم فلا تتجاولوا
به وأنفقوا بالانفاق منها أنفسكم ولما أمر تعالى بالانفاق ووصفه بما سمى له سبب عنه ما يرغب
فيه فقال تعالى (فالذين آمنوا منكم وأنفقوا) من أموالهم فى الوجه الذى نذب اليها على
وجهه الاصلاح على ما دل عليه التعبير بالانفاق (لهم أجر كبير) أى لا يبلغ عقولكم حقيقة
كبره فاعتنوا الانفاق فى أيام استخلافكم قبل عزلكم واتلافكم وخصهم بالذكر بقوله
تعالى منكم لضيق زماينهم وقيل ان ذلك اشارة الى عثمان فانه جهز جيش العسرة وقوله
تعالى (وما) أى وأى شئ (لكم) من الاعذار وغيرها فى أنكم أحوال كونكم (لا تؤمنون
بالله) أى تجتهدون الايمان بتجديد استبصار الملك الاعلى أى الذى له الملك كله والامر كله

خطاب للكفار أى لا مانع لكم بعد سماعكم ما ذكر (والرسول) أى والحال ان الذى له الرسالة
العامة (يدعوكم) فى الصباح والمساء (لتؤمنوا) أى لاجل أن تؤمنوا (بربكم) الذى
أحسن تربيتكم بأن جعلكم من أمة هذا النبي الكريم فشر فكم به (وقد) أى والحال
انه قد (أخذ منّا قسماً) أى وقع أخذه فصار فى غاية القباحة ترك التوثيق بسبب نصب الادلة
والتكئين من النظر بابداع العقول وذلك كله منضم الى أخذ الذرية من ظهر آدم عليه السلام
حين أشهدهم على أنفسهم ألسنت بر بكم قالوا بلى وقرأ أبو عمرو وبضم الهمزة وكسر الخاء
ورفع القاف على البناء المفعول ليكون المعنى من أى أخذ كان من غير نظر الى معنيين وقرأ
الباقون بفتح الهمزة والخاء ونصب القاف على البناء للفاعل والاخذ هو الله القادر على كل
شئ العالم بكل شئ والحاصل انهم نقضوا الميثاق فى الايمان فلم يؤخذهم حتى أرسل الرسل (ان
كنتم مؤمنين) أى مردين الايمان فبادروا اليه (هو) أى لا غيره (الذى ينزل) أى على
سبيل التدرج والموا الالة بحسب الحاجة وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وبسكون النون وتخفيف
الزاي والباقون بفتح النون وتشديد الزاي (على عبده) الذى هو أحق الناس بحضرة جماله
واكرامه وهو محمد صلى الله عليه وسلم (آيات) أى علامات هى من ظهورها حقيقة أن يرجع
اليها ويتعبد بها (بينات) أى واضححات وهى آيات القرآن الكريم (ليخرجكم) أى الله
بالقرآن أو عبده بالدعوة (من الظلمات) التى أنتم منغمسون فيها من الخطوط والنقائص التى
جبل عليها الانسان والغفلة الكاملة على تراكم الجهل فن آتاه الله تعالى العلم والايمان ففقد
أخرجه من هذه الظلمات التى طرأت عليه (الى النور) الذى كان له وصفاً لروحه وقطرته
الاولى السلية (وان الله) أى الذى له صفات الكمال (بكم لرؤف رحيم) أى حيث ينهيكم بالرسول
والآيات ولم يقتصر على ما نصب لكم من الحجج العقلية وقرأ أبو عمرو وشعبة وحجة
والكسائي بقصر الهمزة والباقون بالمد وورش على أصله بالمد والنوسط والقصر وليس
قصره كقصر أبى عمرو ومن معه وانما قصره كمد فالون ومن وافقه (وما) أى وأى شئ يحصل
لكم) فى (أن لا تنفقوا) أى توجدوا الانفاق للمال (فى سبيل الله) أى فى كل ما يرضى المالك
الاعظم الذى له صفات الكمال ليكون لكم به وصله فيحكم بالرافة التى هى أعظم الرحمة فانه
ما يبخل أحد عن وجه خير الاسط الله عليه غرامة فى وجه شر (ولله) أى الذى له صفات
الكمال لاسيما صفة الارث المقتضية للزهد فى الموروث (ميراث السموات والارض) أى يرث
كل شئ فيه ما فلا يبقى لاحد مال فن تأمل أنه رائل هو وكل ما فى يده والموت من ورثته وطوارق
الحوادث مطبقة به وعما قليل يتقل ما فى يده الى غيره هان عليه الجود بنفسه وماله ثم ين تعالى
التفاوت بين المنفقين منهم فقال تعالى (لا يستوى منكم من أنفق) أى أوجد الانفاق فى ماله
وجميع قواه وما يقدر عليه (من قبل الفتح) أى الذى هو فتح جميع الدنيا فى الحقيقة وهو فتح مكة
الذى كان سبب الظهور الدين الحق (وقائل) سعيانى انفاق نفسه لمن آمن به قبل الاسلام وقوة
أهله ودخول الناس فى دين الله أفواجا وقوله الحاجة الى القتال والنفقة فيه ومن أنفق من بعد

الفتح فحذف لوضوحه ودلالة ما بعده عليه وفضل الاول لما ناله اذ ذاك بالاتفاق من كثرة المشاق
 لضيق المال حينئذ وفي هذا دليل على فضل أبي بكر فانه اقول من اتفق لم يسبقه في ذلك أحد
 وخاصم الكفار حتى ضرب ضرباً شديداً أشرف منه على الهلاك روى محمد بن فضيل عن
 الكلبي ان هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه وعن ابن عمر قال كنت عند
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده أبو بكر الصديق عليه عباة قد خلها في صدره بخلال فزل
 عليه جبريل عليه السلام فقال مالي أرى أبا بكر عليه عباة قد خلها بخلال فقال انفق ماله على
 قبل الفتح قال فان الله عز وجل يقول اقرأ عليه السلام وقل له أراض انت عني في فقرك هذا
 أم ساخط فقال أبو بكر اسخط على ربي اني عن ربي راض (أولئك) أي المنفقون المقاتلون
 وهم السابقون الاولون من المهاجرين والانصار الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم
 لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلع متأخدهم ولا نصيفه لمبادرتهم الى الجود بالنفس والمال
 (أعظم درجة) وتعظيم الدرجة يكون اعظم صاحبها (من الذين أنفقوا من بعد) أي من بعد
 الفتح (وقالوا) أي من بعد الفتح (وكلا) أي وكل واحد من الفريقين (وعدا الله) أي الذي
 له الجلال والاکرام (الحسن) أي المثوبة الحسنى وهي الجنة مع تفاوت الدرجات وقرأ ابن
 عامر برفع اللام على الابتداء أي وكل وعده ليطابق ما عطف عليه والباقون بنصبها أي
 وعدكلا (والله) أي الذي له الاحاطة الكاملة بجميع صفات الكمال (بما تعملون) أي تتجددون
 عمله على الاوقات (خير) أي عالم بباطنه وظاهره علماً لا مزيد عليه بوجه فهو يجعل جزاء الاعمال
 على قدر النيات التي هي ارواح صورها (تنبيه) * التقدم والتأخر قد يكون في أحكام الدين
 وقد يكون في أحكام الدنيا فاما التقدم في أحكام الدين فقالت عائشة أمرنا رسول الله صلى
 الله عليه وسلم أن ننزل لباس منازلهم وأعظم المنازل مرتبة الصلاة وقد قال صلى الله عليه وسلم
 في مرضه مر وأبا بكر فليصل بالناس وقال يوم القوم أقرؤهم لكتاب الله وقال فليؤمكأ أكبر كما
 وأما أحكام الدنيا فهي مرتبة على أحكام الدين فمن قدم في الدين قدم في الدنيا وفي الحديث ليس
 منامن لم يؤقر كبيرنا ويرحم صغيرنا وفي الحديث ما أكرم شاب شيخنا لسنه الا قبض الله له عنده
 سنه من يكرمه ثم رغب في الاتفاق بقوله تعالى (من) وأكذب بالاشارة بقوله تعالى (ذا) لاجل
 ما للنفوس من الشح (الذي يقرض الله) أي يعطى الذي له جميع صفات الجلال والاکرام شعبه
 ذلك بالقرض على سبيل المجاز لانه اذا أعطى المستحق ماله لوجه الله تعالى فكانه أقرضه اياه
 (قرضاً حسناً) أي طيباً خالصاً لمخالص فيه مختارياً به أفضل الوجوه من غير من وكدر بتسوية
 وغيره (فبضاعته له) أي يؤتى أجره من عشرة الى أكثر من سبعاً كما ذكره في البقرة الى ما شاء
 الله تعالى من الاضعاف وقيل القرض الحسن أن يقول سبحانه الله والحمد لله ولا اله الا الله
 والله أكبر وقال زيد بن أسلم هو الثقة على الاهل وقال الحسن التطوع بالعبادات وقرأ ابن
 عامر وعاصم بنصب التاء بعد العين والباقون بالرفع وقرأ ابن كثير وابن عامر بغیر ألف
 بعد الضاد وتشديد العين والباقون بالتاء بعد الضاد وتحفيف العين (وله) أي القرض زيادة

على ذلك (أجر) لا يعلم قدره الا الله تعالى وهو معنى وصفه بقوله تعالى (كريم) أى حسن طيب زاك تام وقوله تعالى (يوم) ظرف لقوله تعالى وله أجر كريم أو منصوب باضمار اذكر أى واذا كرى يوم (ترى) أى بالعين (المؤمنين والمؤمنات) أى الذين صاروا لايمان لهم صفة راسخة (يسعى نورهم) أى ما يوجب نجاتهم وهذا يتم الى الجنة (بين أيديهم وبأيمانهم) لأن السعداء يؤثرون مصائف أعمالهم من هاتين الجهتين كما أن الأشقياء يؤثرون من شنائهم ووراء ظهورهم فيجعل النور في الجهتين شعار لهم وآية لانهم هم الذين بحسناتهم سعدوا وبصنائهمم البيض أفلحوا فاذا ذهب بهم الى الجنة ومروا على الصراط يسعون يسعى معهم ذلك النور حبيلهم ومتقدما والاول نور الايمان والمعرفة والاعمال المقبولة والثاني نور الانفاق لانه بالايمان نبه عليه الرازي وقال قتادة ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال من المؤمنين من يضيء نوره من المدينة الى عدن ودون ذلك حتى ان من المؤمنين من لا يضيء نوره الا موضع قدميه وقال عبد الله بن مسعود يؤثرون نورهم على قدر أعمالهم فمنهم من يؤتى نوره كالنخله ومنهم من يؤتى نوره كالرجل القائم وأدناهم نور انورهم على ايمانهم فبطا مرة وفيه قد أخرى ويقول لهم الذين يلقونهم من الملائكة (بشراكم اليوم) أى بشارتكم العظيمة في جميع ما يستقبلكم من الزمان * (تنبيه) * بشراكم اليوم مبتدأ واليوم ظرف وقوله تعالى (جنات) خبره على حذف مضاف أى دخول جنات وهو المبشيرة ثم وصفها بما لا تكمل الذلة الآية بقوله (تجربى من تحتها الأنهار) ثم آمنهم من خوف الانقطاع بقوله تعالى (خالدين فيها) أى مخلدون لا آخر له لان الله تعالى أورثهم ذلك فلا يورث عنه لان الجنة لا موت فيها (ذلك) أى هذا الامر العظيم المتقدم من النور والبشرى بالجنات الخالدة (هو الفوز العظيم) أى الذى ملا بعظمته جميع جهاتهم ولما شرح تعالى حال المؤمنين في موقف القيامة أتبع ذلك بشرح حال المنافقين بقوله (يوم يقول المنافقون والمنافقات) وهم المظهرون الايمان المبطون الكفر * (تنبيه) * يوم بدل من يوم ترى أو منصوب باذكر (الذين آمنوا) أى ظاهرا وباطنا (انظرونا) أى انظرونا لانه يسرع بهم الى الجنة كالبرق الخاطف على ركائب ترف بهم وهو لا منشاء وانظروا الشئ لانهم اذا انظروا اليهم استقبلوهم بوجوههم والنور بين أيديهم فيستضيئون به وقرأ جزءه بقطع الهمزة في الوصل وكسر الظاء والباقون بوصل الهمزة ورفع الظاء وأما الوقف على آمنوا والابتداء بانظرونا فهمزة على حاله كما يقرأ في الوصل والباقون بضم همزة الوصل في الابتداء والظاء على حالهما من الضم (تقبس) أى نستضيء * (من نوركم) أى هذا الذى نراه لكم ولا يلحقنا منه شئ كما كافى الدينارى ايمانكم بما ترى من ظواهركم ولا تتعلق من ذلك بشئ جزاء وفاقا وذلك لان الله تعالى يضيء للمؤمنين نورا على قدر أعمالهم يشنون به على الصراط ويعطى المنافقين أيضا نورا خديعة لهم وهو قوله تعالى وهو خادعهم فيبيناهم يشنون اذ بعث الله رجا وظلة فاطقات نور المنافقين فذلك قوله تعالى يوم لا يحزى الله النبي والذين آمنوا معه الآية مخافة ان يسلبوا نورهم كما سلب نور المنافقين والقبس الشعلة من النار أو السراج قال ابن عباس

وأبو امامة يغني الناس يوم القيامة ظلمة قال الماوردي أظنها بعد فصل القضاء ثم
يعطون نوراً يعيشون فيه وقال الكلبي بل يستضيء المنافقون بنور المؤمنين ولا يعطون النور
فأذا سبقهم المؤمنون وبقوا في الظلمة قالوا للمؤمنين انظرونا نقبض من نوركم قبل لهم
جواباً بالسؤال لهم قال ابن عباس يقول لهم المؤمنون أي قول ردو قبحهم وتهدمهم (ارجعوا
وراءكم) أي ارجعوا الى الموقف حيث أعطينا النور (فالتسوا نوراً) هناك فمن ثم يقبض
أو ارجعوا الى الدنيا فالتسوا نوراً بتحصيل سببه وهو الايمان أو ارجعوا خاطئين وتنجوا عنا
والتسوا نوراً آخر فلا سبيل لكم الى هذا النور وقد علموا أن لا نور وراءهم وانما هو تخيب
واقطاع لهم وقال قتادة تقول لهم الملائكة ارجعوا وراءكم من حيث جئتم وقرأ هشام
والكسائي بضم القاف والباقون بكسرهما ولما كان التقدير فرجعوا أو فاقاموا في الظلمة
سبب عنه وعقب قوله تعالى (فضرب بينهم) أي بين المؤمنين والمنافقين (بسور) أي حائط
حائل بين شق الجنة وشق النار (له) أي ذلك السور (باب) موكل به حجاب لا يفحشون الا لمن
أذن له الله تعالى من المؤمنين لما يهدى اليهم اليه من نورهم الذي بين أيديهم بشفاعة أو نحوها
(باطنه) أي ذلك السور وألباب وهو الشق الذي يلي الجنة من جهة الذين آمنوا جزاء لايمانهم
الذي هو غيب (فيه الرحمة) وهي ما لهم من الكرامة لانه يلي الجنة التي هي سارة تطئن من فيها
بأشجارها وبأستارها كما كانت بواطنهم ملائكة برجة (وظاهره) أي ما ظهر لاهل
النار (من قبله) أي من عنده ومن جهته (العذاب) وهو الظلمة والنار لانه يليه الاقتصار
اهلها على الظواهر من غير أن يكون لهم نفوذ الى باطن وروى عن عبد الله بن عمر أن السور
الذي ذكر الله تعالى في القرآن هو سور بيت المقدس الشريف بباطنه فيه المسجد وظاهره
من قبله العذاب وادى جهنم وقال ابن سريج كان كعب يقول في الباب الذي يسمى باب
الرجة في بيت المقدس انه الباب الذي قال الله تعالى فضرب بينهم بسور له باب الآية وقيل
السور عبارة عن منع المنافقين عن طلب المؤمنين (ينادونهم) أي ينادى المنافقون الذين آمنوا
ويترققون لهم (ألم تكن معكم) أي في الدنيا صلى ونصوم فنتحقق المشاركة فيما صرتم اليه
بسبب ذلك الذي كذبكم فيه (قالوا) أي الذين آمنوا (بلى) أي كنتم معنا في الظاهر
(واكنسكم قنتم أنفسكم) أهلكتموها بالنفاق والكفر واستعملتموها في المعادى والشهوات
وكلفتموها (وتربصتم) أي بالايان والتوبة وبمحمد صلى الله عليه وسلم رقت يوشك أن
يموت فتستريح منه (واربتم) أي شككتم في الدين وفي نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وفيما
وعدكم به (وغررتمكم الاماني) أي ما تمنون من الارادات التي معها شهوة عظيمة من
الاطماع الفارغة التي لا سبب لها غير شهوة النفس اياها بما كنتم تتوقعون لناس من دوائر
السوء (حق جاء امر الله) أي قضاء الملك المتصف بجميع صفات الكمال فلا كفو له ولا خلف
وقرأ قالون وأبوعروا بإسقاط الهمزة الاولى مع المذوال والقصر وقرأ ورش وقيل بتسهيل الثانية
وأيضاً الهما ابد الهما والباقون بتحقيقهما وأمال الالف بغدا الميم حزة وابن ذكوان والباقون

عَمَّ وَادَا وَقَفَ حِزَّةً وَحِشَامٌ أَبَدَ الْهَمَزَةَ الثَّانِيَةَ مَعَ الْمَدِّ وَالتَّوَسُّطِ وَالتَّقْصِيرِ (وَعَزَّ كَمَا بَقِيَ)
 أَيُّ الْمَلِكِ الَّذِي لَهُ جَمِيعُ الْعِظَمَةِ (الْقُرُورُ) أَيُّ مَنْ لَا صَنْعَ لَهُ إِلَّا الْكَذِبُ وَهُوَ الشَّيْطَانُ فَإِنَّهُ
 يَزِينُ لَكُمْ بَغْوَرَهُ التَّسْوِيفَ وَيَقُولُ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ وَعَفُورٌ كَرِيمٌ وَمَا ذَا عَسَى أَنْ تَكُونُوا
 ذُنُوبَكُمْ عِنْدَهُ وَخَوْعُكُمْ وَمُخَسَّنٌ وَحَلِيمٌ وَفُحْوَ ذَلِكَ فَلَا يَزَالُ حَتَّى يَوْقَعَ الْإِنْسَانُ فَإِذَا أَدْرَكَهُ
 وَاصِلٌ عَلَيْهِ مِثْلُ ذَلِكَ حَتَّى يَتِمَّادَى فَإِذَا تَعَادَى صَارَ الْبَائِعُ لَهُ حَقِيقَةً مِنْ قَبْلِ نَفْسِهِ فَصَارَ طَرُوعُ
 يَدِهِ (فَالْيَوْمَ) أَيُّ بِسَبَبِ أَعْمَالِكُمْ تِلْكَ (لَا يُوْخِذُكُمْ فَنَدِيمٌ) أَيُّ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْفِدَاءِ وَهُوَ
 الْبَدَلُ وَالْعَوَضُ لِلنَّفْسِ عَلَى أَيِّ حَازٍ كَانَ مِنْ قَلْبِهِ أَوْ كَثُرَ لِأَنَّ الْإِلَهَ غَنَى وَقَدْ فَاتَ مَحَلَّ الْعَمَلِ الَّذِي
 شَرَعَهُ لَكُمْ لِنَقِيَادِ أَنْفُسِكُمْ وَقَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ بِالتَّاءِ الْفَوْقِ قِيَمَةً عَلَى التَّائِيثِ وَالْبَاقُونَ بِالتَّخْفِيفِ عَلَى
 التَّذْكِيرِ (وَالَّذِينَ كَفَرُوا) أَيُّ الَّذِينَ أَظْهَرُوا كُفْرَهُمْ وَلَمْ يَسْتَرْوْهُ كَمَا سَتَرْتَهُ أَنْتُمْ لِمَسَاوَاتِكُمْ
 لَهُمْ فِي الْكُفْرِ وَانْمَاعُطَفَ الْكَافِرُ عَلَى الْمُنَافِقِ وَإِنْ كَانَ الْمُنَافِقُ كَافِرًا فِي الْحَقِيقَةِ
 لِأَنَّ الْمُنَافِقَ أَبْطَنُ الْكُفْرِ وَالْكَافِرُ أَظْهَرُهُ فَصَارَ غَيْرُ الْمُنَافِقِ خَفِيَ عَنْ عِطْفِهِ عَلَى الْمُنَافِقِ (مَأْوَاهُمْ
 النَّارُ) أَيُّ مَنَازِلِكُمْ وَمَسْكَنِكُمْ لَا مَقْرَلَكُمْ غَيْرَهَا تَحْرُقُكُمْ كَمَا كُنْتُمْ تَحْرُقُونَ قُلُوبَ الْإِوْبَاءِ
 بِأَقْبَالِكُمْ عَلَى الشَّهَوَاتِ وَاضَاعَةً حَقُوقِ ذَوِي الْحَاجَاتِ وَقَرَأَ حِزَّةً وَالْكَسَاءُ بِالْأَمَالَةِ الْمُخَفَّةِ
 وَقَرَأَ وَرَشَ بِالْفَتْحِ وَبَيْنَ اللَّفْظَيْنِ وَالْبَاقُونَ بِالْفَتْحِ وَوَرَشَ لَا يَبْدُلُ هَذِهِ الْهَمَزَةُ ثُمَّ أَكْثَرُ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ
 تَعَالَى (هِيَ) أَيُّ لَا غَيْرَهَا (مَوْلَاكُمْ) أَيُّ هِيَ أَوْلَى بِكُمْ وَأَنْتُمْ قَوْلُ لَيْسَ

فَغَدَّتْ كَلَامَ الْفَرَجَيْنِ تَحْسِبُ أَنَّهُ * مَوْلَى الْخُفَاةِ خَلْفَهَا وَأَمَامَهَا

وَالشَّاهِدُ فِي مَوْلَى الْخُفَاةِ قَوْلِي بِعَسَى أَوْلَى وَالْفَرَجَانِ الْجَانِبَانِ وَهُوَ الْخَافُ وَالْقَدَامُ وَهُوَ وَصْفُ
 بَقَرَةٍ وَخُشْيَةٍ أَيُّ غَدَّتْ عَلَى حَالَةٍ كَلَامًا يَتَّبِعُهَا مَخُوفٌ وَحَقِيقَتُهُ فِي الْآيَةِ مَحْرَاكُمْ بِجَاهٍ مَهْمَلَةٍ وَرَاءَ
 أَيُّ مَكَانِكُمْ الَّذِي يُقَالُ فِيهِ هُوَ أَوْلَى بِكُمْ كَمَا قِيلَ هُوَ مِثْنَةٌ لِلْكَرَمِ أَيُّ مَكَانٍ كَقَوْلِ الْقَائِلِ إِنَّهُ لِكَرِيمٍ
 وَيَجُوزُ أَنْ يَرَادَ هِيَ نَاصِرُكُمْ أَيُّ لَا نَاصِرَ لَكُمْ غَيْرَهَا وَالْمُرَادُ فِي النَّاصِرِ عَلَى الْبَنَاتِ وَقِيلَ تَتَوَلَّاهُمْ
 كَمَا تَوَلَّيْتُمْ فِي الدُّنْيَا أَعْمَالَ أَهْلِ النَّارِ وَلَمَّا كَانَ التَّقْدِيرُ بِرَبِّهِ الْمَوْلَى هِيَ عِطْفُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى
 (وَبَشِّرِ الْمَصِيرَ) أَيُّ هَذِهِ النَّارُ وَاخْتَلَفَ فِي سَبَبِ نَزُولِ قَوْلِهِ تَعَالَى (أَلَمْ يَأْنِ) أَيُّ يَحْنُ وَيَدْرُكُ
 وَيَنْتَهِي إِلَى الْغَايَةِ (الَّذِينَ آمَنُوا) أَيُّ أَقْرَبُوا بِالْإِيمَانِ (أَنْ تَخْشَعَ) أَيُّ تَلِينُ وَتَسْكُنُ وَتَخْضَعُ وَتَذَلُّ
 وَتَطْمَئِنُّ (قُلُوبُهُمْ لَذَكَرَ اللَّهُ) أَيُّ الْمَلِكِ الْأَعْظَمِ الَّذِي لَا خَيْرَ إِلَّا مِنْهُ فَيَصْدُقُ فِي إِيمَانِهِ مَنْ كَانَ كَاذِبًا
 وَيَقْوَى فِي الدِّينِ مَنْ كَانَ ضَعِيفًا فَيَعْرِضُ عَنِ الْفَنَاءِ وَيَقْبَلُ عَلَى الْبَاقِي وَلَا يَطْلُبُ لِدَاءِ دِينِهِ
 دَوَاءً وَلَا مَرَضَ قَلْبِهِ شِفَاءً فِي غَيْرِ الْقُرْآنِ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا أَنَّ اللَّهَ اسْتَبْطَأَ
 قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ فَعَاتَبَهُمْ عَلَى رَأْسِ ثَلَاثِ عَشْرَةَ سَنَةً مِنْ نَزُولِ الْقُرْآنِ وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ
 عَنْهُ مَا كَانَ بَيْنَ إِسْلَامِنَا وَبَيْنَ أَنْ عَوَّيْنَا بِهَذِهِ الْآيَةِ الْأَرْبَعِ سَنَتَيْنِ وَعَنِ الْحَسَنِ أَمَّا اللَّهُ لَقَدْ
 اسْتَبْطَأَهُمْ وَهُمْ يَقْرَأُونَ مِنَ الْقُرْآنِ أَقْلَ مَا تَقْرَأُونَ فَانْظُرُوا فِي طَوْلِ مَا قَرَأْتُمْ مِنْهُ وَمَا ظَهَرَ فِيكُمْ
 مِنَ الْفُسْقِ وَقِيلَ كَانُوا مُجَدِّدِينَ بِعَمَلِهِمْ فَظَلُّوا هَاجِرًا وَأَصَابُوا الرِّزْقَ وَالنَّعْمَةَ فَقَرَأُوا عَمَّا كَانُوا عَلَيْهِ
 قَرَأَتْ وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ قَرِئَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَعِنْدَهُ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَامَةِ

فبكروا بكاشد فافطر اليهم وقال هكذا كاحق قست القلوب وقال الشاعر
 ألم يأتني يا قلب أن تنرك الجاهلا * وأن يحدث الشيب المنير لنا عقلا
 وقوله تعالى (وما نزل من الحق) أى القرآن عطف على الذكر عطف أحد الوصفين على الآخر
 لأن القرآن جامع للامرين للذكر والموعظة أو أنه حق تازل من السموات ويجوز أن يراد بالذكر
 أن يذكر الله تعالى وقرأ نافع وحفص بتخفيف الزاى والباقون بالتشديد وقوله تعالى
 (ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل) أى قبل ما نزل اليكم وهم اليهود والنصارى
 معطوف على تحشع والمراد النهي عن مماثلة أهل الكتاب فيما حكي عنهم بقوله تعالى (فطال
 عليهم الامد) أى الاجل لطول أعمارهم أو آمالهم أو ما بينهم وبين أنبيائهم (فقت) أى بسبب
 الطول (قلوبهم) أى صلبت واعوجت بحيث لا تنفع بالطاعات والخير فكانوا كل حين في قنوت
 جديد على أنبيائهم عليهم السلام يسألونهم المقترحات وأما بعد أنبيائهم فابعدوا في القساوة
 فبالوا الى دار الكدروا عرضوا دار الصفاء فاجروا الى الهلاك باتباع الشهوات قال
 القشيري وقسوة القلب انما تحصل باتباع الشهوة فان الشهوة والصفوة لا يجتمعان وعن أبي
 موسى الاشعري أنه بعث الى قراء البصرة فدخل عليه ثلثمائة رجل قد قرؤوا القرآن فقال أنتم
 خير أهل البصرة وقرأوهم فأقرؤهم ولا تعلموا عليكم الامد فتقسط قلوبكم كما قست قلوب
 من كان قبلكم (وكثير منهم) أخرجه قساوته عن الدين أصلا ورأساهم (قاساة) أى
 عريقون في صفة الاقدام على الخروج من دائرة الحق الى حدها لهم الكتاب حتى تركوا
 الإيمان بعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام وقوله تعالى (اعلموا أن الله) أى الملك الاعظم
 الذى له الكمال كله فلا يعجزه شئ (يعجز) أى على سبيل التعبد والاستقرار كما تشاهدونه
 (الارض) أى بالنبات (بعد موتها) أى يسها تمثيل لحياء الاموات بجميع أجسادهم
 وافاضة الارواح عليها كما فعل بالنبات وكما فعل بالاجسام أول مرة ولاحياء القلوب القاسية
 بالذكر والتلاوة فاحذروا سطوته واخشوا غضبه وارجو رحمة لحياء القلوب فانه قادر على
 احياها بروح الوحي كما احيا الارض بروح الماء لتصير باحياها بالذكر خاشعة بعد قسوتها
 كما صارت الارض رابية بعد خشوعها وموتها ولما انكشف الامر به ذه غابة الانكشاف أنتج
 قوله تعالى (قد بينا) أى على ما لثامن العظمة (لكم الآيات) أى العلامات النيرات (اعلمكم
 تعقلون) أى لتكفروا عن من يعلم ذلك ويسمع من الثلاث على رجا من حصول العقل لكم
 بما يعبد لكم من فهمه على سبيل التواصل الدائم بالاستمرار وقرأ (ان المصدقين) أى
 العريقين في هذا الوصف من الرجال (والمصدقات) أى من النساء بن كثير وشعبة بتخفيف
 الصاد فيهما من التصديق بالإيمان والباقون بالتشديد فيهما من التصديق أو دغمت التاء في الصاد
 أى الذين تصدقوا وقوله تعالى (وأقرضوا الله) أى الذى له الكمال كله عطف على معنى الفعل
 في المصدقين لأن الامعنى الذين واسم الفاعل بمعنى اصدقوا كما قيل ان الذين اصدقوا
 وأقرضوا الله (قرضوا حسنا) أى بغاية ما يكون من طيب النفس واخلاص النية والمنفعة

في سبيل الخير وحسنه كما قاله الرازي أن يصرف بصره عن النظر إلى فعله والنفقة والاستغناء
 وطلب العوض عليه (يضاعف) أي ذلك القرض (لهم) من عشرة إلى سبعة مائة كما مر لأن الذي
 كان له العرض كريم وقرأ ابن كثير وابن عاصم بتشديد العين ولا ألف بينهما وبين الصاد والباقون
 بضم العين وبينهما وبين الصاد ألف (ولهم) أي مع المضاعفة (أجر كريم) أي ثواب حسن
 وهو الجنة والنظر إلى وجهه الكريم ثم بين سبحانه وتعالى الحامل على الصدقة ترغيباً فيه وهو
 الإيمان فقال تعالى (والذين آمنوا) أي أوجدوا هذه الحقيقة العظيمة في أنفسهم (بالله) أي
 الملك الأعلى الذي له الجلال والإكرام (ورسله) أي كاهنهم لأجل ما لهم من التوبة إليه من كذب
 واحد منهم لم يكن. ومناب الله تعالى (أولئك) أي هؤلاء العالو الرتبة (هم الصديقون) أي الذين
 هم في غاية الصدق والتصديق لما يحق له أن يصدق من سمعه وقال القشيري الصديق من استوى
 ظاهره وباطنه ويقال هو الذي يحمل الأمر على الشق ولا ينزل إلى الرخص ولا يبخع للتأويلات
 وقال مجاهد كل من آمن بالله تعالى ورسله عليهم السلام فهو صديق وتلا هذه الآية وقال
 الضحاك الآية خاصة في غيبة نقر من هذه الأمة سبوا أهل الأرض في زمانهم إلى الإسلام
 أبو بكر وعلي وزيد وعثمان وطلحة والزبير وسعد وحزرة وناصفهم عمر بن الخطاب رضي
 الله عنهم الحق الله تعالى بهم لما عرف من صدق نبه صلى الله عليه وسلم وعلى آله واختلف في نظم
 قوله تعالى (والشهداء عند ربهم) أي المحسن إليهم بالتبعية لمثل تلك الرتبة العالية فيهم من قال
 هي متصلة بما قبلها والوال للثبوت وأراد بالشهداء المؤمنين المخلصين وقال الضحاك هم التسعة
 الذين سبحانه رضي الله عنهم وقال مجاهد كل مؤمن صديق وشهيد وتلا هذه الآية وقال قوم
 تم الكلام عند قوله تعالى هم الصديقون ثم ابتدأ بقوله تعالى والشهداء فهم مبتدأ وخبر (أهم
 أجرهم) أي جعله ربهم لهم (ونورهم) أي الذي زادهم نوراً من فضله برحمة قالوا والواو
 للاستئناف وهو قول ابن عباس رضي الله عنهم وأومسروق وجاعة ثم اختلفوا فيهم من
 قال هم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الذين يشهدون على الأمم يروى ذلك عن ابن عباس رضي
 الله عنهم وهو قول مقاتل بن حبان وقال مقاتل بن سليمان هم الذين استشهدوا في سبيل الله
 عز وجل * ولما ذكر تعالى أهل السعادة جعلنا الله تعالى ووالدينا ومحبينا منهم جامعاً لاصنافهم
 اتبعهم أهل الشقاوة لذلك بقوله تعالى (والذين كفروا) أي سترنا ما دلت عليه الأدلة (وكذبوا
 بآياتنا) أي على ما لهم من العظمة بسببها اليأس (أولئك) أي هؤلاء البعداء من كل خير (أصحاب
 الجحيم) أي النار التي هي غاية في توقدها وفي ذلك دليل على أن الخلود في النار مخصوص بالكفار
 من حيث أن التركيب يشعر بالاختصاص والصحة تدل على الملازمة عرفاً وأما غيرهم من
 العصاة فدخلوا فيها ليس على وجه الصحة الدالة على الملازمة ولما ذكر تعالى حال الفريقين
 في الآخرة حقراً من الدنيا بقوله تعالى (اعلموا) أي أيها العباد المبطلون يجب الدنيا (اعمال الحيات
 الدنيا) أي الحاضرة التي رغب في الزخرفها والخروج عنها بالصدقة والقرض الحسن وما مر به
 للتأكيده أي الحياة في هذه الدار (لعب) أي لعب لا ثمرة له فهو باطل كعب الصبيان (ولهم) أي

شي يفرح به الانسان فيلبيه أي يشغله عما يهنيه ثم ينقضى كاهو القتيان ثم أتبع ذلك أعظم ما يلهي في الدنيا بقوله تعالى (وزينة) أي شيء يهيج العين ويسر النفس كزينة النسوان واتباعها ثم أتبعه بقوله تعالى (وتفاخرينكم) أي كتمافخر الاقران يفخر بعضهم على بعض فيجبر ذلك الى الحسد والبغضاء واتباع ذلك بما يحصل به الفخر بقوله تعالى (وتكاثرون) أي من الجبابرة تكاثروا الرهبان (في الاموال) أي التي لا يقفون الا لأحق لكونها ماثلة (والاولاد) أي التي لا يفترون بها الاستغناء لانها ماثلة وآفات ماثلة وانما هي قسمة وابتلاء يظهر بها الشاكر من غيره ثم ذلك كله قديكون ذهابه عن قريب فيكون على اضداد ما كان عليه فيكون أشد في الحسرة ثم في آخر ذلك يموت فاذا هو قد اضمحل أمره ونسي عما قبل ذكروه وصار ماله لغيره وزينته ممتعة ما به سواه فالدين ناقصة وأحقه نهطاطها لانها جيفة وطالب الجيفة ليس له خطر وأخسهم من يجمل بها وقال على اعمار لا تحزن على الدنيا فان الدنيا سنة أشياء ما كول ومشروب وملبوس ومشغول ومركوب ومنكوح فأحب طعمها العسل وهو برقة ذبابة وأكث شرابها الماء ويسوى فيه جميع الحيوان وأفضل ملبوسها الدياج وهو نسج دودة وأفضل مشغولها المسك وهو دمد فارة وأفضل المركوب الفرس وعليها تنقل الرجال وأما المنكوح فهو النساء وهو مبال في مبال والله ان المرأة لاتزين أحسنها فيراد منها ما أقبحها اه ويناسب بعض ذلك قول الشاعر

فخير لباسها نسجات دود * وخير شرابها قى الذباب

وأشهى ما ينال المرء فيها * مبال في مبال مستطاب

قال القسيري وهذه الدنيا المذمومة هي ما يشغل العبد عن الآخرة فكل ما يشغله عن الآخرة فهو الدنيا اه أي وأما الطاعات وما يعين عليه في أمور الآخرة * ثم ضرب الله للدنيا مثلاً بقوله تعالى (كذل) أي هذا الذي ذكرته من أمرها يشبه مثل (غيث) أي طر حصل بعد جدد وسوء حال (أعجب الكفار) أي الزراع الذين حصل منهم الحرث والبذر الذي يستره الحارث كما يستتر الكافر حقيقة أنوار الايمان بما يحصل منه من الجحود والطغيان (نباته) أي نبات ذلك الغيث كما يعجب الكافر في الغالب بسط الدنيا له استدرأج من الله تعالى (ثم يهيج) أي يهيج فيتم جفافه فيعين حصاده (فتراه) أي عقب كل ذلك وبالقرب منه (مصفرا) أي على حالة لا تنور بعدها (ثم) أي بعد تنهاى الجفاف (يكون) أي كونا كأنه مطبوع عليه (حطاماً) أي قتما لا يضمحل بالرياح * ولما ذكر تعالى الظل الزائل ذكر اثره الثابت الدائم مقسماله الى قسمين فقال تعالى (وفي الآخرة عذاب شديد) أي على من آثر الدنيا وأخذها بغير حجة معرضاً عن ذكر الله تعالى وعن الآخرة هذا أحد القسمين وأما القسم الآخر فهو ما ذكره بقوله تعالى (ومغفرة) أي ولن أقبل على الآخرة ورفض الدنيا ولم تشغله عن ذكر الله تعالى مغفرة (من الله) أي الملك الاعظم (ورضوان) أي في جنة عالية تفضل الله تعالى ورجته * وقوله تعالى حل وعلا (وما الحياة الدنيا) أي لكونها تشغل بنينها مع أنها زائلة (الامتاع الغرور) أي هو في نفسه غرور ولا حقيقة له

الا ذلك لانه لا يسر بقدر ما يضرتا كيد المسابق قال سعيد بن جبير الدنيا متاع الغرور اذا
 اُلهتكم عن طلب الآخرة فاما اذا دعيتكم الى طلب رضوان الله وطلب الآخرة فتمتع المتاع وتمتع
 الوسيلة ثم ارشدكم الله تعالى الى المسابقة الى الخيرات لان الدنيا خيال ومحال والآخرة بقاء
 وكال بقوله تعالى (سابقوا) أي سارعوا وسارعة المسابقة في المضمار (الى مغفرة) أي ستر
 لذنوبكم عينا وأثرا (من ربكم) أي المحسن اليكم بأنواع الخيرات التي توجب المغفرة لكم من
 ربكم وقال الكوفي سارعوا بالتوبة لانها تؤدي الى المغفرة وقال مكحول هي التكبيرة الاولى
 مع الامام وقيل الصف الاول (وجنة) أي وبستان هومن عظم أشجاره واطراداته بحيث
 يسترد اخذه (عرضها كعرض السماء والارض) أي السموات السبع والارضين السبع
 لوجعلت صفائح والزق بعضها ببعض لكان عرض الجنة في قدرها جيعا وقال ابن عباس رضي
 الله عنهم ما يريدان لكل واحد من الملعدين جنة بهذه السعة وقال مقاتل ان السموات السبع
 والارضين السبع لوجعلت صفائح والزق بعضها الى بعض لكانت عرض جنة واحدة من
 الجنان وسأل عمر بن الخطاب عن عرضها ذلك فابن النارية فقال لهسم رأيتكم اذا
 جاء الليل أين يكون النيران واذا جاء النهار أين يكون الليل فقالوا انه مثلها ما في التوراة
 ومعناه انه حدث شاء الله وهذا عرضها ولا شك ان الطول أزيد من العرض فذكر العرض تنبيها
 على ان طولها اضعاف ذلك وقيل ان هذا تمثيل للعباد بما يعقلونه ويقع في انفسهم وأفكارهم
 واكثر ما يقع في انفسهم مقدار السموات والارض فشيء عرض الجنة بما تعرفه الناس
 (أعدت) أي هيئت هذه الجنة الموعود بها ووفر غنم من أمرها بأيسر أمر (للذين آمنوا) أي
 أوقعوا هذه الحقيقة (بالله) أي الذي له جميع العظمة لاجل ذاته مخلصين له الايمان (ورسله)
 فلم يفرقوا بين أحد منهم وفي هذا أعظم رجاء وأقوى أمل لانه ذكر ان الجنة أعدت لمن آمن بالله
 ورسله ولم يذكر مع الايمان شيئا آخر يدل عليه قوله تعالى في سياق الآية (ذلك) أي الفضل
 العظيم جدا (فضل الله) أي الملك الذي لا كفو له فلا اعتراض عليه (بوتيه من يشاء) فمن أنه
 لا يدخل أحد الجنة الا بفضل الله لا بعمله كما روى عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم لن يدخل الجنة أحد آمنكم عمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا الا ان يتغمدهني
 الله بفضل رحمة ولا يشافي ذلك قوله تعالى ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون لان البقاء في الحديث
 عوضية وفي الآية تسمية (فان قيل) يلزم على هذا ان يقطع بحصول الجنة لجميع العصاة وان
 يقطع بأنه لا عقاب عليهم (أجيب) باننا نقطع بحصول الجنة ولا نقطع بنقي العقاب فمنهم لانهم اذا
 عذبوا مدة ثم نقلوا الى الجنة بقوا فيها أبدا لا ذفكات معدة لهم (والله) أي والخلال ان الملك
 المختص بجميع صفات السكال فله الامر كله (ذو الفضل العظيم) أي الذي جل أن يحيط
 بوصفه العقول (ما أصاب من مصيبة في الارض) أي من غلظ المطر وقلة النبات ونقص الثمرات
 وغلاء الاسعار وتتابع الحوائج وغير ذلك (ولا في انفسكم) أي من الامراض والفقر وذهاب
 الاولاد وضيق العيش وغير ذلك (الافى كتاب) أي مكتوبة في اللوح منبئة في علم الله تعالى

(من قبل ان تبراها) أى تخلق ونوجد وتقدير المصيبة فى الارض والانس وهذا دليل على ان اكتاب العباد يخلق سبحانه وتعالى وتقديره (ان ذلك) أى الامر الجليل وهو علمه بالشيء وكتبه له على تفصيله قبل ان يخلق (على الله) أى المالم من الاحاطة بصفات الكمال (يسير) لان علمه محيط بكل شئ فقد قدره شامله لا يعجزه فيها شئ ثم بين غرة اعلامه بذلك بقوله تعالى (لكيلا) أى أعلمناكم باننا على ما لنا من العظمة قد فرغنا من التقدير فلا يتصور فيه تقديم ولا تأخير ولا تبديل ولا تغيير ولا حزن يدفعه ولا السرور يحلبه ويجمعه كما قال صلى الله عليه وسلم يا معاذ ليقل همك ما قدر بكن لا جمل أن لا (فأسوا) أى تحزنوا حزنا كبيرا زائدا على ما فى اصل الجبلية فربما جز ذلك الى السخط وعدم الرضا بالقضاء (على ما فاتكم) أى من الهوى والدينية (ولا تفرحوا) أى تسروا سرورا يوصلكم الى الباطل بالنادى على ما فى اصل الجبلية وقوله تعالى (عنا انكم) قرأ أبو عمرو وبقيصر الهزيمة أى جاءكم منه والباقون بالمداى اعطاكم قال جعفر الصادق رضى الله عنه مالك تأسف على مفقود ولا يرد عليك الفوت ومالك تفرح بوجود ولا يتركه فى يدك الموت اه واقدر عزى الله تعالى المؤمنين رجعتهم فى مصائبهم وزهدهم فى رغائبهم بان اسفهم على فوت المطلوب لا يعيدهم وفرحهم بمحصل المحبوب لا يفيدهم وبان ذلك لا ممتع فى بقائه الا باذخاره عند الله تعالى وذلك بأن يقول المصيبة قدر الله تعالى وما شاء فعزل وبصبر وفى النعمة هكذا قضى وما أدري ما له هذا من فضل ربى اسبلونى اشكرا أم كفر فلا يزال خائضا عند النعمة قائلا فى الحالى ما شاء الله تعالى كان وما لم يشأ لم يكن وأكل من هذا أن يكون مسرورا بذكره فى كتابنا الحالى وقبة الرجال انما تعرف بالواردات المغيرة فغن لم يتغير بالمضار ولم يتأثر بالمسار فهو سيد وقته كما أشار اليه القشيري وقال ابن عباس رضى الله عنهما ليس من أحد الا وهو يحزن ويفرح وان كان المؤمن يجعل مصيبتة صبيرا وفتحته شكرا والحزن والفرح المنهى عنهما هما اللذان تتعدى فيهما الى ما لا يجوز (والله) أى الذى له صفات الكمال (لا يجب) أى لا يفعل فعل الحب بان يكرم (كل محتمل) أى متكبر نظر الى ما فى يده من الدنيا (نفور) أى به على الناس قال القشيري الاختيال من بقايا النفس ورؤيتها والفخر من رؤية خطر ما به يقصر وقوله تعالى (الدين يغفلون) بدل من كل محتمل نفور فان المحتمل بالمال يقص به غالبا (ويأمرون الناس) أى كل من يعرفونه (بالجمل) الزادة أن يكونوا لهم رفقاء يعملون بأعمالهم الخبيثة أو مبتدأ خبره محذوف مدلول عليه بقوله تعالى (ومن يقول) أى يكاف نفسه الا عراض ضد ما فى فطرته من محبة الخير والاقبال على الله تعالى (فان الله) الذى له جميع صفات الكمال (هو) أى وحده (الغنى العظيم) لان معناه ومن يعرض عن الاتفاق فان الله غنى أى عن ماله وعن انفاقه وكل شئ منتهى اليه وهو مستحق الحمد سواء أأجده الخائضون أم لا (لقد أرسلنا) أى بالثامن العظيمة (رسلنا) أى الذين لهم نهاية الجلال بما لهم بسلام الاتصال من الملائكة الى الانبياء على جميعهم افضل الصلاة والسلام ومن الانبياء الى الامم (بالبينات) أى الحجج القواطع (وأبرز لنا) أى بعظمنا التى لا شئ أعلى منها (معهم الكتاب)

أى الكتب المتضمنة للأحكام وشرايع الدين (والميزان) أى العدل وقيل الآلة روى أن جبريل
 عليه السلام نزل بالميزان فدفعه إلى نوح عليه السلام وقال من قومك يزونه (ليقوم الناس
 بالقسط) أى ليتعاملوا بينهم بالعدل (وانزلنا) أى خلقنا خلقاً عظيماً بالآمن القوة (الحديد) أى
 المعزوف على وجه من القوة والصلابة واللين فلذلك سعى إيجاده أنزالاً وعن ابن عباس رضى الله
 عنهما قال نزل آدم عليه السلام من الجنة ومعه خمسة أشياء من حديد وروى من آلة الحدادين
 السندان والكلبتان والميعة والمطرقة والابرة وحكاه القشيري قال والميعة ما يحد به يقال
 وقعت الحديد أنعمها أى حددتها وفى الصحاح الميعة الموضع الذى يألفه البازى فيقع عليه
 ونخشة القصار التى يدق عليها والمطرقة والمن الطويل وروى رمعه المبرد والمهجة وعن عمر
 أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الله تعالى أنزل أربع بركات من السماء إلى الأرض أنزل
 الحديد والنار والماء والمخ وروى عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال أنزل ثلاثة أشياء
 مع آدم عليه السلام الحجر الأسود وكان أشد بياضاً من الثلج وعصا موسى عليه السلام وكانت
 من أس طولها عشرة أذرع مع طول موسى وعن الحسن وأنزلنا الحديد خلقناه كقوله تعالى
 وأنزل لكم من الأنعام وذلك أن أوامره تنزل من السماء وقضاياء وأحكامه (فيه بأس) أى
 قوة وشدة (شديد) أى قوة شديدة فنه جنة وهى آلة الدفع ومنه سلاح وهو آلة الضرب (ومنافع
 للناس) بما يعمل منه من مرافقتهم لتقوم أحوالهم بذلك قال البيضاوى ما من صنعة إلا والحديد
 الكثر ما قال مجاهد يعنى جنة وقيل انتفاع الناس بالماء من الحديد كالسكين والفاس ونحو ذلك
 وروى أن الحديد أنزل في يوم الثلاثاء فيه بأس شديد أى مهراق الدماء ولذلك نهي عن الفصد
 والجمامة في يوم الثلاثاء لأنه يوم جرى فيه الدم وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال إن في يوم الثلاثاء
 ساعة لا يراق فيها الدم وقوله تعالى (وليعلم الله) أى الذى له جميع العظمة علم شهادة لأجل إقامة
 الحجة بما يليق بعقول الخلق فيكون الجزاء على العمل لا على العلم عطف على قوله تعالى ليقوم
 الناس أى لقد أرسلنا رسلنا وفعلاً كيت وكيت ليقوم الناس وليعلم الله (من ينصره) أى ينصر
 دينه بالآلات الحرب من الحديد وغيره وقوله تعالى (ورسله) عطف على مفعول ينصره أى
 وينصر رسله وقوله تعالى (بالغيب) حال من هاء ينصره أى غائب عنهم فى الدنيا قال ابن عباس
 رضى الله عنهما ينصرونه ولا ينصرونه (أن الله) أى الذى له العظمة كلها (قوى) أى فهو قادر
 على إهلاك جميع أعدائه وتأييده من ينصره من أوليائه (عزيز) فهو غير مقهور إلى نصرته أحسن
 وانما دعا عباده إلى نصرته ليقوم الحجة عليهم فيرحم من أراد بما مثقال المأثور ويعذب من
 يشاء بارتكاب المنهى ابتداء هذه الدار على حكمة وربط المسببات بالأسباب ولما أجل الرسل
 فى قوله تعالى لقد أرسلنا رسلنا ففصل هنا ما أجل من إرسال الرسل بالكتب فقال تعالى (ولقد
 أرسلنا) أى بالنا من العظمة (نوحاً) وهو الأب الثانى وجعلنا الأغلب على رسالته مظهر
 الجلال (إبراهيم) وهو أبو العرب والروم وبني إسرائيل الذى أكثر الأنبياء من نفسه وجعلنا
 الأغلب على رسالته تجلى الأكرام (وجعلنا) أى بالنا من العظمة (في ذريته) النبوة

فلا يوجدني الامن نلهمما (والكتاب) أى الكتب الاربعة وهى التوراة والانجيل
والزبور والفرقان وعن ابن عباس رضى الله عنه - ما الكتاب الخط بالقلم يقال كتب كتابا وكتابة
والضمير فى قوله تعالى (فتممهم) يعود على الذرية لتقدم ذكرها لفظا وقيل يعود على المرسل
اليهم لدلالة أرسلنا أى هو بعين الرضا منا وهو من لزوم طريقة الاصفياء وان كان من أولاد
الاعداء (وكثير منهم) أى المذكورين (فاسقون) أى هم بعين السخط وان كانوا من أولاد
الاصفياء والمراد بالفاسق ههنا الكافر لانه جعل النساق ضد المهتدين وقيل هو الذى ارتكب
الكبيرة سواء كان كافرا أم لم يكن لا طلاق هذا الاسم وهو يشمل الكافر وغيره (ثم قضينا) أى
اتبعنا بما لنا من العظمة (على آثارهم) أى الابوين المذكورين ومن مضى قبلهما من الرسل
أو عاصروهم منهم (برسلنا) أى فارسناهم واحدا فى اثر واحد كوسى والياس وداود وغيرهم
ولا يعود الضمير على الذرية لانها باقية مع الرسل وبعدهم وأيضا الرسل المتقى بهم من الذرية
(وقضينا) أى اتبعنا بما لنا من العظمة على آثارهم قبل أن تدرس (يعيسى بن مريم) وهو من
ذرية ابراهيم من جهة أمه وهو آخر من جاء قبل النبي الخاتم عليه الصلاة والسلام فامته أولى
الامم بآبائه صلى الله عليه وسلم (وآتيناه) أى بما لنا من العظمة (الانجيل) كتابا باطنا مجاهبه
مقيم الملتزم بمشربا للنبي العربى موضحا لامره مكثرا من ذكره (وجعلنا) أى بما لنا من العظمة
(فى قلوب الذين اتبعوه) أى على دينه بغاية جهدهم فكانوا على منهاجه (رافة) أى أشد رقة
على من كان ينسب الى الاتصال بهم (ورحة) أى رقة وعطفا على من لم يكن له سبب فى الاتصال
بهم كما كان الصحابة رضى الله تعالى عنهم أجمعين رحما بينهم حتى كانوا أدلة على المؤمنين مع ان
قلوبهم فى غاية الصلابة فهم أعززة على الكافرين متوادين بعضهم لبعض وقوله تعالى (ورهبانية)
منصوب بفعل مقدر يفسره الظاهر وهو قوله تعالى (ابتدعوها) قال أبو على ابتدعوها رهبانية
ابتدعوها فانه يكون المسئلة من باب الاشتغال والى هذا انها الفارسية والرمحشمرى وأبو البقاء
وبجاعة الأن هذا يقال انه اعراب المعتزلة وذلك أنهم يقولون ما كان من فعل الانسان فهو
مخلوق له فالرحمة والرافة لما كانتا من فعل الله تعالى نسب خلقهما اليه والرهبانية لما تكن
من فعل الله تعالى بل من فعل العبد يستعمل بفعله انساب ابتداعها اليه وقيل ان رهبانية
معطوفة على رافة ورحة وجعل اماما معنى خلق أو بعنى صير أو ابتدعوها على هذا صفة الرهبانية
والما خصت بذكر الابتداع لان الرافة والرحمة فى القلب أمر غيرى لا تكلف للانسان فيه ما
بخلاف الرهبانية فانها أفعال البدن والانسان فيها تكسب لكن أبو البقاء منع هذا بأن
ما جعله الله تعالى لابتدعونه وجوابه ما تقدم من انه لما كانت مكتسبة صحت ذلك فيهما والمراد من
الرهبانية ترهبهم فى الجبال فارتين من الفتنة فى الدين متحملين كافة ازايدة على العبادات التى
كانت واجبة عليهم من الخلوة واللباس الخشن والاعتزال عن النساء والتعبد فى الكهوف
والغيران روى ان ابن عباس رضى الله عنه - ما قال فى أيام الفتنة بين عيسى ومحمد صلى الله
عليه وسلم غير المولود التوراة والانجيل فساح نفروا بنى نفر قليل فترهبوا وابتلوا قال الضمك

ان ماو كابد عيسى عليه السلام ارتكبوا الحرام بطلب الشهادة فاشكرنا عليهم من كان يتي على
 منهاج عيسى فقتلوههم فقال قوم بقي بعدهم نحن اذ انهيهاهم قتلونا فليس يستعنا المقام بينهم
 فاعتزلوا الناس واتخذوا الصوامع وقال قتادة الرهبانية التي ابتدعوها رفض النساء واتخاذ
 الصوامع وفي خبر مرفوع هي لخواقهم باليزاري والجبال وقوله تعالى (ما كتبناها) صفة
 رهبانية ويجوز ان يكون استئناف اخبار بذلك قال ابن زيد معناها ما فرضناها (عليهم)
 ولا أمرناهم بها في كتابهم ولا على لسان رسولهم وقوله تعالى (الابتغاء رضوان الله) اي
 الملك الاعظم استثناء منقطع أي ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله وقبل تمتل بها هو
 مفعول من أجله والمعنى ما كتبناها عليهم لشي من الاشياء الا ابتغاء مرضاة الله ويكون كتب
 بمعنى قضى فصار المعنى كتبناها عليهم ابتغاء مرضاة الله (فأمرعوها حق رعايتها) أي ما قاموا
 بها حق القيام بل ضموا اليها التثنية وكفروا بدين عيسى ودخلوا في دين ملكهم وبقي على دين
 عيسى كثير منهم وآمنوا بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم (فأتينا) اي بالثامن صفات الكمال
 (الذين آمنوا) أي بالنبي صلى الله عليه وسلم (منهم أجمعين) أي اللاتقي بهم وهو الرضوان
 المضاعف (وكثير منهم) أي من هؤلاء الذين ابتدعوها فاضيعوا (فاسقون) أي عريقون في وصف
 الخروج عن الحدود التي حددها الله تعالى وهم الذين تركوا الرهبانية وكفروا بدين عيسى عليه
 السلام روى البغوي بسنده عن ابن مسعود أنه قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فقال يا ابن مسعود اختلف من كان قبلكم على اثنين وسبعين فرقة فاجماعتهم ثلاث وهلك سائرهم
 فرقة غزت الملوكة وقاتلوهم على دين عيسى وفرقة لم يكن لهم طاعة بعد اداء الملوكة ولا أن يعيخوا
 بين أظهرهم فدعوههم الى دين الله تعالى ودين عيسى عليه السلام فسادوا في البلاد فقرهوا
 وهم الذين قال الله عز وجل ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم ثم قال النبي صلى الله عليه
 وسلم من آمن بي وصدقني واتبعتي فقد رعاها حق رعايتها ومن لم يؤمن بي فأولئك هم الهالكون
 وعن ابن مسعود أيضا قال كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمار فقال يا ابن أم عبد
 هل تدري من اين اتخذت بنو اسرائيل الرهبانية فقلت الله ورسوله أعلم قال ظهرت عليهم
 الجبابرة بعد عيسى يعملون بالمعاصي فغضب أهل الايمان فقاتلوهم فهزموا أهل الايمان ثلاث
 مرار فلم يبق منهم الا القليل فقالوا ان ظهرنا هؤلاء قتلونا ولم يبق للدين أحد يدعوا اليه ففعلوا
 تتفرق في الارض الى أن يبعث الله تعالى النبي الذي وعدنا عيسى عليه السلام يعمون بمحمد
 صلى الله عليه وسلم ففترقوا في غير ان الجبال وأخذوا الرهبانية فغضب من عسكر يدينه ومنهم من
 كفر ثم آله هذه الآية ورهبانية ابتدعوها الى قوله تعالى فأتينا الذين آمنوا منهم أجمعهم
 يدعي من ثبت عليها أجمعهم ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم يا ابن أم عبد أتدري ما رهبانية أمتي
 قالت الله ورسوله أعلم قال الهجرة والجهاد والصلاة والصوم والحج والعمرة وعن أنس أن النبي
 صلى الله عليه وسلم قال ان لكل أمة رهبانية ورهبانية هذه الامة الجهاد في سبيل الله تعالى
 وعن ابن عباس قال كانت ملوك بني اسرائيل بعد عيسى عليه السلام بدلوا التوراة والانجيل

وكان فيهم - هم مؤمنون يقرؤن التوراة والانجيل ويدعونهم - الى دين الله تعالى فقبلوا له -
 لوجههم هؤلاء الذين شقوا عليكم فقتلوه وهم اودخلوا فيما نحن فيه فجمعهم ملكهم وعرض
 عليهم القتل أو يتركوا قراءة التوراة والانجيل والانجيلوا منها فقالوا نحن نكفيكم انفسنا
 فقالت طائفة ابناؤنا اسطوانة ثم ارفعونا اليها ثم اعطونا شيئا نرفع به طعامنا وشرابا فلانزل
 عليكم وقالت طائفة دعونا نسبح في الارض ونهيم ونشرب كما يشرب الوحش فان قدرتم علينا
 بأرضنا فاقبلونا وقالت طائفة ابناؤنا دورا في الصياغى نحتقر الا بارو ونحترب البقرة فلانزل عليكم
 ولانراكم ففعلوا بهم ذلك فضى أولئك على منهاج عيسى عليه السلام وخلف قوم من بعدهم بمن
 غير الله كتاب فجعل الرجل يقول نكون في مكان فلان قنيت عبدك كما عبد ونسبح كما سبح فلان
 وتخذ دورا كما اتخذ فلان وهم على شركهم لا علم لهم بايمان الذين اقدموا بهم - فذلك
 قوله عز وجل ورهبانية ابتدعوها ابتدعها هؤلاء الصالحون فارعوها حق رعايتهم يا بني
 الآخرين الذين جاؤا من بعدهم فأتيتهم الذين آمنوا منهم أجمعهم يعني الذين اتبعوها ابتغاء
 مرضاة الله وكثير منهم فاسقون هم الذين جاؤا من بعدهم قال فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم
 ولم يبق منهم - إلا القليل انحط رجل من صومعته وجاء سائح من سياحته وصاحب دير من ديره
 فأمنوا وصدقوا فقال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا) أي موسى وعيسى عليهما السلام إيماننا
 صحيحا (اتقوا الله) أي خافوا عقاب الملك الاعظم (وآمنوا برسوله) محمد صلى الله عليه وسلم إيماننا
 مضموما الى إيمانكم نحن تقدمه هذا اذا كان خطبا للمؤمنين أهل الكتاب وأما اذا كان خطبا
 للمؤمنين من أهل الكتاب وغيرهم فالمعنى آمنوا برسوله إيماننا مضموما الى إيمانكم بالله تعالى فإنه
 لا يصح الإيمان بالله الامع الايمان برسوله صلى الله عليه وسلم (بؤنكم) أي يثبكم على اتباعه
 (كفيلين) أي نصيبين ضخمين (من رحمته) يحصنا انكم من العذاب كما يحصن الكفل الراكب
 من الوقوع وهو كإعقده على ظهر البعير فيلقى مقدمه على الكاهل ومؤخره على العجز وهذا
 التحصين لاجل إيمانكم بمحمد صلى الله عليه وسلم وإيمانكم به عن تقدمه مع خفة العمل ورفع
 الآصار ولا يعبدان يثابوا على دينهم السابق وان كان منسوخا ببركة الاسلام وقيل الخطاب
 للنصارى الذين كانوا في عصره صلى الله عليه وسلم وقال أبو موسى الأشعري كنفلين ضعفين بلسان
 الحبشة وقال ابن زيد كنفلين أجر الدنيا وأجر الآخرة وعن أبي موسى الأشعري أن النبي صلى الله
 عليه وسلم قال ثلاث يؤتون أجرهم مرتين رجل كانت له جارية فأدبها فأحسن تأديبها ثم أعتقها
 وترجها ورجل من أهل الكتاب أمر بكتابه وآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وعبد أحسن عبادة
 الله ونصح سيده (ويجعل لكم) أي مع ذلك (نورا) مجازيا في الدين من العلوم والمعارف
 القلبية وحسيا في الآخرة بسبب العمل (تسبون به) أي مجازيا في الدنيا بالتوفيق للعمل - وحقبة
 في الآخرة بسبب العمل وقال مجاهد النور هو البيان والهدى وقال ابن عباس هو القرآن
 وقال الزمخشري هو النور المذكور في قوله تعالى نورهم يسبحي وقيل يسبون في الناس يدعونهم الى
 الاسلام فيكونون رؤساء في دين الاسلام لاتزول عنكم وبإستكم فيه وذلك أنهم خافوا ان تزول

رياستهم لو آمنوا بجمدة صلى الله عليه وسلم وانما كان يقوتهم اخذ رشوة يسيرة من الضعفة
 يتصرف احكام الله تعالى لا الرياسة الحقيقية في الدين (ويغفر لكم) أى ما فرط منكم من
 سهو و عمد وهزل و جنة (والله) أى المحيط بجميع صفات الكمال (غفور) أى بليغ المحو
 للذنوب عينا و أثرا (رحيم) أى بليغ الاكرام ان يغفر له و يوفقه للعمل بما رضى به و لما بلغ من لم
 يؤمن من أهل الكتاب قوله تعالى أولئك يؤتوا أجرهم مرتين قالوا المسلمين ائمان آمن منا
 بكتابكم فله أجر مرتين لا يمانه بكتابكم و بكتابنا و من لم يؤمن منافقه أجره كاجوركم فافضل لكم علينا
 فانزل الله تعالى (لئلا يعلم) أى ليعلم و لازادة للتأكيد (أهل الكتاب) الذين لم يؤمنوا بجمدة
 صلى الله عليه وسلم (أن) مخففة من الثقيلة اسمها ضمير الشأن والمعنى انهم (لا يقدر و ن على
 شئ) فى زمن من الازمان (من فضل الله) أى الملك الاعلى فلا أجر لهم ولا نصيب فى فضله ان لم
 يؤمنوا بنبىه محمد صلى الله عليه وسلم وقال قيادة حسد الذين لم يؤمنوا من أهل الكتاب المؤمنين
 منهم فنزلت هذه الآية وقال مجاهد قالت اليهود يشك ان يخرج من انبيى يقطع الابدى والارجل
 فلما خرج من العرب كفروا به فنزلت الآية وروى أن. وبنى أهل الكتاب افتخروا على غيرهم من
 المؤمنين بأنهم يؤتوا أجرهم مرتين وادعوا الفضل عليهم فنزلت وقيل المراد من فضل الله الاسلام
 وقيل الثواب وقال الكلبي من رزق الله وقيل نعم الله تعالى التى لا تحصى (وان) أى وليعلموا أن
 (الفضل) أى الذى لا يحتاج اليه من هو عنده (بيد الله) الذى له الامر كله (يؤتبه من يشاء)
 لانه قادر مختار فأتى المؤمنين منهم أجرهم مرتين (والله) أى الذى أحاط بجميع صفات الكمال
 (ذو الفضل العظيم) أى مالكم ملكا لا يتفك ولا ملك لاحد فيه معه ولا تصرف بوجه أصلا
 فلذلك يخص من يشاء بما يشاء روى البخارى عن ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
 وسلم يقول وهو قائم على المنبر انما بقاؤكم فى من سلف قبلكم من الامم كباين صلاة العصر الى غروب
 الشمس أعطى أهل التوراة التوراة فعملوا بها حتى اتصف النهار ثم عجزوا فأعطوا قيراطا قيراطا
 ثم أعطى أهل الانجيل الانجيل فعملوا به حتى صلاة العصر ثم عجزوا فأعطوا قيراطا قيراطا
 ثم أعطى القرآن فعملتم به حتى غربت الشمس فأعطى قيراطين قيراطين قيراطين قال أهل التوراة
 ربنا هؤلاء أقل عملا وأكثر أجرا قال هل ظلمتكم من أجركم شيئا قالوا الا قال فذلك فضلى أوتيه من
 أشياء وفى رواية فغضبت اليهود والنصارى وقالوا ربنا الحديث وفى رواية انما أجاسكم فى أجل
 من كان قبلكم خلا من الامم كباين صلاة العصر الى غروب الشمس وانما مثلكم ومثل اليهود
 والنصارى كرجل استعمل عمالا فقال من يعمل لى الى نصف النهار على قيراط قيراط فعملت اليهود
 الى نصف النهار على قيراط قيراط ثم قال من يعمل لى من نصف النهار الى صلاة العصر على قيراط
 قيراط فعملت النصارى الى نصف النهار الى العصر على قيراط قيراط ثم قال من يعمل لى من صلاة
 العصر الى مغرب الشمس على قيراطين قيراطين الا فأنتم الذين تعملون من صلاة العصر الى مغرب
 الشمس ألا لكم الاجر مرتين فغضبت اليهود والنصارى وقالوا نحن أكثر عملا وأقل عطاء قال الله
 تعالى هل ظلمتكم من حقكم شيئا قالوا الا قال فانه فضلى أوتيه من شئت وعن أبى موسى الاشعري

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل المسلمين واليهود والنصارى كمثل رجل استأجر قوما يعملون له عملا يوما الى الليل على أجر مائة درهم فعملوا الى نصف النهار فقالوا لا حاجة لنا الى أجرنا الذي شرطت لنا وما عملنا باطل فقال لهم لا نفع لعلوا أكلوا بقية عملكم وخذوا أجركم كاملا فأبوا وتركوا واستأجر آخرين من بعدهم فقال أكلوا بقية يومكم هذا ولكم الذي شرطت لهم من الأجر فعملوا حتى اذا كان حين صلاة العصر قالوا ما عملنا باطل ولك الأجر الذي جعلت لنا فيه فقال أكلوا بقية عملكم فأتى من النهار شيء يسير فأبوا فاستأجر آخرين على أن يعملوا له بقية يومهم فعملوا بقية يومهم حتى غابت الشمس واستمكوا أجر الفريقين كلاهما فذلك مثلهم ومثل ما بقوا من هذا أنور وما رواه البضاوي تبعه الخشري من أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الحديد كتب من الذين آمنوا بالله ورسوله حديث موضوع

﴿سورة المجادلة مدنية﴾

في قول الجميع الرواية عن عطاء الا العشر الاول منها مدني وباقيها مكي وقال الكشي نزل جميعها بالمدينة غير قوله تعالى ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم نزلت بمكة وهي ثمان وعشرون آية وأربع مائة وثلاث وسبعون كلمة وألف وسبع مائة واثنان وسبعون حرفا (بسم الله) الذي تمت قدرته وكتبت جميع صفاته (الرحمن) الذي شمل الخلاق جودا بالايحادي وارسل الهداة (الرحيم) الذي خص اصفياه فتمت عليهم نعمة مرضاته ونزل في خولة بنت ثعلبة وكانت تحت أوس بن الصامت وكان قد ظاهر منها (قد سمع الله) أي أجاب بعظيم فضله الذي أحاط بجميع صفات الكمال فوسع سمعه الاصوات (قول التي تجادل) أي تراجع أمها النبي (في زوجها) المظاهر منها روى أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه مرتبها في خلافته وهو على جمار والناس معه فاستوقفته طويلا ووعظته وقالت يا عمر قد كنت تدعي عميرا ثم قبل لك عمر ثم قبل لك أمير المؤمنين فاتق الله يا عمر فإنه من أيقن بالموت خاف الفوت ومن أيقن بالحساب خاف العذاب وهو واقف بسمع كلامها فقيل لها يا أمير المؤمنين أتقف لهذه العجوز هذا الموقف فقال والله لو حبستني من أول النهار الى آخره لازلت الا للصلاة المكتوبة أتدرون من هذه العجوز هي خولة بنت ثعلبة سمع الله تعالى قولها من فوق سبع سموات أسمع رب العالمين قولها ولا يسمعه عمر وعن عائشة تبارك الذي وسع سمعه كل شيء اني لا سمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى على بعضه وهي تشتكي زوجها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي تقول يا رسول الله أكل شبابي ونثرت له بطني حتى اذا كبر سني وانقطع ولدي ظاهر مني اللهم اني أشكو اليك فما برحت حتى نزل بهذه الآية قد سمع الله قول التي تجادل في زوجها الآية وروي أنها كانت حسنة الجسم فراها زوجها ساجدة فغظرت عينها فأعجبها أمرها فلما انصرفت أرادها فأبى فغضب عليها قال عروة وكان امرأه لم فأصابه بعض لمة فقال لها أنت على كظهر أمي وكان الابل والظهار من الطلاق في الجاهلية فسألت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت

ان أوساتر وجني وأنا شابه مر غوب في فلما علا سني ونشرت بطني أي كثروا دى جعلنى عليه كاتمة
 فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم حرمت عليه فقالت والله ما ذكرك إلا فإياه أبو ولدى وأحب
 الناس الى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه فقالت أشكوا الى الله فاقى ووجدنى
 فقد طالت صحبتى ونقضت له بطنى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أراثة الا حرمت عليه
 أو أومر في شأنك بشئ فجعلت تراجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وإذا قال لها رسول الله صلى
 الله عليه وسلم حرمت عليه هتفت وقالت أشكوا الى الله فاقى وندد حالى وإن لى صبيته صفارا
 ان ضمهم الى جاعوا وان ضمهم اليه ضاعوا رجعت ترفع رأسها الى السماء وتقول اللهم انى
 أشكوا اليك فأُنزل على لسان نبيك وكان هذا أول ظهاري الاسلام فأُنزل الله تعالى قد سمع
 الله قول اتى تجادل في زوجها الآية فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى زوجها وقال
 ما جلت على ما صنعت قال الشيطان فهل من رخصة فقال نعم وقرأ عليه الا رباع آيات فقال له
 هل تستطيع العتق فقال لا والله فقال هل تستطيع الصوم فقال لا والله انى أن أخطأنى أن
 أكل في اليوم مرة أو مرتين لكل صبرى ولظننت أنى أموت قال فأطعم ستمين مسكينا قال
 ما أجدا الآن تعينى منك بعون وملة فأعانه رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمسة عشر صاعا
 وأخرج أوس من عنده مثله فتصدق به على ستمين مسكينا وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال لها
 مر به أى يعتق رقبة فقالت أى رقبة والله لا يجد رقبة وماله خادم غيرى فقال مر به ان يصوم
 شهرين فقالت والله ما يقدري ذلك انه يشرب في اليوم كذا كذا مرة فقال مر به فليطعم ستمين
 مسكينا فقالت أنى لذلك (وتشكى) أى تتعمد تلك المجادلة الشكوى منتهمة (الى الله) أى
 سؤال الملك الاعظم الرحمة الذى أحاط بكل شئ علما (فان قيل) ما معنى قدنى قوله تعالى قد سمع
 (أجيب) بأن معناها التوقع لان رسول الله صلى الله عليه وسلم والمجادلة كانا يتوقعان أن يسمع
 الله تعالى مجادلتها وشكواها وينزل في ذلك ما يفرج عنها الصدفها في شكواها وقطع رجائها
 في كشف ما بها من غير الله ان الله تعالى يكشف كبرتها (والله) أى والحال أن الذى وسعت
 رجبته كل شئ لأن له الامر كله (يستمع فتخاوركا) أى تراجعكما الكلام وهو على تغليب الخطاب
 (ان الله) أى الذى أحاط بجميع صفات الكمال (يستمع) أى بالغ السمع لكل مسموع (بصير)
 أى بالغ البصر لكل ما يصير فهما صفتان كالعلم والقدرة والحياة والارادة وهما من صفات
 الذات لم يزل الخالق سبحانه متفقا بينهما ولما أتم تعالى الخبر عن احاطة العلم استأنف الاخبار عن
 حكم الامر بالمجادلة بسببه فقال تعالى (الذين يظنون) أى يوجدون الظهار فى أى زمان كان
 وقوله تعالى (منكم) أى أيها العرب المسلمون توبخ لهم وتمجبن لعادتهم لان الظهار كان خاصا
 بالعرب دون سائر الامم فسمي تعالى على أن اللائق بهم أن يكونوا أبعد الناس عن هذا الكلام
 لأن الكذب لم يزل مستهجننا عندهم في الجاهلية ثم زاده الاسلام استهجانا (من نسائهم) أى
 يحرمون نسائهم على أنفسهم تحريم الله تعالى عليهم ظهوراً لها ثم والظهار لغة مأخوذة من
 الظهور لان صورته الاصلية أن يقول لزوجته أنت على كظهر أى وخصوا الظاهر دون البطن

والفخذ وغيرهما لانه موضع الركوب والمرأة من كسوب الزوج وقبل من العلو قال تعالى فما
اسطاعوا أن يظهروه أي أن يعالوه وكان طلاقاً في الجاهلية وقيل في أول الاسلام ويقال كان
في الجاهلية إذا كره أحدهم امرأته ولم ير أن تزوج بغيره إلى منها وظاهر قسبي لاذات زوج
ولا خلية تنكح غيره فغير الشارع حكمه إلى تحريرها بعد العود ولزم الكفارة كما سيأتي وحقيقته
الشرعية تشبيه الزوجة غير البائن بأشي لم تكن حلاله وسمى هذا المعنى ظهاراً لتشبيه الزوجة
بظهر الأم وله أركان أربعة مظاهر ومظاهرها وصيغة ومشببه وشرط في المظاهر كونه زوجاً
يصح طلاقه وشرط في المشببه كونه كل أشي محرم أو جزءاً أشي محرم لم تكن حلاله كبنته وأخته
وشرط في الصيغة لفظ يشعر بالظهار صريح كانت أو رأيتك أو يدك كظهور أي أو يكسها أو
بدنها وكناية كانت أي أو كعينها أو غيرها مما عايد كالكرامة كراسها أو روحها ويصح تأقيته
وتعليقه وأصل يظهر يظهرون أي غمغمت النساء في الظاهر وقرأ الذين يظاهرون والذين يظاهرون
عاصم بضم الياء وتخفيف الظاء وبعدها ألف وتخفيف الهاء كسورة وقرأ ابن عامر وجزء
والكسائي بفتح الياء وتشديد الظاء وتخفيف الهاء مع فتحها وبين الظاء والهاء ألف والباقون
بفتح الياء وتشديد الظاء والهاء ولا ألف بينهما (ماهن) أي نسأوهم (أمهاتهم) أي على الحقيقة
(ان) أي ما (أمهاتهم) أي حقيقة (الان لا في ولدنهم) ونسأوهم لم يلدنهم فلا يحرم من عليهم
حرمة مؤبدة لا كرام والاحترام ولا هن من الحق بالامهات بوجه يصح كأزواج النبي صلى الله
عليه وسلم فانهن أمهات لمالهن من حق الاحترام والاعظام لأن النبي صلى الله عليه
وسلم أعظم في أبوة الدين من أبي النسب وكذا المرضعات لمالهن من حق الرضاع الذي هو وظيفة
الأم بالاصالة وأما الزوجة فبإينة لجميع ذلك وقرأ قالون وقيل بالهمزة المكسورة ولا ياء بعدها
وقرأ أورش والبري وأبو عمرو وبشبهل الهمزة مع ادوالقصر والبري وأبي عمرو أيضاً موضع الهمزة
ياء ساكنة مع المد والباقون بهمزة مكسورة وبعدها ياء وهم على مراتبهم في المد (وانهم) أي
المظاهرون (ليقولون) أي في هذا التظهر على كل حالة (منكران القول) إذا الشرع
أنكره وهو حرام اتفاقاً كما نقل عن الرافي في باب الشهادات (وزورا) أي قولاً ما تلاعن
السداد منخرفاً عن القصد لأن الزوجة معدة للاستمتاع الذي هو في الغاية من الامتهان والام
في غاية البعد عن ذلك (فان قيل) المظاهر انما قال أنت علي كظهر أمي فنبه بامته ولم يقل انها
أمته فنامعني أنه منكر من القول وزور والزور الكذب وهذا ليس بكذب (أجيب) بأن قوله
هذا ان كان خبراً فهو كذب وان كان انشاءً فهو كذلك لانه جعل سبباً للتحريم والشرع لم يجعله
سبباً لذلك وأيضاً فانما وصف بذلك لأن الأم مؤبدة التحريم والزوجة لا يتأبد تحريمها بالظهار فهو
زور محض (فان قيل) قوله تعالى الا اللاتي ولدنهم يقتضي ان لا أم الا الوالدة وهذا مشكل بقوله
تعالى وأمها تنكح اللاتي أرضعنكم وقوله تعالى وأزواجه أمهاتهم (أجيب) بأن الشارع
أطلقهن بالوالدات لما مر (وان الله) أي الملك الأعظم الذي لا أمر لأحد معه في شرع ولا غير
(لعفو) أي من صفاته ان يترك عقاب من شاء (غفور) أي من صفاته ان يجوع عن الذنب وأثره

ثم بين أحكام الظهار بقوله تعالى (والذين يظهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا) والعود
 في ظهار غير مؤقت من غير رجعية أن يسكها بعد ظهاره مع علمه بوجود الصفة في المعلق زمن
 امكان فرقة ولم يفارق لان العود للقول مخالفته يقال قال فلان قولاً ثم عاد له وعاد فيه أي خالفه
 ونقضه وهو قريب من قوله عام في حبه ومقصود الظهار وصف المرأة بالحریم وامساكها
 بخالفه فلو اتصل بظهاره جنونه أو اغماؤه أو فرقة بموت أو فسخ من أحدهما بعقضه كعيب
 بأحدهما أو بطلاق بائن أو رجعي ولم يرجع فلا عود والعود في ظهار غير مؤقت من رجعية سواء
 أطلقها عقب الظهار أم قبله أن يرجع ولو ارتد متصلاً بالظهار بعد الدخول ثم أسلم في العدة فلا
 عود بالاسلام بل بعده والفرق أن الرجعة امسالك في ذلك النكاح والاسلام بعد الردة تبديل
 للذين الباطل بالحق والحل تابع له فلا يحصل به امسالك وانما يحصل بعده فالعود في ظهار مؤقت
 يحصل بتغيير حشفة أو قدرها من فاقدتها في المدة ويجب في العود به وإن حل تزوج لما غيبه كالأول
 قال إن وطأتك فأنت طالق لحرمه الوطء قبل التكفير كما سيأتي وانقضاء المدة واستمرار الوطء
 وطء ولما كان المبتدأ الموصول يتضمن معنى التمرط أدخل الفاعل خبره ليفيد السببية فيستكر
 الوجوب بتكرير سببه فقال عز من قائل (فتكرير) أي فعلمهم بسبب هذا الظهار والعود
 تحرير (رقبة) مؤمنة فلا تجزئ كافرة قال تعالى في كفارة القتل فتكرير رقة مؤمنة والحق بها
 غيرها قياساً عليها بجماع حرمة سببها من القتل والظهار وأجل المطلق على المقيد كما في حل
 المطلق في قوله تعالى واستشهدوا شهيدين من رجالكم على المقيد في قوله تعالى وأشهدوا ذوي
 عدل منكم بلا عوض وبلا عيب يحل بعمل فيجزئ صغير ولو ابن يوم وأقرع وأعرج يمكنه تناع
 مشي بأن يكون عرجه غير شديد أو عور لم يضعف عوره بصبر عنه السليمة ضعفاً يحل بالعمل وأصم
 وآخرس يفهم الإشارة وتفهيم عنه وأخشم وفاقد أنفه وأذنيه وأصابع رجله لا فاقد رجل
 أو خنصر وبصر من يداً وأغلتين من كل منهما أو فاقد أغلتين من أصبع غيره ما أو فخذ أو غلة
 إبهام لا خلال كل من الصفات المذكورة بالعمل ولا يجزئ مرض لا يرجى برؤه ولم يبرأ كيدشلاء
 وهم بخلاف من يرجى برؤه ومن لا يرجى برؤه إذا برئ ولا يمنون أفاقته أقل من جنونه تغليباً
 للأكثر ويجزئ معلق عمقه بصفة بأن ينجز عمقه بنية الكفارة أو معلقه كذلك بصفة أخرى وتوجد
 قبل الأولى ويجزئ نصفارقتين أعنتهما عن كفارة باقهما أو في أحدهما كما استظهره بعضهم
 ويجزئ اعتاق رقبته عن كفارته لاجل العتق المعلق كفارة عند وجود الصفة ولا مستحق عتق
 كما تم وارد صحيح كآية (من قبل أن يناسا) أي يتحددين بينهما من روى أبو داود وغيره أنه صلى الله
 عليه وسلم قال لرجل ظاهراً من أمر أنه واقعها لا تقرم حتى تكفر وكالتكفير مضي مدة الموقت
 لانتهائهما وحل التماس هنالشب الظهار بالخوض على التمتع بما بين السرة والركبة ومن حله
 على الوطء الحق به التمتع بغيره فيما بينهما ولو ظاهراً من أربع بكلمة كانت كظهر أي فان أمسكهن
 فأربع كفارات لوجود سببها أو ظاهراً منهن بأربع كلمات ولو متواليه فعائد من غير أخيرة
 ولو كرر في امرأة متصلاً تعدد الظهاران قصد استتفافا وبصر المظاهر بالاستتفاف عائداً

(ذلكم) أى ذلك الحكم بالكفارة (توعظون به) أى ان غلط الكفارة وعظلكم حتى تتركوا
 الظهار ولا تعاودوه (والله) أى الذى له الاحاطة بالكمال (بما تعملون) أى تجددون فعله
 (خبر) أى عالم بظاهره وباطنه فهو عالم بما يكفره فافعلوا بما أمر به وقفوا عند حدوده وانما يلزم
 الاعتاق عن الكفارة من ملك رقيقاً أو غنمه فاضلاع عن كفاية بمونة من نفسه وغيره قال الرافعي
 وسكتوا عن تقدير مدة ذلك ويجوز أن تقدر بالعم الغالب وان تقدر بسنة ٥١ والذى عليه
 الجمهور هو الأول ولا يلزمه بيع عقار ورأس تجارة وما شية لا يفضل دخلها عن غلة العقار ويربح
 مال التجارة وفوائد المشية من نتاج وغيره عن كفاية بمونة ولا يبيع مسكن ورقيق نفيسين
 الفهما ولا يلزمه شراء بعين (فن لم يجز) أى الرقبة بأن عجز المكفر عن الاعتاق حساً أو شرعاً
 وقت اداء الكفارة (فصيام) أى فعله صيام (شهرين متتابعين) عن كفارته فالرقيق لا يكفر
 الا بالصوم لانه معسر لا يملك شيئاً وليس لسيد منعه من الصوم ان ضره وانما اعتبر العجز وقت
 الاداء لا وقت الوجوب قياساً على سائر العبادات ولولا بدأ الصوم ثم وجد الرقبة لم يلزمه
 الاعتقال عنه لانه أمر به حيث دخل فيه وقال أبو حنيفة يعق قياساً على الصغيرة المعتدة
 بالشهر وادارت الدم قبل انقضاء عتقها فانها استأنفت الحيض اجاعاً ويكفيه نية صوم الكفارة
 وان لم ينو الولاء فان انكسر الشهر الاول أتمه من الثالث ثلاثين لتعذر الرجوع فيه الى الهلال
 وينقطع التتابع بفوات يوم ولو بعد ركض أو سفر فيجب الاستئناف ولو كان الفات يوم
 الاخير أو اليوم الذى نسبت النية له بخلاف ما اذا فات يجنون أو انما مستغرق انما فاة ذلك
 الصوم (من قبل أن يتاسا) كما مر في العتق فان جامع الملاصق ولم ينقطع التتابع لانه ليس محلاً
 للصوم بخلافه من ارا وقال أبو حنيفة ومالك يطل بكل حال ويجب عليه ابتداء الكفارة لقوله
 تعالى من قبل أن يتاسا (فن لم يستطع) بأن عجز عن صوم أو لمرض بدوم شهرين بالظن المستفاد
 من العادة في مثله أو من قول الاطباء أو لمشقة شديدة تلحقه بالصوم أو بولائه ولو كانت المشقة
 لشدة شهوة اللواط أو خوف زيادة مرض (فاطعام) أى فعله اطعام (سنتين مسكيناً) أى
 من قبل أن يتاسا جلاً للمطلق على المقيد بأن يملك كل مسكين من أهل الزكاة مقدار من جذس
 الفطرة كبر وشعبير واقط وابن فلا يجوز لحم ودقيق وسويق وخرج بأهل زكاة غيره فلا يجوز
 دفعها للكافر ولا لهاشئ ومطلبي ولا مالوا اليهما ولا لمن تلزمه موته ولا الرقيق لانما حق الله تعالى
 فاعتبر فيه اصناف الكمال (ذلك) أى الترخيص العظيم لكم والرفق بكم والبيان الشافي من
 أمر الله الذى هو موافق للحنيفية السمحة مله أياكم ابراهيم عليه السلام (لتؤمنوا) أى
 ليحقق ايمانكم (بالله) أى الملك الذى لأمره لا خدمته فتطيعوا بالانسلاخ عن أمر الجاهلية
 (ورسوله) أى الذى تعظيكم من تعظيكم وما رغب في هذا الحكم رهب في التهاون به بقوله تعالى
 (وتلك) أى هذه الاحكام العظيمة المذكورة (حدود الله) أى أوامر الملك الاعظم ونواهيها
 التى يجب امتثالها والتعبد بها لترعى حق رعايتها فالتموها وقفوا عند حدودها ولا تعتدوها فانه
 لا يطاق انتقامه اذا تعدى نقضه وابرأه (والكافرين) أى العريقين في الكفر جرم أو بشى

من شرائعه (عذاب أليم) أي عا آلموا المؤمنين به من الاعتداء فان عجز عن جميع خصال
الكفارة لم تسقط الكفارة عنه بل هي باقية في ذمته إلى أن يقدر على شيء منها فإذا قدر على خصاله
من خطاها فاعلمها ولا يتبع بعض العتق ولا الصوم بخلاف الاطعام حتى لو وجد بعض مذكره
الأنه لا بد له وبقي الباقي في ذمته قال الزمخشري فان قلت فإذا امتنع المظاهر من الكفارة هل
للمرأة أن تدافعه قلت لها ذلك وعلى القاضي أن يجبره على أن يكفر وان يحبس به ولا شيء من
الكفارات يجبر عليه ويجبس الا كفارة الظهار وحدها لأنه يضربهم في ترك التكفير والانتفاع
بحق الاستمتاع فيلزم أبا حنيفة (فان قلت) فان مس قبل ان يكفر (قلت) عليه ان يستغفر ولا يعود
حتى يكفر لما روى أن سلمة بن صخر البياضي قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهرت من امرأتي
ثم أبصرت خلخالها في ليله فقرأت فواقعت فقال عليه الصلاة والسلام استغفري ربك ولا تعد حتى
تكفري اه والمراد بالاستغفار هنا التوبة ولما ذكر تعالى المؤمنين الواقفين عند حدوده وذكر
المحادين المخالفين لها بقوله تعالى (ان الذين يحادون الله) أي يغالبون الملك الأعلى على حدوده
ليجعلوا حدودا غيرها وذلك صورته صورة العداوة لان المحادة المعادة والمخالفة في الحدود وهو
كقوله تعالى ومن يشاق الله (ورسوله) أي الذي عزمه من عزمه وقيل يحادون الله أي أولياء
الله كما في الخبر من أهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة والضمير في قوله تعالى ان الذين يحادون الله
ورسوله يحتمل أن يرجع إلى المنافقين فانهم كانوا يوادون الكافرين ويظاهروهم على النبي صلى
الله عليه وسلم فأذله الله تعالى ويحتمل أن يرجع لجميع الكفار فأعلم الله تعالى نبيه صلى الله عليه
وسلم انهم (كبتوا) أي أذلوا وقال أبو عبيدة والاختصاص أهل كوا وقال قتادة أخذوا وقال
ابوزيد عذبوا وقال السدي لعنوا وقال القراء أعظوا ويوم الخندق وقبل يوم بدر (كما كبت الذين
من قبلهم) أي المحادين المخالفين رسلهم كقوم نوح ومن بعدهم ممن أصروا على العصيان قال
القشيري ومن ضيع رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة أو أحدث في دينه بدعة انخرط في هذا
السلك (وقد أنزلنا) أي بالنامن العظمة عليكم وعلى من قبلكم (آيات بينات) أي دلالات عظيمة
هي في غاية البيان لذلك ولكل ما توقف عليه الايمان كترك المحادة وتحصيل الاذعان
(وللكافرين) أي الراسخين في الكفر بالآيات أو غيرهما من أوامر الله تعالى (عذاب مهين) بما
تكبروا واعتدوا على أولياء الله تعالى وشرائعهم يهينهم ذلك العذاب ويذهب عزهم وشماختهم
ويتركون به محادتهم وقوله تعالى (يوم) منصوب باذكر كما قاله الزمخشري قال تعظما اليوم أوليهم
أي بالاسم المقرر الذي تضمنه لوقوعه خيرا أو بقول مقدر قد رآه أبو البقاء يهانون أو يعذبون
أو استهزئوا بذلك يوم (يبعثهم الله) أي الملك الاعظم (جميعا) أي حال كونهم مجتعة من الكافرين
المصرح بهم والمؤمنين المشار اليهم الرجال والنساء أحياء كما كانوا لا يترلم منهم أحد وقبل مجتعة
في حال واحد (فينبئهم) أي يخبرهم اخبارا عظيمة مستقصى (بما عملوا) بخيلا ووفيا ونسبها
لخالهم (أحصاه الله) أي أحاط به عددا كما وكيفا وزمانا ومكانا بما له من صفات الكمال
والجلال (ونسوه) لانهم تهاونوا به حيث ارتكبوه ولم يبالوا به لضرورتهم بالمعاصي وانما تحفظ

قوله أوليهم الخ الصواب أن يقول الكافرين

معقومات الامور أو لخروجه عن الحد في الكثرة فكيف كل واحد على انفراده (والله) أي بحاله
من القدرة الشاملة والعلم المحيط (على كل شيء) أي على الاطلاق (شهيد) أي حفيظ حاضر
لا يغيب ورقب لا يغفل ثم انه تعالى أكد بيان كونه عالم بكل المعلومات فقال جل ذكره (ألم تر)
أي تعلم علما هو في وضوحه كالرؤية بالعين (إن الله) أي الذي له صفات الكمال كلها (يعلم
ما في السموات) كلها (وما في الارض) كذلك كليات ذلك وجزئياته لا يغيب عنه شيء منه بدليل
أن تدبيره محيط بذلك على أتم ما يكون وهو يخبر من شاء من أنبيائه وأصفياه بما يشاء من أخبار
ذلك القاصية والدانية والماضية والآتية فيكون كما أخبر وقوله تعالى (ما يكون من نجوى)
يكون فيه من كان التامة ومن نجوى فاعلمها ومن مزيدة فيه أي ما يقع من تناجي (ثلاثة)
ويجوز أن يقدّمه مضاف أي أهل نجوى فيكون ثلاثة صفة لاهل وان يؤول نجوى بتناجي
جعلوا النجوى مبالغة فيكون ثلاثة صفة لنجوى واشتقاقها من النجوة وهي ما ارتفع من الارض
فإن السر يرتفع الى الذهن لا يتيسر لكل أحد أن يطلع عليه وقوله تعالى (الاهو
رابعهم) استثناء من أعم الاحوال أي ما يوجد شيء من هذه الاشياء في حال من الاحوال
الاهو يعلم نجواهم كانه حاضر معهم وشاهدهم كما تكون نجواهم عند الرابع الذي يكون معهم
(والخسة) أي من نجواهم (الاهو سادسهم) أي يعلم نجواهم كما مر (فان قيل) ما الداعي الى
تخصيص الثلاثة والخسة (أجيب) بوجهين أحدهما أن قومًا من المنافقين تحلقوا بالناس
فيما بينهم دون المؤمنين وينظرون الى المؤمنين ويتغاضون بأعينهم مغايطة للمؤمنين على هذين
العددين ثلاثة وخسة فقبل ما يتناجي منهم ثلاثة ولاخسة كما ترونهم يتناجون (ولأدنى من
ذلك) أي من عددهم (ولأكثر) أي من ذلك (الاهو معهم) يسمع ما يقولون (أيما) أي في أي
مكان (كانوا) فانه لا مضافة بينه وبين شيء فقد روي عن ابن عباس أنها نزلت في ربيعة
وخبيب ابني عمرو وصفوا بن أمية كانوا يؤموا يتحدثون فقال أحدهم أترى أن الله يعلم
ما تقول فقال الآخر يعلم بعضا ولا يعلم بعضا وقال الثالث ان كان يعلم بعضه فهو يعلم كله
وصدق لان من علم بعض الاشياء بغير سبب فقد علمها كلها لان كونها لا بغير سبب ثابت له
مع كل معلوم والوجه الثاني انه قصد ان يذكر ما جرت عليه العادة من اعداد أهل النجوى
والتخالف للشورى والمندوبون لذلك ليسوا بكل أحد وانما هم طائفة مجتبة من أولى
النهي والاحلام ورعهم من أهل الرأي والتجارب وأول عددهم اثنان فصاعدا الى خمسة
الى ستة الى ما اقتضته الحال ووجهكم به الاستصواب ألا ترى الى عمر بن الخطاب رضي
الله عنه كيف ترك الامر شورى بين ستة ولم يتجاوزهم الى سابع فذكر عز وجل الثلاثة
والخسة وقال ولأدنى من ذلك فدل على الاثني والاربعة وقال ولأكثر فدل على ما يلي هذا
العدد ويقاربه وروي أنه عليه الصلاة والسلام قال في خطبته الكبرى أخرجها الحارث
ابن أبي أسامة رقى المنبر وقال يا أيها الناس ادنوا واسمعوا لمن خلقكم ثلاث مرات فدنا
الناس ونضم بعضهم الى بعض والتفتوا فلم يروا أحدا فقال رجل منهم بعد الثالثة لمن نسبح

يا رسول الله الملائكة فقال لا انهم اذا كانوا معكم لم يكونوا بين ايديكم ولا خلفكم وانكم
 عن ايمانكم وعن شمائلكم وعلى ذلك فليسوا في مكان الايمان هنا والشمال بل في المكان
 من ذلك فالتله جل جلاله اعلى واجل وانزه مكانه واكرم استواء (ثم ينههم) أي يخبر أصحاب
 النجوى اخبارا عظيمة (بمناياهم) دقيقة وجليلة (يوم القيامة) الذي هو المراد الا اعظم من
 الوجود لظهور الصفات العلافيه أتم اظهرها (ان الله) الذي له الكمال كله (بكل شيء) أي
 بما ذكر وغيره (عليه) أي بالغ العلم فهو على كل شيء شهيد وهذا تحذير من المعاصي وترغيب
 في الطاعات واختلف في سبب نزول قوله تعالى (ألم تر) أي تعلم علما هو كالروية (الى الذين هموا
 عن النجوى) فقبيل في اليهود وقيل في المنافقين وقيل في فريق من الكفار وقيل في فريق
 من المسلمين لما روى أبو سعيد الخدري قال كذا ذات ليلة تحدث اذ خرج علينا رسول الله صلى
 الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم ما هذه النجوى فقلنا بنا الى الله تعالى يا رسول الله انا كنا
 في ذكر المسيح يعني الدجال فرأيناه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بما هو أخوف
 عندي منه قلنا بلى يا رسول الله قال الشرك الخفي أن يقوم الرجل بعمل لمكان رجل ذكره
 الماوردي وقال ابن عباس نزلت في اليهود والمنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم ويتظنون
 لهم مؤمنين ويتعاضدون بأعينهم يوهمون المؤمنين أنهم يتناجون فيما بينهم فيحزنون لذلك
 ويقولون ما نراهم الا وقد بلغهم من اخواننا الذين خرجوا في السر يا قتل أو موت أو هزيمة
 فمقع ذلك في قلوبهم ويحزنهم فلما طال ذلك عليهم وأثرشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فأمرهم أن لا يتناجوا دون المسلمين فلم ينهوا عن ذلك وعادوا الى مناجاتهم فأذن الله تعالى
 ألم تر الى الذين هموا عن النجوى (ثم يعودون) أي على سبيل الاستمرار لانه وقع مرة وبادروا
 الى التوبة منها أوفلتة معقوا عنها (لما نهوا عنه) أي من غير أن يعتدوا لما يتوقع من جهة
 الناهي من الضر عنده (ويتناجون) أي يقبل بعضهم على المناجاة اقبالا واحدا فيفعل كل
 منهم منها ما يفعله الآخر مرة بعد أخرى على سبيل الاستمرار وقرأ جزء بعد الباء بنون ساكنة
 وبعدها ناء فوقية مفتوحة ولا ألف قبل الجيم وضم الجيم والناقون ناء فوقية مفتوحة
 وبعدها نون مفتوحة وبعدها نون ألف وفتح الجيم (بالايم) أي بالشيء الذي لا يثبت عليه به
 الذنب وبالكذب وبما لا يحل (والعدوان) أي العدوان الذي هو نهاية في قصد الشر بالافراط
 في مجاوزة الحدود (ومعصيت الرسول) أي مخالفة النبي الذي جاء به من الملك الاعلى
 وهو كامل في الرسالة لكونه مرسل الى جميع الخلق وفي كل الازمان فلانبي بعده فهو لذلك
 مستحق غاية الاكرام * (قائدة) * سمت معصية في الموضعين بالناء المجزورة واذا وقف عليها
 فأبو عمرو ابن كثير والكسائي بالهاء في الوقف والكسائي بالأمالة في الوقف على أصله ووقف
 الباقر بالناء على الرسم واتفقوا في الوصل على الناء (واذا جاؤك) أي بأشرف الخلق (حبوك)
 أي واجهوك بما بعده من تحية (بما يحبك به الله) أي الملك الاعلى الذي لا أمر لاحد معه
 وذلك ان اليهود كانوا يدخلون على النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون السلام عليك والاسلام

الموت وهم يوهنون انهم يقولون السلام عليكم وكان النبي صلى الله عليه وسلم يرد عليهم فيقول
 وعليكم فقالت السيدة عائشة السام عليكم ولعنة الله وغضبه عليكم فقال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم مهلا يا عائشة عليك بالرفق واياك والعنف والفحش فقالت أولم تسبح ما قالوا
 يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أولم تسبحي ما قلت رددت عليهم فيستجاب لي فيهم
 ولا يستجاب لهم في وقال النبي صلى الله عليه وسلم عند ذلك إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا
 عليكم ما قلت فأنزل الله تعالى وإذا جاول حيدولك بما لم يحسبك به الله وروى أنس أنه صلى الله
 عليه وسلم قال إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا وعليكم بالواو وقال بعض العلماء إن الواو
 العاطفة تقتضي التشريك فيلزم منه أن ندخل معهم فيما دعوا به علينا من الموت وأمن سامة
 ديننا وهو المال يقال ستم يسأم سامة وسأما وقال بعضهم الواو زائدة كما زيدت في قول
 الشاعر * فلما أجزنا ساحة الحى وانتهى * أى لما أجزنا انتهى فزاد الواو وقال آخرون هي
 للاسمة تناف كأنه قيل والاسام عليكم وقال آخرون هي على بابها من العطف ولا يضرب ناذلك
 لانجاب عليهم ولا يجابون علينا كما تقدم في قوله صلى الله عليه وسلم لعائشة * (تنبيه) * اختلف
 العلماء في رد السلام على أهل الذمة فقال ابن عباس والشعبي وقتادة هو واجب لظاهر الامر
 بذلك وقال مالك ليس بواجب فان رددت فقل وعليك وعندنا يجب أن يقول له وعليك المأمور
 في الحديث وقال بعضهم يقول في الرد عليك السلام أى ارتفع عنك وقال بعض المالكية يقال
 في الرد السلام عليك بكسر السين يعنى المجارة * ولما كانوا يخفون ذلك جهدهم ويظنون بأمر الله
 تعالى لهم أنه صلى الله عليه وسلم لا يطلع عليه وان اطلع عليه لم يقدر أن ينقم منهم عبرة عن
 ذلك بقوله تعالى (ويقولون في أنفسهم) من غير أن يطلع عليه أحد (لولا) أى هلا ولم لا (يعذبنا
 الله) أى الذى له الاساطة بكل شئ (بما نقول) أى لو كان نبيا لعذبنا الله بما نقول وقيل قالوا
 انه يرد علينا ويقول عليكم السلام فلو كان نبيا لاستجاب له فينا ومثنا وهذا موضع تعجب منهم
 فانهم كانوا أهل الكتاب وكانوا يعلمون ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا يغضبون
 فلا يعاجلون من يغضبهم بالعذاب (حسبهم) أى كافهم في الانتقام (جهنم) أى الطبقة
 التى تلقاهم بالجهنم والعبوسة والفظاظة فان حصل لهم في الدنيا عذاب كان زيادة
 على الكفاية فاستججهم بالعذاب محض رعونة (يصلونها) أى يقاسون عذابهم اذ انما فان قد
 أعد ذناها لهم (فبئس المصير) أى مصيرهم (يا أيها الذين آمنوا) أى ادعوا أنهم أوجدوا هذه
 الحقيقة (إذا تناجيتهم) أى اطلع كل منكم الكلام من نفسه وفرقه وكشفه لصاحبه سرا
 (فلا تناجوا) أى توجدوا هذه الحقيقة بالاثم والعدوان ومعصية الرسول) أى الكامل
 في الرسالة كفعل المنافقين واليهود وقال مقاتل أراد تعالى بقوله آمنوا المنافقين آمنوا بالاسامهم
 وقال عطاء يريد الذين آمنوا بزعمهم وقيل يا أيها الذين آمنوا بوسى (وتناجوا بالبر والتقوى)
 أى الطاعة والعفاف عما نهى الله تعالى عنه (واتقوا الله) أى اقصدوا اقصد ايتبعه العمل
 بأن تجعلوا بينكم وبين مخط الملك الاعظم وقاية (الذى اليه) خاصة (تخشرون) أى تجتمعون

بأسر أمر وأسما له بقره وكره وهو يوم القيامة فيصلي فيه سبحانه للعكم بين الخلق والانصاف
بينهم بالعدل ومحاسبتهم على التقير والقطمير لا تخفى عليه خافية ولا تأتي منه واقية (انما التجوى)
أى المعهودة وهى المنهى عنها (من الشيطان) أى مبتدئة وممتدة من المحرق بطرده عن رحمة
الله تعالى فانه الحامل عليها بقرينها فاعلمها تابع لاعدى أعدائه مخالف لأوامره (ليحزن)
أى الشيطان (الذين آمنوا) أى ليوهمهم أنها السبب شئ وقع مما يؤذيهم والحزن هم غلبة
وتوجع يدق يقال حزنه وأحزنه بمعنى قال فى القاموس وأحزنه جعله حزينا وقرأ نافع بضم
الباء وكسر الزاى من أحزنه والباقون بفتح الباء وضم الزاى من حزن والقراءة الاولى أشد
فى المعنى على ما فى القاموس (وليس) أى الشيطان أو ما جل عليه من التناجى (بصارهم) أى
الذين آمنوا (شياء) من الضرر وان قل (الاباذن الله) أى بمشيئة الملك المحيط علما وقدرة
(فان قيل) كيف لا يبصرهم ذلك ولا يحزنهم الاباذن الله (أجيب) بانهم كانوا يوهون
المؤمنين فى نجواهم وتقارحهم ان عزاتهم غلبوا وان أقاربهم -م قتلوا فقال تعالى لا يبصرهم
الشيطان والحزن بذلك الموهوم الاباذن الله تعالى أى بمشيئته وهو أن يقضى الموت على
أقاربهم والغلبة على الغزاة (وعلى الله) أى الملك الذى لا كف له لا على أحد غيره (فليسوكل
المؤمنون) أى الراشحون فى الايمان فى جميع أمورهم فانه القادر وحده على اصلاحها
وافسادها فلا يحزنون من أحد أن يكندهم بسره ولا يبهره قائمهم نوكلوا عليه وفوضوا
أمورهم اليه وخص الراشحين لا مكان ذلك منهم فى العادة وأما أصحاب البدايات فلا يكون ذلك
منهم الاخرق عادة روى ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى
اثنان دون الثالث الاباذنه فان ذلك يحزنه وعن عبد الله بن مسعود أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال اذا كان ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الاخر حتى يحتلطوا بالناس من أجل
أن يحزنه فبين فى هذا الحديث غاية المنع وهو أن يحد الثالث من يتحدث معه كما فعل ابن عمر
وذلك أنه كان يتحدث مع رجل فجاء آخر يريد أن يناجيه فلم يناجيه حتى دعا رابعاً فقال له ولا أول
تأخر ارباعاً الرجل الطالب للمناجاة خرج فى الموطأ ونسبه على العلة بقوله من أجل أن يحزنه
أى يقع فى نفسه ما يحزن لاجله وعلى هذا يسهل توى فى ذلك كل الاعداد فلا يتناجى أربعة دون
واحد ولا عشرة ولا ألف مثله لا لوجود ذلك المعنى فى حقه بل وجوده فى العبد الكثير أمكن
وأوقع فيكون بالمنع أولى وانما خص الثلاثة بالذكر لانه أول عدد يتأتى ذلك فيه قال القرطبي
وظاهر الحديث يع جمیع الأزمان والاحوال وذهب اليه ابن عمر ومالك والجمهور وسواء كان
المتناجى فى واجب أو مندوب أو مباح فان الحزن ثابت به وقد ذهب بعض الناس الى أن ذلك كان
فى أول الاسلام لان ذلك كان حال المتأففين فيتناجى المتأفقون دون المؤمنين فإفساد الاسلام
سقط ذلك وقال بعضهم ذلك خاص بالسفر وفى المواضع التى لا يأمن الرجل فيها صاحبه
نأما فى الحضر وبين العمارة فلا لانه يجد من يغيبه بخلاف السفر فانه مظنة الاعتقال وعدم
الغوث ولما نهى المؤمنين عما يكون سبباً للتباغض والتنافر أمرهم الآن بما يصير سبباً لزيادة

الحبة والمودة بقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا) أي الذين اتصفوا بهذا الوصف (إذا قيل
لكم) أي من أي قائل كان فإن الخير يرغب فيه لذاته (تفسحوا) أي توسعوا أي كفوا
أنفسكم في اتساع المواضع (في المجلس) أي الجلوس أو مكانه لأجل من يأتي فلا يجلس
بجلس فيه قال قتادة وبجاهد كانوا يتنافسون في مجلس النبي صلى الله عليه وسلم فأمرهم
أن يفسح بعضهم لبعض وقال ابن عباس المراد بذلك مجالس القتال إذا اصطفوا للحرب
قال الحسن وزيد بن أبي حبيب كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا قاتل المشركين تشاح أصحابه
على الصف الأول فلا يوسع بعضهم لبعض رغبة في القتال والشهادة فنزلت فيكون كقوله تعالى
مقاعد للقتال وقال مقاتل كان النبي صلى الله عليه وسلم في الصف وكان في المكان ضيق
وكان يكرم أهل بدر من المهاجرين والأنصار بفناء ناس من أهل بدر وقد سبقوا إلى المجلس
فقاموا قبل النبي صلى الله عليه وسلم على أرجلهم ينتظرون أن يوسع لهم فعرف رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما يحلمهم على القيام وشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لمن حوله
من غير أهل بدر قم يا فلان بعدد القائمين من أهل بدر فشق ذلك على من قام وعرف النبي صلى الله
عليه وسلم الكراهة في وجوههم فقال المنافقون والله ما عدل على هؤلاء أن قوماً أخذوا
بجالسهم وأحبوا القرب منه فأقامهم وأجلس من أبطأ فنزلت الآية يوم الجمعة وروى
عن ابن عباس قال نزلت الآية في ثابت بن قيس بن ثمالس وذلك أنه دخل المسجد وقد أخذ
القوم بمجالسهم وكان يريد القرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم للوقرأى الصم الذي كان
في أذنيه فوسعه الله حتى قرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ضايقه بعضهم وجرى بينه
وبينهم كلام فنزلت وقد تقدمت قصته في سورة الخجرات وقرأ عاصم بفتح الجيم وأتبع بعدها
جمع لأن لكل جالس مجلساً أي فليفسح كل واحد في مجلسه والباقيون يسكنون الجيم ولأن ألف
أفراداً قال البغوي لأن المراد منه مجلس النبي صلى الله عليه وسلم وقال القرطبي الصحيح
في الآية أنها عامة في كل مجلس اجتمع المسلمون فيه للغير ولا جرسواء أكان مجلس حرب أو ذكر
أو مجلس يوم الجمعة وإن كل واحد أحق بمكانه الذي سبق إليه قال صلى الله عليه وسلم من سبق
إلى ما لم يسبق إليه فهو أحق به ولكن يوسع لأخيه ما لم يتأذ بذلك فيخرجه الضيق من موضعه
فيكون المراد بالمجلس الجنس ويؤيده قراءة الجمع (فافسحوا) أي وسعوا فيه عن سعة صدر
(يفسح الله) أي الذي له الأمر كله (لكم) في كل ما تكرهون ضيقه من الدارين وقال
الرازي هذا يطلق فيما يطلب الناس الفسحة فيه من المكان والرزق والصدور والقبور والحننة
قال ولا ينبغي للعاقل أن يقيس الآية بالتفسح في المجلس بل المراد منه إيصال الخير إلى المسلم
وإدخال السرور في قلبه (وإذا قيل) أي من أي قائل كان كما مضى إذا كان يريد الإصلاح
والخير (انشزوا) أي ارتفعوا وانفضوا إلى الموضع الذي تؤمرون به أو يقتضيه الحال
للموسعة أو غيرهما من الأوامر كالصلاة والجهاد (فانشزوا) أي فارتفعوا وانفضوا (يرفع
الله) أي الذي له جميع صفات الكمال (الذين آمنوا) وإن كانوا غير علماء (منكم) أي أيها

المأمورون بالتفح السامعون للأوامر المبادرون إليها بطاعتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم
 وقيامهم في مجلسهم وتوسعهم لآخوانهم (والذين أتوا العلم درجات) يجوز أن يكون معطوفاً
 على الذين آمنوا فهو من عطف الخاص على العام فإن الذين أتوا العلم بعض المؤمنين ويجوز
 أن يكون والذين أتوا العلم من عطف الصفات أي تكون الصفات لذات واحدة
 كأنه قيل يرفع الله المؤمنين العلماء ودرجات. فعول ثانٍ وقال ابن عباس تم الكلام عند قوله
 تعالى منكم وينتصب الذين أتوا بفعل مضمراً أي ويخص الذين أتوا العلم درجات أو ويرفع
 درجات قال المفسرون في هذه الآية إن الله تعالى رفع المؤمن على من ليس بمؤمن والعالم
 على من ليس بعالم قال ابن مسعود مدح الله تعالى العلماء في هذه الآية والمعنى إن الله تعالى
 يرفع الله الذين أتوا العلم على الذين آمنوا ولم يؤتوا العلم درجات في دينهم إذا فعلوا بما أمر وأبه
 وقال تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال تعالى وقل رب زدني علماً وقال
 تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء والآيات في ذلك كثيرة معلومة وأما الأحاديث فكثيرة
 مشهورة منها من برد الله به خيرا فقهه في الدين وروى أن عمر رضي الله عنه كان يقدّم عبد الله
 ابن عباس على الصحابة رضي الله تعالى عنهم فكلّموه في ذلك فدعاهم ودعاه فسألهم عن تفسير
 إذا جاء نصر الله والفتح فسكتوا فقال ابن عباس هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه الله
 إياه فقال عمر ما أعلم منها الا ما تعلم ومنها أنه صلى الله عليه وسلم قال لا حسد الا في اثنين رجل
 آتاه الله ما لا فسلط على خلقه في الحق ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها
 والمراد بالحد الغبطة وهي أن تمتنى مثله ومنها أنه صلى الله عليه وسلم قال لعليّ كرم الله
 وجهه لا يهدي الله بك رجلاً الا واحد اخيرك من جرائعك ومنها أنه صلى الله عليه وسلم قال
 من جاءه أجله وهو يطلب العلم ليحيى به الاسلام لم يقض له النعمون الا بدرجة واحدة ومنها
 أنه صلى الله عليه وسلم قال بين العالم والعابد ما تدرجه بين كل درجتين حضرا الجواد المضر
 سبعين سنة ومنها أنه صلى الله عليه وسلم قال فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر
 على سائر الكواكب وفي رواية كفضلي على أدناكم ومنها أنه صلى الله عليه وسلم قال إن
 الله أوحى الى ابراهيم عليه الصلاة والسلام اني عليم أحب كل عليم ومنها أنه صلى الله عليه وسلم
 قال يشفع يوم القيامة ثلاثة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء أعظم بمنزلة هي واسطة بين النبوة
 والشهادة بشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنها أنه صلى الله عليه وسلم قال يرفع الله
 في مسجد واحد المجلسين يدعون الله تعالى ويرغبون اليه والآخر يتعاونون الفقه ويعلمونه
 فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا المجلسين على خير واحد هما أفضل من صاحبه
 أما هؤلاء فيدعون الله عز وجل ويرغبون اليه وأما هؤلاء فيتعاونون الفقه ويعلمونه الجاهل
 فهو لاء أفضل وانما بعثت معلماً ثم جلس فيهم والا حديث في ذلك كثيرة جداً وأما
 أقوال السلف فلا تحصر فها ما قاله ابن عباس ان سليمان عليه السلام خير بين العلم والمال
 والملك فاخترار العلم فأعطى المال والملك معه وما قاله بعض الحكماء ليت شعري أي نبي أدرك

من فاته العلم وأى شئ فأن من أدرك العلم وما قاله الاحنف كاد العلماء يكونون أربابا وكل
 عز لم يؤكدهم علم فالى ذل ما يصير وما قاله الزبيرى العلم ذكر فلا يحبه الاذ كورة الرجال
 وما قاله أبو مسلم الخولاني مثل العلماء فى الارض مثل النجوم فى السماء اذا برزت للناس
 اهتدوا بها واذا خفيت عنهم تحيروا وما قاله معاذ تعلم العلم فان تعلمه لك حسنة وطلبه عبادة
 ومذاكرته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه من لا يعلمه صدقة وبذله لاهله قرينة وما قاله على
 العلم خير من المال العلم يحرسك وأنت تحرس المال والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو
 بالانفاق وما قاله ابن عمر مجلس فقه خير من عبادة سبعين سنة وما قاله الشافعى من أن طلب
 العلم أفضل من صلاة النافلة وقال ليس بعد الفرائض أفضل من طلب العلم وقال من
 أراد الدنيا فعليه بالعلم ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم فانه يحتاج اليه فى كل منهما وما وقد
 ذكرت فى أول شرح المنهاج من الاحاديث ومن أقوال السلف ما يبرر الناظر الراغب
 فى الخير وفيما ذكرته هنا كفاية لاولى الابصار (والله) أى والحال ان المحيط بكل شئ علما
 وقدرة (بما نعملون) أى حال الامر وغيره (خير) أى عالم بظاهره وباطنه فان كان العلم
 من بنا العمل بما مثال الاوامر واجتناب النواهي وتصفية الباطن كانت الرفعة على حسبه
 وان كان على غير ذلك فكذلك واختلف فى سبب نزول قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا) أى
 ادعوا أنفسهم أوجدوا هذه الحقيقة أغنياء كانوا أو فقراء (اذنا جيت الرسول) أى
 أردتم مناجاة الذى لا أكمل منه فى الرسالة الآية فقال ابن عباس ان المسلمين كانوا يكثر
 المسائل على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى شقوا عليه فأمر الله تعالى هذه الآية فكف
 كثير من الناس وقال الحسن ان قوما من المسلمين كانوا يستحلون بالنبي صلى الله
 عليه وسلم يناجونه فظن بهم قوم من المسلمين أنهم ينتقصونهم فى النجوى فشق عليهم ذلك
 فأمرهم الله تعالى بالصدقة عند النجوى ليعطوهم عن استخلافه وقال زيد بن أسلم
 ان المنافقين واليهود كانوا يناجون النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون انه أذن يسمع كل ما قيل له
 وكان لا يمنع أحدا من مناجاته فكان ذلك يشق على المسلمين لان الشيطان كان يلقي فى أنفسهم
 أنهم يناجون أن جوعا اجتمعت فقال فنزلت يا أيها الذين آمنوا اذنا جيت الرسول أى أردتم
 مناجاته (فقدّموا) أى بسبب هذه الارادة وقوله تعالى (بين يدي فجاءكم) استعارة
 ممن له يدان والمعنى قبل نحوكم التى هى سرّكم الذى تريدون أن ترفعوه (صدقة) لقول عمر
 من أفضل ما أوتيت العرب الشعر يقدّمه الرجل امام حاجته فيستطربه الكريم ويستزل به
 اللئيم يريد قبل حاجته والصدقة تكون لكم برها ناعلى اخلاصكم كما ورد أن الصدقة برهان
 فهى مصدقة لكم فى دعوى الايمان بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وبكل ما جاء به
 عن الله تعالى (تنبيه) * ظاهر الآية يدل على أن تقديم الصدقة كان واجبا لان الامر
 للوجوب ويؤكد ذلك قوله تعالى بعد فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم وقيل كان مندوبا
 لقوله تعالى (ذلك) أى التصديق (خير لكم وأطهر) أى لانفسكم من الرية وحب المال وهذا

انما يستعمل في التطوع لافي الواجب ولانه لو كان واجبا لما اُزيل وجوبه والكلام متصل به
 وهو قوله تعالى فان لم تجدوا الآية وأجيب عن الاول بأن المندوب كما يوصف بأنه خير وأظهر
 فكذلك أيضا يوصف بما الواجب وعن الثاني بأنه لا يلزم من اتصال الآيتين في التسلاوة
 كونهما متصلتين في القول كما قيل في الآية الدالة على وجوب الاعتداد بأربعة أشهر وعشرا
 انهما ناسخة للاعتداد بخول وان كان الناسخ متقدما في التسلاوة وعن علي أنه قال لما نزلت
 دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما تقول في دينار قلت لا يطيقونه قال كم قلت
 حبة أو شعيرة قال انك لرهيد فلما رأوا ذلك اشتد عليهم فارتدعوا أما الفقير فليغفره وأما الغني
 فليشجته واختلف في مقدار تأخر الناسخ عن المنسوخ في هذه الآية فقال السكابي ما بقي ذلك
 التكليف الاساعة من نهار ثم نسخ وقال مقاتل وابن حبان بقي ذلك التكليف عشرة أيام ثم نسخ
 لما روى عن علي أنه قال ان في كتاب الله لآية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدى كان لي
 دينار فصرفته فكنت اذا ناجيته تصدقت بدرهم وفي رواية عنه فاشتريت به عشرة دراهم وكلما
 ناجيت النبي صلى الله عليه وسلم قدمت بين يدي نحو اى درهم ثم نسخت فلم يعمل بها أحد وعن
 ابن عباس رضى الله عنهما انهم من نهوا عن المناجاة حتى يصدقوا فلم يسأج أحد الا على تصديق
 دينار وعدم عمل غيره لا يقدح فيه لاحتمال أن يكون لم يجد عند المناجاة شيئا أو أن لا يكون احتياج
 الى المناجاة ثم نزلت الرخصة وعن ابن عمر رضى الله عنه كان لعلي ثلاث لو كان لي واحدة منهم
 كانت أحب الى من جر النعم تزويجه فاطمة واعطاؤه الراية يوم خيبر وآية النجوى واختلف في
 الناسخ لذلك فقبل هي منسوخة بالزكاة وأكثر المفسرين انهم منسوخة بالآية التي بعدها وهي
 أشفقتم كما سيأتي وكان علي يقول وخفف عن هذه الامة (فان لم تجدوا) أى ما تقدمت به (فان
 الله) أى الذى له جميع صفات الكمال (غفور رحيم) أى له صفات الستة السبع والاكرام باظهار
 المحاسن على الدوام فهو عفو ويرحم تارة تقدم العقاب للعاصي وتارة بالتوسعة للضيق بأن ينسخ
 ما يشق الى ما يخفف وقوله تعالى (أشفقتم) أى خففتم العيلة لما يعدكم به الشيطان من الفقر خوفا
 كما أن يفطر قلوبكم (أن تقدموا) أى باعطاء الفقراء وهم اخوانكم (بين يدي نحوكم) أى الذى
 صلى الله عليه وسلم (صدقات) وجمع لانه أكثر من يخاف من حيث انه يدل على أن النجوى تتكرر
 استقهاهم معناه التقرير وهو الناسخ عند الاكثر كما مر وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وهشام بن سهل
 المشاية بخلاف عن هشام وأدخل بينهما ألفا قالون وأبو عمرو وهشام والباقون بتحقيقهما ولا
 ادخال والاولى محقة بلا خلاف (فان) أى حين (لم تفعلوا) أى ما أمرتكم به من الصدقة
 للنجوى بسبب هذا الاشفاق (وناب الله) أى الملك الاعلى (عليكم) أى رجع بكم عنها بأن نسجها
 عنكم تخفيفا عليكم (فأقيموا) أى بسبب العفو عنكم شكر أى على هذا الكرم والحلم (الصلاة)
 التى هي طهارة لارواحكم وصلواتكم بربكم (وأؤا الزكاة) التى هي براءة لبلدانكم ونظهير رعا
 لاموالكم وصلواتكم باخوانكم ولا تفرطوا فى شئ من ذلك فتملوه فالصلاة نور يهدي الى المقاصد
 النبوية والاخرى ويعين على نواب الدارين والصدقة برهان على صحة القصد فى الصلاة

ثم عم بعد ان خضعوا أشرف العبادات البدنية واعلى المناسك المالية بقوله تعالى (وأطيعوا الله) أى الذى له الكمال كله (ورسوله) أى الذى عظمته من عظمته فى سائر ما أمر انكم به فانه تعالى ما أمركم لاجل اكرام رسوليكم صلى الله عليه وسلم الابالحنيفية السمحة (والله) أى الذى أحاط بكل شىء علما وقدرة (خبر عاتعمالون) أى يعلم بواطنكم كما يعلم ظواهركم لا تخفى عليه خافية (ألم تر) أى تنظريا أشرف الخلق (الى الذين تولوا) أى تكلفوا بغاية جهدهم وهم المنافقون أى جعلوا أولياءهم الذين يتولون لهم أمورهم (قوما) وهم اليهود يتقوا عندهم العزة اغترارا بما يظهرون لهم منهم من القوة (غضب الله) أى الملك الأعلى الذى لا تدله (عليهم) أى المتولى والمتولى لهم (ما هم) أى المنافقون (منكم) أى المؤمنين (ولانهم) أى اليهود بل هم مذبذبون وزاد فى الشناعة عليهم بأقبح الاشياء بقوله تعالى (ويحلفون) أى المنافقون يجتدون الحلف على الاستمرار ودل بأداة الاستعلاء على انهم فى غاية الجراءة على استمرارهم على الايمان الكاذبة بأن التقدير مجتريين (على الكذب) فى دعوى الاسلام وغير ذلك مما يقعون فيه من عظام ثم الاتمام فاذا دعوتوا عليه بادروا الى الايمان (وهم يعلمون) انهم كاذبون متعمدون روى أن عبد الله بن نبتل كان يجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رفع حديثه الى اليهود فيينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجرة من حجره اذ قال لا صحابه يدخل عليكم الا أن رجل قلبه قلب جبار ويظن بعين شيطان قد دخل ابن نبتل وكان أزرق العينين أسمر قصيرا خفيف اللحية فقال له النبي صلى الله عليه وسلم علام تشتمنى أنت وأصحابك خلف بالله ما فعل فقال النبي صلى الله عليه وسلم فعلت فانطلق فجاء بأصحابه خلفوا بالله ما سبوه فزلات (أعد الله) أى الذى له العظمة الباهرة فلا كف له (لهم عذابا) أى أمر اقاطعا لكل عذوبة (شديدا) أى لا طاعة لهم به * ثم علل عذابهم بما عدل على انه واقع فى أتم واقعة بقوله تعالى مؤكدا تقييما على من كان يستحسن فعالهم (انهم ساء) أى بالغ الغاية بما يسوءه ودل على أن ذلك لهم كالجلبلة بقوله تعالى (ما كانوا يعملون) أى يجتدون عمل مستمزين عامه لا يتسكون عنه قال الزمخشري أو هى حكاية ما يقال لهم فى الآخرة (اتخذوا أيمانهم) أى الكاذبة التى لا تهون على من فى قلبه مشغال حبة من خردل من ايمان (جنة) وقاية وسترة من كل ما يفضيهم من النفاق كما * اما كان (فصدوا) أى كان قبول ذلك منهم وتأخير عقابهم سببا لابقاعهم الصد (عن سبيل الله) أى شرع الملك الأعلى الذى هو طريق الى رضوانه الذى هو سبب الفوز العظيم فانهم كانوا يبتطون من لقوا عن الدخول فى الاسلام ويوهنون أمره ويحقرونه ومن رآهم قد دخلوا من المكاره بأيمانهم الخائبة ودرت عليهم الارزاق استدرجا وحصلت لهم الرفعة عند الناس بما يرضونه من أقوالهم المؤكدة بالايمان غره ذلك فاتبع سنتهم فى أقوالهم وأفعالهم ونسج على منوالهم غرورا بظاهر أمرهم معرضا عما توعدهم الله تعالى عليه من جزاء خداعهم وأمرهم وأجرى الامر على أسلوب التهم بآلام التى تكون فى المحبوب فقال تعالى (فلهم) أى فتسبب عن صدقهم انه كان لهم (عذاب مهين) جزاء بما طلبوا بذلك الصد اعزازا أنفسهم واهانة أهل الاسلام (إن)

تغنى) أى بوجه من الوجوه (عنهم أمواهم) أى فى الدنيا ولا فى الآخرة بالاقداة ولا بغيره (ولا
أولادهم) أى بالنصرة والمدافعة (من الله) أى اغناهم منذ من الملك الاعلى (شسأ) ولو قل جدا
فهم ما أراد بهم سبحانه كان وفذ ومضى لا يدفعه شئ فكذلك قال منهم لمن كان يوم القيامة
لنكونن أسعد فيه منكم كما نحن الآن ولننجون بأنفسنا وأموا لنا وأولادنا (أو لئلك) أى
البعداء من كل خير (أصحاب النارهم) أى خاصة (فيها) أى خاصة (خالدون) أى دائرون
لازمون الى غير نهاية وقوله تعالى (يوم) منصوب باذكر أى واذكر يوم (يعتصم الله) أى الذى له
جميع صفات الكمال (جميعا) فلا يترك أحدا منهم ولا من غيرهم إلا أعاده الى ما كان قبل موته
(فيخلقون) أى فتسبب عن ظهور القدرة الناقمة لهم ومعانية ما كانوا يكذبون به انهم يخلقون
(له) أى الله فى الآخرة انهم مسلمون فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين ونخوذ لك (كما يخلقون
اكم) فى الدنيا انهم مثلكم وقال ابن عباس رضى الله عنهما يحاقون لله تعالى يوم القيامة كذا
كما خلقوا والبيان فى الدنيا وهو قولهم والله ربنا ما كنا مشركين (ويحسبون) أى فى القيامة
بأيمانهم الكاذبة (اهم على شئ) أى يحصل لهم به دفع بانكارهم وحلقهم وقيل يحسبون فى الدنيا
انهم على شئ لانهم فى الآخرة يعملون الحق باضطرار والاول أظهر والمعنى انهم لشدة توغلبهم
فى النفاق ظنوا يوم القيامة انهم يكتمهم ترويح كذبهم بالايمان الكاذبة على علام الغيوب واليه
الاشارة بقوله تعالى ولورد العاد والمانيه وعنه وعن ابن عباس رضى الله عنهما ما أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ينادى مناد يوم القيامة أين خصماء الله تعالى فتقوم القدرة مسودة
وجوههم من رقة أعينهم ما نل شقهم يسيل لعابهم فيقولون والله ما عبدنا من دونك شعا ولا قرأنا
ولا صننا ولا اتخذنا من دونك الها قال ابن عباس رضى الله عنهما صدقوا والله أنا هم الشير من
حيث لا يعملون ثم تلا ويحسبون أنهم على شئ وقرأ ابن عباس وعاصم وحزرة بفتح السين والياء
بكسرهما (ألا انهم هم الكاذبون) المحكوم بكذبهم فى حساباتهم هم والله القدرة ثلاثا (استحوذ
أى استولى عليهم الشيطان) مع انه طريد محترق ووصل منهم الى ما يريد وملكهم ملكا
لم يبق لهم معه اختيار فصار واريته وصار هو محيطابهم من كل جهة غالب عليهم ظاهر او باطنا من
قولهم حذت الابل وحذتها اذا استولت عليها والحوذ أيضا السوق السريع ومنه الاحوذى
الخفيف فى الشئ لحذقه واستحوذ مما جاء على الاصل وهو ثوب الوادون قلبها ألفا (فأناسهم)
أى فتسبب عن استحوذه عليهم ان أناسهم (ذكر الله) أى الذى له الاسماء الحسنى والصفات
العليا (أو لئلك) أى البعداء البغضاء (حرب الشيطان) أى أتباعه وجنوده وطائفته وأصحابه
(ألا ان حرب الشيطان) أى الطريد المحترق (هم الخاسرون) أى العارفةون فى هذا الوصف
لانهم لم يظفروا بغير الطرد والاحتراق (ان الذين يحادون الله) أى يفعلون مع الملك الاعظم
الذى لا كفولة فعل من ينزع آخر فى الارض فيغلب على طائفة فيجعل لها حدة الاعتداء خصمه
(ورسوله) أى الذى عظمت من عظمتة (أو لئلك) أى البعداء البغضاء (فى الاذلين) أى فى جملة
من هو أدل خلق الله تعالى واختلف فى معنى قوله عز وجل (كتب الله) أى الملك الذى لا كفولة

قوله هم والله القدرة كذا فى السخ ولعله مؤخر من تقديم فيكون من كلام ابن عباس مجاز بعد قوله صدقوا

فقال أكثر المفسرين أى قضى الله عز وجل (لا غلبين) وقال قتادة كتب فى اللوح المحفوظ وقال
 الفراء كتب بمعنى قال وقوله تعالى (أنا) تأ كيد (ورسلى) أى من بعث منهم بالحرب ومن بعث
 منهم بالهجرة فاذا انضم الى الغلبة بالهجرة بالغلبة بالحرب كان أغلب وأقوى وقال مقاتل قال
 المؤمنون لأن فتح الله لنا مكة والطائف وخيبر وما حولهن رجونا أن يظهرنا الله تعالى على فارس
 والروم فقال عبد الله بن أبى بن سلول أتظنون الروم وفارس كبعض القرى التى غلبتم عليها والله
 انهم لا كثر عددا وأشد بطشا من أن تظنوا فيهم فنزل لا غلبين أنا ورسلى وتظيره قوله تعالى ولقد
 سبقت كلتنا العبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وقرأ نافع وابن عامر
 بفتح الياء والباءون بالسكون (ان الله) أى الذى له الامر كله (قوى) أى على نصر أوليائه
 (عزيز) أى لا يغلب عليه فى مراده فمنهى تعالى عن موالاته أعداء الله تعالى بقوله سبحانه
 (لا تجد) أى بعده هذا البيان (قوما) أى ناسا لهم قوة على ما يريدون (يؤمنون) أى يجددون
 الايمان ويديمونه (بالله) أى الذى له صفات الكمال (واليوم الآخر) الذى هو موضع الجزاء لكل
 عامل بكل ما عمل الذى هو محط الحكمة (يوادون) أى يحصل منهم ودلا ظاهرا ولا باطنا (من حاد
 الله) أى عادى بالمناصبه فى حدود الملك الاعلى (ورسوله) فان من حاده فقد حاد الذى أرسله بل
 لا تجد هم الايحاد ونهم لأنهم يوادونهم وزاد ذلك تأ كيدا بقوله تعالى (ولو كانوا آباءهم) أى
 الذين أوجب الله تعالى على الابناء طاعتهم فى المعروف وذلك كما فعل أبو عبيدة بن الجراح حيث
 قتل أباه عبد الله بن الجراح يوم أحد (أو آباءهم) أى الذين جيلوا على محبتهم ورجعتهم كما فعل
 أبو بكر فانه دعا ابنه يوم بدر الى المبارزة وقال دعنى يا رسول الله أكن فى الرعدة الاولى فقال له
 رسول الله صلى الله عليه وسلم متعنا بنفسك يا أب بكر أما تعلم انك عندى بمنزلة سمعى وبصرى
 (أو اخوانهم) أى الذين هم أعضادهم كما فعل مصعب بن عمير قتل أخاه عبيد بن حمير يوم أحد
 وخوف سعد بن أبى وقاص غير مرة فراح منه روغان الثعلب فنهأ النبي صلى الله عليه وسلم عنه
 وقال أتريد أن تقتل نفسك وقتل محمد بن سلمة الانصارى أخاه من الرضاع كعب بن الاشرف
 اليهودى رأس بنى النضير (أو عشيرتهم) أى الذين هم أنصارهم وأمدادهم كما قتل عمر خاله
 العاصى وهشام بن المغيرة يوم بدر وعلى وحزرة وعبيدة بن الحرث قتلوا يوم بدر بنى حمهم عتبة
 وشيبة ابنى ربيعة والوليد بن عتبة وعن الثورى ان السلف كانوا يرون أن الآية نزلت فيمن
 يصعب السلطان ٥ ومدار ذلك على أن الانسان يقطع رجاءه من غير الله تعالى وان لم يكن
 كذلك لم يكن مخلصا فى ايمانه * (تنبيه) * قدم الآباء أولا لانهم نجب طاعتهم على أبنائهم
 ثم ثنى بالابناء لانهم أعلق بالقلوب وهم حياتهم ثم ثلث بالاخوان لانهم هم الناصرون بمنزلة
 العضد من الذراع قال الشاعر

أخاك أخاك ان من لا أخاله * كساع الى الهيجا بغير سلاح

وان ابن عم المرء فاعلم جناحه * وهل ينهض البازى بغير جناح

ثم رجع بالعشيرة لأن بها يستغاث وعليها يعتمد والمعنى أن الميل الى هؤلاء أعظم أنواع المحبة ومع

هذا فيجب أن يكون هذا الميل مطروحا بسبب الدين قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه
 الآية في أبي عبيدة بن الجراح لما قتل أباه وعمه بن الخطاب رضي الله عنهما لما قتل خاله العاصي
 ابن هشام يوم بدر وروى أنها نزلت في أبي بكر وذلك أن أبا خافة سب النبي صلى الله عليه وسلم فمككه
 صككة سقطت منها أسنانه ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فقال أو فعلت قال نعم قال
 لا تعد إليه فقال والذي بعثك بالحق نبيا لو كان السيف في قريبا لقتلته فهو لا لم يوافقهم
 قال القرطبي استدلال مالك بهذه الآية على معاداة القدرية وترك مجالستهم قال القرطبي وفي
 معنى أهل القدر جميع أهل الظلم وعن عبيد العزيز بن أبي دؤاد أنه لقي المنصور في الطواف فلما
 عرفه هرب منه وتلا الآية وقال صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل لغاير عندي نعمة فاني وجدت
 فيما أوصحت الي لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر الآية (أو لك) أي العالو الهمة
 (كتب) أي أثبت قاله الربيع بن أنس رضي الله عنه وقيل خلق وقيل جعل كقوله تعالى فكتبنا
 مع الشاكرين أي اجعلنا وقوله تعالى فساكتبها للذين يتقون وقيل كتب (في قلوبهم الايمان) بما
 وفقهم فيه وشرح له صدرهم أي على قلوبهم كقوله تعالى في جذوع النخل وخص القلوب بالذكر
 لانها موضع الايمان قال البيضاوي وهو دليل على خروج العمل من مفهوم الايمان فان جراه
 الثابت في القلب يكون ثابتا فيه وأعمال الجوارح لا تثبت فيه (وأيدهم) أي وقواهم وشددتهم
 وشرقتهم (روح) أي نور شريف جدا يفهمون به ما أودع في كتابه وسنة نبية صلى الله عليه وسلم
 من نور العلم والعمل (منه) أي من الله تعالى أحياهم به فلا تنفك ألك ذلك عنهم في وقت من
 الاوقات فأعمر لهم استقامة المناهج ظاهرا وباطنا فعملوا الأعمال الصالحة فـ انوار الدنيا
 كالسراج فلا تجد شيئا أدخل في الاخلاص من موالاة أولياء الله تعالى ومعاداة أعدائه بل هو
 عين الاخلاص ومن جنح الى منحرف عن دينه أوداهن مستبدعاني عقيدته نزع الله تعالى نور
 المتوحيد من قلبه قال الزمخشري ويجوز أن يكون الضمير للايمان أي بروح من الايمان على انه
 في نفسه روح لحياة القلوب به وقال ابن عباس رضي الله عنهما نصرهم على عدوهم وسمى تلك
 النصرة روحا لان بها يحيا أمرهم وقال الربيع بن أنس رضي الله عنه بالقرآن وجججه وقال
 ابن جريح بن نور بوبرهان وهدى وقيل برجة وقيل أيدهم بجبريل عليه السلام (وبدخلم جنان)
 أي بساكن تسترد اخلهم من كثرة أشجارها وأخبر عن ربه بقوله تعالى (تجري من تحتها) أي
 قصورها (الاهار) فهي بذلك كثيرة الرياض والأشجار وقال تعالى (خالدين فيها) لان ذلك لا يبلد
 الا بالادوام وقال تعالى (رضي الله) أي الملك الأعظم (عنهم) لان ذلك لا يتم الا برضا مالكها الذي
 له الملك كله (ورضوا عنه) أي لانه أعطاهم فوق ما يؤملون (أو لك) أي الذين هم في الدرجات
 العلى من العظمة لكونهم قصر وأودهم على الله تعالى علما منهم بأنه ليس الضبر والنفع الا بيده
 (حزب الله) أي جند الملك الذي أحاط بجميع صفات الكمال (ألا ان حزب الله) أي جند الملك
 الاعلى وهم هؤلاء الموصوفون ومن والاهم (هم المقطعون) أي الذين حازوا الظفر بكل ما يؤملون
 في الدارين وقد علم من الرضامن الجائنين والحزبية والافلاح عدم الانفكاك عن السعادة فأغنى

ذلك عن تقييد الخلود بالتأييد* (فائدة) هذه السورة نصف القرآن عددًا وليس فيها آية الا وفيها ذكر الجلالة الكريمة مرة أو مرتين أو ثلاثا وما رواه البيضاوي تعالى عن النبي صلى الله عليه وسلم أن من قرأ سورة المجادلة كتب من حزب الله تعالى يوم القيامة حديث موضوع والله تعالى اعلم

﴿سورة المائدة مدنية﴾

في قول الجميع وهي أربع وعشرون آية وأربع مائة وخمس وأربعون كلمة وألف وتسعمائة وثلاثة عشر حرفاً (بسم الله) الملك الاعظم الذي لا خلف لمعباده (الرجن) الذي عمت نعمة ايجاده (الرحيم) الذي خص أهل وقته بالتوفيق فهم أهل السعادة ولما ختمت المجادلة بأنه يعز أهل طاعته ويذل أهل معصيته تنزه عن النقائص تأييداً للوعد بنصرهم فقال تعالى (سبح) أي أوقع التنزيه الاعظم عن كل شائبة نقص (لله) الذي أحاط بجميع صفات الكمال (ما في السموات) أي كلها (وما في الارض) أي كذلك وقيل ان اللام مزيدة أي نزهه وأني بما تغلب لاكثر وجمع السماء لانها أجناس قيل بعضها من فضة وبعضها من غير ذلك وأفراد الارض لانها اجنس واحد (وهو) أي والحال أنه وحده (العزيز) الذي يغلب كل شيء ولا يتنفع عليه شيء (الحكيم) الذي نفذ علمه في الظواهر والبواطن وأحاط بكل شيء فأتقن ما أراد فكل ما خلقه جعله على وحدانيته دليلاً والى بيان ماله من العزة والحرمة سبيلاً وقرأ قالون وأبو عمرو والكسائي يسكون الهاء والباقيون بضمها قال المفسرون نزلت هذه السورة في بني النضير وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما دخل المدينة صالحه بنو النضير على أن لا يكونوا عليه ولأله فلما غزا بدرًا وظهر على المشركين قالوا هو النبي الذي نعمته في التوارة لا ترد له راية فلما غزا أحدًا وهزم المسلمون ارتابوا وأظهروا العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ونقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وركب كعب بن الأشرف في أربعين راكباً من اليهود إلى مكة فأثأروا في شأخا لقوهم وعاقدهم على أن تكون كلمتهم واحدة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل أبو سفيان في أربعين وكعب في أربعين من اليهود المسجد وأخذ بعضهم على بعض الميثاق بين أسفار الكعبة ثم رجع كعب وأصحابه إلى المدينة فقتل جبريل عليه السلام وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما عاقد عليه كعب وأبو سفيان فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل كعب ابن الأشرف فقتله محمد بن مسلمة فلما قتل كعب بن الأشرف أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر الناس بالمسير إلى بني النضير وكانوا بقرية يقال لها زهرة فلما سار إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وجدهم ينوحون على كعب وقالوا يا محمد واعية على اثرواعية وباكية على اثرباكية قال نعم قالوا ذرنا نبيك شجوناً ثم أثير أمرنا فقال النبي صلى الله عليه وسلم اخرجوا من المدينة فقالوا الموت اقرب اليانا من ذلك ثم تنادوا بالحرب وأذوا بالقتال ودمس المنافقون عبد الله بن أبي وأصحابه إليهم ان لا يخرجوا من الحصن فان قاتلوكم فحنن معكم ولا تخذلواكم وانفسروا نكم وان

خرجتم لتخرجن معكم فذروا على الازقة وحضوهوا ثم انهم اجعوا القدر برسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسلوا اليه ان اخرج في ثلاثين رجلا من اصحابك ويخرج مسائلون حتى نلتقي بكان نصف بيننا وبينك فيسمعون منك فان صدقوك وآمنوا بك آمننا كلنا فخرج النبي صلى الله عليه وسلم في ثلاثين من اصحابه وخرج اليه ثلاثون حبرا من اليهود حتى اذا كانوا في براز من الارض قال بعض اليهود لبعض كيف تخلصون اليه ومعهم ثلاثون من رجال اصحابه كلهم يحب الموت قبله ولكن أرسلوا اليه كيف نفهم ونحن سمون رجلا اخرج في ثلاثة من اصحابك ويخرج اليك في ثلاثة من علماءنا فيسمعون منك فان آمنوا بك آمننا كلنا فصدقناك فخرج النبي صلى الله عليه وسلم في ثلاثة من اصحابه واشتقوا على الخناجر وارادوا القتل برسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسلت امرأة ناصحة من بني النضير الى اخيه وهو رجل مسلم من الانصار فأخبرته بما اراد بنو النضير من الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل أخوها سريعا حتى أدرك النبي صلى الله عليه وسلم فسار به بخبرهم فلما كان الغد عدا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكتاب خاصهم احدى وعشرين ليلة فقتل في قلوبهم الرعب وأيسوا من نصر المنافقين فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلح فأبى عليهم الا أن يخرجوا من المدينة على ما يأمرهم به النبي صلى الله عليه وسلم فقبلوا ذلك فصالحهم على الجلاء وعلى أن لهم ما أقلت الابل من أموالهم الا الحلقة وهي السلاح وعلى أن يتخلوا لهم ديارهم وعقارهم وسائر أموالهم قال ابن عباس رضي الله عنهما على أن يحمل كل أهل بيت على بعير ماشا ومن متاعهم والنبي صلى الله عليه وسلم ماني وقال الضحاک على كل ثلاثة نفر بعيرا وسقاس طعام ففعلوا ذلك وخرجوا من المدينة الى الشام الى أذرعات وأريحا الأهل يتبن من آل بني الحقيق وآل حبي بن أخطب فانهم لحقوا بجحير ولحق طائفة بالحيرة فذلك قوله تعالى (هو) أي وحده من غير ايجاف خيل ولا ركاب (الذي أخرج) أي على وجه القهر (الذين كفروا) أي ستروا ما في كتبهم من الشواهد لمحمد صلى الله عليه وسلم بأنه النبي الخاتم وما في فطرتهم الاولى من اتباع الحق (من أهل الكتاب) أي الذي أنزله الله تعالى على رسوله موسى صلى الله عليه وسلم وهم بنو النضير وفي التعبير يكفروا اشعار بانهم الذين أزالوا بالتبديل والاختفاء ما قدر واعليه مما بقي من التوراة (من ديارهم) أي مساكنهم بالمدينة عقوبة لهم لان الوطن عدل الروح لانه البدن كالبدن للروح فكان الخروج منه في غاية العسر قال ابن اسحق كان اجلاء بني النضير مرجع النبي صلى الله عليه وسلم من أحد وفتح قرية عند مرجعه من الاحزاب وبينهم ما استن (لاول الحشر) هو حشرهم الى الشام وأخبره أن جلاهم عرف في خلافة الى خيبر وقال سمرة الهمداني كان أول الحشر من المدينة والحشر الثاني من خيبر وجميع جزيرة العرب الى أذرعات وأريحا من الشام في أيام عمر وقال القرطبي الحشر الجمع وهو على أربعة أضرب حشران في الدنيا وحشران في الآخرة أما الذي في الدنيا فقوله تعالى هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر كانوا من سبطهم يصهم جلاء وكان الله تعالى قد كتب عليهم الجلاء فلولوا ذلك لعذبهم في الدنيا وكان أول حشر في الدنيا الى

قوله على كل آية كذا في السبع وقلعه على ان لكل آية

الشام قال ابن عباس وعكرمة رضى الله عنهم من شك أن الحشر في الشام فليقرأ هذه الآية
 وأن النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم اخرجوا قالوا إلى أين قال إلى أرض الحشر قال قتادة هذا
 أول الحشر قال ابن عباس رضى الله عنهم ما هو أول من حشر من أهل الكتاب وأخرج من داره
 وأما الحشر الثاني فحشرهم قرب القيامة قال قتادة تأتي نار تحشر الناس من المشرق إلى
 المغرب تبليت معهم حيث بانوا وتقبل معهم حيث قالوا وتأكل من تخلف منهم وهذا ثابت في
 الصحيح وذكر أن تلك النار ترى بالليل ولا ترى بالنهار وقال ابن العربي للحشر أول ووسط وآخر
 فالأول جلاء بني النضير والأوسط جلاء خيبر والآخر حشر يوم القيامة وعن الحسن هم بنو
 قريظة وخالفه بقية المفسرين وقالوا بنو قريظة ما حشرهم وألكنهم قتلوا أحكامه الثعلبي (ما ظننتم)
 أيها المؤمنون (أن يخرجوا) أي يوقعوا الخروج من شيء ورثوه منهم لما كان لكم من الضعف
 ولهم من القوة أكثر منهم وشدة بأسهم وقرب بني قريظة منهم وأهل خيبر أيضا غير بعيدين عنهم
 وكلهم أهل ملتهم والمنافقون من أنصارهم فنجابت ظنهم في جميع ذلك (وظنوا أنهم) وقوله تعالى
 (ما نعتهم حصونهم) فيه وجهان أحدهما أن تكون حصونهم مبتدأ وما نعتهم خبر ما مقدما والجملة
 خبر أنهم الثاني أن تكون ما نعتهم خبر أنهم وحصونهم فاعل به نحو أن زيد أقام أبوه وإن عمرا قائمة
 جارية وجعله أبوجان أولى لأن في نحو أقام زيد على أن يكون خبر ما مقدما ومبتدأ مؤخر أخلافا
 والكوفيون ينعونه فحمل الوفاق أولى وقال الزحشرى فان قلت أي فرق بين قولك وظنوا أن
 حصونهم نعتهم أو ما نعتهم وبين النظم الذي جاء عليه قلت في تقديم الخبر على المبتدأ دليل على فرط
 وثوقهم بحصانتها ومنعها إياهم وفي تصيير ضميرهم اسمالان واسناد الجملة إليه دال على اعتقادهم
 في انفسهم أنهم في عزة ومنعة لا يبالى معها بأحدية عرض لهم أو يطمع في معازتهم وليس ذلك في
 قولك وظنوا أن حصونهم نعتهم اه وهذا الذي ذكره اغمايتني على الأعراب الأقول وقد تقدم أنه
 مرجوح ودل على ضعف عقولهم بأن عبر عن جنده باسمه الأعظم بقوله تعالى (من الله) أي الملك
 الأعظم الذي لا عز إلا له (فأتاهم الله) أي جاءهم الملك الأعظم الذي لا يحتملون مجيئه (من حيث
 لم يحتسبوا) بما صور لهم من حقارة انفسهم على حبسها وهي خذلان المنافقين وعباكر عيهم
 وقرأ حزة والكسائي بالامالة محضة وورش بالفتح وبين اللطين والباقون بفتحها (وقذف) أي
 انزل انزالا كانه قذف بمجارة فثبت (في قلوبهم الرعب) أي الخوف الذي سكنها بعد أن كان
 الشيطان زين لهم غير ذلك وملا قلوبهم من الاطماع الفارغة وقرأ في قلوبهم الرعب وعليهم
 الجلاء ولاخوانهم الذين حزة والكسائي في الوصل بضم الهاء والميم وابو عمرو بكسرهما
 والباقون بكسر الهاء وضم الميم وحرك العين بالضم ابن عامر والكسائي والباقون بالسكون
 ثم بين تعالى حالهم عند ذلك وفسر قذف الرعب بقوله تعالى (يخربون بيوتهم) أي يبنقلوا
 ما استحسنوه منها من خشب وغيره وقرأ ابو عمرو ويفتح الخاء وتشديد الراء والباقون بسكون الخاء
 وتحقق الراء وهما بمعنى لأن خرب عداه ابو عمرو بالتضعيف وهم بالهمزة وعن ابى عمر وأنه فرق
 بمعنى آخر فقال خرب بالتشديد هدم وأفسد وأخرب بالهمزة ترك الموضع خرابا ذهب عنه وهو

قول القراء قال المبرد ولا أعلم لهذا وجهاً وزعم سيديونية أنهم امتعاقبان في بعض الكلام
فيجري كل واحد مجرى الآخر فهو فرحته وفرحته وقرأ ورش وابوعمر ووجفص بيوتهم بنسب
البناء الموحدة والباقيون بكسرهما (بأيديهم المؤمنين) قال الزهري وذلك أن النبي صلى
الله عليه وسلم لما صالحهم على أن لهم ما أقلت الأبل كانوا ينظرون إلى الخسبة في منازلهم
فيهدمونها وينزعون ما استحسنوه منها فيحملونه على أبلهم ويحترق المؤمنين باقيها وقال قتادة
والفضالة كان المؤمنون يخرجون من خارج ليدخلوا إليهم ومن داخل لينو ما خرب
من حصنهم وقال مقاتل إن المنافقين أوسلوا إليهم أن لا يخرجوا ودروا عليهم الأزقة
وكان المسلمون سائر الجوانب (فان قيل) ما معنى تخزيها لهم بأيدي المؤمنين (أجيب)
بأنهم لما عرضوهم لذلك وكانوا السبب فيه فكأنهم أمرهم به وكفوههم إياه وقال أبو عمرو بن
الغلاء بأيديهم في تركهم لها وبأيدي المؤمنين في إجلالهم عنها ولما كان في غاية الغرابة أن
يعمل الإنسان في نفسه كما يفعل فيه عدوه تسبب عن ذلك قوله (فاعتبروا) أي اجعلوا أنفسكم
بالامعان في التأمل في عظيم قدرة الله تعالى والاعتبار مأخوذ من العبور والمجازاة من شيء إلى
شيء ولهذا سميت العبرة عبرة لأنها تنتقل من العين إلى الخلد وتسمى علم التعبير لأن صاحبها ينتقل
من التخيل إلى المعقول وسميت الانفاظ عبارات لأنها تنتقل المعاني عن لسان القائل إلى عقل
المستمع ويقال السعيد من اعتبر بغيره لأنه ينتقل عقله من حال ذلك الغير إلى حال نفسه ومن لم
يعتبر بغيره اعتبر به غيره ولهذا قال القشيري الاعتبار هو النظر في حقائق الأشياء وجهات
دلائلها يعرف بالنظر فيها شيء آخر من جنسها ثم بين أن الاعتبار لا يحصل إلا للكمال بقوله تعالى
(يا أيها البصائر) بالنظر بأبصارهم وبصائرهم في غريب هذا الصنيع لتحقيقوا به ما وعدكم
على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم من اظهار دينه واعزاز دينه ولا تعبدوا على غير الله تعالى
كما اعتمدوا على المنافقين فان من اعتمد على مخلوق أسلمه ذلك إلى صغاره ومذله (ولو لا أن
كتب الله) أي فرض فرضاً حتماً الملك الذي له الأمر كله (عليهم الجلاء) أي الخروج من ديارهم
والجولان في الأرض فأتوا معظمهم فأجلالهم بخصمهم من بلاد الشام إلى العراق وأما هؤلاء
فخماهم الله تعالى بهاجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك الجلاء وجعله على يده صلى الله
عليه وسلم فأجلالهم فذهب بعضهم إلى خيبر وبعضهم إلى الشام مرة بعد مرة * (نبيه) * قال
المأوردى الجلاء أخص من الخروج لأنه لا يقال إلا للجماعة والإخراج يكون للجماعة
والواحد وقال غيره الفرق بينهما أن الجلاء ما كان مع الأهل والولد بخلاف الإخراج فإنه
لا يستلزم ذلك (لعذبهم) أي بالقتل والسبي (في الدنيا) كما فعل بقرينة من اليهود (ولهم)
أي على كل حال أجعلوا أو تركوا (في الآخرة) التي هي دار البقاء (عذاب النار) وهو
العذاب الأكبر (ذلك) أي الأمر العظيم الذي فعله بهم من الجلاء ومقدماته في الدنيا وبفعله
بهم في الآخرة (بأنهم شاقوا الله) أي الملك الأعلى الذي له الإحاطة السامة فكانوا في شق غير
شعبة بن صاروا في شق الإعداء المحاربين بعدما كانوا الموادعين (وشاقوا) (رسوله) أي

الذى اجلاله من اجلاله (ومن يشاق الله) أى يوقع فى الباطن مشاقة الملك الاعلى الذى لا كفؤ له فى الماضى والحال والاستقبال (فان الله) أى المحيط بجميع العظمة (شديد العقاب) وذلك كما فعل ببنى قريظة بعد هذا حيث تقضوا عهدهم وأظهروا المشاقة فى غزوة الاحزاب وكما فعل بأهل خيبر وقوله تعالى (مآ) شرطية فى موضع نصب بقوله تعالى (قطعتم) وقوله تعالى (من لينته) بيان له واختلف فى معنى قوله تعالى من لينته فأكثر المفسرين على انها هى النخلة مطلقا كأنهم اشتقوها من اللبن قال ذو الرمة

كان قنودى فوقها عيش طائر * على لينته سواقمهم فوجنوبها

وقال الزهرى هى النخلة ما لم تكن عجوة ولا برينة وقال جعفر بن محمد هى العجوة خاصة وذكر ابن العتيق والعجوة كانت مع نوح عليه الصلاة والسلام فى السفينة والعتيق الفعل وكانت العجوة أصل الاناث كما هو فلذلك شق على اليهود قطعها حكامه الماوردى وقال سيفيان هى ضرب من النخل يقال لثمرها اللون وهو شديد الصفرة يرى نوا من خارجة وبغيب فيه الضرس النخلة عندها حب اليهم من وصف وقيل هى النخلة الكريمة أى القريبة من الارض وقيل هى الفسيلة أى بالقفا هو هى صغار النخل لانها ألبن من النخلة وقيل هى الاشجار كلها للينها بالحياة وقال الاصمعى هى المدقل قال ابن العربى والصحيح ما قاله الازهرى ومالك وجع اللينة لين لانه من باب اسم الجنس كتمر وتمر وقد تكسر على لسان وهو شاذا لان تكسير ما يفرق بقاء التأنيث شاذ كرتبة ورتب وأرطاب والضمير فى قوله تعالى (أوتركتوها قائمة) عائدا على معنى ما ولما كان الترك يصنف ببقائها مغروسة أو مقطوعة قال تعالى (على أصولها فبأذن الله) أى فقطعها بتمكن الملك الاعظم روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل ببنى النضير وقصصوا بحصونهم أمر بقطع نخيلهم واحراقها جزع أعداء الله تعالى عند ذلك وقالوا يا محمد زعمت أنك تريد الصلاح أفن الصلاح عقر الشجر وقطع النخل وهل وجدت فيما زعمت انه أنزل عليك الفساد فى الارض فوجد المسلمون فى أنفسهم من قولهم وخشوا أن يكون ذلك فسادا واختلقوا فى ذلك فقال بعضهم لا تقطعوا فاته مما أفاء الله علينا وقال بعضهم بل نغيظهم بقطعه فأنزل الله تعالى هذه الآية تصديق من نبي عن قطعه وتحليل من قطعه من الاثم وان ذلك كان بأذن الله وعن ابن عمر قال حرق رسول الله صلى الله عليه وسلم نخل بنى النضير وقطع واللام فى قوله تعالى (وليجزى الفاسقين) متعلقة بمحمد وفى أى وأذن فى قطعها ليجزى اليهود فى اعتراضهم بأن قطع الشجر المفسد ليس المؤمنين ويعزهم وليجزى الفاسقين (فان قيل) لم خصت اللينة بالقطع (أجيب) بأنه ان كانت من الالوان فليست بقوا لانفسهم العجوة والبرينة وان كانت من كرام النخل فليكون غيظ اليهود أشد واحتجوا بهذه الآية على ان حصون الكفرة وديارهم يجوز هدمها وتجزيقها وتغريقها وان ترى بالمناجيق وكذا اشجارهم وعن ابن مسعود انهم قطعوا امنها ما كان موضع القتال وروى ان رجلا كان يقطع ما من أحد هما العجوة والآخر الالوان فسألهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا تركم الرسول الله صلى

الله عليه وسلم وقال هذا قطعتم اغيظا للكفار وقد استدل به على جوار الاجتهاد وعلى جوارزه
 بحضور النبي صلى الله عليه وسلم لانهم ابا الاجتهاد فعلا ذلك واحتج به من يقول كل مجتهد مصيب
 وقال الكيمي الطبري وان كان الاجتهاد يبعد في مثله مع وجود النبي صلى الله عليه وسلم
 وسلم بين أظهرهم ولا شك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ذلك وسكت فتلقوا الحكم من
 تقريره فقط قال ابن العربي وهذا باطل لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان معهم ولا
 اجتهاد مع حضوره صلى الله عليه وسلم وانما يدل على اجتهاد النبي صلى الله عليه وسلم فيما ينزل
 عليه أخذاب عنهم الادلة للكفار بدخول الاذن في الكل بما يقتضيه عليهم بالبيان وذلك قوله
 تعالى ولينزى الفاسقين (وما أفاء الله) أى ردا الملك الذى له الامر كله ودامه لا بعد ان كان
 في غاية العسر والصعوبة (على رسوله) فصره في يده بعد ان كان خروجه عنها بوضع أيدي
 الكفرة عليه ظلما وعدوانا كما دل عليه التعبير بالنبي الذى هو عود الظل الى الناحية التى كان
 ابتدأ منها (منهم) أى ردا مبتدأ من الفاسقين فبين تعالى ان هذا فى الغنية ويدخل فى النبي
 أموال من مات منهم بلا وارث وكذا الفاضل عن وارث له غير حائز وكذا الجزية وعشر
 تجارتهم وما جلاوا أى تفرقوا عنه ولولغير خوف كضر أصابهم وأما الغنية فهى ما حصل لنا
 من الحربين مما عولهم بايجاف حتى ما حصل بسرقة أو التلقا وكذا ما انهم مواعنه عند التقاء
 الصفيين ولوقبل شهر السلاح أو اهداء الكفار لنا والحرب قائمة ولم تحل الغنائم لاحد قبل
 الاسلام بل كانت الانبياء اذا غنموا ما لاجعوه فتأتى نار من السماء فتأخذهم ثم احل لنبيها صلى
 الله عليه وسلم وكانت فى صدر الاسلام له خاصة لانه كالمقاتلين كلهم نصرة وشجاعة بل أعظم ثم
 نسخ ذلك واستقر الامر على ما هو فى سورة الانفال فى قوله تعالى واعلموا انما غنمتم من شئ
 الآية وأما النبي فهو مذكور هنا بقوله تعالى (فما أوجفتم) أى أمر عثم يا مسلمين (عليه)
 ومن فى قوله تعالى (من خيل) مزيدة أى خيلا وكذا بعادة الناس فى دفع الظن من ظن انه غنية
 لاحاطتهم به بقوله تعالى (ولا ركب) والركاب الابل غلب ذلك عليهم من بين المركوبات واحدها
 راكبة ولا واحد لها من لفظها وقال الرازى العرب لا يطلقون لفظ الركاب الاعلى راكب
 البعير ويسمون راكب القرس فارسا والمعنى لم تقطعوا اليها شقة ولا قسيتم احرا بالامانة فانها
 كانت من المدينة على ميلين قاله الفرغاني فاشقوا اليها مشيوا ولم يركبوا اليها اخلا ولا ابلا الا النبي
 صلى الله عليه وسلم ركب جلا و قيل جارا مخطوما بليف فاقتحها مسلما قال الرازى ان الصحابة
 طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم ان يقسم النبي بينهم كاقسم الغنية بينهم فذكر الله تعالى
 الفرق بين الامرين وأن الغنية هى التى تعبت أنفسكم فى تحصيلها وأما التى فلم يوجف عليه
 بجبل ولا ركب فكان الامر موقوف ضافه الى النبي صلى الله عليه وسلم يضعه حيث يشاء (ولكن
 الله) أى الذى له العز كله فلا كفؤ له (يسلط رسوله) أى له هذه السنة فى كل زمن (على من
 يشاء) يجعل ما اتاهم سبحانه من الهبة رعبا فى قلوب أعدائه (والله) أى الملك الذى له
 السكال كله (على كل شئ) يصح أن تتعلق المشيئة به وهو كل ممكن من التسلط وغيره (قدير)

أى بالغ القدرة الى أقصى الغايات فلا حق لكم فيه ويختص به النبي صلى الله عليه وسلم ومن
 ذكره في الآية الثانية من الاصناف الاربعة على ما كان عليه القسمة من ان لكل منهم خمس
 الخمس وله صلى الله عليه وسلم الباقي يفعل فيه ما يشاء ثم بين تعالى مصرف النبي بقوله تعالى
 (ما أفاء الله) أى الذى اختص بالعزة والقدرة والحكمة (على رسوله من أهل القرى) أى قرية
 بنى المضير وغيرهما من وادى القرى والصفراء وينبع وما هنالك من قرى العرب التى تسمى قرى
 عربية فيخمس ذلك خمسة أنجاس وان لم يكن فى الآية تخميس فانه مذكور فى آية الغنمية
 بحمل المطلق على المقدر وكان صلى الله عليه وسلم يقسم له أربعة أنجاسه وخمس خنسه ولكل
 من الاربعة المذكورين معه خمس خمس وقرأ أبو عمرو وحزرة والكسائى بالامالة تحضة
 وورش بين اللفظين والباقون بالفتح فقوله تعالى (فله) أى الملك الاعلى الذى كله يسده ذلك
 للتبرك فان كل امر لا يبدأ فيه فهو أجدم (وللرسول) أى الذى عظمت من عظمته تعالى
 وقد تقدم ما كان له صلى الله عليه وسلم وأما بعده صلى الله عليه وسلم فيصرف ما كان له من خمس
 الخمس لمصالح المسلمين وسد ثغور وقضاة وعلماء معلوم تتعلق بمصالح المسلمين كتنسيق وقرأة والمراد
 بالقضاة غير قضاة العسكر أما قضاة وهم الذين يحكمون لاهل النبي في مغزاهم فيرزقون من
 الانجاس الاربعة لامن خمس الخمس يقدم وجوب الالهة فالاهم وأما الاربعة المذكورة معه
 صلى الله عليه وسلم فاولها المذكور في قوله تعالى (ولذى القربى) أى منه وهم مؤمنون بنى هاشم
 بنى المطلب لاقتصاره صلى الله عليه وسلم فى القسم عليهم مع سؤال غيرهم من بنى هاشم نوفل
 وعبد شمس له وقوله صلى الله عليه وسلم أما بنو هاشم بنو المطلب فبنو واحد وشبكن بين أصابعه
 فيعطون ولو أغنياء لانه صلى الله عليه وسلم أعطى العباس وكان غنيا ويفضل الذكر على الانثى
 كالارث فله سهمان ولها سهمان لانه عطية من الله تعالى يستحق بقرابة الاب كالارث سواء الكبير
 والصغير والعبرة بالانساب الى الآباء فلا يعطى أولاد البنات من بنى هاشم والمطلب شيأ لانه
 صلى الله عليه وسلم لم يعط الزبير وعثمان مع ان أم كل منهما كانت هاشمية وقرأ حجة والكسائى
 بالامالة محضة وورش بالفتح وبين اللفظين وأبو عمرو بين وبين والباقون بالفتح وخالفهم أبو عمرو في
 واليتامى ثانيها المذكور في قوله تعالى (واليتامى) أى الفقراء من لان لفظ اليتيم بشعر بالحاجة
 لانه مال أو نحوه أخذ من الكفار فاختص كسهم المصالح واليتيم صغير ولو أنى لخبر لا يتم بعد
 احتلام رواء أو دود أو دوحسبته النووى وان ضعه غيره لأب له وان كان له أم وحده اليتيم
 فى اليهام من فقد أمه وفى الطير من فقد أباه وأمه ومن فقد أمه فقط من الآدميين يقال له منقطع
 ثالثها المذكور في قوله تعالى (والمساكين) الصادقين بالفقر وهم أهل الحاجة منا وقد تقدم
 تعريفهما فى سورة الانفال وكذا تعريف الرابع المذكور في قوله تعالى (وابن السبيل) أى
 الطريق النكير مناذ كورا كانوا أو انابنا ولو اجتمع فى واحد من هذه الاصناف يتم ومسكنة
 أعطي باليتيم فقط لانه وصف لازم والمسكنة زائلة والامام التسوية والتفضيل بحسب الحاجة
 ويعم الامام ولو نبأ به الاصناف الاربعة الاخيرة بالايعطاء وجوب بالعموم الآية فلا يخص

الحاضر بوضع حصول النبي ولما من في كل ناحية منهم بالحاصل فيما هم لو كان الحاصل لايستد
مسددا بالتعميم قدم الاحوج فالاحوج ولا يعنى للضرورة ومن فقد من الاربعة صرف نصيبه
للباقين منهم وأما الانحاس الاربعة فهي المرتبة وهم المرشدون للجهاد تعيين الامام لهم بعمل
الاولين به بخلاف المتطوعة فلا يعطون من النبي بل من الزكاة عكس المرتبة ويشترك المرتبة
قضائهم كآمر وأمتهم ومؤذونهم وعملهم ويجب على الامام أن يعطى الامن المرتبة بقدر حاجة
محمونه من نفسه وغيرها كرجائه ليتفرغ للجهاد ويراعى في الحاجة الزمان والمكان والرخص
والغلاء وعادة الشخص من وأتوضدها ويراد ان زادت حاجته بزيادة ولداً واحداً وث زوجة
فأكثر ومن لا عبده يعطى من العبيد ما يحتاجه للقتال معه وأخذته ان كان ممن يخدم
ويعطى مؤنته ومن يقابل فارساً ولا فرس له يعطى من الخيل ما يحتاجه للقتال ويعطى مؤنته
بخلاف الزوجات يعطى لهن مطلقاً لانحصارهن في أربع ثم ما يدفعه اليهن وحبسه وولده الملك
فيه لهما حاصل من النبي وقيل يملكه هو ويصير اليه ما من جهته فان مات أعطى الامام أصوله
وزوجاته وبناته الى أن يستغنوا ويسن أن يضع الامام ديواناً وهو الدفتر الذي يثبت فيه أسماء
المرتبة وأول من وضعه عمر رضي الله عنه وأن ينصب لكل جمع عرفاً وان يقدم في اسم
واعطاء قريش الشرفهم بالنبي صلى الله عليه وسلم وخبر قدموا قريشاً وان يقدم منهم بنى هاشم
وبنى المطلب فبنى عبد شمس فبنى عبد العزى فبنى سائر بطون العرب الاقرب فالاقرب الى النبي
صلى الله عليه وسلم فبنى سائر العرب فالعجم ولا يثبت في الديوان من لا يصلح ومن مرض فكصيح
وان لم يبرج برؤه ويمعى اسم كل من لم يبرج وما فضل عنهم وزع عليهم بقدر مؤنتهم والامام صرف
بعضه في ثغور وسلاح وخيل ونحوها وله وقف عقارى أو بيعه وقسم غلته أو غنمه كقسم
المنقول اربعة أخماسه للمرتبة وخمسه للمصالح وله أيضاً قسمه كالمنقول لكن خمس الخمس
الذي للمصالح لاسيما الى قسمته ولما حكم سبحانه هذا الحكم في النبي والخالف لما كانوا عليه
في الجاهلية من اختصاص الاغنياء به بين غلته المظهرة لعظمته بقوله تعالى (كي لا يكون)
أى النبي الذي يسمه الله تعالى ببقوته من قذف العرب في قلوب أعدائه ومن حقه ان يعطاه
الفقراء (دولة) أى متداولا (بين الاغنياء منكم) أى يتداوله الاغنياء ويدور بينهم كما كان
في الجاهلية فانهم كانوا يقولون من عزز ومنه قول الحسن اتخذوا عباد الله خولا
ومال الله دولا يريد من غلب منهم أخذه واستأثر به وقرأ هشام بخلاف عنه تكون بالتأنيث
دولة بالرفع والباقون بالتذكير والنصب قائما بالرفع فعلى ان كان تامة وأما التأنيث والتذكير
فواضحان لانه تأنيث مجازي وأما النصب فعلى انها الناقصة واسمها ضمير عائدة على النبي
والتذكير واجب لتذكير المرفوع ودولة خبرها وقيل دولة عائدة على ما اعتبارا بالفظها
وكى لاهنا مقطوعة في الرسم (وما آتاكم الرسول) أى وكل شئ أخضروه لكم الكامل في الرسالة
من الغنمة أو مال النبي وغيره (تخذونه) أى فاقبلوه لانه حلال لكم وتسكوا به فانه واجب
الطاعة (وما نهاكم عنه) أى من جميع الاشياء (فاتنوها) لانه لا ينطق عن الهوى ولا يقول

ولا يفعل الا ما أمر به ربه عز وجل * (تنبيه) * هذه الآية تدل على أن كل ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم أمر من الله تعالى لان الآية وان كانت في الغنائم فجميع أو أمره صلى الله عليه وسلم ونواهيته داخل فيها قال عبد الرحمن بن زيد بن ثابت بن مسعود بن جلال محرم ما وعليه ثيابها فقال انزع عنك هذا فقال الرجل تقرأ على هذا آية من كتاب الله تعالى قال نعم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقال عبد الله بن محمد بن هرون القرياني سمعت الشافعي رضي الله عنه يقول سألتني عائشة ثم أخبركم من كتاب الله تعالى وستة نبيكم صلى الله عليه وسلم قال فقلت له أصلحك الله ما تقول في المحرم يقتل الزنور قال فقال بسم الله الرحمن الرحيم قال الله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وحديث شافعيان بن عيينة عن عبد الملك بن عمار عن ربيعة بن خراش عن حذيفة بن اليمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر حديث شافعيان بن عيينة عن مسعر بن كدام عن قيس بن اسلم عن طارق بن شهاب عن عمر بن الخطاب أنه أمر بقتل الزنور وهذا الجواب في غاية الحسن أفتى بقتل الزنور في الاحرام وبين انه يقتدى فيه بعمر وان النبي صلى الله عليه وسلم أمر بالاقتداء به وان الله تعالى أمر بقبول ما يقوله صلى الله عليه وسلم بخوارقته من الكتاب والسنة وسئل عن كرمته عن أمتهات الاولاد هل هن احرار فقال في سورة النساء في قوله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم وفي صحيح مسلم وغيره عن علقمة عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الله الواشحات والمنسوشحات والمتعمشات والمقلجات للعسن المغيرات خلق الله تعالى فبلغ ذلك امرأة من بني اسدي يقال لها أم يعقوب فجاءت فقاتت بلفغي أهلك لعنت كيت وكيت فقال وما لي لا ألعن من لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في كتاب الله تعالى فقالت لقد قرأت ما بين اللوحين فما وجدت فيه ما تقول فقال لئن كنت قرأته فقد وجدته أمأقرأت وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا قالت بلى قال فانه قد نهى عنه الحديث * (فائدة) * الوشم هو غرز العضوم الانسان بالابرة ثم يحشي بالكحل والمسحوشمة هي التي تطلب أن يفعل بها ذلك والنامصة هي التي تنقب الشعر من الوجه والمتفجعة هي التي تكلف تفرج ما بين ثناياها بصناعة وقبل تنفج في مشيها في كل شيء ممنهى عنه وقرأ حزمة والكسائي بالامالة مخضفة وورش بالفتح وبين اللقطين والباقون بالفتح والهمزة ممدودة بلاخلاف لانها بمعنى الاعطاء (واقفوا لله) أي واجعلوا لكم بطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقاية من عذاب الملك الاعظم المحيط علما وقدره وعمل ذلك بقوله تعالى (ان الله) أي الذي له الجلال والاکرام على الاطلاق (شديد العقاب) أي العذاب الواقع بعد الذنب قال الباقي ومن زعم ان شيئا مما في هذه السورة نسخ بشي مما في سورة الانفال فقد أخطأ لأن الانفال نزلت في بدر وهي قبل هذه بمدة وقوله تعالى (اللفقراء) أي الذين كان الانسان منهم يعصب الحجر على بطنه من الجوع ويتخذ الحفرة في الشتاء ليقبى البرد وماله دار غير هابل من لذى القربي وما عطف عليه

قاله الزخشي والذي منع الابدال من الله ولترسل والمعطوف عليهم ما وان كان المعنى لرسول
 الله صلى الله عليه وسلم لان الله تعالى أخرج رسوله صلى الله عليه وسلم من الفقر في قوله
 تعالى وينصرون الله ورسوله ولانه تعالى يرفع رسوله صلى الله عليه وسلم عن تسميته بالفقر
 وقال غيره انه خبر لم يتدا محمد في أي ولكن التي للفقر وقيل تقديره ولكن يكون للفقر
 وقيل تقديره عجبوا للفقر واقصر على هذا التقدير الجلال المحلى وانما جعله الزخشي
 بدلائل من الذي القرى لانه حقيق والخفية يشترطون الفقر في اعطاء ذوى القرى من التي
 ولذا قال البيضاوى ومن أعطى أغنياء ذوى القرى أي الشافعي خصص الابدال بها
 بعده أو التي في بني النضير أو أنهم كانوا عند نزول الآية كذلك ثم خصص بالوصف بقوله
 تعالى (المهاجرين) وقيل ذلك بقوله تعالى (الذين أخرجوا من ديارهم) لان الهجرة
 قد تطلق على من هجر أهل الكفر من غير مفارقة الوطن وقوله تعالى (وأموالهم) إشارة
 الى ان المال لما كان يستمره الانسان كان كانه ظرف له ولما كان طلب الدين من النقائص بين
 أنه اذا كان من الله لم يكن كذلك وأنه لا يكون فادح في الاخلاص فقال تعالى (بينهم) أي
 اخرجوا حال كونهم يطلبون على وجه الاجتهاد وبين انه لا يجب عليه سبحانه لاحد شيء بقوله
 تعالى (فضلا من الله) أي الملك الاعظم الذي لا كف له لانه المختص بجميع صفات الكمال
 فيعنيهم بفضله عن سواه (ورضوانا) بأن يوفقهم لما يرضيه عنهم ولا يجعل رغبته في العوض
 منه فادح في الاخلاص فيوصلهم الى دار كرامته وقرأت عبدة بضم الراء والباقون بكسر ها
 (وينصرون) أي على سبيل التجديد والاستمرار (الله) أي دين الملك الاعظم (ورسوله) الذي
 عظمت من عظمتهم بأنفسهم وأموالهم ليضمحل حرب الشيطان (أو لئلك) أي العالو الرتبة
 في الاخلاق الفاضلة (هم الصادقون) أي العريقون في هذا الوصف لان مهاجرتهم لما ذكر
 وتركتهم لما وصف دل على كمال صدقهم فيما ادعوه من الايمان بالله ورسوله صلى الله عليه
 وسلم حيث نأبوا من عاداهما ووالوا أولياءهما وان بعدت دارهم وشط من ارضهم ثم اتبع ذكر
 المهاجرين بذكر الانصار الذين كانوا في كل حال معه صلى الله عليه وسلم كليت بين يدي الغاسل
 بينهما ما فعل ومهما أراد منهم صاروا اليه بقوله تعالى (والذين تبوءوا) أي جعلوا بغاية جهدهم
 (الدار) أي الكمال في الدور التي جعلها الله تعالى في الازل للهجرة وهما لها النصر وجعلها
 محل اقامتهم وفي قوله تعالى (والايمان) أوجه أحدها أنه ضمن تبوءا معنى لزموا فبصح عطف
 الايمان عليه اذ الايمان لا يتبوء ثانياً أنه منصوب بمقدراً رأى واعتقدوا أو ألقوا أو وأحبوا
 أو وأخلصوا كقول القائل * علقمتا بنا وما باردا * وقول الآخر * ومقلدا سيفا ورجحا
 نالهما انه يتجاوز في الايمان فيجعل لاختلاطه بهم وثباتهم عليه كالمسكان المحيط بهم فكانهم
 نزله وعلى هذا فيكون جمع بين الحقيقة والمجاز في كلمة واحدة وفيه خلاف مشهور رابعها أن
 يكون الاصل دار الهجرة ودار الايمان فأقام لام التعريف في الدار مقام المضاف اليه
 وحذف المضاف من دار الايمان ووضع المضاف اليه مقامه خامسها أن يكون معنى المدينة به

لانهم ادار الهجرة ومكان ظهور الایمان قال هذين الوجهين الزمخشري وليس فيه الاقيام أل مقام
 المضاف اليه وهو محل خلاف وهو ان أل هل تقوم مقام الضمير المضاف اليه قال الكوفيون
 يجوزونه كقوله تعالى فان الجنة هي المأوى أى مأواه والبصريون ينعونه ويقولون الضمير
 محذوف أى المأوى له وأما كونهم اوضاع عن المضاف اليه فقال ابن عادل لانعرف فيه خلافا
 سادسها انه منصوب على المفعول معه أى مع الایمان قال وهب سمعت مالكا كذا كفضل المدينة
 على غيرها من الاقاليم فقال ان المدينة تبوءت بالایمان والحجرة وان غيرها من القرى اقتضت
 بالسيف ثم قرأ والذين تبوءوا الدار والایمان (من قبلهم) أى وهم الانصار (يحبون) أى على
 سبيل التجديد والاستقرار (من هاجر) وزادهم محبة فيهم بقوله تعالى (اليهم) لان القصد الى
 الانسان يوجب حقه عليه لانه لولا كمال محبته له ما خصه بالقصد اليه (ولا يجدون فى صدورهم)
 أى التى هى مساكن قلوبهم فضلا عن أن تنطق ألسنتهم (حاجة) قال الحسن حسدا وحزاة
 وغیظا (عما أو نوا) أى آتى النبي المهاجرين من أموال بنى النضير وغيرهم وأطلق لفظ الحاجة
 على الحسد والغیظ والحزاة لان هذه الاشياء لا تنفك عن الحاجة فأطلق اسم اللازم على
 المزورم على سبيل الكتابة فعلى هذا يكون الضمير الاول للجاثين بعد المهاجرين وفى أو نوا
 للمهاجرين وقيل ان الحاجة هنا على بابها من الاحتياج لانها واقعة موقع المحتاج اليه والمعنى
 ولا يجدون طلب محتاج اليه مما وفى المهاجرون من النى وغيره والمحتاج اليه يسمى حاجة تقول
 خدمته حاجتك وأعطاه من ماله حاجته قاله الزمخشري والضمير ان على ما تقدم وقال أبو البقاء
 مس حاجة أى انه حذف المضاف للعلم به وعلى هذا فالضميران للذين تبوءوا الدار والایمان قال
 القرطبي كان المهاجرون فى دور الانصار فلما غنم صلى الله عليه وسلم أموال بنى النضير دعا الانصار
 وشكرهم فيما صنعوا مع المهاجرين فى انزالهم اياهم منازلهم واشرا كههم فى الاموال ثم قال صلى
 الله عليه وسلم ان احببتهم قسمت ما آفأ الله على من بنى النضير بينكم وبينهم وكان المهاجرون
 على ما هم عليه من السكينة فى مساكنكم وأموالكم وان احببتهم أعطيتهم وخرجوا من دياركم
 فقال سعد بن عباد وسعد بن معاذ بل تقسمه بين المهاجرين ويكونون فى دورنا كما كانوا نادى
 الانصار رضىنا وسلمنا يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارحم الانصار
 وأبناء الانصار واعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرين ولم يعط الانصار الا ثلاثة نفر
 محتاجين أبادجانة سمك بن خرسه وسهل بن حنيف والحارث بن الصمة ولما أخبر تعالى عن
 تخليمهم عن الرذائل أسعه الاخبار بتخليهم بالقضائل فقال عزم من قائل (ويؤثرون على أنفسهم)
 فيمذلون لغیرهم كائنهم كان ما فى أيديهم فان الاشارة لتقديم الغير على النفس وحفظها
 الدنيوية ورغبته فى الحفظ الاخرية وذلك ينشأ عن قوة اليقين وثو كيدا المحبة والصبر على
 المشقة وذكر النفس دليل على انهم فى غاية النزاهة عن الرذائل فان النفس اذا ظهرت كان
 القلب أظهورا كدذلك بقوله تعالى (ولو كان) أى كونا هو فى غاية المكنة (بهم) أى خاصة
 بالموثر (خصاصة) أى فقر وحاجة الى ما يؤثرون به روى عن أبي هريرة ان رجلا بات به ضيف

ولم يكن عنده الاقوته وقوت صباه فقال لاهر أنه نومي الصبية وأطقتي السراج وقرني الصنف
 ما عندك فنزلت هذه الآية وعنه أيضا قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني مجهود
 فأرسل الى بعض نسائه فقالت والذي بعثك بالحق ما عندى الاماء فقال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم من يصيف هذا الليلة رجه الله فقام رجل من الانصار فقال يا ابا رسول الله فانطلق به
 الى رحله فقال لاهر أنه هل عندك شيء قالت لا الاقوت صبياني قال فعليهم شيء فاذا دخل صنفنا
 فأطقتي السراج وذكري نحو الحديث الاول وفي رواية فقام رجل من الانصار يقال له ابو طلحة
 فانطلق به الى رحله وذكر المهدي أنهم بايزت في ثابت بن قيس ورجل من الانصار يقال له ابو
 المتوكل ولم يكن عنده الاقوته وذكر القشيري قال اهدى لرجل من اصحاب رسول الله صلى
 الله عليه وسلم رأس شاة فقال ان أخي فلانا وعياله أحوج الى هذا منا فبعها اليهم فلم يزل يبع
 بها واجدا الى آخر حتى تناولها بسبعة آيات حتى رجعت الى الاول فنزلت الآية وذكر القرطبي
 عن أنس قال اهدى لرجل من الصحابة رأس شاة وكان مجهودا فوجه به الى جاره فقدا ولها
 سبعة أنفس في سبعة آيات ثم عادت الى الاول فنزلت (فان قيل) قد صح في الخبر النهي عن
 التصديق بجميع ما يملكه المرء (أجيب) بان محل النهي فيمن لا يوثق منه بالصبر على الفقر وخاف
 أن يتعرض للمسئلة اذا فقد ما يتفقه فاما الانصار الذين أتى الله تعالى عليهم بالانبار على
 أنفسهم فكانوا كما قال تعالى والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس فكان الانبار فيهم
 أفضل من الامسال والامسال لمن لا يصبر ويتعرض للمسئلة أولى من الانبار كما روى ابن جابر
 جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم بمثل البيضة من الذهب فقال هذه صدقة فرماها وقال
 يا أي أجدكم بجميع ما يملكه فيصدق به ثم يقعد فيتكفف الناس والانبار بالنفس فوق الانبار
 بالمال وان عاد الى النفس ومن الامثال * والجود بالنفس أعلى غاية الجود وأفضل من الجود
 بالنفس الجود على حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ففي الصحيح ان ابا طلحة ترس على رسول
 الله صلى الله عليه وسلم يوم أجد وكان النبي صلى الله عليه وسلم يطلع ليري القوم فيقول له
 ابو طلحة لا تشرف يا رسول الله لا يصيبونك بحري دون نحر ووقى يده رسول الله صلى الله
 عليه وسلم فثبت وقال حذيفة الدوري انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عمي فاذا برجل
 يقول آه فأشارا الى ابن عمي ان انطلق اليه فاذا هو هشام بن العاصي فقلت أسعقب فأشار
 ان نعم فسمع آخر يقول آه فأشار هشام ان انطلق اليه فثبت اليه فاذا هو قدمات فرجعت
 الى هشام فاذا هو قدمات فرجعت الى ابن عمي فاذا هو قدمات وقال ابو يزيد البسطامي
 ما غلبنى أحد ما غلبنى شاب من أهل بلخ قدم النبا جاجا فقال لي يا أبا يزيد ما هذا الزهد عنديكم
 فقلت اذا وجدنا أكينا واذا فقدنا صيرنا فقال هكذا كلاب بلخ فقلت وما هذا الزهد
 عنديكم فقال اذا فقدنا شكرينا واذا وجدنا أثرا وسلم ذوالنون ما هذا الزهد قال ثلاث
 تفريق المجموع وتزكيت القلب الفقير والانشاء عند القوت وحكي عن أبي الحسن الانطاكي
 انه اجتمع عنده نيف وثلاثون رجلا بقرية من قرى الري وبينهم أرغفة معدودة لا تشبع

جميعهم فكسروا الرغفان وأطفوا السراج وجلسوا للطعام فلما فرغوا فإذا الطعام بحالة لم يأكل أحد منهم شيئاً أثار صاحبه على نفسه (ومن يوق شح نفسه) أى يجعل بينه وبين أخلاقه الذميمة المشار إليها بالنفس وقاية تحول بينه وبينها فلا يكون مانعاً لما عنده من رضاء على ما عنده غيره حسداً قال ابن عمر الشح أن تطمع عين الرجل فيما ليس له قال صلى الله عليه وسلم اتقوا الشح فإنه أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم وقال القرطبي الشح والبخل سواء وجعل بعض أهل اللغة الشح أشد من البخل وفي الصحاح الشح البخل مع خوص والمراد بالشح فى الآية الشح بالزكاة وما ليس بفرض من صلة ذوى الارحام والضبافة وما شا كل ذلك وليس بشح ولا بخميسل من اتفق فى ذلك وإن أمسك عن نفسه ومن وسع على نفسه ولم ينفق فيما ذكر من الزكاة والطاعات فلم يوق شح نفسه روى الاموى عن ابن مسعود أن رجلاً أتاه فقال انى أخاف أن أكون قد هلكت قال وما ذاك قال سمعت الله يقول ومن يوق شح نفسه وأنا رجل شحيح لا كأدأ خرج من يدي شيئاً فقال ابن مسعود ليس ذلك الذى ذكر الله تعالى إنما الشح أن تأكل مال أخيك ظلماً ولكن ذلك البخل وبئس الشئ البخل ففرق بين الشح والبخل وقال طاوس البخل أن يبخل الانسان بما فى يده والشح أن يشح بما فى أيدي الناس يجب أن يكون له ما فى أيديهم بالحل والحرام فلا يقطع وقال بعضهم ليس الشح أن يمنع الرجل ماله إنما الشح أن تطمع عين الرجل فيما ليس له وقال ابن جبير الشح منع الزكاة وإدخال الحرام وقال ابن عيينة الشح الظلم وقال الليث ترك الفرائض وانتهاك المحارم وقال ابن عباس رضى الله عنهم ما من اتبع هواه ولم يقبل الايمان فذلك الشحيح وقال ابن زيد من لم يأخذ شيئاً نهاه الله تعالى عنه ولم يمنع شيئاً أمره الله تعالى باعطائه فقد وفاه الله تعالى شح نفسه وعن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال برئ من الشح من أدى الزكاة وأقرى الضيف وأعطى فى النأبة وعنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو اللهم انى أعوذ بك من شح نفسي واسرافها وسوأتها وقال ابن الهيثج الاسدى رأيت رجلاً فى الطواف يدعو اللهم قنى شح نفسي لا يزيد على ذلك فقلت له فقال اذا وقيت شح نفسي لم اسرق ولم أزن ولم أقبل فاذا الرجل عبد الرحمن بن عوف قال القرطبي ونزل على هذا اقول له صلى الله عليه وسلم اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فان الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم وعن أبى هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يجتمع غبار فى سبيل الله ودخان جهنم فى جوف عبد أبداً وقال كسرى لاصحابه أى شئ أضرب ابن آدم قالوا الفقر فقال الشح أضرب من الفقر لان الفقير اذا وجد شبع والشحيح اذا وجد لم يشبع أبداً (فأوامسك) أى العالو المنزلة (هم المنكحون) أى الكاسلون فى الفوز بكل مراد قال القشيري وتجرد القلب من الاعراض والاملاك صفة السادة والاكابر لا من أسرته الاخطار ولما أتى سبحانه وتعالى على المهاجرين والانصار بما هم عليه وأهل أتبعتهم ذكر التابعين لهم باحسان الى يوم الدين فقال تعالى (والذين جاؤا) أى من أى طائفة كانوا (من بعدهم) أى بعد المهاجرين والانصار وهم من آمن

بعد انقطاع الهجرة بالفتح وبعديان الانصار الذين أسلموا مع النبي صلى الله عليه وسلم الى يوم
 القيامة (يقولون) على سبيل التجديد والاستمرار تصديقا لايمانهم بدعائهم (ربنا) أى أيها
 المحسن النبيا بما جاد من مهد الدين قبلنا (اغفر لنا) أى أوقع ستر النقائص آثارها وأعيانها
 (ولاخواننا) أى فى الدين فانهم أعظم اخوة وينو العلة بقولهم (الذين سبقونا بالايان) قال
 ابن أبى ليلي الناس على ثلاثة منازل المهاجرين والذين تبوءوا الدار والايمان والذين جاؤا من
 بعدهم فاجتهد أن لا يخرج من هذه المنازل وقال بعضهم كن مهاجرا فان قلت لا أجد فك
 أنصاريان فان لم تجد فاعمل بأعمالهم فان لم تستطع فأحبهم واستغفر لهم كما أمر الله تعالى وقال
 مصعب بن سعد الناس على ثلاث منازل قضت منزلتان وبقيت منزلة فأحسن ما أنتم عليه أن
 تكونوا بهذه المنزلة التي بقيت وعن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده أنه جاءه رجل فقال له يا ابن
 بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقول في عثمان فقال له يا أخى أنت من قوم قال الله تعالى
 فيهم للفقراء المهاجرين الآية قال لا قال فأنت من قوم قال الله تعالى فيهم والذين تبوءوا الدار
 والايمان الآية قال لا قال فوالله ان لم تكن من أهل الآية الثالثة لتخرجن من الاسلام وحي
 قوله تعالى والذين جاؤا من بعدهم الآية وروى أن نفرا من أهل العراق جاؤا الى محمد بن
 على بن الحسين فسبوا أبا بكر وعمر وعثمان فأكثروا فقال لهم أمن المهاجرين الاولين أنتم
 فقالوا لا فقال امن الذين تبوءوا الدار والايمان قالوا لا قال فقد تبرأتم من هذين الفريقين أنا
 أشهد أنكم لستم من الذين قال الله تعالى والذين جاؤا من بعدهم قوموا فعلى الله بكم وفعل
 * (تنبيه) هذه الآية دال على وجوب محبة الصحابة رضى الله تعالى عنهم أجمعين لانه جعل لمن
 بعدهم حظا فى النى مما أقاموا على محبتهم وموالاتهم والاستغفار لهم ومن أبغضهم أو واحد
 منهم أو اعتقد فيهم شرا أنه لاحق له فى النى قال مالك من كان يبغض أحدا من أصحاب رسول
 الله صلى الله عليه وسلم أو كان فى قلبه لهم غل فليس له حق فى فى المسلمين ثم قرأ والذين جاؤا من
 بعدهم الآية وحى عامة فى جميع التابعين الا تين بعدهم الى يوم القيامة روى أن النبي صلى
 الله عليه وسلم خرج الى المقبرة فقال السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا ان شاء الله بكم لاحقون
 وددت لو رأيت اخواننا فقالوا يا رسول الله ألسنا اخوانك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 بل أنتم أصحابي واخواننا الذين لم يأتوا بعدوا وأنا قرطهم على الخوض فيمن صلى الله عليه وسلم
 أن اخوانه كل من أتى بعدهم كما قال السدى والكلى انهم الذين هاجروا بعد ذلك وعن الحسن
 أيضا ان الذين جاؤا من بعدهم من قصد الى النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة بعد انقطاع
 الهجرة وانعبدوا فى الدعاء بأنفسهم لقوله صلى الله عليه وسلم ابدأ بنفسك وقال الشعبي
 تفاضلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلة تسئل اليهود من خير أهل ملتكم فقالوا
 أصحاب موسى وسئل النصارى من خير أهل ملتكم فقالوا أصحاب عيسى وسئل الرافضة
 من شر أهل ملتكم فقالوا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أمر وأب الاستغفار لهم فسبوا
 وعن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تذهب هذه الامة حتى يلعن

آخرها أولها أعادنا الله تعالى ومحيينا من الاهواء المضلة (ولا تجعل في قلوبنا غلا) أي ضغنا وحسدا وحقدا وهو حارة وغليان يوجب الانتقام (للذين آمنوا) أي أقرؤا بالآيمان وان كانوا في أدنى درجاته وقيدوا بالقلب لأن ذنابل النفس قل أن تنفك وأنما ان كانت مع صحة القلب أو شك أن لا تؤثر (ربنا) أي أيها الحسن النابت بعلم مالم نكن نعلم وأكدوا اعلاما بانهم يعتقدون ما يقولون بقولهم (أنك رؤف) أي راحم أشد الرحمة لمن كانت له بك وصلة يفعل من أفعال الخير (رحيم) مكرم غاية الأكرام لمن أردت ولولم يكن له وصلة فانت جدير بأن تميمنا لا باني أن تكون لنا وصلة فتكون من أهل الرأفة أو لافتك من أهل الرحمة فقد أفادت هذه الآية أن من كان في قلبه غل على أحد من الصحابة فليس من عني الله تعالى بهذه الآية وقرأ أبو عمرو وشعبة وحزرة الكسافي بكسر الهمزة والباقون بعدها * ولما ذكر حال المؤمنين اتبعهم بذكر حال المنافقين فقال تعالى (المرت) أي تعلم علما هو في غاية الجزم كالمشاهدة يا أعلى الخلق وبين بعدهم عن جنابه العالی ومنصبه الشريف العالی بأداة الانتهاء فقال تعالى (الى الذين نافقوا) أي أظهر واغبر ما أضمر وابالغوا في اخفاء عقائد هم وهم عبد الله بن أبي ابن سلول وأصحابه قالوا والنفاق لفظ اسلاحي لم تكن العرب تعرفه قبله وهو استعاره من الضب في نفاقه وقاصعانه وصور حالهم بقوله تعالى (يقولون لاخوانهم الذين كفروا) أي غطوا أنوار المعارف التي دلتهم على الحق (من أهل الكتاب) وهم اليهود من بني قريظة والنضير والاخوان هم الاخوة وهي هنا احتمل وجوها أحدها الاخوة في الآخرة لأن اليهود والمنافقين اشتروا في عوم الكفر بحمد صلى الله عليه وسلم وثانيها الاخوة بسبب المصادقة والموالاة والمعاونة وثالثها الاخوة بسبب اشتراكهم في عداوة محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا لليهود (لئن أخرجتم) أي من مخرج تامن المدينة (لنخرجن معكم) أي منها (ولا نطيع فيكم) أي في خذلانكم (أحدا) أي يريد خذلانكم من الرسول والمؤمنين وأكدوا بقولهم (أبدا) أي مادامنا نعيش وبمثل هذا العزم يستحق الكافر الخلود الأبدى في العذاب (وان قوتلتم) أي من أي مقاتل كان يقاتلكم ولم تخرجوا (لننصرنكم) أي لنعيننكم ولنقاتلن معكم * ولما كان قولهم هذا كلاما يقضى عليه سامعه بالصدق من حيث كونه مؤكدا مع كونه مبتدأ من غير سؤال فيه بين حاله سبحانه بقوله تعالى (والله) أي يقولون ذلك والحال ان الحمط بكل شئ قدرة وعلما (بشهادتهم) أي المنافقين (الكاذبون) أي فيما قالوا ووعدوا وهذا من أعظم دلائل النبوة لانه اخبار بغيب بعيد عن العادة ثم أخبر تعالى عن حال المنافقين بقوله تعالى (لئن أخرجوا) أي بنو النضير من أي مخرج كان (لا يخرجون) أي المنافقون (معهم) أي حمية لهم لاسباب يعلمها الله تعالى (ولئن قوتلوا) أي اليهود من أي مقاتل كان فكيف بأشجع الخلق وأعلمهم صلى الله عليه وسلم (لا ينصرونهم) أي المنافقون ولقد صدق الله تعالى وكذبوا في الامرين معا القتال والاخراج لانصر وهم ولا يخرجوا معهم فكان ذلك من أعلام النبوة وعلم به من كان شاكفا فضلا عن الموقفين (ولئن نصروهم) أي المنافقون في وقت من الاوقات (ليولن) أي

المنافقون ومن ينصرونه وحقرهم بقوله تعالى (الادبار) أى ولو قدر وجود نصرهم لولوا الادبار
 منهم زين (ثم لا ينصرون) أى لا يتجدد لفريقهم ولا لواحد منهم مانصرة في وقت من الاوقات
 ولم يزل المنافقون واليهود في الذل (لا تهم) أيها المؤمنون (أشد رهبة) أى خوفاً (في صدورهم)
 أى اليهود ومن ينصرهم (من الله) أى لتأخير عذابه وأصل الرهبة والرهب الخوف الشديد
 مع حزن واضطراب والمعنى أنهم يرهبونكم ويخافون منكم أشد الخوف وأشد من رهبتهم من
 الله لما مر (ذلك) أى الامر الغريب وهو خوفهم النابت اللازم من مخلوق مثله - هم ضعيف
 لرؤيتهم له وعدم خوفهم من الخالق على ماله من العظمة في ذاته ولكونه غنيا عنهم (بأنهم قوم)
 أى على ماله من القوة (لا يفتقون) أى لا يتجدد لهم بسبب كفرهم واعتمادهم على مكرهم
 في وقت من الاوقات فهم يشرح صدورهم ليدركوا به أن الله تعالى هو الذى ينبغي أن يخشى
 لا غيره بل هم كالانعام لانظر لهم الى الغيب اغماهم مع الحسوسات والفقه هو العلم بفهوم الكلام
 ظاهره الجلى وغامضه الخفى بسرعة فطنة وجوده قريحة (لا يقاتلونكم) أى اليهود والمنافقون
 (جميعاً) أى قتلا لا تقصدونه بمجاهرة وهم يجتمعون كلهم في وقت من الاوقات ومكان من
 الاماكن (الافى قري محصنة) أى متسعة بحفظ الدروب وهى السكك الواسعة بالابواب
 والخنادق ونحوها (أومن وراء جدار) أى محيط بهم سواء كان بقربة أم بغيرها لشدة خوفهم
 وقد أخرج هذا ما حصل من بعضهم عن ضرورة كالاسير ومن كان ينزل من أهل خيبر من
 الحصن يارز ونحو ذلك فانه لم يكن عن اجتماع أو يكون هذا خاصا بيني النصير في هذه الكرة
 وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بكسر الجيم وفتح الدال وألف بعدها واما الالف أبو عمرو والباقيون
 بضم الجيم والدال (بأسهم) أى حربهم (بينهم شديد) أى بعضهم قط على بعض وعداوة بعضهم
 بعضها شديدة وقيل بأسهم بينهم من وراء الحيطان والحصون شديد فاذا خرجوا اليكم فهم أجبن
 خلق الله تعالى (تحسبهم) أى اليهود والمنافقين يأعلى الخلق أوبأياها الناظر وقرأ نافع وابن
 كثير وأبو عمرو والكلابى بكسر السين والباقيون بفتحها (جميعاً) لما هم فيه من اجتماع
 الاشباح (وقلبهم شتى) أى متفرقة أشد افتراقاً وموجب هذا الشدة اختلاف الاهواء التى
 لا جامع لها من نظام العقل كالبهايم وان اجتمعوا في عداوة أهل الحق كاجتماع البهايم في الهرب
 من الذئب قال القشيري اجتماع النفوس مع تنافر القلوب واختلافها أصل كل فساد
 وموجب كل تحاذل ومقتض لتجاسر العدو واتفاق القلوب والاشتراك في الهمة والتساوى
 في القصد موجب كل ظفر وكل سعادة وقرأ شتى الحسن وحزة والكسافى بالامالة محضة
 وورش بالفتح وبين اللفظين وأبو عمرو وبين وبين والباقيون بالفتح وهى على وزن فعلى (ذلك) أى
 الامر الغريب من الافتراق بعد الاتفاق الذى يحيل الاجتماع (بأنهم قوم) أى مع شدتهم
 (لا يعقلون) فلا دين لهم مثلهم في ترك الايمان (كمثل الذين من قبلهم قريبا) أى بمن قريب وهم
 كما قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهم ما بنو قينة قاع من أهل دينهم اليهود أظهروا بأسا شديداً
 عند ما قصدهم النبي صلى الله عليه وسلم في اثر غزوة بدر فوعظهم وحذرهم بأس الله تعالى

فقالوا لا يغرنك يا محمد أنك لقيت قوماً أغماراً لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم أما والله لو قاتلنا
 لعلمت أننا نحن الناس ثم مكروا بامرأة من المسلمين فراودوها عن كشف وجهها فأبت ففقدوا
 طرف ثوبها من تحت جوارها فلما قامت انكشف سوقها فصاحت فغار لها شخص من الصحابة
 فقتل اليهودي الذي عقد ثوبها فقتلوه فانتقض عهدهم فأ نزل الله النبي صلى الله عليه وسلم
 بساحتهم فأذلهم الله تعالى ونزلوا من حصنهم على حكمه صلى الله عليه وسلم وقد كانوا حلفاء ابن
 أبي ولهم بغن عنهم شيئا غير أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم في أن لا يقتلهم وألح عليه حتى كف
 عن قتلهم فذهبوا عن المدينة الشريفة بأنفسهم من غير حشر لهم بالارام بالجلاء (ذاقوا وبال
 أمرهم) أي عقوبته في الدين من القتل وغيره (ولهم عذاب أليم) أي مؤلم في الآخرة ومثلهم
 أيضا في سماعهم من المنافقين وتحلقهم عنهم (كمثل الشيطان) أي البعيد من كل خير لبعده
 من الله تعالى المحترق بعذابه والشيطان هنا مثل المنافقين (أذ قال للانسان) وهو هنا مثل
 اليهود (اكفر) أي بالله بما زين له ووَسَّوس اليه من اتباعه الشهوات القائم مقام الامر (فلما
 كفر) أي أوجد الانسان الكفر على أي وجهه ودلت الفاعل اسرعه في متابعة تزيينه
 (قال) أي الشيطان الذي هو هنا عبارة عن المنافقين (اني بري منك) أي ليس بيني وبينك
 علاقة في شيء أصلا ظن ان هذه البراءة تنفعه شيئا مما استوجبه المأور بقبوله لآمره وذلك
 مثل ضربه الله تعالى للمنافقين واليهود في أخذ الهيم وعدم الوفاء في نصرته وحذف حرف
 العطف ولم يقل وكمثل الشيطان لأن حذف العطف كثير كقولك أنت عاقل أنت كريم أنت عالم
 وقوله كمثل الشيطان كالبیان لقوله تعالى كمثل الذين من قبلهم روى عن النبي صلى الله عليه
 وسلم أن الانسان الذي قال له الشيطان راهب نزلت عنده امرأة أصابها المم ليدعو لها فزين له
 الشيطان فوطئها فحملت ثم قتلها خوفا من أن يقتضخ فدل الشيطان قومها على موضعها فجأوا
 فاستنزلوا الراهب ليقتلوه فجاءه الشيطان فوعده أن يسجد له أنجاه منهم فسجد له فقبض أمسه
 وروى عطاء وغيره عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهم ما قال كان راهب يقال له برصيصا تعبد
 في صومعته سبعين سنة لم يعص الله تعالى فيها طرفة عين وإن إبليس أعياء في أمره الحيل فجمع
 ذات يوم مرده الشياطين فقال ألا أجد فيكم من يكفيني برصيصا فقال له الأبيض وهو صاحب
 الانبياء عليهم الصلاة والسلام وهو الذي تصدى للنبي صلى الله عليه وسلم وجاءه في صورة جبريل
 عليه السلام ليوسوس اليه على وجهه الوحي فدفعه جبريل عليه السلام الى أقصى أرض الهند
 فقال الأبيض لابليس أناأ. كفيك أمره فانطلق فتزاورى الراهبان وحلق وسط رأسه وأتى صومعة
 برصيصا فناداه فلم يجبه وكان لا ينقل عن صلاته الا في كل عشرة أيام مرة ولا يقطر في كل عشرة
 أيام الا مرة فلما رآه الأبيض أنه لا يجيبه أقبل على العبادة في أصل صومعته فلما انتقل برصيصا
 اطلع من صومعته فرأى الأبيض قائما يصلي في هيئة حسنة من هيئة الراهبان فلما رأى ذلك
 من حاله ندم على نفسه حين لم يجبه فقال له أنك حين ناديتني كنت مشغلا عنك فاجتبتك
 قال حاجتي اني أحببت أن أكون معك فأنا أدب بأدبك واقتبس من علمك ونجست معك على العبادة

وتدعولي وادعوك فقال برصيصا اني لقي شغل عنك فان كنت مؤمنا فان الله سيجعل لك فيما
أدعولاه مؤمنا نصيبا ان استجاب الله لي ثم أقبل على صلاته وترك الايض فأقبل الايض صلى
فلم يلتفت اليه برصيصا أربعين يوما فلما التفت بعدها رآه قائما يصلي فلما رأى برصيصا شدة
اجتهاد الايض قال له ما حاجتك قال حاجتي ان تأذن لي ان ارتفع اليك فأذن له فارتفع اليه
في صومعته فأقام حولاً يتعبد فلا يقطر الا في كل أربعين يوما مرة ولا يتقبل من صلاته الا كذلك
وربما مد الى الثمانين فلما رأى برصيصا اجتهاده تقاصرت اليه نفسه واجبته شأن الايض فلما
حال الحول قال الايض لبرصيصا ان لي صاحباً غيرك ظننت انك اشد اجتهاداً مما رأيته وكان
بلغنا عنك انك غير الذي رأيته فدخل من ذلك على برصيصا أمر شديد وكره مفارقة للذي رآه
من شدة اجتهاده فلما ودعه الايض قال له ان عندى دعوات اعلمكمها تدعون من فهن خير مما
أنت فيه يشقى الله تعالى بها المريض ويعاني بها المبتي والمجنون قال برصيصا اني اكره هذه الميزة
لان في نفسي شغلا واني اخاف ان علم به الناس يشغلوني عن عبادة ربي عز وجل فلم يزل به
الايض حتى علمه ثم انطلق حتى أتى ابلدس فقال والله قد أهلكك الرجل فانطلق الايض
فتعرض لرجل فجثته ثم جاءه في صورة رجل مطيب فقال لاهله ان يصاحبكم جنونا فاعالجه
قالوا نعم فقال اني لأقوى على جثته واسكن سأرشدكم الى من يدعو الله تعالى فيعافيه
انطلقوا الى برصيصا فان عنده الاسم الذي اذا دعا به أجيب فانطلقوا به اليه فسألوه فذاع تلك
الكلمات فذهب عنه الشيطان فكان الايض يفعل ذلك بالناس ويرشدهم الى برصيصا
فيدعولهم فيعافون فانطلق الايض فتعرض لجارية من بنات ملوك بني اسرائيل وكان لها
ثلاثة اخوة وكان أبوهم هو الملك فلما مات استخلف أخاه فكان عمها ملك بني اسرائيل فصدلها
وخنقها ثم جاء اليهم في صورة رجل مطيب فقال فاعالجهما قالوا نعم قال ان الذي عرض لهما ما رد
لا يطاق ولكن سأرشدكم الى رجل تثقون به تدعونهم عنده اذا جاءها شيطانهم ادعائها حتى تغلوا
أنهم اقد عوفيت فتدرون الصحيحة قالوا ومن هو قال برصيصا قالوا كيف لنا ان يجيبنا الى هذا
وهو أعظم شأن من ذلك قال ابنوا صومعة الى جنب صومعته ولتكن لزيق صومعته حتى
يشرف عليها فان قبلها والاقتضعونهم في صومعتهم ثم قولوا له هي امانة عندك فاحتسب امانتك
فانطلقوا اليه فسألوه ذلك فأبى فبنوا صومعة على ما أمرهم به الايض ووضعوا الجارية
في صومعتهم وقالوا يا برصيصا هذه اختنا امانة عندك فاحتسب فيها ثم انصرفوا فلما انقلب برصيصا
من صلاته عاين الجارية وما هي عليه من الجمال فوقعت في قلبه ودخل عليه أمر عظيم فجاءها
الشيطان فخنقها فكانت تكشف عن نفسها وتعرض لبرصيصا فجاء الشيطان وقال ويحك
واقعها فلم تجده مثلها وستوب بعد ذلك ويتم لك ما تريد من الامر فلم يزل به حتى واقعها فلم يزل على
ذلك يأتها حتى حلت وظهر جملها فقال له الشيطان ويحك يا برصيصا قد افضحت فهل لك أن
تقتلها وتوب فان سألتك قتل ذهب به الشيطان ولم أقو عليه فدخل فقتلها ثم انطلق به فدفنها
الى جانب الجبل فجاء الشيطان وهو يدفنها الى افاخذ بطرف ازارها فبقى خارجا من التراب ثم

رجع برصيصا الى صومعته وأقبل على صلاته اذ جاء اخوته ينعهدون أختهم وكانوا يجيئون
 في بعض الايام يسألون عنها ويوصونه بم افعلم يجدوها قالوا يا برصيصا ما فعلت أختنا قال قد جاء
 شيطانها فذهب بها ولم أطلقه فصدقه وانصرفوا فلما أمسوا مكروا بين جاء الشيطان الى
 أكبرهم في منامه فقال ويحك ان برصيصا فعل بأختك كذا وكذا وانه دفنها في موضع كذا وكذا
 فقال الاخ هذا حلم وهو من عمل الشيطان برصيصا خير من ذلك فتابع عليه ثلاث ليال فلم يكثر
 فانطلق الى الاوسط بمثل ذلك فقال الاوسط له ما قال الاكبر ولم يجبر به احدا فانطلق الى
 أصغرهم بمثل ذلك فقال الاصغر لآخويه والله لقد رأيته كذا وكذا فقال الاوسط أنا والله
 رأيته مثله وقال الاكبر أنا والله رأيته مثله فانطلقوا الى برصيصا وقالوا له ما فعلت بأختنا فقال
 أليس قد علمتكم بحالها فكانكم قد اتهمتموني فقالوا والله لانتم لم واسحبوا منه وانصرفوا
 فجاءهم الشيطان وقال ويحكم انهم مدفونة في موضع كذا وكذا وان طرف ازارها خارج من
 التراب فانطلقوا فرأوا أختهم على مارأوا في النوم فذهبوا اليه ومعهم علمانهم ومواليهم
 بالقوس والمساخي فهدموا صومعة برصيصا وأنزلوه منها وكفهوه ثم أتوا به الى الملك فأقر على
 نفسه وذلك أن الشيطان أتاه فقال تقتلها ثم تكابر فيجمع عليك أمران قتل ومكابرة اعترف
 فلما اعترف أمر الملك بقتله وصلبه على خشبة فلما صلب أتاه الابيض فقال يا برصيصا تعرفني قال لا
 قال أنا صاحبك الذي علمت الدعوات فاستحيبك ويحك أما انقبت الله تعالى في الامانة
 بخت أهلها وانك زعمت انك أعبدتني امراييل أما استحييت فلم يزل يعيره ثم قال ألم يسمعك
 ما صنعت حتى أقررت على نفسك وفخت نفسك وأشباهك من الناس فان مت على هذه الحالة
 فلم يفلح أحد من ظنك قال فكيف أصنع قال تطيعني في خصله واحدة حتى أشجيك مما أنت فيه
 فأخذ بأعينهم وأخرجك من مكانك قال وما هي قال تسجد لي قال أفعل فسجد له فقال يا برصيصا
 هذا الذي أردت منك صارت عاقبة أمرك الى أن كفرت بربك اني برى ممثلك (اني أخاف الله)
 أي الملك الذي لا أمر لاحد معه وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وفتح الباء والباقون بسكونها
 (رب العالمين) أي الذي أوجدهم من العدم ورباهم بما يدل على جميع الاسماء الحسنى
 والصفات العليا فلا يعني أحد من خلقه عن أحد شيئا الا باذنه (فكان) أي فتسبب عن قوله
 ذلك انه كان (عاقبتما) أي الغار والغرور (أنهما في النار) حال كونهما (خالدين فيها)
 لانهما ظلموا ظلما لا فلاح معه (وذلك) أي العذاب الاكبر (جزاء الظالمين) أي كل من وضع
 العبادة في غير موضعها وهم الكافرون لقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم قال ابن عباس رضى
 الله تعالى عنهما ضرب الله تعالى هذا المثل لليهود بنى النضير والمنافقين من أهل المدينة قدس
 المنافقون اليهم وقالوا لا تجيبوا محمدا الى ما دعاكم اليه ولا تخرجوا من دياركم فان قاتلكم فانا
 معكم فأجابوهم وان خرجوكم خرجنا معكم فأجابوهم فدر بوا على حصونهم وتحصنوا في ديارهم
 رجاء نصر المنافقين فناصرهم الحرب فخذلهم وتبرأ منهم كما تبرأ الشيطان من برصيصا وخذله
 فكان عاقبة الفريقين في النار قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وكانت الزهبا بعد ذلك

في بني اسرائيل لا يمشون الا بالثنية والكتف وطمع أهل القسوق في الاحبار ورومهم بالبهتان
 حتى وكان امر جرجس الراهب فلما برأه الله تعالى عمار موده انبسط بعده الرهبان وظهروا
 للناس وكانت قصة جرجس ما روى عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لم يتكلم في المهد
 الا ثلاثة عيسى ابن مريم وصاحب جرجس وكان جرجس رجلا عابدا فالتحق بصومعة فكان فيها
 فأتت أمه وهو يصلي فقالت يا جرجس فقال رب أي وصلائي وأقبل على صلاته فانصرفت فلما كان
 من الغد أتته فقال مثل مقالته الاولى فقالت اللهم لا تمته حتى ينظر في وجوه المومسات فتذاكر
 بنو اسرائيل جرجسا وعبادته وكانت امرأة بني يثمل يحسنها فقالت ان شئتم لا قبضه لكم قال
 فتعرضت له فلم يلتفت اليها فأتت راعيا كان يأوي الى صومعته فأمكنته من نفسها فوقع عليها
 فحمت فلما وادت قالت هو من جرجس فألوه فاستنزله وهدموا صومعته وجعلوا يضربونه
 فقال ما شأنكم فقالوا زنت به هذه البغي فحملت منك فقال أين الصبي فجأوا به فقال دعوه حتى
 أصلي فلما انصرف من صلاته أتى الصبي وطعن في بطنه وقال يا غلام من ابوك فقال فلان
 الراعي قال فأقبلوا على جرجس يقبلونه ويتمسحون به وقالوا نبي لك صومعتك من ذهب قال
 لا أعبدوها من طين كما كانت ففعلوا والثالث كلم أمه وهي ترضعه في قصة مشهورة
 (يا أيها الذين آمنوا) أي أقروا بالايان بالالسان (اتقوا الله) أي اجعلوا لكم وقاية تقيمكم
 سخط الملك الاعظم باتباع أوامره واجتناب نواهيه واحذروا عقوبته بسبب النصير فيما حذره
 لكم من أمر أو نهى (ولتظرنفس ما قدمت لغد) أي في يوم القيامة لان هذه الدنيا كلها
 كيوم واحد يجي فيه ناس ويذهب آخرون والموت والاخرة لا بد من كل منهما ما وكل ما لا بد
 منه فهو في غاية القرب والعرب تكن عن المستقبل بالغد وقيل ذكر الغد تنبيها على أن الساعة
 قريبة كقول القائل * وان غد الناظره قريب * وقال الحسن وقتادة قرب الساعة
 حتى جعلها كغد لان كل آت قريب والموت لا محالة آت ومعنى ما قدمت أي من خيرا وشر
 ونكر النفس لاستقلال النفس التي تنظر فيما قدمت للاخرة كانه قال ولتظرنفس واحدة
 في ذلك ونكر الغد لتعظيمه واجهام أمره كانه قال الغد لا تعرف كيمته لعظمته وقوله تعالى
 (واتقوا الله) أي الجامع لجميع صفات الكمال تأكيد وقيل كثر لتغاير متعلق التقوين متعلق
 الاولى أداء الفرائض لاقرانه بالعمل والثانية ترك المعاصي لاقرانه بالنهي والوعيد قال معناه
 الزمخشري (أن الله) أي الذي له الاسماء الحسنى والصفات العليا (خبر) أي عظيم الاطلاع
 على ظواهركم وبواطنكم والاحاطة (بما تعملون) فلا تعملون عمالا الا كما نرى منه
 ومسمع فاستحيوا منه (ولا تكونوا) أيها المحتاجون الى التحذير وهم الذين آمنوا (كالذين
 نسوا الله) أي أعرضوا عن أوامره ونواهيه الملك الاعظم وتركوا ما ترك الناس لمن برزت عنه
 مع ماله من صفات الجلال والاکرام (فأنساهم) أي فتسبب عن ذلك ان أنساهم بحاله من
 الاحاطة بالظواهر والبواطن (أنفسهم) أي فلم يقدموا الهاما ينفعها وان قدموا شيئا كان
 مشويا بالفساد من الرياء والمحب فكلوا ممن قال فيه تعالى وجوده يومئذ حاشعة عاملة ناصبة

الآية لانهم لم يدعوا بابا من أبواب الفسق فان رأس الفسق الجهل بالله ورأس العلم ومفتاح
 الحكمة معرفة النفس فأعرف الناس بنفسه أعرّفهم بربه (أولئك) أي البعداء من كل خير
 (هم الفاسقون) أي العريقون في المروق من دائرة الدين (لا يستوى) أي بوجه من الوجوه
 (أصحاب النار) أي التي هي محل الشقاء الاعظم (وأصحاب الجنة) أي التي هي دار النعيم
 الا كبر لا في الدنيا ولا في الآخرة واستدل بهذه الآية على ان المسلم لا يقتل بالكافر (أصحاب
 الجنة هم الفاترون) أي الناجون من كل مكر ومكره المدركون لكل محبوب وأصحاب النار
 هم الهالكون في الدارين كما وقع في هذه الغزوة لفریق المؤمنين وبني النضير ومن والاهم
 من المنافقين فشتان ما بينهما (لو أنزلنا) أي بعظمتنا التي أبانها هذا الانزال (هذا القرآن)
 أي الجامع لجميع العلوم الفارق بين كل ملتبس المبين لجميع الحكم (على جبل) أي جبل كان
 أو جبل فيه تميز كالانسان (رأيت) يا أشرف الخلق وان لم يتأهل غيرك لتلك الرؤية (حاشعا) أي
 متذللًا بآياتها (متصدعا) أي متشفعا غاية التشقق (من خشية الله) أي من الخوف العظيم
 من له السكّال كله وفي هذا حث على تأمل مواضع القرآن وتدبر آياته (وتلك الامثال) أي التي
 لا يضاعفها شيء (نضرب بالاناس لعلمهم يتذكرون) فيؤمنون والمعنى أننا لو أنزلنا هذا القرآن
 على الجبل لنشع لوعده وتصدع لو عيده رأيتم أيها المشهورون بأعمازه لاترغبون في وعده
 ولا ترهبون من وعده والغرض من هذا الكلام التنبيه على قساوة قلوب هؤلاء الكفار
 وغلظ طباعهم ونظيره ثم تست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالجارح أو أشد قسوة وقيل الخطاب
 للنبي صلى الله عليه وسلم أي لو أنزلنا هذا القرآن يا محمد على جبل لما ثبت وتصدع من نزوله عليه
 وقد أنزلناه عليك وثبتنا له فيكون ذلك امتثانا عليه أن يثبت لما ثبت له الجبال وقيل أنه
 خطاب للامة والمعنى لو أنذرهم هذا القرآن الجبال اتصدعت من خشية الله تعالى
 والانسان أقل قوة وأكثر شأنا فاهو يقوم بحقه ان أطاع ويقدر على رده ان عصى لانه مودود
 بالثواب ومزجور بالعقاب * ولما وصف تعالى القرآن بالعظيم ومعظم الوصف ان عظم الصفة تابع
 لعظم الموصوف أتبع ذلك بوصف عظمتة تعالى فقال عز من قائل (هو) أي الذي وجوده من
 ذاته فلا عدم له بوجه من الوجوه فلا شيء يستحق الوصف به وغيره لانه الموجود دائما أزلا وأبدا
 فهو حاضر في كل ضمير غائب بعظمته عن كل حس فلذلك تصدع الجبل من خشية * ولما عبر
 عنه بأخص أسمائه أجبر عنه لطفنا وتزلا لنا بأشهرها الذي هو مسمى الاسماء كلها بقوله تعالى
 (الله) أي المعبود الذي لا تنبغي العبادة والالوهية الاله (الذي لا اله الا هو) فانه لا سبحانه له
 ولا يليق ولا يصح ولا يتصور أن يكافئه أو يدانيه شيء والاله أول اسم لله تعالى فلذلك لا يكون
 أحدهما الا بتوحيده فتوحيده فرض وهو أساس كل فريضة (عالم الغيب) أي الذي غاب
 عن جميع خلقه (والشهادة) أي الذي وجد في مكان يحسه ويطلع عليه بعض خلقه
 وقال ابن عباس معناه عالم السر والعلاية وقبل ما كان وما يكون وقال سهل عالم بالآخرة
 والدنيا وقبل استوى في علمه السر والعلاية والموجود والمعدوم وقوله تعالى (هو الرحمن)

(الرحيم) معناه ذو الرحمة ورحمة الله تعالى ارادته الخير والنعمة والاحسان الى خلقه وقيل
ان رجن أشد مبالغة من رحيم ولهذا قيل هو رجن الدنيا ورحيم الآخرة لانه تعالى باحسانه
في الدنيا يم المؤمنين والكافرو في الآخرة يختص انعامه واحسانه بالمؤمنين (هو الله) أى
الذى لا يقدر على تعميم الرحمة لمن أراد وتخصيصها بمن شاء الا هو (الذى لا اله الا هو) أى لا معبود
يحق (الا هو الملك) أى فلا ملك في الحقيقة الا هو لانه لا يحتاج الى شئ لانه مهما أراد كان فهو
متصرف بالامر والنهي في جميع خلقه فهم تحت ملكه وقهره وارادته (القدوس) أى البليغ
في الزهادة عن كل وصم يذكره حس أو يتصوره خيال أو يسبق اليه وهم أو يحتج اليه ضمير ونظيره
السبوح وفي تسبيح الملائكة سبوح قدوس رب الملائكة والروح (السلام) أى الذى سلم
من النقائص وكل آفة تلحق الخلق فهو بمعنى السلامة ومنه دار السلام وسلام عليكم وصف به
مبالغة في وصف كونه سليما من النقائص أو في اعطائه السلامة (المؤمن) قال ابن عباس
هو الذى آمن الناس من ظلمه وأمن من آمن به عذابه وقيل هو المصدق لرسله باظهار
المعجزات لهم والمصدق للمؤمنين بما وعدهم من الثواب وعنا وعد الكافرين من
العذاب وقال مجاهد المؤمن الذى وحد نفسه لقوله تعالى شهد الله أنه لا اله الا هو قال
ابن عباس اذا كان يوم القيامة أخرج أهل التوحيد من النار وأقول من يخرج من وافق
اسمه اسم نبي حتى اذا لم يبق فيها من وافق اسمه اسم نبي قال الله تعالى لباقيهم أنتم المسلون
وأنا السلام وأنتم المؤمنون وأنا المؤمن فيخرجهم من النار ببركة هذين الاسمين (المهين) قال
ابن عباس أى الشهيد على عباده بأعمالهم الذى لا يغيب عنه شئ وقيل هو القائم على خلقه
بقدرته وقيل هو الرقيب الحافظ لكل شئ مفعيل من الامن فليت ههنا (العزيز) أى الذى
لا يوجده نظير وقيل هو الغالب القاهر (الجبار) الذى جبر خلقه على ما اراده أو جبر حالهم
بمعنى أصلحه والجبار في صفة الله صفة مدح وفي صفة الناس صفة ذم وكذا قوله تعالى (المتكبر)
أى الذى تكبر على كل ما يوجب حاجته أو نقصا وهو في حقه تعالى صفة مدح لانه لا يجمع صفات
العلو والعظمة وفي صفة الناس صفة ذم لأن المتكبر هو الذى يظهر من نفسه التكبر وذلك
نقص في حقه لانه ليس له كبر ولا علو بل له الحقارة والذلة فاذا أظهر الكبر كان كذبا في فعله
(سبحان الله) أى تنزه الملك الاعلى الذى اختص بجميع صفات الكمال تنزهها لا تدركه العقول
منه أكثر من أنه علا عن أوصاف الخلق فلا يدانيه شئ من نقص تعالى (عما يشركون) أى
من هذه المخلوقات من الاصنام وغيرها مما في الارض أو في السماء من صغير وكبير وجليل وحقيق
(هو) أى الذى لا شئ يستحق أن يطلق عليه هذا الصمير غيره لأن وجوده من ذاته ولا شئ غيره
الا هو ممكن * ولما ابتدأ بهذا الغيب المحض الذى هو أظهر الاشياء أخبر عنه بأشهر الاشياء
الذى لم يقع فيه شركه بوجه فقال تعالى (الله) أى الذى ليس له سمى فلا كف له فهو المعبود الحق
فلا شريك له بوجه (الخالق) أى المقتدر الاشياء على مقتضى حكمته (البارئ) أى المخرع
المشئ الاشياء من العدم الى الوجود برأمن المقادير وقوله تعالى (المصور) أى الذى يخلق

أصوات الأسماء على ما يريد بـ كسر الواو ورفع الراء اما صفة واما خبر واحترزت بهذا الضبط
 عن قراءة أمير المؤمنين على بن أنس طالب والحسن فأنهم ما قرأ بفتح الواو ونصب الراء وهي قراءة
 شاذة وانما تعرضت لها لأبين وجهها وهو أن تخرج هذه القراءة على أن يكون المصور منصوبا
 بالبارئ والمصور هو الانسان اما آدم وبنوه وعلى هذه القراءة يحرم الوقف على المصور
 بل يجب التوصل ليعطى النصيب في الراء الا فقد يتوهم منه في الوقف ما لا يجوز (له) أى خاصة
 (الاسماء الحسنى) التسعة والتسعون الواردة فيها الحديث وقد ذكرتها في سورة الاسراء والحسنى
 قانت الاحسن (يسبح) أى يكثر التزنية الاعظم عن كل شئ من شوائب النقص على سبيل
 التجرد والاستقرار (له) أى على وجه التخصيص (ما في السموات) أى السموات وما فيها
 (والارض) وما فيها (وهو) أى والحال أنه وحده (العزیز) أى الذى يغلب كل شئ ولا يغلبه
 شئ (الحكيم) أى الجامع الكالات بأسرها فانها راجعة الى الكمال فى القدرة والعلم وعن
 معقل بن يسار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يصبح ثلاث مرّات أعوذ بالله
 السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرأ الثلاث آيات من سورة الحشر وكل الله به سبعين
 ألف ملك يصلون عليه حتى يمسي وان مات في ذلك اليوم مات شهيدا ومن قاله حين يمسي كان
 كذلك أخرجه الترمذى وقال حسن غريب وعن أبى هريرة أنه قال سألت خليل أبى القاسم
 رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اسم الله الاعظم فقال عليك بأخس سورة الحشر فأكثر قراتها
 فأعدت عليه فأعاد على وقال جابر بن زيد ان اسم الله الاعظم هو الله لمكان هذه الآية
 وما رواه البضاوى تعالى عن محمدي من أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الحشر غفله
 ما تقدم من ذنبه وما تأخر حديث موضوع

﴿سورة الممتحنة مدنية﴾

وهي ثلاث عشرة آية وثلاثمائة وثمان وأربعون كلمة وألف وخمسمائة وعشرة أحرف

(بسم الله) الذى من تولاة أغناه عن سواء (الرحمن) الذى شمل برحمته البيان من حاطه
 بالعقل ورعاه (الرحيم) الذى خص بالتوفيق من أحبه وارفضاه * ونزل فى حاطب بن أبى بلتعنة
 (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى) أى وأنتم قد عدون موالا فى (وعدوكم) أى العريق
 فى عدائكم مادمت على مخالفتهم فى الدين (أولياء) وذلك ما روى أن مولاة لابي عمرو بن صبيح
 يقال له سارة أتت النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهو يجهز للفتح فتنازل لها أمسلة جئت
 قالت لا قال أفها بركة جئت قالت لا قال فاجاء بك قالت كنتم الاهل والموالى والعشيرة
 وقد ذهبت الموالى تعنى قتلوا يوم بدر فاحتجت حاجة شديدة فقدمت عليكم لتعطوني وتكسوني
 فقال صلى الله عليه وسلم فأين أنت عن شباب أهل مكة وكانت مغنية فأخذه قالت ما طلب منى
 شئ بعد وفاة بدر فحث رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى عبد المطلب على اعطائهم فاكسوها
 وخملوها وزودوها فأناها حاطب بن أبى بلتعنة وأعطاه عشرة دنانير وكساه ابردا واستعملها

كتابا لاهل مكة نسختهم من حاطب بن أبي بلتعة الى اهل مكة اعلموا ان رسول الله صلى الله عليه
 وسلم يريدكم فخذوا حذرکم وقد توجه اليكم بجيش كالليل واقسم بالله لو لم يسر اليكم الا وحده
 لانظفره الله تعالى بكم وانجز له مرعده فيكم قاله عليه وناصره فخرجت سارة وزل جبريل
 عليه السلام بالخبر فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عنبا وعمارا وعمر وطحمة والزبير والمغداد
 وابامرندوسا وافرسانا وافرسانا وافرسانا وافرسانا وافرسانا وافرسانا وافرسانا وافرسانا
 حاطب الى اهل مكة فخذوه منها وخالوها فان اُبت فاضربوا عنقه فان اذركوها فاجتذت وحلفت
 مامعها كتاب ففتشوا متاعها فلم يجدوا معها كتابا فهموا بالرجوع فقال علي والله ما كذبنا
 ولا كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسبقه وقال اخرجي الكتاب والا والله لا جردك
 ولا ضربين عنقك فلما رأت الحد اخرجته من عقاص شعرها خالوا اسمها وارجعوا بالكتاب الى
 رسول الله على الله عليه وسلم وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اثن جميع الناس يوم
 الفتح الا اربعة هي اُحدهم فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا وقال له هل تعرف هذا
 الكتاب قال نعم قال فما جلت عليه فقال يا رسول الله ما قرب منذ اُسلمت ولا غشيتك
 منذ نسختك ولا اُحبيتهم منذ فارقتهم ولكني كنت امر املصقا في قريش وروى عزير افيهم
 اى غريبا ولم اكن من انفسها وكل من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون اهلها
 واموالهم غيري فخشيت على اهل قريش فاردت ان اتخذ عندهم يدا وقد علمت ان الله تعالى ينزل
 عليهم بأسه وان كتابي لا يغني عنهم شيئا فصداقه وقبل عذره فقال عمر دعني يا رسول الله اُضرب
 عنق هذا المنافق فقال وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على اهل بدر فقال لهم اعملوا
 ما شئتم فقد غفرت لكم ففاضت عينا عمر وقال الله ورسوله اعلم واضافة العدة الى الله تعالى
 تغلظا في خروجهم وهذه السورة اصل في النهي عن موالاة الكفار وتقدم نظره في قوله
 تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء وقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من
 دونكم روى ان حاطبا لما سمع يا ايها الذين آمنوا غشي عليه من الفرح بخطاب الايمان ثم انه
 تعالى استأنف بان هذا الاتحاد بقوله تعالى مشيرا الى غاية الاسراع والمبادرة الى ذلك بالتعبير
 بقوله تعالى (تلقون) اى جميع ما هو في حوزتكم مما لا تطمعون فيه القاء الشئ الثقيل
 من علو (الهم) على بعدهم منكم حسا ومعنى (بالمودة) اى بسببها قال القرطبي تلقون اليهم
 بالمودة يعنى بالظاهر لان قلب حاطب كان سليما بديل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اما
 صاحبكم فقد صدق هذا نص في اسلامه وسلامة فؤاده وخلوص اعتقاده وقرأ
 جزء بضم الهاء والباقون بكسرهما وقوله تعالى (وقد كفروا) اى غطوا جميع مالكم من
 الادلة (بما) اى بسبب ما (جاكم من الحق) اى الامر الثابت الكامل في الثبات الذي لا شئ
 اعظم ثباتا منه فيه اوجه اُحدها الاستئناف ثانياها الحال من فاعل تتخذوا ثالثها الحال
 من فاعل تلقون اى لا تتولوا ولا توادوهم وهذه حالهم وقوله تعالى (يخرجون الرسول)
 يجوز ان يكون مستأنفا وان يكون تفسير الهم قهرهم فلا محل له على هذين وان يكون حالا

من فاعل كفروا وقوله تعالى (وأيًاكم) عطف على الرسول وقدم عليهم ثم شرب قاله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى (أن تؤمنوا) أي توقعوا حقيقة الإيمان مع التجدد والاستقرار (بالله) أي الذي اختص بجميع صفات الكمال (ربكم) أي المحسن اليكم لتعليل بخروجون والمعنى يخرجون الرسول ويخرجونكم من مكة لأن تؤمنوا بالله أي لأجل إيمانكم بالله قال ابن عباس وكان حاطب من أنخرج مع النبي صلى الله عليه وسلم وفي ذلك تغليب المخاطب والاتفات من التكلم إلى الغيبة للدلالة على ما يوجب الإيمان (أن كنتم خرجتم) أي عن أوطانكم وقوله تعالى (جهاد في سبيلي) أي بسبب إرادتكم تسهيل طريق التي شرعتم إلهادي أن يسلكوها (وابتغاء مرضاتي) أي ولأجل تطلبكم أعظم الرغبة لرضاي عنه الخروج وعمدة للتعليل وجواب الشرط محذوف دل عليه لاتخذوا وقرأ الكسائي باللام المحضة والباقون بالفتح وقوله تعالى (تسرون) أي توجدون جميع ما يدل على ما أحببتكم إياهم والتودد إليهم بالمودة) أي بسبب ما يدل من تلقون قاله ابن عطية قال ابن عادل ويشبه أن يكون بدل اشتمال لأن إلقاء المودة يكون سرًا وجهرًا أو استئناف واقتصر عليه الزمخشري (وأنا) أي والحال أنني (أعلم) أي من كل أحد حتى من نفس الفاعل وقرأ نافع بعد الألف بعد النون (بما أخفيت وما أعلنت) قال ابن عباس بما أخفيت في صدوركم وما أظهرتم بالسنتكم أي فأى فائدة لأسراركم أن كنتم تعلمون أنني عالم به وإن كنتم توهمون أنني لأعلمه فهي القاصمة (ومن يفعله) أي يوجد أسرار خبر إليهم ويكنيهم (منكم) أي في وقت من الاوقات (فقدضل) أي عصى ومال وأخطأ (سواء السبيل) أي قويم الطريق الواسع الموصل إلى القصد قويه وعدله قال القرطبي هذا كله معانة لمخاطب وهو يدل على فضله وكرامته ونصيحته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وصدق إيمانه فإن المعانة لا تكون إلا من محب لحبيب كما قال القائل

إذا ذهب العتاب فليس ود * ويبقى الود ما بقي العتاب

وقرأ قالون وابن كثير وعاصم بإظهار الدال عند الضاد والاقون بالادغام (أن يثقوكم) أي يظفروا بكم في وقت من الاوقات ومكان من الاماكن (يكونوا اليكم أعداء) أي ولا ينفعكم إلقاء المودة إليهم (ويسطوا اليكم) أي خاصة وإن كان هنالك في ذلك الوقت من غير من قتل أعز الناس عليهم (أيديهم) أي بالضرب إن استطاعوا (وألستهم) أي بالسهم مضومة إلى فعل أيديهم فعل من ضاف صدره بما تجزعه من آخر من الغصص حتى أوجب له غاية السفه (بالسوء) أي بكل ما من شأنه أن يسوء (وودوا) أي تمنوا قبل هذا (لو تكفرون) لأن مصيبة الدين أعظم فبهم إليهم أسرع لأن دأب العدو والقصد إلى أعظم ضرر يراه لعدوه وعبر بما يفهم التقي الذي يكون في المحالات ليكون المعنى أنهم أحبوا ذلك غاية الحب وتمنوه وفيه بشرى بأنه من قبيل الحال وقدم الاقول لأنه أئين في العداوة وإن كان الثاني أنكى * ولما كانت عداوتهم معروفة وانما عطاها محبة القربايات لأن الحب للشيء يعصى ويصم فطأ رأيتهم في موالاتهم بما أعلمهم به من حالهم فقال تعالى مستأنفا إعلاما بأنه أخطأ على كل حال

أه
قوله وإن كان هنالك أن الناس وإن كنتم من قبل أن الناس علمهم

(إن تنفعكم) بوجه من الوجوه (أرحاكم) أى قرباتكم الحاملة لكم على رحمتكم والعطف
عليهم (ولأولادكم) أى الذين هم أخص أرحمكم إن واليتهم أعداء الله تعالى لاجلهم فينبغي
أن لا تعدوا قريبتهم منكم بوجه أصلاً ثم عالج ذلك وبينه بقوله تعالى (يوم القيامة) أى القيام
الاعظم (يفصل) أى يوقع الفصل وهو الفارقة العظيمة بانقطاع جميع الأسباب وقرأ عاصم
بفتح الياء واسكان الفاء وكسر الصاد مخففة وقرأ ابن عباس بضم الياء وفتح الراء وفتح الصاد
مشددة وحزة والكسائي كذلك لأنهم ما يكسران الصاد والباقون بضم الياء وسكون الفاء
(ينسكم) أى أيها الناس فمدخل من يشاء من أهل طاعته الجنة ومن يشاء من أهل معصيته
النار فلا ينفع أحد أحد منكم بشئ من الأشياء إلا أن كان قد أتى الله تعالى بقلب سليم فإذن
الله تعالى في أكرامه بذلك (والله) أى الذى له الاحاطة التامة (بما تعملون) أى من كل عمل
في كل وقت (بصير) فيجازيكم عليه في الدنيا والآخرة * ولم ينهى تعالى عن موالاة الكفار
ذكر قصة ابراهيم عليه الصلاة والسلام وأن من سيرته التبرى من الكفار بقوله تعالى
(قد كانت) أى وجدت وجوداً تاماً وكان تأنيث الفعل إشارة الى الرضا به ولو كانت على أدنى
الوجوه (لكم) أى أيها المؤمنون (أسوة) أى موضع اقتداء وتأسية في ابراهيم وطريقة
مرضية وقرأ أسوة في الموضعين عاصم بضم الهمزة والباقون بكسرها (حسنة) أى يرغب
فيها (في ابراهيم) أى في قول أبي الانبياء عليهم الصلاة والسلام (والذين معه) أى من كان
قبله من الانبياء قاله القشيري ومن آمن به في زمانه كابن أخوته لوط عليه الصلاة والسلام
وهم قدوة لأهل الجهاد والهجرة وقيل المراد بمن معه أصحابه من المؤمنين وقرأ أشام
بفتح الهاء وألف بعدها والباقون بكسر الهاء وبعدها ياء أى فاقدوا به الا في استغفار ربه
قال القرطبي الآية نص في الامر بالاقتداء ابراهيم عليه الصلاة والسلام في فعله وذلك يدل
على أن شرع من قبلنا شرع لنا فيما أخبر الله ورسوله وقيل انه شرع لنا اذا ورد في شرعنا
ما يقرره وقيل ليس بشرع لنا مطلقاً وهو الاصح عندنا (اذ) أى حين (قالوا) وقد كان
من آمن به أقل منكم وأضعف (لقومهم) أى الكفرة وقد كانوا أكثر من عدوكم وأقوى
وكان لهم فيهم أرحام وقربات ولهم فيهم رجا بالقيام والمحاولات (انابوا) أى متبرؤن بترفة
عظيمة (منكم) وإن كنتم أقرب الناس اليها ولا ناصر لنا منهم غيركم (ومما عبدون) أى
توجدون عبادته في وقت من الاوقات (من دون الله) أى الملك الاعظم (كفركم) أى
جحدناكم وأنكرنا دينكم (وبدا) أى ظهر ظهروا عظيماً (بيننا وبينكم العداوة) وهى
المباينة في الافعال بأن يعدو كل أحد على الآخر (والبغضاء) وهى المباينة بالقلوب للبغض
العظيم * ولما كان ذلك قد يكون سريع الزوال قالوا (أبدأ) أى على الدوام وقرأ نافع وابن
كثير وأبو عمرو في الوصل بإبدال الهمزة الثانية المفتوحة بعد المضمومة واواخالصة والباقون
بتحقيقها وهم على مراتبهم في المداد اذا وقف حمزة وهشام أبداً الى حمزة الفاعع المد والتوسط
والنصر ولهما أيضاً التسميل مع المد والقصر والروم معهما * ولما كان ذلك مؤيماً من صلاح

الحال وقد يكون لحظ النفس ينو اغايته بقولهم (حتى تؤمنوا بالله) أى الملك الذى له الكمال كله
(وحده) أى تكونوا مكذبين بكل ما يعبد من دون الله تعالى وقوله تعالى (الاقول ابراهيم
لا ييه) فيه أوجه أحدها انه استثناء متصل من قوله تعالى فى ابراهيم والصكن لا بد من حذف
مضاف ليصح الكلام تقديره فى مقالات ابراهيم الا قوله كيت وكيت ثانياً انه مستثنى من
اسوة حسنة واقتصر على ذلك الجلال المحلى وجاز ذلك لأن القول أيضاً من جملة الاسوة
لأن الاسوة الاقتداء بالخص فى أقواله وأفعاله فكانه قيل لكم فيه اسوة فى جميع أحواله
من قول وفعل الا قوله كذا وهو أوضح لأنه غير محجوج الى تقدير مضاف وغير محرج للاستثناء
من الاتصال الذى هو أصله الى الانقطاع ولذلك لم يذكر الزمخشري غيره ثالثاً قال ابن عطية
ويحتمل أن يكون الاستثناء من التبرى والقطعية التى ذكرت أى لم تبق صلة الا كذا رابعها
أنه استثناء منقطع أى لكن قول ابراهيم وهذا بناء من قائله على أن القول لم يندرج تحت
قوله اسوة وهو ممنوع قال القرطبي معنى قوله تعالى الا قول ابراهيم لا ييه (لا تستغفرن لك) أى
فلا تسأوا به فى الاستغفار فتستغفروا للمشركين فانه كان عن موعده منه له فانه قتادة
ومجاهد وغيرهما وقيل معنى الاستثناء أن ابراهيم هجر قومه وباعدهم الا فى الاستغفار لا ييه
ثم بين عذره فى سورة التوبة وفى هذا دلالة على تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم على سائر الانبياء
لأنه حين أمرنا بالاقتداء به أمرنا أمر اطلاقاً فى قوله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم
عنه فانتهوا وحين أمرنا بالاقتداء بابراهيم استثنى بعض أفعاله وهذا التمايز لأنه ظن أنه أسلم
فلما بان أنه لم يسلم تبرأ منه وعلى هذا فيجوز الاستغفار لمن يظن أنه أسلم وأنت لم تجدوا مثل هذا
الظن فلم تؤاؤنهم وقوله (وما أملك لك من الله) أى من عذاب أو ثواب الملك الاعلى المحيط
ببعوت الجلال (من شئ) من تمام قوله المستثنى ولا يلزم من استثناء المجموع استثناء جميع
أحواله وقوله (ربنا) أى أيها المحسن الينا (عليك) أى لا على غيرك (توكلنا) أى فوضنا أمرنا
اليك يجوز أن يكون من قول ابراهيم عليه الصلاة والسلام والذين معه فهو من جملة الاسوة
الحسنة وفصل بينهم ما بالاستثناء ويجوز أن يكون منقطعاً عما قبله على اضاة اقول وهو تعليم
من الله تعالى لعباده كأنه قال لهم قولوا ربنا عليك توكلنا (واليك) أى وحدك (آئبنا) أى
رجعنا بجميع ظواهرنا وبواطننا (واليك) أى وحدك (المصبر) أى الرجوع فى الآخرة
(ربنا) أى أيها الربى لنا والمحسن الينا (لا تجعلنا قنينة للذين كفروا) أى بأن تسلطهم علينا
فيقتلوننا بعذاب لا نحتمله أو فيظنوا أنهم على حق فيقتلوننا بذلك وقيل لا تعذبنا بعذاب من
عندك فيقولون لو كان هؤلاء على الحق لما أصابهم ذلك وقيل لا تسلط عليهم الرزق دوننا
فان ذلك قنينة لهم (واغفر لنا) أى استر ما وقع منا من الذنوب وامح عنه وأثره (ربنا) أى أيها
المحسن الينا وأكذوا اعلاماً بشدة رغبتهم فى حسن الثناء عليه فقالوا (أنك أنت) أى وحدك
لا غيرك (العزيز) أى الذى يغلب كل شئ ولا يغلبه شئ (الحكيم) أى الذى يضع الاشياء
فى أوفق محالها فلا يستطيع نقضها ومن كان كذلك فهو حقيق بأن يعطى من أماله ما طلب وقوله

تعالى (لقد كان لكم) أي يا أمة محمد جواب قسم مقدر (فيهم) أي إبراهيم ومن معه من
الانبياء والاولياء (أسوة حسنة) أي في التبري من الكفار وكثر للناكيد وقيل نزل
الثاني بعد الاول بمدة قال القرطبي ومأثر المكثرات في القرآن على هذا الوجه وقوله تعالى
(لمن كان يرجو الله) أي الملك المحيط بجميع صفات الكمال (واليوم الآخر) أي الذي
يحتاج فيه على التقير والقطمير بدل من الضمير في لكم بدل بعض من كل وفي ذلك بيان أن هذه
الأسوة لمن يخاف الله ويخاف عذاب الآخرة (ومن يقول) أي يوقع الاعراض عن أوامر
الله تعالى فيروا إلى الكفار (فإن الله) أي الذي له الاحاطة الكاملة (هو) أي خاصة الغنى
أي عن كل شيء (الحمد) أي الذي له الحمد المحيط لاحاطته بأوصاف الكمال فهو حميد في نفسه
وصفاته أوجيد إلى أوليائه وأهل طاعته * ولما نزلت الآية الاولى عادى المسلمون أقرباءهم
من المشركين فعلم الله تعالى شدة وجد المسلمين في ذلك فنزل (عسى الله) أي أنتم جديرون
بأن تطمعوا في الملك الاعلى المحيط بكل شيء قدرة وعلما (أن يجعل) أي بأسباب لا تعلمونها (بينكم
وبين الذين عاديتهم منهم) أي كفار مكة (مودة) أي بأن يلهمهم الايمان فيصيروا لكم اولياء
وقد جعل ذلك عام الفتح تحقيقا لما رجاه سبحانه لأن عسى من الله تعالى وعدوه ولا يخلف الميعاد
(والله) أي الذي له كمال الاحاطة (قدير) أي بالغ القدرة على كل ما يريد فهو يقدر على
تقليب القلوب وتيسير العسير (والله) أي الذي له جميع صفات الكمال (غفور) أي محاء
لإيمان الذنوب وآثارها (رحيم) بكرم الخاطئين إذا أراد بالتوبة ثم بالجزاء غابة الاكرام
فيغفر لما فرط منكم في موالاتهم من قبل وما بقي في قلوبكم من ميل الرحم وقوله تعالى
(لا ينهاكم الله) أي الذي اختص بالجلال والاكرام (عن الذين لم يقاتلوكم) أي بالفعل
(في الدين) الآية رخصة من الله تعالى في صلته الذين لم يعادوا المؤمنين ولم يقاتلوهم قال ابن زيد
هذا كان في أول الاسلام عند المودعة وترك الامر بالقتال ثم نسخ قال قتادة نسخها فاقتلوا
المشركين حيث وجدتموهم وقال ابن عباس نزلت في خراعة وذلك أنهم صالحوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم على أن لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه أحذا فرخص الله تعالى في برتهم وقال
أكثر أهل التأويل إنها محكمة واختجوا بأن أسماء بنت أبي بكر قدمت أمتها وهي مشركة عليها
المدينة بهدايا فقالت أسماء لا أقبل منك هدية ولا تدخل علي بيتا حتى أستأذن رسول الله صلى
الله عليه وسلم فسأله فأنزل الله تعالى هذه الآية فأمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تدخل
منزلها وأن تقبل هديتها وتكرمها وتحسن اليها وفي ذلك إشارة إلى الاقتصار في العداوة والولاية
كما قال صلى الله عليه وسلم أحب حبيبيك هو نأما عسى أن يكون بغضك يوما ما وأبغض
بغضك هو نأما عسى أن يكون حبيبيك يوما ما وروى عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه أن
أبا بكر الصديق رضي الله عنه طلق امرأته قتيلة في الجاهلية وهي أم أسماء بنت أبي بكر فقدمت
عليهم في المدة التي كانت فيها المهاجدة بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين كفار قريش
فأهدت إلى أسماء بنت أبي بكر قرطا وأشياء فكرهت أن تقبل منها حتى أتت رسول الله صلى الله

عليه وسلم قد كرت ذلك له فأنزل الله تعالى لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين
(ولم يخرجوكم من دياركم أن) أي لا ينهاكم عن أن (تبروهم) تبرعوا من أنواع البر الظاهرة
فإن ذلك غير مريح في قصد المودة (ونقصوا إليهم) أي تعطوهم قسطاً من أموالكم على
وجه الصلة قال ابن العربي وليس يريد به من العدل فإن العدل واجب حين فأنزل وفيه
لم يقاتل وحكي أن القاضي اسمعيل بن اسحق دخل عليه ذي فأكرمه فأخذ عليه الحاضرون
في ذلك قتلاً عليهم هذه الآية (إن الله) أي الذي له الكمال كله (يحب) أي يثيب (المقسطين)
أي الذين يزيلون الجور ويوقعون العدل (إنما ينهاكم الله) أي الذي له الإحاطة الكاملة
علماً وقدره (عن الذين قاتلوكم) أي جاهدوكم متعمدين لقتالكم (في الدين) أي عليه فليس
شيء من ذلك خارجاً عنه (وأخرجوكم من دياركم) أي بأنفسهم لبغضكم وهم عتاة أهل مكة
(وظاهروا) أي عاونوا غيرهم (على إخراجكم) وهم مشركو مكة وقوله تعالى (ان تولوهم)
بدل احتمال من الذين أي تتخذوهم أولياء وقرأ البري بتشديد اللاء والباءون بالتخفيف
ولما كان التقدير في أطاع فأولئك هم المفطحون عطف عليه قوله تعالى (ومن يتولهم) أي
يكاف نفسه الحمل على غير ما تدعو إليه الفطرة الأولى من المنازعة وأطلق ولم يقيد بكنكم ليعلم
المهاجرين وغيرهم والمؤمنين وغيرهم (فأولئك) أي الذين أبعدوا عن العدل (هم الظالمون)
أي الغريبون في ايقاع الأشياء في غير مواضعها ولما أمر المسلمين بترك موالاة المشركين
اقتضى ذلك مهاجرة المسلمين من بلاد الشرك إلى بلاد الإسلام وكان التناكح من أوكده أسباب
الموالاة فبين أحكام مهاجرة النساء بقوله تعالى (بأيها الذين آمنوا) أي أقرؤا بالآيمان
(إذا جاءكم المؤمنات) أي بأنفسهن (مهاجرات) أي من الكفار بعد الصلح معهم
في الحديبية (فاستخوهن) أي بالحلف أنهن مهاجراتن الرغبة في الإسلام لا بغضاً في
أزواجهن الكفار ولا عشقاً لرجال من المسلمين كذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحلفهن
قيل إن سبب الامتحان أنه كان من أرادت منه أن يضار زوجها قالت سأهاجر إلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلذلك أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالمتحان (الله) أي المحيط بكل
شيء قدرة وعلماً (أعلم) أي منكم ومن أنفسهن (بأيماهن) هل هو كائن أم لا على وجه الروح
أم لا فإنه المحيط بما غاب كما طمسه بما شوهه وانما وكل الأمر إليكم في ذلك ستر للناس (فإن
علمتهن مؤمنات) أي العلم الممكن لكم وهو الظن المؤكد بالامارات الظاهرات بالخلف
وغيره (فلا ترجعهن) أي بوجه من الوجوه (إلى الكفار) وإن كانوا أزواجاً قال ابن
عباس لما جرى الصلح مع مشركي قريش عام الحديبية على أن من أتاه من أهل مكة رده إليهم
جاءت سبيعة بنت الحارث الأسلمية بعد الفراغ من المكاب والنبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية
بعد فأقبل زوجها وكان كافراً وكان صبيح بن الراهب وقيل مسافر الخزومي فقال يا محمد
اردد علي امرأتي فأنت شرطت ذلك وهذه طيبة الكتاب لم تجف بعد فأنزل الله تعالى هذه الآية
وروي أن أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط جاءت للنبي صلى الله عليه وسلم فجاء أهلها

يسألونه أن يردّها وقيل هربت من زوجها عمرو بن العاص ومعهما اخوها عمارة والوليد
فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم أخوها وحبسهما فقا للوالد النبي صلى الله عليه وسلم ردّها علينا
للشرط فقال صلى الله عليه وسلم كان الشرط في الرجال لا في النساء فأنزل الله تعالى هذه الآية
وعن عروة قال كان عما اشترط سهل بن عمرو على النبي صلى الله عليه وسلم في الحدية أن لا
يأتيك منا أحد وان كان على دينك الا ردّته الينا وخلصت بيننا وبينه فذكره المؤمنون ذلك
وأبي سهل الا ذلك فكانه النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك فردّ يومئذ أباجندل الى أبيه مهمل
ابن عمرو ولم يأنه أحد من الرجال الا ردّه في تلك المدة وان كان مسلماً حتى أنزل الله تعالى
في المؤمنات ما أنزل وهذا يوحى الى ان الشرط في ردّ النساء نسخ بذلك وهذا مذهب من يرى
نسخ السنة بالقرآن وقال بعض العلماء كله منسوخ بالقرآن وقالت طائفة لم يشترط ردّه
في العقد لفظاً وانما أطلق العقد في ردّه من أسلم فكان ظاهر العموم اشتقاه عليّ مع الرجال
فبين الله تعالى تروجهن عن عمومهم وفرق بينهن وبين الرجال لا من أحد هما انهن ذوات
فروج فخر من عليهن الثاني انهن أرق قلوباً وأسرع تقلباً منهم فأما المقيمة منهن على شركها
فردودة عليهن (لاهن) أي المؤمنات (حل) أي موضع حل ثابت (لهم) أي الكفار باستمتاع
ولا غيره وقوله تعالى (ولا هم) أي رجال الكفار (يحلون لهن) أي المؤمنات تأكيد للأقول
لتلازمهما وقال البيضاوي والتكرير المطابقة والمبالغة والاولى لحصول الفرق والثانية
للمنع عن الاستئناف وقيل أراد استمرار الحكم بينهم فيما يستقبل كما هو في الحال ماداموا
مشركين وهن مؤمنات والمعنى لم يحل الله تعالى مؤمنة لكافر في حال من الاحوال وهذا أدل
دليل على ان الذي أوجب فرقة المسلمة من زوجها الكافر اسلامها لا هجرتها وقال أبو
حنيفة الذي فرق بينهما ما هو اختلاف الدارين والصحيح كما قال ابن عادل الاول لان الله تعالى بين
العلة وهو عدم الحل بالاسلام لا باختلاف الدار ولما نهي عن الردّ وعلاه أمر بما قدم من
الاقساط اليهم فقال تعالى (وأتوهم) أي أعطوا الأزواج (ما أنفقوا) أي عليهن من المهور
فان المهر في نظير أصل العشرة ودوامها وقد قوتها المهاجرة فلا يجمع عليه خسارتان الزوجية
والمالسة وأما الكسوة والنفقة فانه مما لا يتجدد من الزمان * (نبيه) * أمر الله تعالى بـ
ما أنفقوا الى الأزواج وان المخاطب بهذا الامام وهل يجب ذلك أو يندب ظاهر الآية
الوجوب ولكن رجح الندب وعليه الشافعي لان البضع ليس بمال فلا يشمل الامان كما لا يشمل
زوجية والآية وان كان ظاهرها الوجوب محتملة للندب الصادق بعدم الوجوب الموافق
للأصل وقال مقاتل يردّ المهر للذي يتزوجها من المسلمين وليس لزوجها الكافر شيء وقال
قتادة الحكم في ردّ الصداق انما هو في نساء أهل الذمة فأما من لا عهد بينه وبين المسلمين فلا
يرد عليهم الصداق قال القرطبي والامر كما قال (ولاجتناح) أي حرج وميل (عليكم)
يا أيها المشركون بالخطاب (ان تنكحوهن) أي تجددوا زواجكم بهن بعد الاستبراء وان
كان أزواجهن من الكفار لم يطلقوهن لزوال العلق عنهن لان الاسلام فرق بينهن قال

الله تعالى ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا ولما كان قد أمر بردمهور الكفار
 فكان رباطن انه مغن عن تجديده مهر لهن اذا نكحتهن المسلم نفي ذلك بقوله (اذا آتيتوهن)
 أي لاجل النكاح (أجورهن) أي مهورهن وفي شرط انشاء المهر في نكاحهن ايدان بأن
 ما أعطى أزواجهن لا يقوم مقام المهر (ولا تفسكوا بعصم الكوافر) جمع عصمة وهي هنا عقد
 النكاح أي من كانت له امرأة كافرة بمكة فلا يعتد بها فقهنا انقطعت عصمتها فلا يكن بينكم
 وبينهن عصمة ولا علاقة زوجية والكوافر جمع كافرة كضوارب في ضاربة قال النخعي المراد
 بالآية هي المرأة المسلمة لتحق بدار الحرب فتكفر وكان الكفار يتزوجون المسلمات والمسلمون
 يتزوجون المشركات ثم نسخ ذلك بهذه الآية فطلق عمر بن الخطاب حينئذ أمرأتين له بمكة
 مشركتين قريية بنت أبي أمية فتزوجها معاوية بن أبي سفيان وهما على شركهما بمكة وأم
 كاثوم بنت عمرو الخزاعية أم عبد الله بن المغيرة فتزوجها أبو جهل بن حذافة وهما على شركهما
 بمكة فلما ولي عمر قال أبو سفيان لمعاوية طلق قريية فلا يرى عرس له في بيتك فأبى معاوية
 وكانت عند طلحة بن عبيد الله أروى بنت ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب ففرق الاسلام
 بينهما ثم تزوجها في الاسلام خالد بن سعيد بن العاص وكانت من قرأ إلى النبي صلى الله عليه وسلم
 من نساء الكفار فبسها وزوجها خالد بن سعيد بن العاص بن أمية وقال الشعبي كانت زينب
 بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة أبي العاص بن الربيع أسلت ولحقت بالنبي صلى
 الله عليه وسلم وأقام أبو العاص بمكة مشركا ثم أتى المدينة وأسلم فردها عليه رسول الله صلى
 الله عليه وسلم روى أبو داود عن عكرمة عن ابن عباس بالنكاح الأول ولم يحدث شيئا قال
 محمد بن عمرو في حديث بعد ست سنين وقال الحسن بن علي بعد ستين قال أبو عمر فإن صح
 هذا فلا يخلون وجهين اما انهم لم تحص حتى اسلم زوجها واما ان الامر فيها منسوخ بقوله
 تعالى وبعلوثهن أحق برذهن في ذلك يعني في عدتهن وهذا مما لا خلاف فيه انه عني به العدة
 قال الزهري في قصة زينب هذه كانت قبل أن تنزل الفرائض وقال قتادة كان هذا قبل ان
 تنزل سورة براءة بقطع اليهوديينهم وبين المشركين * (تنبيهه) * المراد بالكوافر هنا عبدة
 الاوثان ومن لا يجوز ابتداء نكاحها وقبل هي عاتمة نسخ منها نساء أهل الكتاب فعلى الاول اذا
 اسلم وثني أو مجوسي ولم تسلم امرأته فرق بينهما وهو قول بعض أهل العلم منهم مالك والحسن
 وطاوس وعطاء وعكرمة وقتادة لقوله تعالى ولا تفسكوا بعصم الكوافر وقال بعضهم ينتظر
 به اتمام العدة وهو قول الزهري والشافعي وأحمد واحتجوا بأن أبا سفيان بن الحرث أسلم
 قبل هذبت عتبة امرأته وكان اسلامه بجزال الظهران ثم رجع إلى مكة وهندبها كافرة مقيمة على
 كفرها فأخذت بلحيته وقالت اقتلوا الشيخ الضال ثم أسلت بعده بأيام فاستقر على نكاحهما
 لأن عدته لم تكن انقضت قالوا ومثله حكيم بن حزام أسلم قبل امرأته ثم أسلت بعده فكانا
 على نكاحهما قال الشافعي ولا حجة لمن احتج بقوله تعالى بعصم الكوافر لأن نساء المؤمنين
 محررات على الكفار كما ان المسلمين لا تحل لهم الكوافر الوثنيات ولا المجوسيات لقوله تعالى

لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن ثم بينت السنة ان مراد الله تعالى من قوله هذا أنه لا يحل
 بعضهم لبعض الا ان أسلم الثاني منهما في العدة وقال أبو حنيفة وأصحابه في الكافرين
 الذميين اذا أسلمت المرأة عرض على الزوج الاسلام فان أسلم والآخر بينهما قالوا ولو كانا
 حربيين فهي امرأته حتى تحيض ثلاث حيض اذا كانا جميعا في دار الحرب أو في دار الاسلام
 وان كان أحدهما في دار الحرب والاخر في دار الاسلام انقطعت العصمة بينهما وقد تقدم
 ان اعتبار الدار ليس بشئ وهذا الخلاف انما هو في المدخول بها فأما غير المدخول بها فلا نعلم
 خلافا في انقطاع العصمة بينهما اذا عدها عليها وكذا يقول مالك في المرأة يرتد زوجها المسلم
 تنقطع العصمة بينهما لقوله تعالى ولا تمسكوا بعصم الكوافر وهو قول الحسن البصري والحسن
 ابن صالح وقال الشافعي وأحمد بن حنبل ينظر بها تمام العدة فان كان الزوجان نصرانيين فاسلمت
 الزوجة فذهب مالك والشافعي وأحمد الى تمام العدة وهو قول مجاهد وكذا الثوري تسلم
 زوجها ان أسلم في عدتها فهو أحق بها كما ان صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل أحق
 بزوجتيهما المأسلمين في عدتهما لما ذكر مالك في الموطأ قال بعض العلماء كان بين اسلام صفوان
 وبين اسلام امرأته نحو من شهر قال ولم يبلغنا ان امرأته هاجرت الى رسول الله صلى الله عليه
 وسلم وزوجها كافر مقيم بدار الحرب الا فرقت هجرتا بينهما وبين زوجها الا ان يقدم زوجها
 مهاجرا قبل ان تنقضي عدتها وقال بعضهم ينفسخ النكاح بينهما لما روى يزيد بن علقمة
 قال أسلم جدي ولم تسلم جدتي ففرق بينهما عمر وهو قول طاوس وعطاء والحسن وعكرمة قالوا
 لا سبيل له عليها الا بخطبة (واسألوا) أي أيها المؤمنون الذين ذهبت زوجاتهم الى الكفار
 مرتدات (ما أنفقتم) أي من مهور نساكنكم (وليسألوا) أي الكفار (ما أنفقوا) أي
 من مهور أزواجهم الا اني أسلمن قال المفسرون كان من ذهب من المسلمات مرتدات الى
 الكفار من اهل العهد يقال للكفارها توأمهروها ويقال للمسلمين اذا جاء أحد من الكافرات
 مسلمة مهاجرة ردوا الى الكفار مهورها وكان ذلك نصف ما وعد لهن الحالين (ذلكم) أي الحكم
 الذي ذكر في هذه الآيات البعيدة تعلق الرتبة عن كل سببه (حكم الله) أي الملك الذي له
 صفات الكمال فلا تلحقه شائبة نقص (يحكم) أي الله اذ حكمه على سبيل المبالغة (بينكم)
 أي في هذا الوقت وفي غيره على هذا المنهاج البديع وذلك لاجل الهدنة التي كانت وقعت بين
 النبي صلى الله عليه وسلم وبينهم وأما قبل الحديبية فكان النبي صلى الله عليه وسلم يحكم النساء
 ولا يرد الصداق (والله) أي الذي له الاحاطة التامة (تليم) أي بالغ العلم لا يفتي عليه شئ
 (حكيم) أي فهو لتمام علمه يحكم كل أموره غاية الاحكام فلا يستطيع أحد نقض شئ منها روى
 ان المسلمين قالوا رضينا بما حكم الله تعالى وكتبوا الى المشركين فامنعوا فنزل قوله تعالى (وان
 فاتكم شئ من أزواجكم) أي واحدة فأكثر منهن أو شئ من مهورهن بالذهاب (الى الكفار)
 مرتدات (فعاقبتم) فغزوتهم وغنمتم من أموال الكفار بغارات توبة ظفركم بأداء المهر الى
 اخوانكم طاعة وعد لا عقب فوبتهم التي اقنعوا فيها ما أنفقتم ظلمنا (فانوا) أي فاحضروا

وأعطوا من مهر المهاجرة (الذين ذهبت أزواجهن) أي منكم من الغنمة. (مثل ما أنفقوا)
 أي لقواته عليهم من جهة الكفار روى الزهري عن عروة عن عائشة أنها قالت حكم
 الله تعالى بينهم فقال جل ثناؤه وأسالوا ما أنفقتم وليسألوا ما أنفقوا فكتب إليهم المسلمون
 قد حكم الله تعالى بيننا بأنه ان جاء تسكم امرأه من أن توجهوا والينا صداقها وان جاءتنا امرأه
 منكم وجهنا اليكم بصداقها فكتبوا أمان نحن فلا نعلم لكم عندنا شيئاً فان كان لنا عندكم شيء
 فوجهوا به فأمر الله تعالى وان فاتكم شيء من أزواجكم الآية وقال ابن عباس في قوله تعالى
 ذلكم حكم الله أي بين المسلمين والكفار من أهل العهد من أهل مكة يريد بعضهم على بعض
 قال الزهري ولولا العهد لاسلك النساء ولم يرد عليهم صداقاً وقال قتادة ومجاهد انما أمر
 أن يعطوا الذين ذهبت أزواجهن مثل ما أنفقوا من النى والغنمة وقال اله فيمن بيننا وبينه
 عهد وقال اله في فمأقبتهم فاقصصتم فأتوا الذين ذهبت أزواجهن مثل مثل ما أنفقوا أي من
 المهور وقال ابن عباس معنى الآية ان لحقت امرأه مؤمنة بكفار أهل مكة وليس بينكم وبينهم
 عهد ولها زوج مسلم قبلكم فغتم فاعطوا هذا الزوج المسلم مهره من الغنمة قبل ان تخمس
 وقال الزهري يعطى من مال النى وعنه يعطى من صداق من لحق بها * (تنبيه) * محصل
 مذهب الشافعى في هذه الآية ان الهدنة لو عقدت بشرط ان يردوا من جاءهم منها من ثأص
 ولم يردوا الوفاة سواء كان رجلاً وامرأة حراً أو رقبة فان امتنعوا من رده فناقضوا للعهد
 لمخالفة الشرط أو عقدت على أن لا يردوه جاز ولو كان المرتد امرأه فلا يلزمهم رده لانه
 صلى الله عليه وسلم شرط ذلك في مهادة قريش حيث قال لاسهل بن عمرو وقد جاء رسولنا منهم من
 جاءنا منكم رددناه ومن جاءكم منافس حقيقة أو مثله ما لو أطلق العقد كما فهم بالاولى وبغيره من
 فيها مهر المرتدة (فان قيل) لم غرموا مهر المرتدة ولم نغرم نحن مهر المسلمة على ما تقدم من
 الخلاف (أجيب) بأنهم قد قوتوا عليه الاستتابة الواجبة علينا وأيضاً المانع جاء من جهتها
 والزواج غير ممكن منها بخلاف المسلمة الزوج ممكن منها بالاسلام وكذا يغرمون قيمة رقيق
 ارتد دون الجزفان عماد الرقيق المرتد اليها بعد أخذ ناقصته رددناها عليهم بخلاف نظيره في المهر
 لأن الرقيق يدفع القيمة بصير ملكا لهم والنساء لا يصرن زوجات (فان قيل) كونه بصير ملكا لهم
 معنى على جواز بيع المرتدة للكافر والصحيح خلافه (أجيب) بأن هذا ليس بمنفعة لان هذا
 ليس بواجبة فاعفى ذلك لاجل المصلحة وان شرطنا عدم الرد (فان قيل) هل يغرم الامام
 زوج المرتدة ما أنفق من صداقها لانا بعد الهدنة حملنا بينه وبينها ولولا لقاتلناهم حتى يردوها
 (أجيب) بأن هذا ينبغي على ان الامام هل يغرم لزواج المسلمة المهاجرة ما أنفق وقد تقدم
 الكلام على ذلك * (فائدة) * روى عن ابن عباس انه قال لحق بالمشرى من نساء المؤمنين
 لمهاجرين ست نسوة أم الحكم بنت أبى سفيان وكانت تحت شهاب بن عبد بن عباس الفهرى
 وفاطمة بنت أبى أمية بن المغيرة أخت أم سلمة كانت تحت عمر بن الخطاب فلما أراد عمر أن
 يهاجرات وارتدت وبروع بنت عقبة كانت تحت شماسة بن عثمان وعزة بنت عبد العزيز

ابن نضلة وزوجها عمرو بن عبدود وهند بنت أبي جهل بن هشام كانت تحت هشام بن العاص
 ابن وائل وأم كلثوم بنت جرجول كانت تحت عمر بن الخطاب رجعت عن الاسلام فأعطى رسول
 الله صلى الله عليه وسلم أزواجهن مهور نسائهم من الغنمة ولما كان التحري في مثل ذلك
 عسرافان المهورتان تفاوتت تارة وتساوى أخرى قال تعالى (واتقوا) أى فى الاعطاء والمنع
 وغير ذلك (الله) الذى له صفات الكمال وقد أمركم بالتحاق بصفاته على قدر ما تطيقون
 (الذى أنتم به مؤمنون) أى متمكنون فى رتبة الايمان ولما خاطب المؤمنين الذين هم مرضع
 الحماية والنصرة للذين أمر النبي صلى الله عليه وسلم بعد الحكم بايمانهم بما يعين بقوله تعالى
 (يا أيها النبي) مخاطباً له بالوصف المقضى للعلم (إذا جاءك المؤمنات) جعل أقبالهن عليه صلى
 الله عليه وسلم لاسيما مع الهجرة معهما الاطلاق للهجرة عليهن (سابعنك على أن لا يشركن
 أى كل واحدة منهن تسابعك على عدم الاشراك فى وقت من الاوقات (بالله) أى الملك الذى
 لا كفوله (شيأ) أى من اشراك على الاطلاق (ولا يسرقن) أى يأخذن مال الغير بغير استحقاق
 فى خفية (ولا يزنين) أى يمكن أحدا من وطنهن بغير عقد صحيح (ولا يقتلن أولادهن) أى
 بالوأد كما كان يفعل فى الجاهلية من وأد البنات أى دفنهن احياء خوفاً للعار والفقر (ولا يأتين
 بهتان) أى بولد ما قوط أو شبهة بأن (يقترينه) أى يتعمدن كذبه بأن ينسبهن للزوج ووصفه
 بصفة الولد الحقيقى بقوله تعالى (بين أيديهن) أى بالجل فى البطون لأن بطنهن التى تحمل فيها الولد
 بين يديها (وأرجلهن) أى بالوضع من الفروج لأن فرجها الذى تلد منه بين رجلها وأولان
 الولد اذا وضعته سقط بين يديها وأرجلها وقيل بين أيديهن أسننهن بالنخمة ومعنى بين أرجلهن
 فروجهن وقيل ما بين أيديهن من قبله أو جسة وبين أرجلهن الجماع وروى أن هند لما سمعت
 ذلك قالت والله إن البهتان لأمر قبيح وما يأمر الا بالارشاد ومكارم الاخلاق (ولا يعصينك)
 أى على حال من الاحوال (فى معروف) وهو ما وافق طاعة الله تعالى كترك النباحة وتزنيق
 الثياب وجر الشعر وشق الجيب وخش الوجه (فبايعهن) أى التزم لهن بما وعدن على ذلك
 من اعطاء الثواب فى نظير ما الرمن أنفسهن من الطاعة فبايعهن صلى الله عليه وسلم بالقول
 ولم يضاف واحدة منهن قالت عائشة رضى الله عنها والله ما أخذ رسول الله صلى الله عليه
 وسلم على النساء قط الا بما أمر الله عز وجل وما مست كف رسول الله صلى الله عليه
 وسلم كف امرأة قط وروى عنها قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يبايع النساء بالكلام
 بهذه الآية أن لا يشركن بالله شيئاً الى آخرها قالت وما مست يذ رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يذ امرأة الا امرأة يملكها وقالت أمة بنت رقيقة بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فى نسوة فقال فيما استطعتن أطعن فقلت رسول الله صلى الله عليه وسلم ارحم بناتن أنفسنا
 وقلت يا رسول الله ضاخننا فقال انى لأصافح النساء انما قولى لامرأة كقولى لمائة امرأه
 وروى انه صلى الله عليه وسلم بايع النساء وبين يديه وأيديهن فوب وكان يشترط عليهن وقلت
 أم عطية لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جمع نساء الانصار فى بيت ثم أرسل النسا

عمر بن الخطاب فقام على الباب فسلم فردد عليه السلام فقال أنا رسول رسول الله صلى الله
 عليه وسلم اليكن أن لا تشركن بالله شيئاً الآية فقلن نعم فأتينه من خارج البيت ومددنا أيدينا
 من داخل البيت ثم قال اللهم أشهد وروى عرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي صلى
 الله عليه وسلم كان إذا بايع النساء دعا بقدر من ماء فغمس يده فيه فغمسن أيديهن فيه وروى
 أنه صلى الله عليه وسلم لما فرغ من بيعته الرجال يوم الفتح لمسكه وهو على الصفا وعمر بن الخطاب
 أسفل منه وهو يبايع النساء بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلغهن عنده أن لا
 يشركن بالله شيئاً وهند بنت عتبة امرأة أبي سفيان متعبة متسكرة مع النساء خوفاً من رسول
 الله صلى الله عليه وسلم أن يعرفها لما صنعت بحمزة يوم أحد فقالت والله أنك لتأخذ علينا
 أمر أمارأتك أخذته على الرجال وكان بايع الرجال يومئذ على الاسلام والجهاد فقط فقال
 النبي صلى الله عليه وسلم ولا يسرقن فقالت هذان أباسفيان رجل شحيح وإني أصيب من ماله
 قوتنا فلا أدري أيحل لي أم لا فقال أبوسفيان ما أصبت من شيء فيما مضى وما غبر فهو لك حلال
 فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفها فقال لها والله نبت عتبة قالت نعم فأخف عبا
 سافعة الله عنك وروى أنها قالت يا رسول الله أن أباسفيان رجل مسيك فهل علي حرج
 إن أخذت ما يكفيني وولدي قال لا إلا بالمعروف ونخشت هذان تقتصر على ما يعطيان فتضيع أو
 تأخذ أكثر من ذلك فتكون سارقة ناكثة للبيعة المذكورة فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم
 ذلك أي لأخرج عليك فيما أخذت بالمعروف يعني من غير استطالة إلى أكثر من الحاجة ثم قال
 ولا يزينين فقالت هند أوترنى الحرة فقال ولا يقتلن أولادهن أي بالوأد ولا يسقطن الاجنة
 فقالت هند دريتنهم صغاراً وقتلتهن يوم بدر كباراً وأنت وهم أعلم وكان ابنها احتفظ له بن أبي
 سفيان قتل يوم بدر فضحك عمر حتى استلقى وتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ولا يأتين
 بهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن فقالت والله أن البهتان لأمر قبيح وما تأمرنا إلا بالرشد
 ومكارم الاخلاق فقال ولا يعصينك في معروف فقالت والله ما جلسنا مجلساً بهذا وفي أنفسنا
 إن نعصيك في شيء قال أكثر المفسرين من معناه لا يلحقن بأزواجهن ولداً من غيرهن وكانت المرأة
 تلتقط ولداً تلحقه بزوجها وتقول هذا ولدي منك فكان هذان البهتان والافتراء وهذا عام
 في الاتيان بولد والحاقه بالزوج وإن سبق النهي عن الزنا * (تنبيه) * ذكر تعالى في هذه الآية
 لرسوله صلى الله عليه وسلم في صفة البيعة خصاً بالاستصايرح فيهن بأركان النهي ولم يذكر
 أركان الامر وهي سب أيضاً الشهادة والزكاة والصلاة والصيام والحج والاعتسار من الجناية
 وذلك لأن النهي دائم في كل زمان وكل الاحوال فكان التنبيه على اشتراط الدائم أكد وقيل
 إن هذه المناهي كانت في النساء كثيراً ممن يرتكبنها ولا يحجزهن عنها شرف النسب فخصت بالذكر
 لهذا ونحو هذا قوله صلى الله عليه وسلم لو قد عبد القيس وأنها كم عن الديار والحنتم والنقير
 والمنزف فنبههم على ترك المعصية في شرب الخمر دون سائر المعاصي لأنها كانت شهوتهم
 وعاداتهم وإذا ترك المرء شهوته من المعاصي هان عليه ترك سائرها مما لا شهوة فيها ولما كان

الانسان محل النقصان لاسيما النسوان رجاهن سبحانه بقوله تعالى (واستغفر) أى اسأل
 (لهن الله) أى الملك الاعظم ذا الجلال والاكرام فى الغفران ان وقع منهن تقصير وهو
 واقع لانه لا يقدر أحد أن يقدر الله تعالى حق قدره (ان الله) أى الذى له صفات الكمال
 (غفور) أى بالغ السر للذنوب عينا وأثرا (رحيم) أى بالغ الاكرام بعد الغفران تفضلا منه
 واحسانا وروى ان ناسا من فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليه وليضيوا من غارهم فنهاهم
 الله عن ذلك بقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا) أى لا تعالجوا أنفسكم أن تولوا (قوما)
 أى ناسا لهم قوة على ما يحاولونه فغيرهم من باب أولى (غضب الله) أى أوقع الملك الاعلى
 الغضب (عليهم) لا قبلهم على ما أحاط بهم من الخطايا فهو عام فى كل من انصف بذلك
 يتناول اليهود تناولا أوليا (قد ينسوا) أى تحقوا عدم الرجاء (من الآخرة) أى من ثوابها
 مع ايقانهم بها العنادهم النبى صلى الله عليه وسلم مع علمهم أنه الرسول المبعوث فى التوراة
 (كما ينس الكفار من أصحاب القبور) أى من موتاهم أن يعثوا ويرجعوا أحياء وقيل
 من أصحاب القبور يسيان للكفار أى كما ينس الكفار الذين قبروا من خير الآخرة اذ تعرض
 عليهم مقاعدهم من الجنة لو كانوا آمنوا وما يصبرون اليه من النار فثبت لهم قبح حالهم وسوء
 منقلبهم وما قاله اليساوى تبعالز مخشى من أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة
 المحتسنة كان له المؤمنون والمؤمنات شفعا يوم القيامة حديث موضوع

﴿سورة الصف مدنية﴾

فى قول الاكثرين وذكر النحاس عن ابن عباس انها مكية وهى أربع
 عشرة آية ومائتان واحد و عشرون كلمة وتسعمائة حرف

(بسم الله) الملك الاعظم الذى لا كف له (الرحمن) الذى عم بفضله كل أحد من خلقه
 (الرحيم) الذى خص من شاء من عبادته فها هو لعبادته وأهله (سبح لله) أى أوقع التثنية
 الاعظم للملك الاعظم (ما فى السموات) من جميع الاشياء من الملائكة وغيرها كالافلاك
 والنجوم (وما فى الارض) كذلك من الادميين وغيرهم كالشجر والنار وقيل اللام مزبدة
 أى نزه الله وأنى يمدادون من قال الجلال المحلى تغليب الاكثر اه (فان قيل) ما الحكمة فى أنه
 تعالى قال فى بعض السور سبح لله بلقط الماضى وفى بعضها يسبح بلقط المضارع وفى بعضها
 فسبح بلقط الامر (أجيب) بأن الحكمة فى ذلك تعليم العبد ان يسبح الله تعالى على الدوام
 كما ان الماضى يدل عليه فى الماضى من الزمان والمستقبل يدل عليه فى المستقبل من الزمان
 والامر يدل عليه فى الحال (فان قيل) هلا قيل سبح لله السموات والارض وما فيها وهو أكثر
 مباغة (أجيب) بأن المراد بالسماء جهة العلو فيشمل السماء وما فيها والارض جهة السفلى
 فيشمل الارض وما فيها (وهو) أى وحده (العزير) أى الغالب على غيره أى شئ كان ذلك الغير
 ولا يمكن ان يغلب عليه غيره (الحكيم) أى الذى يضع الاشياء فى اتقن مواضعها روى الدارمى

في مسنده قال أنبأنا محمد بن كثير عن الازراعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن عبد الله بن
سلام قال قعدنا مع نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قعدا كرافقنا لم نعلم أي
الاعمال أحب إلى الله تعالى لعملناه فنزل الله تعالى سبج لله ما في السموات وما في الأرض وهو
العزير الحكيم (يا أيها الذين آمنوا) أي ادعوا إلى الإيمان (لم تقولون ما لا تفعلون) حتى ختمها قال
عبد الله فقرأها علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ختمها قال أبو سلمة قرأها علينا عبد الله بن
سلام حتى ختمها قال يحيى فقرأها علينا أبو سلمة فقرأها علينا أبو يحيى فقرأها علينا الازراعي
فقرأها علينا محمد فقرأها علينا الدارمي انتهى ولي بقراءتها سند متصل إلى النبي صلى الله عليه وسلم
وقال عبد الله بن عباس قال عبد الله بن رباح لو علمنا أحب الأعمال إلى الله تعالى لعملناه فلما
نزل الجهاد كرهوه وقال الكلبي قال المؤمنون يا رسول الله لو علمنا أحب الأعمال إلى الله تعالى
لسارعنا إليه فنزل هل أدلكم على تجارة تجعيكم من عذاب أليم فكنوا زمانا يقولون لو فعلها
لا شتر بناها بالأموال ولا أنفس ولا هليلين فدلهم الله تعالى عليها بقوله تعالى تؤمنون بالله ورسوله
وتجاهدون في سبيل الله الآية فابتلوا يوم أحد فقرؤا فنزلت هذه الآية تعبير الهم بترك الوفاء
وقال محمد بن كعب لما أخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بثواب شهداء بدر قالت الصحابة اللهم
اشهد لنا لقينا قتلا لنفرغ فيه وسعنا فقرؤا يوم أحد فمهرهم الله تعالى بذلك وقال قتادة
والصالح نزلت في قوم كانوا يقولون نحن جاهدنا وابلينا ولم يفعلوا وقيل قد أدى المسلم رجل
ونكى فيهم فقتله صيب واتحل قتله آخر فقال عمر لصهيب أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنك
قتلته فقال اغنا قلته لله ورسوله فقال عمر يا رسول الله قتله صهيب قال كذلك يا أبي يحيى قال نعم
فنزلت في المنحل وقال ابن زيد نزلت في المنافقين وبداؤهم بالإيمان ثم كذبهم وباعياهم وكانوا
يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ان خرجتم وقاتلتم خرجنا معكم وقاتلنا فلما خرجوا
نكصوا عنهم وتخلفوا وقال القرطبي هذه الآية توجب على كل من الرزم نفسه عملا فيه طاعة ان
يأتي به وفي صحيح مسلم عن أبي موسى أنه بعث إلى قراء أهل البصرة فدخل عليه ثلثمائة رجل قد قرؤا
القرآن فقال أنتم خير أهل البصرة وقرأوهم فأتوهم ولا تظلموا عليهم لكم الامدة فتقسوا قلوبكم
كما قست قلوب من قبلكم وأنا كذا فقرأ سورة فشبها في الطول والشدّة براءة فأنتسبها غير أي قد
حفظت منها لو كان لابن آدم واديان من مال لا تبغى واديان بالشا ولا عيال جوف ابن آدم الاتراب
وكذا فقرأ سورة فشبها باحدى المسبحات فأنتسبها غير أي حفظت منها يا أيها الذين آمنوا لم تقولون
ما لا تفعلون فلبثت شهادة في أعناقكم فتسئلون عنها يوم القيامة قال ابن العربي وهذا كله ثابت
في الدين لفظا ومعنى في هذه السورة وأما قوله شهادة في أعناقكم فتسئلون عنها يوم القيامة فمعنى
ذلك ثابت في الدين فإن من التزم شيئا الرزمة شرعا وقال القرطبي ثلاث آيات منعني ان أقضى على
الناس أن تأمروا الناس بالبر وتنسوا أنفسكم وما أريد ان أخالفكم إلى ما أنتم لكم عنه وبأيها
الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون وعن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم آتيت
ليلة أسرى بي على قوم تقرض شفاهم عتارىض من نار كلما قرضت عادت قلت من هؤلاء

يا جبريل قال هؤلاء مخطباء أمتك الذين يقولون ولا يفعلون ويقرؤون كتاب الله ولا يعملون به
 * (نبيه) * قوله تعالى لم تقولون ما لا تفعلون استفهام على وجه الإنكار والتوبيخ على أن يقول
 الإنسان عن نفسه من الخير ما لا يفعله أما في الماضي فيكون كذبا وأما في المستقبل فيكون خلقا
 وكلاهما مذموم قال الزنجشمرى لم هي لام الإضافة داخله على ما الاستفهامية كما دخل عليها
 غيرهما من حروف الجر في قولك بم وفيم وعم والام وعلام وانما حذف في الانطلاق ما
 والحرف كشي واحد ووقع استعماله ما كثيرا في كلام المستفهم وقد جاء استعمال الأصل قليلا
 والوقف على زيادة هاء السكت أو الأسكان ومن أسكن في الوصل فلا جرائه مجرى الوقف كما سمع
 ثلاثة أربعه بالهاء والقام حركة الهمزة عليهم المحذوفة اه ووقف البري لم بهاء السكت بخلاف
 عنه (كبر) أي عظم وقوله تعالى (مقتنا) تمييز والمقت أشد البغض وزاد في تشنيعه زيادة في التنفير
 منه بقوله تعالى (عند الله) أي الملك الأعظم الذي يحقر عنده كل متعظيم وقيل إن كبر من
 أمثلة التعجب وقد عده ابن عصفور في التعجب المبوب له في النحوق قال صبغة ما أفعله وأفعل به
 وفعل نحو كرم الرجل واليه نحو الزنجشمرى فقال هذا من أفصح الكلام وأبلغه في معناه قصد في
 كبر التعجب من غير لفظه كقوله * غلت ناب كليب بواؤها * ومعنى التعجب تعظيم الأمر في قلوب
 السامعين لأن التعجب لا يكون إلا من شيء خارج عن نظرنا وإشكائه وقوله تعالى (أن تقولوا)
 أي عظم من تلك الجهة أن يقع في وقت من الأوقات أحوال من الأحوال قولكم (ما لا تفعلون)
 فاعل كبر قال الرازي وجه تعلق هذه السورة بما قبلها هو أن في السورة التي قبلها بين الخروج
 إلى الجهاد في سبيل الله وإبتغاء مرضاته بقوله تعالى أن كنتم خرجتم جهادا في سبيل الله وإبتغاء
 مرضاتي وفي هذا السورة بين ما يحمل المؤمن ويحميه على الجهاد بقوله تعالى (أن الله) أي الذي
 له جميع صفات الكمال (يحب) أي يفعل فعل المحب مع (الذين يقاتلون) أي يوقعون القتال
 (في سبيله) أي بسبب تسهيل طريقه الموصلة إلى رضاه وقوله تعالى (صفا) حال أي مصطفين
 حتى كانوا في اتحاد المراد على قلب واحد كما كانوا في التساوي في الأصل عفا كليب بن الواحد
 (كانهم) من شدة التراص والمساواة بالعدد والمانا كب والنبات في المركز (بنيان) وزاد في
 التأكيده بقوله تعالى (مرصوص) أي ملزوم بعض إلى بعض ثابت كشبوت البناء وقال ابن
 عباس يوضع الحجر على الحجر ثم يرص بالحجار صغار ثم يوضع اللبن عليه فيسميه أهل مكة المرصوص
 وقال الرازي يجوز أن يكون المعنى على أن يستوى شأنهم في حرب عدوهم حتى يصفكون في
 اجتماع الكلمة ومواالات بعضهم بعضا كالبنيان المرصوص قال القرطبي استدلل بعضهم بهذه
 الآية على أن قتال الرجل أفضل من قتال الفارس لأن الفرسان لا يصطفون على هذه الصفة
 قال المهدوي وذلك غير مستقيم لما جاء في فضل الفارس من الأجر والغنية ولا يخرج الفرسان من
 معنى الآية لأن معناها الثبات ولهذا يحرم الخروج من الصف أن قاموا بهم الاتحرف للقتال
 كن ينصرف ليكن في موضع ويهجم أو ينصرف من مضيق ليلتبعه العدو والى منسحق
 للقتال أو منهيز إلى فئة يستجدها ولو بعيدة قليلا أو كثيرة فيجوز أنصرفه لقوله تعالى الاتحرف

لقتال وتجاوز المبارزة لسكافر لم يطلبها ابلا كره ونذب لقوى أذن له الامام أو نائبه لاقرار صلى الله
 عليه وسلم عليها وهي ظهور اثنين من الصفيين للقتال من البرزوه والظهور فان طلبها كافرست
 للقوى المأذون له للامر بها في خبر أبي داود ولان في تركها حينئذ اضعا فانا وتقوية تاهم
 والا كرهت * ولما ذكر تعالى الجهاد ذكر قصة موسى وعيسى عليهم السلام تسلياً لنبية صلى الله
 عليه وسلم ليصبر على اذى قومه مبتدئاً بقصة موسى عليه السلام لتقدمه فقال تعالى (واذ)
 اى واذا كرى يا أشرف المخلوق اذ (قال موسى لقومه) اى بنى اسرائيل وقوله (يا قوم) استعطاف
 لهم واستنهاض الى رضائهم (لم تؤذوني) اى تجدهون اذى مع الاستمرار وذلك حين رموه
 بالادرة كما مر في سورة الاحزاب ومن الاذى ما ذكر في قصته قارون أنه دس الى امرأة تدعى على
 موسى الفجور ومن الاذى قولهم اجعل لنا الهام كما لهم آلهة وقولهم فاذهب انت وربك فقاتلا
 انا ههنا قاعدون وقولهم انت قتلت هرون وغير ذلك وقوله تعالى (وقد تعلمون) جلة حاله
 اى علمه على قطعها مع تجدهم لكم كل وقت تجدد أسبابه بما يتيسر به من المعجزات والكتاب
 الحافظ لكم من الزبغ (الى رسول الله) الملك الاعظم الذى لا يـكـفـوله (اليكم) ورسوله
 يعظم ويحترم لانه تنزه جلالته وتحترم وأنا لا أقول لكم شما الاعنه ولا أنطق عن الهوى (فلما
 زاعوا) اى عدلوا عن الحق بخلافه وأمر الله تعالى وبأيذنه وقرأه اجزءاً بالامالة والباقون بالفتح
 (أزاع الله) اى الملك الذى له الامر كله (ذلولهم) اى أمالهاعن الهدى على وفق ما قدره فى الازل
 (والله) اى الذى له الحكمة البالغة لانه المستجمع اصفات الكمال (لا يهدى) اى بالتوفيق
 بعد هداية البيان (القوم الفاسقين) اى العربيقين فى الفسق الذين لهم قوة المحاولة فلم يحملهم
 على الفسق ضعف فاحذروا ان تـكـونوا مثلهم فى العزائم نفسا ووهم فى عقوبات الجرائم
 وهذا تنبيه على عظم اذى الرسل حتى ان اذاهم يؤدى الى الكفر وزبغ القلوب عن الهدى
 ثم ذكر القصة الثانية بقوله تعالى (واذ) اى واذا كرى يا أشرف المرسلين اذ (قال عيسى) ووصفه
 بقوله (ابن مريم) ليعلم أنه من غير آب وثبت نبوته بالمعجزات (يا بنى اسرائيل) فذكرهم بما كان
 عليه أبوه من الدين وما أوصى به بنيه من التمسك بالاسلام ولم يقل يا قوم كما قال موسى عليه
 السلام لانه لأب له فيهم وان كانت أمه منهم فان النسب انما هو من جهة الاب وأكدا لنكار
 بعضهم فقال (الى رسول الله) اى الملك الاعظم (اليكم) اى لالى غيركم (مصدقاً لما بين يدي)
 اى قبلى (من التوراة) التى تعلمون ان الله تعالى أنزلها على موسى عليه السلام وهي اول
 الكتب التى نزلت بعد الصحف وحكمهم بالنبىون فتصديق لها مع تأييدى بها مؤيد لان
 من الدلائل حق ومبين انها دليل فى عالم أنسخه منها كما يستدل بمافداه من الاعلام
 به بصره وقرأ ابو عمرو وابن ذكوان والكشافى بالامالة مخضبة وقرأ حمزة ونافع بين
 ف عنه عن قالون والباقون بالفتح (وبشرا) فى حال تصديق للتوراة (برسول) اى الى
 نبى الله الربوبية (يا بنى من بعدى) اى يصدق بالتوراة فكانه قيل ما سمعته قال (اسـهـ)
 المعنى أرسلت اليكم فى حال تصديق ما تقدمت من التوراة وفى حال تبشيري برسول

يأتى من بعدى يعنى ان ديني التصديق بكتب الله تعالى وانبيائه جميعا ممن تقدم وتاخر (فان
قبل) بم اتصب قصدا ومبشرا أيعا في الرسول من معنى الارسال أم باليكم (أجيب) بأنه يعنى
الارسال لان اليكم صله للترسل فلا يجوز ان يعمل شي الا ان حروف الجز لا تعمل بانفسها ولكن
بما فيها من معنى الفعل فاذا وقعت صلات لم تنضم معنى فعل فن أين عمل وعن كعب ان
الحواريين قالوا العيسى يا رسول الله هل بعدنا من أمة قال نعم أمة اجد حكماء علماء ابرار أتقياء
كانهم من الفقه انبياء يرضون من الله باليسير من الرزق ويرضى الله منهم باليسير من العمل وعن
حيث بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة اسماء انا محمد وانا احمد وانا
الماسي الذي يحو الله في الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وانا العاقب
الذي ليس بعدى نبي وقد سماه الله تعالى رؤفا رحما وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال اعمى
في التوراة احميد لاني أحميد امتي عن النار واسمى في الزبور الماسي محمدا الله في عبدة الاوثان
واسمى في الانجيل احميد وفي القرآن محمدا لاني محمود في اهل السماء والارض بل ذكر بعض
العلماء أنه له الف اسم قال البغوي والالف في احمد لمبالغة في الجدة وله وجهان احدهما انه
مبالغة من الفاعل اى ومعناه ان الانبياء جادون لله تعالى وهو اكثر جدام من غيره والثاني
أنه مبالغة من المفعول اى ومعناه ان الانبياء كلهم محمودون لمقامهم من الخصال الحميدة وهو
اكثر مبالغة واجمع للفضائل والحسان والاخلاق التي يحمد بها اه وعلى كلا الوجهين منعه
من الصرف للعلمية والوزن الغالب الا انه على الاحتمال الاول يمتنع معرفة وينصرف نكرة وعلى
الثاني يمتنع تعريفا وتنكير الا انه يخلف العلمية الصفة واذا نكر بعد كونه علما جرى فيه
خلاف سبويه والاختفاء وهي مسألة مشهورة بين النحاة وأشد حسان يدعيه وصرفه

صلى الاله ومن يحف بعرشه * والطيبون على المبارك أجد

أجد بدل أو بيان للمبارك وأما محمدا فقول من صفة أيضا وهو في معنى محمود ولكن في معنى
المبالغة والتكرار فاجدهو الذي جدمرة بعد مرة قال القرطبي كما ان المكرم من اكرم مرة بعد
مرة وكذلك الممدوح ونحو ذلك واسم محمد مطابق لعناء والله سبحانه وتعالى سماه قبلي ان يسمى به
نفسه فهذا علم من اعلام نبوته وكان اسمه صادقا عليه فهو محمود في الدنيا لما هدى اليه ونفع به
من العلم والحكمة وهو محمود في الآخرة بالشفاعة فقد تكرر مدح في الجدة كما يقتضى اللفظ ثم انه
لم يكن يحمد احق كان أجد جدمرة بضماء وشرقه فاذلك تقدم اسم أجد على الاسم الذي هو محمد
فذكره عيسى فقال اسمه أجد وذكره موسى عليه السلام حين قال له رب تلك أمة أجد فقال اللهم
اجعلني من أمة محمد فبدأ ذكره قبل أن يذكره بمحمد لان جدمرة كان قبل حمد الناس له فلما
وجد وبعث كان محمدا بالفعل وكذلك في الشفاعة فيحمد بيه بالحمد التي يفتحها عليه فيكون أجد
الناس له ثم يشفع فيحمد على شفاعة فدل ذلك على انه صلى الله عليه وسلم أشرف الانبياء فاتحها
لهم وخاتمهم وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وشعبة بفتح الياء والباقون بالسكون وقوله تعالى
(فلما جاءهم) يحتمل ان يعود فيه الخبر لا جدمرة أي جاء الكفار واقتصر على ذلك الجلال المحلى

ويحتمل عوده لعيسى أي جاء لبني اسرائيل (بالبينات) أي من المعجزات العظيمة التي لا يسوغ
لعاقل الا التسليم لها ومن الكتاب المبين (فالوا) أي عند مجيئها من غير نظرة لتأمل (هذا) أي
الماضي به من البينات أو الآتي بها على المبالغة (سحر) فكلوا أول كافر به لأن هذا وصف لهم
لازم سواء بلغهم ذلك أم لا (مين) أي في غاية البيان في سحره وقدرته وقرأ أجزءة والكسائي بفتح
السين وألف بعدها وكسر الحاء وهذه القراءة مناسبة للتفسير الثاني والباقون بكسر السين
وسكون الحاء وهذه مناسبة للتفسير الأول (ومن) أي لاحد (أظلم) أي أشد ظلمًا (ومن)
افترى أي نعد (على الله) أي الملك الأعلى (الكذب) أي بنسبة الشريك والولد
إليه ووصف آياته بالسحر ووصف أنبيائه بالسحرة (وهو) أي والحال أنه (يدعى) أي من
أي داع كان (إلى الاسلام) أي الذي هو أحسن الأشياء فان فيه سعادة الذارين فيه بل
مكان اجابته افتراء الكذب على الله تعالى (والله) أي الذي له الأمر كله فلا أمر لاحد معه
(لا يهدي القوم) أي لا يخلق الهداية في قلوب من فيهم قوة المجادلة للامور الصعاب (الظالمين)
أي الذين يخفون في عقولهم خبط من هو في الظلام (يريدون) أي يوقعون ارادة ردهم للرسالة
بافتراءهم (لبطقتوا) أي لاجل أن يطقوا (نور الله) أي الملك الذي لا شيء يكافئه (بأقواهم)
أي بما يقولون من كذب لا منشأ له غير الانواء لانه لا اعتقاد له في القلوب * (تنبيه) * الاطقاء
هو الاتحاد يستعملان في النار وفيما يجري مجراها من الضياء والظهور ويترك بين الاطقاء
والاتحاد من حيث ان الاطقاء يستعمل في القلب فيقال أطفأت السراج ولا يقال أخذت
السراج وفي هذه اللام أوجه أحدها أنها تعليلية كما مر ثانيها أنها امر زائدة في مفعول
الارادة وقال الرمنشري أصليه يريدون ان يطقوا كما في سورة التوبة وكان هذه اللام زائدة مع
فعل الارادة فكيد الله المانين من معنى الارادة في قولك جئتكم لاكمالكم كما زادت اللام في لأب
لكن تأكيد المعنى الاضافة في لأب قال الماوردي وسبب نزول هذه الآية ما حكاه عطاء عن
ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم أبطأ عليه الوحي أربعين يومًا فقال كعب بن الأشرف
يا معشر يهود أبشروا فقد أطفأ الله نور محمد فيما كان ينزل عليه وما كان ليتم امره ففرق
رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى هذه الآية وانزل الوحي بعدها واختلف في
المراد بالنور فقال ابن عباس هو القرآن أي يريدون ابطاله وتكذيبه بالقول وقال السدي
الاسلام أي يريدون رفعه بالكلام وقال الضحاك أنه محمد صلى الله عليه وسلم أي يريدون هلاكه
بالاراجيف وقال ابن جرير جحجج الله تعالى ولا تله يريدون ابطاله بانكارهم وتكذيبهم
وقيل انه مثل مضروب أي من أراد اطفاء نور الشمس بفيه فوجدته مستحيلًا امتنعًا كذا للذين
أراد اطفاء الحق (والله) أي الذي لا مدافع له لقوام عظيّمته (متم نورة) فلا يضره ستر أحد له
بتكذيبه ولا ارادة اطفائه وزاد ذلك بقوله تعالى (ولو كره) أي انعامه له (الكافرون) أي
الراشخون في جهة الكفر المجتهدون في الهامة عنبه (هو) أي الذي ثبت أنه جامع لصفات
الكمال والجلال وحده من غير ان يكون له شريك أو وزير (الذي أرسل رسوله) أي الحق

بان يعظمه كل من بلغه أمره لان عظمته من عظمته ولم يذكر حرف الغاية اشارة الى عود
 لارسال الى كل من شمله الملك كما مضى (بإلهدى) أى البيان الشافى بالقرآن او بالمعجزة (ودين)
الحق أى والملة الخفيفة (ليظهره) أى يعلمه مع الشهرة واذلال المنازع (على الدين) أى
 بنفس الشريعة التى ستجعل إيجازى من يسلكها ومن يزغ عنها بما يشرع فيها من الأحكام
(كله) فلا يبقى دين الا كان دونه وانفتح به وذل أهله ذلالا يقياس به ذل (ولو كره) أى اظهارة
(المشركون) أى المعاندون فى كفرهم الراسخون فى سلك المعاندة (فان قيل) قال أولو كره
 الكافرون وقال ثانيا ولو كره المشركون فما الحكمة فى ذلك (أجيب) بأنه تعالى أرسل رسوله
 وهو من نعم الله تعالى والكافرون كلهم فى كفران النعم سواء فلهذا قال ولو كره الكافرون لآن لفظ
 الكافر أعظم من لفظ المشرك فالمراد من الكافرين هنا اليهود والنصارى والمشركون فلفظ
 الكافر المبق به وأما قوله تعالى ولو كره المشركون فذلك عند انكارهم التوحيد واصرارهم عليه
 لانه صلى الله عليه وسلم فى ابتداء الدعوة أمر بالتوحيد بلا اله الا الله فلم يقولوا فلهذا قال ولو كره
 المشركون واختلف فى سبب نزول قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا) أى اقرؤا بالايان (هل)
أدلكم أى وأنا المحيط علما وقدره نهى ايجاب فى المعنى ذكر بلفظ الاستفهام تشريفا ليكون
 أوقع فى النفس (على بحارة تجميعكم من عذاب أليم) أى مؤلم فقال مقاتل نزلت فى عثمان بن
 مظعون قال يا رسول الله لو أذنت لى طاعة خولة وترهبت واختصيت وحرمت العجم ولا أنام
 بليل أبدا ولا أفطر بنهار أبدا فقال صلى الله عليه وسلم ان من سننى النكاح ولا رهبانية فى الاسلام
 انما رهبانية أمتى الجهاد فى سبيل الله وخصاء أمتى الصوم ولا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم
 ومن سننى أنام وأقوم وأفطر وأصوم فمن رغب عن سننى فليس منى فقال عثمان والله لوددت
 يا رسول الله أى التجارة أحب الى الله تعالى فأجبر فيها فنزلات وقيل أدلكم أى سأدلكم والتجارة
 الجهاد قال الله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم الآية وهذا اخطار لجميع
 المؤمنين وقيل نزل هذا حين قالوا لو تعلم أى الاعمال أحب الى الله تعالى لعلنا نأبى قال البغوى
 وجعل هذا بمنزلة التجارة لانهم يريدون بحوثهم براض الله تعالى ونيل جنته والتجارة من النار وقرأ ابن
 عاصم بفتح الذون وتشديد الجيم والباقون بسكون الذون وتحقيق الجيم ثم بين سبحانه تلك
 التجارة بقوله تعالى (تؤمنون) أى تدومون على الايمان (بالله) أى الذى له جميع صفات
 الكمال وعلى هذا فلا ينافى ذلك قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا) وقيل المراد من هذه الآية
 المنافقون وهم الذين آمنوا فى الظاهر وقبيل أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى فانهم آمنوا
 بالكتب المتقدمة (ورسوله) الذى تصديقه آية الاذعان للعبودية (وتجاهدون) بيان للصحة
 ايمانكم على سبيل التجديد والاستمرار (فى سبيل الله) أى الملك الاعظم الذى لا أمر لغيره
(بأموالكم وأنفسكم) وقدم الاموال لغزتها فى ذلك الزمان ولانها اقوام الانفس فى بذل ماله
 كانه لم يجز بنفسه لان المال قوامها وقال القرطبي ذكر الاموال أولا لانها التى يبدأ بها
 فى الاتفاق (ذلكم) أى الامر العظيم من الايمان وتصديقه بالجهاد (خبركم) أى من أموالكم

وأنفسكم (ان كنتم تعملون) أى ان كان يمكن ان يتجدد لكم علم في وقت فانتم تعملون ان ذلك
 خير لكم فاذا علمتم أنه خير أقبلتم عليه فسكان لكم به أمر عظيم وان كانت قلوبكم قد طمست
 طمس الارجاع للصلاحة فصالوا على أنفسكم صلاة الموت وقوله تعالى (يقفر لكم) فيه أوجه أجدها
 أنه يجوز على جواب الخبر معنى الامر أى آمنوا واجاهدوا والثانى أنه يجوز في جواب
 الاستفهام كما قاله القراء والثالث أنه يجوز بشرط مقتدر أى ان تؤمنوا يغفر لكم قال القرطبي
 وأدغم بعضهم فقرأ يغفر لكم والاحسن ترك الادغام فان الامتناع رقى فلا يحسن الادغام في
 اللام لان الاقوى لا يدغم في الاضعف اه وتقدم في آخر سورة البقرة مثل ذلك للزحمرى
 والبيضاوى ورد عليهم ما (دوبكم) أى يحجوا أعيانها وأثارها كلها (ويدخلكم) أى بعد التزكية
 بالمغفرة ورجة انكم (جنات) أى بساكن (تجربى من تحتها) أى من تحت أنهارها وغرفها وكل
 منتزه فيها (الانهار) فهي لا تزال غضة زهراء ولم يحج هذا الاسلوب الى ذكر الخلود لا غناء ما بعده
 عنه ودل على الكثرة المفرطة في الدور بقوله في صيغة منتهى الجموع (ومساكن طيبة) روى
 الحسن قال سألت عمران بن حصين وأبا هريرة عن قوله تعالى ومساكن طيبة فقالا على الخبر
 سقطت سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها فقال قصر من أولوه في الجنة في ذلك القصر
 سبعون دارا من ياقوته جردا في كل دار سبعون بيتا من زبرجدة خضراء في كل بيت سبعون
 سريرا في كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش سبعون امرأة من الحور العين في
 كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من المعام في كل بيت سبعون وصيفا ووصفة
 فيعطى الله تعالى المؤمن من القوة في غداة واحدة ما يأتى على ذلك كله (في جنات عدن) أى
 بساكن هي أهل الإقامة في الاحتياج في اصلاحها الى شئ خارج يحتاج في تحصيله الى الخروج
 عنها قال حمزة الكرماني في كتابه جوامع التفسير هي أى جنات عدن قصبة الجنان ومدينة الجنة
 أقربها الى العرش (ذلك) أى الامر العظيم جدا (الفوز العظيم) أى السعادة الدائمة الكبيرة
 وأصل الفوز الفوز بالمطلوب ولما ذكر تعالى ما أنعم به عليهم في الآخرة بشرهم بنعمة في الدنيا بقوله
 تعالى (وأخرى يحبونها) أى ولكم الى هذه النعمة المذكورة نعمة أخرى عاجلة محبوبة وفي
 تحبونها تعريض بأنهم يؤثرون العاجل على الآجل وقوله تعالى (نصر من الله) أى الذى
 أحاطت عظمتها بكل شئ خبر مبتدأ مضمر أى تلك النعمة أو النعمة الاخرى نصر من الله (وقفع
 قريش) أى غنمة في عاجل الدنيا قيل فتح مكة قال الكلبي هو النصر على قريش وقال ابن عباس
 يريد فتح فارس والروم وقوله تعالى (وبشر المؤمنين) عطف على محذوف مثل قل يا أيها الذين
 آمنوا وبشروا على يؤمنون فانه في معنى الامر كأنه قال آمنوا واجاهدوا يا أيها المؤمنون وبشروهم
 يا أشرف الرسل بالنصر في الدنيا والجنة في الآخرة (يا أيها الذين آمنوا) أى أقروا بذلك (كولوا)
 أى بغاية جهدهم (أنصروا الله) أى لدينه وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وأنصارا بالنون وجر
 اللام من الاسم الجليل وترقيتها والباقون بغير تنوين وتنفيم اللام (كما) أى كونوا لاجل اني
 ندبكم أنا بقول من غير واسطة ولذا تكلم بخطابي مثل ما كان الحواريون أنصرا الله حين (قال)

عيسى بن مريم) حين أرسلته الى بنى اسرائيل - فخال الشريعة موسى عليه السلام (للحواريين)
 أى خالص أجمعاه وخاصته منهم (من أنصاري الى الله) أى المحيط بكل شئ أى أنصروا دين الله
 تعالى مثل نصره الحواريين لما قال لهم عيسى عليه السلام من أنصاري الى الله أى من ينصرني
 مع الله تعالى (قال الحواريون) معلين انهم جادون في ذلك جدا لا يريدون عليه لعلمهم أن اجابته
 اجابة الله تعالى لانه لا ينطق عن الهوى فليس كلامه الا عن الله تعالى (نحن) أى بأجمعنا وكانوا
 اثني عشر رجلا وهم أول من آمن بعيسى (أنصرا الله) أى الملك الاعلى القادر على تمام نصرنا ولو
 كان عدونا لكل أهل الارض • ولما كان التقدير ثم دعوا كل من خالفهم من بنى اسرائيل وبارزهم
 تبسب عنه قوله تعالى (فأمنت) أى به (طائفة) أى ناس منهم أهل الاستدارة لمالهم من الكثرة
 (من بنى اسرائيل) قومه (وكفرت طائفة) أى منهم وأصل الطائفة القطعة من الشئ وذلك أنه
 لما رفع تفرق قومه ثلاث فرق فرقة قالوا كان الله فارفع وفرقة قالوا كان ابن الله فرفعه اليه
 وفرقة قالوا كان عبد الله ورسوله فرفعه اليه وهم المؤمنون واتبع كل فرقة منهم طائفة من الناس
 فاقبلوا وظهرت الفرقتان الكافرتان على الفرقة المؤمنة حتى بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه
 وسلم فظهرت الفرقة المؤمنة على الكافرة فذلك قوله تعالى (فأيدنا) أى قويا بعد رفع عيسى عليه
 السلام (الذين آمنوا) أى أقروا بالايان الخالص (على عدوهم) أى الذين عادوهم لأجل إيمانهم
 (فأصصوا) أى صاروا بعدما كانوا فيه من الذل (ظاهرين) أى عالين غاليين فاهرين في أقوالهم
 وأفعالهم لا يخافون أحدا ولا يستخفون منه وروى المغيرة عن ابراهيم قال فأصبحت نجة من
 آمن بعيسى عليه السلام ظاهرة تصديق محمد صلى الله عليه وسلم أن عيسى عليه السلام كلمة الله
 وعبدته ورسوله وقول اليساوى تعالى لم يخشى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
 الضحى كان عيسى مصليا عليه مستغفرا له مادام في الدنيا وهو يوم القيامة رفيقه حديث موضوع

﴿سورة الجمعة مدنية﴾

وهي إحدى عشرة آية ومائة وعشرون كلمة وسبع مائة وعشرون حرفا

روى مسلم عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة
 فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها ولا تقوم الساعة الا في يوم الجمعة وعنه أيضا قال
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن الأسخرون يوم القيامة ونحن أول من يدخل الجنة يبدأ بهم
 أو ثواب الكتاب الأول من قبلنا وأوتينا من بعدهم فاختلّفوا فهدانا الله تعالى لما اختلفوا فيه من
 الحق بإذنه فهدانا يومهم الذي اختلفوا فيه هداانا الله وقال يوم الجمعة فالיום لنا وغدا لليهود
 وبعد غد للنصارى (بسم الله) الذى أحاط علمه بكل معلوم فتم بيانه (الرحمن) الذى عت نعمته
 بيانه فهو العظيم شأنه (الرحيم) الذى خص حربه بالتوفيق فثبت عندهم حبه وإيمانه (يسبح)
 أى يقع التزنية الاعظم الانهى الاكمل (لله) أى الملك المحيط بكل شئ قدرة وعلما (ماتى)
 السموات) أى من جميع الاشياء من الملائكة وغيرها كالافلاك والنجوم (وماتى الارض)

كذلك من الآدميين وغيرهم كالشجر والثمار وقيل اللام من زيادة أى ينزه الله وأتى بـ عبدون من
 قال الجلال المحلى تغليباً للآكثر بحيث أن يكون المراد بالسماجحة العلو في شمل السماء وما فيها
 وبالارض جهة السفلى في شمل الارض وما فيها (الملك) أى الذى ثبت له جميع السمكالات فهو
 ينهر من يشاء من جسده ولو كان ذليلاً فيصبح ظاهراً (القدوس) أى المنزه عما لا يليق به وعن
 احاطة أحد من الخلق بعلمه وادراكه كنه ذاته فليس فى أيدي الخلق الا التردد في شهود انفعاله
 والتدبير لبقاهيم نعوته وجلاله وأحقهم بالقرب والعدادى حزنه المخلوق بأوصافه على قدر
 اجتهاده فينبغي للمؤمن التزعم عن ان يقول ما لا يفعل أو يبنى شيئاً من أمورهِ على غير احكام
 (العزير) أى الذى يغلب كل شئ ولا يغلبه شئ (الحكيم) أى الذى يوقع كل ما أراد فى أحكم
 مواقعهِ وأتمها واتقنها (هو) أى وحده (الذى عث فى الاميين) أى العرب لان أكثرهم
 لا يكتبون ولا يقرؤن والامى من لا يقرأ ولا يكتب (رسولانهم) أى من جملتهم أميامثالهم وهو
 محمد صلى الله عليه وسلم وما من حى من العرب الا وله صلى الله عليه وسلم فيهم قرابة وقد ولدوه قال
 ابن اسحق الابن تغلب فان الله تعالى طهر نبيه صلى الله عليه وسلم منهم فلم يجعل لهم عليه ولادة
 وكان أميام يقرأ من كتاب ولم يعلم صلى الله عليه وسلم علمه الله ما لم يكن يعلم من غير كتاب
 فكانت آثار البشرية عنه مدرسة وأنوار الحقائق علمه لا تحصى وذلك لئلا يتوهم الافتقار الى
 الاستعانة بالكتب لان مشاكسته لحال من بعث فيهم أقرب الى مساواتهم له لو أمكنهم فيكون
 معنى عدم إمكان المساواة أدل على الإعجاز وبعثه الى العرب لايبنى بعثه الى غيرهم لاسيما مع
 ما ورد فيه من صرائح الدلائل القطعية فذكر موضع البعث وابتداءه فتسكون الغاية مطلقة
 تقديرها الى عامة الخلق (يتلو) أى يقرأ قراءة يتبع بعضها بعضاً على وجه الكثرة والعلو
 والرفعة (عليهم) مع كونه أميامثالهم (آياته) أى يأتيهم بهم اعلى سبيل التجدد والمواصلة وهى
 القرآن الذى أعجز الجن والانس ان يأثوا بسورة من مثله (ويزكيهم) أى يظهرهم من الشرك
 والاخلاق الرذيلة والعقائد الزائفة فكانت تركيته لهم مدة حياته بنظره الشريف اليهم
 وتعليمه لهم وتلاوته عليهم فربما نظر الى الانسان نظرة محبة فزكاه الله تعالى بها بحسب
 القابليات والامور التى قضى الله تعالى أن تكون مهيآت فكان له أعشق فكان لا تباعه ألزم
 فكان فى كتاب الله وسنته أروى (ويعلمهم الكتاب) أى القرآن المنزل عليه الجامع لكل خير
 دينى ودنيوى فى الاولى والاخرى (والحكمة) وهى غاية الحكم للكتاب فى قوة فهمه والعمل
 به ففى العمل المزين بالعلم المتقن به وقال الحسن الكتاب القرآن والحكمة السنة وقال ابن
 عباس الكتاب الخط بالقلم والحكمة السنة لان الخط انما فشا فى العرب بالشرع لما أمروا
 بالتمييد بالخط وقال مالك بن أنس الحكمة الفقه فى الدين (وان) أى والحال أنهم (كأولاً)
 أى كانوا هو كالجملية لهم (من قبل) أى قبل ارساله اليهم (لنفسه) أى بعد عن
 المقصود (مبين) أى ظاهر فى نفسه منقاد غير انه ضلال باعته قادهم الا باطيل الظاهرة وظنهم
 انهم على شئ وعموم الجهل لهم ورضاهم به واختيارهم له وقوله تعالى (واخرين منهم) فيه

وجهان أحدهما أنه مجرور عطفًا على الاتيين أي وبعث في الآخرين من الاتيين أي
 الموجودين والاتيين منهم بعدهم (لما) أي لم (يلحقوا بهم) في السابقة والفضل والثاني
 أنه منصوب عطفًا على الضمير المنصوب في يعلمهم أي ويعلم آخرين لما يلحقوا بهم وسيلحقون وكل
 من تعلم شريعة محمد صلى الله عليه وسلم إلى آخر الزمان فرسول الله صلى الله عليه وسلم معلمه بالقوة
 لأنه أصل ذلك الخير العظيم والفضل الجسيم * (تنبيه) الذين لم يلحقوا بهم هم الذين لم يكونوا
 في زمنهم وسيجيئون بعدهم قال ابن عروس عبد بن جبيرهم العجم وفي الصحيحين عن أبي هريرة
 قال كُتِبَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزلت عليه سورة الجمعة فلما قرأها وآخرين منهم
 لما يلحقوا بهم قال رجل من هؤلاء يا رسول الله فلم يراجعه النبي صلى الله عليه وسلم حتى سأله مرة
 أو مرتين أو ثلاثًا قال وفيها سلمان الفارسي قال فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده على سلمان
 ثم قال لو كان الإيمان عند الثريا لتناولوه رجل من هؤلاء وفي رواية لو كان الدين عند الثريا
 لذهب به رجال من فارس أو قال من أبناء فارس حتى تناوله وقال عكرمة هم التابعون وقال
 مجاهد هم الناس كلهم يعني من بعد العرب الذين بعث فيهم محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابن زيد
 ومقاتل بن حبان هم من دخل في الإسلام بعد النبي صلى الله عليه وسلم إلى يوم القيامة
 وروى سهل بن سعد الساعدي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن في أصلاب أمتي رجالًا أولادًا
 يدخلون الجنة بغير حساب ثم تلاوا آخرين منهم لما يلحقوا بهم قال ابن عادل والقول الأول أثبت
 وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال رأيتني أسقي غنما سودا ثم اتبعها غنما عقرًا أولها يا أبا بكر
 قال يا بني الله أما السوداء فالعرب وأما العقر فالعجم تتبعك بعد العرب فقال النبي صلى الله عليه
 وسلم كذلك أولها الملك يعني جبريل عليه الصلاة والسلام رواه ابن أبي ليلى عن رجل من
 أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وهو علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه (وهو) أي والحال
 أنه وحده (العزير) أي الذي يقدر على كل ما أراد ولا يغلبه شيء فهو يزكي من يشاء ويعلم ما
 أراد من أي طائفة كان ولو كان أجهل أهل تلك الطائفة لأن الأسماء كلها بيده (الحكيم)
 فهو إذا أراد شيئًا ما وافقا لشعره وأمره جعله على أتمن الوجوه وأوثقها فلا يستطيع نقضه
 ومهما أراد كيف كان فلا بد من إنفاذه فلا يطاق وقده بوجه * ولما كان هذا أمرًا باهرًا عظمه
 بقوله تعالى على وجهه الاستئثار من قدرته (ذلك) الأمر العظيم الرتبة من تفضيل الرسول
 وقومه وجعلهم متبوعين بعد أن كان العرب أتباعًا لا وزن لهم عند غيرهم من الطوائف (فضل
 الله) أي الذي له جميع صفات الكمال والفضل ما لم يكن مستحقًا بخلاف الفرض (يؤتية
 من يشاء) قال ابن عباس حيث الحق العجم بقريش وقال الكلبي يعني الإسلام فضل الله يؤتية
 من يشاء وقال مقاتل يعني الوحي والنبوة وقبل أنه المال يتفق في الطاعة لما روى أبو صالح
 عن أبي هريرة رضي الله عنه أن فقراء المهاجرين أنوار رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ذهب
 أهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم فقال وما ذاك فقالوا يصلون كأنهم يصلون ويصومون
 كأنهم يصومون ويتصدقون ولا تصدق ويعتقون ولا تعتق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

أفلا أعلم كم شيأ تذكرون به من سبقكم وتسبقون به من بعدكم ولا يكون أحد أفضل منكم
الامن صنع مثل ما صنعتهم قالوا بلى يا رسول الله قال تسبحون وتكبرون وتحمدون دبر كل صلاة
ثلاثا وثلاثين مرة قال أبو صالح فرجع فقراء المهاجرين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا
سمع اخواننا من أهل الاموال بما فعلنا ففعلوا مثله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك
فضل الله يؤتيه من يشاء وقيل انه انقياد الناس الى تصديق النبي صلى الله عليه وسلم ودخولهم
في دينه ونصرته (والله) الملك المحييط بكل شيء قدرة وعلما (ذو الفضل العظيم) ولم تترك اليهود
العمل بالثوراة ولم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ضرب الله تعالى لهم مثلا بقوله تعالى (مثل
الذين حملوا التوراة) أي كلفوا والزموا حمل الكتاب الذي آتاه الله تعالى لبني اسرائيل على
لسان موسى عليه الصلاة والسلام بأن علمهم اياها سبحانه وكلفهم حفظها لفاظها عن التغير
والنسيان ومعانيها عن التعريف والتليس وحدودها واحكامها عن الاهمال والتضييع
(ثم لم يحملوها) أي بأن حملوا لفاظها ولم يعملوا بما فيها من الوصية بتابع عيسى عليه الصلاة
والسلام اذا جاءهم ثم بمحمد صلى الله عليه وسلم اذا جاءهم في ضارة لهم بشهادتهم عليهم فاذا
لهم النار من غير تنفع أصلا (كمثل) أي مثل مثل (الحمار) أي الذي هو أبلد الحيوان فهو مثل
في الغباوة حال كونه (يحمل أسفارا) أي كتبنا كبارا من كتب العلم جمع سفر وهو الكتاب
الكبير المسفر عاقيه في عدم الانتفاع بها لانه يمشی ولا يدرى منها الا ما يضر بمجنيبه
ويظهره من السكد والتعب وكل من علم ولم يعمل بعلمه فهذا مثله ومثل ذلك قول الشاعر

زوامل للأسفار لا علم عندهم * يجيدها الا كعلم الاباعر

لعمرك ما يدرى البعير اذا غدا * باجماله أو راح ما في الغرائر

من انشاد الشيخ ابن الخطيب (بنس مثل القوم) أي الذين لهم قوة شديدة على محاولة ما يريدون
(الذين كذبوا) أي محمد اعلى علم (بايات الله) أي دلالات الملك الاعظم على رسله ولا سيما محمد
صلى الله عليه وسلم والخصوص بالذم محذوف تقديره هذا المثل (والله) أي الذي له جميع
صفات الكمال (لا يهدي القوم) أي لا يخلق الهداية في قلوب الذين تعمدوا الزبغ
(الظالمين) أي الذين تعمدوا الظلم بمنايذة الهدى الذي هو البيان الذي لم يدع لبسا حتى صار
الظلم لهم صفة راسخة * ولما ادعت اليه ود الفضيلة وقالوا نحن أبناء الله وأحباؤه نزل قوله
تعالى (قل) أي بأشرف الرسل (يا أيها الذين هادوا) أي تدبروا باليهودية (ان زعمتم) أي قلتم
قولا هو عرض للتكذيب ولذلك أكتبوه (انكم أولياء الله) أي الملك الاعلى الذي لا أمر
لاحدهم * خصكم بذلك خصوصية مبتدأة (من دون) أي أدنى رتبة من رتب (الناس)
فلم تنفذ الولاية وتلك الرتبة في الدنيا الى أحد منهم غيركم بل خصكم بذلك عن كل من فيه أهلية
الحركة لاسيما الامتين (فتمتوا الموت) وأخبروا عن أنفسكم بذلك للثقل من دار البلاء الى محل
الكرامة والا لآء (ان كنتم) أي كوناراسخنا (صادقين) أي غير يقين عند أنفسكم
في الصدق فان من علامات المحبة الاشتياق الى المحبوب ومن المقطوع به ان من كان في كدر

وكان له ولي قد وعدته عند الوصول اليه الراحة التي لا يشوبها اضطراب حتى النقلة الى وليه روى
 انه صلى الله عليه وسلم قال لهم والذي نفسي بيده لا يقولها أحد منكم الا غص بريقه فلم يقلها
 منهم أحد علما منهم بصدقه صلى الله عليه وسلم فلم يقولوا ولم يؤمنوا عنادا منهم ثم أخبر الله تعالى
 عنهم انهم لا يتنونه في المستقبل أيضا بقوله تعالى (ولا يتنونه) أي في المستقبل (أبدا بما قدمت
 أيديهم) أي بسبب ما قدموا من الكفر والمعاصي التي أحاطت بهم فلم تدع اليهم خطا في الآخرة
 * (تنبيهه) * قال تعالى هنا ولا يتنونه وفي البقرة وإن يتنوه قال الزمخشري لافرق بين لا ولن
 في أن كل واحدة منهما تنفي للمستقبل إلا أن في لن تأكيد وتشديد ليس في لا فأي مرة بل لفظ
 التأكيد ولن يتنوه ومرة بغير لفظه ولا يتنونه قال أبو حيان وهذا رجوع منه عن مذهبه وهو
 أن لن تقتضي النفي على التأكيد الى مذهب الجماعة وهي أنهما لا تقتضيهما قال بعضهم وليس فيه
 رجوع غاية ما فيه انه سكت عنه وتشريع يكد بين لا ولن في نفي المستقبل لا ينفي اختصاصا لن بمعنى
 آخر اء ودعواهم الولاية الى التوسل الى الجنة لا يلزم منها الاختصاص بالنعم بدليل ان الدنيا
 ليست خالصة للأولياء المحقق لهم الولاية بل البر والفاجر مشتركون فيها (والله) أي الذي له
 الأحاطة بكل شيء قدرة وعلم (عليه) بالغ العلم محيط بهم هكذا كان الأصل ولكنه تعالى قال
 (بالظالمين) نعيما وتعليقا بالوصف لا بالذات فالعنى انه عالم بأصحاب هذا الوصف الراخين فيه
 منهم ومن غيرهم فهو مجازيهم على ظلمهم (قل) أي له ولا يأسرف الرسل (إن الموت الذي
 تفرون منه) بالكف عن التني (فانه ملاقبكم) أي لا تفوتونه لاحق بكم * (تنبيهه) * في هذه القاء
 وجهان أحدهما انهم اذا دخلوا تضمنه الاسم من معنى الشرط وحكم الموصوف بالموصول
 حكم الموصول في ذلك قال الزجاج لا يقال ان زيد اغتسلق وهما قال فانه ملاقبكم لما في معنى
 الذي من الشرط والجزاء أي ان فررت منه فانه ملاقبكم ويكون مبالغة في الدلالة على انه لا يتفقد
 القرار منه الثاني انها مزيدة محضة لا للتضمن المذكور * ولما كان الحليس في البرزخ أمر الابد
 منه مهولا لانه عليه وعلى طوله بأداة التراخي فقال تعالى (ثم تردون الى عالم الغيب) أي السر
 (والشهادة) أي العلانية أو كل ما غاب عن الخلق وكل ما شوهده (فينبئكم) أي يخبركم اخبارا
 عظيمة مستقصى مستوفي (بما كنتم) أي بما هولكم كالجبلية (تعملون) أي بكل جر منه
 بما برز الى الخارج وبما كان في جيب لا تسكم ولو بقيتم لقلعتموه ليجازيكم (يا أيها الذين آمنوا)
 أي اقرؤا بالسنة بالايان (اذنوا) أي من أي مناد كان من أهل النداء (للصلاة) أي
 صلاة الجمعة (من) أي في (يوم الجمعة) كقوله تعالى أروني ماذا خلقوا من الارض أي
 في الارض والمراد بهذا النداء الاذان عند قعود الامام على المنبر للخطبة لانه لم يكن في عهد
 رسول الله صلى الله عليه وسلم نداء سواه كان اذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر على
 أذن بلال وعن السائب بن يزيد قال كان النداء يوم الجمعة أوله اذا جلس الامام على المنبر على
 عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر فلما كان عثمان وكثر الناس زاد النداء الثاني
 على الدور زاد في رواية فثبت الامر على ذلك وعن أبي داود قال كان يؤذن بين يدي رسول الله

صلى الله عليه وسلم اذا جلس يوم الجمعة على المنبر على باب المسجد روى انه كان لرسول الله صلى
 الله عليه وسلم مؤذن واحد فكان اذا جلس على المنبر أذن على باب المسجد فاذا نزل أقام الصلاة
 ثم كان أبو بكر وعمر وعلي بالكوفة على ذلك حتى اذا كان عثمان وكثر الناس وتباعدت المنازل
 زاد أذاناً آخر فأمر بالتأذين الاول على داره التي تسمى زوراء فاذا سمعوا أقبلوا حتى اذا جلس
 عثمان على المنبر أذن الاذان الثاني الذي كان على زمن النبي صلى الله عليه وسلم فاذا نزل أقام
 الصلاة فلم يعب ذلك عليه لقوله صلى الله عليه وسلم عليكم يستقي سنة الخلفاء الراشدين من بعدى
 قال الماوردي أما الاذان الاول فحدث فعليه عثمان بن عفان ليشأب الناس لحضور الخطبة
 عند اتساع المدينة وكثرة أهلها وكان عمر أمر أن يؤذن في السوق قبل المسجد ليقوم الناس
 عن سوقهم فاذا اجتمعوا أذن في المسجد فجعله عثمان أذانين في المسجد قال ابن العربي
 وفي الحديث الصحيح ان الاذان كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم واحدا فلما كان زمن
 عثمان زاد النداء الثالث على الزوراء وسماه في الحديث ثالثاً لأنه أضافه الى الإقامة كقوله
 صلى الله عليه وسلم بين كل أذانين صلاة لمن شاء يعنى الاذان والإقامة وتوهم بعض الناس
 انه أذان أصلي فجعلوا المؤذنين ثلاثة قال ابن عادل فكان وهما ثم جعوههم في وقت واحد
 فكان وهما على وهم واختلفوا في تسمية هذا اليوم جمعة ففهم من قال لان الله تعالى جمع فيه
 خلق آدم عليه الصلاة والسلام روى مالك عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
 خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم عليه الصلاة والسلام وفيه أهبط وفيه مات
 وفيه تاب الله عليه وفيه تقوم الساعة وهو عند الله يوم المزيدي وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال
 أنا نبي جبريل وفي كفه مرآة يضاء وقال هذه الجمعة يعرضها عليك ربك لتكون لك عيداً ولا تمك
 من بعدك وهو سبب الايام عندنا ونحن ندعوه في الآخرة يوم المزيدي ومنهم من قال لان
 الله تعالى فرغ من خلق الاشياء فاجتمعت فيه المخلوقات ومنهم من قال لاجتماع الجماعات فيه
 للصلاة وقيل أول من سمي هذا اليوم جمعة كعب بن لؤي قال أبو سلمة أول من قال أما بعد
 كعب بن لؤي وكان أول من سمي الجمعة جمعة وكان يقال له يوم العروبة وعن ابن سيرين
 قال جمع أهل المدينة قبل أن يقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وقبل أن تنزل الجمعة
 وهم الذين سموها الجمعة وقيل ان الانصار قالوا لله وديوم يجتمعون فيه كل سبعة أيام
 وللنصارى مثل ذلك فلهما فاجعل لنا يوماً ما نجتمع فيه فذكر الله تعالى فيه ونصلي فقالوا
 يوم السبت لليهود ويوم الاحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة فاجتمعوا الى أسعد بن زرارة فصلى
 بهم يومئذ ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم فيه ثم أنزل الله تعالى آية الجمعة
 فهي أول جمعة كانت في الاسلام وروى عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه كعب
 انه كان اذا سمع النداء يوم الجمعة ترحم لأسعد بن زرارة فقلت له اذا سمعت النداء ترحم لأسعد
 ابن زرارة قال لانه أول من جمع بنا في هزم النبت من حرة بني يامضة في بقيع يقال له بقيع
 الخضم ان قلت له كم كنتم يومئذ قال أربعين أخرجه أبو داود وأما أول جمعة جمعها النبي

صلى الله عليه وسلم بأصحابه فقال أهل السير لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم مهاجرا نزل قباء
 على بن عمرو بن عوف يوم الاثنين لاثني عشر ليلة خلت من شهر ربيع الأول حين اشتهت
 الضحى ومن تلك السنة بعد التار يخ فأقام بها إلى يوم الخميس وأسس مسجدهم ثم خرج
 يوم الجمعة حامدا المدينة فأدركته صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن وأدلهم قد اتخذ
 القوم في ذلك الموضع مسجدا فجمع بهم وخطب وهي أول خطبة خطبها بالمدينة وقال فيها
 الحمد لله أحمد وأستعينه وأستغفره وأستهديه وأؤمن به ولا أكفره وأعادي من يكفر به
 وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى
 ودين الحق والتمور والموعظة والحكمة على فترة من الرسل وقلة من العلم وضلالة من الناس
 وانقطاع من الزمان ودنو من الساعة وقرب من الاجل من يطع الله ورسوله فقد رشده ومن
 يعص الله ورسوله فقد غوى وفرط وضل ضلالا بعيدا أوصيكم بتقوى الله فإن خير ما أوصى به
 المسلم المسلم أن يرضه على الآخرة وأن يامر به بتقوى الله واحذروا ما حذركم الله
 من نفسه فإن تقوى الله لمن عمل بها على وجل ومحافة من ربه عنوان صدق على ما تبغون من
 الآخرة ومن يصلح الذي بينه وبين الله من أمره في السر والعلانية لا يتوى به الاوجه الله
 يكن له ذكر في عاجل أمره وذخر افيما بعد الموت حين يقتدر المرء الى ما قدم وما كان مما سوى
 ذلك يدلول أن بينه وبينه أمد ابعيدا ويحذركم الله نفسه والله رؤف بالعباد وهو الذي صدق
 قوله وأنجز وعده لا خلف الا ذلك فانه يقول ما يبدل القول لدى وما أنا بظلام للعبيد فأتقوا الله
 في عاجل أمركم وآجله في السر والعلانية فانه من يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا
 ومن يتق الله فقد فاز فوزا عظيما وإن تقوى الله تقوى مقتسه وتوق عقوبته وتوق بخطئه
 وإن تقوى الله تبيض الوجه وترضى الرب وترفع الدرجة تخذوا بحظكم ولا تفرطوا في جنب
 الله فقد علمكم في كتابه وأوضح لكم سبيله لعل الذين صدقوا ويعلم الكاذبين وأحسنوا
 كما أحسن الله اليكم وعادوا أعداءه وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وسميكم
 المسلمين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة ولا حول ولا قوة الا بالله فأكثر واذا ذكر الله
 تعالى واعملوا لما بعد الموت فانه من يصلح ما بينه وبين الله يكفه الله ما بينه وبين الناس ذلك
 بأن الله يقضى على الناس ولا يقضون عليه ويملك من الناس ولا يملكون منه الله أكبر ولا حول
 ولا قوة الا بالله العلي العظيم قال بعضهم قد أبطل الله تعالى قول اليهود في ثلاث افتخروا
 بأنهم أوليا الله وأحبوا فكذبهم في قوله فقتلوا الموت ان كنتم صادقين وبأنهم أهل الكتاب
 والعرب لا كتاب لهم فبشبههم الله بالجار يحمل أسفارا وبالسبت وأنه ليس للمسلمين مثله فشرع
 الله تعالى لهم يوم الجمعة * (تنبيه) * سمي الله تعالى الجمعة ذكره قال أبو حنيفة ان اقصر
 الخطيب على مقدار يسمى ذكر الله كقوله الحمد لله سبحان الله جاز وعن عثمان أنه صعد المنبر
 فقال الحمد لله فارتج عليه فقال ان أبابكر وعمر كانا بعد ان لهذا المقام مقالا وانكم الى امام
 فعال أخرج منكم الى امام قوال وستأتيكم الخطب ثم نزل وكان ذلك بحضرة الصحابة فلم ينكر

عليه أحد وعند صاحبيه والشافعي لا بد من كلام يسمى خطبة ولها أركان وشروط مذكورة
 في الفقه (فان قيل) كيف يصر ذكر الله بالخطبة وفيه اذ كر غير الله (أجيب) بأن ما كان من ذكر
 رسوله والثناء عليه وعلى خلفائه الراشدين وأتقياء المؤمنين والموعظة والتذكير فهو في حكم
 ذكر الله وأما ما عد ذلك من ذكر الطلعة والقابهم والثناء عليهم والدعاء لهم وهم أحق بعكس ذلك
 فمن ذكر الشيطان وهو من ذكر الله على مرأجل فان المنصت للخطبة اذا قال لصاحبه صدق فقد
 لغا فلا يكون الخطيب المعالي في ذلك لا غمنا نعوذ بالله من غربة الاسلام ومن نكد الايام وقد
 خاطب الله تعالى المؤمنين بالجمعة دون الكافرين تشريفا لهم وتكريما فقال يا أيها الذين آمنوا
 ثم خصه بالنداء وان كان قد دخل في عموم قوله تعالى واذا ناديتهم الى الصلاة ليدل على وجوبه
 ونأكد فرضه وقال بعض العلماء كون الصلاة بالجمعة ههنا معلوم بالاجماع لامن نفس اللفظ
 وقال ابن العربي وعندي انه معلوم من نفس اللفظ بسكته وهي قوله تعالى من يوم الجمعة وذلك
 يفيد لان النداء الذي يختص بذلك اليوم هو نداء تلك الصلاة وأما غير ههنا وعام في سائر الايام
 ولولم يكن المراد بنداء الجمعة لما كان تخصيصه بها واضافة اليه معنى فلا فائدة فيه واختلف
 في معنى قوله تعالى (فاسعوا) أي لتكونوا أولياء الله ولا تتهاونوا في ذلك فقال الحسن والله ما هو
 سعي على الاقدام ولكنه سعي بالقلوب والنية وقال الجمهور السعي العمل لقوله تعالى ومن
 أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن وقوله تعالى ان سعيكم لشتى وقوله تعالى وان ليس
 للانسان الا ما سعى وعن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا أقيمت الصلاة فلا
 تأتوها وانتم تسعون ولكن اتوها متشوقين وعليكم السكينة فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتوا
 واختلفوا أيضا في معنى قوله تعالى (الى ذكر الله) أي الملك الاعظم فقال سعيد بن المسيب
 هو موعظة الامام وقال غيره الخطبة والصلاة المذكورة بالملك الاعظم الذي من انقطع
 عن خدمته هلك * ولما أمر بالمبادرة الى تجارة الآخرة قال تعالى ناهيا عن تجارة الدنيا
 التي تعوق عن الجمعة (وذروا البيع) أي اتركوا البيع والشراء لان اسم البيع يتناولهما
 جميعا وانما يحرم البيع والشراء عند الاذان الثاني وقال الزهري عند خروج الامام وقال
 الفخيم اذا زالت الشمس حرم البيع والشراء وانما خص البيع من بين الامور الشاغلة
 عن ذكر الله تعالى لان يوم الجمعة يوم تهبط الناس فيه من بواديهم وقراهم وينصبون الى المصر
 من كل أوب ووقت هبوطهم واجتماعهم واختصاص الاسواق بهم اذا انتفخ النهار وتعالى
 الضحى ودنا وقت الظهيرة وحينئذ تجز التجارة ويتكاثر البيع والشراء فلما كان ذلك الوقت
 مظنة للذهول بالبيع عن ذكر الله والمضى الى المسجد قبل بادروا بتجارة الآخرة واتركوا
 تجارة الدنيا واسعوا الى ذكر الله (ذلكم) أي الامر العالي الرتبة من فعل السعي وترك
 الاشتغال بالدنيا (خير لكم) لان الامر الذي أمركم به الذي له الامر كله وهو يريد تطهيركم
 في أديانكم وأبدانكم وأموالكم ويبدد اسعادكم واشتاقكم (فان قيل) اذا كان البيع في هذا
 الوقت محرما فهل هو فاسد (أجيب) بأن عامة العلماء على أن ذلك لا يوجب فساد البيع قالوا

لأن البيع لم يحرم لعينه ولكن لما فيه من الذهول عن الواجب فهو كالصلاة في الأرض
 المغصوبة والثوب المغصوب والوضوء بما مغصوب وعن بعض الناس أنه فاسد وزاد في الحث
 على ذلك بقوله تعالى (ان كنتم) أي بما هو لكم كالجبل (تعلون) أي يتجدد لكم علم في يوم
 من الايام فأنتم ترون ذلك خيرا فإذا علمتموه خيرا أقبلتم عليه فكان ذلك خيرا لكم وصلاة الجمعة
 فرض عين يجب على كل من جع الاسلام والبلوغ والعقل والحرية والذكورة والاقامة
 اذ لم يكن له عذر مما ذكره الفقهاء ومن تركها استحق الوعيد قال صلى الله عليه وسلم لئن تين
 أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله تعالى على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين وروى أنه
 صلى الله عليه وسلم قال من ترك الجمعة ثلاث مرات تها وبها طبع الله تعالى على قلبه قال
 ابن عادل ونقل عن بعض الشافعية أن الجمعة فرض على الكفاية أمان به عذر يعذره
 في ترك الجماعة مما يتصور هنا فلا تجب عليه وتجب على أعمى وجسد فاند أو شيخ هرم وزمن
 وجدا مر كمالا يشق ركوبه عليهم واختلف أهل العلم في موضع إقامة الجمعة وفي العدد الذي
 تنعقد به الجمعة وفي المسافة التي يجب أن يوفي منها فذهب قوم الى أن كل قرية اجتمع فيها
 أربعون رجلا بالصفة المتقدمة تجب عليهم إقامة الجمعة فيها وهو قول عبد الله بن عمر وعمر
 ابن عبد العزيز وبه قال الشافعي وأحمد واسحق قالوا لا تنعقد الجمعة بأقل من أربعين رجلا
 على هذه الصفة وشرط عمر بن عبد العزيز مع الأربعين أن يكون فيهم وال وعند أبي حنيفة
 تنعقد بأربعة والوالى شرط ولا تقام عنده الا في مصر جامع وقال الاوزاعي وأبو يوسف
 تنعقد بثلاثة ان كان فيهم وال وقال الحسن وأبو ثور تنعقد باثنين كسائر الصلوات وقال
 شعبة تنعقد باثني عشر رجلا ولا تجب الجمعة على أهل البوادي الا اذا سمعوا النداء من موضع
 تقام فيه الجمعة فيلزمهم الحضور وان لم يسمعوا فلا الجمعة عليهم وبه قال الشافعي وأحمد واسحق
 والشرط أن يبلغهم نداء مؤذن جهوري الصوت في وقت تكون الاصوات هادئة والرياح
 ساكنة فكل قرية تكون من موضع الجمعة في القرب على هذا القدر يجب على أهلها حضور
 الجمعة وقال سعيد بن المسيب تجب الجمعة على من آواه المبيت قال الزهري تجب على من كان
 على ستة أميال وقال ربيعة على أربعة أميال وقال مالك والليث على ثلاثة أميال وقال
 أبو حنيفة لا الجمعة على أهل البوادي سواء كانت القرية قريبة أم بعيدة دليل الشافعي ومن
 وافقه ما روى البخاري عن ابن عباس أن أول جمعة جفت بعد جمعة في مسجد رسول الله صلى
 الله عليه وسلم في مسجد عبد القيس بجوانا من البحرين ولابي داود نحوه وفيه بجوانا قرية من
 قري البحرين * (تنبيه) * فضل يوم الجمعة مشهور وأحاديثه كثيرة مشهورة تقدم بعضها ومنها
 أن الله يعق في كل جمعة ستمائة عتيق من النار وعن كعب أن الله تعالى فضل من البلدان
 مكة ومن الشهور رمضان ومن الايام الجمعة وقال صلى الله عليه وسلم من مات يوم الجمعة كتب
 الله له أجر شهيد وورق قنطرة القبر وفي الحديث اذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على أبواب
 المساجد بأيديهم صحف من فضة وأقلام من ذهب يكتبون الا قول فالاول على مراتبهم قال

الرخمشري وكانت الطرقات في أيام السلف وقت السحر وبعد الفجر مقتصة بالمكبرين الى الجمعة
 بمشون بالسرج وقيل أول بدعة أحدثت في الاسلام ترك البكور الى الجمعة وعن ابن مسعود
 أنه بكر فرأى ثلاثة نفر سبقة ووافعتم وأخذ يعاتب نفسه ويقول أرا الرابع أربعة ومارابع
 أربعة بسعيد وعن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من اغتسل يوم الجمعة غسل
 الجنابة أى مثل غسلها ثم راح في الساعة الاولى كان كمن قرب بدنة ومن راح في الساعة
 الثانية فكانت اقرب بقرة ومن راح في الساعة الثالثة فكانت اقرب كبشاً اقرب ومن راح
 في الساعة الرابعة فكانت اقرب دجاجة ومن راح في الساعة الخامسة فكانت اقرب بيضة
 فاذا خرج الامام حضرت الملائكة يسعون الذكر وروى النسائي في الخامسة كالذي يهذى
 عصفورا وفي السادسة بيضة فمن جاء في أول ساعة منها ومن جاء في آخرها مشرك كان في تحصيل
 البدنة مثلاً لكن بدنة الاول أكمل من بدنة الآخر وبدنة المتوسط متوسطة وهذا في حق غير
 الامام أما هو فيسن له التأخير الى وقت الخطبة اتباعاً للنبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه ويسن
 اكثر الدعاء يومها وليلتها أما يومها فلربما أن يصادف ساعة الاجابة وهي ساعة خفية وارجاها
 من جلوس الخطيب الى آخر الصلاة كما في خبر مسلم قال النووي وأما خبر يوم الجمعة ثلث عشرة
 ساعة فيه ساعة لا يوجد مسلم يسأل الله شيئاً الا أعطاه اياه فالتسوها آخر ساعة بعد العصر
 فيجتمل ان هذه الساعة مستقلة تكون يوماني وقت يوماني آخر كما هو المختار في ليلة القدر
 وأما ليلتها فبالقياس على يومها وقد قال الشافعي بلغني ان الدعاء يستجاب في ليلة الجمعة ويسن
 اكثر الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في يومها وليلتها لخبر اكثر واعلى من الصلاة ليلة
 الجمعة ويوم الجمعة فمن صلى على صلاة صلى الله عليه به عشرين او اكثر قرأ سورة الكهف يومها
 وليلتها لخبر من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أضاعه من النور ما بينه وبين البيت العتيق وخبر
 من قرأها يوم الجمعة أضاعه من النور ما بين الجمعة وفي هذا القدر كفاية ولما حدث على الصلاة
 وأرشد الى أن وقتها لا يصلح لطلب شئ غير هابين لهم وقت المعاش بقوله تعالى (فاذا قضيت
 الصلاة) أى وقع الفراغ منها على أى وجه كان (فانتشروا) أى فنبوا وتفرقوا يجتمعون
 (في الارض) أى جميعها للتجارة والتصرف في حوائجكم ان شئتم لاجناح عليكم ولا حرج رخصة
 من الله تعالى لكم (وابتغوا) أى اطلبوا الرزق (من فضل الله) أى الذى يسهل كل شئ ولا شئ غيره
 وهذا أمر اباحه كقوله تعالى واذا حلتم فاصطادوا قال ابن عباس ان شئت فأنرج وان شئت
 فاقعد وان شئت فصل الى العصر وقيل فانتشروا في الارض ليس لطلب دنيا ولكن لعبادة
 مريض وحضور جنازة وزيارة أخ في الله تعالى وقال الحسن وسعيد بن جبير ومكحول وابتغوا
 من فضل الله هو طلب العلم (واذكروا الله) أى الذى له الامر كله (كثيراً) أى بحيث لا تغفلون
 عنه بقلوبكم أصلاً ولا بألسنتكم حتى عند الدخول الى الخلاع وعند أول الجماع واستغنى عن الثانى
 وقت التلبس بالقدر كوقت قضا الحاجة والجماع (لعلكم تفلحون) أى تفوزون بالجنة والنظر الى
 وجهه الكريم وعن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخطف قائماً يوم الجمعة

فجاءت عير من الشام فانقل الناس اليها حتى لم يبق الا اثنا عشر رجلا وفي رواية انهم فانزل الله
 تعالى (واذا راوا تجارة) أي جولا هي موضع للتجارة (أو لهوا) أي ما يلهي عن كل نافع
 (انقضوا) أي نفروا متفرقين من العجالة (اليها) أي التجارة لانها مطلوبهم دون الله وأيضاً
 العطف بأوفراد الضمير أولى وقال الزنجشري تقديره اذا راوا وتجارة انقضوا اليها ولهوا
 انقضوا اليه فخذف أحدهما للدلالة المذكور عليه وذكر الكلبي وغيره ان الذي قدم به ادحية بن
 خليفة الكلبي من الشام عن مجاعة وغلاء سعر وكان معه جميع ما يحتاج اليه الناس من بر
 ودقيق وغيره فنزل عندا حجار الزيت وضرب الطبل ليؤذن الناس بقدمه فخرج الناس الا اثني
 عشر رجلا وقيل احد عشر رجلا وقال ابن عباس في رواية الكلبي لم يبق في المسجد الا ثمانية
 رهط وقال الحسن وأبو مالك أصاب أهل المدينة جوع وغلاء سعر فقدم دحية بن خليفة بتجارة
 زيت من الشام والنبي صلى الله عليه وسلم بخطب يوم الجمعة فلما رأوه قاموا اليه بالبيع خشوا
 ان يسبقوا اليه فلما لم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم الا رهط منهم أبو بكر وعمر فنزلت هذه الآية
 فقال صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده لو تابعتهم حتى لم يبق منكم أحد لسال بكم الوادي
 نارا وقال مقاتل بن حبان ومقاتل بن سليمان يتخار رسول الله صلى الله عليه وسلم بخطب يوم
 الجمعة اذ قدم دحية بن خليفة الكلبي من الشام بالتجارة وكان اذا قدم المدينة لم يبق بالمدينة
 عاتق الا أتمته وكان يقدم بكل ما يحتاج اليه من دقيق وغيره فينزل عندا حجار الزيت وكانت
 في سوق المدينة ثم يضرب بالطبل ليؤذن الناس بقدمه فخرج اليه الناس ليتابعوا منه فقدم
 ذات جعة وكان ذلك قبل أن يسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر بخطب فخرج
 اليه الناس ولم يبق في المسجد الا اثنا عشر رجلا واهرأه فقال النبي صلى الله عليه وسلم لولا
 هؤلاء لميت عليهم الحجارة من السماء وأنزل الله تعالى هذه الآية والمراد بالله الطبل وقيل
 كانت الغيرة اذا قدمت المدينة استقبلوا بالطبل والتصفيق وقال علقمة سئل عبد الله أكان
 رسول الله صلى الله عليه وسلم بخطب قائماً أو قاعدا فقال أمانقرأ ور كوله قائماً وعن جابر بن
 عبد الله قال كان النبي صلى الله عليه وسلم بخطب يوم الجمعة خطبتين قائماً يفضل بينهما يجالس
 وذكر أبو داود في مراسيله السبب الذي ترخصوا لانفسهم في ترك سماع الخطبة وقد كانوا
 خليفاً لفضلهم أن لا يفعلوا فقال حدثنا محمد بن خالد قال حدثنا الوليد قال أخبرني أبو معاذ بكير
 بن معروف انه سمع مقاتل بن حبان قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة قبل
 الخطبة كالعبد حتى كان يوم جعة والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب وقد صلى الجمعة فدخل
 رجل يقال له دحية بن خليفة قدم بتجارة وكان دحية اذا قدم تلقاه اهل بالدقوف فخرج الناس
 فلم يظنوا الا أنه ليس في ترك الخطبة شيء فانزل الله تعالى هذه الآية تقدم النبي صلى الله عليه
 وسلم يوم الجمعة الخطبة وأخر الصلاة وكان لا يخرج أحد لرعاها او حدث بعد النهي حتى
 يستأذن النبي صلى الله عليه وسلم بشير اليه باصبعه التي تلي الابهام فيأذن له النبي صلى الله
 عليه وسلم ثم بشير اليه بيده فكان في المنافقين من تنقل عليه الخطبة والجلاس في المسجد فكان

إذا استأذن رجل من المسلمين قام المناق إلى جنبه مستترابه حتى يخرج فأنزل الله تعالى قد
يعلم الله الذين يتسللون منكم لو إذا الآية قال السهيلي وهذا الخبر وإن لم ينقل من وجه ثابت
فالظن الجليل بأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يوجب أن يكون صحيحا وقال قتادة وبلغنا
أنهم فعلوه ثلاث مرات كل مرة غير تقديم من الشام وكل ذلك يوافق يوم الجمعة وقيل إن
خروجهم لقدوم دحية بجارته وتطهرهم إلى العيروهي عزلهوا فائدة فيه إلا أنه كان مما لا انتم فيه
لوقوع على ذلك الوجه ولكنه لم ينصل به الأعراض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
والانقضاء عن حضرة غلط وكبر ونزل فيه من القرآن وتنجيسه باسم الله وما نزل وقوله
تعالى (وتركوك) أي تخطب حتى يقب في اثني عشر رجلا قال جابر أنا أحدهم (فأثما) جملة
حالية من فاعل انقضوا وقد مقدرة عند بعضهم * (تنبية) * في قوله تعالى فأثما تنبيهه على
مشروعيته في الخطبتين وهو من الشروط للقادر على القيام وأما أركان ما خمسة جد الله
تعالى وصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بلفظهما ووصية بتقوى الله وهذه الثلاثة
في كل من الخطبتين وقراءة آية مفهومة ولو في أحدها ما والاولى أولى ودعاء للمؤمنين
والمؤمنات في ثانية ومن الشروط كونها عربيين وكونها في الوقت ولام وطهر وستر
كالصلاة (قل) يا أشرف المخلوق للمؤمنين (ما عند الله) أي المحيط بجميع صفات الكمال
(خير) ما موصولة مبتدأ وخبر خبرها (من الله ومن التجارة) والمعنى ما عند الله تعالى من
نواب صلاتكم خير من لذة لهوكم وفائدة تجارتكم وقيل ما عند الله من رزقكم الذي قسمه لكم
خير مما اقتبستموه من لهوكم وتجاريتكم (والله) أي ذو الجلال والإكرام وحده (خير
الرازقين) أي خير من رزق وأعطى فاطموا منه واستعينوا بطاعته على نيل ما عنده من خيري
الدنيا والآخرة وما قاله البيضاوي تعالى لا تخشى من الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة
الجمعة أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد من أتى الجمعة ومن لم يأتها في أمصار المسلمين
حديث موضوع

﴿سورة المنافقين مدنية﴾

(وهي إحدى عشرة آية ومائة وعشرون كلمة وسبع مائة وستة وسبعون حرفا)

(بسم الله) الذي له الإحاطة العظمى علما وقدرة (الرحمن) الذي ستر بعموم رحمته من أراد
من عباده (الرحيم) الذي وفق أهل وده لما يحب ويرضاه (إذا جاءك) يا أيها الرسول المبشر
بك في التوراة والإنجيل. وقرأ حمزة وابن ذكوان بالامالة والباقون بالفتح وإذا وقف حمزة
مهل الهمزة مع المد والقصر وله أيضا أيد الهمزة القامع المد والقصر (المنافقون) أي الغر يقون
في وصف النفاق وهم عبد الله بن أبي بن سائل وأصحابه (قالوا) مؤكدين لاجل استعثارهم
بتكذيب من يسمعون ما عندهم من الارتياب (نشهد) قال الحسن هو بمنزلة اليمين كأنهم
قالوا نقسم (أنك رسول الله) أي الملك الذي له الإحاطة الكاملة فوافقوا الحق بظاهر

أحوالهم وخالفوا بقلوبهم وأفعالهم وقوله تعالى (والله يعلم) أى وعلمه هو العلم في الحقيقة
 وكذا سبحانه بحسب انكار المنافقين فقال تعالى (انك لرسوله) سواء أشهد المنافقون بذلك
 أم لا فالشهادة بذلك حق بمن يطابق لسانه قلبه بجملة معترضة بين قولهم تشهد انك لرسول الله
 وبين قوله تعالى والله يشهد لفائدة قال الزمخشري لو قال قالوا تشهد انك لرسول الله والله
 يشهد انهم لكاذبون لكان يؤهم ان قولهم هذا كذب فوسط بينهم ما قوله والله يعلم انك لرسوله ليعيط
 هذا الایام (والله) أى المحيط بجميع صفات الكمال (يشهد) شهادة هي الشهادة لانها
 محيطة بدقائق الظاهر والباطن (ان المنافقين) أى الراشدين في وصف النفاق (لكاذبون)
 أى في اخبارهم عن أنفسهم انهم يشهدون لان قلوبهم لا تطابق ألسنتهم فهم لا يعتقدون ذلك
 ومن شرط قول الحق ان يصل ظاهره بباطنه وسرّه بعلانيته ومتى تخالف ذلك فهو كذب ألا
 ترى انهم كانوا يقولون بألسنتهم تشهد انك لرسول الله وسماه الله تعالى كذبا لان قولهم خالف
 اعتقادهم (اتخذوا أيمانهم) أى كلهم من شهادتهم وكل بين سواها (جنة) أى ستره عن أموالهم
 ودمائهم روى البخارى عن زيد بن أرقم قال كنت مع عبيد الله بن أبي ابن
 سلول يقول لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا وقال لئن رجعنا الى المدينة
 ليخرجن الاعز منها الاذل فذكرت ذلك لعمرى فذكره عبيد الله بن أبي ابن سلول
 رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عبد الله بن أبي وأصحابه خلفوا اما قالوا فصدقه رسول
 الله صلى الله عليه وسلم وكذبى فأصابني هم لم يصبني مثله فحاست في بيتي فأزل الله عز وجل
 اذا جاءك المنافقون الى قوله تعالى هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله وقوله
 ليخرجن الاعز منها الاذل فأرسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ان الله قد صدقك
 وروى الترمذى عن زيد بن أرقم قال غزو نافع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان معنا
 اناس من الاعراب فكانت يدور الماء وكان الاعراب يسبقوننا فيسبق الاعرابي أصحابه
 فملا الخوض ويجعل حوله حجارة ويجعل النطع عليه حتى يجي أصحابه قال فأقرب رجل من
 الانصار أعرايا فأرعى زمام ناقته للشرب فأبى ان يدعه فانتزع حجرا ففاض الماء فرفع
 الاعرابي خشبة فضرب بها رأس الانصارى فشجبه فأقرب عبد الله بن أبي رأس المنافقين فأخبره
 وكان من أصحابه فغضب عبد الله بن أبي ثم قال لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا
 من حوله يعنى الاعراب وكانوا يحضرون رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الطعام فقال عبد
 الله اذا انفضوا من عند محمد فأنا وجميعنا بالطعام فلما كل هو ومن عنده ثم قال لأصحابه لئن
 رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل قال زيد وأنا رد عبيد الله بن
 أبي فأخبرت عبيد الله بن أبي فأنطق فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسل اليه رسول الله صلى الله
 عليه وسلم خلف وحمد قال فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبى قال فجاء عبيد الله بن
 فقال ما أردت الا ان مقتك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبك المنافقون قال فوقع على من
 جزاءتهم لم يقع على أحد قال فبينما أنا أسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر قد خففت

رأي من الهمة اذا تاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرل اذني وضحك في وجهي فكان
 مايسرني ان لي بها الخلد في الدنيا ثم ان ابكر لحنني فقال ما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم
 قلت ما قال لي شيئا الا انه عرل اذني وضحك في وجهي فقال ابشر ثم لحنني عرفقات له مثل قولي
 لابي بكر فلما أصبحنا قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة المنافقين قال الترمذي هذا
 حديث حسن صحيح وروى انه صلى الله عليه وسلم حين لقي بني المصطلق على المر يسبيح وهو
 مالههم وهزمهم وقتل منهم ازردهم على الماء جهجاه بن سعيد أجير لعمر يقود فرسه وسنان
 الجهنني حليف لعبد الله بن أبي وقافة لا فصرخ جهجه بالامهاجرين وسنان بالانصار فاعان
 جهجه اها جعل من فقره المهاجرين والهم سنانا فقال عبد الله لجهجاه وانت هناك وقال ما صحبنا
 محمد الا للظلم وجوهنا والله ما مثلنا ومثلهم الا كما قال القائل سمن كبك يا كاك
 اما والله لن رجعنا الى المدينة لخير جنة الا عزمنا الاذل عني بالاعز نفسه وبالاذل رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ثم قال لقومه ماذا فعلتم بأنفسكم أحللتهم بلادكم وقاسمتهم أموالكم
 أما والله لو أمسكتهم عن جعالم وذوبه فضل الطعام لم يركبوا فابكم ولا وشكوا ان يتحولوا
 عنكم فلا تنفخوا عليهم حتى يتنفخوا من حول محمد فسمع بذلك زيد بن أرقم وهو حدث فقال
 أنت والله الذليل القليل البغض في قومك ومحمد في عزم من الرجن وقوة من المسلمين فقال عبد
 الله اسكت فانما كنت ألعب فاخبر زيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمو دعني اضرب عنق
 هذا المنافق يا رسول الله فقال اذن ترعد أنف كثيرة يثرب قال فان كرهت ان ية تله مهاجري
 فأمر به انصاريا قال فكيف اذا تحدث الناس ان محمد ايقتل أصحابه وقال صلى الله عليه
 وسلم لعبد الله أنت صاحب الكلام الذي بلغني قال والله الذي أنزل عليك الكتاب ما قلت شيئا
 من ذلك وان زيد الكاذب فهو قوله تعالى اتخذوا ايمانهم جنة فقال الحاضرون يا رسول الله
 شيخنا وكبيرنا لا تصدق عليه كلام غلام عسى أن يكون قد وهم وروى انه صلى الله عليه وسلم قال له
 اعلك غضبت عليه قال لا قال فلعله اخطأ سمعك قال لا قال فلعله شبهه عليك قال لا قبلنا نزلت لحن
 صلى الله عليه وسلم زيد من خلفه فعرل اذنه وقال وعيت اذنيك يا غلام ان الله قد صدقك وكذب
 المنافقين * (تنبيه) مثل حذيفة بن اليمان عن المنافق فقال الذي يصف الايمان ولا يعمل به
 وروى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد
 أخلف واذا اتفقن خان وروى عبد الله بن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أربع من كن فيه
 كان منافقا خالصا ومن كان فيه خصلة منهن كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها اذا اتفقن خان
 واذا حدث كذب واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر وروى عن الحسن انه ذكر هذا الحديث
 فقال ان بني يعقوب حدثوا فكذبوا ووعدوا فأخلفوا واتفقوا فخانوا انما هذا القول من
 النبي صلى الله عليه وسلم على سبيل الانذار للمسلمين والتهذير لهم ان يعتادوا هذه الخصال شفقة
 ان تنفضي بهم الى النفاق وليس المعنى أن من نذرت منه هذه الخصال من غير اختيار واعتماد
 انه منافق وقال عليه الصلاة والسلام المؤمن اذا حدث صدق واذا وعد عجز واذا اتفقن وفى

والمعنى المؤمن الكامل (فصدوا) أى فسبب لهم اتخاذهم هذا ان أعرضوا بأنفسهم مع سوء
البواطن وحرارة ما فى الصدور وجعلوا غيرهم على الاعراض (عن سبيل الله) أى عن طريق
المالك الاعظم الذى شرعه لعباده ليصلوا به الى محل رضوانه ووصلوا الى ذلك بخداهم ومكرهم
بجراتهم على الايمان الخائنة (انهم ساما كانوا) أى جبلة وطبعاً (يعملون) أى يبتعدون
عنه مستترين عليه بما هو كالجبل من جراتهم على الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وخلص عباده
بالايمان الخائنة ولما كانت المعاصى تعمى القلوب فكيف بأعظمها علة بقوله تعالى (ذلك)
أى سوء عملهم (بأنهم آمنوا ثم كفروا) (فان قيل) ان المنافقين لم يكونوا الا على الكفر الثابت
الدائم فامعنى قوله تعالى آمنوا ثم كفروا (أجيب) بثلاثة أوجه أحدها آمنوا أى نطقوا بكلمة
الشهادة وفعلوا كما يفعل من يدخل فى الاسلام ثم كفروا أى ثم ظهر كفرهم بعد ذلك وبينما
اطاع عليه من قولهم ان كان ما يقول محمد حقاً فخص حير وقولهم فى غزوة تبوك أطيع مع هذا
الرجل أن تفخ له قصور كسرى وقصر هيات ونحوه قوله يخلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة
الكفر وكفروا بعد اسلامهم أى وظهر كفرهم بعد ان أسلموا ونحوه لا تعبدوا قد كفرتم بعد
ايمانكم والثانى آمنوا أى نطقوا بالايمان عند المؤمنين ثم نطقوا بالكفر عند شياطينهم استمراء
بالاسلام بقوله تعالى واذا لقوا الذين آمنوا الى قوله انما نحن مستهزؤن وهذا اعلام من الله
تعالى بأن المنافقين كفار الثالث ان يراد ان ذلك فى قوم آمنوا ثم ارتدوا (فطبع) أى فحصل
الطبع وهو الختم مع أنه معلوم أنه لا يتدرع على ذلك غيره سبحانه (على قلوبهم) أى لاجل
اجترائهم على ما هو أكبر الكبر على وجه النفاق (فهم) أى فسبب عن ذلك انهم
(لا يفقهون) أى لا يقع لهم فقه فى شئ من الاشياء فهم لا يعيرون صواباً من خطأ ولا حقاً من
باطل (واذا رأيتم) أى أيها الرسول على مالك من القطنة ونفوذ القراسة أو أيها الراى كأننا
من كان بعين البصر (تعجبك أجسامهم) لضخامتهم واصباحهم افان عنايتهم كلها بصلاح
ظواهرهم وترفه أنفسهم فهم أشباح وقوا ليس وراءها ألباب وحقائق قال ابن عباس
كان ابن أبى جسيماً صحيحاً فصيحاً ذلق اللسان وقوم من المنافقين فى مثل صفته وهم رؤساء
المدينة وكانوا يحضرون مجلس النبى صلى الله عليه وسلم ويستندون فيه ولهم جهارة المناظر
وقصاحة الالسن وكان النبى صلى الله عليه وسلم ومن حضر يعجبون بها كلهم (وان يقولوا)
أى يوجد منهم قول فى وقت من الاوقات (تسمع لقولهم) أى لقصاحته فيما يذاع السمع ويرى
الفكر (كأنهم) أى فى حسن ظواهرهم وسوء باطنهم وفى عدم الاتباع بهم فى شئ (خشب)
جمع كثرة خشبية وهو دليل على كثرتهم (مستعدة) أى قطعت من مغارسها ماله الى الجدار
وقرأ أبو عمرو والكسائى بسكون الشين والباقون بضمة (يخسبون) أى اضعف عقولهم
وكثرة ارتبايهم لكثرة ما يشارون من سوء أعمالهم (كل صحيفة) أى من نداء منادى انناد
ضالة أو انفلات دابة أو نحو ذلك واقعة (عليهم) وضارة لهم لجبنهم وعلوهم لما فى قلوبهم
من الرعب ان ينزل فيهم ما يبيح دماءهم ومنه أخذ الاخطل

مازلت تحسب كل شيء بعدهم * خيلا تكثر عليهم ورجالا
ومنه قول الآخر

كان بلاد الله وهي عريضة * على الخائف المطلوب كفة حابل
يخال اليه ان كل نيسة * تبهمها ترى اليه بقاتل

(هم العدو) أي الكامل العداوة بعد ادل عليه الاخبار بالمفرد الذي يقع على الجمع اشارة الى
انهم في شدة عداوتهم للاسلام وأهله وكال قصدهم وشدة سعيهم فيه على قلب رجل واحد وان
أظهر والتودد في الكلام والتقرّب به الى أهل الاسلام فان ألسنتهم معكم اذ القوكم وقلوبهم
عليكم مع أعدائكم فهم عيون لهم عليكم (فاحذروهم) لان أعدى عدوك من يعاشرك وتحت
ضلوعه الداء لكنه يكون بلطف الله دائم الخذلان منكوسا في أكثرة قلباته يسد القهر
والحرمان لسر قوله تعالى (فاتلهم الله) أي أحلهم الملك المحيط قدرة وعلما محل من يقاتله
عدوه فاهله أشد معاقلة على عادة الفعل الذي يكون بين اثنين وقال ابن عباس أي لعنهم الله
وقال أبو مالك هي كلمة ذم ونوبغ وقد تقول العرب فاتله الله ما أشعره فيضعونه موضع التعجب
(أني) أي كيف ومن أي جهة (يؤفكون) أي يصرفهم عن قبح ما هم عليه صارف ما كان
ما كان يرجعوا عما هم عليه وقال ابن عباس أنه يؤفكون أي يكذبون وقال مقاتل أي
يعدلون عن الحق وقال الحسن يصرفون عن الرشيد وقيل معناه كيف تفضل عقولهم عن
هذا مع وضوح الدلائل وهو من الافك (واذا قيل لهم) أي من أي قائل كان (تعالوا) أي
ارفعوا أنفسكم مجتهدين في ذلك بالجمعي الى أشرف الخلق الذي لا يزال مكانه عالما لعلو مكانته
(يستغفركم) أي يطلب الغفران لاجلهم خاصة من أجل هذا الكذب أي الذي أنتم مصرون
عليه (رسول الله) أي أقر بالخلق الى الملك الاعظم الذي لا شبيه لوجوده (أو وارؤسهم)
أي فعلوا التي بغاية الشدة والكثرة وهو الصرف الى جهة أخرى اعراضا وعتوا واطهارا
للبغض والنفرة (ورأيتهم) أي بعين البصيرة (يصدون) أي يعرضون اعراضا قبيها عا دعوا
اليه مجتهدين لذلك كما دعوا اليه والجملة في موضع المفعول الثاني رأيت (وهم مستكبرون) أي
ثابتوا الكبر عدا دعوا اليه وعن احلال أنفسهم في محل الاعتذار فهم لشدة غلظهم لا يدركون
قبح ما هم عليه ولا يمتدون الى دوائه واذا أرشدتهم غيرهم ونبههم لا ينتبهون فقد روى انه
لما نزل القرآن فيهم أنهم عشارهم من المؤمنين وقالوا ويحكم اقتصم وأهلكتم أنفسكم فأتوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوبوا اليه من النفاق واسألو أن يستغفر لكم فلوارؤسهم
أي حز كوها اعراضا وابتاه قاله ابن عباس وعنه انه كان لعبد الله بن أبي موقف في كل سبت
يحض على طاعة الله وطاعة رسوله ففعل له وما يفعل ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم
عليك غضبان فانه يستغفر لك فأبى وقال لا أذهب اليه وروى ان ابن أبي راسم لوى رأسه
وقال لهم أشرت على بالايمن فآمنت وأشرت على بأن أعطي زكاة مالي ففعلت ولم يبق الا أن
تأمر وني بالسجود لمجد فقل واذ قيل لهم تعالوا الآية ولم يلبث الا أياما قلائل حتى اشتكى

ومات ولما كان صلى الله عليه وسلم يحب صلاحهم فهو يحب أن يستغفر لهم ويرى ما نذبه الى ذلك بعض آثارهم قال تعالى متبها على أنهم ليسوا بأهل للاستغفار لانهم لا يؤمنون (سواء عليهم أاستغفرت لهم) استغنى همزة الاستغفار عن همزة الوصل (أم لم تستغفر) الله (لهم) أى سواء عليهم الاستغفار وعدمه لانهم لا يلتفتون اليه ولا يعتدون به لكفرهم (لن يغفر الله) أى الملك الاعظم (لهم) لرسوخهم في الكفر (إن الله) أى الذى له كمال الصفات (لا يهدي القوم) أى الناس الذين لهم قوة فى أنفسهم على ما يريدونه (الفاستقين) أى لانهم لا عذر لهم فى الاصرار على الفسق وهو المروق من حصن الاسلام بخرقه وهتكه مرة بعد مرة والقرن عليه حتى استحکم فهم راسخون فى النفاق والخروج عن مظنة الاصلاح (هم) أى خاصة بخالص بواطنهم (الذين يقولون) أى أوجدوا هذا القول للانصار ولا يزالون يجدونه لانهم كانوا من بوطيخ بالاسباب محجوبين عن شهود التقدير (لا تنفقوا) أى أيها المخلصون فى النصرة (على من) أى الذين (عند رسول الله) أى الملك المحيط بكل شئ وهم فقراء المهاجرين (حتى ينقضوا) أى يتفرقوا فمذهب كل أحد منهم الى أهله وشغله الذى كان له قبل ذلك قال البقاعي وما درى الاجلاف أنهم لو فعلوا ذلك أتاح الله تعالى غيرهم للنفاق أو أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا فى الشئ اليسير فصار كبيرا أو كان بحيث لا يتعدأ واعطى كلابيرا من طعام على كيفية لا يتقدمها أكثر أبى هريرة وشعبانثة وعكة أم عيين وغير ذلك كما روى غير مرة ولكن من يضل الله فماله من هاد ولذلك عبر فى الرد عليهم بقوله تعالى (ولله) أى فالوا ذلك واستقر واعلى تجديد قوله والحال ان للملك الذى لأمر غيره (خزائن السموات) أى كاهما (والارض) كذلك من الاشياء المعدومة الداخلة تحت مقدوره انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ومن الاشياء التى أوجدها فهو يعطى من يشاء منها حتى بما فى أيديهم لا يقدر أحد على منع شئ من ذلك لا بما فى يده ولا بما فى يد غيره ونسبه على سوء غباوتهم وأنهم تقيدوا بالوهم حتى سفلوا عن رتبة البهائم كما قال بعضهم ان كان محمد مادافا فمن شر من البهائم بقوله تعالى (ولكن المنافقين) أى العريقين فى وصف النفاق (لا يفقهون) أى لا يتجسس دلهم فهم أصلا كالبهائم بل هم أضل لان البهائم اذا رأت شيئا ينفعها يومافى مكان طلبته مرة أخرى وهؤلاء رأوا غير مرة ما أخرج الله تعالى من خوارق البركات على يد رسوله صلى الله عليه وسلم فلم ينفعهم ذلك ودل على عدم نفعهم بقوله تعالى (يقولون) أى يوجدون هذا القول ويمجدونه مؤكدين لاستشعارهم بأن أكثر قومهم شكروه (لن رجعنا) أى أيها العصابة المنافقة (الى المدينة) أى من غزات هذه وهى غزوة بنى المصطلق حتى من هذبل خرج اليهم حتى لقيهم على ما من مباحهم يقال له المريسيع من ناحية قديد الى الساحل (ليخرجن الاعز) يعنون أنفسهم (منها) أى المدينة (الاذل) يعنون النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه وهم كاذبون فى هذا المكونهم تصوروا والشدة غباوتهم ان العزة لهم وانهم يقدرون على اخراج المؤمنين (ولله) أى والحال ان كل من له نوع بصيرة يعلم ان الملك الاعلى هو الذى له وحده

(العزة) أى الغلبة كلها (ولرسوله) لانه عزته من عزته (وللمؤمنين) فعزة الله قهره من دونه
وكل من عدا دونه وعزة رسوله اظهر اريشه على الاديان كلها وعزة المؤمنين نصر الله تعالى اياهم
على أعدائهم (ولكن المنافقين) أى الذين استحكم فيهم مرض القلوب (لايعاون) أى
لايوجد لهم علم الآن ولايتجدد في حين من الاحيان فلذلك هم يقولون مثل هذا الخراف روى
انه لما نزلت هذه الآية جاء عبد الله ولد عبد الله بن أبى ابن ساول الذى نزلت هذه الآيات بسببيه
كما مر الى أبيه وذلك في غزوة المريسيع ابني المصطلق فاخذ بزمام ناقته وقال أنت والله الذليل
ورسول الله صلى الله عليه وسلم العزيز وأراد أن يدخل المدينة عبد الله بن أبى اعترضه ابنه
حساب وهو عبد الله غير رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمه وقال ان حبابا اسم شيطان وكان
مخلصا وقال ورائك والله لا تدخلها حتى تقول رسول الله صلى الله عليه وسلم الاعز وأنا الاذل فلم
يزل حيسا في يده حتى أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بتخليته وروى أنه قال لئن لم تقر لله
ولرسوله بالعزة لأضربن عنقك فقال ويحك أفاعل أنت قال نعم فلما رأى منه الجدة قال أشهد أن
العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فقال النبي صلى الله عليه وسلم لانه جاز الله عن رسوله وعن المؤمنين
خيرا (فان قيل) ما الحكمة في أنه تعالى ختم الآية الاولى بقوله تعالى لا يفقهون وختم الثانية
بقوله تعالى لا يعاون (أجيب) بأنه يعلم بالاولى قلة يكاستهم وفهمهم وبالثانية حماقتهم وجهلهم
ويفقهون من فقه يفقه كعلم يعلم او من فقه يفقه كعلم يعظم فالاول لحصول الفقه بالتكلف
والثاني لا بالتكلف فالاول علاجي والثاني من احيى ثم نهى الله تعالى المؤمنين عن التشبه بالمنافقين
فقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا) اى اقرؤا بالايان وقلوبهم مدعنة كطواهرهم (لاناهكم)
اى لا تشغلكم (أموالكم ولا اولادكم) سواء كان ذلك في اصلاحها او المتع بها بحيث تغفلون
(عن ذكر الله) أى الملك الاعظم حذر المؤمنين اخلاق المنافقين أى لا تشغلوا بأموالكم كما
فعل المنافقون اذ قالوا لاجل الشجب بأموالهم لا تنفقوا على من عند رسول الله وقوله تعالى عن
ذكر الله قال الضحالك أى عن الصلوات الخمس نظيره قوله تعالى لاناهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر
الله وقال الحسن عن جميع الفرائض كأنه قال عن طاعة الله تعالى وقيل عن الحج والزكاة
وقيل عن قراءة القرآن وقيل عن اقامة الذكر وقيل هذا خطاب للمنافقين أى آمنتم بالقول
فأمنوا بالقلب * ولما كان التقدير فمن انتهى فهو من الغافرين عطف عليه قوله تعالى (ومن
يفعل) أى يوقع في زمن من الازمان على سبيل التجدد والاستمرار فعل (ذلك) أى الامر البعيد
عن أفعال ذوى الهمم من الانقطاع الى الاشتغال بالغافى والاعراض عن الباقي (فأولئك)
البعدا عن الخير (هم الخاسرون) أى العريقون في الحساب في تجارتهم حيث باعوا العظيم
الباقي بالحقير الغافى حتى كأنهم محمقون يهادون الناس وذلك بضد ما أرادوا (وأنفقوا) أى
ما أمرتم به من واجب أو مندوب كما قاله بعض المفسرين وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهم
يزيد زكاة الاموال وهو ظاهر الامر ثم ان الله تعالى زاد في الترغيب بالرضا منهم باليسير بقوله
تعالى (مما رزقناكم) أى بضعفنا قال الزمخشري من في عمار رزقناكم للتبعض والمراد الانفاق

الواجب اه ثم قال تعالى محذرا من الافتراء بالنسوف في أوقات السلامة (من قبل ان يأتي أحدكم الموت) أي يرى دلائله وأماراته وكل لحظة مرت فهي دلائله وأماراته قال القرطبي وهذا دليل على وجوب تجهيل الخراج الزكاة ولا يجوز تأخيرها أصلا أي بلا عذر وكذا سائر العبادات اذا دخل وقتها وقال الرازي وبالجملة فقوله تعالى لا تأتكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله تنبيه على المحافظة على الذكر قبل الموت وقوله تعالى وأنفقوا مما رزقناكم تنبيه على الشكر كذلك ولما كانت الشدة تقتضي الاقبال الى الله تعالى سبب عن ذلك قوله تعالى (فيقول) أي سائلا في الرجعة وأشار الى تزييقها للقلوب بقوله (رب لولا) أي هلا ولم لا (آخرتي) أي آخرت موتي أمهالا (الى أجل) أي زمان وقوله (قريب) بينه أن مراده استدرال المافات ليس الا قبيل لازمنة ولولم يلقى أي لو أخرتني الى أجل قريب (فأصدق) أي للتردد في سفرى هذا الطويل الذي أنا مستقبله وعن ابن عباس رضى الله عنهما تصدقوا قبل أن ينزل عليكم سلطان الموت فلا تقبل نوبه ولا يتنفع عمل وعنه ما يمنع أحدكم اذا كان له مال أن يركب واذا أطاق الحج أن يحج من قبل أن يأتيه الموت فيسأل ربه الكثرة فلا يعطاها وعنه أنه نزلت في مانعي الزكاة والله لورأى خيرا ما سأل الرجعة فقيل له أما تتق الله يسأل المؤمنون الكثرة قال نعم أنا أقرأ عليكم قرأنا يعني أنها نزلت في المؤمنين وهم المخاطبون بها وكذا عن الحسن مامن أحد لم يرك ولم يصم ولم يحج الا سأل الرجعة وقال الغضائري لا ينزل بأحد لم يحج ولم يؤد الزكاة الموت الا وسأل الرجعة وعن حكومة نزلت في أهل القبلة وقيل نزلت في المنافقين ولهذا نقل عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال هذه الآية تدل على أن القوم لم يكونوا من أهل التوحيد لانه لا يتق الرجوع الى الدنيا والتأخير فيها أحده عند الله تعالى خيرا في الآخرة أي اذا لم يكن بالصفة المتقدمة قال القرطبي الا الشهيد فإنه يتق الرجوع حتى يقتل لما يرى من الكرامة وقرأ (وأكون من الصالحين) أي العريقين في هذا الوصف بالتدارك أبو عمر وبواب بعد الكاف ونصب النون عطفا على فأصدق والباقون بـ حذف الواو والاتقاء الساكنين وجزم النون واختلفت عبارات الناس في ذلك فقال الرهشمري عطفا على محمل فأصدق كأنه قيل ان أخرتني فأصدق وأكن وقال ابن عطية عطفا على الموضع لان التقدير ان أخرتني فأصدق وأكن هذا مذهب أبي علي الفارسي وقال القرطبي عطفا على موضع الفاء لان قوله فأصدق لو لم تكن الفاء لكان مجزوما أي أمصدق ثم زاد تعالى في الحث على المبادرة بالطاعات قبل الفوات بقوله تعالى مؤكدا للاجل عظم الرجاء من هذا المختصر بالتأخير عطاها على ما تقدير فلا يؤخروه الله فيفوه ما أراد (ولن يؤخر الله) أي الملك الاعظم الذي لا كف له فلا اعتراض عليه (نفسا) أي نفس كانت وحقق الاجل بقوله تعالى (اذا جاء أجلها) أي وقت موتها الذي حده الله تعالى لها فلا يؤخر الله تعالى نفس هذا القائل لانها من جملة النفوس التي شملها النفي وقرأ قالون والبري وأبو عمر وباسقاط الهزمة الاولى مع المتوالف قصر وقرأ ورش وقبيل بتسهيل الثانية بعد تحقيق الاولى ولهما أيضا ابدالها ألفا والباقون بتحقيقهما (والله) أي الذي له الاحاطة الشاملة علما وقدرة (خير) أي

بالغ الخبرة والعلم ظاهر او باطنا (بما تعملون) أى توقعون عمله فى الماضى والحال والمآل كله
باطنه وظاهره وقرأ شعبة بإلقاء التحية على الغيبة على الخبر عن مات وقال هذه المقالة والباقيون
بالفرقة على الخطأ وما قاله البيضاوى تبعاً لما تخشى من أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ
سورة المنافقين برئ من النفاق حديث موضوع

﴿سورة التغابن مدنية﴾

فى قول الاكثرين وقال الضعفاء مكة وقال الكلبي مدينة ومكة وعن ابن عباس رضى الله
عنهما أن سورة التغابن نزلت بمكة الآيات من آخرها نزلت بالمدينة فى عوف بن مالك الأشجعي
شكا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم جفاء أهل وولده فأمر الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا أن
من أزواجكم وأولادكم وهذا لكم الى آخرها وهى ثمانى عشرة آية ومائتان واحد واربعون
كلمة وألف وسبعون حرفاً

(بسم الله) مالك الملك فلا كف له ولا مثيل (الرحمن) الذى وسع الخلائق بره الجليل (الرحيم)
الذى خص من عه فوفقهم الجميل (يسبح) أى يوقع التنزيه التام مع التجديد والاستمرار (الله)
أى الذى له الاحاطة بأوصاف الكمال (ما فى السموات) أى كلها (وما فى الارض) كذلك وقيل
اللام زائدة أى ينزه الله تعالى قال الجلال المحلى وأتى بما دون من تغليب اللاحق (له) أى
وحده (الملك) أى كله مطلقاً فى الدنيا والاخرة (وله) أى وحده (الحمد) أى الاحاطة
بأوصاف الكمال كلها فلذلك نزهه جميع مخلوقاته وقدم الطرفين ليدل بتقدمهما على معنى
اختصاص الملك والحمد بالله تعالى وذلك بأن الملك على الحقيقة له لانه مبدئ كل شئ ومبدعه
والقائم به والمهيمن عليه وكذا الحمد لان أصول النعم وفروعها منه وأما ملك غيره فتسلط منه
واستعراجه وحده اعتد اذ بان نعمة الله جرت على يده (وهو على كل شئ قدير هو) أى وحده (الذى)
خالقكم) أى أنشأكم على ما أنتم عليه (فتسبب) أى فتسبب عن خلقه لكم وتقديره (كافر)
أى عريق فى صفة الكفر (ومنكم مؤمن) أى راسخ فى الايمان فى حكم الله تعالى فى الازل
قال ابن عباس رضى الله عنهما ان الله خلق بنى آدم مؤمناً وكافراً وبعدهم فى القيامة مؤمناً
وكافراً وروى ابو سعيد الخدرى رضى الله عنه قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية
فذكر شيئاً مما يكون فقال تولد الناس على طبقات شتى يولد الرجل مؤمناً ويعيش مؤمناً ويموت
مؤمناً ويولد الرجل كافراً ويعيش كافراً ويموت كافراً ويولد الرجل كافراً ويعيش مؤمناً ويموت
مؤمناً أى وسكت عن القسم الآخر وهو أن يولد الرجل مؤمناً ويعيش مؤمناً ويموت كافراً
اكتفاء بالمقابل وقال ابن مسعود رضى الله عنه قال النبى صلى الله عليه وسلم خلق الله تعالى
فرعون فى بطن أمه كافراً وخلق يحيى بن زكريا عليهما السلام فى بطن أمه مؤمناً وفى الصحيح من
حديث ابن مسعود رضى الله عنه وان أحدكم يعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه
وبينها الا ذراع او باع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وان أحدكم يعمل
بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع او باع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل

الجنة فقد خلها وفي صحيح مسلم عن سهل بن سعد الساعدي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
 قال ان الرجل يعمل عمل اهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من اهل النار وان الرجل يعمل
 عمل اهل النار فيما يبدو للناس وهو من اهل الجنة قال القرطبي قال علماءنا والمعنى تعلق العلم
 الازلي بكل معلوم فيجزى ما علم واراد وحكم فتقديره ايمان شخص على عموم الاحوال وقد
 يريده الى وقت معلوم وكذلك الكفر وقيل في الكلام محذوف تقديره فنتكم. ومن ومنكم
 كافر ومنكم فاسق فحذف لما في الكلام من الدلالة عليه قاله الحسن وقال غيره لا حذف
 لان المقصود ذكر الطرفين وقيل انه خلق الخلق ثم كفر واآمنوا والتقدير هو الذي
 خلقكم ثم وصفهم فقال فنتكم كافر ومنكم مؤمن كقوله تعالى والله خلق كل دابة من ماء ثم
 قال تعالى فمنهم من يشقى على بطنه الآية فالوافانه خلقهم والمثني فعلمهم وهذا الاختيار
 الحسين بن الفضل قال لو خلقهم مؤمنين وكافرين لما وصفهم بفعلهم في قوله تعالى فنتكم كافر
 ومنكم مؤمن واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه
 وينصرانه ويعجمانه قال البغوي وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهم ما عن أبي بن
 كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الغلام الذي قتله الخضر طبع على الكفر وقال
 تعالى ولا يلدوا الا فاجرا كفارا وروى أنس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه
 قال وكل الله بالرحم ما كما فيقول أى رب نطفة أى رب علقة أى رب مضغة فإذا اراد الله أن
 يقضى خلقها قال يا رب ذكر أم أنثى شقي أم سعيد فما الرزق فما الاجل فيكتب ذلك في بطن أمه
 وقال الضحاك فنتكم كافر في السر مؤمن في العلانية كالنفاق ومنكم مؤمن في العلانية والسر
 كعمار وزيد وقال عطاء بن أبي رباح فنتكم كافر بالله مؤمن بالكواكب ومنكم مؤمن بالله كافر
 بالكواكب يعنى في شأن الانواء كما جاء في الحديث قال القرطبي وقال الزجاج وهو أحسن
 الاقوال والذي عليه الاثمة ان الله خلق الكافر وكفره فعل له وكسب واختيار وخلق المؤمن
 وایمانه فعل له وكسب واختيار وكسبه واختياره بتقدير الله ومشيئته فالؤمن بعد خلق الله
 اياه يختار الايمان لان الله تعالى اراد ذلك منه وقدره عليه وعلمه منه والكافر بعد خلق الله اياه
 يختار الكفر لان الله تعالى قدره عليه وعلمه منه ولا يجوز ان يوجد من كل منهما غير الذي قدره
 عليه وعلمه منه لان وجود خلاف المقدور محذور وجود خلاف المعلوم جهل فلا يليقان بالله تعالى
 قال البغوي وهذا طريق اهل السنة من سلكه اصاب الحق وسلم من الخبر والقدرة قال الرازي
 فان قيل انه تعالى حكيم وقد سبق في علمه انه تعالى اذا خلقهم لم يفعلوا الا الكفر فأي حكمة دعت
 الى خلقهم فالجواب اذا علمنا انه تعالى حكيم علمنا ان أفعاله كلها على وفق الحكمة فيكون خلقه
 تعالى هذه الطائفة على وفق الحكمة ولا يلزم من عدم علمنا ذلك أن لا يكون كذلك بل اللازم أن
 يكون خلقهم على وفق الحكمة (واقه) أى الذى له الاحاطة الكاملة (بما تعملون) أى توقعون
 عمله كسب (بصير) أى بالغ العلم بذلك فهو الذى خلق جميع أعمالكم التى نسب كسبها اليكم وهو
 خالق جميع الاستعدادات والمصفات كما خلق الذوات خلافا للقدرة لانه لا يتصور أن يحتاج

الخالق ما لا يعلمه ولو سئل الانسان كم مشى في يومه من خطوة لم يدركه كيف لو سئل أين موضع
 مشيه ومتى زمانه فكيف وانه لم يشأ أكثر مشيه وهو غافل عنه ومن جهل أفعاله كما وكيفا وأين
 وغير ذلك لم يكن خالفا لها بوجه * ولما ذكر المظروف ذكر طريقه والاعلى تمام احاطته بالبوطن
 والظواهر وقوله تعالى (خلق السموات) أى على علوها وكبرها (والارض) على سعتها (بالحق)
 أى بالامر الذى يطابقه الواقع لما أراد (وصوركم) أى آدم عليه السلام خلقه بيده كرامة له قال
 مقاتل وقيل جميع الخلائق على صور لا توافق شيئا من صور العلويات ولا السفليات ولا فيها
 صور توافق الاخرى من كل وجهه (فاحسن صوركم) فجعلها أحسن الحيوانات كلها كما هو
 مشاهد ويدل أن الانسان لا يتبني أن يكون على خلاف ما يرى من سائر الصور ومن حسن
 صورته أن خلقه منتصبا غير منككب كما قال تعالى لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم كما باني أن
 شاء الله تعالى (فان قيل) قد يوجد فى افراد هذا النوع من كل مشوه الخلقة سيمج الصورة
 (أجيب) بأنه لا سماجة لان الحسن فى المعانى وهو على طبقات ومراتب فانحطاط بعض الصور
 عن مراتب ما فوقه لا يمنع حسنه فهو داخل فى حيز الحسن غير خارج عن حده فقم القبيح منه
 انما هو بالنسبة الى أحسن منه ولذا قال الحكيم شيئا لا غاية لهم الجمال والبيان فقدرة الله
 سبحانه وتعالى لا تنتهى قال البقاعى فإياك أن تصفى لما وقع فى كتب الغزالي انه ليس فى الامكان
 أبدع مما كان فان ذلك ينحل الى أنه سبحانه لا يقدر أن يخلق أحسن من هذا العالم وهذا لا يقوله
 أحداه وهو لا ينقص مقدار الغزالي فان كل أحد يؤخذ من كلامه ويرد عليه كما قال الامام مالك
 وعزم الغزالي نفسه الى ابن عباس رضى الله عنهما وقال الشافعى منقذ هذه الكتب وما ألوت
 فيها جهدا وانى لا علم أن فيها الخطأ لان الله تعالى يقول ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه
 اختلافا كثيرا * ولما كان التقدير فكان منه سبحانه المبدأ عطف عليه قوله تعالى (وابه) وحده
 (المصير) أى المرجع بعد البعث فيجازى كلاب عمله (يعلم) أى علمه حاصل فى الماضى والحال
 والمآل (ما) أى كل شئ (فى السموات) أى كلها (والارض) كذلك (ويعلم) أى على سبيل
 الاستمرار (ماتسرون) أى يخفون (وماتعلنون) أى تظهرون من الكميات والجزئيات (والله)
 أى الذى له الاحاطة الناقصة (عليم) أى بالغ العلم (بذات) أى صاحبة (الصدور) من الاسرار
 والخواطر التى لم تبرز فى الخارج سواء كان صاحب الصدر قد علمها أم لا وعلمه لكل ذلك على حد
 سواء لا تفاوت فيه بين علم الخلق وعلم الخلق تنبه بعلمه ما فى السموات والارض ثم يعلم ما سره
 العباد ويعلمونه ثم يعلمه ذوات الصدور ان شيئا من الجزئيات والكميات غير خاف عليه ولا عازب
 عنه ولا يجترأ على شئ مما يخالف رضاه وتكرير العلم فى معنى تكرير الوعيد وكل ما ذكره بعد قوله
 فيكم كافر ومنكم مؤمن كما ترى فى معنى الوعيد على الكفر وانكار أن بعض الخلق ولا تشكروا
 نعمته (ألم يأتكم) أيها الناس ولا سيما الكفار (نبأ) أى خبر (الذين كفروا من قبل) كقوم
 نوح وهو دوصالح (فذاقوا) أى باشر وأما مشرة الذائق (وبال أمرهم) أى ضرر كفرهم فى الدنيا
 وأجله الثقل ومنه الويل لطعام يثقل على المعدة والويل المطر الثقيل القطر (ولهم عذاب أليم)

أى مؤلم في البرزخ ثم يوم القيامة التي هي موضع الفصل الأعظم (ذلك) أى الأمر العظيم من
 الويال الدال قطعاً على أن الكفر أبطل الباطل وأنه بما يغضب الخالق (بأنه) أى بسبب أن
 الشأن العظيم البالغ في الفظاعة (كانت تأتيمهم) على عادة مستمرة (رسلمهم) أى رسل الله الذين
 أرسلهم إليهم (بالبينات) أى الحجج الظاهرات على الإيمان (فقالوا) أى السبل لرسلمهم منكرين
 غاية الإنكار تكبراً وقولهم (أبشروهم بدوتنا) يجوز أن يرتفع بشر على القاعدية ويكون من
 الاشتغال وهو الأرجح لأن الاداة تطلب الفعل ويجوز أن يكون مبتدأ وخبر أوجع الضمير في
 يهدوتنا إذ البشر اسم جنس وقد يأتي الواحد بمعنى الجمع فيكون اسماً للجنس وقد يأتي الجمع بمعنى
 الواحد كقوله تعالى ما هذا بشر أفأنسكروا على الملك الأعظم إرساله لهم (فكفروا) أى بهذا
 القول إذ قالوه استصغاراً ولم يعلموا أن الله يبعث من يشاء إلى عباده (وتولوا) عن الإيمان (فإن
 قيل) قوله تعالى فكفروا تميم يفهم منه التولى في الحاجة إلى ذكره (أجيب) بأنهم كفروا
 وقالوا أبشروهم بدوتنا وهذا في معنى الإنكار والاعراض بالكلية وهذا هو التولى فكأنهم كفروا
 وقالوا قولاً يدل على التولى فلهذا قال فكفروا وتولوا وقيل كفروا بالرسول وتولوا بالبرهان
 وأعرضوا عن الإيمان والموعظة وبه بقوله تعالى (واستغنى الله) أى الملك الأعظم الذي لا أمر
 لاحد معه على أن هذا النما هو لمصالح الخلق فهو غنى عن كل شيء (فإن قيل) قوله تعالى وتولوا
 واستغنى الله يوهى وجود التولى والاستغناء معاً والله تعالى لم يزل غنياً (أجيب) بأن معناه وظاهر
 استغناء الله حيث لم يلجئهم إلى الإيمان ولم يضطرهم إليه مع قدرته على ذلك (والله) أى المستجمع
 الصفات الكمال (غنى) عن خلقه (جميد) أى محمود في أفعاله (زعم الذين كفروا) أى وقعوا
 الستر لاداءات عليه العقول من وحدانية الله تعالى ولوعلى أدنى الوجوب وزعم قال ابن عربى
 كنية الكذب وقال الزمخشري الزعم ادعاء العلم ومنه قوله عليه الصلاة والسلام زعموا مطية
 الكذب وعن شريح لكل شيء كنية وكنية الكذب زعموا وفي حديث ابن مسعود رضى الله عنه
 هــ دأبى داود بن مطية الرجل زعموا (أن لن يبعثوا) أى من أى باعث ما بوجه من الوجوه
 (قل) أى بأشرف الرسل لهؤلاء البعداء (بلى) أى لتبعثن ثم أكد بصريح القسم فقال (وإني)
 أى المحسن إلى بالانتقام ممن كذب بي (لتبعثن) أى بأهون شيء وأيسر أمر (ثم لتنبؤن) أى تخبرن
 أخباراً عظيمة من يقيم الله تعالى لأخباركم (بما علمتم) أى بأعمالكم لتخبرن عليها (وذلك) أى
 الأمر العظيم عندكم من البعث والحساب (على الله) أى المحيط بصفات الكمال وحده (يسير)
 إذا لعادة أسهل من الابتداء (فإن قيل) كيف يفيد القسم في أخباره عن البعث وهم قد أنكروا
 الرسالة (أجيب) بأنهم أنكروا الرسالة لكنهم يعتقدون أنه يعتقد به اعتقاداً جازماً فيعملون أنه
 لا يقدم على القسم بربه إلا وأن يكون الأخبار عنده صدقاً أظهر من الشمس في اعتقاده ثم أنه
 أكد الخبر بالإلام والنون فكأنه قسم بعد قسم ثم أنه تعالى لما أخبر عن البعث والاعتراف
 بالبعث من لوازم الإيمان قال تعالى (فأمنوا بالله) أى الملك الذي له الإحاطة الكاملة بكل شيء
 (ورسوله) أى كل من أرسله ولا سيما محمد صلى الله عليه وسلم (والنور) أى القرآن (الذي أنزلنا)

أي بما لسان العظمة لانه نورهم قد أدى به من ظلمة الضلالة كما بهتدى بالنور في الظلمات (فان قيل) هلا قيل ونورهم بالاضافة كما قال ورسوله (أجيب) بأن الالف واللام في النور بمعنى الاضافة فكانه قال ورسوله ونورهم (والله) أي المحيط علما وقدره (بما تعملون خيرا) أي بالغ العلم بما تسرون وما تعملون فراقبوه في السر والعلانية وقوله تعالى (يوم يجمعكم) منصوب بقوله تعالى لتنبؤ عند النحاس وبخبر عند الحوفي ما فيه من معنى الوعيد كأنه قال والله يعاقبكم يوم يجمعكم وبإذ كر مضمر عند المخشري فيكون مفعولاه أو بما دل عليه الكلام أي تتفاوتون يوم يجمعكم قاله أبو البقاء (ليوم الجمع) أي لأجل ما يقع في ذلك اليوم وهو يوم القيامة الذي يجمع الله تعالى فيه الأولين والآخرين من الانس والجن وجميع أهل السماء والارض وقيل يوم يجمع الله بين كل عبد وعمله وقيل يجمع فيه بين الظالم والمظلوم وقيل يجمع فيه بين كل نبي وأمهته وقيل يجمع فيه ثواب أهل الطاعة وعقاب أهل المعاصي بل هو جامع لجميع ما ذكر (ذلك) أي اليوم العظيم (يوم التغابن) والتغابن مستعار من تغابن القوم في التجارة وهو أن يغيب بعضهم بعضا النزول السعداء منازل الاشقياء التي كانوا ينزلون بها لو كانوا سعداء ونزول الاشقياء منازل السعداء التي كانوا ينزلون بها لو كانوا أشقياء وفيه تمكيم بالاشقياء لان نزولهم ليس بغيب ولهذا قيل التفاعل هنا من واحد لامن اثنين وفي الحديث ما من عبد أدخل الجنة الا أرى مقعده من النار لو أساء ليزداد شكره وما من عبد دخل النار الا أرى مقعده من الجنة لو أحسن ليزداد حسرة وهو معنى ذلك يوم التغابن وقد تغابن الناس في غير ذلك اليوم اسمة عظيما له وأن تغابنه هو التغابن في الحقيقة لا التغابن في أمور الدنيا وان جلت وعظمت وذكر في بعض التفاسير أن التغابن هو أن يكتسب الرجل مالا من غير وجهه ليرثه غيره فيعمل فيه بطاعة الله فيدخل الأول النار والثاني الجنة بذلك المال فذلك هو الغيب البين والتغابن ما أنثى من البدن نحو الابطين والفخذين والمغبون من غيب في أهله ومنازله في الجنة ويظهر يومئذ غيب كل كافر بتركه الايمان وغيب كل مؤمن بتقصيره في الاحسان وبصنيعه الاستقام قال الزجاج ويغيب من ارتفعت منزلته في الجنة بالنسبة الى من هو أعلى منزلة منه (فان قيل) فأى معاملة وقعت بينهم ما حتى يقع الغيب فيها (أجيب) بأنه تمثيل للغيب في الشراء والبيع كقوله تعالى أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى بفارحيت تجارتهم فلما ذكر أن الكفار اشتروا الضلالة بالهدى وما ربحوا في تجارتهم بل خسروا ذكر أيضا أنهم غبنوا وذلك أن أهل الجنة اشتروا الآخرة بترك الدنيا واشترى أهل النار الدنيا بترك الآخرة وهذا نوع مبادلة اتساعا ومجازا وقد فرق الله تعالى الخلق فريقين فريقا الجنة وفريقا النار وقال الحسن وقتادة بلغنا أن التغابن على ثلاثة أصناف رجل علم علما فضيعه ولم يعمل به فشق به ورجل علم علما وعمل به فنجابه ورجل اكتسب مالا من وجود يسأل عنها وشمع عليه وفريق طاعة ربه بسببه ولم يعمل فيه خيرا وترك لوازمه لأحساب عليه فعمل ذلك الوارث فيه بطاعة ربه ورجل كان له عهد فعمل ذلك العبد بطاعة ربه فسعد وعمل السيد بعصية ربه فشق وروى القرطبي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى يقسم الرجل والمرأة يوم القيامة

بين يديه فيقول الله تعالى لهم اقول اما انتم افاضلان فيقول الرجل يا رب اوجبت نفقتهم اعلى فنفقتهم
 من حرام ومن حلال و هؤلاء الخصوم يطلبون ذلك ولم يبق لي ما اوفي فقول المرأت يا رب وما عسى
 ان يقول اكتسبه حراما واكته حلالا وعصا لي في مرضاتي ولم ارض له بذلك فبعد الله وحقا
 فيقول الله تعالى قد صدقت فيؤمر به الى النار ويؤمر به الى الجنة قطلع عليه من طبقات الجنة
 فيقول له غيبناك عننا لسعدنا بما شقيت انت به فذلك يوم التغابن وقال بعض علماء الصوفية ان
 الله تعالى كتب الغيب على الخلق اجمعين فلا يلقي أحد ربه الا مغبونا لانه لا يمكنه الاستيفاء للعمل
 حتى يحصل له استيفاء الثواب قال صلى الله عليه وسلم لا يلقي الله أحد الا ناديا ما ان كان مسيما ان
 لم يحسن وان كان محسنا ان لم يزد * (تنبيه) * استدل بعض العلماء بقوله تعالى ذلك يوم
 التغابن انه لا يجوز الغيب في العامات الدينية لان الله تعالى خصص التغابن يوم القيامة
 فقال تعالى ذلك يوم التغابن وهذا الاختصاص يفيد ان لا غيب في الدنيا فكل من اطاع على
 غيب في مبيع فانه مردود اذا زاد على الثلث واختاره البغداديون واحتجوا عليه بقوله صلى
 الله عليه وسلم لحسان بن سعيد اذا بايعت فقل لا خلاية ولك الخيار ثلاثا ولان الغيب في الدنيا
 ممنوع منه بالاجماع في حكم الدين اذ هو من باب الخداع المحرم شرعا في كل دله لكن اليسير
 منه لا يمكن الاحتراز عنه فخص في البيوع اذ لو حكمنا برده ما نفي بيع ابد الاله لا يعلم منه
 فاذا كان كثيرا امكن الاحتراز عنه فوجب الرد به والفرق بين القليل والكثير في الشرعة
 غير معلوم فقد ربا بالثالث وهذا الحد اعتبره الشارع في الوصية وغيرها ويكون معنى الآية على
 هذا يوم التغابن الجائر مطلقا من غير تفصيل وذلك يوم التغابن الذي لا يستدرل ابدأ (ومن
 يؤمن) أي يوقع الايمان ويعتد به على سبيل الاستمرار (بالله) أي الملك الاعظم الذي لا كف
 له (ويعمل) تصديقا لايمانه (صالحا) أي عملا هو مما ينبغي الاحتكام به صلى لانه لا مثل له
 في جلب المصالح ودفع المضار (يعكف عنه سيئاته) التي غلبه عليها نقصان الطبع واتباع ذلك
 الحاصل الآخر وهو التوجيه بحلب المسار لان الانسان يطير الى ربه سبحانه بجناحي الخوف
 والرجاء والرهبة والرغبة والندارة والبشارة (ويدخله) أي رجعه له واكراما وفضلا (جنات) أي
 بساين ذات اشجار عظيمة وأعصان ظليلة تستردا خلها ورياض مديدة متنوعة الازهار عطرة
 النشر بهج ربيها وأشار الى دوام ربه بقوله تعالى (يجري من تحتها) أي من تحت قصورها
 وأشجارها (الانهار) وقرأ نكفر عنه وندخله نافع وابن عامر بالنون فيهما أي ثمن عائلته
 العظمة والباقيون بالياء التحية أي الله الواحد القهار (خالدين) أي مقدرين الخلود (فيها)
 وأكده بقوله (أبدأ) فلا خروج لهم منها (ذلك) أي الامر العالي جدا من الغفران والاکرام
 (القور العظيم) لانه جامع لجميع المصالح ودفع المضار وحلب المسار ومن جله ذلك النظر الى
 وجه الله الكريم ولما ذكر تعالى القاتل بلزومه التقوى ترغيبا لاتباعه بضمه ترهيبا فقال عز من
 هائل (والذين كفروا) أي غطوا أدلة ذلك اليوم فسكنوا في الظلام (وكذبوا) أي أوتقوا جميع
 التغطية وجميع التكذيب (بآياتنا) أي بسينها مع ما لها من العظمة باضافتها اليها وهي القرآن

فلم يعملوا به (أو لئلا) أي البعداء البغضاء (أصحاب النار خالدين) أي مقدرين الخلود فيها
وبئس المصير هي قال الرازي فان قيل قال تعالى في حق المؤمنين ومن يؤمن بالله بالقسط المستقبل
وفي الكفار قال والذين كفروا بلنظ النار في الجحيم فالجواب أن تقدير الكلام ومن يؤمن بالله من
الذين كفروا وكذبوا بآياتنا يدخله جنات ومن لم يؤمن منهم أولئك أصحاب النار اه (فان قيل)
قال تعالى يؤمن بالقسط الواحد وخالدين فيها بالقسط الجمع (أجيب) بأن ذلك بحسب اللفظ وهذا
بحسب المعنى (فان قيل) ما الحكمة في قوله تعالى وبئس المصير بعد قوله تعالى خالدين فيها وذلك
بئس المصير (أجيب) بأن ذلك وان كان في معناه فهو قصر صريح بما يؤكده كما في قوله أبدا
(مأصاب) أحدا (من مصيبة) أي مصيبة كانت دينية أو دنيوية في نفس أو مال أو قول أو فعل
تقتضي هماً أو توجب عقاباً أجلاً أو عاجلاً (الاباذن الله) أي بتقدير الملك الاعظم وقال الفراء
يريد الابا أمر الله وقيل الابعلم الله وقيل سبب نزول هذه الآية أن الكفار قالوا لو كان ما عليه
المسلمون حقاً لصانهم - ثم الله تعالى عن المصائب في الدنيا فبين الله تعالى أن ما أصاب من مصيبة
الابضاء وقدره (فان قيل) يمتصل قوله تعالى ما أصاب من مصيبة الاباذن الله (أجيب)
بأنه يتعلق بقوله تعالى فآمنوا بالله ورسوله (ومن يؤمن بالله) يصدق بأنه لا نصيبه مصيبة
الابضاء الله الملك الاعظم وتقديره واذنه (يهد قلبه) قال ابن عباس رضي الله عنهما هو
أن يجعل في قلبه اليقين حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه أي فيسلم
لقضاء الله وقدره وقال الكلبي هو إذا ابتلى صبر وإذا أنعم عليه شكر وإذا ظلم غفر وقيل يهد قلبه
إلى نيل الثواب في الجنة وقيل يثبت على الإيمان وقال أبو عثمان الحيري من صح إيمانه يهد الله
قلبه لا تباع السنة وقيل يهد قلبه عند المصيبة فيقول أنا لله وأنا إليه راجعون قال ابن جرير
(والله) أي الملك الذي لا نظير له (بكل شيء) مطلقاً من غير استثناء (عالم) فلا يخفى عليه تسليم
من انقاد لأمره فإذ اتحقق من هدى قلبه ذلك زاح عنه كل اعتقاد باطل من كفر أو بدعة أو وصفة
خبثة (وأطيعوا الله) أي الملك الاعلى الذي له الأمر كله (وأطيعوا الرسول) أي هو نوا على
أنفسكم المصائب واشتغلوا بطاعة الله تعالى واعملوا بكتابه وأطيعوا الرسول في العمل بسنته
(فان توليتم) أي عن الطاعة (فإنما على رسولنا) أضافه إليه على وجه السكال تعظيماً له
وتهديداً لمن يتولى عنه (البلاغ المبين) أي الظاهر في نفسه المظهر لكل أحد أنه أوضح له غاية
الإيضاح ولم يدع لبساً وليس إليه خلق الهداية في القلوب (الله) أي المحيط بجميع صفات
السكال (لا اله الا هو) فهو القادر على خلق الهداية في القلوب والاقبال بها لا يقدر على ذلك
غيره (وعلى الله) أي الذي له الأمر لا على غيره (فليست كل المؤمنين) أي لأن إيمانهم بأن السكال
منه يقتضي ذلك وقال الزمخشري هذا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على التوكل عليه
والتقوى به في أمره حتى يصره على من كذبه وتولى عنه واختلف في سبب نزول قوله تعالى
(يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم) أي وان أظهرن غاية المودة (وأولادكم) أي
وان أظهرن غاية الشفقة (عدوا لكم) فقال ابن عباس نزلت بالمدينة في عوف بن مالك

الاشعبي شكالى النبي صلى الله عليه وسلم جفا أهله وولده فنزلت ذكره النحاس وحكاه الطبري
 عن عطاء بن يسار قال نزلت سورة التغابن كلها بمكة الا هؤلاء الآيات يا أيها الذين آمنوا ان من
 أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فانها نزلت في عوف بن مالك الاشعبي كان ذا أهل وولد وكان
 اذا أراد الغزو وبسكوه وورقة قوه وقالوا الى من تدعنا فيرق فيقيم فنزلت هذه الآية الى آخر
 السورة بالمدينة وروى الترمذي عن ابن عباس وسئل عن هذه الآية قال هؤلاء رجال أسلموا
 من أهل مكة وأرادوا أن يأبوا النبي صلى الله عليه وسلم فلما أبوا النبي صلى الله عليه وسلم رأوا الناس قد تفقهوا في الدين
 يأبوا النبي صلى الله عليه وسلم فلما أبوا النبي صلى الله عليه وسلم رأوا الناس قد تفقهوا في الدين
 فهموا أن يعاقبوه فأنزل الله تعالى هذه الآية حديث حسن صحيح وفي صحيح البخاري
 عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الشيطان قعد لابن آدم في طريق الإيمان
 فقال له أتؤمن وتزدد بك ودين أبائك فخالفه فآمن ثم قعد له على طريق الهجرة فقال له أتهاجر
 وتترك أهلك ومالك فخالفه فهاجر ثم قعد له على طريق الجهاد فقال له أتجاهد فتقتل نفسك
 فتبنيك نسائك وبقيهم مالك فخالفه فجاهد فقتل فحق على الله أن يدخله الجنة وقعود الشيطان
 يكون بوجهين أحدهما ما يكون بالوسوسة والثاني أن يجعل على ما يريد من ذلك الزوج والولد
 والصاحب قال تعالى وقضنا لهم قرأنا فزينا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم وفي حكمة عيسى
 عليه الصلاة والسلام من اتخذ أهلا وما لا ولدا كان في الدنيا عبدا وقال عليه الصلاة والسلام
 تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد الخميصة تعس عبد القطيفة ولا دأمة أعظم من دأمة
 الدينار والدرهم ولا أخس من همة ترتفع بثوب جديد ويدخل في قوله تعالى ان من أزواجكم
 الذكور والانثى فكأن الرجل تكون زوجته عدوا له كذلك المرأة يكون زوجها عدوا لها هذا
 المعنى (فاحذروهم) أي أن تطيعوهم في الخلف عن الخير ولا تأمنوا غوائلهم (وان تعفوا)
 أي توقعوا المجاوزة عن ذنوبهم بعدم العقاب عليها فانه لا فائدة في ذلك فان من طبع على شيء
 لا يرجع عنه وانما النافع الحذر الذي أرشد اليه تعالى لئلا يكون سببا للذم المنهى عنه
 (ونصفحوا) أي بالاعراض عن المقابلة بالثريب باللسان (وتغفروا) أي بأن تستروا ذنوبهم
 سترا تاما شاملا للعين والاثربالتجاوز (فان الله) أي الجامع لصفات الكمال (غفور) أي بالغ
 المحو لعيان الذنوب وآثارها جزاء لكم على غفرانكم لهم وهو جدير بان يصلحهم لكم بسبب
 غفرانكم (رحيم) فيكرمكم بعد ذلك المستر بالانعام فتخلقوا بأخلاقه تعالى يزدكم من فضله
 (انما أموالكم) أي عامة (وأولادكم) كذلك (فتنة) أي اختبار من الله تعالى لكم وهو أعلم
 بما في نفوسكم منه لكم لكي يظهر في عالم الشهادة من عباد ذلك فيكون عليه نعمة عن لا يملكه
 فيكون عليه نعمة فربما رام الانسان صلاح ماله وولده فبالغ فأفسد نفسه ثم لا يصلح ذلك ماله
 ولولده روى أبو نعيم في الحلية في ترجمة سفيان الثوري رضى الله عنه أنه قال يوفق رجل
 يوم القيامة فيقال أكل عياله حسنة فانه وعن بعض السلف العيال سوس الطاعات ويكني
 في فتنة المال قصة ثعلبة بن حاطب أحد من نزل فيه قوله تعالى ومنهم من عاهد الله

مسعود لا يقولن أحدكم اللهم اعصمني من الفتنه فانه ليس أحدكم يرجع الى مال ولا وله
 الا وهو مشتمل على فتنة وليكن ليقول اللهم اني أعوذ بك من مضلات الفتن وقال الحسن
 في قوله تعالى ان من أزواجكم وأولادكم أدخل من للتبعيض لانهم كلهم ليسوا بأعداء ولم يذكر
 في قوله تعالى انهم أموالكم وأولادكم فتنة لانهم لا يتخلون من الفتنة واشتغال القلب بهما
 روى الترمذي وغيره عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يخطب
 فجاء الحسن والحسين رضي الله تعالى عنهم وأعوذ بهم ما يقصسان أحمران عيشيان ويعثران فنزل
 صلى الله عليه وسلم فحملهما ووضعهما بين يديه ثم قال صدق الله عز وجل انما أموالكم
 وأولادكم فتنة نظرت الى هذين الصبيين عيشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما
 ثم أخذ في خطبته * (تنبه) * قدم الاموال على الاولاد لان فتنة المال أكثر وترك ذكر
 الزوج في الفتنة قال البقاعي لان منهن من يكون صلاحا وعونا على الآخرة (والله) أي
 ذوالجلال (عنده) وناهيك بما يكون منه بسبيل جلاله وعظمته (أجر) ثم وصفه بقوله تعالى
 (عظيم) أي ان اتقربا وأمره التي أمره بها وقوله تعالى (فاتقوا الله) أي الملك الاعلى
 (ما استطعتم) أي جهدكم ووسعكم ناسخ لقوله تعالى اتقوا الله حق تقاته قاله قتادة والربيع
 ابن أنس والسدي وذكر الطبري عن ابن زيد في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله
 حق تقاته قال جاء أمر شديد قال ومن يعرف قدره ذابيل لعله فاعلم الله تعالى أنه قد اشتد
 عليهم نسخته عنهم وجاء بهذه الآية الاخرى فقال فاتقوا الله ما استطعتم وقال ابن عباس
 وهي محكمة لانسح فيها ولكن حق تقاته أن يجاهدوا فيه حق جهاده ولا تأخذهم في الله لومة
 لائم ويقوموا بالله بالقسط ولوعلى أنفسهم وآبائهم وآبائهم (فان قيل) اذا كانت الآية
 غير منسوخة فكيف الجمع بين الآيتين وما وجه الامر بانقائه حق تقاته مطلقا من غير تخصيص
 ولا مشروط بشرط والامر بانقائه بشرط الاستطاعة (أجيب) بأن قوله تعالى فاتقوا الله
 ما استطعتم معناه فاتقوا الله أيها الناس وراقبوه فيما جعله فتنة لكم من أموالكم وأولادكم
 أن تغلبكم فتنهم وتصدكم عن الواجب لله عليكم من الهجرة من أرض الكفر الى أرض
 الاسلام فتتركوا الهجرة وأنتم مستطيعون وذلك أن الله تعالى قد عذر من لم يقدر على
 الهجرة بتركها بقوله تعالى ان الذين وقاهم الملائكة ظالمي أنفسهم الى قوله تعالى فاولئك
 عسى الله أن يعفو عنهم فأخبر تعالى انه قد عفا عن لا يستطيع حيله ولا يهتدى سبيل الاقامة
 في دار الشرك فكذلك معنى قوله تعالى ما استطعتم في الهجرة من دار الشرك الى دار الاسلام
 أن تتركوها فتنة أموالكم وأولادكم ويدل على صحة هذا أن قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم
 عقب قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم
 ولا خلاف بين علماء التأويل في أن هذه الآيات نزلت بسبب قوم كفار تأخروا عن الهجرة
 من دار الشرك الى دار الاسلام بتضييق أولادهم اياهم عن ذلك كما تقدم وهذا اختيار الطبري
 وقال ابن جبير قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم أي فيما يتطوع به من نافلة أو صدقة فانه لما نزل

قوله تعالى اتقوا الله حق تقاته استندت على القوم فقاموا حتى وروى عراقيهم وقرحت
جباههم فأنزل الله تعالى تخففة فيهم فاتقوا الله ما استطيعتم فنتسخت الارلى قال الماوردى
ويحتمل أن ثبت هذا النقل لأن المكروه على العصية غير مؤاخذ به لأنه لا يستطيع انتقامها
(واسمعوا) أى سماع اذعان وتسليم لما توعدون به وجميع أو امره (وأطيعوا) أى وصدقوا
ذلك الاذعان بمباشرة الافعال الظاهرة فى الاسلاميات من القيام بأمر الله تعالى والشهقة
على خلق الله فى كل أمر ونهى على حسب الطاقة وحذف المتعلق ليصدق الامر بكل طاعة
(وأطيعوا) أى أوقعوا الاتفاق كما حذف لكم فيما يجب أو ندب اليه والاتفاق لا يخص نوعا
بل يكون بكل ما رزق الله من الذاتى والخارجى وقوله تعالى (خبر الانفسكم) فى نفسه أوجه
أحدها قال سيدييه انه مفعول بفعل مقتدر دل عليه وأنفقوا تقديره قدموا وخبر الانفسكم
كقوله تعالى انتهوا خير لكم الذى تقديره يكن الاتفاق خيرا فهو خير كان المضمر وهو قول
أبي عبدة الثالث أنه نعت مصدر محذوف وهو قول الكسائى والقرأ أى انصافا خيرا
لأنفسكم فإن الله يعطى خيرا منه فى الدنيا مع ما تركى به النفس ويدخر عليه من الجزاء فى الآخرة
مما لا يدرك كنهه فلا يعترنكم عاجل شئ من ذلك فأنما هو زخرف * ولما ذكر ما فى الاتفاق من
الخير عم فى جميع الاوامر بقوله تعالى (ومن يوق شح نفسه) فيفعل فى ماله جميع ما أمر به
موقفا به معطنا اليه حتى يرتفع عن قلبه الاخطار ويتحرر عن رق المكونات والشح خلق باطنى
هو الداء العضال والبخل فعل ظاهر ينشأ عن الشح والنفس تارة تشح بترك الشهوة من المعاصى
فتفعلها وتارة باعطاء الاعضاء فى الطاعات فتتركها وتارة بانفاق المال ومن فعل ما فرض عليه
خرج من الشح * ولما كان الواقى هو الله تعالى سبب عن وقايته قوله تعالى (فأولئك) أى
العالو الرتبة (هم المفلحون) أى الفائزون الذين حازوا جميع المراتب بما اتقوا الله فبینه
ثم رغب فى الاتفاق بقوله تعالى (ان تقصروا الله) أى الملك الاعلى ذا الغنى المطلق الحائز
لجميع صفات السكال (قرضا حسنا) والقرض الحسن هو التصدق من الحلال مع طيب النفس
ومع الاخلاص والمبادرة (يضاعفه لكم) أى لاجلكم خاصة أقل ما يكون بالواحد عشر
الى ما لا يتناهى على حسب النيات قال القشيري يتوجه الخطاب به هذا على الاعنياء فى بذل
أموالهم وعلى الفقراء فى اخلاء أيامهم وأوقاتهم من مز وأتتهم وإيثارهم ادا الحق على مز اذ
أنفسهم فالغنى يقال له أثر حكيمى على مز اذ فى مالك وغيره والفقير يقال له أثر حكيمى فى نفسك
وقلبك ووقتك * ولما كان الانسان لما له من النقض وان اجتهد لا يبلغ جميع ما أمر به
لأن الدين وان كان يسيرا فهو متين ان يشاده أحد الاغلبه قال تعالى (ويغفر لكم) أى يوقع
الغفران وهو محو ما فرط عليه وأثره (والله) أى الذى لا تقاس عظمته بشئ (شكور) أى يبلغ
الشكر لمن يعطى لاجله ولو كان قليلا فينسيبه ثوابا جزيا خارجا عن الحصر وهو ناظر الى
المضاعفة (حليم) فلا يجمل بالعقوبة على ذنب من الذنوب وان عظم بل يهمل طول لا يندكر
العبد الاخسان مع العصيان فيستوب ولا يهمل ولا يعثر بحمله فان غضب الحليم لا يطاق وهو

راجع الى الغفران (عالم الغيب) وهو ما غاب عن الخلق كلهم فيشمل ما هو داخل القلب مما تؤثره الجسلة ولا علم لصاحب القلب به فضلا عن غيره (والشهادة) وهو كل ما ظهر وكان بحيث يعلمه الخلق وهذا الوصف داع الى الاحسان من حيث انه موجب للمؤمن ترك ظاهرا لاثم وباطنه وكل قصور وقتور وغفلة وتهاون في عبد الله تعالى كانه يراه (العزير) أى الذى يغلب كل شئ ولا يغلبه شئ (الحكيم) أى بالغ الحكمة التى يعجز عن ادراكها الخلاق وقال ابن الانبارى الحكيم هو المحكم لخلق الاشياء فصرف عن مفعول الى فاعيل ومنه قوله تعالى الم تلك آيات الكتاب الحكيم معناه المحكم فصرف عن مفعول الى فاعيل وما قاله البضاوى تبعا للزمخشري من أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة التغابن رفع عنه موت الفجأة حديث موضوع

﴿سورة الطلاق مكية﴾

وهي احدى عشرة آية وقيل اثنتا عشرة آية وقيل ثلاث عشرة آية ومائتان وتسع وأربعون كلمة وألف وستون حرفا

(بسم الله) الذى له جميع صفات الكمال (الرحمن) الذى عم برحمته والذوال (الرحيم) الذى خص بإتمام النعمة وذوى الهمم العوال وقرأ (يا أيها النبي) نافع بالهمزة وسهل الهمزة من اذا وأبدلها أيضا واوا خصه صلى الله عليه وسلم بالنداء وعم بالخطاب لأن النبي أمام أمته وقد وسم كما يقال لرئيس القوم وكبيرهم يا فلان افعلوا كيت وكيت اظهار التقديم واعتماد الرأسة وانه لسان قومه والذى يصدر عن رأيه ولا يستبدون بأمر دونه فكان هو وحده فى حكم كلهم وساد امته جميعهم وقيل انه على اضمار قول أى يا أيها النبي قل لامتكن (اذا طلقتم النساء) أى أردتم طلاق هذا النوع واحدة منهن فأكثر وقيل انه خطاب له ولا مته والتقدير يا أيها النبي وأمتة فحذف المعطوف لدلالة ما بعده عليه كقوله اذا حذفت رجلا أى ويدها وكقوله تعالى سرايل تقيمكم الحز وقيل انه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم خوطب بلفظ الجمع تعظيما له كقوله

فان شئت حرمت النساء سواكم * وان شئت لم أطمع نقاها ولا بردا

قال الرازى وجه تعلق أول هذه السورة بالآخر التى قبلها هو أنه تعالى أشار فى آخر التى قبلها الى كمال علمه بقوله تعالى عالم الغيب والشهادة وفى أول هذه السورة إشارة الى كمال علمه بصالح النساء والاحكام المخصوصة بطلاقهن فكان بين ذلك الكلى بهذه الجزئيات وروى ابن ماجه عن ابن عباس عن عمر بن الخطاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلق حفصة ثم راجعها وعن أنس قال طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة فأنت أهلها فأنزل الله تعالى يا أيها النبي اذا طلقتم النساء وقيل له راجعها فانهم اصوامه قوامه وهى من أزواجك فى الجنة ذكره الماوردى والقشبرى وزاد القشبرى ونزل فى خروجها الى أهلها قوله تعالى لا تخرجوهن من بيوتهن وقال السكيت سبب نزول هذه الآية غضب رسول الله صلى الله عليه

وسلم على حفصة لما أمر إليها حديثاً فظهرت له عائشة فطلقها تطليقة فترت وقال السدي نزلت
 في عبد الله بن عمر طلق امرأته عائشة تطليقة واحدة فأمره النبي صلى الله عليه وسلم
 بأن يراجعها ثم يسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر فإن شاء أمسكها وإن شاء طلقها قبل
 أن يجامع فذلك العدة التي أمر الله أن تطلق لها النساء وهو قوله تعالى (فطلقوهن لعدتهن)
 أي في الوقت الذي يشرع فيه في العدة وقد قيل إن رجلاً فعلوا مثل ما فعل عبد الله بن عمر منهم
 عبد الله بن عمرو بن العاص وعمر بن سعيد بن العاص وعتبة بن غزوان فترت الآية فيهم
 وروى الدارقطني عن ابن عباس أنه قال الطلاق على أربعة وجوه وجهان حلالان ووجهان
 حرامان فأما الحلال فأن يطلقها طاهراً عن غير جماع وأن يطلقها حاملاً مستميناً جلها
 وأما الحرام فأن يطلقها حائضاً وأن يطلقها حين يجامعها لا يدري أشتمل الرحم على ولد أم لا
 * (تنبه) * الطلاق ينقسم إلى سني وبدعي ولا ولا فطلاق موطوءة ولو في دبر تعدد باقراً سني
 إن ابتدأتها الاقراء عقب الطلاق ولم يوطأها في طهر طلقها فيه أو علق طلقها في بعضه
 ولا وطمأ في نحو حيض قبله ولا في نحو حيض طلق مع آخره أو علق بآخره وذلك لاستعقابه
 الشروع في العدة وعدم الندم فيمن ذكرت والافبدعي وإن سألته طلاقاً بلا عوض وطلاق
 غير الموطوءة المذكورة بأن لم يوطأ أو كانت صغيرة أو آيسة أو حاملاً منه وخلع زوجته في زمن
 حيض بعوض لا سني ولا بدعي والبدعي حرام للنهي عنه وقسم جماعة الطلاق إلى واجب
 كطلاق المولى أي واجب مخير إن لم يكن عذر ومعين إن كان عذر شرعي كالأحرام ومنسحب
 كطلاق غير مستقيمة الحال كسيئة الخلق ومكروه كسيئة قيمة الحال وحرام كطلاق البدعة
 وأشار الإمام إلى المباح بطلاق من لا يهاو ولا تسمع نفسه بموتها من غير تمتع بها وروى
 الثعلبي من حديث ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن من أبغض الحلال إلى الله
 الطلاق وعن علي عن النبي عليه الصلاة والسلام قال تزوجوا ولا تطلقوا فإن الطلاق يهتزمه
 العرش وعن أبي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معاذ ما خلق الله تعالى شيئاً
 على وجه الأرض أحب إليه من العتاق ولا خلق الله تعالى شيئاً أبغض إليه من الطلاق
 وعن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحل الله شيئاً أبغض إليه من
 الطلاق واختلفوا في الاستثناء في الطلاق والعتق فقالت طائفة يجوزونه وهو مروى عن
 طاوس وبه قال جاد الكوفي والشافعي وأبو ثور أصحاب الرأي وقال مالك والأوزاعي لا يجوز
 الاستثناء في الطلاق والعتق وقال قتادة لا يجوز الاستثناء في الطلاق خاصة قال ابن المنذر
 وبالقول الأول أقول * ولما كان نظر الشارع إلى العدة شديداً صرح بصيغة الأمر فقال تعالى
 (وأحصوا) أي اضبطوا اضبطاً كأنه في اتقانه محسوس (العدة) يعرف زمان الرجعة والنفقة
 والسكنى وحل النكاح لاخت المطلقه مثلاً ونحو ذلك من القوائد الجلية (واتقوا) أي
 في ذلك (الله) أي الملك الأعظم الذي له الخلق والأمر (ربكم) أي لا حسانه في ريتكم
 في حالكم على الخفيفة السمعة ورفع جميع الأصار عنكم (لا تخرجوهن) أي أيها الرجال

في حال العدة (من يوتهن) أي المساكن التي وقع الفراق فيها وهي مساكنهن التي يسكنها قبل
 العدة وهي بيوت الأزواج وأضيفت اليهن لاختصاصها بهن من حيث السكنى وقرأ ورش
 وأبو عمرو وحفص بضم الباء الموحدة والباقون بكسرها (ولا يخرجن) أي من بيوتهن حتى
 تنقضي عدتهن ولو وافق الزوج على ذلك وعلى الحاكم المنع منه لأن في العدة حق الله تعالى
 وقد وجبت في ذلك المسكن وقوله تعالى (الآن يأتيها فاحشة مبینة) مستثنى من الأول
 والمعنى الآن تبدو على الزوج فأنه كشأنه في أسقاط حقها وقال ابن عباس الفاحشة
 المينة أن تبدو على أهل زوجها فيحل إخراجها سوء خلقها وقال ابن مسعود أراد بالفاحشة
 المينة أن تفرج فتخرج لإقامة الحد عليها ثم ترد إلى منزلها وقال قتادة الفاحشة النشوز وذلك
 أن يطلقها على النشوز فتحول عن بيته ويجوز أن يكون مستثنى من الثاني للعبادة في النهي
 والدلالة على أن خروجها فاحشة هذا كله عند عدم العذر أو ما العذر كشر غير من لها نفقة
 على المفارق نحو طعمام كقطن وكان نهارا وغزلها ونحوه كديتها وتأنيسها عند جارتها بالبلد
 وترجع وتبيت بيته فأنه جائز للحاجة إلى ذلك وخوف على نفس أو مال من نحو هدم وغرق
 وفسقة مجاورين لها وشدة تأذيها بجيران وشدة تأذيهم بها للحاجة إلى ذلك بخلاف الأذى
 اليسير الذي لا يخلو منه أحد من الجيران إلا جاء بهم أقارب الزوج نعم إن اشتد أذاها بهم أو عكسه
 وكانت الدار ضيقة نقلهم الزوج عنها وخرج بالجيران ما لو طلبت بيت أبيها وتأت بهما
 أو ههنا فلا نقل لأن الوحشة لا تطول بينهما ولو انتقلت لبلد أو مسكن بأذن زوجها فوجبت
 العدة ولو قبل وصولها إليه اعتدت فيه لأنها مأورة بالمقام فيه فإن انتقلت لذلك بلا إذن فتعدت
 في الأول وإن وجبت العدة بعد وصولها للثاني لعصيانها بذلك نعم إن أذن لها بعد انتقالها
 أن تقيم في الثاني فكأنها انتقلت بالأذن ولو أذن لها في الانتقال فوجبت العدة قبل خروجها
 اعتدت في الأول ولو سافرت بأذن زوجها فوجبت في الطريق فعودها أولى من مضيتها
 فإن مضت وجب عودها بعد انقضاء حاجتها إن سافرت لها وبعد انقضاء مدة الأذن إن قدر
 لها مدة أو مدة إقامة المسافر إن لم تقدر لها مدة في سفر غير حاجتها ولو خرجت فطلقها وقال
 ما أذنت في الخروج أو قال وقد قالت أذنت في نقلتي أذنت للانتقال صدق بيئته ولو كان
 المسكن ملكا ويليق بهما تعين لأن نعتة فيه كما مر ويصح بيعه في عدة أشهر كما كثرى أو كان
 مستعارا أو مكرنى وانقضت مدة الكراء انتقلت منه إن امتنع المالك وإن كان ملكا لها
 تخيرت بين الاستمرار فيه بإعارة أو إجارة والانتقال منه كالأول كان المسكن خسيسا ويخير هو
 إن كان نفقا أو سكنى المعتدة عن فرقة واجب على الزوج حيث يجب نفقتها عليه ولم تفارق سواء
 أ كانت الفرقة بطلاق أو فسخ أو وفاة لقوله تعالى أسكنوهن من حيث سكنتم وقيس به الفسخ
 بأنواعه بجامع فرقة النكاح في الحياة وتخير فرقة بنت مالك في الوفاة أن زوجها قتل فسات
 النبي صلى الله عليه وسلم أن ترجع إلى أهلها وقالت إن زوجي لم يتركني في منزل يملكه فأذن لها
 في الرجوع قالت فانصرفت حتى إذا كنت في الحجرة أو في المسجد دعاني فقال امكني في بيتك

حتى يبلغ الكتاب أجله قالت فاعتددت فيه أربعة أشهر وعشر أصححه الترمذي وغيره وقرأ
ابن كثير وأبو بكر بفتح الباء التحتية والباقون بكسرها (وتلك) أى الأحكام العالية جدا
لما فيها من الجلالة وباتسابع إلى الملك الأعلى من هذا الذى ذكر فى هذه السورة وغيرها
(حدود الله) أى الملك الأعظم (ومن بعد) أى يقع منه فى وقت من الاوقات انه تعدد
أن يعدو (حدود الله) أى الملك الذى لا كف له أو بعضها كأن تطلق بدعينا (فقد ظلم نفسه) أى
عرضها للعقاب وقرأ القلون وابن كثير وعاصم بإظهار الدال عند الظاء والباقون بالادغام
(لا تدرى) أى النفس أو أنت يا أيها النبي أو المطلق (لعل الله) أى الذى يسده القلوب
ومقاله جميع الامور (يحدث) أى يوجد شيئا حادثا لم يكن ايجادا تابعا لا تقدر الخلق على
التسبب فى زواله (بعد ذلك) أى الحادث من الاساءة والبغض (أمر) بأن يقاب قلبه من
بعضها الى محبتها ومن الرغبة عنها الى الرغبة فيها ومن عزيمة الطلاق الى الندم عليه فراجعها
وقال أكثر المفسرين أراد بالامر هنا الرغبة فى الرجعة ومعنى الكلام التحريض على طلاق
الواحدة والنهي عن الثلاث وهذا أحسن الطلاق وأحله فى السنة وأبعده عن الندم ويدل
عليه ما روى عن ابراهيم النخعي ان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يستحبون
ان لا يطلقوا السنة الواحدة ثم لا يطلقون غير ذلك حتى تنقضى العدة وكان أحسن عندهم
من أن يطلق الرجل ثلاثا فى ثلاثة أشهر وأما أبو حنيفة وأصحابه فأنما كرهوا ما زاد على
الواحدة فى طهر واحد فأمافرق فى الاطهار فلا لما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال
لابن عمر حين طلق امرأته وهى حائض ما حككذا أمر الله أمما السنة أن تستقبل الطهر
استقبالا وتطلقه الكل قرءة تطليقة وروى أنه قال لعمر بن الخطاب فليراجعها ثم ليدعها ثم يحض
ثم تطهر ثم ليطلقها ان شاء فتملك العدة التى أمر الله أن تطلق لها النساء وعند الشافعى لا بأس
بارسال الثلاث وقال لأعرف فى عدد الطلاق سنة ولا بدعة وهو مباح ومالك يراعى فى طلاق
السنة الواحدة والوقت وأبو حنيفة يراعى التفريق والوقت والشافعى يراعى الوقت وحده
قال الزمخشري (فان قلت) هل يقع الطلاق المخالف للسنة (قلت) نعم وهو آثم لما روى عن النبي
صلى الله عليه وسلم أن رجلا طلق امرأته ثلاثا بين يديه فقال أتلعبن بك يا الله وأنا بين أظهركم
وفى حديث ابن عمر أنه قال يا رسول الله أرايت لو طلقته ثلاثا فقال له قال اذا عصيت وبانت منك
أمر أنك وعن عمر رضى الله عنه أنه كان لا يؤتى برجل طلق امرأته ثلاثا الا وأجعه ضربا وأجاز
ذلك عليه وعن سعيد بن المسيب وجماعة من التابعين ان من خالف السنة فى الطلاق فأوقعه فى
حيض أو ثلث لم يقع وبشبهه بن وكل غيره بطلاق السنة مخالف (فان قيل) قوله تعالى اذا طلقتم
النساء عام يتناول المدخول بهن وغير المدخول بهن من ذوات الاقراء والايسات والصغار
والحوامل فكيف صرح بتخصيصه بذوات الاقراء المدخول بهن (أجيب) بأنه لا عموم ثم
ولا خصوص ولكن النساء اسم جنس للاناث من الانس وهذه الجنسية بمعنى قائم فى كلهن

وفي بعضهم بخلاف أن يراد بالإنشاء هذا أو ذلك فلما قيل فطلقوهن لعدتهن علم أنه أطلق على بعضهم
وهن المدخول بهن من المعتدات بالحيض * ولما حدث سبحانه ما يفعل في العدة أتبعه ما يفعل
عند انقضائها بقوله تعالى (فإذا بلغن) أي المطلقات (أجلهن) أي شارفن انقضاء العدة
مشاركة عظيمة (فأمسكنوهن) أي بالمراجعة وهذا يدل على أن الأولى من الطلاق
مادون البائن لا سيما الثلاث (بمعروف) أي حسن عشرة لاقصد المضاربة بطلاق آخر لاجل
إيجاب عدة أخرى أو غير ذلك (أو فارقوهن) بعدم المراجعة لتتم العدة فذلك نفسها (بمعروف)
أي بإيقاف الحق مع حسن الكلام وكل أمر حسن الشرع فلا يقصد أذاها به تقريرها عن ولدها
مثلاً وأمنه أن كانت عاشقة له لقصد الأذى فقط من غير مصلحة وكذا ما أشبه ذلك من أنواع
الضرر بالفعل والقول فقد تضمنت الآية بإفصاحها الحث على فعل الخير وإيقافها
اجتناب المنكرات * (تنبيه) قال بعض العلماء في قوله تعالى فأمسكنوهن بمعروف أو فارقوهن
بمعروف وقوله تعالى فامسكهن المعروف وتسريح باحسان أن الزوج له حق في بدن الزوجة ولها
حق في بدنه وذمته فكل من له دين في ذمة غيره سواء أكان مالاً أو منفعة من ثمن أو ممن أو أجرة
أو بدل متلف أو ضمان مغضوب أو نحو ذلك فعليه أن يؤدي ذلك الحق الواجب باحسان
وعلى صاحب الحق أن يتبع باحسان كما قال تعالى في آية القصاص فمن عني له من أخيه شيء
فاتبع بالمعروف وأداء إليه باحسان وكذا الحق الثابت في بدنه مثل حق الاستمتاع والجاراة
على عينه ونحو ذلك فالطالب بطالب بمعروف والمؤدي يؤدي باحسان * ولما كان الأشهاد أقطع
للنزاع قال تعالى حائلي الكيس واليقظة والبعدين أفعال المغفلين المجزة (وأشهدوا) أي
على الرجعة أو المفارقة وقيل المعنى وأشهدوا عند الرجعة والفرقة جميعاً (ذوي عدل منكم)
قطعا للنزاع وهذا الأشهاد مندوب إليه عند الجمهور كقوله تعالى وأشهدوا إذا تبايعتم
وأوجب الأشهاد في الرجعة الإمام أحمد في إحدى الروايتين عنه والشافعي كذلك الظاهر الأمر
وقال مالك وأبو حنيفة وأحمد والشافعي في القول الآخر أن الرجعة لا تنقصر إلى القبول
فلم تنقصر إلى الأشهاد كسائر الحقوق وإذا جامع أو قبل أو باشر يبدل الرجعة فليس
براجع وقال أبو حنيفة وأصحابه إذا قبل أو باشر أو لمس بشهوة فهو رجعة وكذا النظر إلى
الفرج رجعة وقال الشافعي وأبو ثور إذا تمكلم بالرجعة فهي رجعة وقيل وطؤه مراجعة على
كل حال نواها أو لم ينوها وهو مذهب أحمد وإليه ذهب المالكية قال القرطبي
وكان مالك يقول إذا وطئ ولم ينو الرجعة فهو وطء فاسد ولا يعود إلى وطئها حتى يستبرأها
من مائه الفاسد وله الرجعة في بقية العدة الأولى وليست له الرجعة في هذا الاستبراء * (تنبيه)
قوله تعالى منكم قال الحسن من المسلمين وعن قتادة من أحراركم وذلك يوجب اختصاص
الشهادة على الرجعة بالذكور دون الإناث لأن ذوي المذكر وقوله تعالى (وأقيموا) أي أيها
الأمموردون حيث كنتم شهوداً (الشهادة) التي تعلمتموها بأدائها على أكل أحوالها (لله)
أي محاضرين لوجه الملك الأعلى لا لاجل الشهود له والمشهود عليه ولا شيء سوى وجه الله تعالى

وفيه حث على أداء الشهادة لما فيه من العسر على الشاهد بترك مهماته وعسر لقاء الحاكم
الذي يؤدي عنده وربما بعد مكانه وكان للعدل في الادعاء وثق أيضا (ذلكم) أي الذي ذكرت
لكم أيها الأمة من هذه الأمور البديمة النظام العالية المرام وأولها بذلك هذا الشهاد
واقامة الشهادة (يوحظ) أي يلين ويرقق (به من كان) أي كوناراسخا من جميع الناس (يومن
بالله) أي الذي له الكمال كله (واليوم الآخر) فإنه المحط الأعظم للترقيق وأما من لم يكن متمصفا
بذلك فكأنه لقساوة قلبه ما وعظ به لأنه لم يتفقه به وقوله تعالى (ومن يتق الله) أي يخف الملك
الاعظيم فيجعل بينه وبين ما يضره وقاية بما يرضيه وهو اجتلاب ما أمر به واجتناب ما نهى عنه
من الطلاق وغيره ظاهر أو باطنا لأن التقوى إذا اتقردت في القرآن عن مقارن عت الأمر
والنهى وإن اقترنت بغيرها فتحو احسان أو رضوان خست المناهى (يجعل) أي بسبب التقوى
(له مخرجا) بجله اعتبارضية مؤكدة لما سبق بالوعد على اتقائه عما نهى عنه صريحاً أو ضمنياً من
الطلاق في الخيض والاضرار بالمعذرة واخراجها من المسكن وتعدى حدود الله تعالى روى
أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن طلق ثلاثاً وألغاهل له من مخرج قتلها وقال ابن
عباس رضى الله تعالى عنهما والشعبي والضمك هذا في الطلاق خاصة أي من طلق كما أمره الله
تعالى يكنى له مخرج في الرجعة في العدة وأن يكون كاحد الخطاب بعد العدة وعن ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما أيضاً يجعل له مخرجاً ينجمه من كل كرب في الدنيا والآخرة وقيل المخرج هو
أن يقنعه الله بما رزقه قاله علي بن صالح وقال الكلبي ومن يتق الله بالصبر عند المعصية يجعل له
مخرجاً من النار إلى الجنة وقال الحسن مخرجاً مما نهى الله عنه وقال أبو العالية مخرجاً من كل
شدة وقال الربيع بن خثيم مخرجاً من كل شئ ضاق على الناس وقال الحسين بن الفضل ومن يتق
الله في أداء الفرائض يجعل له مخرجاً من العقوبة (ويرزقه) أي الثواب (من حيث لا يحتسب)
أي يبارك له فيما آتاه وقال سهل بن عبد الله ومن يتق الله في اتباع السنة يجعل له مخرجاً من
عقوبة البدع ويرزقه الجنة من حيث لا يحتسب وقال أبو سعيد الخدري ومن تبرأ من حوله
وقوته بالرجوع إلى الله تعالى يجعل له مخرجاً مما كفه الله بالمعونة له وتأول ابن مسعود ومبروق
الآية على العموم وهذا هو الذي يقوى عندي وقال أبو ذر قال النبي صلى الله عليه وسلم إلى
لا أعلم آية لو أخذ الناس بهم الكفتم وتلا ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب
قال مخرجاً من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد يوم القيامة وقال أكثر المفسرين
نزلت في عوف بن مالك الأشجعي أسر المشركون ابنه له يسمى سالماً فأتى رسول الله صلى الله عليه
وسلم يشتكي إليه القنافة وقال إن العدو وأسرأني وجرعت الأم فأتانا مرني فقال صلى الله عليه
وسلم اتق الله واصبر وأمرك وإياها أن تكثرا من قول لا حول ولا قوة الا بالله فعاد إلى بيته وقال
لأمر أنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني وإياك أن نكثرا من قول لا حول ولا قوة الا بالله
العلي العظيم فقالت نعم ما أمرنا به فجعلنا يقولان ففعل العدو وعن ابنه فساق غنهم وجاءهم إلى
المدينة وهي أربعة آلاف شاة فنزلت الآية وجعل النبي صلى الله عليه وسلم تلك الاعظام له وروى

أنه جاء وقد أصاب إبلا من العدو وكان فقيرا فقال الكلبى أنه أصاب خسين بعيرا وفي رواية
 ذأقلت ابنه من الاسر وركب ناقه لقوم فبرسرح لهم فاستاقه وقال مقاتل أصاب غنما ومتاعا
 فقال أبو لهبي صلى الله عليه وسلم أيحل لي أن أكل مما أتى به ابني قال نعم وزل ومن يتق الله
 يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وروى الحسن بن عمار بن حصين قال قال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم من انقطع الى الله كفاه الله كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب ومن
 انقطع الى الدنيا وكلاه الله اليها وقال الزجاج اى اذا اتقى وآثر الحلال والصبر على أهله فتح الله
 عليه ان كان ذا ضيقة ورزقه من حيث لا يحتسب وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان
 النبي صلى الله عليه وسلم قال من أكثر الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق
 مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب (ومن يتوكل) أى يسند أموره كلها معتمدا فيها (على الله) أى
 الملك الذى ييسره كل شئ ولا كف له (فهو) أى الله فى غيبه فضلا عن الشهادة بسبب توكله
 (حسبه) اى كافيه ما أهمه وحذف المتعلق للتعميم وحرف الاستعلاء للإشارة الى أنه كان حمل
 أموره كلها عليه سبحانه لانه القوى العزيز الذى يدفع عنه كل ضار ويجلب له كل سار الى غير
 ذلك من المعانى الكبار فلا يبدو له فى عالم الشهادة شئ يشينه وقيل من اتقى الله وجانب المعاصى
 وتوكل عليه فله فيما يعطيه فى الآخرة من ثوابه كفاية ولم يرد الدنيا لان المتوكل قد يصاب فى الدنيا
 وقد يقتل وفى الحديث لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو تنفضا
 وتروح بطانا ويؤخذ من هذا أن التوكل يكون مع مباشرة الاسباب لانه صلى الله عليه وسلم
 قال تغدو وتروح وهى من المقامات العظيمة قال البقاعى نقل عن المولى والا كان اتكالا
 وليس ب مقام بل خسة همة وعدم مروءة لانه ابطال حكمه الله التى أحكمه بها فى الدنيا من ترتب
 المسببات على الاسباب اه * ولما كان ذلك أمر الايكاد يحيط به الوهم بالله بقوله تعالى مهو لاله
 بالتأكيده والظهار فى موضع الاضمار (أن الله) أى المحيط بكل كمال المنزه عن كل شائبة نقص
 (بالغ أمره) أى جميع ما يريد فلا بد من نفوذه سواء حصل توكل أم لا قال مسروق يعنى فاض
 أمره فبين توكل عليه وفين لم يتوكل عليه الآن من توكل عليه يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا
 وقرأ حفص بالغ بغير تنوين وأمره بالجر مضاف اليه على التخفيف والباقيون بالتنوين وأمره
 بنصب الراء وضم الهاء قال ابن عادل وهو الاصل خلافا لابي حيان (قد جعل الله) أى الملك
 الذى لا كف له ولا معقب لحكمه جعله مطلقا من غير تقييد بجهة ولا حيثة (لكل شئ) كرخاء
 وشدة (قدرا) أى تقدير اليتعداه فى مقداره وزمانه وجميع عوارضه وأحواله وان اجتمعت
 جميع الخلائق فى أن يتعداه فى توكل استفاد الاجر وخفف عنه الالم وقذف فى قلبه السكينة
 ومن لم يتوكل لم ينفعه ذلك وزاد ألمه وطال غمه بشدة سعيه وخيبة أسبابه التى يعة قد أنهاى
 المنجية فمن رضى فله الرضا ومن سخط فله السخط جف القلم فلا يزداد فى المقادير شئ ولا ينقص منها
 شئ ويحكى أن رجلا أتى عمر فقال أولنى محمدا ولاك الله فقال أقرأ القرآن قال لا قال انالونى من
 لا يقرأ القرآن فانصرف الرجل واجتهد حتى تعلم القرآن رجاء أن يعود الى عمر فيؤليه فلما تعلم

القرآن يختلف عن عمر فرآه ذات يوم فقال يا هذا أجهرت تنافس قال يا أمير المؤمنين لست بمن بهجرت
ولكنني تعلمت القرآن فأعزاني الله عن عمر وعن باب عرق قال فأى آية أغنتك قال قوله تعالى ومن
يتق الله يجعل له مخرجا فمن توكل على غيره سبحانه ضاع لانه لا يعلم المصالح وان علم لا يعلم كيف
يستعملها وهو سبحانه المنفرد بعلم ذلك كله ولا يعلم حق علمه غيره * (تنبيه) * الآية تفهم ان من
لم يتق الله يفتر عليه وهو موافق لما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال لا يرث القدر الا الدعاء ولا يزيد
في العمر الا البر وان الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه وتفهم ان من لم يتوكل لم يكف شيئا من
الاشياء وقال عبد الله بن رافع لما نزل قوله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه قال أصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم فحين اذ انوا كما عليه نزل ما كان لينا ولا تحفظه فنزل ان الله
بالغ امره فيكم وعليكم وقال الربيع بن خيثم ان الله قضى على نفسه ان من توكل عليه كفاه
ومن آمن به هداه ومن أقرضه جازاه ومن وثق به نجاه ومن دعاه أجابه وتصدق ذلك
في كتاب الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان تقرضوا الله قرضا
حسنا يضاعفه لكم ومن يعصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم واذا سألك عبادي
عني فاني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان * ولما بين تعالى امر الطلاق والرجعة التي
تحيض وكانوا قد عرفوا عدة ذوات الإقراء عرفهم في هذه السورة عدة التي لا ترى الدم قال
أبو عثمان عمر بن سليمان نزلت عدة النساء في سورة البقرة في المطلقة والمتوفى عنها زوجها قال
أبي بن كعب يا رسول الله ان ناسا يقولون قد بقي من النساء من لم يذكر فيهن شيء الصغار والكبار
وذوات الحمل فنزل (واللاني يئسن) أي من المطلقات (من الحيض) أي الحيض الآية وقال
مقاتل لما ذكر قوله تعالى والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء قال خلاد بن النعمان
يا رسول الله فمعدة التي لم تحض وعدة التي انقطع حيضها وعدة الحبل فنزلت وقيل ان معاذ بن
جبل سأل عن عدة الكبيرة التي يئست فنزلت وقال مجاهد الآية واردة في المستحاضة لا تدرى
دم حيض هو أو دم عله واختلاف في سن اليأس فالذي علمه الأكثر أنه اثنان وستون سنة وقيل
خمس وخمسون وقيل ستون وقيل سبعون * ولما كان هذا الحكم خاصا بازواج المسلمين لمرة
فرشهم وحفظ أنسابهم قال تعالى (من نساءكم) أي أيها المسلمون سواء كن مسلمات أو من أهل
الكتاب (ان ارتبتم) أي شككتم في عدتهن (فعدتهن ثلاثة أشهر) كل شهر يقوم مقام حيضة
لان أغلب عوائد النساء أن يكون كل قرء في شهر (واللاني لم يحضن) أي لصغرهن أو لانهن
لا حيض لهن أصلا وان كن بالغات فعدتهن ثلاثة أشهر أيضا هذا كله في غير المتوفى عنها
أزواجهن اما هن فعدتهن ما في آية يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا وقرأ واللاني
في الموضعين ابن عامر والكوفيون بالهمز وياء بعده وقرأ قالون وقنبل بالهمز ولا ياء بعده ولابن
وأبي عمرو أيضا ابدال الهمزة ياء ساكنة مع المد لا غير * ولما فرغ من ذكر الحوائث أتبعه ذكر
الحوائث بقوله تعالى (وأولات الاحمال) أي من جميع الزوجات المسلمات والكافرات
المطلقات والمتوفى عنهن (أجلهن) أي لمنتهى العدة سواء كان لهن مع الحمل حيض أم لا أن

يضعن جملهن) وهذا على عموم مخصوص لا يترى بصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشر إلا أن
 المحافظة على عمومها أولى من المحافظة على عموم ذلك في قوله تعالى أزواجاً لأن عموم هذه بالذات
 لأن الموصول من صيغ العموم وعموم أزواجاً بالعرض لأنه بدل لا يصلح لجميع الأزواج في حال
 واحد والحكم معلل هنا بوصف الجلية بخلاف ذلك ولأن هذه الآية متأخرة النزول عن آية
 البقرة فتقدمها على تلك تخصيص وتقدم تلك في العمل بعمومها رفع لما في الخاص من الحكم
 فهو نسخ والاول هو الرابع للرفاق ولأن سبعة بنت الحارث وضعت حملها بعد وفاة زوجها بليل
 فأذن لها النبي صلى الله عليه وسلم أن تزوج * (تنبيه) * إذا وضعت المرأة ما في بطنها من علقه
 أو مضغة حات عند مالك وقال الشافعي وأحمد وأبو حنيفة لا تحل الأبوضع ما يتبين فيه شيء
 من خلق الإنسان فإن كانت حاملاً بتواًمين لم تنقض عدتها حتى تضع الثاني منها ولا بد أن
 يكون الحمل منسوباً بالذي العدة أما إذا كان من زنا فلا حرمة له والعدة بالحيض * ولما كانت أمور
 النساء في المعاشرة والمفارقة في غاية المشقة ~~كثرت~~ بالحث على التقوى إشارة إلى ذلك وترغيباً
 في لزوم ما حده سبحانه فقال عاطفاً على ما تقدّمه في لم يحفظ هذه الحدود وعسر الله تعالى عليه
 أموره (ومن يتق الله) أي يوجد الخوف من الملك الأعظم إيجاداً مستمراً يجعل بينه وبين خطئه
 وقاية من طاعته اجتناباً للمأمور واجتناباً للمنهى (يجعل له) أي يوجد إيجاداً مستمراً باسقرار
 التقوى أن الله لا يمل حتى تملا (من أمره) أي كاه في النكاح وغيره (يسراً) أي سهولة وفرجاً
 وخيراً في الدارين بالدفع والنفع وذلك أعظم من مطلق الخروج المتقدم في الآية الأولى وقال
 مقاتل ومن يتق الله في اجتناب معاصيه يجعل له من أمره يسراً في توفيقه لطاعته (ذلك) أي
 الأمر المذكور من جميع هذه الأحكام العالية المراتب (أمر الله) أي الملك الأعلى الذي له
 الكمال كله (أنزله إليكم) وبينه لكم (ومن يتق الله) أي الذي لأمره لأحدمعه في أحكامه
 فيراعي حقوقها (يكفر) أي يغط تغطيعه عظيمة (عنه سبحانه) ليتخلى عن المبهذات فإن الحسنات
 يذهبن السيئات (ويعظم له أجر) بأن يبدل سيئاته حسنات ويوفيه أجرها في الدارين مضاعفة
 فيتحلى بالقربات وهذا أعظم من مطلق اليسر المتقدم (أسكنوهن) قال الرازي أسكنوهن
 وما بعده بيان لما شرط من التقوى في قوله تعالى ومن يتق الله كأنه قبل كيف نعمل بالتقوى
 في شأن المعتدات فقول أسكنوهن وقوله تعالى (من حيث سكنتم) فيه وجهان أحدهما أن
 من للتبعض قال الزمخشري تبعضها بمحذوف معناه أسكنوهن مكاناً من حيث سكنتم أي بعض
 مكان سكنكم كقوله تعالى بغضوا من أبصارهم أي بعض أبصارهم قال قتادة إن لم يكن البيت
 واحداً أسكنها في بعض جوانبه قال الرازي وقال الكسائي من صلة والمعنى أسكنوهن حيث
 سكنتم والثاني أنهما ابتداء الغاية قاله الحوفي وأبو البقاء قال أبو البقاء والمعنى تسببوا إلى
 أسكنتم من الوجه الذي تسكنون أنفسكم ودل عليه قوله تعالى (من وجدكم) أي من وسعكم
 أي مما نظيقونه وفي أعرابه وجهان أحدهما أنه عطف بيان لقوله تعالى من حيث سكنتم واليه
 ذهب الزمخشري وتبعه البيضاوي قال ابن عادل أظهرهما أنه بدل من قوله من حيث سكنتم

العامل واليه ذهب أبو البقاء كانه قيل اسكنوهن من وسعكم (ولا تضاروهن) أي حال السكنى
 في المسكن ولا في غيره (لتضيقوا عليهن) حتى تلجوهن الى الخروج (وان كن) أي المطلقات
 (أولات حمل) أي من الأزواج من طلاق بائن أو رجعي (فانفقوا عليهن) وان مضت الأشهر
 (حتى يضعن حملهن) فيخرجن من العدة وهذا يدل على اختصاص استحقاق النفقة بالحامل
 من المعتدات البوائن والاحاديث تؤيده قال القرطبي اختلف العلماء في المطلقة ثلاثاً على
 ثلاثة أقوال فذهب مالك والشافعي أن لها السكنى والنفقة لها ومذهب أبي حنيفة وأصحابه
 أن لها السكنى والنفقة ومذهب أحمد والشافعي وأبي ثور والنفقة لها ولا سكنى لحديث فاطمة بنت
 قيس قالت دخلت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعى اخو زوجي فقلت ان زوجي طلقني
 وان هذا يزعم ان ليس لي سكنى والنفقة قال بل لك السكنى والنفقة فقال ان زوجها طلقها ثلاثاً
 فقال صلى الله عليه وسلم انما السكنى والنفقة لمن له عليها رجعة فلما قدمت الكوفة طلبني الاسود
 ابن يزيد ليأني عن ذلك فان أصحاب عبد الله يقولون ان لها السكنى والنفقة وعن الشعبي
 قال لقيني الاسود بن يزيد فقال يا شعبي اتق الله وارجع عن حديث فاطمة بنت قيس فان عمر
 كان يجعل لها السكنى والنفقة فقلت لأرجع عن شيء حدثتني فاطمة بنت قيس عن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ولانه لو كان لها سكنى لما أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن تعتد في بيت ابن
 أم مكتوم وأجيب عن ذلك بماروت عائشة أنها قالت كانت فاطمة في مكان وحش خفيف
 على ناحية فقال سعيد بن المسيب انما نقلت فاطمة لطول لسانها على اجمائها وقال قتادة
 وابن أبي ليلى لا سكنى الا للرجعية لقوله تعالى لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً وقوله
 تعالى اسكنوهن راجع لما قبله وهي المطلقة الرجعية (فان أرضعن لكم) أي بعد انقضاء علاقة
 الشكاح (فأتوهن أجورهن) أي على ذلك الارضاع وللرجل ان يستأجر امرأته للرضاع كما
 يستأجر اجنبية ولا يجوز عند أبي حنيفة وأصحابه الاستئجار اذا كان الولد من مالم تبين ويجوز
 عند الشافعي مطلقاً وقوله تعالى (واتمروا) خطاب للأزواج والزوجات أي ليا من بعضكم بعضاً
 في الارضاع والاجز فيه وغير ذلك وليقبل بعضكم أمراً بعض وقال الكسائي اتمروا وشاوروا
 وتلاقوا تعالى ان الملائمة يأترون بك وأنشد قول امرئ القيس * وبعدو على المرأة ما يأترو *
 وزادهم رغبة في ذلك بقوله تعالى (بينكم) أي ان هذا الخبير لا يعدوكم وأكذلك بقوله تعالى
 (معروف) وذكره سبحانه تخفيفاً على الأمة بالرضا بالمستطاع وهو يكون مع الاخلاق بالانصاف
 ومع النفس بالخلاف (وان تعاسرتم) أي طلب كل منكم ما يعسر على الآخر كأن طلبت المرأة
 الاجرة وطلب الزوج ارضاعها مجازاً (فسترضع له) أي الاب (أخرى) أي مرضعة غير الام
 ويغني الله تعالى عنها وليس له أن يكرهها على ذلك نعم اذا لم يقبل ثدى غيرها أو لم يوجد غيرها
 أجبرت على ذلك بالاجرة وهذا الحكم لا يختص بالمطلقة بل المنكوحه كذلك واختلفوا
 فيمن يجب عليه رضاع الولد فقال مالك رضاع الولد على الزوجة مادامت الزوجية الاشرافها
 وموضعها فعلى الاب رضاعه حينئذ في ماله وقال أبو حنيفة لا يجب على الام بحال وقيل يجب

عليه ابتكل خال ولو طلبت الام اجرة المثل وهناك اجنية ترضع بدون اجرة المثل أو متبرعة بتغير
الاب بينهما ولا يضيقي على الاب بدفع الاجرة لانه صلى الله عليه وسلم ما خير بين أمرين الا اختار
أيسرهما ما لم يكن انما أوقطعة رحم وقرأ أبو عمرو وحزرة والكسائي بالامالة تحضة وقرأ
ورش بين بين والباقون بالفتح (لينفق ذو سعة) أى مال واسع ولم يكلفه تعالى جميع وسعه بل قال
تعالى (من سعة) أى لينفق الزوج على زوجته وولده الصغير على قدر وسعه فيوسع اذا كان موسعا
عليه (ومن قدر) أى ضيق (عليه رزقه) فعلى قدر ذلك فيقدر النفقة بحسب حال المنفق والحاجة
من المنفق عليه بالاجتهاد على مجرى العادة قال تعالى وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن
بالمعروف وقال صلى الله عليه وسلم له ندخذي ما يكفيك وولدك بالمعروف لكن نفقة الزوجة
مقدرة عند الشافعي محدودة فلا اجتهاد للعالم ولا للمفتي فيها وتقديرها هو بحسب حال
الزوج وحده من يسار واعسار ولا اعتبار بما لها فيجب لابنة الخليفة ما يجب لابنة الخارس فيلزم
الزوج الموسر مدان والمتوسط مد ونصف والعسر مد اظا هر قوله تعالى لينفق ذو سعة من سعة
فجعل الاعتبار بالزوج في اليسر والعسر ولان الاعتبار بما لها يؤدى الى الخصومة لان الزوج
يدينى انما اطلب فوق كفايتها وهي تزعم انما اطلب قدر كفايتها فقد ردت قطعاً للخصومة وقوله
تعالى (فلينفق) أى وجوباً على الموضع وغيرهما من كل ما أوجبه الله تعالى عليه (عما آناه
الله) أى الملك الذى لا يتقدم اعنده ولو من رأس المال ومتاع البيت (لا يكلف الله) أى الذى له
الملك كله (نفساً) أى نفس كانت (الاما آناها) أى أعطاهما من المال (سيعمل الله) أى الملك
الذى له السكال كله فلا خلف لوعده (بعد عسر) أى بعد كل عسر (يسرا) وقد صدق الله
وعده فحين كانوا موجودين بعد نزول الآية ففتح عليهم جميع جزيرة العرب ثم فارس والروم حتى
صاروا أغنى الناس وصدق الآية دائماً غير انه فى الصحابة رضى الله تعالى عنهم ونفعنا بهم آمين
لان ايمانهم أتم قال القشيري وانتظار اليسر من الله صفة المتوسطين فى الاحوال الذين انحطوا
عن درجة الرضا وارتقوا عن حد الأيس والقنوط ويعيشون فى افناء الرجال ويتعللون بحسن
المواعيد اه * ولما ذكر الاحكام والمواعظ والترغيب لمن اطاع حذر من خالف بقوله تعالى
(وكاين) هى كاف الجر دخلت على اى بمعنى كم (من قرية) أى وكثير من القرى وقرأ ابن كثير
بالالف بعد الكاف وبعد الالف همزة مكسورة وقفاً ووصلاً وقرأ الباقر فى الوصل بهمزة
مفتوحة بعد الكاف وبعد الهاء يا فتحة مكسورة مشددة وعبر عن أهل القرية بهم مبالغة
فقال (عمت) أى استكبرت وجاوزت الحد فى عصيانها وطمعها فاعرضت عنابدا (عن أمر
ربها) أى الذى أحسن اليها ولا يحسن اليها غيره (ورسله) فلم يقبل منهم ما جاؤا به عن الله تعالى
فان طاعتهم من طاعته (لخاسناتها) أى فى الآخرة وان لم تحب لتحقق وقوعها (حساباً شديداً)
أى بالمناقشة والاستقصاء (وعذباها عذاباً نكراً) أى منكر اظلمها وهو عذاب النار وقيل
العذاب فى الدنيا فيكون على حقيقة أى جازيها بالعذاب فى الدنيا وعذباها عذاباً نكراً
فى الآخرة وقيل فى الكلام تقديم وتأخير أى فعذباها عذاباً نكراً فى الدنيا بالجوع والقحط

والسيف والخسف والمسح وسائر المصائب وحاسنها حسا باشديدا في الآخرة وقرأناهم وابن
ذكوان وشعبة بضم الكاف والباقون يسكونها (فذاقت) أي فتسبب عن ذلك أنهم اذاقت
(وبال) أي عقوبة (أمرها) أي كفرها (وكان عاقبة أمرها خسرا) أي في الدنيا بالاسر
وضرب الجزية وغير ذلك وفي الآخرة بعدذاب النار فان من زرع الشوك كما قال القسيري
لا يجني الورد ومن أضاع حق الله تعالى لا يطاع في حفظ نفسه ومن احترف بمخالفة أمر الله
تعالى فليصبر على عقوبته ثم استأنف الجواب عن يقول هل لها غير هذا في غير هذه الدار بقوله
تعالى (أعد الله) أي الملك الاعظم (لهم) بعد الموت وبعد البعث (عذابا شديدا) وفي ذلك تكرير
للوعد وبيان لما يوجب التقوى المأمور بها (فاتقوا الله) أي الذي له الامر كله بامثال أو امره
واجتناب نواهي (يا ولي الالباب) أي يا أصحاب العقول الصافية النافذة من الظواهر الى
البواطن وقوله تعالى (الذين آمنوا) منصوب باضمار أعني يا نا للمنادي في قوله تعالى يا ولي
الالباب أو يكون عطفا على المنادي أو فعالة أي خلصوا من دائرة الشرك وأوجدوا
الايان حقيقة (قد أنزل الله) أي الذي له صفات الكمال (اليكم ذكرا) هو القرآن وفي نصب
(رسولا) أوجه أحدها قال الزجاج والفراسي انه منصوب بالمصدر المذموم قبله لانه يدخل لحرف
مصدرى وفعل كأنه قيل أن ذكر رسولا ويكون ذكره الرسول قوله محمد رسول الله والمصدر
المذموم عامل كقوله تعالى أو اطعام في يوم ذي مسغبة يتبعها الثاني جعل نفس الذكرا مبالغة فأبدل
منه ويكون محولا على المعنى كأنه قال قد أظهر لكم ذكر ارسولا فيكون من باب بدل الشيء
من الشيء وهو الثالث أنه بدل منه على حذف مضاف من الاول تقديره أنزل ذا ذكر رسولا
الرابع أنه بدل منه على حذف مضاف من الثاني أي ذكر اذ ذكر رسول الخامس أنه منصوب
بفعل مقدر أي وأرسل رسولا (يتلو عليكم آيات الله) هي دلائل الملك الاعظم الظاهرة جدا حال
كونها (مبينات) أي لا لبس فيها بوجه واختلف الناس في رسولا هل هو النبي صلى الله عليه
وسلم أو جبريل الاكثر على الاول واقتصر عليه الجلال المحلى واقتصر الزخشي على الثاني وهو
قول الكلبي وقرأ ابن عامر وحفص وحزرة والكسائي بكسر اليا بعد الموحدة والباقون بالفتح
(ليخرج الذين آمنوا) أي أقرؤا بالشهادتين (وعملوا) تصديقا لما قالوه بأسنتهم وبحقيقة الاله من
قلوبهم (الصالحات) أي ليحصل لهم ما هم عليه الآن من الايمان والعمل الصالح أو ليخرج من علم
أو قدرا أنه مؤمن (من الظلمات) أي الضلالة (الى النور) أي الهدى (ومن يؤمن بالله) أي يجتهد
في كل وقت على الدوام الايمان بالملك الاعلى بأن لا يزال في ترقق في معارج معارفه (ويعمل) على
التجديد المستمر (صالحا) لله وفي الله فله دوام النعماء وهو معنى ادخال الجنة كما قال تعالى (يدخله)
أي عاجلا مجازا بما يفتح الله له من لذات المعارف ويفتح له من الانس واجد لا حقيقة (جنات)
أي بساكن هي في غاية ما يكون من جمع جميع الاشجار وحسن الدار وبين دوام ربه بقوله
تعالى (تجري من تحتها) أي من تحت غرفها (الانهار) فهي في غاية الرى بحيث ان ساكنها يجزى
في أي موضع أراد نهرها وقرأ نافع وابن عامر ندخله بالنون والباقون بالياء التحتية (خالدين فيها)

وأكد معنى الخلود بقوله تعالى (أبدا) ليقفهم الدورام بلا انقضاء وقوله تعالى (قد أحسن الله)
 أى الملك الاعلى ذوالجلال والاكرام (له) أى خاصة (رزقا) أى عظيما عجيبا فيه تعجب وتعظيم لما
 رزقوا من الثواب وقال القشيري الحسن ما كان على حد الكفاية لانقصان فيه يتعطل عن أموره
 بسببه ولا زيادة تشغله عن الاستمتاع بما رزق لحرصه كذلك أرزاق القلوب أحسنها أن يكون له
 من الاحوال ما يستقل به امن غير نقصان ولا زيادة لا يقدر على الاستمرار عليها * ثم بين كمال قدرته
 بقوله تعالى (الله) أى الذى له جميع صفات الكمال التى القدرة الشاملة احداها (الذى خلق)
 أى أوجد وحده من العدم بقدرته على وفق ما دبر بعلمه على هذا المنوال الغريب البديع (سبع
 سموات) أى وأنتم تشهدون عظمة ذلك وتشهدون أنه لا يقدر عليه الا تام القدرة والعلم الكامل
 (ومن الارض مثلهن) أى سبعة ما كون السموات سبعة بعضها فوق بعض فلا خلاف فيه
 لحديث الاسراء وغيره وأما الارضون فقال الجهور انها سبع أرضين طباقا بعضها فوق بعض
 بين كل أرض وأرض مسافة كما بين السماء والارض وفى كل أرض سكان من خلق الله وقال
 الضحاك انها سبع أرضين ولكنهم مطبقة بعضها على بعض من غير فتوق بخلاف السموات قال
 القرطبي والاول أصح لان الاخبار الدالة عليه كما روى البخارى وغيره روى أبوهريرة عن أبيه
 ان كعبا حلف بالله الذى فلق البحر لأمسي أن صهييا حدثه أن محمدا صلى الله عليه وسلم لم يرقربة
 يريد دخولها الا قال حين يراها اللهم رب السموات السبع وما أظلال ورب الارضين السبع وما
 أظلال ورب الشياطين وما أظلال ورب الرياح وما أذرين اننا لك خير هذه القرية وخير أهلها
 ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر من فيها وروى مسلم عن سعيد بن زيد قال سمعت رسول الله
 صلى الله عليه وسلم يقول من ظلم قيد شبر من أرض طوق يوم القيامة من سبع أرضين قال
 البقاعي رأيت فى التعدد حقيقة حديثا صريحا لكن لا أدري حاله ذكره ابن بركان فى اسمه تعالى
 الملك من شرحه الاسماء الحسنى قال ان النبي صلى الله عليه وسلم قال أتدرون ما تحت هذه
 الارض قالوا الله ورسوله أعلم قال هو أتدرون ما تحت ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال أرض
 أتدرون ما تحت ذلك قالوا الله ورسوله أعلم حتى عد سبع أرضين ثم رأيت فى الترمذى عن أبي
 رزين العقيلي ولفظه هل تدرون ما الذى تحتكم قالوا الله ورسوله أعلم قال انها الارض ثم قال
 أتدرون ما تحت ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال ان تحتها أرضا أخرى خمسمائة سنة حتى عد
 سبع أرضين بين كل أرضين مسيرة خمسمائة سنة ثم رأيت فى الفردوس عن ابن مسعود رضى الله
 عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما بين السماء الى السماء خمسمائة عام وعرض كل سماء وثلاثة
 ك سماء خمسمائة عام وما بين السماء السابعة وبين الكرسي والعرش مثل ذلك وما بين السماء
 لارض مسيرة خمسمائة عام والارضون وعرضهن وثلاثون مثل ذلك اه قال الماوردى
 أنها سبع أرضين تحت دعوة الاسلام بأهل الارض العليا ولا تلزم من غيرها من
 ضيق وان كان فيها من يعقل من خلق مميز وفى مشاهدتهم السماء واستعدادهم الضومنها
 ن أحدهما أنهم يشاهدون السماء من كل جانب من ارضهم ويستعدون الضياء منها قال

ابن عادل وهذا قول من جعل الارض مبسوطة الثاني انهم لا يشاهدون السماء وأن الله تعالى
 خلق لهم ضياء يشاهدونه قال ابن عادل وهذا قول من جعل الارض كرية وحكي الكلبي عن ابي
 صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما انها سبع ارضين منبسطة ليس بعضها فوق بعض تفرق بينها
 البحار وتظل جميعهم السماء فعلى هذا ان لم يكن لاحد من أهل الارض وصول الى ارض
 أخرى اختصت دعوة الاسلام بهذه الارض وان كان لقوم منهم وصول الى ارض أخرى احتل
 أن تلزمهم دعوة الاسلام لا مكان الوصول اليهم لأن فصل البحار اذا أمكن سلوكها لا يمنع من
 لزوم ما عمت حكمه واحتل أن لا تلزمهم دعوة الاسلام لانهم الورثة لهم لكن النص بها واولا وكان
 النبي صلى الله عليه وسلم بها مأمورا وقال بعض العلماء السماء في اللغة عبارة عما علاك فالاولى
 بالنسبة الى السماء الثانية ارض وكذلك السماء الثانية بالنسبة الى الثالثة ارض وكذا البقية
 بالنسبة الى ما تحتها سماء وبالنسبة الى ما فوقه ارض فعلى هذا تكون السموات السبع وهذه
 الارض الواحدة سبع سموات وارضين (يتنزل) أي بالتدرج (الامر) قال مقاتل وغيره
 أي الوحي وعلى هذا يكون قوله تعالى (ينتهن) اشارة الى ما بين هذه الارض العليا التي هي اولها
 وبين السماء السابعة التي هي أعلاها والاكترون على أن الامر هو القضاء والقدر فعلى هذا
 يكون المراد بقوله تعالى ينتهن اشارة الى ما بين الارض السفلى التي هي أقصاها وبين السماء
 السابعة التي هي أعلاها فيجري أمر الله وقضاه ينتهن ويتخذ حكمه فيهن وعن قتادة في كل ارض
 من أرضه وسماء من سمائه خلق من خلقه وأمر من أمره وقضاء من قضائه وقيل هو ما يدبر فيهن
 من عجائب تدبره وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن نافع ابن الازرق سأله هل تحت الارض من
 خلق قال نعم قال فما الخلق قال امامه لا تسكأ وأوجن وقال مجاهد ينزل الامر من السموات السبع
 الى الارضين السبع وقال الحسن بين كل سماء من ارض وأمر وقيل ينزل الامر بين جحاة
 بعض وموت بعض وغنى قوم وفقير قوم وقيل ما يدبر فيهن من عجيب تدبره فينزل المطر ويخرج
 النبات ويأتى بالابل والنهار والصيف والشتاء ويخلق الحيوانات على اختلاف أنواعها
 وهياتها فينفقهم من حال الى حال قال ابن كيسان وهذا على اتساع اللغة كما يقال للموت أمر
 الله والريح والسحاب ونحوها وقوله تعالى (تعلوا) متعلق بمحذوف أي اعلمكم بذلك الخلق
 والازنال لتعلوا (أن الله) أي الملك الاعلى الذي له الاحاطة كلها (على كل شيء) أي من غير هذا
 العالم يمكن ان يدخل تحت المشيئة (قدر) بالغ القدرة فيما أتى بعالم آخر مثل هذا العالم وابدع منه
 وابدع من ذلك الى ما لا نهاية له بالاستدلال بهذا العالم فان من قدر على ايجاد ذرة من العدم قدر
 على ايجاد ما هو دونها ومثلها وفوقها الى ما لا نهاية له لانه لا فرق في ذلك بين قليل وكثير وجليل
 وحقيق ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت قال البقاعي واياك ان تصغي الى من قال انه ليس في
 الامكان ابداع مما كان فانه مذهب فلسفي خبيث والاية تنص في ابطاله وان نسبة بعض المحدثين
 الى الغزالي فاني لا اشك انه ممدسوس عليه وان مذهب فلسفي خبيث بشهادة الغزالي كما ثبت
 ذلك في كتابي دلائل البرهان على ان في الامكان ابداع مما كان قال ومع كونه مذهب الفلاسفة

أخذها كفر المارقين ابن عربي وأودعه في قصوصه وغير ذلك من كبه وأسند في بعضها للغزالي والغزالي يرى منه بشهادة ما وجد من عقائده في الاسماء وغيرها انتهى والبقاعى ممن يقول بكفر ابن عربي وابن المقرئ يقول بكفره وكفر طائفة وقد تقدم الكلام على كلامهم (وان الله) أى الذى له جميع صفات الكمال (قد أحاط) تمام قدرته (بكل شئ) مطلقا (علما) فله الخبرة الناقصة بما يأمر به من الاحكام في العالم بمصالحه ومناسده فلا يخرج شئ عن علمه وقدرته فعاملوه معامله من يعلم أنه رقيب عليه تسلموا في الدنيا وتعدوا في الآخرة * (تنبيه) * علما منصوب على المصدر المؤكد لان أحاط بمعنى علم وقيل بمعنى والله أحاط أحاطة علما وما قاله البيضاوى تبعا للزحخنرى من انه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الطلاق مات على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث موضوع

﴿سورة التحريم كنية﴾

وهي ثلثا عشرة آية ومائتان وأربعون كلمة وألف وستون حرفا

(بسم الله) الذى له الكمال كله على الدوام (الرحمن) الذى عمّ عباده بعظيم الانعام (الرحيم) الذى أتم على خواصه نعمة الاسلام واختلف في سبب نزول قوله تعالى (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله) أى الذى لأمر لا تخدّمه (لك) نقالت عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان عند زينب بنت جحش فشرب عندها عسلا قالت فتواطيت أنا وحفصة أن يتنادى كلنا على النبي صلى الله عليه وسلم فلتقتل اني أجدم منك ريح مغافير فدخل على احدهما فقالت له ذلك فقال بل شربت عسلا عند زينب بنت جحش وان أعود له فنزل لم تحرم ما أحل الله لك الى قوله تعالى ان تنوبا الى الله لعائشة وحفصة وعنهما أيضا قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الخلوا والعسل فكان اذا صلى العصر دار على نسائه فدخل على حفصة فاغتسل عندها أكثر مما كان يغتسل فسألت عن ذلك فقيل لي أهدت اليها امرأة من قومها عكة عسل فسقت رسول الله صلى الله عليه وسلم منه شربة فقات ما والله لاحتالني له فذكرت ذلك لسودة وقلت لها اذا دخل عليك فانه سيدنوم منك فقولى ليا رسول الله أكلت مغافير فانه سيقول لك لا فقولى ما هذه الريح وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشتد عليه أن يوجد منه الريح فانه سيقول لك سقتني حفصة شربة عسل فقولى له جرت نخلة العرفط وسأقول ذلك له وقولى أنت يا صفية ذلك فلما دخل على سودة قالت الذى لا غيره لقد كدت أن أباده بالذى قلت وانه لعلى الباب فراقمك فلما دار رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت ليا رسول الله أكلت مغافير قال لا قلت فاهذه الريح قال سقتني حفصة شربة عسل قالت جرت نخلة العرفط فلما دخل على قلت له مثل ذلك ثم دخل على صفية فقالت مثل ذلك فلما دخل على حفصة قالت يا رسول الله الأسقمك منه قال لا حاجة لي به قالت تقول سودة سبحان الله لقد حرمناه منه قالت فقلت لها اسكتي ففي هذه الرواية أن النبي شرب عندها النبي صلى الله عليه وسلم حفصة وفي الاولى زينب وروى ابن أبي مليكة عن ابن عباس رضى الله

عنهم أنه شربه عند سودة وقبل انما هي أم سلمة رواه اسباط عن السدي وقاله عطاء بن أبي سلف
 * (تنبيه) شرح غريب ألفاظ الحديث وما يتعلق به ما قولها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يحب الخلو بالملء والقصر قاله في المصباح وهو على كل شيء يحلو وذكر العسل بعدها وإن كان
 داخلًا في جملة الخلو اتيناه على شرفه ومن تنبيه وهو من باب الخاص بعد العام وقولها
 فتواطيت أنا وحفصة هكذا وقع في الرواية وأصله فتواطأت بالهمز أي اتفقت أنا وحفصة وقولها
 اني لا خدم منك ربح مغاير هو يغني معجزة وفاء بعد هياء ورا، وهو صنف حلو كالناتف ولده ربح
 كريمة ينضجه شجر يقال له العرظ بضم العين المهملة والقاف يكون بالجاز وقيل العرظ نبات
 له ورق يفرش على الأرض له شوك وغره خيفت الرائحة وقال أهل اللغة العرظ من شجر العضاة
 وهو كل شجر له شوك وقيل رائحته كرائحة النيد وكان النبي صلى الله عليه وسلم يكره أن توجد
 منه رائحة كريمة قولها جرت فحله العرظ بالجيم والراء بالسين المهملتين ومعناه أكلت فحله
 العرظ فصار منه العسل قال القاضي عياض والصواب أن شرب العسل كان عند زيب بنت
 جحش ذكره النووي في شرح مسلم وكذا ذكره أيضا القرطبي وقال أكثر المفسرين في سبب نزول
 ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقسم بين نسائه فلما كان يوم حفصة استأذنت رسول الله
 صلى الله عليه وسلم في زيارة أبيها فأذن لها فلما خرجت أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى
 جاريته مارية القبطية فادخلها بيت حفصة فوقع عليها فلما رجعت حفصة وجدت الباب مغلقا
 فخلست عند الباب فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجهه يقطر عرقا وحفصة تبكي فقال
 صلى الله عليه وسلم ما يبكيك فقالت انما أذنت لي من أجل ذلك أدخلت أمتك بيتي ثم وقعت عليها
 في يوعي على فراشي أما رأيت لي حرمة وحقا ما كنت تصنع هذا بأمر أمهنت فقال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم أليس هي جاريتي قد أحلها الله لي فهي حرام علي التمس بذلك رضاك فلا تخبري
 بهذا أمرا أمهنت فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قرعت حفصة الجدار الذي بينهما وبين
 عائشة فقالت ألا أبشرك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حرم عليه مارية وإن الله
 قد أراحنا منها وأخبرت عائشة بمآلات وكأنا متصافيتين متظاهرتين على سائر أزواج رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فغضبت عائشة فلم يرزل نبي الله صلى الله عليه وسلم حتى حلف أن لا يقربها وعن
 أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان له أمة يطوقها فلم يرزل عائشة وحفصة حتى حرماها
 على نفسه فأمر الله تعالى يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك إلا به أخرجه النسائي (فان قيل)
 قوله تعالى لم تحرم ما أحل الله لك يوهم أن الخطاب بطريق العتاب وخطاب النبي صلى الله
 عليه وسلم ينافي ذلك لما فيه من التشريف والتعظيم (اجيب) بأنه ليس بطريق العتاب بل
 بطريق التنبيه على أن ما صدر منه لم يكن على ما ينبغي (فان قيل) تحريم ما أحل الله غير ممكن
 فكيف قال لم تحرم ما أحل الله لك (اجيب) بأن المراد بهذا التحريم هو الامتناع من الاتضاع
 بالازواج لا اعتقاد كونه حراما بعد ما أحله الله تعالى والنبي صلى الله عليه وسلم امتنع من الاتضاع
 بهامع اعتقاد كونها حلالا فان من اعتقد أن هذا التحريم هو تحريم ما أحل الله فقد كفر فكيف

يضاف الى النبي صلى الله عليه وسلم (تبقى) اى تريد ارادة عظيمة من مكارم اخلاقك وحسن
صحبك (مرضاة ازواجك) اى الاحوال والامور والمواضع التى يرضين بها وهن أولى بأن
يتعنين رضاك وكذا جميع الخلق لتتفرغ لما يوحى اليك من ربك لكن ذلك للزوجات أكد (والله)
اى الملك الاعلى (غفور رحيم) اى محاسن مستور لما يشق على خالص عباده مكرهم لهم فقد غفر لك
هذا التحريم ثم علل وبين ذلك بقوله تعالى (قد فرض الله) اى قدر ذر و الجلال والاكرام الذى
لا شريك له ولا امر لاحد معه وعبر بالقرض حثا على قبول الرخصة اشارة الى أن ذلك لا يقدح
فى الورع ولا يخل بحجامة اسم الله تعالى لان اهل الهوسم العوالى لا يجوزون النقلة من عزمة الى
رخصة بل من رخصة الى عزمة او عزمة الى مثلها * ولما كان التخفيف على أئمة تعظيما له صلى
الله عليه وسلم قال تعالى (لكم) أيتها الامة التى أنت رأسها (تحله) اى تحليل (آيائكم) بالكفارة
المذكورة فى سورة المائدة وقيل قد شرع الله لكم الاستثناء فى آيائكم من قولك حل فلان
فى عيینه اذا استثنى بمعنى استثنى فى عيّنك اذا أطلقتها بأن تقول ان شاء الله متصلا بحلفك وتنويه قبل
القرع منه واختلاف اهل العلم فى لفظ التحريم فقال قوم هو ليس بيمين فان قال لزوجه انت حرام
أو حرمتك فان نوى به طلاقا فهو وطلاق وان نوى به ظهارا فهو وظهارا وان نوى تحريم ذاتها
واطلاق فعليه كفارة يمين وان قال لطعام حرمته على نفسى فلا شئ عليه وهذا قول ابن مسعود
رضى الله عنه واليه ذهب الشافعى وروى الدارقطنى عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس رضى الله
عنهم أنه انا هو رجل فقال انى جعلت امرأى على حراما فقال كذبت لبيت عليك بحرام وقلا
هذه الآية وذهب جماعة الى أنه يمين فان قال ذلك لزوجه واجارته فلا تجب الكفارة مالم
يقربها كما لو حلف لا يأكله فلا كفارة عليه مالم يأكله يروى ذلك عن ابي بكر وعائشة وبه قال
الاوزاعى وابو حنيفة وعند ابي حنيفة ان نوى الطلاق بالحرام كان بائنا وان قال كل حلال
عليه حرام فعلى الطعام والشراب اذا لم يشو والافعل على ما نوى نقله الرمحشرى وعن عمر اذا
نوى الطلاق فرجعى وعن على ثلاث وعز زيدا واحدة بائنة وعن ابن عباس رضى الله تعالى
عنهما قال اذا حرّم الرجل امرأته فبى يمين يكفرها وقال لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة
قال مقاتل فأعق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذه الواقعة رقية قال زيد بن أسلم وعاد الى
مارية وقال الحسن لم يكفر عليه السلام لانه مغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وكفارة اليمين
فى هذه السورة انما أمرهم الامة قال ابن عادل والاول أصح وأن المراد بذلك النبي صلى الله عليه
وسلم ثم الامة تنقده به فى ذلك (والله) اى والحال أن المختص بأوصاف الكمال (مولاكم) اى يفعل
معكم فعل القريب الصديق فهو سيدكم ومثولى أموركم (وهو) اى وحده (العليم) اى البالغ العلم
بصالحكم وغيرها الى ما لا نهاية له (الحكيم) اى الذى يضع كل ما يصد عنه لكم فى أنفق محالة
بحيث لا يقدر غيره أن يغيره ولا شأنا منه والعامل فى قوله تعالى (واذ) اذ كفره ومفعول به لا ظرف
والمعنى اذ كراذ (أسر النبي) اى الذى شأنه أن يرفع الله تعالى دائما فانه ما ينطق عن الهوى (الى
بعض أزواجه) وأيمها ولم يعيننا الله صلى الله عليه وسلم ولها وهى حقصة صيانة لهن لان

حرمتين من حرمة صلى الله عليه وسلم (حديثنا) ليس هو من شأن الرسالة ولو كان من شأنه العزم به
 ولم يخص به ولا أسرته وذلك هو تحريمه فتأته على نفسه وقوله لحفصة لا تخبري بذلك أحدا وقال
 سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أسرا أمر الخلافة بعده فحدث حفصة وقال الكلبي
 أسرا إليها ان اباه وأبا عائشة يكونان خليفتين على أمتي من بعدى وقال ميمون بن مهران أسرا
 أن أبابكر خليفة من بعدى (فلما تبأت) أي أخبرت (به) عائشة ظنا منها أنه لا سرج عليهم في ذلك
 (وأظهره الله) أي أطلعه الملك الذي له الاحاطة بكل شيء (عليه) أي الحديث على لسان جبريل
 عليه السلام بأنه قد أنشئ مناصحة له في اعلامه بما يقع في غيبته ليحذره ان كان شرا ويثبت عليه
 ان كان خيرا وقيل أظهر الله الحديث على النبي صلى الله عليه وسلم من الظهور (عزب) أي
 النبي صلى الله عليه وسلم التي أسرا إليها (بعضه) أي بعض ما فعلت (وأعرض عن بعض) أي
 اعلام بعض تكرمائه أن يستقصى في العبارات وحياء وحسن عشرة قال الحسن ما استقصى
 كريم قط وقال سفيان ما زال التعافل من فعل الكرام وانما عاتبها على ذكر الامامة وأعرض
 عن ذكر الخلافة خوفا من أن يتشرف في الناس فربما أثار حسد بعض المنافقين وأورث الحسود
 للصدوق كيدها وقال بعض المفسرين ان أسرا إلى حفصة شيئا فحدثت به غير حافظ لفظها بحاراة على
 بعضه ولم يؤاخذها بالباقي وهو من قبيل قوله تعالى وما تنفعوا من خير يعلمه الله أي يجازيكم عليه
 وقيل المعزف حديث الامامة والمعرض عنه حديث مارية وروى انه قال لها وبلك ألم أقل
 لك اكتمى على قالت والذي بعثك بالحق نبيا ما ملكت نفسي فرحاً بالكرامة التي خص الله تعالى
 بها أباه (فلما تابها به) أي بما فعلت على وجهه لم يغادر من ذلك الذي عرّفها به شيئا منه ولا من
 عوارضه لتزداد بصيرة روى أنها قالت لعائشة أسرا فأنا أعلم انهم لا تظهره قاله المولى وهو معنى
 قوله تعالى (قالت) أي ظنا منها أن عائشة افشت عليهم (من أتبأت هذا) أي من اخبرك أني أنشيت
 السر (قال نبأتني) وحذف المتعلق اختصار اللفظ وتكثير المعنى بالتعميم اشارة انه اخبره
 بجميع ما دار بينهما وبين عائشة على أتم ما كان (العليم) أي المحيط العلم (الخبير) أي المطاع على
 الضمائر والظواهر فهو أولى ان يحذر فلا يترككم سرا الوجه الا بما يرضيه وقوله تعالى (ان تتوبا
 إلى الله) أي الملك الاعظم شرط وفي جوابه وجهان احدهما قوله تعالى (فقد صغت قلوبكما)
 والمعنى ان تتوبا فقد وجدتم منكم ما يوجب التوبة وهو ميل قلوبكما عن الواجب في مخالفة رسول
 الله صلى الله عليه وسلم في حب ما يحب وكراهة ما يكره وصغت مالت وزاغت عن الحق قال
 القرطبي وليس قوله فقد صغت قلوبكما جواب الشرط لأن هذا الصغوخ كان سابقا لجزاء الشرط
 محذوف العلم به أي ان تتوبا كان خيرا لكم اذ قد صغت قلوبكما الثاني أن الجواب محذوف تقديره
 فذلك واجب عليكم أو قتال الله عليكم قاله ابو البقاء ودل على المحذوف فقد صغت لأن اصغاه
 القلب الى ذلك ذنب قال بعضهم وكأنه زعم أن يسيل القلب ذنب وكيف يحسن ان يكون جوابا
 وقد غفل عن المعنى المصحح لكونه جوابا * (تنبيه) * قوله تعالى قلوبكما من افصح الكلام حيث
 اوقع الجمع موقع المثنى استقلا لا لحيث تنبئين لوقيل قلبا كما ومن شأن العرب اذا ذكروا الشئين

قوله روى الخ كذا في الاصول وهو غير مستقيم

من اثنين جمعوهما لانه لا يشك والاحسن في هذا الباب الجمع ثم الافراد ثم التنبيه كقوله
فتخالسا نفسيهما بما تواقدا الشغيط الذي من شأنه لم يرفع
وقال ابن عصفور لا يجوز الافراد الا في ضرورة كقوله

حاجة بطن الوادين ترعى * سقاك من الغر الغواوي مطيرها

وتبعه ابو حيان وعاط ابن مالك في كونه جعله احسن من التنبيه قال ابن عادل وليس بغطا
لكرامة نوالى تبين مع امن اللبس وقوله تعالى ان تتوباقبه النقاة من القسيمة الى الخطاب
والمراد بهذا الخطاب اما المؤمنتان بتا الشيخين الكريين عائشة وحفصة حثما على التوبة على
ما كان منهما من الميل الى خلاف محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهما كرهاما أحب رسول
الله صلى الله عليه وسلم من احباب جاريته واحباب العسل وكان صلى الله عليه وسلم يحب العسل
والنساء وقال ابن زيد ماتت فلو يكبا بأن سرتهما أن يحبس عن آثم ولده فسرتهما ما كرهه رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقيل قدم ماتت فلو يكبا الى التوبة روى مسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما
أنه قال مكثت سنة وأنا أريد أن أسأل عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن آية فما أستطيع أن أسأله
هيبه له حتى خرج حاجا فخرجت معه فلما رجع وكان ببعض الطريق عدل الى الارال الحاجة له
فوقفت حتى فرغ ثم سرت معه باداة ثم جاء فسكبت على يديه منها فتوضأ فلما رجع قلت يا امير
المؤمنين من اللتان تطاهرنا على النبي صلى الله عليه وسلم فقال تلك حفصة وعائشة قال فقلت
له والله ان كنت لا تريد أن أسألك عن هذا منذ سنة فما أستطيع هيبه لك قال فلا تفعل ما ظننت
أن عندى من علم فسألني عنه فان كنت أعلمه أخبرتك وفي رواية قال واخبرك يا ابن عباس
قال الزهري كرهه والله ما سأله عنه ولم يكتمه قال هـ ما عائشة وحفصة ثم اخذ يسوق الحديث قال
كنت أنا وجاري من الانصار وكان منزلي في بني أمية وهم من عوالي المدينة وكنا ندأب النزول
على النبي صلى الله عليه وسلم فينزل يوما وأنزل يوما فإذا انزلت جثته بما حدث من خبر ذلك
اليوم من الوحى أو غيره وإذا انزل فعل مثل ذلك وكنا مشرقيش نغلب النساء فلما قدمنا المدينة
على الانصار إذا هم قوم تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يتعلن من نساؤهم فصححت على امرأتى
فراجعتني فانكرت أن تراجعني قالت لم تشكر أن أراجعك فوالله ان أزواج النبي صلى الله عليه
وسلم ليراجعنه وإن احدها من لتهجره اليوم حتى الليل فانطلقت فدخلت على حفصة فقلت لها اى
حفصة اتعاضب احدا كن النبي صلى الله عليه وسلم اليوم حتى الليل قالت نعم فقلت قد خبت
وخسرت أفأتمن من أن يغضب الله لغضب رسوله لا تراجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا
تسأليه شيئا وسلينى ما بدالك ولا يغزك ان كانت جارتك هي اوسم واحب الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم لم يريد عائشة رضى الله عنها قال عمرو وكنا قد تحدثنا ان غسان تعمل الخيل لتغزونا فقتل
الانصارى يوما نوبته ثم اتانى عشاء فضرب بابى ضربا شديدا ففزعته فخرجت اليه فقال قد حدث
اليوم امر عظيم قلت ما هو أجاب غسان قال لابل أعظم من ذلك وأهول طلق النبي صلى الله عليه
وسلم نساءه فقلت خابت حفصة وخسرت قد كنت اعلم هذا ايوشك ان يكون حتى اذا صليت

الصبح شددت على ثيابي ثم نزلت فدخلت على حفصة وهي تبكي فقلت اطلقك رسول الله صلى
 الله عليه وسلم قالت لا أدري ها هوذا معتزل في المشربة فأبيت غلاما له أسود فقلت استأذن
 لعمر فدخل ثم خرج الى فقال قد ذكرتك له فصمت ثم انطلقت حتى أتيت المنبر فاذا عنده رطل
 جلوس بيكي بعضهم فجلست قليلا ثم غلبني ما أجده فأبيت الغلام فقلت استأذن لعمر فدخل
 ثم خرج فقال ذكرتك له فصمت فبوليت مدبرا فاذا الغلام يدعوني فقال ادخل فقد أذن لك
 فدخلت فسات على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو مضطجع على رمال حصر وليس بينه وبينه
 فراش قد أثر الرمال بجانبه متكئا على وسادة من آدم حشو وهاليف ثم قلت وأنا قائم يا رسول الله
 أطلقت نسائي فرفع الى بصره وقال لا فقلت لله أكبر ثم قلت وأنا قائم لورا ينسأ يا رسول الله
 وكنا معشر قريش نغلب النساء فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما تغلبهم نساؤهم فبسم النبي
 صلى الله عليه وسلم ثم قلت يا رسول الله لورا أتيتني دخلت على حفصة فقلت لها لا يغرنك أن كانت
 جازنك هي أو سم وأحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد عائشة فبسم النبي صلى الله عليه
 وسلم تبسمه أخرى فجلست حين رأيت تبسم فرفعت بصري في بيته فوالله ما رأيت فيه شيأ يرد
 البصر غير أهبة ثلاثة فقلت يا رسول الله ادع الله فليوسع علي أمتك فان فارسا والروم قد وسع
 عليهم وأعطوا الدنيا وهم لا يعبدون الله فجلس النبي صلى الله عليه وسلم وكان متكئا وقال أوفى
 هذا أنت يا ابن الخطاب إن أولئك قوم عجلوا طيبتهم في حياتهم الدنيا فقلت يا رسول الله استغفر
 الله لي فاعتزل النبي صلى الله عليه وسلم من أجل ذلك الحديث حين أقشته حفصة الى عائشة
 تسعا وعشرين ليلة وكان قال ما أنابد اخل عليهن شهر من شدة موجدته عليهن حين عاتبه الله
 تعالى فلما مضت تسع وعشرون ليلة دخل على عائشة فبدأ بها فقلت له عائشة يا رسول الله انك
 كنت أقسمت أن لا تدخل علينا شهر او انما أصبحت من تسع وعشرين ليلة أعدتها فقلت
 الشهر تسع وعشرون وكان ذلك الشهر تسعا وعشرين ليلة قالت عائشة ثم أنزل الله التخيير
 فبدأ بي أول امرأته من نساءه فاخترته ثم خيرهن فقلن مثلها وفي رواية أن رسول الله صلى الله
 عليه وسلم جاءها حين أمره الله أن يخبر أزواجه قالت فبدأ بي رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فقال اني اذا كررك أمر افلا عليك أن لا تستعجلي حتى تستأمرى أبويك وقد علم أن أبوي لم يكونا
 يا امرأتي بذراقة قالت ثم قال ان الله تعالى قال يا أيها النبي قل لأزواجك اني أعلم اني
 فقلت أوفي هذا استأمر أبوي فأني أريد الله ورسوله والدار الآخرة وفي رواية ان عائشة
 قالت له لا تخبر نساءك اني اخترتك فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله أرسلني مبلغا
 وفي رواية قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ما يشق عليك من أمر
 النساء فان كنت طلقتهن فان الله معك وملائكته وجبريل وميكائيل وأنار أبو بكر والمؤمنون
 معك وقلنا تكلمت وأحمد الله بكلام الاربعون أن الله يصدق قولي الذي أقول ونزلت هذه
 الآية عسى ربه ان يطلقك أن يبدله أزواجا خيرا منكن وان تظاها اعليه الآية وفي رواية انه
 استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يخبر الناس انه لم يطلق نساءه فأذن له وانه قام على باب

المسجد ونادى بأعلى صوته لم يطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نسائه * (شرح بعض ألفاظ
 هذا الحديث) * قوله فعدت معه أى فلتت معه بالادواة أى الركوة والعوالى جمع عالية وهو
 اماكن بأعلى أرض المدينة وقوله لا يغرنك ان كانت جارتك يديها الضرة وهى عائشة وأوسم
 منك أى أكثر حسنا وقوله فكأنتناوب النزول التناوب هو أن يقبله الانسان مرة ويفعله آخر
 بعده والمشر به بضم الراء وقبحها الغرفة وقوله فاذا هو متكى على رمال حصير يقال رملت الحصير
 اذا ظفرت به ونسجته والمراد أنه لم يكن على السرير وطأ سوى الحصير وقوله ما رأيت فيه ما يرد
 البصر الأهبة ثلاث الالهة والاهب جمع اهاب وهو الجلد وقوله من شدة موجده الموحدة
 الغضب وقرأ (وان تظاهرا) الكوفيون بتحقيق الظاهر والباقون بتشديد هاى تظاهروا (عليه)
 أى النبي صلى الله عليه وسلم فيما يكرهه (فان الله) أى الملك الاعظم الذى لا كف له وقوله تعالى
 (هو) يجوز أن يكون فصلا وقوله (مولاه) الخبر وان يكون مبتدأ ومولاه خبره والجلد خبر ان
 والمعنى فان الله وليه وناصره فلا يضرك ذلك التظاهر منهما وقوله تعالى (وجبريل وصالح المؤمنين)
 معطوف على محمل اسم ان فيكونون ناصريه ويجوز ان يكون جبريل مبتدأ وما بعده عطف عليه
 وظهير خبر الجيع فتحتمس الولاية بالله واختاف في صالح المؤمنين فقال عكرمة هو أبو بكر وعمر
 وقال المسيب بن شريك هو أبو بكر وقال سعيد بن جبيرة هو عمر وعن أسماء بنت عيسى هو على بن
 أبى طالب وقال الطبري هو خيار المؤمنين وصالح اسم جنس كقوله تعالى ان الانسان لفي خسر
 وقال قتادة هم الانبياء وقال ابن زيد هم الملائكة وقال السدي هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
 والاولى ان يشمل هذه الاقوال كلها (والملائكة) أى كلهم (بعد ذلك) أى الامر العظيم الذى
 تقدم ذكره (ظهير) أى ظهراء أعوان له في نصره عليهما * (تنبيه) * أخبر عن الجمع باسم الجنس
 اشارة الى أنهم على كلمة واحدة ومنهم جبريل عليه السلام فهو مذكور وخصوصا وعموما ثلاث
 مرات على القول بأن صالح المؤمنين هم الملائكة ان قلنا بالعموم وذلك اظهار لشدة محبته
 وموالاته للنبي صلى الله عليه وسلم وهذه الآية عكس آية البقرة وهى قوله تعالى من كان عدوا لله
 وملائكته ورسله وجبريل وميكال فانه ذكرا الخاص بعد العام تشرى فانه ذكرا العام بعد
 الخاص قال ابن عادل ولم يذكر الناس الا القسم الاول وفي جبريل لغات تقدم ذكرها في البقرة
 * ولما كان أشد ما على المرأة أن تطلق ثم اذا طلقت ان يستبدل بها ثم يكون البذل خيرا منها
 قال تعالى محذرا الهن (عسى ربه) أى المحسن اليه بجميع أنواع الاحسان التى عرفقوها ومالم
 تعرفوه منها أكثر جديروا بحقيق ووسطين عسى وخبرها اهتماما وتخويفا لقوله تعالى (ان
 تطلقكن) أى بنفسه من غير اعتراض عليه جميعكن أو بعضكن قيل كل عسى في القرآن واجب
 الالهة الآية وقيل هو واجب ولكن الله تعالى علقه بشرط وهو التطلق ولم يطلقهن فان طلقكن
 شرط معترض بين اسم عسى وخبرها وجوابه محذوف أو متقدم أى ان تطلقكن فعسى ربه وقوله
 تعالى (ان يبدله) أى يحجزه بطلاقه وقرأ نافع وابوعرو بفتح الباء وتشديد الدال والباقون بسكون
 الموحدة وتحقيد الدال (أروا خيرا منكن) خبر عسى والجملة تجواب الشرط ولم يقع التبذل

لعدم وجود الشرط (فان قيل) كيف تكون المبدلات خيرا منهن ولم يكن على وجه الارض نساء
 خيرا منهن لانهن اشتهات المؤمنات (أجيب) بأنه اذا طلعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
 لعصيانهن واذا نهن اياه كان غيرهن من الموصوف بالصفات الايجابية مع الطاعة له صلى الله عليه
 وسلم خيرا وان هذا على سبيل الفرض وهو عام في الدنيا والاخرة فلا يقتضى وجود من هو
 خيرا منهن مطلقا وان قيل بوجوده في خديجة لما حارب من تحاملها على نفسها في حقه صلى الله
 عليه وسلم وبلغها في حبه والادب معه ظاهرا وباطنا الغاية القصوى ومريم أحسنت حين
 كانت من القانتين فذلك في الاخرة وتعلق تطبيق الكل لا يدل على أنه لم يطلق حصة فقد روى
 أنه طلقها ولم يرد هذا ذلك الا فضلا لان الله تعالى أمره ان يراجعها لانها صوامت قوامه ثم بين
 تعالى الحيرية بقوله تعالى (مسلمات) الى اخره وهو امانت أو حال أو منصوب على الاختصاص
 قال سعيد بن جبير مسلمات يعنى مخلصات وقيل مسلمات لامر الله عز وجل وأمر رسول الله
 خاضعات لله تعالى بالطاعات (مؤمنات) أى مصدقات بتوحيد الله تعالى وقيل مصدقات بما
 أمرن به ونهين عنه وقيل مسلمات مقررات بالاسلام مؤمنات مخلصات (قانتات) أى مطيعات
 والقاتنات الطاعة وقيل داعيات (نائبات) أى راجعات من الهفوات والزلات سر يعان وقع
 منهن شئ من ذلك وقيل راجعات الى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم تاركات لحجاب أنفسهن
 (عابدات) أى كثيرات العبادات لله تعالى وقال ابن عباس كل عبادة في القرآن فهو التوحيد
 (سائحات) قال ابن عباس صائحات وقال الحسن مهاجرات وقال ابن زيد وليس في أمة محمد صلى
 الله عليه وسلم سباحة الا الهجرة والسباحة الجولان في الارض وقال الفراء وغيره سعى الصائم
 سائحا لان السائح لازاد معه فلا يزال مسكالا الى أن يجد ما يطعمه فشبه به الصائم في مسالكه الى
 أن يجي وقت افطاره وقيل ذاهبات في طاعة الله تعالى من ساح الماء اذا ذهب (ثيبات) جمع ثيب
 وهى التى تزوجت ثم بان بوجهه من الوجوه أو زالت بكارتها بوطء من غير نكاح (وأبكارا)
 أى عذارى جمع بكر وهى ضد الثيب وسميت بذلك لانها على أول حالها التى خلقت بها وقدم
 الثيبات لانهن أخبر بالعبادة التى هذا ساقها ووسط الواو بين الثيبات والأبكار لئلا يفتنى الوصفين
 دون سائر الصفات (فان قيل) كيف ذكر الثيبات في مقام المدح وهن من جملة ما يقل رغبة الرجال
 فيهن (أجيب) بأنه يمكن ان يكون بعض الثيبات خيرا من كثير من الأبكار لا اختصاصهن بالمال
 والجمال ولما بالغ سبحانه في عتاب نساء النبي صلى الله عليه وسلم مع صيانتهم عن التشبه اكرامه
 صلى الله عليه وسلم أتبع ذلك أمر الامة بالناسى به في هذه الاخلاق الكاملة فقال تعالى متبعا
 لهن بالموعظة الخاصة بموعظة عامة دالة على وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لا اقرب
 فالاقرب (يا أيها الذين آمنوا) أى اقربوا بذلك (قوا أنفسكم) أى اجعلوا لها وقاية بالناسى به
 صلى الله عليه وسلم وترك المعاصي وفعل الطاعات وفي أدبه مع الخلق والخلق (وأهلكم) من
 النساء والاولاد وكل من يدخل في هذا الاسم قوهن (نارا) بالنصح والتأديب ليكونوا متخلقين
 باخلاق أهل النبي صلى الله عليه وسلم كما روى الطبراني عن سعيد بن العاص ما نقل والد ولدا

أفضل من أدب حسن وفي الحديث رحم الله رجلا قال يا أهلاء صلاتكم صيامكم زكاتكم
 مسكينكم يتيمكم جيرانكم لعل الله يجمعهم معكم في الجنة وقيل ان أشد الناس عذابا يوم
 القيامة من جهل أهله وقال صلى الله عليه وسلم رحم الله امرأ قام من الليل فصلى فأيقظ أهله فان لم
 تقوم رش على وجهها الماء ورحم الله امرأة قامت من الليل تصلى وأيقظت زوجها فان لم يقوم
 رشت على وجهه من الماء وقال بعض العلماء لما قال قوا أنفسكم دخل فيه الاولاد لان الولد
 بعض منه كما دخلوا في قوله تعالى ليس عليكم جناح أن تأكلوا من بيوتكم وقوله عليه الصلاة
 والسلام ان أكل ما أكل الرجل من كسبه وان ولده من كسبه فلم يقرب بالذكر افراد سائر القربان
 فيعله الحلال والحرام وقال عليه الصلاة والسلام حق الولد على الوالد أن يحسن اسمه ويعلمه
 الكتابة ويروجه اذا بلغ ثم بين تعالى وصف تلك النار بقوله عز وجل (وقودها) أي الذي توقد به
 (الناس) أي الكفار (والجحارة) كاصنامهم منها وعن ابن عباس أنها جحارة الكبريت وهي أشد
 الاشياء حرًا اذا أوقد عليها والمعنى أنهم فرطوا الحرارة تتقد بما ذكر لا كآثار الدنيا تتقد بالخطيب
 ونحوه (عليها ملائكة) خزنتها عدتهم تسعة عشر كما سياتي ان شاء الله تعالى في سورة المتثر
 (غلاظ) أي غلاظ القلوب لا يرجون اذا استرجوا وخلقوا من الغضب وجب اليهم عذاب
 الخلق كما حجب لبني آدم أكل الطعام والشراب (شديد) أي شديد الابدان وقيل غلاظ
 الاقوال شديد الافعال يدفع واحد منهم بالدفع الواحدة سبعين ألفا في النار لم يخلق الله فيهم
 الرحمة وقيل في أخذهم أهل النار شديد عليهم يقال فلان شديد على فلان أي قوى عليه بعذبه
 بأنواع العذاب وقيل غلاظ أجسامهم ضخمة شديد أي أقوياء قال ابن عباس ما بين منسكي
 الواحد منهم مسيرة مئة وقال صلى الله عليه وسلم في خزنة جهنم ما بين منسكي كل واحد منهم كما بين
 المشرق والمغرب (لا يعصون الله) أي الملك الاعلى في وقت من الاوقات وقوله تعالى (ما أمرهم)
 يدل من الجلالة أي لا يعصون أمر الله وقوله تعالى (ويعلمون ما يؤمرون) تأكيده هذا ما جرى
 عليه الجلال المحلى وقال الزمخشري (فان قلت) أليست الجنة في معنى واحد قلت لا فان معنى
 الاولى أنهم يقيمون أوامرهم ويلتزمونها ولا يابونها ولا ينكرونها ومعنى الثانية أنهم يؤدون
 ما يؤمرون به لا يتناقضون عنه ولا يتوانون فيه وقيل لا يعصون الله ما أمرهم فيما مضى ويعلمون
 ما يؤمرون فيما يستقبل ويصدر بهذا البيضاوي (فان قيل) انه تعالى خاطب المشركين في قوله
 تعالى فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والجحارة أعدت للكافرين
 فجعلها معدة للكافرين فامعنى مخاطبته للمؤمنين بذلك (أجيب) بأن الفساق وان كانت
 درجاتهم فوق درجات الكفار فانهم مع الكفار في دار واحدة فقيل للذين آمنوا اقوا أنفسكم
 باجتناب الفسوق مساكنة الذين أعذب لهم هذه الدار الموصوفة ويجوز أن يأمرهم بالتوقي
 عن الارتداد والتقدم على الدخول في الاسلام وان يكون خطابا للذين آمنوا بالسنن وهم
 المنافقون قال الزمخشري ويعضد ذلك قوله تعالى على الاثر (يا أيها الذين كفروا) أي بالاخلال
 بالادب مع النبي صلى الله عليه وسلم فأداهم ذلك الى الاخلال بالادب مع الله تعالى وبالادب مع

سائر خلقه (لا تعذروا) أي تبالغوا في اظهار العذرو هو ايساخ الحيلة في وجهه من بل ما ظهر من
 التقصير (اليوم) فانه يوم الجزاء لا يوم الاعتذار وقد فات زمان الاعتذار وصار الامر الى ما صار
 وهذا النهي لتحقيق اليأس (انما تجزون) أي في هذا اليوم (ما كنتم) أي مما هو لكم كالجيلة والطبع
 (تعملون) في الدنيا ونظيره فالיום لا يتفجع الذين ظلموا وعذرتهم قال البقاعى ولا بعد على الله في أن
 يصور لكل انسان صورة عمله بحيث لا يشك انه عمله ثم يجعل تلك الصورة عذاب الذي يجذب فيه من
 الالم ما علم الله تعالى انه بقدر استحقاقه * ولما بين تعالى أن المعذرة لا تنفع في ذلك اليوم أمر
 بالتوبة في الدنيا بقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا توبوا) أي ارجعوا رجوعاً تاماً (الى الله) أي
 الملك الذي لا نظير له (توبه) وقوله (نصوحاً) صيغة مبالغة أسند النصح اليها مجازاً وهي من نصح
 الثوب اذا خاطه فكان الثائب يرفع بالعصية وقيل من قولهم ناصح اي خالص وقرأ شعبه بضم
 النون والباءون بفتحها * (تنبيه) أمرهم بالتوبة وهي فرض على الايمان في كل الاحوال وفي
 كل الزمان واختلفوا في معناها فقال عمر ومعاذ التوبة النصوح أن يتوب ثم لا يعود الى الذنب
 كما لا يعود اللبن في الضرع وقال الحسن هي أن يكون العبد نادماً على ما مضى مجمعا على أن لا يعود
 فيه وقال السكبي ان يستغفر باللسان ويندم بالقلب ويسلك بالبدن وعن حوشب أن لا يعود ولو
 حزن بالسيف وأحرق بالنار وعن سمال أن تنصب الذنب الذي أقلت فيه الحياء من الله تعالى امام
 عينك وتنبهه نظرك وعن السدي لا تصح الا بنصيحة النفس ونصيحة المؤمنين لأن من صحت
 توبته أحب أن يكون الناس مثله وقال سعيد بن المسيب توبة يتحسبون فيها أنفسهم وقال
 القرطبي يجمعها أربعة أشياء الاستغفار باللسان والأقلاع بالابدان واضمار ترك العود
 بالجنان ومهاجرة سيئ الاخوان وقال الفقهاء التوبة التي لا تعلق لحق آدمي فيها لها ثلاثة شروط
 أحدها أن يقطع عن المعصية وثانيها أن يندم على ما فعله وثالثها أن يعزم على أن لا يعود اليها
 فاذا اجتمعت هذه الشروط في التوبة كانت نصوحاً وان فقد شرط منها لم تصح توبته وان كانت
 تتعلق بآدمي فشرطها أربعة هذه الثلاثة المتقدمة والرابع ان يبرأ من حق صاصها فان كانت
 المعصية مالا ونحوه رده الى مالكه وان كانت حذوقاً ونحوه ممكنه من نفسه أو طلب العقومنه
 وان كانت غيبية استحلها منها قال العلماء التوبة واجبة من كل معصية كبيرة أو صغيرة على الفور
 ولا يجوز تأخيرها وتجب من جميع الذنوب وان تاب من بعضها حكت توبته عما تاب منه وبقي عليه
 الذي لم يتب منه هذا مذهب أهل السنة والجماعة وقد قال صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس توبوا
 الى الله فاني أتوب اليه في اليوم مائة مرة وعن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يقول اني لأستغفر الله وأتوب اليه في اليوم أكثر من سبعين مرة وعن أنس بن مالك قال قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضل في أرض
 فلاة وعن أبي موسى الأشعري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله يبسط يده بالليل ليتوب
 مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها وعن ابن عمر أن
 النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر وعن علي انه سمع اعرابياً يقول

اللهم انى استغفرك وأتوب اليك فقال يا هذا ان سرعة الاستغفار بالتوبة توبة الكذابين قال
 وما التوبة قال يجمعها ستة أشياء على الماضى من الذنوب الندامة وللفرأرض الاعادة ورد
 المظالم واستحلال الخوصوم وان تعزم على ان لا تعود وان تذيب نفسك فى طاعة الله كما أذبتني فى
 المعصية وان تذيبها مرة الطاعات كما أذقتهم احلا والمعاصى وعن حذيفة بحسب الرجل من
 الشر أن يتوب من الذنب ثم يعود فيه وقوله تعالى (عسى ربكم) أى المحسن اليكم (أن يكفر) أى
 يغطى تغطية عظيمة (عنكم سيئاتكم) أى ما بدا منكم مما يسوء بالتوبة اطماع من الله لعباده فى
 قبول التوبة وذلك تفضلا وتكرما لا وجوب عليه واذا كان السائب على خطر فما ظنك بالمصر
 ولكن الفضل واسع * ولما ذكر نفع التوبة فى دفع المضار ذكر نفعها فى جلب المسار بقوله تعالى
 (ويدخلكم) أى يوم الفصل (جنات) أى بساكن كثيرة الاشجار تسترد اخلها (تجربى من تحتها)
 أى تحت غرفها واشجارها (الانهار) فهى لا تزال ربا وقوله تعالى (يوم لا يخزى الله) أى الملك
 الاعظم (النبي) أى الذى نأه الله تعالى بما يوجب له الرفعة التامة من الاخبار التى هى فى غاية
 العظمة منصوب بيد خلكم أو باضمار اذكر ومعنى يخزى هنا يعذب أى لا يعذبه وقوله تعالى
 (والذين آمنوا معه) يجوز فيه وجهان أحدهما ان يكون منسوقا على النبي أى ولا يخزى الذين
 آمنوا معه وعلى هذا يكون قوله تعالى (نورهم يسرى بين أيديهم وبأيمانهم) مستأنفا وحالا
 الثانى ان يكون مبتدأ وخبره نورهم يسرى الى آخره وقوله تعالى (يقولون) خبر ثان أو حال
 * (تنبيه) * التقييد بالايان لا ينقضى ان لهم نورا عن شأنا لهم بل لهم نور لكن لا يلبثون اليه لانهم
 أمامن السابقين وأما من أهل البير فهم يشون فى هاتين الجهتين ويوثون بخائف أعمالهم منهما
 وأما أصحاب الشمال فيعطونهم وراء ظهورهم ومن شأناهم وهم بحالهم من النور ان قالوا سمع
 لهم وان شفعا واشفعوا (ربنا) أى أيها المتفضل علينا بهذا النور وبكل خير كما وتكون فيه (أنتم لنا
 نورا) أى الذى منت به علينا حتى يكون فى غاية التمام قال ابن عباس يقولون ذلك اذا طغى نور
 المنافقين اشفاقا وعن الحسن لله متم لهم ولكنهم يدعون تقربا الى الله كقوله تعالى واستغفر
 لذنبك وهو مغفوره وقبله يقول أدناهم منزلة لانهم يعطون من النور قدر ما يصرون مواطئ
 اقدامهم لان النور على قدر الاعمال فيسألون اتمامه تفضلا وقيل السابقون الى الجنة يمترون
 مثل البرق على الصراط وبعضهم كالشمع وبعضهم حبا وزحفا وللك الذين يقولون ربنا اقم
 لنا نورا (واغفر لنا) أى وامح عنا كل نقص كان عيلا بنا الى أحوال المنافقين عينه وأثره وهذا
 النور من صور اعمالهم فى الدنيا لان الآخرة تظهر فيها احقائق الاشياء وتتبع الصور معانيها وهو
 شرع الله الذى شرعه وهو الصراط الذى يضرب بين ظهراني جهنم لان الفضائل فى الدنيا
 متوسطة بين الرذائل فكل فضيلة يكتمها رذيلتان افراط وتفریط فالفضيلة هى الصراط
 المستقيم والرذيلتان ما كان من جهنم عن يمينه وشماله فن كان يمشى فى الدنيا على ما أمر به سواء
 من غير افراط ولا تفریط كان نوره تاما ومن امالته الشهوات طغى نوره فى بعض الاوقات
 واختلفته كلاليب هى صور الشهوات فتميل به فى النار بقدر ميله اليها والمنافق يظهر له نور

اقراره بكلمة التوحيد فاذا مثنى طغى لان اقراره لا حقيقة له (انك) اى وحده (على كل شئ)
 يمكن دخول المشيئة فيه (قدير) اى بالغ القدرة * ولما ذكر ما تقدم من ليسه صلى الله عليه وسلم
 لاضعف الناس وحسن أدبه وكرم عشرته لانه يجبول على الشفقة على عباد الله والرحمة اياهم امره
 سبحانه بالغلظة والشدّة على اعدائه بقوله تعالى (يا أيها النبي جاهد الكفار) اى بكل ما يجهدهم
 فيكفهم من السيف ومادونه من المواعظ الحسنة والدعاء الى الله تعالى ليعرف أن ذلك اللين
 لادل الله تعالى انما هو من غام عقلك وغزير علمك وفضلك (والمناقضين) اى جاهدتهم بما يليق بهم
 من الحجة والسيف ان احتج اليه ان أبدا وافزع مظاهرة وعرفهم أحوالهم في الآخرة وانهم
 لا نور لهم يجوزون به على الصراط مع المؤمنين وقال الحسن وجاهدتهم بأقامة الحد ودعاهم
 (واغلف عليهم) بالافعل والقول بالتوبيخ والزجر والابعاد والهجر فالغلظة عليهم من اللين لله تعالى
 كما أن اللين لادل الله من خشية الله تعالى وقرأ جزء بضم الهاء والباقون بكسر ها (وما وأهم)
 اى فى الآخرة (جهنم وبئس المصير) اى هى * ولما كان للكفرة اوراقات بالمسلمين ربما توهم انهم
 تنفعهم والمسلمين قرابات بالكفار توهم انهم انصرهم ضرب لكل مثلا ويبدأ بالاول فقال تعالى
 (ضرب الله) أى الملك الذى أحاط بكل شئ قدرة وعلم (مثلا) يعلم به من فيه قابلية العلم ويتعظ
 به من له أهلية الاتعاظ (للكافرين) ~~كفروا~~ أى غطوا الحق على أنفسهم وعلى غيرهم وقوله تعالى
 (امرأت نوح) عليه السلام الذى أهلك الله تعالى من كذبه بالفرق (وامرأت لوط) عليه
 السلام الذى أهلك الله تعالى من كذبه بالخصب والخسف يجوز أن يكون بدلا من قوله
 مثلا على تقدير حذف المضاف أى ضرب الله مثلا مثل امرأة نوح وامرأة لوط ويجوز ان يكونا
 مقعولين وضرب الله تعالى هذا المثل تنبيها على انه لا يغنى أحد عن قريب ولا ينسب فى الآخرة اذا
 فرق بينهما ما الدين قال مقاتل وكان اسم امرأة نوح والهة واسم امرأة لوط والعة وقال الضحاک
 عن عائشة ان جبريل عليه السلام نزل على النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره أن اسم امرأة نوح
 واعلة واسم امرأة لوط والهة * (تنبيهه) * رميت امرأت فى الثلاثة وابنت بالساء المحرورة
 فوقف عليهن بالهاء ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ووقف الباقر بالساء وقوله تعالى (كلنا)
 اى مع كونهم ما كافرين (تحت عبيد) جملة مستأنفة كأنهم مفسرة لضرب المثل فلم يأت بضميرها
 فيقال تحتهم أى تحت نوح ولوط لما قصد من تشر يفهما بهذه الاضافة الشريفة قال الفاضل
 لاتدعى الا يساعدها * فانه أشرف أسمى

ودل على كثرة عبيده تنبيها على غناه بقوله تعالى (من عبادنا) ووصفها بأجل الصفات
 وهو قوله تعالى (صالحين) واختلف فى معنى قوله تبارك وتعالى (تخاتهما) فقال عكرمة
 والضحاك بالكفر وعن ابن عباس كانت امرأة نوح تقول للناس انه يحزن واذا آمن به أحد
 أخبرته الجارية من قومه وكانت امرأة لوط تحب بأضافه وعن ابن عباس ما بغت امرأة نوح
 وانما كانت خيانتهم فى الدين وكاتما مشركين وقيل كلتا منافقتين وقيل خيانتهم التسمية اذا
 أوحى اليه ما شئ أفسته الى المشركين قاله الضحاك وقيل كانت امرأة لوط اذا نزل به ضيف

دخت لتعلم قومها انه قد نزل به ضيف لما كانوا عليه من ايمان الرجال (قلم) أي فتسبب عن ذلك
 ان العبد بن الصالحين لم يغنيا عنهما أي المرأتين بحق النكاح (من الله) أي من عذاب الملك
 الذي له الامر كله فلا امر لغيره (شيأ) أي من اغناء لاجل خيانتها (وقيل) أي للمرأتين من
 أذن له في القول النافذ الذي لا مرد له (ادخلا النار) أي قبل لهما ذلك عند موتهم ما ويرم
 القيامة (مع الداخلين) أي مع سائر الداخلين من الكفرة الذين لا وصلة بينهم وبين الانبياء
 فلم يغن نوح ولو طعن امرأتهم ما شأ من عذاب الله تعالى وفي هذا المثل تعريض بأعي المؤمنين
 عائشة وحفصة وما فرط منهما وتحذير لهما على أعلى وجه وأشده وفيه نبيه على أن
 العذاب يدفع بالطاعة لا بالوسيلة وقيل ان كفار مكة استهزؤا وقالوا ان محمدا يشفع لنا فينفعنا
 ان الشفاعة لا تنفع كفار مكة وان كانوا اقرباء كما لا ينفع نوح امرأته ولا لوط امرأته مع
 قريب مالهما الكفرهما * ثم شرع تعالى في ضرب المثل الثاني فقال تعالى (وضرب الله) أي الملك
 الاعلى الذي له صفات الكمال (مثلا للذين آمنوا امرأت فرعون) واسمها آسية وهي بنت
 من احم آمنت وعلقت صالحا فلم تضرها الوصلة بالكافر بالزوجة التي هي من أعظم الوصل
 ولا تنفعه ايمانها كل امرئ بما كب رهين وانما ياربهم تعالى أن جعلها في الآخرة زوجة خير
 خلقه محمد صلى الله عليه وسلم لم في دار كبره بصرها على عبادة الله تعالى وهي في حباله عذوقه
 وأسقط وصفه بالبودية دليلا على تحقيره وعدم رحمته له لانه من أعدى أعدائه وقوله تعالى (آذ
 قالت) ظرف للمثل المحذوف أي مثلهم مثلها حين قالت (رب) أي أيها المحسن الى بالهداية
 وأنا في حباله هذا الكافر الجبار (ابن عندك بيتا) وينت مرادها بالعمدية فقالت (في الجنة)
 أي دار المقربين وقد أجاب سبحانه بان جعلها زوجة أكمل خلقه محمد صلى الله عليه وسلم فكانت
 معه في منزله الذي هو أعلى المنازل (ونجني من فرعون) أي فلا أكون عنده (وعله) فلا تسلطه
 على بما يضرنى عندك في الآخرة فلا أعمل بشئ من عمله وهو شركه وقال ابن عباس جماعه (ونجني)
 اعادت العامل تأكيدا (من القوم الظالمين) أي الناس الاقوياء العريقين الذين يضعون أعمالهم
 في غير موضعها فاستجاب الله تعالى دعائها وأحسن اليها لاجل محبتها للعجوب وهو كليم الله
 موسى عليه السلام كما يقال * صديق صديقي داخل في صداقتي * وذلك أن موسى عليه السلام لما
 غلب السحرة آمنت به فلما تبين لفرعون ايمانها أوتديدهم اورجليه بأربعة أوتاد وألقاها في الشمس
 فاذا انصرفوا عنها أظلمت الملائكة وفي القصة ان فرعون أمر بعجزة عظيمة لتلقى عليها فلما أتوها
 بالعجزة قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة فأبصرته من هريرة فضاء فارتفعت روحها فالتفت
 العجزة على جسد لا روح فيه ولم تجد الماء وقال الحسن وابن كيسان رفع الله تعالى امرأة فرعون
 الى الجنة فهي فيها تاكل وتشرب وقوله تعالى (ومريم ابنت عمران) عطف على امرأة فرعون
 تسليمة للإرامل (التي أحصنت فرجها) أي عفت عن السوء وجميع مقدماته كانت كالصن
 العظيم المانع من العبد وقاسمت على حالها الى المعات فزوجها الله تعالى في الجنة جزاء لها بخير
 خلقه محمد صلى الله عليه وسلم وقال بعض المفسرين أراد بالفرج هنا الجيب لقوله تعالى (نفقنا)

أى بما لنا من العظمة بواسطة ملك جبريل عليه السلام (فيه) أى فى جيب دوعها قال البقاعى
 أوفى فرجها الحقيقى وعلى هذا فلا حاجة الى التأويل (من روحنا) أى من روح خلقنا بلا
 توسط أصل وهو روح عيسى عليه السلام (وصدقت بكلمات ربها) أى المحسن اليها وألق
 فى تلك الكلمات فقال مقاتل يعنى بالكلمات عيسى وأنه نبي وعيسى كلمة الله وقال البغوي
 يعنى الشرائع التى شرعها الله تعالى لأعباده بكلماته المنزلة وقيل هى قول جبريل عليه السلام لها
 انما أنا رسول ربك الآية وعلى كل قول استحققت ان تسمى لذلك صديقه وقرأ (وكتبه) أبو عمرو
 وحفص بضم الكاف والتاء جمعاً والباقيون بكسر الكاف وفتح التاء وبعد حاء ألف افراداً
 والمراد منه الكثرة فالمراد به الجنس فيكون فى معنى كل كتاب أنزله الله تعالى على ولدها وغيره
 وقوله تعالى (وكانت من القاتين) يجوز فى من وجهان أحدهما انهم ابتداء الغاية والثاني
 انهم التبعيض وقد ذكرهما الرنخشري فقال فى التبعيض ويجوز أن تكون لابتداء الغاية على
 انها ولدت من القاتين لانها من أعقاب هرون أخى موسى صلوات الله وسلامه على نبينا
 وعليهما وعليها وعلى سائر الانبياء وآلهم أجمعين قال الرنخشري فان قلت لم قيل من القاتين
 على التذكير قلت لان القنوت صفة تشمل من قات من القبيلين فغلب ذكره على انثاه وقيل
 أراد من القوم القاتين ويجوز أن يرجع هذا الى أهل بيتها فانهم كانوا مطيعين لله والقنوت
 الطاعة وقال عطاء من المسلمين بين المغرب والعشاء وعن معاذ بن جبل ان النبي صلى الله
 عليه وسلم قال لخديجة وهى تجود بنفسها اذا قدمت على ضرائك فأقرئين منى السلام مريم
 بنت عمران وآسية بنت مزاحم وعن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كمل من نسائه
 العالمين أربع مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية بنت مزاحم
 امرأة فرعون وروى الشيخان عن أبي موسى الاشعرى كمل من الرجال كثير ولم يكمل
 من النساء الا مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد
 على سائر الطعام وما قاله البيضاوى تبعاً للرنخشري من أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ
 سورة التحريم آناه الله توبة نصوحاً حديث موضوع

﴿سورة المائدة﴾

وتسمى الواقعة والمنجية وتدعى فى التوراة المائدة لانها تقي وتنجي من عذاب القبر وعن ابن
 شهاب انه كان يسميها المجادلة لانها تجادل عن صاحبها فى القبر وهى ثلاثون آية وثلاثمائة
 وثلاثون كلمة وألف وثلاثمائة حرف

(بسم الله) الذى خضعت لى كمال عظمتة الملوك (الرحمن) الذى عم بعمته الإيجاد كل من
 فى الوجود (الرحيم) الذى خص أوليائه بالنعيم بدار الخلود (تبارك) أى تكبر وتقدس
 وتعالى وتعظيم وثبت ثباتاً لا مثل له مع الجن والبركة وقيل دام فهو الدائم الذى لا أول لوجوده
 ولا آخر لدامه (الذى يده) أى بقدرته ونصرتة لا بقدرته غيره (المائد) أى له الامر والنهي

وملك السموات في الدنيا والآخرة وقال ابن عباس بيده الملك يعز من يشاء ويذل من يشاء
 ويعطي ويمنع ويغني ويفقر ويعطي وينع قال الرازي وهذه الكلمة تستعمل لتأكيد
 كونه تعالى ملكا وما الكما يقال يذل فلان الامر والنهي والحل والعقد وذكر السيد انما هو
 تصوير للاطاحة ولتمام القدرة لانهم اجمع التسوية عن الجارحة وعن كل ما يفهم حاجة
 أوشبهها (وهو على كل شيء) أي من الممكّنات (قدير) أي تام القدرة (تنبيه) * احج أهل
 السنة بهذه الآية على أنه لا يؤثر الاقدرة الله تعالى وابطلوا القول بالطباع كقول الفلاسفة
 وابطلوا القول بالتواليات كقول المعتزلة وابطلوا القول بكون العبد موجد الافعال نفسه لقوله
 تعالى وهو على كل شيء قدير ودلت هذه الآية على الوحدةانية لاننا لو قدرنا الهاتنا فاما أن يقدر
 على ايجاد شيء أو لا فان لم يقدر على ايجاد شيء لم يكن الها وان قدر كان مقدور ذلك الاله الثاني
 شيئا فيلزم كون ذلك الشيء مقدورا لاله الاول لقوله وهو على كل شيء قدير فيلزم وقوع مخلوق
 من خالقين وانه محال لانه اذا كان كل واحد منهما مستقلا بالايجاد يلزم أن يستغني كل واحد
 منهما عن كل واحد منهما فيكون محتاجا اليهما وغنيا عنهما وذلك محال وقرأ وهو على كل شيء
 قدير وهو العزيز الغفور وهو اللطيف وما أشبه ذلك أبو عمرو وقالون والكسافي يسكون الهاء
 والساقون بضمها وخرج بقولنا من الممكّنات أنه تعالى ليس قادر على نفسه وأجاب بعضهم بأن
 هذا عام مخصوص ودل على تمام قدرته قوله تعالى (الذي خلق) أي قدر وأوجد (الموت
 والحياة) قيل خلق الموت في الدنيا والحياة في الآخرة وقدم الموت على الحياة لان الموت الى
 القهر أقرب كما قدم النبات على البنين فقال يهب لمن يشاء انا ناهي يهب لمن يشاء الذكور وقيل
 قدمه لانه أقدم لان الاشياء في الابتداء كانت في حكم الموت كالنطف والتراب ونحوه وقال
 قتادة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله أدل بنى آدم بالموت وجعل الدينار حياة
 ثم دار موت وجعل الآخرة دار جزاء ثم دار بقاء وعن أبي الدرداء أن النبي صلى الله عليه وسلم
 قال لو لا ثلاث ما طأ ابن آدم رأسه الفقر والمرض والموت وقيل انما قدم الموت على الحياة
 لان من نصب الموت بين عينيه كان أقوى الدواعي الى العمل وحكي عن ابن عباس والكلبي
 ومقاتل ان الموت والحياة جسمان والموت في هيئة كبش لا يمر بشيء ولا يجدر بجمه الامات وخلق
 الحياة على صورة فرس أنثى بلقاه وهي التي كان جبريل عليه السلام والانبيا عليهم السلام
 يركبونها وخطوهم امدابا صر فوق الجمار ودون البغسل لا تمر بشيء ولا يجدر بجمها الاحي ولا
 تطأ على شيء الاحي وهي التي أخذ السامري من أثرها فالقاء على العجل فحي حكاه الثعلبي
 والقشيري عن ابن عباس وعن مقاتل خلق الموت يعني النطفة والعلقة والمضغة وخلق الحياة
 يعني خلق انسانا فنقح فيه الروح فصار انسانا قال القرطبي وهذا حسن يدل عليه قوله
 تعالى (ليبلوكم) أي يعاملكم وهو أعلم بكم من أنفسكم معاملة المختبر لانه يظهر ما عندكم من
 العمل بالاخبار (أيكم أحسن عملا) أي من جهة العمل أي عمله أحسن من عمل غيره

وروى عن عمر بن الخطاب أحسن عملاً وأورع عن محارم الله وأسرع في طاعة الله
وقال الفضل بن عياض أحسن عملاً وأصوبه وقال العمل لا يقبل حتى يكون خالصاً
صواباً فالخالص إذا كان لله والصواب إذا كان على السنة وقال الحسن أيكم أزهدي الدنيا
واترك لها وقال السدي أيكم أكثر للموت ذكر أو أحسن استعداداً وأشد خوفاً وحذراً
وقيل يعاملكم معاملة المختبر فيبالي العبد بموت من يعز عليه ليبين صبره وبالحياة ليبين شكره
وقيل خلق الله تعالى الموت للبعث والجزاء وخلق الله الحياة للابتلاء (فان قيل) الابتلاء هو
التجربة والامتحان حتى يعلم أنه هل يطيع أو يعصى وذلك في حق الله تعالى العالم بجميع
الاشياء محال (أجيب) بأن الابتلاء من الله تعالى هو ان يعامل عبده معاملة تشبه المختبر كما
مرت الإشارة اليه (وهو) أي والخال أنه وحده (العزير) أي الذي يغلب كل شيء ولا يغلبه
شيء (الغفور) أي الذي مع ذلك يغفل في محو الذنوب عنا وأثران فعل المبالغ في ذلك ويتلقى
من أقبل اليه أحسن تلقى كما قال تعالى في الحديث القدسي ومن أتاني يمشي أتيته هرولة وقوله
تعالى (الذي خلق) أي أبداع على هذا التقدير من غير مثال سبق (سبع سموات) يجوز أن
يكون تابعاً للعزير الغفور نعمتاً وبياناً أو بدلاً وأن يكون منقطعاً عنه خبر مبتدأ محذوف أو
مفعول فعل مقدر وقوله تعالى (طباقة) صفة لسبع وفيه ثلاثة أوجه أحدها أنه جمع طبق
نحو جبل وجبال والثاني أنه جمع طبقة نحو رحبة ورحاب والثالث أنه مصدر طابق يقال
طابق مطابقة وطباقاً ما أن يجعل نفس المصدر بالغة واما على حذف مضاف أي ذات
طباق واما أن ينتصب على المصدر بفعل مقدر أي طوبقت طباقاً من قولهم طابق النعل
أي جعله طبقة فوق طبقة أخرى وروى عن ابن عباس طباقاً أي بعضهم فوق بعض قال البقاعي
بحيث يكون كل جزء منها مطابقاً للجزء من الأخرى ولا يكون جزء منها خارجاً عن ذلك قال
وهي لا تكون كذلك إلا أن تكون الأرض كرة والسماء الدنيا محيطية بها الحاطة قشر
البيضة من جميع الجوانب والثانية محيطية بالدنيا وهكذا إلى أن يكون العرش محيطياً بالكل
والكرسي الذي هو أقربها بالنسبة إليه مخلقة ملقاة في فلاة فخالطك بما تحته وكل سماء في التي
فوقها بهذه النسبة وقد قرر أهل الهيئة أنها كذلك وليس في الشرع ما يخالفه بل ظواهره
توافقها ولا سيما التشبيه بالملقاة في فلاة فسيحان اللطيف الخبير ولا شك أن من تفكر
في هذه العظمة مع ما لطف بنا فيها بما فيها للنامن المنافع أثره سبحانه بالحب وأفرده عن كل ضد
فانقطع باللبا إليه ولم يعمل الاعليه في كل دفع ونفع وسارع في مرضاه ومجابه في كل
خفض ورفع * (تنبيه) * ذات هذه الآية على القدرة من وجوه أحدها من حيث بقاؤها في جرة
الهواء معلقة بلا عمد ولا سلسلة ثانيها أن كلامها اختص بحركة خاصة متقدرة بقدر معين
من السرعة والبطء إلى جهة معينة ثالثها كونها في ذاتها محدثة وكل ذلك يدل على
استنادها إلى قادر تام القدرة وقوله تعالى (ما ترى في خلق الرحمن) أي السموات ولغيرها خطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم وأول كل مخاطب وكذا القول في قوله تعالى فارجع البصر ثم ارجع

البصر ينقلب اليك البصر (من تفاوت) أى من اعوجاج ولا تناقض ولا تباین بل هى
مستقيمة مستوية دالة على خالقها وان اختلف صورة وقيل المراد بذلك السموات خاصة أى
ما ترى فى خلق السموات من عيب وأصله من القوت وهو ان يقوت بعضها بعضا فيقع الخلل
لعدم استوائها يدل عليه قول ابن عباس من تفرق وقال السدى أى من اختلاف وعيب يقول
الناظر لو كان كذا المكان أحسن وقيل المراد من التفاوت الفطور لقوله تعالى بعد ذلك فارجع
البصر هل ترى من فطور وتظهره قوله تعالى وما لها من فروج قال القفال ويحتمل أن يكون
المعنى ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فى الدلالة على حكم الصانع وأنه لم يخلقها عبثا
* (تبيينه) * دلت هذه الآية على كمال علم الله تعالى وذلك ان الحسن دل على ان هذه السموات
السبع أجسام مخلوقة على وجه الاحكام والاتقان وكل فاعل كان فعله محكما متقنا فلا بد وأن
يكون عالما فدلّت الآية على كونه تعالى عالما بالمعلومات فقوله تعالى ما ترى فى خلق الرحمن
من تفاوت إشارة الى كونها محكمة متقنة وقرأ ما ترى وهل ترى أبو عمرو وحجزة والكسائي
بالألف المحضة وورش بين وبين والباقون بالفتح وأدغم لام هل فى الماء أبو عمرو وهشام وحجزة
والكسائي وقرأ من نفوت حجة والكسائي بغير ألف بعد الفاء وتشديد الواو والباقون
بألف بعد الفاء وتحفيف الواو وقوله تعالى (فارجع البصر) مسبب عن قوله تعالى
ما ترى وقوله تعالى (هل ترى من فطور) جملة يجوز أن تكون معلقة لفعل محذوف
يدل عليه فارجع البصر أى فارجع البصر فانظر هل ترى وأن يكون فارجع البصر مضمنا
معنى انظر لانه بمعنى فيكون هو المعلق والفطور جمع فطر وهو الشق يقال فطره فانقطر ومنه
فطر ناب البعير كما يقال شق ومعناه شق اللحم وطلع قال المفسرون الفطور الصدوع والشقوق
قال القائل

شقت القلب ثم دررت فيه * هو الفليط فالتأم الفطور

(ثم ارجع البصر) وقوله تعالى (كزتين) نصب على المصدر كزتين وهو دثنى لا يراد به حقيقة
بل التكرير يدل على قوله تعالى (ينقلب اليك البصر خاسئا) أى صاغرا ذليلا بعيدا عن اصابة
المطلوب كأنه طرد عنه طردا بالصغار (وهو حسير) أى كليل من طول المعاودة وكثرة
المراجعة وهذا ان الوصفان لا يأتیان بنظرين ولا ثلاث وإنما المعنى كرات وهذا كقولهم
أبيك وسعديك وحنانيك ودوايك وهذا ذك لا يريدون بهذه التثنية تشفيح الواحد إنما
يريدون التكرير أى اجابة لك بعد اجابة والاتساق الغرض والتثنية تفيد التكرير لقرينة كما
يفتده أصلها وهو العطف لقرينة كقوله * لوعد قبر وبقير كنت أكرمه * أى قبور كثيرة
لستم المدح وقال ابن عطية كزتين معناه مزتين ونصبهما على المصدر وقيل الاولى ليرى حسنهما
واستواءهما والثانية ليصبر كواكبها فى مسيرها وانتهائها وهذا بظاهرها يفهم التثنية فقط وروى
البعغوى عن كعب أنه قال السماء الدنيا موج مكفوف والثانية ممرية يضاء والثالثة حديد
والرابعة صفراء وقال نحاس والخامسة فضة والسادسة ذهب والسابعة ياقوتة جراء وبين

السماء السابعة والحب السبعة محباري من نور ثم ذكر تعالى دلالة أخرى بعد تلك الدلالة تبدل
 على تمام قدرته بقوله تعالى (ولقد زينا) بملائك العظيمة (السماء الدنيا) أى القربى لأنها
 أقرب السموات إلى الأرض وهي التي تشاهدونها (بمصاييح) جمع مصباح وهو السراج أى
 بنجوم متقدمة عظيمة جداً تفوق الحصر ظاهرة سائرة مضيئة ظاهرة زاهرة وهي الكواكب التي
 تتوارى الأرض بالليل أنارة السراج التي تتوزون بها اسقف دوركم وسمى الكواكب مصاييح
 لاضائتها وزينة لأن الناس يزینون مساجدهم ودورهم بالمصاييح فكأنه قال ولقد زينا سقف
 الدار التي اجتمعتم فيها بمصاييح والزين به الامتاع أن تكون مركزوة فيما فوقها من السموات وهي
 تترأى بحسب الشفق وبما لأجرام السموات من الصفاء ولذلك المصاييح من شدة الاضاءة
 (وجعلناها) أى المصاييح بملائك العظيمة مع كونها زينة واعلاماً للهداية (رجوما للشياطين)
 أى الذين يحق لهم الطرد من الحق لما لهم من الاحتراق حراسة السماء التي هي محل تنزل أمرنا
 بالقضاء والقدر وانزال هذا الذكر الحكيم لئلا يفسدوا واستراق السمع فيها على الناس دينهم
 الحق ويلبسوا عليهم أمرهم بخلط الحق الذي قد ختمناه بالاديان بالباطل والرجوم جمع رجم وهو
 مصدر في الاصل أطلق على المرجوم به كضرب الاسير ويجوز أن يكون باقياً على مصدرية
 ويقدر مضاف أى ذات رجوم وجمع المصدر باعتبار أنواعه والشهاب المرجوم به منفصل من
 نار الكوكب وهو قار في فلكه على حاله كقبس النار يؤخذ منها وهي باقية لا تنقص وذلك مسوغ
 لتسميتها بالنجوم فمن لحقه الشهاب منهم قتله أو وضع أمره وخبله وقال أبو علي جواباً لمن قال
 كيف تكون زينة وهي رجوم لا تنقضي كيفية الرجم أن يؤخذ نار من ضوء الكوكب يرمى بها
 الشيطان والكوكب في مكانه لا يرجم به وقيل الرجوم هنا الظنون والشياطين شياطين الانس
 كما قال القائل * وما هو عنها بالحديث المرجم * فيكون المعنى جعلناها ظنونا ورجوما بالغيب
 لشياطين الانس وهم النجوم يتكلمون بها رجاها بالغيب في أشياء من عظيم الابتلاء وعن قيادة
 خلقت النجوم لثلاث زينة للسماء ورجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها فمن تأول فيها غير
 ذلك أخطأ وتكلف ما لا علم له به وتعدى وظلم (وأعندنا) أى هيأنا في الآخرة مع هذا الذي
 في الدنيا بملائك العظيمة (لهم) أى للشياطين (عذاب السعير) أى التي في غاية الانتقاد
 في الآخرة قال المبرد سرعت النار فهي مسعورة وسعير مثل مقتولة وقيل وهذه الآية تبدل
 على أن النار مخلوقة الآن لأن قوله تعالى وأعندنا لهم خبر عن الماضي ولما أخبر تعالى عن
 تهيبه العذاب لهم بالخصوص أخبر عن تهيبته لكل عامل بأعمالهم على وجه اندرجوا هم
 فيه فقال عز من قائل (وللذين كفروا) أى أوقعوا التعظيمة لما من حقته أن يظهر ويشهر من
 الأذعان للإله (ربهم) أى الذي تفردي بإجسادهم والاحسان اليهم فأنكروا إيجاده لهم بعد الموت
 كفراً بما شاهدوا من اختراعه لهم من العدم (عذاب جهنم) أى الدركة النارية التي تلقاها
 بالجهنم والعبوسة والغضب (وبئس المصير) أى هي (إذا ألقوا) أى طرح الكفار (فيها)
 أى في نار جهنم من أى طارح أمرناه بطرحهم كما بطرح الحطب في النار العظيمة (سيعوالها)

أى جهنم نفسها (شهيقة) أى صوتها بالاشدة نكارة من أول صوت الحمار لشدة وقدها
وغلبانها قال ابن عباس الشهيقة لجهنم عند لقاء الكفار فيها كشهيق البغلة للشعير وأولاهلها
على حذف مضاف كما قال عطاء الشهيقة للكفار أى سمعوا من أنفسهم شهيقا كقوله تعالى لهم
فيها زفير وشهيق قال القرطبي الشهيقة في الصدر والزفير في الحلق وقد مضى في سورة هود
(وهى تقور) أى تغل بهم ومنه قول حسان

تركتهم قدركم لاشئ فيها * وقد را القوم جاية تقور

قال ابن عباس تغل بهم كغلى المراحل وقرأ قالون وأبو عمر والكسائي بسكون الهاء والباقون
بكسرهما (نكاد تميز) أى تقرب من أن ينقصل بعضها من بعض كما يقال يكاد فلان يشق
من غيظه وفلان غضب فطار شقة منه في الأرض وشقة في السماء كناية عن شدة الغضب وقرأ
البرى بتشديد التاء من تميز في الوصل والسوسى على أصله بادغام الدال في التاء (من الغيظ) أى
عليهم وقال سعيد بن جبيرة تكاد تميز من الغيظ يعنى ينقطع وينقصل بعضها من بعض وقال ابن
عباس تميز من شدة الغيظ على أعداء الله تعالى وذلك كله لغضب سيدها وتأتى يوم القيامة نقاد
الى المحشر بألف زمام لكل زمام سبعون ألف ملك يقودونهم وهى من شدة الغيظ تقوى على
الملائكة وتحمل على الناس فتقطع الأزمة جميعا وتحطم أهل المحشر فلا يرد هاء عنهم إلا النبي صلى
الله عليه وسلم يقابلها بنوره فتزج مع أن لكل ملك من القوة ما لو أمر أن يقطع الأرض وما عليها
من الجبال ويصعد بها فى الحق فعمل من غير كلفة وهذا كما أظناه فى الدنيا بنفخه روى أبو داود
عن ابن عمر أنه قال انكسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر صلاته الى أن
قال ثم نفخ فى آخر سجوده فقال اف اف ألم تعدنى أن لاتعذبهم وأناقيم ألم تعدنى أن لاتعذبهم
وهم يسهفون ولما ذكر تعالى حالها أتبعه حالهم فقال تعالى (كلما أتى فيها) أى فى جهنم بدفع
الزبانية لهم (فوج) أى جماعة فى غاية الاسراع والانفاج الجماعات فى تفرقة ومنه قوله
تعالى فتأتون أفواجا وارادها بالفوج جماعة من الكفار (سألهم) أى ذلك الفوج (خرنثها)
أى النار وهم المالك واعوانه سؤال توبيخ وتقرىع (ألم يأتكم) أى فى الدنيا (نذير) أى رسول
يخوفكم هذا اليوم حتى تحذروا قال الزجاج وهذا النوبخ زيادة لهم فى العذاب (قالوا بلى)
قرأه حمزة والكسائي باللاملة المحضة وورش بالفتح وبين اللفظين والباقون بالفتح والوقف عليها
كافى الوصل (قد جاءنا نذير) أى محذر بليغ التحذير * (تنبه) * فى ذلك دليل على جواز
الجمع بين حرف الجواب ونفس الجملة المحاب بها اذ لو قالوا بلى لفهم المعنى وانهم أظهره
تحسرا وزيادة فى قهمتهم على تفریطهم فى قبول قول النذير ولعطفوا عليه قولهم (فكذبنا)
أى فتسبب عن محبته أنا وقعنا التكذيب بكل ما قاله النذير (وقلنا) أى زيادة فى التكذيب
(مازل الله) أى الذى له الكمال كله عليكم ولا على غيركم (من شئ) لا وحيا ولا غيره وما كفانا
هذا القبحور حتى قلنا مؤكدين (ان) أى ما (أنتم) أى أيها النذير المذكورون فى نذير
المراد به الجنس (الافى ضلال) أى بعد عن الطريق (كبير) فبالغنا فى التكذيب والسفه

بالاستحجال والاستخفاف وقيل قوله تعالى إن أنتم إلا في ضلال كبير من كلام الملائكة
 للكفار حين أخبروا بالكذب (وقالوا) أي الكفار زيادة في توخي أنفسهم (لو كانوا) أي
 بما لنا من الغيرة (نسمع) أي كلام الرسل فقبله جملة من غير بحث وتضيض اعتماد على
 ما لاح من صدقهم بالمعجزات (أو نعقل) أي بما أدته البينا خاصة السمع ففكر في حكمه
 ومعانيه تفكر المستبصرين (ما كنا) أي كونا داعيا (في أصحاب السعير) أي
 في عدا من أعدت له النار التي هي في غاية الايقاد * (تنبيه) * في الآية أعظم فضيلة للعقل
 روى عن أبي سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لكل شيء دعوة ودعامة المؤمن
 عقله فبقدر عقله تكون عبادته أما معتم قول القجار لو كنا نسمع أو نعقل الآية (فاعترفوا)
 أي بالغوا في الاعتراف حيث لا ينفعهم الاعتراف (بذنبهم) أي في دار الجزاء كما بالغوا
 في التكذيب في دار العمل والذنب ليجمع لانه في الاصل صدور المراد به تكذيب الرسل
 (فسحقاً) أي فبعد الهمة من رجة الله تعالى وهو دعاء عليهم مستجاب (لاصحاب السعير) أي
 الذين قضت عليهم أعمالهم بغيرهم وقال سعيد بن جبير وأبو صالح هو واد في جهنم يقال له
 السعير وقرأ الكسائي بضم الحاء والباءون بسكونها ولذا ذكر أصحاب السعير تبعهم
 ذكر اضدادهم بقوله تعالى (إن الذين يخشون) أي يخافون (ربهم) أي المحسن اليهم خوفاً
 أرق قلوبهم وأرق أعينهم بحيث لا يقر لهم قرار من توقعهم العقوبة كلما ازدادوا طاعة
 ازدادوا خشية يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجللة (بالغيث) أي حال كونهم غائبين عن عذابه
 سبحانه أو وعيده غائب عنهم أو وهم غائبون عن أعين الناس فهم مع الناس يتكلمون وقلوبهم
 تتلظى بنيران الخوف وتكلم بسبب خوف الهيبة فيكون المعصية حيث لا يراهم أحد من الناس
 ولا يكون لهم هذا البريضة عظيمة فعلى العاقل أن يطوع نفسه لترجع مطهنة بأن ترضى
 بالله بالتدخل في رق العبودية وبالإسلام ديناً يصير غير يقاها فلا ينزع الملك في ردايه
 الكبيراً وازاره العظمة وتواجه الجلال وحلته الجمال ولا ينزع فيما يذره من الشرائع ويظهره
 من المعارف ويحكم به على عبده من قضائه وقدره (لهم مغفرة) أي عظمة تأتي على جميع
 ذنوبهم (وأجر) أي من فضل الله تعالى (كبير) يكون لهم به من الأكرام ما ينسبهم ما فاسوه
 في الدنيا من شدة الأيلام ويصغر في جنبه لذا نذر الدنيا العظام (وأسرؤا) أي أسهل الخلائق
 (قولكم) أي خيراً كان أو شراً (أو أجهر وأبه) فانه يعلم ويجازيكم به اللفظ لفظ الامر
 والمراد به الخبر يعني أن أخفيتم كلامكم في أمر محمد صلى الله عليه وسلم أو غيره وأجهرتم به فسواء
 (أنه) أي ربكم (عليهم) أي بالغ العلم (بذات الصدور) أي بحقيقتهم أو كنهها وحالها وجبلتها وما
 يحدث عنهم من الخير والشر وقال ابن عباس نزلت في المشركين كانوا يسألون من النبي صلى
 الله عليه وسلم فيخبره جبريل عليه السلام فقال بعضهم لبعض أسرؤا قولكم كي لا يسمع رب
 محمد فأسرؤا قولكم أو أجهر وأبه يعني وأسرؤا قولكم في محمد صلى الله عليه وسلم وقال غيره
 انه خطاب عام لجميع الخلق في جميع الاعمال والمراد أن قولكم وعلمكم على أي سبيل وجد

فالحال واحذف في علمه تعالى فاحذروا من المعاصي سراً كما تحذرون عنها جهراً فان ذلك
 لا يتفاوت بالنسبة الى علم الله تعالى ولما قال تعالى انه علم بذات الصدور ذكر الدلائل على انه
 عالم فقال تعالى (ألا يعلم من خلق) أي من خلق لا بد وأن يكون عالماً بما خلقه لأن الخلق هو
 اليجاد والتكوين على سبيل القصد والقاصد الى الشيء لا بد وأن يكون عالماً بحقيقة ذلك
 المخلوق كيفية وكيفية والمعنى ألا يعلم السر من خلق السر يقول أنا خلقت السر في القلب أفلا
 أكون عالماً بما في قلوب العباد قال أهل المعاني ان شئت جعلته من أسماء الخالق تعالى
 ويكون المعنى ألا يعلم الخالق خلقه وان شئت جعلته من أسماء المخلوق والمعنى ألا يعلم الله من
 خلقه ولا بد أن يكون الخالق عالماً بما خلقه وما يخلقه قال ابن المسيب بينما رجل واقف بالدليل
 في شجر كثير وقد عصفت الريح فوقع في نفس الرجل أترى الله يعلم ما يسقط من هذا الورق
 فنودي من جانب الغيضة بصوت عظيم ألا يعلم من خلق (وهو) أي والحال انه هو (اللطيف)
 الذي يعلم ما به في القلوب (الخبير) أي البالغ العلم بالظواهر والبواطن فكيف يخفى عليه شيء
 من الاشياء وقال أبو اسحق الاسفراخي من أسماء صفات الذات ما هو للعلم منها العليم ومعناه تعميم
 جميع المعلومات ومنها الحكيم ويختص بأن يعلم دقائق الاوصاف ومنها الشهيد ويختص بأن
 يعلم الغائب والحاضر ومعناه أن لا يغيب عنه شيء ومنها الحافظ ويختص بأنه لا ينسى شيئاً ومنها
 المحصي ويختص بأنه لا يشغله الكثرة عن العلم مثل ضوء النور واشتداد الريح وتساقط
 الاوراق فيعلم عند ذلك أجزاء الحركات في كل ورقة وكيف لا يعلم وهو الذي يخلق وقد قال
 ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ولما كان هذا أمراً غامضاً دل عليه بأمر مشاهد أبده
 بلفظه وأتقنه بحذره فقال مستأنفاً (هو) أي وحده (الذي جعل لكم الارض) على سعتها
 وعظمتها وحزونة كثير منها (ذلولا) أي مسخرة لا تمنع ان تصلوا الى منافعكم فيها قابله للانتقاد
 لما تريدون منها من شئ وزرع حبوب وغرس أشجار وغير ذلك وقيل ثبت ما بالجبال لسلا
 تزول بأهلها ولو كانت مماثلة لما كانت منقادة لنا وقيل لو كانت مثل الذهب والحديد لكانت
 تسحق جذاً في الصيف وتبرد جذاً في الشتاء * (نبيه) * في ذكر هذه الآية بعد الآية
 المتقدمة تهديد للكفرة كقول السيد لعبد الذي أساء اليه سر يا فلان أنا أعرف سرّك
 وعلايتك فأجلس في هذه الدار التي وهبتها لك وكل هذا الخبز الذي هبته لك ولا تأمن مكرى
 وتأدي فكأنه تعالى يقول يا أيها الكفار أنا عالم بسرّكم وجهركم وضما تركم خفاوني فان الارض
 التي هي قراركم أنا ذللها لكم ولو شئت خسفت بكم وقوله تعالى (فامشوا) أي الهوينا مكسبين
 وغير مكسبين ان شئتم من غير صعوبة توجب لكم وثوباً أو جواً (في مناكبها) مثل لفرط التذلل
 ومجاوزه الغاية لأن المنكبين وملقاهما من الغارب أرق شئ من البعر وأنباه عن ان يطأه
 الركاب بقدمه ويعتمد عليه فاذا جعلها في الذل بحيث يمشي في مناكبها لم يترك شيئاً وهذا أمر
 اباحه وفيه اظهار الامتنان وقيل خبر بلفظ الامر أي لكي تشعروا في اطرافها وتواحيها أو كما هي
 وجبالها وقال ابن عباس وبشير بن كعب وقادة في مناكبها في جبالها وتذليلها أدل على

تذليل غيرها وليكن مشيكم فيها وتصرفاتكم بذل واخبات وسكون استعغار الانفسكم وشكرا
 لمن يخبركم ذلك وروى أن بشير بن كعب كانت له سمرة فقال لها ان اخبريني ما مناصك
 الارض فانت حرة فقالت مناصها جبالها فقال لها صرت حرة فأراد ان يتزوجها فساءل أبا
 الدرداء فقال دع ما يرييك الى ما لا يرييك وقال مجاهد في اطرافها وعنه أيضا في طرقها
 وبجانبها وهو قول السدي والحسن وقال الكلبي في جوانبها ومنسكا الرجل جانبها
 (قائدة) حكى قتادة عن أبي الخلدان الارض أربعة وعشرون ألف فرسخ للسودان اثنا عشر
 ألفا ولتروم ثمانية آلاف وللقرس ثلاثة آلاف وللعرب ألف ثم ذكرهم تعالى بأنه سملها لخراج
 البركات بقوله تعالى (وكأوا) ودل على ان الرزق فوق الكفاية بقوله تعالى (من رزقه) الذي
 أودعه لكم فيها قال الحسن مما أحل لكم وقيل مما خلقه الله لكم رزقا في الارض (والله)
 أي وحده (النشور) وهو اخراج جميع الحيوانات التي أكلتها الارض وأفسدتها بخير جهها
 سبحانه في الوقت الذي يريد على ما كان كل منها عليه عند الموت كما أخرج تلك الارزاق لافرق
 بين هذا وذو النشور انكم لا تتأملون فيما فوز من شكر وبإدلال من كفر فعودوا أنفسكم بالخيرات
 لعلها تنقاد كما قيل * هي النفس ما عودتها تعود * ولما كان لم يكن بعد الاستعطاف الا الانذار
 قال تعالى مهدد المكذبين (أأمنتم) قرأ قبيل في الوصل بإبدال الهمزة بعد راء النشور وواو
 وسهل الهمزة الثانية نافع وابن كثير وأبو عمرو وهشام بخلاف عنه وحققها الباقون وأدخل
 بينهما أننا قالون وأبو عمرو وهشام والباقيون بغیر ادخال وقوله تعالى (من في السماء) فيه وجوه
 أحدها من ملكوته في السماء لانهم امسكن ملائكتهم وشم عرشه وكرسيه والروح المحفوظة منها
 ينزل قضاياء وكتبه وأمره ونواهيته والثاني أن ذلك على حذف مضاف أي أأمنتم خالق من
 في السماء والثالث ان في بمعنى على أي على السماء كقوله ولا صلبكم في جذوع النخل أي على
 جذوع النخل وانما احتاج القائل بهذين الوجهين الى ذلك لانه اعتقد أن من واقعة على الباري
 تعالى شأنه وهو الظاهر وثبت بالدليل القطعي أنه ليس بتحييز لئلا يلزم التجسيم ولا حاجة الى ذلك
 فان من المراد بها الملائكة سكان السماء وهم الذين يتولون الرحمة والنفقة والرابع أنهم
 خوطبوا بذلك على اعتقادهم فان القوم كانوا مجسمة مشبهة وأنه في السماء وأن الرحمة والعذاب
 نازلان منه وكانوا يدعون من جهتها فقبل لهم على حسب اعتقادهم أأمنتم من في السماء أي من
 تزعمون أنه في السماء قال الرازي هذه الآية لا يمكن اجراؤها على ظاهرها باجماع المسلمين لان ذلك
 يقتضي احاطة السماء به من جميع الجوانب فيكون أصغر منها والعرش أكبر من السماء بكثير
 فيكون حقيرا بالنسبة الى العرش وهو باطل بالاتفاق ولانه تعالى قال فل لمن مافي السموات
 والارض فلو كان فيها لمكان ما كالنفسه فالمعنى امامن في السماء عذابه وامان ذلك بحسب
 ما كانت العرب تعتقده وامان في السماء سلطانه وملكه وقدرته كما قال تعالى وهو الله في السموات
 وفي الارض فان الشيء الواحد لا يكون دفعة في مكانين والغرض من ذكر السماء تنظيم سلطان
 الله سبحانه وتعالى قدرته والمراد الملك الموكل بالعذاب وهو جبريل عليه السلام وقوله تعالى

(أن يخسف بكم الأرض) يدل من من في السماء يدل اشتغال وقال القرطبي يحتمل أن يكون المعنى
 أنتم خالق من في السماء أن يخسف بكم الأرض كما خسفها بقارون وقرأ من في السماء إن نافع
 وابن كثير وأبو عمرو بابدال الهمزة الثانية المفتوحة بعد الكسرة ياء في الوصل والباقيون
 بتحقيقهما (فأذا هي) أي الأرض التي أنتم عليها (تور) أي تضطرب وهي تهوى بكم وتجري
 هابطة في الهواء وتكشف إلى حيث شاء سبحانه قال في القاموس المورا الاضطراب والجرى ان على
 وجه الأرض والتحرك وقال الرازي إن الله تعالى يحرك الأرض عند الخسف بهم حتى تضطرب
 وتحرك فتعلو عليهم وهم يخسفون فيها يذهبون والأرض فوقهم غور فتقلبهم إلى أسفل السافلين
 وقال القرطبي قال المحققون أنتم من فوق السماء كقوله تعالى فسيحوا في الأرض أي فوقها
 لا بالماسة والتخيز بل بالتهور والتدبير والاختبار في هذا صحيحة كثيرة منتشرة مشيرة إلى العلو
 لا يدفعها إلا ملحد أوجاهل أو معاند والمراد به التوقيه وقزبه عن السفلى والتحت ووصفه بالعلو
 والعظمة لا بالالماكن والجهات والحدود لأنها صفات الأجسام وإنما ترفع الأيدي بالدعاء إلى
 السماء لأن السماء مهبط الوحي ومنزل القطر ومحل القدم ومعدن المطهرين من الملائكة واليها
 ترفع أعمال العباد وفوقها عرشه وجنته كما جعل الله تعالى الكعبة قبله للصلاة ولأنه تعالى خلق
 الأمكنة وهو غير متعيز وكان في أزله قبل خلق المكنان والزمان ولا مكان له ولا زمان وهو الآن
 على ما عليه كان وقوله تعالى (أم أمنتم) أي أيها المكذبون (من في السماء أن يرسل) يدل من من
 في السماء يدل اشتغال (عليكم) أي من السماء (حاصبا) قال ابن عباس رضى الله عنهما أي
 حجارة من السماء كما أرسلها على قوم لوط وأصحاب الفيل وقيل ريح فيها حجارة وحصباء كأنها
 تقلع الحصباء لشدة اقوتها وقيل هي سحب فيها حجارة (فستعلمون) أي عن قريب بوعده
 لا يخلف عند معاناة العذاب (كيف نذير) أي انذارى البليغ إذا شاهدتم العذاب وهو بحيث لا
 يستطيع ولا تتعلق الأطماع بكشف له ولا دفاع قال البقاعي وحذف الياء منه ومن نكير إشارة
 إلى أنه وإن كان خارجا عن الطوق ليس ممتننى مقدور بل لديه مزيد لا غاية له بوجه ولا تحزير أي
 على قراءة أكثر القراء فقد قرأ ورش بالياء في الوصل فيهما دون الوقف والباقيون بغير ياء وقفا
 ووصلا (ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير) أي انكارى عليهم لما أصبتم به من
 العذاب ولما ذكر تعالى ما تقدم من الوعيد ذكر البرهان على كمال قدرته بقوله تعالى (أولم يروا)
 أجمع القراء على القراءة بالغيب لأن السياق الرذعي المكذبين بخلاف ما في النحل وأشار إلى بعد
 الغاية بحرف النهاية فقال تعالى (إلى الطير) وهو جمع طائر (فوقهم) أي في الهواء وقوله تعالى
 (صافات) أي باسطات أجنحتهم يجوز أن يكون حالاً من الطير وأن يكون حالاً من فوقهم إذا
 جعلناه جالفاً فيكون متداخلة فوقهم طرف إصافات على الأول وألبروا وقوله تعالى (ويقبضن)
 عطف الفعل على الاسم لأنه بمعنى أي وقابضات فالفعل هبنا مؤول بالاسم عكس قوله تعالى
 أن المصدقين والمصدقات وأقرضوا فان الاسم هبنا مؤول بالفعل وقال أبو حيان وعطف
 الفعل على الاسم لما كان في معناه ومثله قوله تعالى فالمعيرات متبجاً فأتى عطف الفعل على الاسم

لما كان المعنى فاللآق أغرن فأثرن ومثل هذا العطف فصيح وكذلك عكسه الا عند السهلي
 فانه قبيح وقال الزمخشري صافات باسقاط أجحمتن في الجوع عند طير انما لانهم اذا ابتغوا
 صفقن قوادحها صفقا ويقبضن ويضعف منها اذا ضربن بها جنوبهم (فان قلت) لم قال ويقبضن ولم
 يقل فانضات (قلت) لان اصل الطيران هو صف الاجنحة لان الطيران في الهواء كالسباحة
 في الماء والاصل في السباحة مد الاطراف ويطسها وأما القبض فطاري على البسط
 للاستظهار به على الخسر الخفى بها هو طاري غير أصل بلقفا الفعل على معنى انهم صافات
 ويكون منهم القبض تارة بعد تارة كما يكون من السباح اه وقال أبو جعفر النحاس يقال للطائر
 اذا بسط جناحيه صاف واذا ضمه ما فاصا بجناحيه قابض لانه يقبضهما وقيل ويقبض
 أجحمتن بعد بسطها اذا وقفن عن الطيران (ما عساه كهن) أي عن الوقوع في حال البسط
 والقبض (الارحن) أي الملك الذي رجته عامة لكل شيء بأن هياهن بعد ان أفاض عليهن
 رجة الابداع على اشكال مختلفة وخصائص مفترقة هياهن للبر في الهواء (انه) أي الرحمن
 سبحانه (بكل شيء بصير) أي بالغ البصر والعلم بظواهر الاشياء وبواطنها فاما اراد كان والمعنى أول
 يستدلوا بنبوت الطير في الهواء على قدرتنا أن نفعل بهم ما تقدم وغيره من العذاب وقوله تعالى
 (أمن) مبتدأ وقوله تعالى (هذا) خبره وقوله تعالى (الذي) بدل من هذا وقوله تعالى (هو جند)
 أي أعوان (لكم) صلة الذي وقوله تعالى (ينصركم) صفة جند (من دون الرحمن) أي غيره يدفع
 عنكم عذابه أي لا ناصر لكم وقال ابن عباس رضي الله عنهما جندكم أي حرب ومنفعة لكم
 وافظ الجند يوحد ولذلك قال تعالى هذا الذي هو جند لكم وهو استقهام انكار أي لا جند
 لكم يدفع عنكم عذاب الله من دون الرحمن أي من سوى الرحمن وقرأ أبو عمر وبسكون الراء
 وللدوري اختلاس الضمة أيضا والباقون بالرفع (ان الكافرون) أي ما الكافرون (الآفي
 غرور) أي من الشيطان يغترهم بأن لا عذاب ولا حساب قال بعض المفسرين كان الكفار
 يتبعون عن الايمان ويعدون النبي صلى الله عليه وسلم معقدين على شيئين أحدهما قوتهم
 بمالهم وعددهم والثاني اعتقادهم أن الاوثان توصل اليهم جميع الخيرات وتدفع عنهم جميع
 الآفات فأبطل الله تعالى عليهم الاول بقوله تعالى آمن هذا الذي هو جندكم ينصركم الآية ورده
 عليهم الثاني بقوله تعالى (أمن هذا الذي يرزقكم) أي على سبيل التجدد والابتداع ان أمسك
 رزقه (بأمسك الاسماء التي ينشأ عنها كالمطر ولو كان الرزق موجودا وكثيرا وسهل التناول
 فوضع الكل في فيه فأمسك الله تعالى عنه قوة الارادة فجوز اهل السموات والارض عن أن
 يشعروا تلك اللقمة وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله أي فمن يرزقكم أي لا رازق لكم
 غيره (بل لجوا) أي عباد واسماهة لاحتياطا ونبعاة قال الرازي في اللوامع واللباح تقسم
 الامر مع كثرة الصوارف عنه (في عتق) أي مطروفين لعناد وتكبر عن الحق وخروج الى فاحش
 الفساد (وتغور) أي تباعد عن الحق واستولى ذلك عليهم حتى أحاط بهم مع انه لا قوة لاحد منهم
 في جلب سائر ولا دفع ضار والداعي الى ذلك الشهوة والغضب (أفن عشي مكا) أي واقعا (على

وجهه أهدي آمن يمشي سوايا أي معتدلا (على صراط) أي طريق (مستقيم) وخبر من الثانية
 محذوف دل عليه خبر الأولى أي أهدي والمثل في المؤمن والكافر أي أيهما أهدي وقيل المراد
 بالمكب الانحطاط أي فانه يتعسف فينكب وبالسوى البصير وقيل المكب هو الذي يحشر على وجهه
 إلى النار ومن يمشي سوايا الذي يحشر على قدميه إلى الجنة وقال ابن عباس والكبي رضى الله
 عنهم عنى بالذى يمشى مكبا على وجهه أباجهل وبالذى يمشى سوايا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل
 أبو بكر وقيل حمزة وقيل عمار بن ياسر قال عكرمة وقيل عامر في الكافر والمؤمن أي أن الكافر
 لا يدري أعلى حق هو أم على باطل أي أهذا الكافر أهدي أم المسلم الذي يمشى سوايا معتدلا يصير
 الطريق وهو على صراط مستقيم وهو الاسلام وقرأ قبل بالسين وقرأ خلف باللام أي بين
 الصاد والزاي والباقون بالصاد انما العصة (قل) أي يا أشرف الخلق وأشرفهم عليهم مذهبكم
 لهم عمار فزع عنهم الملك من المفسات وجمع لهم من المصلحات ليرجعوا اليه ولا يعولوا في حال من
 أحوالهم الا عليه (هو) أي الذى شرقتكم بهذا الذكروين لكم هذا البيان (الذى أنشأكم) أي
 أوجدكم ودرجكم في مدارج التربية حيث طوّركم في أطوار مختلفة في الرحم ويسرركم
 بعد انطراح اللبن حيث كانت المعدة ضعيفة عن أكثف منه (وجعل لكم السمع) أي لتسمعوا
 ما تعلقه قلوبكم فيكم فيديكم ووحده لقله التفاوت فيه ليظهر سر تصرفه سبحانه في القلوب بغاية
 المفاودة مع أنه أعظم الطرق الموصلة للمعاني اليها (والابصار) لتستروا صنائعه فتعجبوا
 وتردجوا عما رديكم (والانفدة) أي القلوب التي جعلها سبحانه في غاية التوقد بالادراك
 لما لا يدرك ببقية الحيوان لتفكروا لقبولوا على ما يليكم وجمعها لكثرة التفاوت في نور الابصار
 وادراك الانفدة (قل لا امانتكم) أي باستعمالها فيما خلقت لاجله وما مزينة والجملة
 مستأنفة مخبئة بقله شكرهم جدا على هذه النعم وهم يدعون أنهم أشكر الناس للاحسان
 وأعلاهم في العرفان (قل هو) أي وحده (الذى ذرأكم) أي خلقكم وبشكم ونسركم وكنركم
 وأنشأكم بعد ما كنتم كالذرأ طفلا ضعفاء (في الارض) التي تنتم انه ذللها لكم ورزقكم منها
 النبات وغيره (واليه) أي وحده بعد موتكم (تخشرون) شأفا إلى البرزخ ودفعة واحدة
 يوم البعث للعقاب فيجازي كل بعمله (ويقولون) أي يتحدثون هذا القول تجديدا مستمرا
 استمرزاه وتكذبا (متى هذا) وزادوا في الاستمرزاه بقولهم (الوعد) أي يوم القيامة والعذاب الذي
 توعدونابه (أن كنتم صادقين) أي في أنه لا بة لنا منه وأنكم مقررون عند الله فلو كان لهم ثبات
 الصبر لما كانوا طاشوا وهذا الطيش بابرز هذا القول القبيح ثم انه تعالى أجاب عن هذا السؤال
 بقوله عز وجل (قل) أي يا أكرم الخلق لهؤلاء البعدها (انما العلم) أي علم وقت قيام الساعة
 ونزول العذاب (عند الله) أي الذى له الاحاطة بجميع صفات الكمال فهو الذى يكون عنده
 ويبدع جميع ما يراد منه لا يطلع عليه غيره (وانما نأذير) أي كامل في أمر النذارة التي يلزم منه
 البشارة لمن أطاع النذير لا وظيفة لى عند الملك الاعظم غير ذلك فلا وصول إلى سؤاله عما لا يؤذن
 لى في السؤال عنه (مبين) أي بين الانذار باقامة الادلة حتى يصير ذلك كأنه مشاهد لمن له قبول

العلم (فلما راوه) أى العذاب بعد الحشر (زافعة) أى ذا قرب عظيم منهم (سميت) قال ابن عباس
 رضى الله عنهم ما أى اسودت (وجوه) وأظهر فى موضع الاضمار تعميما وتعليقا للحكم بالوصف
 فقال تعالى (الذين كفروا) أى أظهر والسوء وغاية الكراهة فى وجوده من أوقع هذا الوصف
 * (تنبيه) * الاصل ساء أى احزن وجوههم العذاب ورؤيته ثم نبى للمفعول وساء هنا ليست
 المرادفة لبئس وأشم كسرة السين نافع وابن عامر والكسائي والباقون باختلاس الكسرة (وقيل)
 أى قال لهم الخزنة تقرىعا وتوبيخا (هذا الذى كنتم) أى جبلة وطبعاً (به) أى بسببه ومن أجله
 (تدعون) أى تتنمون وتسالون وترزعون أنكم لا تبعثون وهذه حكاية حال تأتى عبرتها بطريق
 المضى لتحقيق وقوعها وقراء هشام والكسائي بضم القاف والباقون بكسرها (قل) أى يا أكرم
 الخلق لهؤلاء الذين طال نصبرهم منك وهم يتنمون خلاك كما قال تعالى، ام يقولون شاعر
 تبرص به ريب المنون (أرايتم) أى أخبرونى خبرا أنتم فى الوثوق به على ما هو كالأثرية (إن اهلكنى
 الله) أى أمانى بعذاب أو غيره الذى له من الجلال والاکرام ما يعصم به وليه ويقصم عدوه وقرأ
 قل أرايتم فى الموضوعين نافع بتسهيل الهمزة بعد الواو ولورش أيضاً أبا الهاء الفاء واسقطها
 الكسائي والباقون بالفتح واذ أوقف جملة الهمزة وقرأ أن اهلكنى الله جملة بسكون الياء
 والباقون بفتحها ومن سكن الياء رقى اللام من الاسم الجليل ومن فتحها انغم (ومن معى) أى من
 المؤمنين (أورجمنا) أى بالنصر واطهار الاسلام كما ترجو فأجابنا بذلك من كل سوء ووفانا كل
 محذور وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وحفص بفتح الياء والباقون بالسكون (فمن يحبر
 الكافرين) أى العربيقين فى الكفر بأن يدفع عنهم ما يدفع الجار عن جاره (من عذاب اليم) أى
 لا يحبر لهم منه (قل) أى يا خبير الخلق (هو) أى الله وحده (الرحمن) أى الشامل الرحمة (أمنابه)
 أى أنا ومن معى (وعليه) أى وحده (توكلنا) أى لانه لا شئ فى يد غيره والارحم من يريد عذابه
 أو عذب من يريد رحمة فكل ما جرى على أيدي خلقه من رحمة أو نقمة فهو الذى أجزاه لانه
 الفاعل بالذات المستجمع لما يليق به من الصفات فجن نرجو خيره ولا تخاف غيره (فستعلمون)
 أى عند معاناة العذاب عما قيل بوعده لا خلاف فيه (من هو فى ضلال مبين) أى بين أغنى أم أنتم
 وقرأ الكسائي بعد السين بياء الغيبة نظرا الى قول الكافرين والباقون بياء الخطاب اما على
 الوعيد واما على الالتفات من الغيبة المرادة فى قراءة الكسائي وهو تهديد لهم (قل) أى يا عظيم
 خلقنا وأعلمهم بنا (أرايتم) أى أخبرونى اخبارا لا لبس فيه (ان أصبح ماؤكم) أى الذى تعدونه
 فى أيديكم بما نبت عليه الاضافة (غورا) أى غائرا اذا هبنا فى الارض لانتاله الدلاء وكان ماؤهم
 من بئر من بئر زمزم وبئر ميمونة (فمن يأتكم) على ضعفكم حينئذ وانخلاع قلوبكم واضطراب
 أفكاركم (بماء معين) أى دائم لا ينقطع وظاهر للاعين سهل المأخذ وقال ابن عباس رضى الله
 عنهم ماء معين أى ظاهر تراه العيون فهو مفعول وقيل هو من معى الماء أى كثر فهو على هذا
 فعمل وعن ابن عباس رضى الله عنهم ما أى أيضاً أن المعنى فمن يأتكم بماء عذب أى لا يأتكم به الا الله
 فكيف تنكرون أن يبعثكم ويستحب أن يقول القارى عقب معى الله رب العالمين كما فى الحديث

وتليت هذه الآية عند بعض المتخبرين فقال تأتي به الفؤس والمعاول فذهب ماء عينيه وعى
 نعوذ بالله من الجراءة على الله وعلى آياته وروى أبوهريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله
 عليه وسلم قال إن سورة من كتاب الله ما هي إلا ثلاثون آية شفعت لرجل يوم القيامة فأخرجته من
 النار وأدخلته الجنة وهي سورة تبارك وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال إذا وضع
 الميت في قبره يؤتى من قبل رجله فيقال ليس لكم عليه سبيل لأنه قد كان يقوم بسورة الملك
 ثم يؤتى من قبل رأسه فيقول لسانه ليس لكم عليه سبيل كان يقرأ في سورة الملك ثم قال هي المانعة
 من عذاب الله وهي في التوراة وسورة الملك من قرأها في ليلة فقد أكره وأطيب وعن ابن عباس
 رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وددت أن تبارك الملك في قلب كل مؤمن
 وأما ما رواه البيضاوى تبعاً للزحتمى من أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الملك فكأنما
 أحيا ليلة القدر فحديث موضوع

﴿سورة ن وتسمى القسمة مكية﴾

في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر وقال ابن عباس وقرأه رضى الله عنهم من أولها إلى قوله
 تعالى فسبحه على الخراطوم مكي ومن بعد ذلك إلى قوله تعالى يعاون مدني ومن بعد ذلك إلى قوله
 تعالى فهم يكتبون مكي ومن بعد ذلك إلى قوله تعالى من الصالحين مدني وباقيها مكي قاله الماوردي
 وهي اثنتان وخمسون آية وثلاثمائة كلمة وألف ومائتان وستة وخمسون حرفاً

(بسم الله) أي الذي له الاحاطة الكاملة فهو بكل شيء علیم (الرحمن) الذي عمت نعمة إيجاده لاهل
 معاده البرى منهم والسقيم (الرحيم) الذي اتم تلك النعمة على من وفقه اطاعته فألزمه صراطه
 المستقيم وقوله تعالى (ن) كقوله تعالى ص والقرآن وجواب القسم الجمله المنفية بعدها
 واختلقوا في تفسير ذلك فقال ابن عباس رضى الله عنه ما هو الحوت الذي على ظهره الارض
 وهو قول مجاهد ومقاتل والسدي والكلبي وروى أبو طيبان عن ابن عباس رضى الله عنهما قال
 أول ما خلق الله تعالى القلم فجري بما هو كائن إلى يوم القيامة ثم خلق النون فبسط الارض على
 ظهره فتحركت النون فحادت الارض فأثبتت بالجبال فان الجبال لتفخر على الارض ثم قرأ ابن
 عباس ن الآية واختلقوا في اسمه فقال الكلبي ومقاتل يم موت وقال الواقدي ليوثنا وقال كعب
 لوثنا وقال علي تلهوت وقال الرواة لما خلق الله تعالى الارض وفتقها بعث من تحت العرش ملكاً
 فهبط إلى الارض حتى دخل تحت الارض حتى ضبطها فلم يكن لتقديمه موضع قرار فأهبط الله
 عز وجل من الفردوس ثوراً له أربعون ألف قرن وأربعون ألف قائمة وجعل قرار قدم الملك على
 سنامه فلم تستقر قدماه فأخذ الله تعالى ياقوته خضراً من أعلى درجة الفردوس غلظها خمسمائة
 عام ووضعها بين سنام الثور إلى أنه فاسب بتقرت عليها قدماء وقرون ذلك الثور خارجة من أقطار
 الارض ومنخرها في البحر فهو يتنفس كل يوم نفساً فاذا تنفس يمتد البحر وإذا ردت نفسه جزر البحر
 فلم يكن لقوائم الثور موضع قرار فخلق الله تعالى صخرة كغلظ سبع سموات وسبع أرضين

فأستقرت قوائم النور عليها وهي الصخرة التي قال لقمان لابنه قسكن في صخرة ولم يكن الصخرة
مستقر خلق الله تعالى فونا وهو الحوت العظيم ووضع الصخرة على ظهره وسائر حشده حال
والحوت على البحر والجر على متن الريح والريح على القسدة تنقل الدنيا كلها بما عليها سرفان
قال لها الجبار كوني فكانت قال كعب الاخبار ان ابليس تغافل الى الحوت الذي على ظهره
الارض فوسوس اليه فقال له أتدري ما على ظهرك يا لويثا من الامم والدواب والشجر والجبال
لوتفصتهم ألقيتهم عن ظهرك فهم لو يشاء أن يفعل فبعث الله تعالى دابة قد خلت منحرفه فوصلت
الى دماغه ففجج الحوت الى الله تعالى منها فأذن الله تعالى لها انخرجت فوالذي نفسي بيده انه
لينظر اليها وتظفر اليه ان هم بشئ من ذلك عادت اليه كما كانت وقال بعضهم نون آخر حروف الرحمن
وهي رواية عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما وقال الحسن وقتادة والضحاك النون الدواة
وهو مروي أيضا عن ابن عباس رضي الله عنهما وقال القرطبي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أول ما خلق الله القلم ثم خلق النون وهي الدواة ومنه

قول الشاعر * اذا ما الشوق برح بي اليهم * ألفت النون بالدمع السجم *

ويكون على هذا أقسم بالدواة والقلم فان المنة بهم ما عظيمة بسبب الكتابة فان التفاهم يحصل بارة
بالنطق وبارة بالكتابة وقيل النون لوح من نور تكتب فيه الملائكة ما يؤمرون به رواه معاوية
ابن قرة مرفوعا وقيل النون هو المداد الذي تكتب به الملائكة وقال عطاء وأبو العالية هو افتتاح
اسمه تعالى نصير ونور ناصر وقال محمد بن كعب أقسم الله تعالى بنصرة المؤمنين وقال الزمخشري
هذا الحرف من حروف المعجم وأما قولهم هو الدواة فما أدري أهو وضع لغوى ام شرعي ولا يتخلو
اذا كان اسما للدواة فمن أن يكون جنسا أو علما فان كان جنسا فأين الاعراب والتسوين وان كان
علما فأين الاعراب وأيهما كان فلا بد له من موقع في تأليف الكلام فان قلت هو مقسم به وجب
ان كان جنسا أن يحجره وتونه ويكون القسم بدواة منكرة مجهولة كانه قبل ودواة (والقلم) وان
كان علما أن تصرفه ويحجره أو لا تصرفه وتفححه للعلمية والتأنيث وكذلك التفسير بالحوت اما أن
يراد نون من النبتان أو يجعل علما للهموت الذي يزعمون والتفسير باللوح من نور أو ذهب والنهر
في الجنة نحو ذلك اهـ * (تنبيه) * في القلم المقسم به قولان أحدهما أن المراد به الخنس وهو واقع
على كل قلم يكتب به في السما والارض قال تعالى وزبك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم
ولانه يتنفع به كما يتنفع بالنطق قال تعالى خلق الانسان علمه البيان فالقلم بين كايين اللسان
في الخطابة بالكتابة للغائب والحاضر والثاني انه القلم الذي جاء في الخبر عن ابن عباس رضي
الله عنهما أول ما خلق الله تعالى القلم ثم قال له اكتب قال ما أكتب قال ما كان وما هو كائن الى
يوم القيامة من عمل أو أجل أو رزق أو أثر فخرى القلم بما هو كائن الى يوم القيامة قال ثم ختم
فم القلم فلم ينطق ولا ينطق الى يوم القيامة قال وهو قلم من نور طوله كباين السماء والارض وروي
مجاهداً أول ما خلق الله تعالى القلم فقال اكتب المقدّر فكتب ما هو كائن الى يوم القيامة وانما
يجري في الناس على أمر قد فرغ منه قال ابن عادل قال القاضي هذا الخبر يجب جملة على الجاز

لأن القلم آلة مخصوصة للكتابة لا يجوز أن يكون حيا عاقلًا فيؤمن ويهني فإن الجمع بين كونه
حيوانا مكلفا وبين كونه آلة للكتابة محال بل المراد منه أنه تعالى أجزأه بكل ما يكون وهو قوله
تعالى إذا قضى أمرًا فاقباله يقول له كن فيكون فإنه ليس هناك أمر ولا تكليف بل هو مجزئ بنفاذ
القدرة في المقدور من غير منازعة ولا مدافعة اهـ وقوله فإن الجمع إلى قوله محال ممنوع فإن الله
تعالى خلق فيه ذلك كما قال تعالى للسموات والأرض اثنيان طوعا وكرها قالنا اثنيان طاعتين وقال
الزخمشري أقسم بالقلم تعظيما لما في خلقه وتسوية من الدلالة على الحكمة العظيمة ولما فيه من
المنافع والفوائد التي لا يحيط بها الوصف وقيل القلم المذكور ههنا هو العقل وأنه شيء كالأصل
لجميع المخلوقات قالوا والدليل عليه أنه روي في الأخبار أول ما خلق الله تعالى القلم وفي خبر آخر
أول ما خلق الله تعالى العقل فقال الجبار ما خلقت خلقا أعجب إلى منك وعزتي وجلالي
لا تمسكك فيمن أحببت ولا تفصلك فيمن أبغضت قال ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكمل
الناس عقلا أطوعهم لله وأعلمهم بطاعته وفي خبر آخر أول ما خلق الله تعالى جوهره فنظر إليها
بين يمين الهيبة فبنايت وسخنت فارفع منها دخان وينخلق من الدخان السموات ومن الزبد
الأرض قالوا وهذه الأخبار بمجموعها تدل على أن القلم والعقل وتلك الجوهرة التي هي أصل
المخلوقات شيء واحد والأصل التناقض وقال البغوي القلم هو الذي كتب الله به الذكرو وهو قلم
من نور طوله ما بين السماء والأرض ويقال أول ما خلق الله تعالى القلم ونظر إليه فانشق نصفين ثم
قال اجزأهما هو كأن إلى يوم القيامة تجري على اللوح المحفوظ بذلك وقرأ فاقولون وابن كثير وأبو
عمرو وحفص وحسنة وورش بخلاف عنه بإظهار النون عند الواو هنا والباقيون بالأدغام
(وما يسطرون) أي الملائكة من الخير والصلاح وقيل وما تكتبه الملائكة الحافظة من أعمال بني
آدم وقيل ما يكتبون أي الناس ويتفاهمون به وقال ابن عباس رضي الله عنهم ما معنى وما يسطرون
وما يعلون وما موصولة أو صدرية قال الزخمشري ويجوز أن يراد بالقلم أصحابه فيكون الضمير
في يسطرون لهم كأنه قيل وأصحاب القلم ومسطوراتهم أو وسطهم ويراد بهم كل من يسطر أو
الحافظة وقال البقاعي وما يسطرون أي قلم القدرة وجمعه وأجزأه مجرى أولى العلم للتعظيم لأنه
فعل أفعالهم أو الأقلام على إرادة الجنس ويجوز أن يكون الاسناد إلى الكاتبين به لما دل عليهم
من ذكره وإما الملائكة أن حكان المراد ما كتب في الكتاب المبين واللوح المحفوظ وغيرهما
يكتبونه وأما كل من يكتب منهم ومن غيرهم وقوله تعالى (مأنت) أي يأعلى المتأهلين لخطابنا
(بنعمة) أي بسبب النعم (ربك) أي المربي لا يشمل تلك الهمم العالية والسجيا الكاملة بأن
خصك بالقرآن الذي هو الجامع لكل علم وحكمة (مجنون) جواب القسم وهو نفي قال الزجاج
أنت هو اسم ما ومجنون الخبر وقوله تعالى بنعمة ربك كلام وقع في الوسط أي اتنى ذلك الجنون
بنعمة ربك كما يقال أنت بمحمد ربك عاقل بل الذي وصفك به هذا هو الحقيقي باسم الجنون وقال
ابن جرير ما أنت بنعمة ربك بقوة ربك بمجنون أي أنك لا تكون مجنوننا وقد أنعم الله تعالى عليك
بالبوة والحكمة وقيل بنعمة ربك وقيل هو كما يقال ما أنت بمجنون والحمد لله وقيل معناه ما أنت

يمجنون والنعمة لربك كقولهم سبحانك اللهم وبحمدك أي والحمد لك وروى عن ابن عباس رضي
 الله عنهم ما أنه صلى الله عليه وسلم غاب عن خديجة إلى حرا فطليته فلم تجده فاذا به ووجهه متغير
 امتلا غبارا فقالت له مالك فذكر جبريل عليه السلام وأنه قال له اقرب اسم ربك فهو أول ما نزل
 من القرآن قال ثم نزل بي إلى قرار الأرض فتوضأ وتوضأت ثم صلى وصليت معه ركعتين وقال
 هكذا الصلاة يا محمد فذكر النبي صلى الله عليه وسلم ذلك لخديجة فذهبت به خديجة إلى ورقة بن
 نوفل وهو ابن عمها وكان قد خالف دين قومه ودخل في النصرانية فسألته فقال أرسلني إلى محمد
 فأرسلته فقال هل أمر لك جبريل عليه السلام أن تدعوا أحدا قال لا فقال والله لئن بقيت إلى
 دعوتك لأنصرك نصرا عازيا ثم مات قبل دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم ووقعت تلك الواقعة
 في السنة كقارقرش فقالوا إنه مجنون وأقسم الله تعالى على أنه ليس بمجنون وهو خمس آيات
 من أول هذه السورة وقال ابن عباس أول ما نزل قوله تعالى سبح اسم ربك الأعلى وهذه
 الآية هي الثانية نقله الرازي وذكر القرطبي أن المشركين كانوا يقولون للنبي صلى
 الله عليه وسلم مجنون به شيطان وهو قولهم يأتيها الذي نزل عليه المذكور أن المجنون فأمر الله
 تعالى ردا عليهم وتكذيبا لقولهم ما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون أي برجة ربك والنعمة
 ههنا الرجة وقال عطاء وابن عباس يريد بنعمة ربك عليك بالآيمان والنبوة وقال القرطبي
 يحتمل أن النعمة ههنا قسم تقديره ما أنت ونعمة ربك بمجنون لأن الواو والباء من حروف القسم
 وقال الرازي أنه تعالى وصفه بصفات ثلاث الأولى نقي الجنون عنه ثم قرن به هذه الدعوى
 ما يكون كالدلالة القاطعة على صحتها لأن قوله بنعمة ربك يدل على أن نعم الله تعالى ظاهرة في حقه
 من الفصاحة التامة والعقل الكامل والسيرة المرضية والبراءة من كل عيب والاتصاف بكل
 مكرمة وإذا كانت هذه النعم المحسوسة ظاهرة ووجودها ينافي حصول الجنون فالتعالى به
 على أن هذه الدقيقة جارية بحجج الدلالة اليقينية على كذبهم في قولهم مجنون الصفة الثانية
 قوله تعالى (وإن لك) أي على ما تحملت من أثقال النبوة وعلى صبرك عليهم فيما يرمونك به وهو
 تسليمة له صلى الله عليه وسلم (لاجر) أي ثوابا (غير ممنون) أي مقطوع ولا منقوص في دنيا
 ولا آخرة قال ما نال الشئ إذا ضعف ويقال منذ الحبل إذا قطعه وحبل منين إذا كان غير متين
 قال لبيد عسا كواسب لا يمن طعامها * أي لا يقطع يصف كلابا ضارية ونظيره قوله تعالى
 غير مجذوذ وقال مجاهد ومقابل والكلبي غير ممنون أي غير محسوب عليك قال الزمخشري لأنه
 ثواب تستحقه على عملك وليس بتفضل ابتداء وانما تمن القواضل لا الاجور على الاعمال انتهى
 وهذا قول المعتزلة فإن الله تعالى لا يحب عليه شئ وقال الحسن غير مكدر بالث وقال الضحاك
 رضي الله تعالى عنه اجر غير عمل واختلقوا في هذا الاجز على أي شئ حصل فقبل معناه ما مر
 وقبل معناه أن لك على احتمال هذا الطعن والقول القبيح أجر اعظم دائما وقيل إن لك في
 اظهار النبوة والمعجزات وفي دعاء الخلق إلى الله تعالى وفي بيان الشرع لهم هذا الاجر الخالص
 الدائم فلا تنة عنك نسبتهم إليك إلى الجنون عن الاشتغال بهذا المهم العظيم فان لك نسبة الميزة

العالمة الصفة الثالثة قوله تعالى (وانك لعلى خلق عظيم) استعظم خلقه لقرط احتمال
 المضات من قومه وحسن مخالفته ومداراة لهم قال ابن عباس ومجاهد على دين عظيم من
 الاديان ليس دين أحب الى الله تعالى ولا أرضى عنه منه وروى مسلم عن عائشة ان خلقه
 كان القرآن وقال علي هو أدب القرآن وقيل رفق بأمته واكرامه اياهم وقال قتادة هو ما كان
 يأمر به من الله وينهى عنه بما نهى الله تعالى عنه وقيل انك على طبع كريم وقيل هو
 الخلق الذي أمر الله تعالى به في قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلین وقال
 الماوردي حقيقة الخلق في اللغة ما يأخذه الانسان في نفسه من الادب سمي خلقا لانه يصير
 كالخلق فيه فأما ما طبع عليه من الادب فهو الخلق فيكون الخلق الطبع المتكلف والخلق
 الطبع الغريزي قال القرطبي ما ذكره مسلم في صحيحه عن عائشة أصح الاقوال وسئلت أيضا
 عن خلقه صلى الله عليه وسلم فقرأت قد أفلح المؤمنون الى عشر آيات قال الرازي وهذا
 اشارة الى ان نفسه القدسية الشريفة كانت بالطبع منجذبة الى عالم الغيب والى كل ما يتعاق
 به وكانت شديدة التعري عن اللذات البدنية والسعادات الدنيوية بالطبع ومقتضى الفطرة
 وقالت ما كان أحد أحسن خلقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم مادعا أحد من الصحابة ولا
 من أهل بيته الا قال لبيك ولذلك قال الله تعالى وانك لعلى خلق عظيم ولم يذكر خلق محمود الا
 وكان للنبي صلى الله عليه وسلم منه الحظ الاوفر وقال الجنيد سمي خلقه عظيما لاجتماع مكارم
 الاخلاق فيه بدليل قوله صلى الله عليه وسلم ان الله بعثني لتمام مكارم الاخلاق وتمام محاسن
 الافعال وعن أبي اسحق قال سمعت البراء يقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن
 الناس وجهًا وأحسن الناس خلقا ليس بالطويل البائن ولا بالقصير وعن أنس بن مالك قال
 خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرين عامًا قال لي افقط وما قال شيء صنعته لم صنعته
 ولا شيء تركته لم تركته وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسن الناس خلقا ولا لمست
 خراقة ولا حبر ولا شئاً كان ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شممت مسكولا
 عنبراً كان أطيب من عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عمر ان رسول الله صلى الله
 عليه وسلم لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً وكان يقول خياركم أحسنكم أخلاقاً وعن أنس ان امرأة
 عرضت لرسول الله صلى الله عليه وسلم في طريق من طرق المدينة فقالت يا رسول الله ان الى الملك
 حاجة فقال يا أم فلان اجلسي في أي سكاك المدينة شئت أجلس اليك قال فقعدت اليها
 رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قضيت حاجتها وعن أنس بن مالك قال كانت الامه من اماء
 أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتمتطلق به حيث شاءت وعن أنس أيضا
 ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا صاح رجل لم ينزع يده حتى يكون هو الذي يصرف
 وجهه عن وجهه ولم يرمق بدار كتبه بين يدي جليسه وعن عائشة قالت ما ضرب رسول
 الله صلى الله عليه وسلم بيده شئاً قط الا ان يجاهد في سبيل الله تعالى ولا ضرب خادما ولا امرأة
 وعنها قالت ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمرين قط الا اختار أيسرهما ما لم يكن اثما

فان كان انما كان أبعد الناس منه وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نفسه في شيء قط الا ان تنهك حرمة الله فينتقم. وعن أنس قال كنت أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم وعليه برد فخراني غليظ الحاشية فأدركه أعرابي فخبذه جبذة شديدة حتى نظرت الى صفحة عاتق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أثرت به حاشية البرد من شدة جبذته ثم قال مر لي من مال الله الذي عندك فالتفت اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وضحك وأمر له بعباءة وعنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا وكان لي أخ يقال له أبو عمير وهو فطيم كان اذا جاءنا قال يا أبا عمير ما فعل النغير لغير كان يلعب به والنغير طائر صغير يشبه العصفور الا أنه أحمر المنقار وعن الأسود قال سألت عائشة ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل في بيته قالت كان في مهنة أهله فاذا حضرت الصلاة وقضأ ويخرج الى الصلاة والمهنة الخدمة وعن عبد الله بن الحرث قال ما رأيت أحدا أكثر تبعا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أم الدرداء فتحدثت عن أبي الدرداء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أثقل شيء يوضع في ميزان المؤمن يوم القيامة خلق حسن وان الله يغيض الفاحش البذيء وعن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا صحابة أتدرون أكثر ما يدخل الناس النار قالوا الله ورسوله أعلم قال فان أكثر ما يدخل الناس النار الاجوفان الفرج والقهم أتدرون أكثر ما يدخل الناس الجنة قالوا الله ورسوله أعلم قال فان أكثر ما يدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن الخلق وعن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان المؤمن يدرك بحسن خلقه درجة قائم الليل وصائم النهار (فستبصر) أي فستعلم عن قرب بوعده لا خلف فيه علمأت في تحفته كالبصر بالحس الباصر (ويصرون) أي يعلم الذين رموا بالبهتان علماهو كذلك وقوله تعالى (بأيكم المقتون) فيه أربعة أوجه أحدها ان الباء مزيدة في المبتدأ والتقدير أيكم المقتون فزيدت كزيادتها في نحو بحسبكم زيد والى هذا ذهب قتادة قال ابن عادل الا أنه ضعيف من حيث ان الباء لاتزاد في المبتدأ الا في حسبك فقط الثاني ان الباء بمعنى في فهي ظرفية كقولك زيد بالبصرة أي فيها والمعنى في أي فرقة وطائفة منكم المقتون أي المجهزون أي فرقة الاسلام أم في فرقة الكفر واليه ذهب مجاهد والقراء الثالث انه على حذف مضاف أي بأيكم فتن المقتون فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه واليه ذهب الاخفش وتكون الباء سمية الرابع ان المقتون مصدر رجاء على مفعول كالمقتول والميسر والتقدير بأيكم البقعة وقيل المقتون المعذب من قول العرب فقتت الذهب بالنار اذا أجهته قال تعالى يوم هم على النار يفتنون أي يعذبون وقيل الشيطان لانه مقتون في دينه وكانوا يقولون انه به شيطان وعنوا بالمجنون هذا فقال تعالى سيعلمون غدا بايهم الشيطان الذي يحصل من مسه الجنون واختلاط العقل * (فائدة) * بأيكم رسمت ههنا بيا من (ان ربك) أي الذي ربك أحسن تربية وفضلك على سائر الخلائق (هو) أي وحده (أعلم) أي من كل أحد (عن صل) أي حاد (عن سيده) أي دينه وسلك غير سبيل القصد وخطأ موضع الرشد (وهو) أي

وحده (أعلم بالمهتدين) أي الثابتين على الهدى وهم أولو الاحلام والنهي أي لذو علم بعنى
 عالم * (تنبيه) * قوله تعالى وهو أعلم وهو مكظوم وهو مذموم قرأه قالون وأبو عمرو والكسافي
 بسكون الهاء والباقون بضمها وقوله تعالى (فلا تطع المكذبين) أي العريقين في التكذيب
 وهم مشركو مكة فانهم كانوا يدعون إلى دين آباءه فنهاه أن يطيعهم يفتح التضميم على معاداتهم
 (ودوا) أي غنوا وأحبوا ومحبة واسعة متجاوزة للعدو قديما مع الاستمرار على ذلك (لو) مصدرية
 (تدهن فيدهنون) قال الضحالة لو تكفركم فيكفرون وقال الكلبي لو تلبس لهم فيلبسون لك
 وقال الحسن لو تصابنهم في دينك فيصانعونك في دينهم وقال زيد بن أسلم لو تنافق وترأى
 فيناقون ويرأون وقال ابن قتيبة أرادوا أن يعبد آلهتهم مدة ويعبدون الله مدة وقال
 ابن العربي ذكر المفسرون في ذلك نحو عشرة أقوال كلها دعاوى على اللغة والمعنى
 وأمثالها ودوا لو تكذب فيكذبون ودوا لو تكفركم فيكفرون وقال القرطبي كلها ان شاء الله تعالى
 صحيحة على مقتضى اللغة والمعنى * (تنبيه) * في رفع فيدهنون وجهان أحدهما انه عطف على
 تدهن فيكون داخل في حيزه والثاني انه خبر مبتدأ مضمري أي فهم يدهنون وقال الزمخشري
 فان قلت لم رفع فيدهنون ولم ينصب باضماران وهو جواب التثني قلت قد عدل به إلى طريق
 آخر وهو أن جعل خبر مبتدأ محذوف أي فهم يدهنون كقوله تعالى من يؤمن بربه فلا يخاف
 بخصا على معنى ودوا لو تدهن فهم يدهنون حينئذ ودوا ادهانك فهم الان يدهنون اعلمهم
 في ادهانك * واختلفوا في سبب نزول قوله تعالى (ولا تطع كل حلاف) أي كثير الحلف بالباطل
 فقال مقاتل يعني الوليد بن المغيرة عرض على النبي صلى الله عليه وسلم ما لا وحلف له ان يعطيه
 ان يرجع عن دينه وقال ابن عباس هو أبو جهل بن هشام وقال عطاء هو الاخنس بن شريق
 لانه حليف ملحق في بني زهرة فلذلك سمي زنيما وقال مجاهد هو الاسود بن عبد يغوث (مهين)
 أي ضعيف حقير قيل هو فاعيل من المهانة وهي قلة الرأي والتمييز وقال ابن عباس كذاب وهو
 قريب من الاول لأن الانسان انما يكذب لمهانة نفسه عليه وقال الحسن وقتادة هو المكار
 في الشر وقال الكلبي المهين العاجز (هماز) أي كثير العيب للناس في غيبتهم وقال الحسن هو
 الذي يغمز بأخيه في المجلس وقال ابن زيد الهماز الذي همز الناس بيده ويضر بهم والهماز
 باللسان وقيل الهماز الذي يذكر الناس في وجوههم والهماز الذي يذكرهم في غيبتهم
 وقال مقاتل بالعكس وقال مرة هما سواه ونحوه عن ابن عباس وقتادة (مشاء) أي كثير المشي
 (بنيم) أي قتان يلقي النخلة بين الناس ليقتصد بينهم فينقل ما قاله الانسان في آخره اذا عسر
 لا يريد صاحبه اظهاره على وجه الافساد البين مبالغ في ذلك (مناع) أي كثير المنع شديده (الخبر)
 أي كل خبر من المال والايان وغيرهما من نفسه وغيره من الدين والدنيا وقال ابن عباس مناع
 للخبر أي الاسلام يمنع ولده وعشيرته من الاسلام وكان له عشرة من الولد يقول لئن دخل أحد
 منكم في دين محمد لا أنفعه بشئ أبدا (معتد) أي ثابت التجاوز للحد وفي كل ذلك (أثيم)
 أي مبالغ في ارتكاب ما يوجب الاثم فيستره الطيبات يأخذ الخبايا يرغب في المعاصي

ويتطلبهم اويديع الطاعات ويرزقهم (عتل) العتل الغليظ الجافي وقال الحسن هو الفاحش
 المخلق السيء الخلق وقال الفراء هو الشديد الخصومة في الباطل وقال الكلبى هو الشديد
 في كفره وكل شديد عند العرب عتل وأصله من العتل وهو الدفع بالعنف وقال أبو عبيد بن
 عمير العتل الاكول الشرب القوى الشديد الذي لا يزن في الميزان شعبة يدفع الملك من
 أولئك سبعين ألفا دفعة واحدة (بعد ذلك) أى مع ذلك يريد مع ما وصفناه به (زئيم) وهو الدعي
 الملقى بالقوم وليس منهم وقال عطاء عن ابن عباس يريد مع هذا هودى في قريش وقال مرة
 الهمدانى انما ادعاه أبوه بعد ثمانى عشرة سنة وقيل الزئيم الذى له زغة كزغة الشاة وروى
 عكرمة عن ابن عباس انه قال فى هذه الآية تعفت فلم يعرف حتى قبل زئيم فعرف وكانت زغة
 فى عنقه يعرف بها وقال سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال يعرف بالشرك كما تعرف الشاة بزئيمها
 وقال مجاهد زئيم كانت له ستة أصابع فى يده فى كل إبهام له اصبع زائدة وقال ابن قتيبة لا نعلم
 ان الله تعالى وصف أحدا ولاد كرم من عيوبه ما ذكر من عيوب الوليد بن المغيرة فالخلق به عارا
 لا يفارقه فى الدنيا والاخرة وعن حارثة بن وهب الخزاعى قال قال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم الا أخبركم باهل الجنة كل ضعيف متضعف لو يقسم على الله لآبره الا أخبركم باهل النار كل
 عتل جواظ مستكبر وفى رواية كل جواظ زئيم متكبر الجواظ الجوع المنوع وقيل الكثير
 اللحم المختال فى مشيته وقبل القصر البطين وقال عكرمة هو ولد الزنا المحق فى النسب بالقوم
 وكان الوليد دعيانى قريش ادعاه أبوه بعد ثمانى عشرة سنة من مولده قال الشاعر فيه

زئيم ليس يعرف من أبوه * بغي الآثم ذو حسب لنيم

قيل بغت أمه ولم يعرف حتى نزلت الآية وهذا لأن الغالب ان النطفة اذا اختبخت خبت الولد
 كما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة ولد زنا ولا ولده ولا ولاد ولده وقال عبد
 الله بن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان أولاد الزنا يحشرون يوم القيامة فى صور القرود
 وانما زير ولعل المراد به الدخول مع السابقين والافئدات مسلمة داخل الجنة وقالت جميونة
 سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لا تزال أمتى بخير ما لم يقس فيهم ولد الزنا فاذا انقاس فيهم ولد
 الزنا أرسلت أن يعذبهم الله بعدا به وقال عكرمة اذا كثر ولد الزنا لخط المطر قال القرطبي ومعهظم
 المفسرين على ان هذه الآية نزلت فى الوليد بن المغيرة وكان يطعم أهل مبي حبسا ثلاثة أيام
 وينادى الا لا يؤقذن أحد تحت برمة الا لا يزوجين أحد بكراع الامن أراد الحيس فلئان
 الوليد بن المغيرة وكان ينفق فى الحجة الواحدة عشرين ألفا واكثر ولا يعطى المسكين درهما
 واحدا وقيل مناع الخير وفيه نزل وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة ولما كان حطام
 هذه الدنيا ككله عرضا فانما وظلامتها صارا لا لا يتقرب به ولا يلتفت اليه الامن كان بهذه
 الاوصاف فاذا كان ذلك أكبرهمه ومبلغ علمه أمر له الترفع على الحقوق والتكبر على العباد
 قال الله تعالى (أن) أى لا أجل ان (كان) أى هذا الموصوف (ذا مال) أى مذكور
 بالكثرة (وبين) أنعمنا عليه بما قصار يطاع لاجلهم ما كان بحيث يجب عليه شكرنا بنسبهما

(إذا تسلى) أى تذكر على سبيل المتابعة (عليه) ولو كان ذلك على سبيل الخصوص له (آياتنا) أى العلامات الدالة دلالة هي في غاية الظهور على الملك الأعلى وعلى ماله من صفات العظمة (قال) أى مفاجأة من غير تأمل ولا توقف عوضاً عن شكرنا (أساطير) يجمع سطور جمع سطر (الآولين) أى أشياء سطروها وودونها وفرغوا منها فحمله دنى طبعه على تكرره بالمال فوزطه في التكذيب بأعظم ما يمكن سماعه فجعل الكفر موضع الشكر ولم يستخ من كونه يعرف كذبه كل من سمعه فأعرض عن الشكر ووضع موضعه الكفر فكان هذا دليلاً على جميع تلك الصفات السابقة مع التعليل بالاستناد الى ما هو عند العاقل أو هي من بيت العنكبوت والاستناد اليه وحده كاف في الاتصاف بالسوخ في الدناءة وقرأ ابن عامر وشعبة وحزرة بهمزتين مقوحتين وابن عامر يسهل الثانية وشعبة وحزرة بتحقيقهما وهشام على أصله يدخل بينهما القوا والباقون بهمزة واحدة مقفوحة قال القرطبي فنقرأ بهمزة مطولة أو بهمزتين محققين فهو استقهام والمراد به التوبيخ ويحسن له أن يقف على زيم ويتهدى أن كان على معنى لأن كان ذامال وبين نطبعه ويجوز أن يكون التقدير لأن كان ذامال وبينين إذا تلى عليه آياتنا قال أساطير الآولين ويجوز أن يكون التقدير لأن كان ذامال وبينين يكفرو ويستكبرون دل عليه ما تقدم من الكلام فصار كالمذكور بعد الاستقهام ومن قرأ أن كان بغير استقهام فهو مفعول من أجله والعامل فيه فعل مضمحل والتقدير يكفر لأن كان ذامال وبينين ودل على هذا الفعل إذا تلى عليه آياتنا قال أساطير الآولين ولا يعمل في إذا تلى ولا قال لأن ما بعد إذا لا يعمل فيما قبلها لأن إذا تضاف الى الجمل التي بعدها ولا يعمل المضاف اليه فيما قبل المضاف وقال جواب الجزاء ولا يعمل فيما قبل الجزاء إذ حكم العامل أن يكون قبل المفعول فيه وحكم الجواب أن يكون بعد الشرط فيصير مقدماً مؤخر في حال واحد ويجوز أن يكون المعنى لانطعمه لأن كان ذابصار وعدد قال ابن الأنباري ومن قرأ بالاستقهام لم يحسن أن يقف على زيم لأن المعنى لأن كان ذامال كان فأن متعلقة بما قبلها وقال غيره يجوز أن تتعلق بقوله تعالى مشاهيهم والتقدير يمشي بينهم لأن كان ذامال وبينين وأجاز أبو علي أن تتعلق بعقل ومعنى أساطير الآولين أباطيلهم وتزهاتهم (سنسهم) أى نجعل لهم سمة أى علامة يعرف بها (على الخرطوم) أى الأنف يعرف بها ما عاش قال ابن عباس سنسهم سنخطمهم بالسيف قال وقد خطم الذي ترلت فيه يوم بدر بالسيف فلم يرل مخطوما الى ان مات والتعبير عن الأنف بهذا اللفظ والاستخفاف وقال قتادة سنسهم يوم القيامة على أنفه سمة يعرف بها وقال الكسائي سنكويه على وجهه وقال أبو العالية ويجاهد سنسهم على الخرطوم أى على أنفه ونسود وجهه في الآخرة فيعرف بسواد وجهه قال تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فهي علامة ظاهرة وتخشع الجرمين يومئذ زرقاً وهذه علامة أخرى ظاهرة وأفادت هذه الآية علامة ثالثة وهي الوسم على الأنف بالنار وهذا كقوله تعالى يعرف الجرمون بسيماهم قال القرطبي والخرطوم الأنف من الإنسان ومن

السباع موضع الشفة وخرطوم القوم ساداتهم قال الفراء وان كان الخرطوم قد خص
بالسمة فانه في معنى الوجه لان بعض الشيء يعبر به عن الكل وقال القرطبي نين امره تيبانا
واضحا فلا يخفى عليهم كالاتحني السمة على الخرطوم وهذا كله نزل في الوليد بن المغيرة ولا شك
ان المبالغة العظيمة في ذمة بقيت على وجه الدهر ولا تعلم ان الله تعالى بلغ من ذكر عيوب أحد
ما يبلغ منه فألحق به عارا لا يفارقه في الدنيا ولا في الآخرة كالوسم على الخرطوم وقيل ما ابتلاه الله
تعالى به في الدنيا في نفسه وأهله وماله من سوء وذل وصفار وقال النضر بن شميل المعنى سخره
على شرب الخمر والخرطوم الخروجه خرطوم قال الرازي كل من شرب الخمر وهذا تعسف اد
وقيل للخمر الخرطوم كما قيل لها السلافة وهي ما سلف من عصير العنب أو لانها تطير
في الخياشيم * (قريبه) * الاتف أكرم موضع في الوجه لتقدمه له ولذلك جعله مكان العز
والحمة واشتمت قوامه الاتفة وقالوا الاتف في الاتف وحى أنفسه وفلان شاخ العينين وقالوا
في الدليل جددع أنفه ورغم أنفه فعبء بالوسم على الخرطوم عن غاية الازلال والاهانة لان
السمة على الوجه شين واذلال فكيف بها على أكرم موضع منه ولقد وسم العباس أباه
في وجوهها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أكرموا الوجوه فوسمها في جوارعها
ولما ذكر تعالى في أول الملك انه خلق الموت والحياة للابتلاء في الاعمال وختم هذا بعيب من بغتر
بالمال والبين وهو يعلم ان الموت وراءه أعاد ذكر الابتلاء وأكده بقوله تعالى (أنا) أي بما لنا من
القهر والعظمة (بلونا هم) أي عاملنا أهل مكة بما وسعنا عليهم به معاملة المختبر مع علمنا بالظاهر
والباطن فغزهم ذلك وظنوا انهم أحباب ومن قترنا عليهم من أوليائنا أعداء واسمنا نوابهم
ونسبهم لاجل ثقلهم من الدنيا الى السفة والجنون وكان ابتلاؤنا لهم بالقبط الذي دعا عليهم
به رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أكلوا الجيف (كما بلونا) أي اختبرنا (أصحاب الجنة)
بأن عاملناهم معاملة المختبر مع علمنا بالظاهر وحاصله انه استخراج ما في البواطن ليعلم العباد
في عالم الشهادة كما يعلم الخالق في عالم الغيب أو انه كناية عن الجزاء وعرف الجنة لانها كانت
شبهة عندهم وهي بستان عظيم كان دون صنعاء بقرتين يقال له الضر وان بطوه أهل
الطريق كان صاحبه ينادى الفقراء وقت الصرام ويترك لهم ما أخطأ المنجل أو القنة الرمح
أو بعد عن البساط الذي يبسط تحت النخلة وكان يجتمع لهم شيء كثير فلما مات شخ بنوه بذلك
وقالوا ان فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق علينا الامر ونحن ذوو عيال فلفقوا على ان يجذوها قبل
الشمس حتى لاتأني الفقراء الابعاد فراغهم وذلك معنى قوله تعالى (اذ) أي حين (اقسموا) ودل
على تأكيده القسم بالتأكيده فقال (لبصر منها) عبر به عن الجذاذ لدلالته على القطع البائن
المستأصل المانع للفقراء من الصريم الذي يعرض على فم الجدى للالإرضع أو من الضرماء
للمقازاة التي لا ماء فيها والناقة القليلة اللبن (مصبحين) داخلين في أول وقت الصباح لثلاثتهم
المساكين فلا يعطوهم منها ما كان أبوهم يهتدق به عليهم منها (ولا) أي والحال انهم لا
(يستنون) في عيهم أي ولا يقولون ان شاء الله (فان قيل) لم سمي استثناء وانما هو شرط

(أجيب) بأنه مسمى استثناء لانه انما يخرج لشيء يكون حكمه غير المذكور وأولاً وكان الاصل فيه
 الا ان يشاء الله فالخبر ان شاء الله لرجوعه اليه في اتحاد الحكم (فظاف) أي فتسبب عن
 فعلهم هذا أن طاف (عليها) أي جنهم (طائف) أي عذاب مهلك محيط وهو ناراً حرقها ليلاً
 لم تدع منها شيئا والطائف غلب في الشر وقال القراء هو الامر الذي يأتي ليلاً وورد عليه بقوله
 اذا مسهم طائف من الشيطان وذلك لا يخص ليل ولا نهار وقوله تعالى (من ركب) يجوز ان
 يتعلق بطاف وان يتعلق بمحذوف صفة لطائف (وهم) أي والحال ان أصحاب الجنة المقسمين
 (نائمون) وقت ارسال الطائف (فأصبحت) أي تسبب عن هذا الطائف الذي ارسله القادر
 الذي لا يغفل ولا ينام على مال من لا يزال أسير العجز والنوم فعلاً وقوة (كالصريم) أي كالاشجار
 التي صرم عنها غرها أو كالليل المظلم الاسود لانه يقال الصريم لسواده والصريم أيضاً النهار
 وقيل الصبح لانه انصرم من الليل قاله الاخفش وهو من الاضداد وقيل كالرماد الاسود ليس
 به أشعر بلغة خزمية قاله ابن عباس لان ذلك الطائف أتلفه الم يدع فيها شيئا لانهم طلبوا الكل فلم
 يركوه بما يمنع عنه الطوارق لصد ما كان لا يبيهم من غرة عمله الصالح من الدفع عن ماله والبركة
 في جميع أحواله قال القرطبي والاية دليل على ان العزم مما يؤخذ به الانسان لانهم عزموا
 على أن يفعلوا ففعلوا قبل فعلهم ونظيره قوله تعالى ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب
 أليم وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول
 في النار قيل يارسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال انه كان حريصاً على قتل صاحبه وهذا
 محمول على العزم المصمم أمّا ما كان يحظر بالبال من غير عزم فلا يؤخذ به (فتنادوا مصحين) أي
 في حال أول دخولهم في الصباح وقوله تعالى (أن اغدوا) أي بكر واجدا مقبلين ومستولين
 وفادرين ويجوز أن تكون ان المفسرة لانه تقدمها ما هو معنى القول (على حرككم) أي
 محل فأنذرتكم الذي أصلمتموه وتعبتم فيه فلا يستحقه غيركم قال مقاتل لما أصبحوا قال بعضهم
 لبعض اغدوا على حرككم يعني بالحرب الثمار والزروع والاعناب ولذلك قال صارمين لانهم
 أرادوا قلع الثمار من الاشجار قال الزمخشري (فان قلت) هلا قال اغدوا الى حرككم وما
 معنى على قلت لما كان الغدوا ليه ليصر موه ويقطعوه كان غدوا عليه كما تقول غدا عليهم العدو
 قال الزمخشري ويجوز ان يضمن الغدو معنى الاقبال أي فأقبلوا على حرككم (ان كنتم صارمين)
 أي مريدن القطع وجواب الشرط دل عليه ما قبله أي فأغدوا ويجوز أن تكون أن المضربية
 أي تنادوا بهذا الكلام * (تنبه) مقتضى كلام الزمخشري ان غدا متعدي في الاصل بالي
 فاحتاج الى تاويل فقد رده بعلي قال ابن عادل وفيه نظر لورود تعديته بعلي في غير موضع كقوله
 وقد أغدوا على ثبة * نشاوي واجدين لما نشاء

واذا كانوا قد غداوا حرافه بعلي فليعدوه وقرأ أن اغدوا أو غمروا وعاصم وحجة في الوصل بكسر
 النون والباقون بعضهم واتفقوا على الابتداء بالهمزة بالضم (فانطلقوا) أي فتسبب عن هذا الحث
 عقبه كأنهم كانوا متهمين (وهم) أي والحال انهم (يتخافتون) أي يقولون في حال انطلاقتهم قولاً

هو في غاية السر كما أنهم ذاهبون الى سرقة من دارهم في غاية الحراسة من الخفوت وهو الهمود
وخفا وخفت وخفد ثلاثها في معنى الكتم ومنه الخفد والخفاس ثم قسر ما يتخفون به بقوله
تعالى (أن لا يدخلونها) وأن لا يهتدوا بطوعة كما ترى وأكدوه لانه لا يصدق ان أحدا يصل الى
هذه الوفاحة وان جداد يخلون سائل (اليوم) أي في جميع النهار ببادل علمه نزع الخافض
لتكروا عليه من أراؤفتشوه فلا تدعوا به غرة واحدة ولا موضعاً يطعم فيه أحد في قصدكم
(عليكم) وأنتم بها (مسكين) وهي نهي للمسكين في اللفظ للمبالغة في نهي أنفسهم أن لا يدعوه
يدخل عليهم أي لا يجذبه من الدخول حتى يدخل كقولك لا تأرسلك ههنا فقال لهم أوسطهم سنا
وخبرهم نفساً وأعدلهم طبعاً بما يدل عليه ما يأتي لا تقولوا هكذا واصنعوا من الاحسان ما كان
يصنع أبوكم قال البقاعي وكأنه طواه سبحانه لانه مع الدلالة عليه بما يأتي لم يؤثر شيئاً (وغدا) أي
ساروا اليها غدوة (على حرد) أي منع المساكين قال أبو عبيدة على حرد أي منع من حاربت الابل
حراد أي قل لبنها والحرد من النوق القليلة الدر وحاربت السنة قل مطرها وخبرها وقال
الشعبي وسفيان على حرق وغضب من المساكين وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهم ما على قدرة
(قادرين) عند أنفسهم على جنتهم وغارها لا يحول بينهم وبينها أحد أي بدليل عدم استثناءهم
فان الحزم على الفعل في المستقبل فضلا عن أن يكون مع الخلف فعل من لا كلف له وقال الحسن
وقادة على جد وجهه وقال القرطبي وعكرمة على أمر مجتمع ودل على قربهم من منزلتهم بالفاء
فقال تعالى (فلما رأوها) أي بعد سير يسير وليس للزرع ولا للثمر بها أثر (فالوا ان الضالون) عن
طريق جنتنا لانها صارت لسوء حالها من ذلك الطائف بعسدة عن حال ما كانت عليه عند
توابعهم وتغيير نباتهم فأدهشهم منظرها وحيرهم خبرها وأكدوا لان ضلالهم لا يصدق مع قرب
عهدهم وكثرة ملابتهم لها وقوة معرفتهم بها ولما انجلي ما أدهشهم في الحال قالوا مضربين
عن الضلال (بل نحن محرومون) أي ثابت حرماننا ما كفا به من الخير الذي لم نغب عنه
الاسواد الليل فخرنا الله تعالى اياه بما عز منا عليه من حرمان المساكين ان الله لا يغير ما بقوم
حتى يغيروا وما بانفسهم وقرأ الكسائي بادغام اللام في النون والباءون بالاظهار (قال
أوسطهم) أي رأيا وعقلا وسنا وفضلا منكر اعلمهم (ألم أقل لكم) أي ما فعلتموه لا ينبغي
وان الله تعالى بالمرصاد لمن غير ما في نفسه وحاد (لولا) أي هلا ولم لا (تسبحون) أي تستنبئون فكان
استثناءهم تسبيحا قال مجاهد وغيره وهذا يدل على ان هذا الاوسط كان يأمرهم بالاستثناء
فلم يطيعوه قال أبو صالح كان استثناءهم سبحان الله فقال لهم هلا تسبحون الله أي تقولون
سبحان الله وتشكروا لله على ما أعطاكم وقال النحاس أصل التسبيح التنزيه لله عز وجل فجعل
مجاهد التسبيح في موضع ان شاء الله لان المعنى تنزيه الله أن يكون شيء الابعثته وقال الرازي
التسبيح عبارة عن تنزيهه عن كل سوء فلو دخل شيء في الوجود على خلاف ارادة الله تعالى
لنسب النقص الى قدرة الله تعالى فقولك ان شاء الله يريل هذا النقص فكان ذلك تسبيحا
وقيل المعنى هلا تستغفرونه من فعلكم وتقولون اليه من حيث ينبكم قيل ان القوم لما عزموا

على منع الزكاة فاعتروا بالمال والقوة قال لهم أوسطهم تو بوا عن هذه المعصية قبل نزول العذاب
فلما رأوا العذاب ذكرهم أوسطهم كلامه الاول وقال ألم أقل لكم لولا تسبحون لحببنا اشتغلوا
بالتوبة بأن (قالوا) أى من غير تعلمهم بما عاود عليهم من بركة أيهم (سبحان ربنا) أى تنزه المحسن
إلى التزنية الاعظم أن يكون وقع منه فيما فعل بنا ظلم وأكذبنا ففعلهم هضمنا لأنفسهم
وخضوعا لربهم وتحقيقا للتوبتهم بقولهم (انا كنا) أى بما فى جلاتنا من الفساد (ظالمين) أى
مجاورين الحدود فيما فعلنا من التقاسم على منع المساكين وعلى جذها فى الصباح من غير استئذان
(قأ قبل بعضهم) أى فى الحال مبادرة فى الخضوع (على بعض يتلاومون) أى يلوم بعضهم بعضا
يقول هذا الهذ أنت أشرت علينا بهذا رأى ويقول ذلك لهذا أنت الذى خوقتنا بالفقر ويقول
الثالث لغيره أنت رغبتنى فى جمع المال ثم نادوا على أنفسهم بالويل بأن (قالوا) منادين لما شغلهم
قربه منهم وملازمة لهم عن كل شئ (يا ويلنا) أى هذا وقت حضورك أيها الويل ايانا ومنادمتك
لنا فانه لاندب لنا الآن غيرك والويل الهلاك والاشراف عليك (انا كنا) أى جبلة وطبعها
(طاغين) أى عاصين بمنع حق الفقراء وترك الاستئذان وقال ابن كيسان طاغين نعم الله فلم
نشكرها كلما شكرها أبانوا من قبل ثم رجعوا الى أنفسهم فقالوا (عسى ربنا) أى الذى أحسن
النبأ بقرينة هذه الجنة واهلاك غيرها الآن تأديا للثالث (أن يدللنا) من جنتنا شيا (خير منها) يقيم
لنا أمر معايشنا فتنقلب أحوالنا هذه التى نحن فيها من الهموم والبذاهة بسرور ولذاذة وقرأ
نافع وأبو عمرو بفتح الباء الموحدة وتشديد الدال والباقون بسكون الموحدة وتخفيف الدال
(انا الى ربنا) أى المحسن البنا والمربى لنا بالابحاد ثم الابقاء خاصة لالى غيره (راغبون) أى ثابتة
رغبتنا ورجاؤنا للخير والاكرام وقد قيل ان الله تعالى قبل رجوعهم وأخلف عليهم فأبدلهم الجنة
يقال لها الحيوان كان القطف الواحد منها يحمله وحده من كبره البغل رواد البغوى
عن ابن مسعود وقال أبو خالد اليماني دخلت تلك الجنة فرأيت كل عنقه ودمنها كالربحل
الاسود القائم وقال الحسن قول أهل الجنة انا الى ربنا راغبون لا أدري ايماننا كان ذلك منهم
أو على حد ما يكون من المشركين اذا أصابتهم الشدة فتوقف فى كونهم مؤمنين وسئل قتادة
عن أصحاب الجنة أنهم من أهل الجنة أم من أهل النار قال لقد كفتنى تعبوا ولا كثرون يقولون
انهم يابوا وأخلصوا حكاك الفسيري * ولما كان المقام لترهيب من ركن الى ماله واحقر الضعفاء
من عباد الله تعالى ولم يجعلهم بجلاله طوي ذكر ما أنعم به عليهم وذكر ما يخوفهم فقال تعالى مرها
(كذلك) أى مثل هذا الذى يابوا به أصحاب الجنة من اهلاك ما كان عند أنفسهم فى غاية
القدرة عليه والثقة به مع الاستحسان لفعلهم والاستصواب وهددنا به أهل مكة فلم يبادروا
الى المتاب (العذاب) أى الذى نخذلهم منه وتخوفهم به فى الدنيا فاذا تم الاجل الذى قدرناه له
أخذناهم به غير مستجيبين ولا مقرطين لانه لا يجعل الا ناقص يخاف القوت (ولعذاب الآخرة)
أى الذى يكون فيها للعصاة (أكبر) أى من كل ما يتوهمون (لو كانوا) أى الكفار (يعاون)
أى لو كان لهم علم بشئ من غرائزهم فى وقت من الاوقات لرجعوا عما هم فيه * ولما ذكر

ما لاهل الجود الذين لا يجوزون الممكّنات ذكر تعالى أصدادهم فقال تعالى مؤكدا لاجل
 انكارهم (ان للمتقين) أي العريقين في صفة التقوى (عند ربهم) أي المحسن اليهم في موضع
 دوم أولئك وجنة آمالهم (جنات) جمع جنة وهي لغة البستان الجامع وفي عرف الشرع
 مكان اجتمع فيه جميع السرور واتفق عنه جميع السرور (النعيم) أي جنات ليس فيها الا النعيم
 الخالص لا يشوبه ما ينقصه كما يشوب جنات الدنيا قال مقاتل لما نزلت هذه الآية قال
 كفار مكة المسلمين ان الله تعالى فضلنا عليكم في الدنيا فلابد وأن يفضلنا عليكم في الآخرة
 فان لم يحصل التفضيل فلا أقل من المساواة فأجابهم الله تعالى بقوله سبحانه (أفجعل المسلمين)
 أي الذين هم عريقون في الانقياد لاوامرنا والصلوة لما أمرنا بالوضوء طلبا لمرضاتنا فلا اختيار
 لهم معناني نعم ولا غير الحسن جبلاتهم (كالمجرمين) أي الراسخين في قطع ما أمرنا به
 أن يوصل وأنتم لا تفترقون بمثل هذا ففي ذلك انكار لقول الكفرة فانهم كانوا يقولون أيضا ان صح
 ان تابعت كما يزعم محمد ومن معه لم يفضلونا بل نكون أحسن حال منهم كما نحن عليه في الدنيا
 وقوله تعالى (ما لكم) أي أي شيء يحصل لكم من هذه الاحكام الجائرة البعيدة عن الصواب
 (كيف تحكمون) أي أي عقل دعاكم الى هذا الحكم الذي يتضمن التسوية من السديين
 المحسن من عبده والمسي مع التفاوت فيه تعجب من حكمهم واستبعاد له واشعار بأنه صادر عن
 اختلال فكر وعوجاج رأي (أم) أي بل أ (لكم كتاب) أي سماوي معروف أنه من عند الله
 خاص بكم (فيه) أي لا في غيره من أساطير الاولين (تدرسون) أي تقرؤون قراءة يقتسمكم
 (ان لكم) أي خاصة على وجه التاكيد الذي لا رخصة في تركه (لما تحيرون) أي ما تحيرونه
 وتشبهونه وكسرت وكان حقها الفتح لولا اللام لان ما بعد هاء هو المدروس ويجوز أن تكون
 الجلة حكاية للمدروس وأن تكون استئنافية (أم لكم أيمان) أي عهد وموathيق (عليا)
 قد جعلتمونا ياها (بالغة) أي واثقة نعت لايمان وقوله تعالى (الي يوم القيامة) متعلق بما يتعلق به
 لكم من الاستقرار أي بانه لكم الي يوم القيامة أي مبالغة أي تبلغ الى ذلك اليوم وتنتهي اليه
 وقوله تعالى (ان لكم لما تحكمون) جواب القسم لان معنى أم لكم أيمان علينا أي أقسمنا
 لكم ولما عجب منهم وهم حكمهم بكم ذبل ذلك بتمكم أعلى منه يكشف عوارهم غاية الكشف فقال
 تعالى (سلهم) يا أشرف الرسل (أيهم بذلك) أي الامر العظيم الذي يحكمون به لانفسهم من
 أنهم يعطون في الآخرة أفضل من المؤمنين (زعيم) أي كفيل وضامن أو سيد أو رئيس أو متكلم
 بحق أو باطل التزم في ادعائه صحة ذلك (أم لهم شركاء) موافقون لهم في هذا القول يكفلونه
 لهم فان كانوا كذلك (فليأوا بشركائهم) أي الكافلين لهم به (ان كانوا صادقين) أي عريقين
 في هذا الوصف كما يدعونه وقوله تعالى (يوم) منصوب بقوله تعالى فليأوا أي فليأوا
 بشركائهم يوم (يكشف) أي يحصل الكشف فيه بنى المفعول لان الخيف وقوع الكشف
 الذي هو كناية عن تقاوم الامر وخروجه عن حد الطوق لا كونه من معين مع أنه من المعلوم أنه
 لا فاعل هذا غيره سبحانه وتعالى (عن ساق) أي يستند فيه الامر غاية الاستمداد لان من اشتد

عليه الامر وجد في فصله ثمر عن ساقه لاجله وثمرت حرمه عن سوتهن غير محتشمات فهو كناية
عن هذا ولذلك ذكره وهو يلايه وتعظيما نقل هذا التأويل عن ابن عباس وسعيد بن جبير
وغیرهما وعن انكشاف جميع الخلائق وظهور الجلائل فيه والدقائق من الاحوال وغيرها
كما كشفت هذه الآيات جميع الشبه فتركت السامع لها في مثل ضوء الهاروي يجوز أن يكون
منصوبا باضماراذ كرفيكون على هذا مفعولا به وعلى الاقل لا يوقف على صادقين * (تنبيه) *
علم مما تقرر ان كشف الساق كناية عن الشدة قال الرازي

عجبت من نفسي ومن اشفاقها * ومن طرادى الطير عن أرزاقها

في سنة قد كشفت عن ساقها * حراء تبرى اللحم عن عراقها

* (وقال الطائي) *

أخو الحرب ان عصت به الحرب اعضها * وان شمرت عن ساقها الحرب شمرها

* (وقال آخر) *

قد شمرت عن ساقها فشدوا * وجدت الحرب بكم بخذوا

وقال أبو عبيدة اذا اشتد الامر أو الحرب قيل كشف الامر عن ساقه والاصل فيه أن من وقع
في شيء يحتاج فيه الى الجد شمرت عن ساقه فاستعير الساق والكشف عنها في موضع الشدة وقال
القرطبي أو أما ما روى أن الله تعالى يكشف عن ساقه فانه تعالى متعال عن الاعضاء والابغاض
وأن يكشف ويغطي ومعناه أن يكشف عن العظيم من أمره وقيل يكشف عن نوره عز وجل
وروى أبو موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى عن ساق قال يكشف عن نور عظيم
يخزون له سجدا وروى أبو بردة عن أبي موسى قال حدثني أبو موسى قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول اذا كان يوم القيامة مثل لكل قوم ما كانوا يعبدون في الدنيا فيذهب كل
قوم الى ما كانوا يعبدون ويبقى أهل التوحيد فيقال لهم ما تنتظرون وقد ذهب الناس فيقولون
ان لنا ربنا كأنعبده في الدنيا ولم نره قال أو تعرفونه اذا رأيتهم فيقولون نعم فيقال فكيف تعرفونه
ولم نره قالوا انه لا شبيه له فيكشف لهم الحجاب فينظرون الله تعالى فيخزون له سجدا ويبقى أنوام
ظهورهم كصاحي البقر فينظرون الى الله تعالى فيريدون السجود فلا يستطيعون فذلك قوله
تعالى يوم يكشف عن ساق (ويدعون) أي من داعى الملك الديان (الى السجود) توبيخا على
تركه الآن وتنديما وتعنيفا لا تعسدا وتكليفيا فيريدونه لينفذوا أنفسهم بما يرون من الخراف
(فلا) أي فتسبب عن ذلك انهم لا يستطيعون لانهم غير سالين لأعضاء لهم تتقارب مع شدة
معالجتهم لانفسهم فيقول الله تعالى أي للساجدين عبادي ارفعوا رؤسكم فتد جعلت بدل
كل رجل منكم رجلا من اليهود والنصارى في النار قال أبو بردة فحدثت هذا الحديث عمر
ابن عبد العزيز فقال لي والله الذي لا اله الا هو لقد حدثك أبو سليمان هذا الحديث خلف له ثلاثة أيمان
فقال ما سمعت في أهل التوحيد حديثا هو أحب الي من هذا الحديث وأما غير الساجدين
فعن ابن مسعود تعبه أعمالهم أي ترده عظامها بلام فاصل لا تنتهي عند الرفع والخفض

وفي الحديث وتبني أصلابهم طبقا واحدا أي فقارة واحدة وقوله تعالى (خشعة) حال من
مرفوع يدعون وقوله تعالى (أبصارهم) فاعل به ونسب الخشوع للأبصار لأن ما في القلب يعرف
في العين وذلك أن المؤمنين يرفعون رؤسهم من السجود ووجوههم أضواء من الشمس ووجوه
الكافرين والمنافقين سود مظلمة (ترهقهم) أي تغشاهم (ذلة) أي عظيمة لأنهم استعبدوا
الأعضاء التي أعطاهمها الله سبحانه لئلا يتربوا بها إليه في دار العمل في غير طاعته (وقد) أي
والحال أنهم قد (كانوا يدعون إلى السجود) أي في الدنيا من كل داع يدعو إلينا وقال
إبراهيم التيمي أي يدعون بالأذان والأقامة فيأبون وقوله تعالى (وهم يسمعون) أي معافون
أصحاء حال من مرفوع يدعون الثانية وقال سعيد بن جبير كانوا يسمعون حتى على الفلاح
فلا ينجبون وقال كعب الأحبار والله ما نزلت هذه الآية إلا في الذين يتخلفون عن الجماعات
* ولما خوف الكفار بعظمة يوم القيامة زاد في التخويف بما عنده وفي قدرته فقال تعالى لنبيه
صلى الله عليه وسلم (فذرني) أي اتركني على أي حالة اتفقت (ومن يكذب) أي يوقع
التكذيب لمن يتلو ما جددت أنزاله من كلامي القديم على أي حالة كان إيقاعه وأقره الضمير
نصا على تمديد كل واحد من المكذبين (بهذا الحديث) أي القرآن أي خل بيني وبينهم لا تشغل
قلبك به فاني أكفيك أمره لأنه لا مانع منه فلا تهم به أصلا (سنسألكهم) أي سنأخذهم
بعظمته على التدرج لاعلى غزاة إلى عذاب لا شك فيه (من حيث) أي من جهات (لا يعلمون)
أي لا يتجدد لهم علم ما في وقت من الاوقات فعدبوا يوم بدر وقال أبو روق لكننا أخذنا خطيئة
جددنا لهم نعمة وأنسبناهم الاستغفار وقال سفيان الثوري نسبغ عليهم النعم ونسبهم الشكر
وقال الحسن كم مستدرج بالاحسان اليه وكم مقتون بالثناء عليه وكم مغرور بالسرعة عليه وقال
ابن عباس سئمكم بكم وروى أن رجلا من بني اسرائيل قال يا رب كم أعصيتك وأنت لاتعاقبني
فأوحى الله الي نبي زمانهم أن قل له كم من عقوبة لي عليك وأنت لاتشعر أن جود عنيك وقساوة
قلبك استدراج مني وعقوبة لوعقت والاستدراج ترك المعالجة وأصله النقل من حال إلى حال
كالدرج ومنه قيل درجات وهي منزلة بعد منزلة واستدرج فلان فلانا أي استخرج ما عنده
قلدا قليلا ويقال درجه إلى كذا واستدرجه معناه أدناه منه على التدرج فتدرج ومعنى
الآية أنا لما أنعمنا عليهم اعتقدوا أن ذلك الانعام تفضيل لهم على المؤمنين وهو في الحقيقة
والواقع سبب لهلاكهم (وأمل لهم) أي أمهلهم وأطيل المدة كقوله تعالى انما على لهم ابتداءوا
انما والملاوة المدة من الدهر وأملى الله له أي أطال له والمالوان الليل والنهار وقيل لأعجلهم
بالموت والمعنى واحد والملا مقصورا الارض الواسعة سميت بها لامتدادها (أن كدني) أي
ستري لأسباب الهلاك عن أريد أهلاكه وأبداني ذلك له في ملابس الاحسان (متين) أي قوي
شديد فلا يفوتني أحد وسعى احسانه كيدا كما سماه استدراجا لكونه في صورة الكيد ووصفه
بالمثانة لقوة أثر استحسانه في التسبب للهلاك (أم تسألهم) أي أنت يا أعف الخلق وأعلاهم شهما
(أجرا) على تبليغ الرسالة (فهم) أي فتسبب عن ذلك وتعقب أنهم (من مغرم) أي غرامة

كافتم بها (مشتاقون) أى ثقل حمل الغرامات عليهم فى بذل المال فنبطههم ذلك عن الايمان
والمعنى ليس عليهم كلفة فى متابعتك بل يستولون بالايمان على خزانة الارض ويصلون الى جنات
النعيم (أم عندهم) أى خاصة (الغيب) أى علمه من اللوح المحفوظ أو غيره (فهم) أى بسبب
ذلك (يكنيون) أى ما يريدون منه ليكونوا قد اطعموا على أذى هذا الذكر ليس من عند الله
أو أنهم لا دليل عليهم فى التكذيب به فقد علم من هذا أنهم لاشهوة لهم فى ذلك عادة ولا شهوة
وإنما كيدهم مجرد خبث طباع وظلمة نفوس وأمانى فارغة وأطماع (فأصبر) أى أوقع الصبر
وأوجده على كل ما يقولونه فيك وعلى غير ذلك من كل ما يقع منهم ومن غيرهم من ممر القضاء
(الحكم ربك) أى القضاء الذى وقدره المحسن اليك الذى أكرمك بما أكرمك به من الرسالة
والزمتك بما ألزمتك من البلاغ وخذلهم بالتكذيب ومذلهم على ذلك فى الأجل وأسبغ عليهم
النعم وأخر ما وعدك به من النصر وقال ابن بحر فأصبر لنصر ربك وقيل إن ذلك منسوخ
بآية السيف وقال قتادة إن الله تعالى يعزى نبيه صلى الله عليه وسلم وبإيمانه بالصبر ولا يجعل
(ولا تنكن) أى ولا يكن حالك يا أشرف الخلق فى الضجر والعجلة (كصاحب) أى كحال صاحب
(الحوت) وهو يونس عليه السلام وقوله تعالى (اذ) منصوب بضاف محذوف أى ولا يصح
جالك بحاله أو قصتك كقصته حين (نادى) أى ربه فى الظلمات من بطن الحوت وظلمة ما يحيط به
من الحشمة وظلمة اللجج لاله الأتت سبحانه أنى كنت من الظالمين ويدل على المحذوف
أن الذوات لا ينصب عليها النعم إنما ينصب على أحوالها وصفاتها وقوله تعالى (وهو مكظوم)
بجملته حاوية من الضمير من نادى والمكظوم الممتلى حزناً وغمظاً ومنه كظم السقاء إذا ملأه
قال ذو الرمة

وأنت من حبى مضمهر حزناً * غالى القوادى قريح القلب مكظوم
وقال القرطبي ومعنى وهو مكظوم أى ملأه غمًا وقيل كربا فالأول قول ابن عباس ومجاهد والثانى
قول عطاء وأبى مالك قال الماوردي والفرق بينهما أن الغم فى القلب والكرب فى الانفاس
وقيل مكظوم محبوس والـ كظم الحبس ومنه قولهم كظم غيظه أى حبس غضبه والمعنى
لا يوجد منك ما وجد منه من الضجر والمغاضبة فتبلى بيلانه * ولما تشوف السامع الى ما كان
من أمره بعد هذا الامر العجيب قال تعالى (ولأن تداركه) أى أدركه ادراكاً عظيماً (نعمة)
أى عظمى جداً * (تنبيه) * حسن تذكير الفعل لفصل الضمير فى تداركه (من ربه) أى الذى
أحسن اليه بإرساله وتهذيبه للرسالة والتبوية عليه والرجة وقال الفضل النعمة هنا النبوة
وقال ابن جرير عبادة التى سلفت وقال ابن زيد نداءه بقوله لا اله الا أنت سبحانه أنى كنت
من الظالمين وقال ابن جرير أخرجه من بطن الحوت وقوله تعالى (لنبد) أى لولا هذه الحالة
السنية التى أنعم الله تعالى عليه بطرح طرنا حيناً جداً (بالعراء) أى الارض الفقراء الواسعة
التي لبناء فيها ولا خبال ولا نبات البعده عن الأنس جواب لولا وقيل جوابه أمقدر أى لولا هذه
النعمة لبقي فى بطن الحوت (وهو) أى والحال انه (مذموم) أى ملوم على الذنب وقيل مبعده

من كل خير وقال الرازي وهو مدسوم على كونه فاعلا للذنب قال والجواب من ثلاثة أوجه
 الأول أن كلمة لولد الله على أن هذه المذمومة لم تحصل الثاني لعل المراد من المذمومة
 ترك الأفضل فإن حسنات الأبرار سيئات المقربين الثالث لعل هذه الواقعة كانت قبل النبوة
 لقوله تعالى (فاجتبه) أي اختاره لرسالته (ربه) والفاء للتعقيب قيل إن هذه الآية نزلت
 بأحد حين حل برسول الله صلى الله عليه وسلم ما حل فأراد أن يدعو على الذين أنتمزوا وقيل
 حين أراد أن يدعو على ثقيف ثم سبب عن اجتباؤه قوله تعالى (فجعل من الصالحين) أي الذين
 رشحوا في رتبة الصلاح فصلحوا في أنفسهم للنبوة والرسالة وصلح بهم غيرهم فبين حينئذ بالبراء
 وهو محمود قال ابن عباس رد الله تعالى إليه الوحي وشفعه في نفسه وفي قومه وقبل نوبته وجعله
 من الصالحين بأن أرسله إلى مائة ألف أو يزيدون بسبب صبره فمن صبر أعظم من صبره كان أعظم
 أجرا من أجره وأنت كذلك فأنت أشرف العالمين * (تنبه) استدل أهل السنة على أن فعل
 العبد خلق الله تعالى بقوله سبحانه فجعله من الصالحين لأن الصلاح إنما حصل بعمل الله تعالى
 وخلقهم وقال الجبائي يحتمل أن يكون معنى جعل أنه أخبر بذلك ويحتمل أن يكون لطف به حتى
 صلح إذا جعل يستعمل في اللغة في هذه المعاني والجواب أن ذلك مجاز والاصل في الكلام
 الحقيقة (وان) هي الخففة أي وانه (يكاد الذين كفروا) أي ستروا ما قدروا عليه مما جئت به
 من الدلائل وأظهروا موضع الأضمار تعميما وتعليقا للحكم بالوصف * ولما كانت إن خففة
 أتى باللام التي هي علمها فقال (ليزلة ونك بأبصارهم) أي ينظرون اليك نظرا شديدا يكاد
 أن يصرعك من قامتك إلى الأرض كما يرتقي الإنسان فينطرح لما يترأى في عبورهم
 أو يهلكونك من قولهم نظروا إلى نظرا يكاد يصرعني ويكادياً كذا أي لو أمكنه ينظره الصرع
 أو الأكل لفعول قال القائل

تقارعون إذا التقوا في موطن * نظرا يزل مواطئ الأقدام

وقيل أرادوا أن يصيبوه بالعين فنظر إليه قوم من قريش وقالوا ما رأينا مثله ولا مثل حجمه
 وقبل كانت العين في بني إسرائيل فكان الرجل منهم يتجوع ثلاثة أيام فلا يذوق شيء فيقول
 لم أرك اليوم مثله إلا عنه حتى أن البقرة السمينة أو الناقة السمينة تمر بأحدهم فيعابتهما فيقول
 يا جارية خذي المكمل والدرهم فائتينا من لحم هذه الناقة فأنبرج الناقة حتى تقع الموت فتخرج
 وقال الكلبى كان رجل من العرب يكثر لا يأكل شيئا يومين أو ثلاثة ثم يرفع جانب الخباء فتزب
 الأبل أو الغنم فيقول لم أرك اليوم أبلا ولا غنما أحسن من هذه فلا تذهب الأبل إلا حتى تسقط منها
 طائفة هالكة فسأل الكفار هذا الرجل أن يصيب لهم النبي صلى الله عليه وسلم بالعين فأجابهم
 فلما مر النبي صلى الله عليه وسلم أنشد

قد كان قومك يحسبونك سيدا * وأحال أنك سيد معيون

فعصم الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ونزلت هذه الآية وذكر الماوردي أن العرب كانت
 إذا أراد أحدهم أن يصيب أحدا بعين في نفسه أو ماله يجوع ثلاثة أيام ثم تعرض لنفسه وماله

فيقول تالله ما رأيت أقوى منه ولا أشجع ولا أكبر منه ولا أحسن فيصيبه بعينه فيهلك هو وماله
فأنزل الله تعالى هذه الآية وروى أبو نعيم أنه صلى الله عليه وسلم قال إن العين لتسدّ دخل الرجل
القبر والجل القدر وعن أسماء بنت عيسى قالت يا رسول الله أن تخي جعفر وتصيبهم العين أفأسترق
لهم قال نعم فلو كان شيء يسبق القضاء لسبقته العين وقال الحسن دواء الاصابة بالعين أن تقرأ
هذه الآية وقرأ نافع بفتح الباء والباقون بضمها وهما الغتان يقال زلقه يزلقه زلقاً وأزلقه يزلقه
ازلقاً وقال ابن قتيبة ليس يريد أن يمتهم بصيبتهم بأعينهم كما يصيب العائن بعينه ما يعجبه
وإنما أراد أن يمتهم ينظرون اليك (الماءعوا الذكر) أي القرآن نظراً شديداً بالعداوة والبغضاء
يكاد يسهطك وقال الزجاج يعني من شدة عداوتهم يكادون ينظرونهم نظر البغضاء أن يصرعوك
(ويقولون) أي قولاً لايزالون يجدونه حسداً وبغضاً على أنهم لم يزدتهم ثمادى الزمان الاحتفا
(أنه ليجنون) أي ينسبونونه إلى الجنون إذا سمعوه يقرأ القرآن فأجابهم الله تعالى بقوله سبحانه
(وما هو) أي القرآن (الأذكر للعالمين) قال ابن عباس موعظة للمؤمنين قال الجلال المحلى
الانس والجن وظاهره إخراج الملائكة وهو ما جرى عليه في شرحه على جمع الجوامع وظاهر
الآية أنه أرسل لجميع الخلاق وهو كما قال بعض المتأخرين الظاهر ويدل له قول البيضاوي
لما جئناه لأجل القرآن بين أنه ذكر عام لا يدرك ولا يتعاطاه الا من كان أكمل الناس عقلاً وأثبتهم
رأياً وقول البيضاوي تعالى لئلا يخشى عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة القلم أعطاه
الله ثواب الذين حسن الله أخلاقهم حديث موضوع

﴿سورة الحاقة مكية﴾

وهي اثنان وخمسون آية وألف وأربعة وستون حرفاً

(بسم الله) أي الذي له الكمال كله (الرحمن) الذي عمّ العالمين جوده (الرحيم) الذي خص
أهل وده بالوقوف عند حدوده وقوله تعالى (الحاقة) مبتدأ وقوله تعالى (ما الحاقة) مبتدأ
وخبر والجله خبر الاقل والاصل الحاقة ما هي أي شيء تفخيم الشأنها وتعظيم الهولها
فوضع الظاهر موضع المضمر لانه أهول لها والحاقة الساعة الواجبة الوقوع الثابتة المحيية
التي هي آتية لا ريب فيها أو التي فيها حواق الامور من البعث والحساب والثواب والعقاب
أو التي تحقق فيها الامور أي تعرف على الحقيقة من قولك لا أحق هذا أي لا أعرف حقيقة جعل
الفعل لها وهولها وقيل سميت القيامة بذلك لانها أحقت لاقوام الجنة ولاقوام النار
وقوله تعالى (وما أدرالك) أي أي شيء أعلمك (ما الحاقة) زيادة تعظيم شأنها فما الاولى مبتدأ
وما بعدها خبره وما الثانية وخبرها في محل المفعول الثاني لا أدري يعني انك لا علم لك بكنهها
ومدى عظمها على أنه من العظم والشدّة بحيث لا تبلغه دراية أحد ولا وهمه والنبي صلى الله
عليه وسلم كان عالماً بالقيامة ولكن لا علم له بكنهها وصفة تفصيل لذلك تفخيم شأنها كأنك
لست تعلمها اذ لم تعانها وقال يحيى بن سلام بلغني ان كل شيء في القرآن وما أدرالك فقد دراه

وعلمه وكل شيء قال وما يدريك فانه مما لم يعلمه وقال سفيان بن عيينة كل شيء قال فيه وما أدراك
فانه أخبر به وكل شيء قال فيه وما يدريك فانه لم يخبر به وقرأ أبو عمرو وشعبة وحزرة والكسائي وابن
ذكوان بخلاف عنه بالامالة وورش بين اللفظين والباقون بالفتح ولما ذكر الساعة ونغمها
أتبع ذلك ذكر من كذب بها وما حل بهم بسبب التكذيب تذكر لاهل مكة وتخبر بها لهم من
عاقبة تكذيبهم فقال تعالى (كذبت عود) قدمهم لأن بلادهم أقرب الى قريش وواعظ القرب
أكبر واهلا كهنتهم بالصيحة وهي أشبه بصيحة النفخ في الصور المبصرة لما في القصور (وعاد
بالقارعة) أي القيامة سميت بذلك لانها تنقرع قلوب العباد بالحقارة ولا نها تنقرع الناس
بأهوالها يقال أصابهم قوارع الدهر أي أهواله وشدائده وقوارع القرآن الآيات التي
يقروها الانسان اذا فزع من الانس والجن فحواية الكرسي كأنه يقرع الشيطان بها وقال
المبرد القارعة مأخوذة من القرعة من رفع قوم وحط آخر بن وقوارع القيامة انقطار السماء
بانثاقها والارض والجبال بالدك والنسف والنجوم بالطمس والانكدار ووضعت موضع
الضمير لتدل على معنى القرع في الحاقة زيادة في وصف شدتها وقيل عنى بالقارعة العذاب الذي
نزل بهم في الدنيا وكان نبيهم يخوفهم بذلك فيكذبونه وعود قوم صالح وكانت منازلهم بالبحر فمابين
الشأم والحجاز قال ابن اسحق وهو وادي القرى وكانوا عربا وأما عاد فقوم هود وكانت منازلهم
بالاحقاف رمل بين عمان الى حضرموت واليمن كله وكانوا عربا ذوى بسطة في الخلق (فأما عود
فأهلكوا) أي بأيسر أمر من أواخرنا (بالطاغية) أي الواقعة التي تجاوزت الحد في الشدة
فرجفت منها القلوب واختلف فيها فقيه الراجعة وعن ابن عباس الصاعقة وعن قتادة
بعث الله تعالى عليهم صيحة فأهدمهم وقال مجاهد بالذنوب وقال الحسن بالطغيان فهو مصدر
كالكاذبة والعاقبة أي أهلكوا بطغيانهم وكفرهم قال الزمخشري وليس بذلك عدم الطباق
بينها وبين قوله تعالى برح صرصر أكن قال ابن عادل ويوضحه كذبت عود بطغواها أهلكوا
بهم اولاجلها قال والباء سببية على الاقوال كلها الاعلى قول قتادة فانهم افيئله للاستعانة كعملت
بالقدم (وأما عاد فأهلكوا) أي بأشق ما يكون عليهم وبأيسر ما يكون علينا (برح صرصر)
أي شديدة الصوت لها صرصرة وقيل هي الباردة من الصر كانت التي كثر فيها البرد وكثر
فهي تحرق بشدة بردها وقال مجاهد هي الشديدة السحوم (عانية) أي مجاوزة الحد في شدة
عصها والعنة واستعارة أوعت على عاد في قدرها على ردها بجيلة من استنار ببناء أولياذ بجيل
أو اختفاء في حفرة فانها كانت تنزعهم من مكانهم وتملكهم وقيل عنت على خزائنها فخرجت
بلا كيل ولا وزن وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال ما أرسل الله تعالى سفينة من ربح الا بمكيل
ولا قطرة من دطر الا بمكيل الا يوم عاد ويوم نوح فان الماء يوم نوح طغى على الخزان فلم يكن لهم
عليه سبيل ثم قرأنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية وان الرحيم يوم عاد عنت على الخزان فلم يكن
لهم عليها سبيل ثم قرأ برح صرصر عانية (سخرها) أرسلها (عليهم) وقال مقاتل رضى الله عنه
سلطها عليهم (سبع ليال) أي لا تقتربها الريح لحظة (وثمانية أيام) كذلك قال وهب في الايام

التي تسميها العرب العجوز ذات بردوريج شديدة قيل سميت بعجوز لانها في عجز الشتاء وقيل سميت بذلك لان عجوزا من قوم عاد دخلت سر باقتبعتها الريح فقتلتها اليوم الثامن من نزول العذاب وانقطع العذاب (حسوما) قال مجاهد وقادة رضى الله عنهم امتابعة ليس فيها قرة فعلى هذا هو من حسم الكى وهو أن يتابع على موضع الداء المكواة حتى يبرأ ثم قيل لكل شئ يقطع حسم وجهه حسوم مثل شاهد وشهود وقال الكلبي حسوماء أئما وقال النضر بن شميل حسمتهم قطعتم وأهلكتهم والحسم القطع والمنع ومنه حسم الداء وقال عطية حسوما شوما كأنها حسمت الخبير عن أهلها * (تنبيه) * في اعراب حسوما أوجه أحدها أن ينتصب نعمتا لما قبله ثانيها أن ينتصب على الحال أى ذات حسوم ثالثها أن ينتصب على المصدر بفعل من أظفها أى تحسمهم حسوما واختلوفى أولها فقال السدى غداة يوم الاحد وقال الربيع بن أنس رضى الله عنه غداة يوم الجمعة وقال يحيى بن سلام ووهب بن منبه رضى الله عنهم غداة يوم الاربعاء وهو اليوم الخامس المستقر قيل كان آخر أربعاء في السنة وآخرها يوم الاربعاء وقال الباقى وهى من صبيحة الاربعاء لثمان بقين من شوال غروب الاربعاء الآخر وهو اخر الشهر وقد لز من زيادة عدد الايام أن الابتداء كان بها قطعا والالم تكن الليالى سبعة فاقتمل ذلك اه وهو ظاهر * ولما كان الحاسم المهلك تسبب عنه قوله تعالى مصورا لحالهم الماضية (فترى القوم) أى الذين هم غاية في القدرة على ما يحاولونه (فيها) أى تلك المدة من الايام والليالى لم يتأخر أحد منهم عنهم (صرعى) أى مجتهدين على الارض موتى جمع صريع وهى حال نحو قبيل وقتلى وجرى وجرى والضمير فيها للايام والليالى كما مر أول البيوت وألاريج قال ابن عادل والاول أظهر لقربه (كانهم أعجاز) أى أصول (نخل) قد شاخت وهرمت فمضى في غاية العجز (خاوية) أى متأكلة الاجواف ساقة من خوى النجم اذا سقط للغروب ومن خوى المنزل اذا دخل من قنانه قالوا كانت تدخل من أفواههم فتخرج ما فى أجوافهم من الحشوم أديارهم والوصف بذلك لعظم أجسامهم ونقططع الريح لهم وقطعها لرؤسهم وخلوهم من الحياة وتسويد هالهم (فهل ترى) أى أيها المخاطب الخبير بالناس في جميع الاقطار (لهم) أى خصوصا وأغرق في النني وعبر بالمصدر المحقق بالهاء مبالغة فقال تعالى (من باقية) فيكون المراد بالباقية البقاء كالمطاعة بمعنى الطغيان أى من باق والاحسن أن تكون صفة لفرقة أو لطائفة أو نفس أو بقية أو نحو ذلك وقيل فاعله بمعنى المصدر كالعافية والباقية قال المفسرون والمعنى هل ترى لهم أحد باقيا قال ابن جرير كانوا سبع ليال وثمانية أيام أحياء في عذاب الله تعالى من الريح فلما أمسوا في اليوم الثامن ماتوا فاحتملتهم الريح فآلقتهم في البحر فذلك قوله تعالى فهل ترى لهم من باقية وقوله تعالى فأصبحوا لآ ترى الامساكهم ونجى الله تعالى صالحا عليه السلام ومن آمن به من بين غود ولم تضربهم الصاعقة وهو داعية السلام ومن آمن به من عاد ولم يهلك منهم أحد فدل ذلك دلالة واضحة على أن له تعالى تمام العلم بالجزئيات كما أن له تمام الاحاطة بالكميات وعلى قدرته واختياره وحكمته فلا يجعل المسلم كالمجرم ولا المسيء كالمحسن وجواب هل لم يبق

منهم أحد (وجاء قرون) أي الذي ملأ كنهه طائفة من الأرض وتجب وادعى الإلهية
ناسبا نعمتنا وقدرتنا وقوله تعالى (ومن قبله) قرأه أبو عمرو والكسائي بكسر القاف وفتح الباء
الموحدة أي ومن عنده من اتباعه وقرأه الباقون بفتح القاف وسكون الباء الموحدة على أنه
ظرف أي ومن تقدمه من الأمم الكافرة (والمؤمنات) أي أهل كهاتهي قرى قوم لوط أي
المنقلبات بأهلها حتى صار عليها ساقلها ما حصل لأهلها من الانقلاب (بالخاطئة) أي بالقلبات
ذات الخطأ الذي يخطئ منها إلى نفس الفعل القبيح من اللواط والصنع والاضراط مع الشرك
وغير ذلك من أنواع الفسق * ولما كانت الرسل كالفرز الواحد لا تقاومهم وتعاضدهم في الدعاة إلى
الله تعالى والجل على طاعته قال مسيبان مجيئهم بذلك موحد في اللفظ ما هو صالح لكثيرا وادة
الجنس (فقصوا) أي خالفوا (رسول ربهم) أي خالفت كل أمة من أرسله المحسن إليها بآدابها
من العدم وايداعها القوى وترزيقها وبعث رسولها الارشادها اغترارها باحسانه ولم يجوزوا
أن المحسن يقدر على الضر كما قدر على النفع لانه الضار كما أنه النافع فللتنبية على مثل ذلك
لا يجوز فصل أحد الاسمين عن الآخر وسبب عن العصيان قوله تعالى (فأخذهم) أي ربهم أخذ
قهر وغضب (أخذة) لم تقم من أمة منهم أحد امن كذب الرسول فلم يكن كمن ينصر على عدو ومن
المؤمنين لا بد أن يقوته كثير منهم وان اجتهد في الطلب وما زاد الالتزام علمه سبحانه بالجزئيات
والكليات وشمول قدرته وتلك الأخذ مع كونها بهذه العظمة من أنها أخذتهم كنفس واحدة
جعلها سبحانه (راية) أي عالية عليهم زائدة في الشدة على غيرها وعلى عذاب الأمم يقال راية الشيء
يربوا إذا زاد ومنه الربا إذا أخذ في الذهب والفضة أكثر مما أعطى والمعنى أنها كانت زائدة
في الشدة على عقوبات سائر الكفار كما أن أفعالهم كانت زائدة في القبح على أفعال سائر الكفار
وقبل لأن عقوبة آل فرعون متعلقة بعذاب الآخرة لقوله تعالى أغرقوا فادخلوا نارا وعقوبة
الآخرة أشد من عقوبة الدنيا فلك العقوبة كانت كأنها غمر وتربو * ثم ذكر تعالى قصة قوم نوح
عليه السلام وهي قوله تعالى (أنا) أي على عظمتنا (لما طغى الماء) أي زاد على الحد حتى علا على
أعلى جبل في الأرض بقدر ما يغرق من كان عليه حين أغرقنا قوم نوح عليه السلام به فلم يطبقوا
ضبطه ولا فوره بوجه من الوجوه وقال صلى الله عليه وسلم طغى على خزائنه من الملائكة غضب الرب
تعالى فلم يقدر وأعلى حبسه قال المفسرون زاد على كل شيء خمسمائة ذراع وقال ابن عباس رضي
الله عنهما طغى الماء من نوح عليه السلام على خزائنه فكثير عليهم فلم يدرؤا كم خرج وليس من
الماء قطرة تنزل قبله ولا بعده إلا بكيل معلوم غير ذلك اليوم والمقصود من قصص هذه الأمم وذكر
ما حل بهم من العذاب زجر هذه الأمة عن الاقتداء بهم في معصية الرسول ثم من الله عليهم بأن
جعلهم ذرية من نبي من الفرق بقوله تعالى (جعلناكم) أي في ظهور آبائكم (في الجارية) أي
السفينة التي جعلناها بحكمتنا عريضة في البحر يان حتى كأنه لا جارية غير هاء على وجه الماء الذي
جعلنا من شأنه الأغراق والنجول في الجارية إنما هو نوح عليه السلام وأولاده وكل من على
وجه الأرض من نسل أولئك والجارية من أسماء السفينة ومنه قوله تعالى وله الجوار النشأت في

الجبر كالأعلام وغلب استعماله
رأيت جارية في بطن جارية * في بطنها جارية

ونوح عليه السلام أول من صنع السفينة وانما صنعها نوح من خشب
اجعلها كهيئة صدر الطائر ليكون مايجرى في الماء مقاربا لمايجرى في البحر
كان في تلك السفينة من جميع اهل الارض من آدمي وغيره (لجعلهم) ~~لجعلهم~~
وهي انجاء المؤمنين بحيث لايملك منهم بهذا العذاب أحد واهلاك الكافرين
أحد وكذا السفينة التي حملنا فيها نوحا عليه السلام ومن معه (لكم) ايهم
عبرة ودلالة على قدرته تعالى وعظمته ورجته وقهره فيقودكم ذلك اليه وتبين
وقوله تعالى (وتعبها) عطف منه وب على ليجعلها اي والحققة قصة السفينة وثبت
حفظا ثابتا مستقرا كأنه محوى في وعاء (اذن) اي عظمة الذئع (واعية) اي من شئها
ما ينبغي حفظه من الاقوال والافعال الالهية والاسرار الربانية لنفع عباد الله تعالى كمن
عليه السلام ومن معه وهم قليل سيدا لادامة النسل والبركة فيه حتى امتلأت منه الارض
والوحي الحفظ في النفس والايحاء الحفظ في الوعاء قال الزنجشري فان قلت لم قبل اذن واعية
التوحيد والتسكير قلت للاذنان بان الوعاء فيهم قلة ولتوبخ الناس بقلة من يعي منهم وللدلالة على
ان الاذن الواحد اذا وعيت عقلت عن الله تعالى فهو السواد الاعظم عند الله وان ما سواه
لا يبالى بهم بالة وان ملوا ما بين الخافقين اه وقرأ نافع بسكون الذا والباقون بضمها ولما ذكر
تعالى القيامة وهول أمرها بالتعبير بالحاقة وغيرها شرع سبحانه وتعالى في تفاصيل أحوالها
وبدأ بذكر مقدمتها بقوله تعالى (فاذا نفخ) وبني الفعل للمجهول دلالة على هوان ذلك عليه وأن
ما يأتري عنه لا يتوقف على نافع معين بل من أقامه لذلك من جنده تأثر عنه ما يريد (في الصور) أي
القرن الذي ينفخ فيه اسرافيل عليه السلام قال البقاعي كأنه عبر عنه به دون القرن مثلا لانه
يتأثر عنه تارة اعدام الصورة وتارة ايجادها وردّها الى اشكالها ووسعته كما بين السماء والارض
(نفخة واحدة) للفصل بين الخلائق قال الزنجشري فان قلت هما نفختان فلم قبل واحدة قلت
معناه انه الاثنى في وقتها ثم قال فان قلت فأى النفختين هي قلت الاولى لان عندها فساد العالم
وهكذا الرواية عن ابن عباس رضى الله عنهما قد روى عنه انها الثانية اه قال البقاعي وظاهر
السياق أنهما الثانية التي بها البعث وخراب ما ذكر بعد قيامهم انساب لانه أهمب وكونها الثانية
احدى الروايتين عن ابن عباس رضى الله عنهما اه واقتصر البيضاوى على أنهما الاولى والجلال
الحلي على أنهما الثانية وهو الانسب كما قاله البقاعي ثم ان الزنجشري سأل سؤالا على أنها النفخة
الاولى بقوله فان قلت أما قال بعد يومه ثم تعرضون والعرض انما هو عند النفخة الثانية قلت
جعل اليوم اسم للعين الواسع الذي تقع فيه النفختان والصعقة والنشور والوقوف الحساب
فلذلك قيل يوم ثم تعرضون كما تقول جئتكم عام كذا وانما كان مجيئك في وقت واحد من أوقاته
اه * ولما ذكر التأثير في الاحياء اتبعه التأثير في الجمادات وبدأ منها بالسفليات الملبستها الانسان

فكون عبرته بها أكثر فقال تعالى (وجعلت الأرض والجبال) أى التى بها اثباتها حملتهما الريح أو
 الملائكة أو القدرة من أما كنهم (فدكا) أى مسحت الجبلتان الأرض وأتادها وبسطت ودق
 بعضها ببعض (دكة واحدة) أى فصارتا كتيبا هيبلا بأسر أمر فلم يميز شئ منهما عن الآخر بل
 صارتا فى غاية الاستواء ومنه اندك سنام البعير إذا انقرش فى ظهره وقال القزالم يقل فدكن
 لانه جعل الجبال كلها كالجملة الواحدة والأرض كالجملة الواحدة ومثله أن السموات والأرض
 كانتا رقفا فتقناهما ولم يقل كن وهذا الدك كالزلة لقوله تعالى إذا زلزلت الأرض زلزالها وقوله
 تعالى (فيومئذ) منصوب بوقعت وقوله تعالى (وقعت الواقعة) لا بد فيه من تأويل وهو أن
 تكون الواقعة صارت علما بالعلبة على القسيمة أو الواقعة العظيمة والافتقار القائم لا يجوز إذ
 لا فائدة فيه والنويع فى يومئذ العوض من الجملة تقديره يوم إذا فتح فى الصور ونوع تعالى أسماء
 القسيمة بالحاقة والواقعة والقارعة تهويل لها * ولما ذكر تأثير العالم السفلى ذكر العلوى بقوله
 تعالى (وانشقت السماء) أى ذلك الجنس أشد هول ذلك اليوم أى انصدعت وتفتطرت وقيل
 انشقت لنزول الملائكة بدليل قوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا (ففى
 يومئذ واهية) أى ضعيفة متساقطة خفيفة لا تماسك كالعهن المنفوش بعدما كانت محكمة
 يقال وهى البناء وهى وهيا فهو وهاء إذا ضعف جدا ويقال كلام وهاء أى ضعيف وقيل واهية أى
 متفرقة أخوذ من قولهم وهى السقاء إذا تحزق ومن أمثالهم

خل سبيل من وهى سقاؤه * ومن هريق بالقلاذ ماؤه

أى من كان ضعيف العقل لا يحفظ نفسه وقرأ أبو عمرو وقالون والكسافى بسكون الهاء والبا تون
 بكسر هاء (والملك) أى هذا النوع (على أرجائها) أى نواحى السماء وأطرافها وحواشى ما لم ينشق
 منها قال الضحالى يكونون بها حتى يأمرهم الله تعالى فينزلون فيحيطون بالأرض ومن عليهم أو قال
 سعيد بن جببر رضى الله عنه المعنى والمك على حافات الدنيا أى ينزلون إلى الأرض ويجرسون
 أطرافها وقيل إذا صارت السماء قطعا تقف الملائكة على تلك القطع التى ليست متشقة
 فى أنفسها والأرجاء فى اللغة النواحى والأقطار بلغة هذيل واحد خارج مقصود وتنتبته رجوان
 مثل عصا وعصوان قال القائل

فلاترعىنى الرجوان أنى * أقل القوم من يعنى مكاني

قال ابن عادل ورجا هنا يكتب بالالف عكس رجي لانه من ذوات الواو (فان قيل) الملائكة
 يعنون فى الصعقة الاولى لقوله تعالى فصعق من فى السموات ومن فى الأرض فكيف يقال لهم
 أنهم يقفون على أرجاء السماء (أجيب) من وجهين الاول أنهم يقفون لحظة على أرجاء السماء
 ثم يعنون والثانى المراد الذين استقنوا فى قوله تعالى الامن شاء الله وقيل ان الناس إذا رأوا
 جهنم هالهم أمرها فبندها كاتند والابل فلا يأتون قطرا من أقطار الأرض والأروا والملائكة
 فربيعوهم من حيث جاؤا وقيل على أرجائها ينتظرون ما يؤمرون به فى أهل النار من السوق إليها
 وفى أهل الجنة من التحية والكرامة وهذا كله يرجع إلى قول ابن جببر رضى الله عنه وبديل عليه

قوله تعالى ونزل الملائكة تنزيلا قال الزحخشري فان قلت ما الفرق بين قوله والملاك وبين أن
يقال والملائكة قلت الملك أعم من الملائكة الا ترى أن قولك ما من ملك الا وهو شاهد أعم من
قولك ما من ملائكة اه قال أبو حيان ولا يظهر أن الملك أعم من الملائكة لان المفرد المحلى بالالف
واللام قصاراه أن يكون مراد به الجمع المحلى ولذلك صح الاستثناء منه ثم قال ولان قوله على
أرجائهم لا يدل على الجمع لان الواحد لا يمكن أن يكون على أرجائهم في وقت واحد بل في أوقات
والمراد والله أعلم ان الملائكة على أرجائهم الا انه ملك واحد ينتقل على أرجائهم في أوقات ولما
كان الملك يظهر في يوم العرض سرير ملكه ومحل عزه قال تعالى (ويحمل عرش ربك) أي
المحسن اليك بكل ما تريد لاسيما في ذلك اليوم بما يقع من رفعتك على سائر الخلق والضمير في قوله
تعالى (فوقهم يومئذ) أي في يوم وقعت الواقعة يجوز أن يعود على الملك لانه بمعنى الجمع كما تقدم
وأن يعود على الحاملين في قوله تعالى (ثمانية) وقبل يعود على جميع العالم أي ان الملائكة تحمل
عرش الله تعالى فوق العالم كله واختلف في هذه الثمانية فقال ابن عباس رضي الله عنهم ما ثمانية
صفوف من الملائكة لا يعلم عددهم الا الله تعالى وقال ابن زيد هم ثمانية أملاك وعن الحسن رضي
الله عنه الله أعلم كم هم ثمانية أم ثمانية آلاف أم ثمانية صفوف وفي الحديث انه صلى الله عليه وسلم
قال ان حلة العرش اليوم أربعة فاذا كان يوم القيامة أمدهم الله تعالى بأربعة أخرى فكانوا
ثمانية على صورة الاوعال وفي رواية ثمانية أوعال من أظلافهم الى ركبهم كما بين سماء الى سماء وفي
حديث آخر لكل ملك منهم وجه رجل ووجه أسد ووجه ثور ووجه نسر وكل وجه منها يسأل الله
الرزق لذلك الجنس (فان قيل) اذ لم يكن فيهم صورة الوعل فكيف سمو أوعالا (أجيب) بأن
وجه الثور اذا كانت له قرون أشبه الوعل وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال أذن لي أن أحدث عن
ملك من ملائكة الله تعالى من حلة العرش ان ما بين شحمة أذنه الى عاتقه مسيرة سبعمائة عام
أخرجه أبو داود وبإسناد صحيح وعن ابن عباس رضي الله عنهما حلة العرش ما بين أخمص أحداهم
الى كعبه مسيرة خمسمائة عام ومن كعبه الى ركبته خمسمائة ومن رقبته الى موضع القرب مسيرة
خمسمائة عام وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال الذين يحملون العرش ما بين سوق أحداهم
الى مؤخر عنقه خمسمائة عام وفي الخبر ان فوق السماء السابعة ثمانية أوعال بين أظلافهم وركبهم
مثل ما بين سماء الى سماء وفوق ظهورهن العرش وفي حديث مرفوع أن حلة العرش ثمانية
أملاك على صورة الاوعال ما بين أظلافها الى ركبها مسيرة سبعين عاما للطنائير المسرع وزوي أن
أرجلهم في الارض السابعة وازافة العرش الى الله تعالى كازافة البيت اليه وليس البيت
للسكنى فكذلك العرش ليس للجلوس تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فانه الخالق للعرش والحلة
العرش ولا تحيط به جهة وهو العلي العظيم وعن شهر بن حوشب قال حلة العرش ثمانية أربعة
منهم يقولون سبحانك اللهم ومحمدك الهمد على عفوك بعد قدرتك وأربعة منهم يقولون سبحانك
اللهم ومحمدك الهمد على حلك بعد عماك ولما بلغ تعالى النهاية في تحذير العباد من يوم التناد
وكان لهم حلتان عامة وخاصة فالعامة العرض والخاصة التقسيم الى محسن ومسيء فزاد عظماء

ومردود وذكر سبحانه المقبول بأدائه تشويقا إلى حاله وتغيبا بعاقبته وحسن حاله أتبعه
المردود تنقيرا عن أعماله بما ذكر من قبائح أحواله فقال تعالى (وأما من أوفى كتابه) أي ضعفه
حسابه (بشماله فيقول) أي لما يرى من سوء عاقبته التي كشف له عنها الغطاء حتى لم يشك فيها لما
رأى من قبائحه التي قدمها (باليقين) تنميا للمحال (لم أوت) أي من أي موت ما (كتابيه) أي هذا
الذي ذكر في خبايا أعماله وعزفتي جزاءها (ولم) أي وباليقين لم (أدر ما) حقيقة (حسابيه) من ذر
العسل وذكري جزائه بل استمرت جاهلا لذلك كما كنت في الدنيا ثم يتقوى الموت ويقول (باليقين)
أي الموتة الأولى وإن لم تكن مذكورة إلا أنها الظهورها كانت كالمذكورة (كانت القاضية)
أي القاطعة لحياي بأن لا أبعث بعدها ولم ألق ما وصلت إليه قال قتادة رضي الله عنه يتقوى الموت
ولم يكن في الدنيا عنده شيء أكره من الموت وشتر من الموت ما يطلب منه الموت قال الشاعر
وشتر من الموت الذي إن أقيته * تمنيت منه الموت والموت أعظم

والمعنى باليت هذه الحالة كانت الموتة التي قضيت على وقوله (ما أغنى عني ماليه) يجوز أن يكون
نفيًا تاسفًا على فوات ما كان يرجو من نفعه والمفعول على هذا التقدير محذوف للتعميم ويجوز
أن يكون استفهامًا توبيخًا لنفسه حيث سئلت له ما أثر له كل سوء وكل محال أي أي شيء أغنى
ما كان لي من اليسار الذي منعت منه حق الفقراء وتعظمت به على عباد الله تعالى (هالك عني)
سلطانيه) أي ملكي وتسلط على الناس وبقيت فقيرًا ذليلًا وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن
هذه الآية نزلت في الأسود بن عبد الأسد وعن فاختة الملقب بالعصفور لما قال
عضد الدولة وابن ركنها * ملك الاملاك غلاب القدر

لم يفعل بعده وجن فكان لا ينطق بإسنانه إلا بهذه الآية وقال ابن عباس رضي الله عنهما ضلت
عني حجتي ومعناه بطلت حجتي التي كنت أحجج بها في الدنيا وذكر الضحاك أن الآية الأولى
في أخي الأسود عبد الله بن عبد الأسد المخزومي * ولما كان كانه قيل هذا ما قال فيقال له
أجيب بأنه يقال للزبانية على رؤس الأشهاد (خذوه) أي أيها الزبانية الذين كان يستهزئ بهم
عند سماع ذكرهم (فعاوه) أي اجعوا يديه إلى عنقه ورجليه إلى رواقه إلى ناصيته (ثم الجحيم)
أي النار العظمى التي تنجم على من يريد دفاعها ويحجم عنها من رآها لأنها في غاية الحوق والتوقد
والتعظيم والتشدد (صلوه) أي بالغوا في تصليته أياها وكرروها بغمسة في النار كالإشارة المصلية مرة
بعد أخرى لأنه كان يعاظم على الناس فناسب أن يصلي أعظم النيران وعبر أيضًا بأداة التراخي
له لورثة مدخولها فقال مؤذنا بعدم الخلاص وتقديم المفعول بقيد الاختصاص عند بعضهم
ولذلك قال الزمخشري ثم لا يصلوه إلا الجحيم قال أبو حيان وليس ما قاله مذهب السيوري ولا الخدافي
النهاية اهـ لكن كلام النحاة لا يأبى ما قاله (ثم في سلسلة) أي عظيمة جدًا وقوله تعالى (ذرعها)
سبعون ذراعًا) يحتمل أن يكون هذا العدد حقيقة وعلى هذا قال ابن عباس رضي الله عنهما
سبعون ذراعًا بذراع الملك قد دخل في دبره وتخرج من منخره وقيل تدخل من فيه وتخرج من
دبره وقال نوف البكالي سبعون ذراعًا كل ذراع سبعون باعًا كل باع أبعد مما بينك وبين مكة وكان

في رجة الكوفة وقال سفيان كل ذراع سبعون ذراعا وقال الحسن رضى الله عنه الله أعلم أى
 ذراع هو ويحتمل أن يكون مبالغه كما قال تعالى ان تستغفر لهم سبعين مرة يريد مرات كثيرة لانها
 اذا طالت كان الارهاق أشد والذي يدل على هذا ما رواه الترمذى وقال اسناده حسن عن عبد
 الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو أن رصاصة مثل هذه وأشار الى مثل الجمجمة
 أرسلت من السماء الى الارض وهى مسيرة خمسمائة سنة لبغيت الارض قبل الدليل ولو أنها
 أرسلت من رأس السلسلة لسارت أربعين خريفاً الليل والنهار قبل أن تبلغ أصلها وقعرها
 وعن كعب رضى الله عنه أنه قال لو جمع حديد الدنيا ما وزن حلقة منها أجازنا الله تعالى ومحبيها
 منها وجميع المسلمين فأشار سبحانه الى ضيقها على ما تحيط به من بدنه بتعبيره بالسلك فقال تعالى
 (فاسلكوه) أى أدخلوه بحيث يكون كأنه السلك أى الحبل الذى يدخل فى ثقب الخرزة بعسر
 لضيق ذلك الثقب اما باحاطتها بعنقه أو بجمع بدنه بأن تلف قال الرمنجرى والمعنى فى تقديم
 السلسلة على السلك مثله فى تقديم الخيم على التصلية أى لا تسلكوه الا فى هذه السلسلة كأنها
 أقطع من سائر مواضع الارهاق فى الخيم ومعنى ثم الدلالة على تفاوت ما بين الغل والتصلية وما
 بينهما وبين السلك فى السلسلة لا على تراخي المدة ٥١ * ولما ذكر سبحانه على الاجال عقابه أتبعه
 أسبابه فقال تعالى (انه كان) أى جله وطبعه وان أظهر شيئاً يلبس به على الضعفاء ويدلس على
 الأغنياء (لا يؤمن) أى الآن ولا فى مستقبل الزمان (بالله) أى الملك الاعلى الذى يعلم السر
 وأخفى (العظيم) أى الكامل العظم وحده تعالى على طريق الاستئناف وهو أبلغ كأنه قبل
 ما لم يعذب هذا العذاب الشديد أجيب بذلك وفى قوله تعالى (ولا يحض) أى يحث (على) بذل
 (طعام المسكين) دليلاً قوياً على عظم الجرم فى حرمان المسكين أحدهما عطفه على الكفر
 وجهله قرينة له والثانى ذكر الحض دون الفعل ليعلم أن تارك الحض بهذه المنزلة فكيف بتاركه
 الفعل وما أحسن قول القائل

اذا نزل الاضياف كان عذورا * على الحى حتى تستقل مرا حله

يريد حضهم على القرى واستعجالهم وعن أبي الدرداء رضى الله عنه انه كان يحض امرأته على
 كثير المرق لاجل المساكين وكان يقول خلعنا نصف السلسلة بالايمن أقلنا نخلع نصفها الثانى
 بالطعام وقيل هو منع الكفار وقولهم أنظم من لو شاء الله أطعمه والمعنى على بذل طعام المسكين
 * ولما وصفه سبحانه بأفجع العقائد وأشنع الرذائل تسبب عنه قوله تعالى (فليس له اليوم ههنا)
 أى فى مجمع القيامة كله (جسيم) أى صديق خالص يحبه من العذاب لانهم كلهم له أعداء كما أنه كان
 لا يرق على الضعفاء لما هم فيه من الاقلال من حطام الاموال (ولا طعام الا من غسلى) أى غسالة
 أهل النار وصديدهم وقبحهم فعلى من الغسل (لا يأكله الا الخاطئون) أى أصحاب الخطايا من
 خطئ الرجل اذا اتهم الذنب وهم المشركون لامن الخطا المضا للصواب وهذا الدعاء يغسل ما فى
 بطونهم من الاعيان والمعاني التى بها اقوام صاحبها وهى بمنزلة ما كانوا يشكون من أموالهم التى
 أبطنوها واتخروها فى خزائنهم واستأثروا بها على الضعفاء (فلا أقسم) أى لا يقع فى اقسام (بما

تصبرون) من المخلوقات (وما لا تبصرون) منها أي بكل الموجودات واجها وجاهزا معقولها
ومحسوسها لانهم لا يخرج عن قسمين مبصر وغير مبصر وقيل الدنيا والآخرة والاجسام
والارواح والانس والجن والخلق والخالق والنعمة الظاهرة والباطنة لان الامر اوضح من أن
يحتاج الى اقسام وان كنت أقسم في غير هذا الموضع بما شئت ولو قيل به ذاق الواقعة لكان
حسنا وقيل لازادة وحري على ذلك الجلال المحلى (انه) أي القرآن (لقول) أي تلاوة (رسول)
أي أنا أرسلته به وعني أخذه وليس فيه شيء من تلافه نفسه انما هو كله رسالة واضحة جدا أنا شاهد
بها على من الاعجاز الذي يشهد أنه كلامي (كريم) أي على الله تعالى فهو في غاية الكرم الذي هو البعد
من مساوي الاخلاق باظهار معاليها الشرف النفس وشرف الاء وهو محمد صلى الله عليه وسلم
وكرم الشيء اجتماع الكمالات فيه اللاتفة به وقيل هو جبريل عليه السلام قاله الحسن والكشي
رضي الله عنهم ما قوله تعالى رسول كريم ذي قوة واستدل للآل بقوله تعالى (وما هو بقول شاعر)
أي يأتي بكلام مقفي موزون بقصد الوزن قال مقاتل رضي الله عنه سبب نزول هذه الآية أن
الوليد بن المغيرة قال ان محمدا صلى الله عليه وسلم ساحر وقال أبو جهل شاعر وقال عقبة كاهن فرد
الله تعالى عليهم بذلك (فان قيل) كيف يكون كلام الله تعالى وجبريل عليه السلام ومحمد صلى الله
عليه وسلم (أجيب) بأن الاضافة يكفي فيها أدنى ملاسة فالله سبحانه وتعالى أظهره في اللوح
المحفوظ وجبريل عليه السلام بلغه للنبي صلى الله عليه وسلم وهو بلغه للآلة (قليل ما تؤمنون)
منصوب نعتا المصدر أو زمان محذوف أي ايماننا قليلا أو زمانا قليلا والناصب يؤمنون وما مزيدة
للتأكيد وقال ابن عطية ونصب قليلا بعقل مضمر يدل عليه يؤمنون وما يحتمل أن تكون نافية
فيقتضي ايمانهم البتة ويحتمل أن تكون مصدرة وتتصف بالقلة فهو الايمان اللغوي لا الشرعي
لانهم قد صدقوا بأشياء يسيرة لا تغني عنهم شيئا وهو اخلاصهم بالوحدانية عند الاضطراب
وافرادهم الخالق بالخلق والربوبية (ولا يقول كاهن) وهو المنجم الذي يخبر عن الاشياء وأغلبها
ليس له صحة وقوله تعالى (قل لا ما أنذرون) يأتي فيه ما تقدم في قليل ما تؤمنون وقال البغوي
أراد بالقليل نفي اسلامهم أصلا كقولك لمن لا يزورك قلما تأتينا وأنت تريد ما تأتينا أصلا وقرأ
قليل ما يؤمنون قليلا ما يذكرون ابن كثير وابن عاصم بخلاف عن ابن ذكوان بالياء التحتية فيما
والباقون بالقومية وخفف الذال جزءا والكسائي وحفص وشدها بالاقون وقوله تعالى
(تنزيل) خبر مبتدأ مضمر أي هو تنزيل على وجه التمجيد قال البقاعي وأشار الى الرسالة الى
جميع الخلق من أهل السموات والارض بقوله تعالى (من رب العالمين) أي موجدهم ومدبرهم
بالاحسان اليهم بما يفهم كل منهم من هذا الذكر الذي رباهم به ورتب سبحانه نظمهم على وجه سهل
على كل منهم يكفي في هدايته اه وهذا يدل على انه صلى الله عليه وسلم أرسل الملائكة وهو الذي
ينبغي وان لم يكونوا مكلفين نشر يقاليهم زيادة في شرفه بارساله صلى الله عليه وسلم اليهم (ولو
تقول) أي كف نفسه أن يقول مرة من الدهر كذبا (علينا) أي على ما لنا من العظمة (بعض
الآقاويل) أي التي لم نقلها أو قلناها ولم نأذن له فيها قال الرخشمري القول افعال القول لان به

نكلفنا من المفتعل وسعى الاقوال المنقولة أقاويل تصغير الها وتحقيرا كقولك الاعاجيب
والاضاحيك كأنها جمع افعولة من القول والمعنى لو نسب اليها قولاً لم نقله أو لم نأذنه في قوله
(لاخذنا) أى لنلنا (منه) أى عقاباً (باليين) أى بالقوة والقدرة * (تنبيه) * الباء على أصلها غير
مزيدة والمعنى لاخذناه بقوة منا فالباء حالية والحال من الفاعل وتكون منه في حكم الزائدة
واليين هنا مجاز عن القوة والغلبة فان قوة كل شئ في ميامنه وهذا معنى قول ابن عباس ومجاهد
رضي الله عنهم ومنه قول الشماخ

اذا مارا به رفعت لحد * تلقاها عرابه باليين

وقال أبو جعفر الطبري هذا الكلام خرج مخرج الاذلال على عادة الناس في الاخذ بيد من
يعاقب ويجوز أن تكون الباء مزيدة والمعنى لاخذنا منه يمينه والمراد باليين الجارحة كما يفعل
بالمقتول صبراً يؤخذ يمينه ويضرب بالسيف في جمده ومواجهته وهو أشد عليه وقال الحسن رضي
الله عنه لقطع عنايده اليمين وقال الزمخشري المعنى ولو ادعى علينا شيئاً لم نقله لقتلنا صبراً كما يفعل
المولود عن تكذب عليهم معاجلة بالسخط والانتقام فصوّرت قتل الصبر بصورته ليكون أهول
وهو أن يؤخذ يده مضرب رقبته وفحص اليمين عن اليسار لأن القتال إذا أراد أن يوقع الضرب
في قفاه أخذه يساره وإذا أراد أن يوقعه في جمده وأن يكفحه بالسيف وهو أشد على المصبور
لنظره الى السيف أخذ يمينه اه وقال نبطويه المعنى لقبضنا بيمينه عن التصرف وقال السدي
ومقاتل رضي الله عنهم ما المعنى اتقمنا منه بالحق واليمين على هذا بمعنى الحق كقوله تعالى انكم
كنتم تأتوني عن اليمين أى من قبل الحق (ثم اقطعنا) أى بما لنا من العظمة قطعاً لا شئ عنده
كل قطع (منه الوتين) أى نياط القلب وهو يتصل من الرأس اذا انقطع مات صاحبه قال أبو زيد
وجعه الوتن وثلاثة أو ثنته والموتون الذي قطع وتينه وقال الكلبى هو عرق بين العلباء والخلقوم
وهما علباء وان بينهما العرق والعلباء عصب العنق وقيل عرق غليظ تصادفه شفرة الناحر وقال
مجاهد رضي الله عنه هو جبل القلب الذي في الظهر وهو الخاع فاذا انقطع بطلت القوى ومات
صاحبه وقال محمد بن كعب رضي الله عنه انه القلب ومراقه وما يليه وقال عكرمة رضي الله
عنه ان الوتين اذا قطع لان جاع عرف ولا ان شبع عرف وقبل الوتين من مجمع الوركين الى مجمع
الصدر بين الترقوتين ثم تنقسم منه سائر العروق الى سائر الجسد ولا يمكن في العادة الحياة بعد
قطعه وقال ابن قتيبة لم ير دأناً قطعه بعينه بل المراد أنه لو كذب لامتناه فكان يكن قطع وتينه
ونظيره قوله صلى الله عليه وسلم ما زالت أكلة خيبر تعاودني فهذا أو ان انقطاع أبيهرى والاهير
عرق متصل بالقلب فاذا انقطع مات صاحبه فكأنه قال هذا أو ان يقتلني السم وحيث تضررت
كن انقطع أبيهرى (فما منكم) أى أيها الناس وأغرق في النقي فقال (من أحد عنه) أى القتل
(حاجزين) أى لا يقدر أحد منكم أن يحجزه عن ذلك ويدفعه عنه أى الرسول صلى الله عليه وسلم
أى لا تقدر أن تحجزوا عنه القاتل وتحولوا بينه وبينه * (تنبيه) * من احدا سم ما ومن زائدة
لأن كيد النقي ومنكم حال من أحد وعنه حاجزين خبر ما وجمع لان أحد في سياق النقي بمعنى

الجمع وضعير عنه للقتل أو النبي كما مر (وأنه) أي القرآن (لندرة للمؤمنين) أي لانهم المستمعون
 به لا قبلهم عليه اقبال مستفيد (وانا) أي بما لنا من العظمة (لنعلم) أي علما عظيما محيطا (أن
 منكم) أي أيها الناس (مكذبين) بالقرآن ومصدقين فانزلنا الكتب وأرسلنا الرسل لنظهر منكم
 إلى عالم الشهادة ما كنا تعلم في الازل غيبا من تكذيب وتصديق فتستحقون بذلك الثواب والعقاب
 فلذلك وجب في الحكمة أن نعيد الخلق إلى ما كانوا عليه من أجسامهم قبل الموت لتحكم بينهم
 فتجازي كل بما يليق به اظهر العدل (وأنه) أي القرآن (لحسرة) أي ندامة (على الكافرين)
 أي إذا رأوا ثواب المصدقين وعقاب المكذبين به (وأنه) أي القرآن أو الجزاء يوم الجزاء (خلق
 اليقين) أي الامر الثابت الذي لا يقبل الشك فهو يقين مؤكدا بالحق من اضافة الصفة إلى
 الموصوف وهو فوق علم اليقين وقال ابن عباس رضي الله عنهما انما هو قولك عين اليقين ومحض
 اليقين (فسمي) أي أوقع التنزيه الكمال عن كل شائبة نقص (باسم) أي بسبب علمك بصفات
 (ربك) أي الموجد والمربي لك والمحسن اليك بأنواع الاحسان (العظيم) أي الذي ملائ
 الاقطار كلها اعظمته وزادت على ذلك بما شاء سبحانه مما لا تسعه العقول وقال ابن عباس رضي
 الله عنهما أي فصل ربك العظيم وقول البضاوي تبعنا لنخشى ان رسول الله صلى الله عليه
 وسلم قال من قرأ سورة الحاقة حاسبه الله حسبا يا يسيرا حديث موضوع

﴿سورة المعارج مكية﴾

وهي أربع وأربعون آية ومائتان وست عشرة كلمة وألف واحد وستون حرفا

(بسم الله) أي الذي تنقطع الاعناق والامال دون عليائه (الرحمن) الذي لا مسمع لاحد في
 حصر أوصافه (الرحيم) الذي اصطفى من عبادهم من وفقه فكان من أوليائه (سأل سائل) أي دعا
 داع (بعذاب واقع) فضمن سأل معنى دعا فلذلك عدى تعديته وقيل الباء بمعنى عن كقوله تعالى
 فاسأل به خبيراً أي عنه أي سأل سائل عن عذاب واقع والاول أولى لان التجوز في الفعل أولى
 منه في الحرف لقوته واختلف في هذا الداعي فقال ابن عباس رضي الله عنهما هو النضر
 ابن الحرث حيث قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا
 بعذاب أليم فنزل سؤاله وقتل يوم بدر صبرا هو وعتيبة بن أبي معيط لم يقتل صبرا غيرهما وقيل هو
 الحرث بن النعمان وذلك أنه لما بلغه قول النبي صلى الله عليه وسلم في علي من كنت مولاه فعلي
 مولاه ركب ناقته بغيا حتى أناخ راحلته بالابطح ثم قال يا محمد أمرتنا عن الله أن نشهد أن لا اله
 الا الله وأنك رسول الله فقبلناه منك وأن نصلى خمسا ونركب أموالنا فقبلناه منك وأن نصوم
 شهر رمضان في عام فقبلناه منك وأن نخرج فقبلناه منك ثم لم ترض حتى فضلت ابن عمك عليا
 أفهذا شئ منك أم من الله تعالى فقال النبي صلى الله عليه وسلم والذي لا اله الا هو ما هو الا من الله
 فولى الحرث وهو يقول اللهم ان كان ما يقول محمد حقا فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا
 بعذاب أليم فوالله ما وصل إلى ناقته حتى رماه الله تعالى بحجر فوقع على دماغه فخرج من دبره

فتمسكه فمزلت وقال الربيع هو أبو جهل وقيل انه قول جماعة من كفار قريش وقيل هو نوح عليه السلام سأل العذاب على الكافرين وقيل هو نبينا صلى الله عليه وسلم استجبل بعذاب الكافرين ويدل عليه قوله تعالى بعد ذلك فاصبر صبرا جميلا أى لا تستجبل فانه قريب وقرأ نافع وابن عامر بغير همزة بعد السين والباقون بهمزة مفتوحة بعد السين * (تنبيه) ما تقدم من الوجهين في كون سأل ضمن أو أن الباء بمعنى عن هو على القراءة بالهمزة وأما على عدمه ففيه وجهان أحدهما أنه لغة في السؤال يقال سأل يسأل يخاف يخاف وعين الكلمة واو قال الزمخشري وهى من لغة قريش والثانى انه من السيل ومعناه اندفع عليهم وادبعذاب وقيل سأل وادم من أودية جهنم وقوله تعالى (للكافرين) فيه أوجه أحدها أنه يتعلق بسأل مضى معنى دعا كما مر أى دعا لهم بعذاب واقع الثانى انه يتعلق بواقع واللام للعله أى نازل لاجلهم الثالث أن يتعلق بمحذوف صفة ثانية للعذاب أى كائن للكافرين الرابع أن يكون جوابا للسائل فيكون خبر مبتدأ مضمر أى هو للكافرين الخامس أن تكون اللام بمعنى على أى واقع على الكافرين (ليس له) أى بوجه من الوجوه ولا حيلة من الحيل (دافع) يرده وقوله تعالى (من الله) أى الملك الاعلى الذى لا كفو له يجوز أن يتعلق بدافع بمعنى ليس له دافع من جهته اذا جاء وقته لتعلق ارادته به وأن يتعلق بواقع وبه بدأ الزمخشري أى واقع من عنده (ذى المعارج) أى المصاعد وهى الدرجات التى يصعد فيها الكلم الطيب والعمل الصالح أو يرتقى فيها المؤمنون فى سلوكهم أو فى دار ثوابهم أو مراتب الملائكة والسعوات قال ابن عباس رضى الله عنهم ما أى ذى السموات سماها معارج الملائكة لأن الملائكة يعرجون فيها فوصف نفسه بذلك أى ذى العلو والدرجات القواضل والنعم لانهم اتصل الى الناس على مراتب مختلفة قاله ابن عباس وقتادة رضى الله عنهم فالمعارج مراتب انعامه على الخلق وقيل ذى العظمة والعلا وقيل المعارج الغرف أى انه ذو الغرف أى جعل الاولياء الجنة عرفا وقرأ (تعرج الملائكة) الكسائى بالياء التحية والباقون بالياء الفوقية وأدغم جيم المعارج فى تاء تعرج هئا السوسى واستضعف بعضهم ذلك من حيث أن مخرج الجيم بعيد من مخرج التاء وأجيب عن ذلك بأن الادغام يكون لجزء الصفات وان لم يتقاربا فى المخرج والجيم تشارك التاء فى الاستقبال والانفتاح والشدة والجلالة من تعرج مستأنفة وقوله تعالى (والروح) من عطف الخاص على العام أن أريد بالروح جبريل عليه السلام كما قاله ابن عباس رضى الله عنهم ما لقوله تعالى نزل به الروح الامين أو ملك آخر من جنسهم عظيم الخلقة وقال أبو صالح انه خلق من خلق الله كهيئة الناس وليس بالناس وقال قبيصة بن ذؤيب انه روح الميت حين يقبض (اليه) أى مهبط أمر من السماء وقيل هو كقول ابراهيم عليه السلام انى ذاهب الى ربى أى الى الموضع الذى أمرنى به وقيل الى عرشه وعلق بالعروج أو بواقع قوله تعالى (فى يوم) أى من أيامكم وبين عظمه بقوله تعالى (كان) أى كونه هو فى غاية الثبات (مقداره) أى لو كان الصاعد فيه آدميا (خمسین ألف سنة) أى من سنى الدنيا وذلك أن تصعد من منتهى أمر الله تعالى من أسفل الارض السابعة روى عن مجاهد رضى الله عنه أن مقداره هذا خمسين ألف سنة وقال

محمد بن اسحق لوسار بنو آدم من الدنيا الى موضع العرش ساروا خمسين ألف سنة وقال عكرمة
وقتادة رضى الله عنهما هو يوم القيامة وأراد أن موقفهم للحساب حتى يفصل بين الناس خمسون
ألف سنة من سنى الدنيا ليس يعنى به أن مقدار طوله هكذا دون غيره لأن يوم القيامة ليس له أول
وليس له آخر لأنه يوم عود وود لو كان له آخر لكان منقطعاً وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه
قال يوم القيامة يكون على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة وعن أبي سعيد الخدري رضى الله
عنه أنه قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم كان مقدار خمسين ألف سنة فما أطول هذا
اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسى بيده ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف
عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا وقيل معناه لو ولي محاسبة العباد في ذلك اليوم غير الله تعالى
لم يفرغ منه في خمسين ألف سنة قال عطاء رضى الله عنه ويفرغ الله تعالى في مقدار نصف يوم من
أيام الدنيا وقيل فيه خمسون موطناً على الكافر كل موطن ألف سنة وما ورد ذلك على المؤمن
الأكابر الظهور والعصر وروى عن الكلبي أنه قال يقول الله تعالى لو وليت حساب ذلك الملائكة
والانس والجن وطوقتهم محاسبتهم لم يفرغوا منه في خمسين ألف سنة وأنا أفرغ منه في ساعة من
النهار وقال بيان هو يوم القيامة فيه خمسون موطناً كل موطن ألف سنة وفيه تقديم وتأخير
كأنه قال ليس له دفاع من الله ذى المعارج في يوم كان مقدار خمسين ألف سنة تعرج الملائكة
والروح إليه (فان قيل) كيف الجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى في سورة السجدة في يوم كان
مقداره ألف سنة (أجيب) بأنه يحتمل أن من أسفل العالم الى أعلى العرش خمسين ألف سنة ومن
أعلى سماء الدنيا الى الأرض ألف سنة لأن عرض كل سماء خمسمائة سنة وما بين أسفل الى قرار
الأرض خمسمائة نقوله في يوم من أيام الدنيا وهو مقدار ألف سنة لو صعدوا فيه الى سماء الدنيا
ومقدار خمسين ألف سنة لو صعدوا الى أعلى العرش وقوله تعالى (فاصبر صبراً جميلاً) متعلق كما قال
الرازي بسأل سائل لأن استعجالهم بالعذاب كان على وجه الاستهزاء برسول الله صلى الله
عليه وسلم فأمر بالصبر والمعنى جاء العذاب لقرب وقوعه فاصبر على أذى قومك والصبر الجميل
هو الذى لا جزع فيه ولا شكوى لغير الله تعالى وقيل أن يكون صاحب المصيبة فى القوم لا يدرى
من هو وقال ابن زيد والكلبي رضى الله عنهم هذه الآية منسوخة بالامر بالقتال (انهم) أى
الكفار (يرونه) أى ذلك اليوم الطويل أو عذابه (بعيداً) أى زمن وقوعه لانهم يرونه غير ممكن
أو يفعا لكون أفعالهم يستبعد (وزاد) أى لما لنا من العظمة التى قضت بوجوده وهو علينا هين
(قريباً) سواء أريد بذلك قرب الزمان أو قرب المكان فهو هين على قدرتنا وهوات لا محالة وكل
أت قريب والقريب والبعيد عندنا على حد سواء وقرأ أبو عمرو وحزرة والكسائي بالامالة مخضبة
وورث بن بين والباقون بالفتح وقوله تعالى (يوم تكون السماء) متعلق بمحذوف أى يقع فيه من
الاهوال (كالمهل) أى كدردى الزيت وعن ابن مسعود رضى الله عنه كالفضة البيضاء فى
تلونها (وتكون الجبال) أى التى هى أشد الأرض وأثقل ما فيها (كالهين) أى كالصوف فى الخفة
والطيران بالريح وقيل أول ما تفرق الجبال تصير ملامح عهنا منقوشاً هباء منثوراً مبتدأ

(ولا يسأل) أى من شدة الاهوال (حجم جميعاً) أى قريب في غاية القرب والصدقة قريباً مثله
عن شئ من الاشياء لغرط الشواغل ولانه قد كشفت لهم انه لا تغنى نفس عن نفس شياً وانه قد
تقطعت الاسباب وتلاشت الانساب وعلم انه لا عز الا بالقوى (يصرونهم) أى يصرونهم بهم
مبصر فلا يخفى أحد على أحد وان بعد مكانه (يود الحرام) أى تنهى الكافر وهذا النوع سواء كان
كافراً أم مسلماً عاصياً علم انه يعذب بعصيانه (لو) بمعنى أن (يقضى) أى يقضى نفسه (من عذاب
يومئذ) أى يوم اذ كانت هذه المخاوف وقرأ نافع والكسائي بفتح الميم والباقون بكسر هاء (بنبيه)
أى بأقرب الناس اليه وأعلقهم بقلبه لشدة ما يرى * ولما ذكر الصق الناس بالفتواد وأعز من
يلزمه نصره والذب عنه أتبعه ما يليه في الرتبة والمودة بقوله تعالى (وصاحبته) أى زوجته التي
يلزمه الذب عنها لاسيما عند العرب من أقيح العار ولو كونه دائماً معها * ولما ذكر العاصية
لما لها من تمام الوصلة أتبعها الشقيق الذي هو عليه شقيق بقوله تعالى (وأخيه) أى الذى له به
النصرة على من يريد قال الشاعر

أخاك أخاك ان من لأخاله * كازل الهيجا بغير سلاح

ولما كان من بقي من الاقارب بعد ذلك متقاربين في الرتبة ذكر أقربهم بقوله تعالى (وفصيلته)
أى عشيرته الذين هم أقرب من فصل عنه وقال نعلب الفصيله الا بآء الادنون وقال أبو عبدة
رضي الله عنه الفخذ وقال مجاهد وابن زيد رضى الله عنهم عشيرته الاقربون (التي تؤويه) أى
تضمه اليها عند الشدة وتدويه لانه أقرب الناس اليها وأعزهم عليها * ولما خصص عم بقوله
تعالى (ومن في الارض) أى من الثقلين وغيرهم سواء كان فيهم صديق لاصبر عنه ولا بد في كل
حال منه أم لا ثم أكد ذلك بقوله تعالى (جميعاً) وقوله تعالى (ثم نبينه) أى ذلك الافتداء عطف على
يقضى وقوله تعالى (كلاً) ردود وعز وجل لما يؤده وقال القرطبي وانما تكون بمعنى حقاً وبمعنى
لاوهى هنا تحتل الامرين فاذا كانت بمعنى حقاً كان تمام الكلام ينبغيها واذا كانت بمعنى لا كان
تمام الكلام عليها اذ ليس من عذاب الله افتداء * ولما كان الاضمار قبل الذكر لتعظيم ذلك
المضمر أشار الى أنه مستحضر في الذهن لا يغيب قال تعالى (انها) أى النار وان لم يجر لها ذكر
لدلالة لفظ عذاب عليها وقيل الضمير للقصة وقيل مهمم بفسره قوله تعالى (لظى) أى ذات الاله
الخالص المتماهى في الحرام بلهتهم تتلظى أى تتوقد فتأكل بسببه بعضها بعضاً ان لم تجد ما تأكله
وتأكل كل ما وجدته كأنها كانت وقوله تعالى (نزاعة للشوى) جمع شواء وهى جلدة الرأس
أى شديدة النزج بلود الرأس وقال في القاموس البلدان والاطراف ونحو الرأس وما
كان غيره مقلهاه وقرأ حفص بالنصب على الاختصاص والحال المؤكدة والمستقلة على ان لظى
متلظية والباقون بالرفع على انها خبر ان (تدعو من أدبر وتولى) عن الايمان تقول الى يا مشرك
الى يا فاسق ونحو هذا ثم تلتقطهم التقاط الطير للحب * ولما كانت الدنيا والآخرة ضربين
فكان الاقبال على أحدهما دالاً على الاعراض عن الاخرى قال تعالى دالاً على ادبارها بقلبه
(وجمع) أى كل ما كان منسوباً الى الدنيا (فأوحى) أى جعل ما جمعه في وعاء وكثره خرصاً وطول

أم لم يعط حق الله تعالى منه فكان همه الاعطاء لا ابتغاء ما وجب من الحق اقبالاً على الدنيا
 واعراضاً عن الآخرة وقرأ الظلي وللشوى وقولي فأوحى حزة والكسائي بالامالة مخففة وورش
 وأبو عمرو بين بين والفتح عن ورش قليل والباقون بالفتح (ان الانسان) أي الجنس عبر به لما له
 من الانس بنفسه والرؤية لحاسنها والنسيان لربه ولدينه (خلق جازعاً) أي جبل جبلة هو فيها
 بليغ الهلع وهو أخش الجزع مع شدة الحرص وقلة الصبر والشغ على المال والسرعة فيما
 لا ينبغي وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه الحريص على ما لا يحل له وروى عنه أن تفسيره ما بعده
 وهو قوله تعالى (أدامسه) أي أدنى مس (الشس) أي هذا الجنس وهو ما تطاير شره من الضرر
 (جزوعاً) أي عظيم الجزع وهو ضد الصبر بحيث يكاد صاحبه ينقذ نصعين ويتفتت (وادامسه)
 كذلك (الخبر) هذا الجنس وهو ما يلائمه فيجمعه من السعة في المال وغيره من أنواع الرزق
 (منوعاً) أي مبالغى الامسال يلزمه من الحقوق لانهم مال في حب العاجل وقصور النظر
 عليه وقوفهم المحسوس لغلبة الجود والبلادة وهذا الوصف ضد الايمان لانه نصفان شكر
 وصبر (فان قيل) حاصل هذا الكلام انه تنور عن المضار طالب للراحة وهذا هو اللائق
 بالعقل فلم ذمه الله تعالى عليه (أجيب) بأنه انما ذمه عليه لقصور نظره على الامور العاجلة
 والواجب عليه أن يكون شاكر اراضي في كل حال وقوله تعالى (الا المصلين) استثناء
 للموصوفين بالصفات الاتية من المطبوعين على الاحوال المذكورة قبل مضادة تلك الصفات
 لها من حيث انها ادالة على الاستغراق في طاعة الحق والاشفاق على الخلق والايان بالجزاء
 والخوف من العقوبة وكسر الشهوة وابتار العاجل على الآجل وتلك ناشئة عن انهم مال
 في حب العاجل وقصور النظر عما (الذين هم) أي بكلمة ضمائرهم وظواهرهم (على صلاتهم)
 أي التي هي معظم دينهم وهي النافعة لهم لا غيرهم بما أفادته الاضافة والمراد الجنس الشامل
 لجميع الانواع إلا أن معظم المقصود القرض ولذلك عبر بالاسم الدال على الثبات في قوله تعالى
 (داعئون) أي لا فتور لهم عنها ولا انفسكال لهم منها وقال عقبة بن عامر هم الذين اذا صلوا لم
 يلبثوا عينا ولا شملاً ولا دائماً الساكن ومنه نهى عن البول في الماء الدائم أي الساكن
 وقال ابن جرير والحسن هم الذين يكثر فعل التطوع منها (فان قيل) كيف قال تعالى على
 صلاتهم داعئون وقال تعالى في موضع آخر على صلواتهم يحافظون (أجيب) بأن دوامهم عليها أن
 لا يتركوها في رقت ومحافظتهم عليها ترجع الى الاهتمام بها حتى تأتي على أكمل الوجوه من
 المحافظة على شرائطها والاتبان بها في الجماعة وفي المساجد الشريفة وفي تفسير ريغ القلب عن
 الوسواس والرياء والسبعة وأن لا يلبثت عينا ولا شملاً ولا أن يكون حاضر القلب فاهماً للذكار
 مطلقاً على حكم الصلاة متعلق القلب بدخول أوقات الصلاة ولما ذكر تعالى زكاة الروح أتبعه
 زكاة عديلهما فقال تعالى ميينا للرسوخ في الوصف بالعطف بالواو (والذين في أموالهم) التي من
 الله سبحانه بها عليهم (حق معلوم) أي من الزكوات وجميع النفقات الواجبة وقال ابن عباس
 رضي الله تعالى عنه ما من أدى زكاة ماله فلا جناح عليه أن لا يتصدق (للسائل) أي الذي

يسأل (والمحسرون) أى الذى لا يسأل فيحسب غنيا فيحرم فهو يتلظى بناره فى ليله ونهاره ولا مفرغ له بعد ربه المالك لعلايته وسره الا الى افاضة مدامعه بذلة وانكسار وخذام الله تعالى حث على تفقد أرباب الضرورات من لا كسب له ومن افتقر بعد الغنى وقد كان السلف الصالح فى هذا اقص السبق حكى عن زين العابدين انه لما مات وجد فى ظهره آثار سواد كأنها السمور فحجبوا منها فقال بعد موته نسوة أرا مى كان شخص يأقى اليناليل بالقرب الماء على ظهره وأجربة الدقيق ففقدناه واحتجنا فاعلموا أنه هو وان تلك السمور من ذلك وحكى عن عمار بن الخطاب رضى الله تعالى عنهم ان شخصا رآه ماشيا فى زمن خلافته فى الليل فتبعه فجاء الى بيت نسوة أرا مى فقال أعند كنى ماء والا ملاءكنى فأعطينه جرّة فأخذها وذهب فلا هاعلى كفه وأتى بها اليهن والحكايات عنهم فى هذا كثيرة (والذين يصدقون) أى يوقعون التصديق لمن يخبرهم ويجددونه كل وقت (يوم الدين) أى الجزء الذى مامنه يوم وهو يوم القيامة الذى يقع الحساب فيه على النقيير والقمطير والتصديق به حق التصديق الاستعداد له بالأعمال الصالحة فالذين يعملون لذلك اليوم هم العمال وأما المصدقون بمجرد الاقوال فلمهم الجوبال وان أنفقوا أمثال الجبال (والذين هم) أى بجميع ضمائرهم وظواهرهم (من عذاب ربهم) أى الحسن اليهم لامن عذاب غيره فان الحسن أولى بأن يخشى ولو من قطع احسانه (مشفقون) أى خاتقون فى هذه الدار خوفا عظيما هو فى غاية الثبات من أن يعذبهم فى الآخرة وفى الدنيا وفيهم ما فهم لذلك لا يفعلون الا ما يرضيه سبحانه (ان عذاب ربهم) أى الذى هم مغمورون باحسانه وهم عارفون بأنه قادر على الانتقام ولو بقطع الاحسان (غيرهم أمون) أى لا ينبغي لاحد أن يأمنه بل يجوز أن يحل به وان بالغ فى الطاعة لان الملك مالك وهو تام الملك له أن يفعل ما شاء ومن جوز وقوع العذاب أبعد عن موجباته غاية الابعاد ولم يزل مترجحين الخوف والرجاء (والذين هم) أى يواطئهم الغالبة على ظواهرهم (لقر وجهم) أى سواء كانوا ذكورا أم اناثا (حافظون) أى حفظا ثابتا دائما عن كل ما نهى الله تعالى عنه (الاعلى أزواجهم) أى من الدرر اربعه النكاح وقدمهن لشرفهن وشرف الولد بهن ثم أتبعه قوله تعالى (أو ما ملاكت ايمانهم) أى من السرارى التى هى محل الحرث والنسل واللاى هن أقل عقلا من الرجال ولهذا عبر عما التى هى فى الأغلب لغير العقلاء وفى ذلك اشارة الى اتساع النطاق فى احتمالهن (فانهم) أى يستب اقبالهم بالفروج عليهن وازالة الحجاب من اجل ذلك (غير ملومين) أى فى الاستمتاع بهم من لائم ما كانه عليه البناء للمفعول فهم يصحبونهن التعفف وصون النفس وابتغاء الولد للتعاون على طاعة الله تعالى واستمعى فى مدحهم بنقى الوم لاقباله على تحصيل ماله من المرام (من ابتغى) أى طلب وعبر بصيغة الافعال لان ذلك لا يقع الا عن اقبال عظيم من النفس واجتهاد فى الطلب وقرأ حزمة والكسائى بالامالة محضه وقرأ ورش بالفتح وبين اللفظين والباقون بالفتح (وراء ذلك) أى شيامن هذا خارجا عن هذا الامر الذى أحله الله تعالى له والذى هو أعلى المراتب فى أمر النكاح وقضاء اللذة وأحسنها وأجلها (فأولئك) أى الذين هم

في الخفيض من الدناءة وغاية البعد عن مواطن الرحمة (هم) أي بضمايرهم وظواهرهم
 (العادون) أي المختصمون بالخروج عن الحد المأذون فيه (والذين هم لآماناتهم) أي من كل
 ما آتاهم الله تعالى عليه من حقه وحق غيره وقرأ ابن كثير بغير ألف بعد الذون على التوحيد
 والباقون بالألف على الجمع (وعهدهم) أي ما كان من الآمانات بربط وتوثيق (راعون) أي
 حافظون لهما معترفون بهما على وجه نافع غير ضار (والذين هم) أي بغاية ما يمكن من توجه
 القلوب (بشهادتهم) التي شهدوا بها أو يستشهدون بها بطلب أو غيره وتقديم المعمول إشارة
 إلى أنهم في شرط قيامهم بها وضرعاتهم لها كأنهم لا شاعل لهم سواها (قائمون) أي يتحملونها
 ويؤدونها على غاية القيام والحسن أداء من هو متبني لها واقف في انتظارها وقرأ حفص بألف
 بعد الدال على الجمع اعتبارا بتعدد الأنواع والباقون بغير ألف على التوحيد إذ المراد الجنس
 قال الواحدي والافراد أولى لأنه مصدر فيفرد كما تفرد المصادر وإن أضيف إلى الجمع كصوت
 الجير قال أكثر المفسرين يقومون بالشهادة على من كانت عليه من قريب وبعيد يقومون
 بها عند الأحكام ولا يكتفونها وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهم ما يشاهدتهم أن الله وحده
 لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله (والذين هم على صلاتهم) أي من الفرض والنفل
 (يحافظون) أي يبالغون في حفظها ويمجدونه حتى كأنهم يبادرونها للحفظ ويسابقون فيها
 فيحفظونها التحفظهم ويسابقون غيرهم في حفظها وتقدم أن المداومة غير المحافظة فدوامهم
 عليها يحافظونهم على أوقاتها وشروطها وأركانها ومسحباتها في ظواهرها وبواطنها من الخشوع
 والمراقبة وغير ذلك من خلال الإحسان التي إذا فعلوها كانت ناهية لفاعليها أن الصلاة تنهي
 عن الفحشاء والمنكر فتعمل على جميع هذه الأوامر وتتبع عن اضدادها فالدوام يرجع إلى
 نفس الصلاة والمحافظة إلى أحوالها ذكر القرطبي * ولما ذكر تعالى خلالهم أتبعه ما أعطاهم
 فقال عز من قائل مستأنفا أو متتجانسا غير فاء إشارة إلى أن رجته هي التي أوصلتهم إلى ذلك من
 غير سبب منهم في الحقيقة (أولئك) أي الذين في غاية العلو لما لهم من الأوصاف العالية
 (في جنات) أي في الدنيا والآخرة أما في الآخرة فواضح وأما في الدنيا فلا نهم لما جاهدوا فيه
 باتعاب أنفسهم في هذه الأوصاف حتى تخلقوا بها أعطاهم بمباشرتهم الذات من أنس القرب
 وحلاوة المناجاة لا يساويها شيء أصلا والجنة محل اجتماع فيه جميع الراحة والمسئلة لذات
 والسرور واتبني عنه جميع المكروهات والشورور وضدها النار وذهبهم على ذلك بقوله تعالى
 (مكرمون) معبر باسم المفعول إشارة إلى عموم الأكرام من الخالق والخلق الناطق وغيره
 لأنه سبحانه قضى بأن يعلى مقدارهم فيكرمهم بأنواع الكرامات فيساقاهم بالبشرى حين الموت
 وفي قبورهم ومن حين قيامهم من قبورهم إلى دخولهم إلى قبورهم هذا حال المؤمنين وأما حال
 الكافرين فقال الله تعالى في حقهم (فإن الذين كفروا) وقف أبو عمر على الألف بعد الميم
 والكسائي يفتح على الألف وعلى اللام ووقف الباقر على اللام وأما الابتداء فالجميع يتبدون
 أول الكلمة أي أي شيء من السعادات للذين ستروا مراعى عقولهم عن الإقرار بغير هذا

الكلام الذي هو أوضح من الشمس حال كونهم (قبلك) أي فحولك أيها الرسول الكريم وفيما
أقبل عليك (مهطعين) أي مسرعين مع مد الاعناق وادامة النظر اليك في غاية العجب من
مقالك هيئة من يسعى الى أمر لا حياة له بدونه (عن) أي متجاوزين اليك مكانا عن جهة (العين)
أي منك حيث يتيمنون به (وعن الشمال) أي منك وان كانوا يتشاءمون به وقوله تعالى (عزبن)
حال من الذين كفروا وقيل من الضعيف في مهطعين فتكون حاله متداخلة أي جماعات جماعات
وحلقا حلقا متفرقين فرقشت أفعال لا يتهاون لها أو اجتمعوا جميعا جمع عزه وأصلها عزوة لأن كل فرقة
تعتزى الى غير ما تعتزى اليه الاخرى فهم متفرقون قال الكمي

ونحن وجندل باغ تركنا * كتاب جندل شتى عزينا

وجمع غرة جمع سلامة شذوذا وقيل كان المستهزؤون خمسة أروط روى ان المشركين كانوا
يحتجون حول النبي صلى الله عليه وسلم يستمعون كلامه ويستهزؤون به ويكذبونه ويقولون ان
دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد فندخلها قبلهم فرد الله تعالى عليهم بقوله عز من قائل (أيطمع)
أي هؤلاء البعداء البغضاء وعبر بالطمع اشارة الى أنهم بلغوا الغاية في السفه لكونهم طلبوا أعز
الاشياء من غير سبب تعاطوله ولما كان ايمانهم على هيئة التفرق من غير انتظار جماعة
لجماعة قال تعالى (كل امرئ منهم) أي على انفراد (أن يدخل) أي وهو كافر من غير ايمان
بزيك كما يدخل المسلم فيستوى المسمى والمحسن (جنة نعيم) أي لاشئ فيها غير النعيم وقوله تعالى
(كلا) ردع لهم عن طمعهم ودخولهم الجنة أي لا يكون ما طمعوا فيه أصلا لان ذلك عن فارغ
لا سبب له بما دل عليه التعبير بالطمع دون الرجاء ثم علل ذلك بقوله تعالى (انا خلقناهم) أي
بالقدرة التي لا يقدر أحد أن يقاومها (مما يعلمون) أي انهم يعلمون أنهم مخلوقون من نطفة ثم من
علقة ثم من مضغة كما خلق سائر جنسهم فليس لهم فضل يستوجبون به الجنة وانما تستوجب
بالايمان والعمل الصالح ورحمة الله تعالى وقيل كانوا يستهزؤون بفقراء المسلمين ويتكبرون عليهم
فقال تعالى انا خلقناهم مما يعلمون أي من القدر وهو منصفهم الذي لا منصف أو وضع منه ولذلك
أبهم وأخفى اشعارا بأنه منصف يستحيان ذكره فلا يليق بهم هذا التكبر ويدعون التقدم
ويقولون ندخل الجنة قبلهم قال قتادة في هذه الآية انما خلقت يا ابن آدم من قدر فأتى الله
وروى ان مطرق بن عبد الله بن الشخير رأى المهلب بن أبي صفرة يتجتر في مطرف خروجة تخر
فقال له يا عبد الله ما هذه المشية التي يبغضها الله تعالى فقال له أتعرفني قال نعم أولك نطفة من ذرة
وأخرك جيفة من ذرة وانت فيما بين ذلك تحمل العذرة فغضى المهلب وترك مشيته * (فائدة) *
قال ابن عربي في الفتوحات خلق الله الناس على أربعة أقسام قسم لامن ذكر ولامن أنثى وهو
آدم عليه السلام وقسم من ذكر فقط وهو حواء وقسم من أنثى فقط وهو عيسى عليه السلام
وقسم من ذكر وأنثى وهو بقية الناس (فلا) زيدت فيه لا (أقسم برب) أي سيد ومبدع ومدبر
(المشارق) أي التي تشرق الشمس والقمر والكواكب السارة كل يوم في موضع منها على
المنهاج الذي دبره والطريق والقانون الذي أتقنه وسخره ستة أشهر صاعدة وستة أشهر هابطة

(والمغارب) كذلك وهي التي ينشأ عنها الليل والنهار والقصول الاربعة فكان بهم اصلاح العالم
بعرفة الحساب واصلاح المآكل والمشارب وغير ذلك من المآرب فيوجد كل من الملوك
بعد ان لم يكن والنبات من النجم والشجر كذلك عادة مستقرة دالة على انه تعالى قادر على الابداد
والاعداد لكل ما يريد كما يريد من غير كلفة كما قال تعالى (انا) أي على ما لنا من العظمة
(لقادرون على ان نبذل) أي تبديلا عظيما لنا من الجلالة عوضا عنهم (خيرناهم) أي
بالخلق أو بتحويل الوصف فيكونون أشد بطشا في الدنيا وأكثر أموا والأولاد وأعلى قدرا
وأكثر شجما وجاها وخدماء فيكونون عندك على قلب واحد في سماع قولك وتوقيرك وتعظيمك
والسعي في كل ما يشرح صدرك بدل ما يعمل هؤلاء من الهز والتصفيق والصغير وكل ما يضيّق به
صدرك وقد فعل ذلك سبحانه بالمهاجرين والانصار والتابعين لهم بإحسان بالسعة في الرزق بأخذ
أموال الجبارين من كسرى وقيصر والتمكين في الارض حتى كانوا ملوك الدنيا مع العمل بما
يوجب لهم ملك الآخرة ففرجوا الكرب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبذلوا في مرضاته
الانفس والاموال (وما نحن بمسبوقين) أي لا يقوتنا شيء ولا يجزنا أمر يريد بوجه من الوجوه
(فذرهم) أي اتركهم ولعل على أسوأ أحوالهم (يخوضوا) أي في باطلهم من مقالهم وفعالهم
(ويلعبوا) أي يفتعلوا في دنياهم فعل اللاعبين الذي لا فائدة لفعلة الاضياع الزمان واشتغل
أنت بما أمرت به (حتى يلاقوا) أي يلقوا (يومهم الذي يوعدون) وهو يوم كشف الغطاء
الذي أول مجيئه عند الغرغرة وتناهي النفخة الثانية ودخول كل من الفريقين في داره ومحل
استقراره وهذه الآية منسوخة بآية السيف كما قاله البقاعي وابن عادل وقوله تعالى (يوم
يخرجون) يجوز أن يكون بدلا من يومهم أو منصوبا بإضمار أعني (من الاجداث) أي القبور
التي صاروا بتغييبهم فيها تحت وقع الحوافر والخف فهم بحيث لا يدفعون شيئا يفعل بهم بل هم كلهم
في فم ماضع فإن الحديث القبر والجدنة صوت الحافر والخف ومضغ اللحم وقوله تعالى (سراعا)
أي نحو صوت الداعي ذاهبين الى المحشر حال من فاعل يخرجون جمع سريع كظراف في ظريف
وقرأ قوله تعالى (كانهم الى نصب) ابن عامر وحفص يضم النون والصادو السابق بفتح النون
واسكان الصاد على أنه مصدر بمعنى المفعول كما تقول هذا نصب عيني وضرب الأمير والنصب كل
ما نصب فعبه من دون الله (يوفضون) أي يسرعون الى الداعي مستبقيين كما كانوا يستبقون الى
أنصابهم وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهم ما الى نصب أي الى غاية وهي التي ينصب اليها
بصره وقال الكلبى هو شيء منصوب علم أو راية وقال الحسن كانوا يتدرون اذا طلعت
الشمس الى نصبهم التي كانوا يعبدونها من دون الله تعالى لا يلوي أولهم على آخرهم وقوله تعالى
(خاشعة) حال امامن فاعل يوفضون وهو أقرب أو من فاعل يخرجون وفيه بعد منه وفيه تعدد
الحال الذي حال واحدة وفيه الخلاف المشهور وقوله تعالى (أبصارهم) فاعل والمعنى ذليلة
خاضعة لا يرفعونها لما يتوقعونه من عذاب الله تعالى (ترهقهم) أي تغشاهم فتعهمهم وتحمل
عليهم فتكفهم كل عسر وضيق على وجه الاسراع عليهم (ذلة) أي ضما كانوا عليه في الدنيا

لان من تعز في الدنيا على الحق ذل في الآخرة ومن ذل الحق في الدنيا عز في الآخرة (ذلك) أي
 الامر الذي هو في غاية ما يكون من علو الرتبة في العظمة (اليوم الذي كانوا يعدون) أي
 يعدون في الدنيا ان لهم فيه العذاب وأخرج الخبر بلفظ الماضي لان ما وعد الله تعالى به فهو
 حق كائن للاحالة وهذا هو العذاب الذي سألو عنه اقول السورة فقد رجع آخرها على أولها
 وما قاله البيضاءي تبعاً للزخشرى من أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة سأل سائل
 أعطاه الله تعالى ثواب الذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون حديث موضوع

﴿سورة نوح عليه السلام مكية﴾

وهي سبع وعشرون آية ومائتان وأربع وعشرون كلمة وتسعمائة وتسعة وعشرون حرفاً

(بسم الله) ذي الجلال والاكرام (الرحمن) الذي عظم ما أفاضه من ظاهرا الانعام (الرحيم)
 الذي حفظ أوليائه من الابتداء الى الختام ولما ختمت سأل بالانذار للكفار وكنوا عبادا وثان
 بعذاب الدنيا والآخرة أتبعها أعظم عذاب كان في الدنيا على تكذيب الرسل بقصة نوح عليه
 السلام فقال تعالى (انا) أي بما لنا من العظمة البالغة (أرسلنا نوحا الى قومه) أي الذين كانوا
 في غاية القوة على القيام بما يحاولونه وهم يصدون أن يجيبوه ويكرموه لما بينهم من القرب بالنسب
 واللسان وكانوا جميع أهل الارض من الأدميين روى قتادة عن ابن عباس رضى الله تعالى
 عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أول نبي أرسل نوح عليه السلام وأرسل الى جميع أهل
 الارض ولذلك لما كفروا أغرق الله تعالى أهل الارض جميعا وهو نوح بن ملك بن ميثوش بن
 أخنوخ وهو ادريس بن يرد بن مهلايل بن أنوش بن قينان بن شيث بن آدم عليه السلام قال
 وهب وكل مؤمنون أرسل الى قومه وهو ابن خمسين سنة وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهم
 وهو ابن أربعين سنة وقال عبد الله بن شداد بعث وهو ابن ثلثمائة وخمسين سنة ويجوز في قوله
 تعالى (ان أنذر) أي حذر وتحذير اعظيما (قومك) أي الاستقرار على الكفر أن تكون أن مفسرة
 فلا يكون لها موضع من الاعراب لان في الارسل معنى الامر فلا حاجة الى اضمار ويجوز أن
 تكون المصدرية أي أرسلناه بالانذار قال الزخشرى والمعنى أرسلناه بأن قلنا له أنذر قومك
 أي أرسلناه بالامر بالانذار اه وهذا الذي قدره جواب عن سؤال وهو أن قولهم ان أن
 المصدرية يجوز أن توصل بالامر مشكل لانه ينسب منها ومما بعدهما مصدر وحينئذ تفقوت
 الدلالة على الامر ألا ترى أنك اذا قدرت كتبت اليه بأن قم كتبت اليه القيام تفوت الدلالة على
 الامر حال التصريح بالمصدر فينبغي أن يقدر كما قاله الزخشرى أي كتبت اليه بأن قلت له قم
 أي كتبت اليه بالامر بالقيام وقال القرطبي أي بأن أنذر قومك (من قبل أن يأتهم) أي على
 ما هم عليه من الاعمال الخبيثة (عذاب أليم) أي عذاب الآخرة والطوفان (قال) أي نوح عليه
 السلام (يا قوم) فاستعطفهم بتذكيرهم انه أحدهم بهم ما هم مهم (أتى لكم نذير) أي ما بلغ
 في انذاركم (مبين) أي أمرى بين في نفسه بحيث انه صار في شدة وضوحه كأنه مظهر لما يتضمنه

مناد بذلك للتريب والبعيد والظن والغنى ويجوز في قوله تعالى (أن اعبدوا الله) أى الملك
الاعظم الذى له جميع الكمال أن تكون أن تفسيرية لنذير وأن تكون مصدرة والكلام
فيها كما تقدم في آخرها وقرأ أبو عمرو وعاصم وحجة في الوصل بكسر النون والباقيون بالضم
والمعنى وحدوا الله (واتقوه) أى اجعلوا بينكم وبين غضبه وقاية تمنعكم من عذابه بالانتهاء عن
كل ما يكرهه فلا تحرر كواحدة ولا تسكنوا سكنة الا في طاعته وهذا هو العمل الواقي من كل سوء
(وأطيعون) أى لا عرفكم ما تقصص عنه عقولكم من صفات معبودكم ودينكم ودنياكم ومعادكم
وأدلكم على اجتناب آداب تهديكم واجتناب شبهة تزييكم في طاعتي فلا تحكم برضا الملك
عنكم وقوله (يغفر لكم) جواب الامر وفي من في قوله (من ذنوبكم) أوجه أحدها أنها
تعميضة الثاني أنها الابتداء الغاية الثالث أنها مزيدة قال ابن عطية وهو مذهب كوفي ورز
بأن مذهبهم ليس ذلك لأنهم يشترطون تنكير مجرورها ولا يشترطون غيره ولا خفض لا يشترط
شأن فالقول بزيادتها ما شاع على قوله لا على قولهم قاله القرطبي وقيل لا يصح كونها زائدة
لأن من لا تراد في الموجب وانما هي هنا للتبعيض وهو بعض الذنوب وهو ما لا يتعلق بمقوق
المخلوقين (ويؤخركم) أى بلا عذاب تأخيراً ينفعكم (الى أجل مسمى) أى قد سماه الله تعالى
وعلمه قبل ايجادكم فلا يزال فيه ولا ينقص منه فيكون موتكم على العادة أو يأخذكم جميعاً
فالأمر كله اقد قدرت وفرغ من ضبطها الاحاطة العلم والقدرة فلا يزال فيها ولا ينقص انعلم أن
الارسل انما هو مظهر لما قدره في الازل ولا يظن أنه قال للايمان بتغيير ما سبق به القضاء من
الطاعة والعصيان وقرأ ويؤخركم ولا يؤخر ورش بابدال الهزة واو وقفا ووصلا وحزة في الوقت
دون الوصل والباقيون بالهمز (ان أجل الله) أى الذى له الكمال كله فلا راد لامره (اذا جاء
لا يؤخر) أى اذا جاء الموت لا يؤخر بعذاب كان أو بغير عذاب وأضاف الاجل اليه سبحانه لانه
الذى أثبتة وقد يضاف الى القوم كقوله تعالى اذا جاء أجلهم لانه مضروب لهم (لو كنتم تعلمون)
أى لو كنتم من أهل العلم والنظر لعلمت ذلك ولكنهم لم ينه ما كنهم في حب الدنيا كانهم شاكون
في الموت * ولما كان عليه السلام أطول الانبياء عمرا وكان قد طال نفعهم لهم ولم يزدادوا
الاطمئنانا وكفرا (قال) مناديا لمن أرسله لانه تحقق أن لا قريب منه غيره (رب) أى يا سيدي
وخالقي (أتى دعوت) أى أوقعت الدعاء الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة (قوى) أى الذين هم
جديرون بالاجابة لمعرفتهم بقرينهم منى وفيهم قوة المحاولات لما يريدون (ليلا ونهارا) أى دائما
متصلا لا أفرغ من ذلك وقيل معناه سرا وجهرا (فلم يزد دعائى) أى شيأ من أحوالهم التي كانوا
عليها (الافرارا) أى بعدا واعراضا عن الايمان كانهم حرم مستقرة استثناء مفرغ وهو مفعول
ثان وقرأ عاصم وحجة والسكاني بسكون الياء والباقيون بفتحها ووههم على مراتبهم في المذ
(وانى كلما) أى على تكرار الاوقات وتعاقب الساعات (دعوتهم) أى الى الاقبال اليك بالايمان
بك والاخلاص لك (لتغفر لهم) أى ليؤمنوا فتعجزوا فطرأقه في حقك فافترطوا الاجل
في التجاوز في الحد نحو وبالغافلا يبق لشي من ذلك عين ولا أثر حتى لا تعاقبهم عليه ولا تعاتبهم

(جعلوا أصابعهم) كراهة منهم واحتقار للداعي (في آذانهم) حقيقة لئلا يسمعو الدعاء إشارة
الى أنا لا نريد أن نسمع ذلك منك فإن آيت الا الدعاء فانا لا نسمع لسد أسماعنا ودل على الافراط
في كراهة الدعاء بما ترجم عنه قوله (واستغشوا ثيابهم) أى أوجدوا التغطية لرؤسهم بثيابهم لئلا
يصبروه كراهة للنظر الى وجهه من ينصحبهم في دين الله تعالى وهكذا حال النصحاء مع من ينصحبونه
دائماً (وأصروا) أى اكبو على الكفر وعلى المعاصي من أصر الحمار على العانة وهى القطيع
من الوحش اذا صرأ ذنبه وأقبل عليها يكدمها ويطردها (واستكبروا) أى أوجدوا الكبر
طالعين له راغبين فيه وأكذلك بقوله (استكبراً) تنبيهها على أن فعلهم منابذ للحكمة وقد أفادت
هذه الآيات بالصريح في غير موضع أنهم عضواً فوجا عليه السلام وخالفوه مخالفة لا أقبح منها
ظاهراً بتعطيل الاسماع والابصار وباطناً بالاصرار والاستكبار (ثم انى دعوتهم جهاراً) أى
معلنين بالدعاء قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما بأعلى صوتي (ثم انى أعلنت لهم) أى كررت لهم
الدعاء معلناً وقرأ نافع وابن كثير يفتح الباء والباقون بسكونها (وأسررت لهم اسراراً) قال
ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يريد الرجل بعد الرجل أكله سرايى وبينه وأدعوه الى عبادتك
وتوحيدك (فقلت) أى فى دعائى لهم (استغفروا ربكم) أى اطلبوا من المحسن اليكم المبدع
لكم المدبر الامور كم أن يحوذونكم أعيانها وأثارها بأن تؤمنوا بالله وتيقوه (انه كان) أى
أزلاً وأبداً اسمرمداً (غفاراً) أى متصفاً بصفة الستر على من رجع اليه (يرسل السماء)
أى المظلة لان المطر منها ويجوز أن يراد السحاب والمطر (عليكم مدراراً) ويمدكم بأموال وبين
أى ويكثر أموالكم وأولادكم وذلك أن قوم نوح عليه السلام لما كذبوه زماناً طويلاً حبس الله
تعالى عنهم المطر وعقم أرحام نسائهم أربعين سنة فهلكت أموالهم ومواسيهم فقال لهم نوح
استغفروا ربكم من الشرك أى استدعوه المغفرة بالتوحيد يرسل السماء عليكم مدراراً روى
الشعبي أن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما خرج يستسقي بالناس فلم يزد على الاستغفار فلما
نزل قيل يا أمير المؤمنين ما رأيناك استسقيت فقال لقد طلبت الغيث بخارج السماء التى بها
يستنزّل القطر ثم قرأ هذه الآية شبه الاستغفار بالانواء الصادقة التى لا تخطئ وعن الحسن أن
رجلاً شكوا اليه الجذب فقال استغفر الله وشكوا اليه آخر الفقر وآخر قلة النسل وآخر قلة ربيع
أرضه فأمرهم كلهم بالاستغفار فقال له الربيع بن صبيح أنك رجل يشكون أبواً وبساً لون
أنواعاً أمرتهم كلهم بالاستغفار فتلا الآية وقال القشيري من وقعت له حاجة الى الله تعالى
فلن يعمل الى مراده الا بتقديم الاستغفار وقال ان عمل قوم نوح كان بضد ذلك كلما ازداد نوح
عليه السلام فى الضمان ووجوه الخير والاجسان ازدادوا فى الكفر والتسيان (ويجعل لكم)
أى فى الدارين (جنات) أى بساتين عظيمة وأعاد العامل للتأكيد فقال (ويجعل لكم أنهاراً)
أى يخصكم بذلك عن لم يفعل ذلك فأن من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً ومن كل
ضيق خجراً وقال تعالى ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض
وقال تعالى ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من نبيهم لا كانوا من فوقهم

ومن تحت أرجلهم وقال تعالى وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا (مالكم لا ترجون لله) أي الملك الذي له الأمر كله (وقارا) أي مالكم لا تأملون له توقيرا أي تغفلوا والمعنى مالكم لا تكونون على حال تأملون فيها تعظيم الله أي كم في دار الثواب والله يبين للموقر ولو أنتم لكان صله الوفاقان بالمعرفة تزكو الأعمال وتصلح الأقوال انما سبق أبو بكر رضي الله عنه بشئ وقر في صدره وانما يصح تعظيمه سبحانه بأن لا ترى لك عليه حقا ولا تنازع له اختيارا وتعظيم أمره ونهيه بعدم المعارضة (وقد) أي والحال أنه قد أحسن اليكم مرة بعد مرة بما لا يقدر عليه غيره فدل ذلك على تمام قدرته ثم يقطع احسانه عنكم فاستحق أن تؤمنوا به لانه هل جزاء الاحسان الا الاحسان ورجاء له ودام احسانه وخوفان قطعه لانه (خلقكم) أي أوجدكم من العدم مقدرين (أطوارا) أي نارات عناصر وألا ثم مركبات تغذي الحيوانات ثم اخلاطاتهم نطقا ثم علقا ثم مضغاثهم عظاما ولحوما وأعصابا ودماء ثم خلقا آخر تاما ناطقا ذكرا واناثا إلى غير ذلك من الامور الدالة على قدرته على كل مقدور ومن قدر على هذا ابتداء كان على الاعادة أعظم قدرة (ألم تروا) أي أيها القوم (كيف خلق الله) أي الذي له العلم التام والقدرة البالغة والعظمة الكاملة (سبع سموات) هن في غاية العلو والسعة والاحكام والزينة (طباقا) أي متطابقة بعضها فوق بعض وكل واحدة في التي تليها محيطة بها امالها من فروع ولا يكون تمام المطابقة كذلك الا بالاحاطة من كل جانب (وجعل القمر) أي الذي ترويه (في من نورا) أي لامعا منتشرا كاشفا للمرييات أحد وجهيه بمعنى لاهل الارض والثاني لاهل السموات قال الحسن يعني في السماء الدنيا كما تقول آتيت بنى فلان وانما آتيت بعضهم وفلان متوار في دور بنى فلان وهو في دار واحدة وبدأ به لقربه وسرعة حركته وقطعه جميع البروج في كل شهر وغيبوبته في بعض الليالي ثم ظهوره وذلك أعجب في القدرة ولما كان نوره مستفادا من نور الشمس قال تعالى (وجعل) أي فيها (الشمس) أي في السماء الرابعة (سراجا) أي نورا عظيما كاشفا الظلمة الليل عن وجه الارض وهي في السماء الرابعة كما مر وقيل في الخامسة وقيل في السادسة في الرابعة وفي الصيف في السابعة روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وابن عمر أن الشمس والقمر وجوههما على السواء واقفيتهما إلى الارض وجعلهما ساجداه آية على رؤية عباده المؤمنين في الجنة (والله) أي الملك الاعظم الذي له الأمر كله (أنبتكم) أي بخلق أبيكم آدم عليه السلام (من الارض) أي كما ينبت الزرع وغيره بذلك تذكيرا للناس بأنهم من خلق أئبنا آدم عليه السلام لانه أدل على الحدوث والتكون من الارض (نباتا) أي أنشأكم منها انشاء فاستعير الانبات لانه أدل على الحدوث والتكون وأصله أنبتكم فنبهت نباتا فاختصر اكتفاء بالدلالة الالتزامية (ثم يعيدكم) على التدريج (فيها) أي الارض بالموت والاقبار وان طالت الاجال (ويخرجكم) أي منها بالاعادة وكذا المصدر الجاري على الفعل اشارة إلى شدة العناية به وتحتم وقوعه لانكارهم له فقال تعالى (أخرجا) أي غير ياليس هو كما تعلمون بل تكونون به في غاية ما يكون من الحياة الباقية تلبس أرواحكم بها أجسامكم ملازمة

لا انفصال بعد هذا الحكم من الآخر (والله) أي المستجمع لجميع الجلال والأكرام (جعل لكم) أي نعمة عليكم اهتماماً بأمركم (الأرض بساطاً) أي سهل عليكم التصرف فيها والتقلب عليها مولة التصرف في البساط ثم على ذلك بقوله تعالى (لتسلكوا) أي تتخذون (منها) أي الأرض مجددين ذلك (سبلاً) أي طرقاً واضحة مسلوكة بكثرة (تجافاً) أي ذوات اتساع اتوصلوا إلى البلاد الشاسعة براً وبحراً فيعم الاتساع بجميع البقاع فالذي قدر على احداثكم وأقدركم على التصرف في أصلكم مع ضعفكم فأدر على اخراجكم من أجدانكم التي لم تزل طوعاً أمراً ومحل عظمته وقهره * ولما أكثر وامن نوح عليه السلام الجدال ونسبوه إلى الضلال وقابلوه بأشنع الأقوال والأفعال (قال نوح) أي بعد رفقته بهم ولينهم لهم (رب) أي أيها المحسن إلى المدبر المتولي لجميع أمري (انهم) أي قومي الذين دعوتهم إلى الهدى مع صبري عليهم ألف سنة الا حسن عاماً (عصوني) أي فيما أمرتهم به ودعوتهم إليه فأبوا أن يجيبوا دعوتي وشروا عني أشد شراً ودخالفوني أقبح مخالفة (وأتبعوا) أي بغاية جهدهم نظراً إلى المظنون العاجل (من) أي رؤساءهم البطرين بأموالهم المغترين بولادتهم وفسرهم بقوله تعالى (لم يزد) أي شيئاً من الأشياء (ماله) أي كثرته (وولده) كذلك (الاخساراً) أي بالبعد من الله تعالى في الدنيا والآخرة وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بفتح الواوين واللام والباقيون بضم الواو والثانية واسكان اللام (ومكروا) أي هؤلاء الرؤساء في تغيير الناس عني (مكراً) وزاده تأكيدها بصيغة هي النهاية في المبالغة بقوله (كباراً) فإنه أبلغ من كبار المخفف الابلغ من كبير واختلافوا في معنى مكروهم فقال ابن عباس قالوا قولا عظيماً وقال الضمك اقترعوا على الله تعالى وكذبوا رسوله وقبل منع الرؤساء أتباعهم عن الايمان بنوح عليه السلام فلم يدعوا أحداً منهم بذلك المكبر يتبعه وحشوههم على قتله (وقالوا) أي لهم (لا تذرني) أي تتركني (ألهتمكم) أي عبادتهم على حالة من الحالات لا قيحة ولا حسنة وأضافوها إليهم تحبيبا فيها ثم خصوا بالتسمية زيادة في الحث وتصر يحاب المقصود فقالوا مكتررين اليقين والعامل تأكيدها (ولا تذرني ودّاً) قرأ نافع بضم الواو والباقيون بفتحها وأنشدوا بالوجهين قول الشاعر
حيال وود من هذا القيت * وحرص بأعلى ذي فضالة مسجد

وقال القرطبي قال الليث ودّاً بفتح الواو صم كان لقوم نوح ودّاً بالضم صم لقريش وبه سمي عمرو بن ود وفي الصحاح والود بالفتح الود في لغة أهل نجد كانوا سكنوا الماء وأدغموها في الدال هم ثم أعادوا النفي تأكيدها فقالوا (ولاسواها) وأكادوا هذا التأكيدها وأبلغوا فيه فقالوا (ولا يغوث) * ولما بلغ التأكيدها به وعلم ان القصد النهي عن كل فرد فرد لا عن المجموع تركوا التأكيدها في قولهم (ويغوث ونسبر) للعلم بإرادته واختلاف المفسرون في هذه الأسماء فقال ابن عباس وغيره هي أصنام وصور كان قوم نوح يعبدونها ثم عبادتها العرب وهذا قول الجمهور وقيل انها العرب لم يعبدوها غيرهم وكانت أكبر أصنامهم وأعظمها عندهم فذلك خصوصاً بالذكور بعد قولهم لا تذرني آلهتمكم وقال عروة بن الزبير اشتكى آدم عليه السلام وعنده

بنوه و سواع و يغوث و يعوق و نسر و كان و ذاك كبرهم و أبرهم به قال محمد بن كعب
 كان لا دم عليه السلام خمسة بنين و دوسواع و يغوث و يعوق و نسر و كانوا عبادا لثلاث رجل
 منهم غزنوا عليه فقال الشيطان أنا أصور لكم مثله اذا نظرت اليه ذكرتموه قالوا ان فعل فصوره
 في المسجد من مفرور رصاص ثم مات آخر فصوره حتى ماتوا كلهم و صورهم و تناقصت الاشياء
 كما تناقصت اليوم الى أن تركوا عبادة الله تعالى بعد حين فقال لهم الشيطان ما لكم لا تعبدون
 شيئا قالوا ما نعبد قال أللهتمكم و آلهة آباءكم ألا ترون أنهم في مصلاكم فعبدوهم و ما من دون الله
 تعالى حتى بعث الله نوحا عليه السلام فقالوا لا تذرنا أللهتمكم و لا تذرنا و ذوالا سواعا الآية
 وقال محمد بن كعب أيضا و محمد بن قيس بل كانوا قوما صالحين بين آدم و نوح عليه ما السلام و كان
 لهم أتباع يقتدون بهم فلما ماتوا زين لهم ابليس أن يصوروا صورهم يستذكروا بها الاجتهادهم
 وليتسألوا بالنظر اليها فصوروهم فلما ماتوا جاء آخرون فقالوا ليت شعري ما هذه الصور التي كان
 يعبدونها آباؤنا فجاءهم الشيطان فقال كان آباؤكم يعبدونهم فافترحهم و تسعهم المظرف عبودها
 فابتدئ عبادة الاوثان من ذلك الوقت و بهذا المعنى قسر ما جاء في الصحيحين من حديث عائشة
 أن أم حبيبة و أم سلمة ذكرا كنيسة رأيتها بأرض الحبشة تسمى مارية فيها تصاوير لرسول
 الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أولئك كانوا اذا مات منهم
 الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا ثم صوروا فيه تلك الصورة أولئك شرار الخلق عند الله يوم
 القيامة و روى عن ابن عباس أن نوحا عليه السلام كان يحرس جسد آدم عليه السلام على
 جبل الهند فيمنع الكافرين أن يطوفوا بقبره فقال لهم الشيطان ان هؤلاء يفتخرون عليكم
 و يزعمون أنهم بنو آدم دونكم و انما هو جسد و أنا أصور لكم مثله تطوفون به فصور لهم هذه
 الاصنام الخمسة و جعلهم على عبادتها فلما كان أيام الطوفان دفنها الطين و التراب و الماء فلم تزل
 مدفونة حتى أخرجها الشيطان لمشركي العرب و كان للعرب أصنام آخر فاللات كانت لتقديد
 و اساف و نائلة و هبل كانت لاهل مكة و كان اساف حمال الحجر الاسود و نائلة حمال الزكن
 اليماني و كان هبل في جوف الكعبة و قال الماوردي أما ردقها و أول صمغ معبود فسعى و ذاك
 لودهم له و كان بعد قوم نوح لكليب بدومة الجندل في قول ابن عباس و عطاء و أما سواع فكان
 له ذيل بساحل البحر في قولهم و قال الرازي و سواع له مدان و أمانيوث فكان لغطيف
 من مراد بالحرف من سباني قول قتادة و قال المهدي مراد ثم لغطفان و قال أبو عثمان
 الهندي رأيت يغوث و كان من رصاص و كانوا يحملونه على جبل أجرد و يسيرونه معهم
 و لا ينيخونه حتى يبرئ بنفسه فاذا برئ نزلوا و قالوا قدر فيكم المتزل و أمانيوث فكان لهم مدان
 و قيل مراد و أما نسر فكان لذي الكلاع من جبر في قول قتادة و مقاتل و قال الواقدى كان
 و د على صورة رجل و سواع على صورة امرأة و يغوث على صورة أسد و يعوق على صورة فرس
 و نسر على صورة نسر من الطير قال البقاعي و لا يعارض هذا أنهم صور لناس صالحين لأن
 تصويرهم لهم يمكن أن يكون منتزعا من معانيهم فكان ذلك الكمال في الرجولية و كان سواع امرأة

كاملة في العبادات وكان يغوث شجاعا وكان يعوق سابقا قويا وكان نسر عظيم اطويل العمر اه
 ولما ذكروهم مكرهم ومما أظهر وأمن قواهم عطف عليه ما توقع السامع من أمرهم فقال تعالى
 (وقد أضلوا) أي الرؤساء أو الأوصياء وجعهم جمع العقلاء معاملة لهم معاملة العقلاء كقوله
 رب انهم أضلنا (كثيرا) من عبادة الذين خلقتهم على الفطرة السليمة من أهل زمانهم وعن أي
 بعدهم فانهم أول من سن هذه السنة السيئة فعلمهم وزرعا ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة
 وقول نوح عليه السلام (ولا تزد الظالمين) أي الراسخين في الوصف الموجب للنار (الأضلالا)
 أي طبع على قلوبهم حتى يعموا عن الحق عطف على قد أضلوا دعاهم عليهم بعد ما علم الله تعالى
 أنهم لا يؤمنون بقوله تعالى انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن وكذلك دعاهم موسى وهرون
 عليهما السلام في الشدة على قلوب فرعون وملائته لئلا يؤمنوا في حال ينفعهم فيه وما في قوله تعالى
 (بما خطاياهم) أي من أجل خطياتهم من زيادة للتأكيدهم والتفخيم وقرأ أبو عمرو وبفتح الطاء
 وبعدها ألف وبعدها الألف يا وبعدها الألف وضم الهاء على وزن قضاياهم والباءون بكسر الباء
 وبعدها ياء تحتية ساكنة وبعدها الألف همزة مفتوحة بعدها ألف وبعدها الألف تاء فوقية مكسورة
 وكسر الباء على وزن قضياتهم (أعرقوا) أي بالاطوفان طاف عليهم جميع الأرض السهل
 والجبل فلم يبق منهم أحد وكذا الكلام فيما نسب عنه وتعقبه في قوله (فأدخلوا) في الآخرة
 التي أولها البرزخ يعرضون فيه على النار بكرة وعشيا (نارا) أي عظيمة جدا أخفها ما يكون
 من مباديها في البرزخ قال الملوك عذبوا في الدنيا بالغرق وفي الآخرة بالحرق وقال الضحاک
 في حالة واحدة كانوا يغرقون من جانب ويحترقون في الماء من جانب بقدره الله تعالى (فلم يجدوا
 لهم) أي عندما أناخ الله بهم سطوته وأجل بهم نعمته (من دون الله) أي الملك الأعظم الذي
 تضمحل المراتب تحت رتبة عظيمته ونزل لعزده وجليل سطوته (أنصارا) تنصرهم على من أراد
 بهم ذلك ليعنفوه مما أراد سبحانه من اغراقهم من غير أن يتخلف منهم أحد على كثرتهم وقوتهم
 لكونهم أعداء وانجاء نبيه عليه السلام ومن آمن معه على ضعفهم وقلة لم ينقدهم منهم أحد
 لكونهم أولياءه كما أنه لم يسلم من أراد اغراقهم أحد على كثرتهم وقوتهم قال البهاسمي في قال
 عن عوج ما قوله القصاص فهو ضلال أشد ضلال قال وقال ذلك هو ابن عربي صاحب
 الفصوص الذي لم يرد بتصنيفه الا هدم الشريعة وزاد في الخط عليه وعلى ابن الفارض وعلى
 الحلاج وعلى من شابههم وأمر هؤلاء إلى الله تعالى فانه العالم بحقائق الامور وما تخفى الصدور
 (وقال نوح) وأسقط الاداة كما هو عادة أهل الحضرة فقال (رب لا تذر) أي لا تترك (على الأرض)
 أي كلها (من الكافرين) أي الراسخين في الكفر (ديارا) أي أحدا يدور فيه او هو من ألقاظ
 العموم التي تستعمل في النفي فيعال من الدور والدار لافعال والالكان دوارا قال قتادة
 دعاهم بعد أن أوحى الله تعالى اليه أنه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فأجاب الله تعالى
 دعوته وأغرق أمتيه وهذا كقول النبي صلى الله عليه وسلم اللهم منزل الكتاب وهازم الأحزاب
 اهزمهم وزلزلهم وقيل سبب دعائه ان رجلا من قومه حمل ولدا صغيرا على كتفه فزبح

عليه السلام فقال احذر هذا فانه يضلك فقال يا ابت أنزاني فأثر له قرماه فشحبه فحينئذ غضب
ودعا عليهم (فان قيل) ما فعل صبيانهم حين أغرقوا (أجيب) بأنهم أغرقوا معهم لاعلى وجه
العقاب ولكن كما يعنون بالانواع من أسباب الموت وكمنهم من يموت بالغرق والحرق وكان
ذلك زيادة في عذاب الآباء والامتهات اذا أبصروا أطفالهم يغرقون ومنه قوله صلى الله عليه
وسلم يهلكون مهلكا واحدا ويصدرون مصادرشى وعن الحسن أنه سئل عن ذلك فقال علم
الله تعالى براءتهم فأهلكهم بغير عذاب وقال محمد بن كعب ومقاتل انما قال هذا حين أخرج
الله تعالى كل مؤمن من أصلابهم وأرحام نسائهم وأعقم أرحام أمهاتهم وأيس أصلاب
رحالهم قبل العذاب بأربعين سنة وقيل بسبعين سنة فأخبر الله تعالى نوحا عليه السلام انهم
لا يؤمنون ولا يلدون مؤمنا كما قال تعالى انه لن يؤمن من قومك الا من قدام فحينئذ
دعا عليهم فأجاب الله تعالى دعاه فأهلكهم كلهم ولم يكن فيهم صبي وقت العذاب لان الله تعالى
قال وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم ولم يوجد الكذيب من الاطفال وقال ابن عربى
دعا نوح عليه السلام على الكافرين أبجعين ودعا النبي صلى الله عليه وسلم على من تحزب على
المؤمنين وكفى بهذا أصلا في الدعاء على الكافرين في الجملة وأما كافر معين لم تعلم خاتمه
فلا يدعى عليه لان ما له عندنا مجهول وربما كان عند الله معلوم الخاتمة بالعادة وانما نحن
النبي صلى الله عليه وسلم عنة وشيبة وأصحابه لعلمهم بهم وما كشف الله لهم من الغطاء عن حالهم
* ولما كان الرسل عليهم السلام لا يقولون ولا يفعلون الا ما كان فيه مصلحة الدين عال دعاه بقوله
(انك) أي يارب (ان تذرهم) أي تركهم على أي حالة كانت في ابقائهم سالمين على وجه الارض
ولو كانت حالة دينية (يضلوا عبادك) أي الذين آمنوا بك وبى والذين يولدون على الفطرة السليمة
(ولا يلدوا) أي ان قدرت بقاءهم (الافاجرا) أي مارقاعن كل ما ينبغي الاعتصام به (كفارا)
أي بليغ الستر لما يجب اظهاره من آيات الله (فان قيل) لم علم أن أولادهم يكفرون وكيف وصفهم
بالكفر عند الولادة (أجيب) بأنه لبست فيهم ألف سنة الاخسين عاما فعرف طباعهم وأحوالهم
وكان الرجل ينطق بابنه اليه ويقول احذر هذا فانه كذاب وان أبى حذرني فيؤت الكبير
وينشأ الصغير على ذلك وقد أخبر الله تعالى أنه لن يؤمن من قومك الا من قدام ومنه
ولا يلدوا الا فاجرا كفارا لم يلدوا الا من سيفجرو ويكفرو وصفهم بما يصرون اليه كقوله صلى الله
عليه وسلم من قبل قبلا فله سلبه * ولما دعا على أعداء الله تعالى دعاءا واثما وبدأ بنفسه فقال
مستط الاداة على عادة أهل الخصوص (رب) أي أيها المحسن الى تاباع من اتبعني وتجنبت من
تجنبني (اغفر لي) أي فانه لا يسعني وان كنت معصوما الاحكام وعفوك ومغفرتك (ولو الادي)
وكأنا مؤمنين يريد أئوبه اسم أي ملك بن متوشلخ وأمه شخايفت أنوش وعن ابن عباس لم يكفر
لنوح عليه السلام أب فيما بينه وبين آدم عليه السلام وقيل هما آدم وحواء وأعاد الجار اظهارا
للإهتمام فقال (ولم يدخل بيتي) أي منزلي وقيل مسجدي وقيل سفينتي (مؤمنا) أي مصدقا
بالله تعالى فمؤمنا حال وعن ابن عباس أي دخل في ديني (فان قيل) على هذا يصرف قوله ومؤمنا

تكرارا (أجيب) بأن من دخل في دينه ظاهر اقد يكون مؤمنا وقد لا يكون فالمعنى ولم يدخل
 دخولا مع تصديق القلب (وللمؤمنين والمؤمنات) خص نفسه أولا بالدعاء ثم من يتصل به لانهم
 أولى وأحق بدعائه ثم عمم المؤمنين والمؤمنات الى يوم القيامة قاله الضحاك وقال الكلبي من أمة
 محمد صلى الله عليه وسلم وقيل من قومه والا قول أولى وأظهر ثم ختم الكلام مرة أخرى بالدعاء
 على الكافرين فقال (ولا تزد الظالمين) أي العريتين في الظلم في حال من الاحوال (الانبارا)
 أي هلاكهم كآمد مر او المراد بالظالمين الكافرون فهمى عامة في كل كافر ومشرک وقيل أراد
 مشركي قومه وتبارك فعل ثان والاستثناء مفرغ وقيل الهلاك النسيان وقول البضاوي
 تبع اللزخ شري عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة نوح كان من المؤمنين الذين تدرکهم
 دهوة نوح عليه السلام حديث موضوع

﴿سورة البقرة﴾ تسعين سورة قتل ادى مكية ﴿١﴾

وهي ثمان وعشرون آية ومائتان وخمسون وثمانون كلمة وثمانمائة وسبعون حرفا

(بسم الله) المحيط بالكمال (الرحمن) الذي عم برحمته الناس بالارسال (الرحيم) الذي خص
 من بين أهل الدعوة من شاء بحسن الاعمال ولما كان نوح عليه السلام أول رسول أرسله الله
 تعالى الى الخلق من أهل الارض وكان نبيا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين فهو آخر رسول
 بعثه الله تعالى الى أهل الارض وغيرهم ناسب ذكره بعد نوح فقال تعالى انبيه محمد صلى الله
 عليه وسلم (قل) أي يا أشرف الرسل للناس (أوحى الى) وقال ابن عباس قل يا محمد لا تمك
 أوحى الى علي لسان جبريل (أنه استمع نقر من الجن) والنقر الجماعة ما بين الثلاثة الى العشرة
 قال البغوي وكانوا تسعة من جن نصيبين وقيل كانوا تسعة وفي هذه العبارة دليل على أنه صلى
 الله عليه وسلم ما رآهم ولا قرأ عليهم وانما اتفق حضورهم عند قراءته ففي صحيح مسلم عن ابن عباس
 قال انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم في طائفة من أصحابه عامدين الى سوق عكاظ وقد حبل
 بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسل عليهم الشهب فرجعت الشياطين الى قومهم فقالوا
 ما لكم قالوا حبل بيننا وبين خبر السماء وأرسل علينا الشهب فقالوا ما ذاك الا من شيء حدث
 فأنشروا مشارق الارض ومغاريبها فأنشروا ما هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء فأنطلقوا
 يفتربون مشارق الارض ومغاريبها فخر النسر الذين أخذوا شخوطهمامة وهو أصحابه بفخلة
 فاصدين سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة النحر فلما سمعوا القرآن استمعوا له قالوا هذا
 الذي حال بيننا وبين خبر السماء وهل هذا الاستماع هو المذكور في الاحتماف أو غيره قال
 أبو حيان المشهور أنه هو وقيل غيره والجن الذين أتوا من نصيبين والذين أتوا بفخلة جن ينزوي
 والسورة التي استمعوها قال عكرمة العلق وقيل الرحمن ولم يذكرنا ولا في الاسدناف انه رآهم
 وعن ابن مسعود أنه صلى الله عليه وسلم قال أمرت أن أنزل القرآن على الجن فمن يذهب فسكتوا
 ثم قال الثانية فسكتوا ثم قال الثالثة فقلت أنا أذهب معك يا رسول الله قال فانطلق حتى جاء
 الجنون عندهم شعب بن أبي ذؤيب خطا على خطا فقال لا تجاوزه ثم مضى الى الطور فأنشروا عليه

أمثال الخجل كأنهم رجال الرط قال ابن الأثير في النهاية الرط قوم من السودان والهنود وكان
وجوههم المسكاني يقرعون في دفوفهم كما تفرع النسوة في دفوفهن حتى غشوه فغاب عن بصري
فقلت فأومأ إلى يده أن اجلس ثم تلا القرآن فلم يزل صوته يرتفع ولصقوا بالارض حتى صرت
لا أراهم وفي رواية أخرى قالوا الرسول الله صلى الله عليه وسلم من أنت قال أنا نبي قالوا فنشهد
لك على ذلك فقال هذه الشجرة تعالى يا شجرة فجاءت شجرة وعرفها لها قاع حتى انتصبت بين يديه
فقال على ماذا تشهد في قالت أشهد أنك رسول الله قال اذهبي فرجعت كما جاءت حتى صارت
كما كانت قال ابن مسعود فلما عاد إلى قال أردت أن تأتيني قلت نعم يا رسول الله قال ما كان
ذلك لك هؤلاء الجن أتوا يستمعون القرآن ثم ولوا إلى قومهم منذرين فسألوني الزاد فزودتهم
العظم والبعر فلا يستطيعون أي يستنجي أحدكم بعظم ولا بعرة وفي رواية أنه عليه الصلاة والسلام
لما فرغ وضع رأسه على حجر ابن مسعود فرقد ثم استيقظ فقال هل من وضوء قال لا الآن معي
أداة نبيذ فقال هل هو الاغرماء فتوضأ منه قال الرازي وطريق الجمع بين رواية ابن عباس
ورواية ابن مسعود من وجوه أحداهما العمل ما ذكره ابن عباس وقع أولا فأوحى الله تعالى إليه
بهذه السورة ثم أمر بالخروج إليهم بعد ذلك كما روى عن ابن مسعود أي فالواقعة متعددة ثانیها
انها واقعة واحدة إلا أنه صلى الله عليه وسلم ما رآهم ولا عرف ماذا قالوا ولا أي شيء فعلوا
فأله تعالى أوحى إليه انه كان كذا وكذا فوقعوا كذا وكذا ثالثها أنها كانت واحدة وأنه صلى
الله عليه وسلم رآهم وسمع كلامهم وهم آمنوا به ثم رجعوا إلى قومهم قالوا لهم على سبيل الحكاية
اناسمعا قرأنا بحسبنا وكان كذا وكذا فأوحى الله تعالى إلى نبيه صلى الله عليه وسلم ما قالوه لقومهم
قال ابن عربي ابن مسعود أعرف من ابن عباس لأنه شاهده وابن عباس سمعه وليس الخبر
كالمعينة وقال القرطبي ان الجن أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فذعن احداهما بمكة وهي التي
ذكرها ابن مسعود والثانية بخلة وهي التي ذكرها ابن عباس وقال البيهقي الذي حكاها
ابن مسعود انما هو في أول ما سمعت الجن قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وعلت بحاله وفي ذلك
الوقت لم يقرأ عليهم ولم يرهم كما حكاه ابن عباس ثم أنادى الجن مرة أخرى فذهب معه
وقرأ عليهم القرآن كما حكاه ابن مسعود وقال القشيري لما رجعت ابليس بالشهاب فزق ابليس
جنوده بعلم ذلك فأتى سبعة منهم بطن فخله فأسه عوا قراءة النبي صلى الله عليه وسلم فأمنوا
ثم أتوا قومهم فقالوا اناسمعا قرأنا بحسبنا يعني ولم يرجعوا إلى ابليس لما علموه من كذبه وسفاهته
وجاؤا إلى النبي صلى الله عليه وسلم في سبعين من قومه فأسلوا فذلك قوله تعالى واذا صرفنا البلاء
نقرأ الآيات (فقالوا) أي فسبب عن استماعهم ان قالوا (اناسمعا) أي حين تعمدنا الاصغاء
وألقينا الله أفهامنا (قرأنا) أي كلاما هو في غاية الانتظام في نفسه والجمع لجميع ما يحتاج إليه
وقرأ ابن كثير بالنقل وقفوا وصلوا وحزوا في الوقف دون الوصل والباقون بغير نقل وقفوا وصلوا
ثم وصفوا القرآن بالصدر المباعة في أمره فقالوا (بحسبنا) أي بديعا خارجا عن عادة أمثاله من جميع
الكتب الالهية فضلا عن جميع الناس في جلالة النظم والجمال التركيب (يهدى) أي بين

غاية البيان (الى الرشد) أى الحق والصواب (فأئمنّا) أى كل من استمع منّا لم يتخلف منّا أحد
 ولا توقف بعد الاستماع (به) أى القرآن أى فاهتدينا به وصبقنا انه من عند الله (وان نشره
 ربنا أحدا) أى لا ترجع الى ابليس ولا نطيعه ولا نعود الى ما كنا عليه من الاشرار وهذا يدل
 على أن أولئك الجن كانوا مشركين قال الرازي واعلم أن قوله تعالى قل أمر لسو له صلى الله
 عليه وسلم أن يظهر لأصحابه ما أوحى اليه في واقعة الجن وفيه فوائد أحدها أن يعرفوا بذلك
 أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى الجن كما بعث الى الانس ثانيها أن تعلم قريش
 ان الجن مع عزّدهم لما سمعوا القرآن وعرفوا اعجازه آمنوا بالنبى صلى الله عليه وسلم ثالثها
 أن يعلم القوم ان الجن مكلفون كالانس رابعها أن يعلم ان الجن يستمعون كلامنا فهم من اغتصابا
 خامسها ان يظهر المؤمن منهم بدوى غير من الجن الى الايمان وفي هذه الوجوه مصالح كثيرة
 اذا عرفها الناس * (تنبهات) أحدها اختلاف العلماء فى أصل الجن فروى عن الحسن
 البصرى ان الجن ولدا لبليس والانس ولد آدم ومن هؤلاء كفرا فهو شيطان وروى الضحاك عن ابن عباس
 فى الثواب والعقاب فمن كان من هؤلاء هؤلاء كفرا فهو شيطان وروى الضحاك عن ابن عباس
 ان الجن هم ولدا لجان وليسوا بشياطين ومنهم المؤمن ومنهم الكافر والشياطين ولدا لبليس
 لا يموتون الامع ابليس وروى أن ذلك النفر كانوا يهودا وذكر الحسن ان منهم يهودا ونصارى
 ومجوسا ومشركين * ثانيها اختلافوا فى دخول الجن الجنة على حسب الاختلاف فى أصلهم
 فمن زعم انهم من الجن لا من ذرية ابليس قال يدخلون الجنة بايمانهم ومن قال انهم من ذرية
 ابليس فلهم فيه م قولان أحدهما وهو قول الحسن يدخلونها والثانى وهو رواية مجاهد
 لا يدخلونها * ثالثها قال القرطبي قد أنكر جماعة من كفره الاطباء والفلاسفة الجن وقالوا انهم
 بسائط ولا يصح طعمهم اجترأ على الله تعالى والقرآن والسنة يردان عليهم وليس فى المخلوقات
 بسائط بل مركب مزدوج انما الواحد الواحد سبحانه وغيره مركب ليس بواحد وليس بممتنع
 أن يراهم النبى صلى الله عليه وسلم لم يصره هم كما يرى الملائكة وأكثر ما يتصورون لنا فى صور
 الحيات ثم عطفوا على قواهم اناسمنا (وانه) أى الشأن العظيم قال الجن (تعالى) أى انتهى
 فى العلو الى حد لا يستطاع (جد) أى عظمة وسلطان وكما غنى (ربنا) يقال جد الرجل اذا عظم
 ومنه قول أنس كان الرجل اذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا أى عظم قدره وقال السدى
 جد ربنا أى أمر ربنا وقال الحسن غنى ربنا ومنه قيل الحظ جد ورجل مجدد أى محفوظ
 وفى الحديث ولا ينفع ذا الجدم منك الجد قال أبو عبيد والخليل أى ذا الغنى منك الغنى
 انما تنفعه الطاعة وقال ابن عباس قدرة ربنا وقال القرطبي آله
 ونعمائه على خلقه وقال الاخفش علامك ربنا والاولى جميع هذه المعانى وقرأ وأنه تعالى
 جد ربنا وما بعده الى قوله تعالى وانما منا المسلمون وهى اثنا عشر موضعا بن عامر وحقق وجزة
 والكسائى بفتح الهمزة فى الجميع والباقون بالكسر ولما وصفوه بهذا تعالى الاعظم
 المستلزم لغنى المطلق والتزه عن كل شائبة نقص بينوه بنى ما ينافيه من قولهم ابطال الباطل

(ما اتخذ صاحبة) أى زوجة لأن صاحبة لا يذ وأن تكون من نوع صاحبها ومن له نوع فهو من كبريا عقيلا من صفة مشتركة وصفة مميزة (ولا ولدا) لأن الولادة وأن يكون جراً منفصلاً عن والده ومن له أجزء فهو من كبريا صاحبيا ومن المقطوع به أن ذلك لا يكون الاحتياج وإن الله تعالى متعال عن ذلك من تركيب حسي أو عقلي قال القشيري ويجوز إطلاق لفظ الجنة في حق الله تعالى إذ لو لم يجز لما ذكر في القرآن غير أنه لفظ موهم فتجنبه أولى أى لانه قيل انهم عنوا بذلك الجنة الذي هو أبو الاب ويكون ذلك من قول الحق قال ابن جعفر الصادق ليس لله تعالى جد وانما قاله الحق للجهالة فلم يؤخذوا به وقال القرطبي معنى الآية وأنه تعالى جد ربنا أن يتخذ ولدا أو صاحبة للاستئناس بهما أو الحاجة اليهما والرب تعالى عن ذلك كما تعالى عن الانداد والنظراء (وأنه) أى وقالوا إن الشان هذا على قرارة الكسر وأما بأنه على قراءة الفتح (كان يقول) أى قولاه في عراقته في الكذب بمنزلة الجبلية (سفينها) هو الجنس فيتناول ابليس رأس الجنس تناولا أوليا وكل من تبعه من لم يعرف الله تعالى لأن ثمرة العقل العلم وثمره العلم معرفة الله تعالى فمن لم يعرفه فهو الذي يقول (على الله) الذي له صفات الكمال المتنافية لقول هذا السفيه (شططا) أى كذبا وعدوانا وهو وصفه بالشريك والولد والشطط والاشطاط الغلو في الكفر وقال أبو مالك هو الجور وقال الكلبي هو الكذب وأصله البعد فعبه عن الجور والبعد عن العدل وعن الكذب لبعد عن الصدق (وأنا) أى يامعشر المسلمين من الحق (ظننا) أى حسبنا بالسلامة فظننا (أن) أى أنه وزادوا في التأكيده فقالوا (إن تقول) وبدوا بأفضل الجنس فقالوا (الانس) وأتبعوهم قرناهم فقالوا (والحق على الله) أى الملك الأعلى الذي بيده النفع والضرر (كذبا) أى قولاه في عراقته في مخالفة الواقع نفس الكذب وانما كانتهم صادقين في قولهم إن لله صاحبة ولدا حتى سمعنا القرآن وتبيناه الحق قبل انقطع الاخبار عن الحق ههنا (وأنه) أى الشان (كان رجال) أى ذوو قوة وبأس (من الانس) أى النوع الظاهر في عالم الحس (يعودون) أى يلتجئون ويغصون خوفا على أنفسهم وما معهم اذ انزلوا واديا (برجال من الحق) أى القبيل المستتر عن الابصار وذلك ان القوم منهم كانوا اذ انزلوا واديا وغيره من الفقر تعبت بهم الحق في بعض الاحيان لانه لا مانع لهم منهم من ذكر الله ولادين صحيح ولا كتاب من الله تعالى صريح فحلمهم ذلك على أن يستحيروا بعظمتهم فكان الرجل يقول عند نزوله أعوذ بيهذا الوادي من سفهاء قومه فسيبت في أمن وفي جواردهم حتى يصبح فلا يرى الا خيرا ويرى عاهده الى الطريق ورودا عليه ضالته قال مقاتل كان أول من تعوذ بالحق قوم من أهل اليمن من بني حنيفة ثم نشأ ذلك في العرب فلما جاء الاسلام غادوا بالله تعالى وتركوه وقال كرم بن أبي السائب الانصاري خرجت مع أبي الى المدينة في حاجة وذلك أول ما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم عكة فانا والمبيت الى راعي غنم فلما انصف النهار جاء ذئب فأخذ حمارا من الغنم فوثب الراعي وقال يا عامر الوادي جارك فنادى مناد الانس يا سرحان أرسله فأتى الحبل يشتد حتى دخل الغنم ولم تصبه كدمه فكان ذلك قصة الانس

بأمة تقادهم في الجن غير ما هم عليه فبقه وهم في الضلال وقتنة الجن بأن يغتروا بأنفسهم ويقولوا
سدنا الانس والجن فيضلوا ويضلوا ولذلك سبب عنه قوله تعالى (فزادوهم) أى الانس والجن
باسم تعادتهم (رهقا) أى ضمة واوشدة ونحشبا نايخا هم فيه من أحوال الضلال التي يلزم
منها الضيق والشدة وقال مجاهد الرق الانم وغشيان الحمارم ورجل رفق اذا كان كذلك
ومنه قوله تعالى وترهقههم ذله وقال الاعشى

لا شئ ينفعني من دون رؤيتها * هل يشقى عاشق مالم يصب رهقا

يعنى انما وقال مجاهد ايضا زادوهم أى ان الانس زادوا والجن طغيا ناهذا التعوذ حتى قالت الجن
سدنا الانس والجن وقيل لا ينطق لفظ الرجال على الجن فالمعنى وأنه كان رجال من الانس
يعوذون برجال من الانس من شر الجن فكان الرجل مثالا يقول أعوذ بجذيفة بن بدر من جن
هذا الوادى قال القشيري وفي هذا تحكم اذ لا يبعد اطلاق لفظ الرجل على الجن * (تنبيه) * قوله
تعالى من الانس صفة لرجال وكذا قوله من الجن (وانهم) أى الانس (ظنوا) والظن قد يصب
وقد يخطئ وهو أكثر كما ظنتم) أى أيها الجن ويجوز العكس (أن) مخففة أى انه (ان يبعث الله)
أى الذى له الاحاطة الكاملة علما وقدره (أحدا) أى بعد موته لما لم ير به ابليس عليهم حتى رأوا
حسنة ما ليس بالحسن أو أحدا من الرسل ينزل به عاية الجهل وقد ظهر بالقرآن ان هذا الظن
كاذب وان لا بد من البعث في الامر ين قال الجن (رانا لسنا السماء) أى زمن استراق السمع
منها قال الكلبي السماء الدنيا أى التمسنا أخبارها على ما كان من عادتنا من استماع مانعوى به
الانس والانس المس فاستعير للطلب لأن الناس طالب متعزف والمعنى طلبنا باوغل السماء واستماع
كلام أهلها (فوجدناها) في وجود وجهان أظهرهما انهم امتعدي لواحده لأن معناها أصبنا
وصادفنا وعلى هذا فالجمله من قولهم (ملئت) في موضع نصب على الحال على اخمراق نوا الثانی
انهم امتعدي لثنتين فتكون الجمله في موضع المفعول الثاني ويكون (حرسا) منصوبا على التمييز نحو
امتلا الاناء ماء والحرس اسم جمع لحارس فهو خدام لخدام وهم الملائكة الذين يرجونهم بالشهيب
ويمنعونهم من الاستماع ويجمع تكسيرا على احراس والحارس الحافظ الرقيب والمصدر الحراسة
(وشديدا) صفة لحرس على اللفظ ولوجاء على المعنى لقليل شدا بالجمع لان المعنى ملئت الملائكة
شدا اذا كقولك السلف الصالح ليعنى الصالحين قال القرطبي ويجوز أن يكون حرسا مصدرا على
معنى حرس حراسة شديدة (وشهبا) جمع شهاب ككتاب وكتب وهو انقضاء الكواكب
المحرقه لهم المانع لهم عن استراق السمع (وانا كذا) أى فيما مضى (تقعدهن) أى السماء
(مقاعده) أى كثيرة قد علمناها الاحرس فيها صالحة (السمع) أى أن نسمع منها بعض ما يتكلم به
الملائكة مما أمروا بتدبيره وقد جاء في الخبر ان صفة قعودهم هو ان يكون الواحد منهم فوق
الاخر حتى يصلوا الى السماء في كانوا يسترقون الكلمة فيلقونها الى الكهان فيزيدين معها
الكذب (فن يسمع الآن) أى في هذا الوقت وفيما يستقبل لأنهم أرادوا وقت قولهم فقط
(يجدله) أى لاجله (شهبابا) أى شعلة من نار مطبوعة تحرقه (مصدرا) أى أرصده ليرى به

ما أحسن ما قال حسبو أنه يصفه بالقسط والعدل فقال الخجاج يا جبهة انما سماني ظالمًا مشركًا
 وتلاهم قوله تعالى وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبًا ثم الذين كسروا برهم يعدلون (فمن أسلم)
 أى أوقع الأسلام كماه بأن أسلم ظاهره وباطنه من الجن وغيرهم (فأولئك) أى العالو الرتبة
 (تخزوا) أى توخروا وقصدوا محمد بن (رشدًا) أى صوابًا عظيمًا وسدادًا كان لما عندهم من
 النقائص شارد عنهم فعاجزوا أنفسهم حتى ملكوه فجعلوه لهم منزلًا (وأما القاسطون) أى
 العريقون في صفة الجور عن الصواب من الانس والجن فأولئك اهلوا أنفسهم فلم يتخزوا والها
 فضلو فأبعدوا عن الطريق القويم فوقعوا في المهالك التي لا منجى منها (فكانوا لجهنم) أى
 النار البعيدة القعر التي تلقاهم بالجهنم والكراهة والعبوسة (حطبًا) أى توفدهم النار فهي
 في ابتقاد ما داموا أحياء ما دامت تتقد لا يموتون ويستريحون ولا يحميون فينتعشون * (تنبيه)
 قوله تعالى فكانوا أى في علم الله عز وجل (فان قيل) لم ذكر وعقاب القاسطين ولم يذكر الثواب
 المسلين (أجيب) بأنهم في مقام الترهيب فذكر وما يجذرو طوعا وما يجب للعلم به لان الله لا يضيع
 أجر من أحسن عملا بل لا بد ان يزيد عليه تسعة اضعافه وعنده المزيد وأنها ذكره بقولهم تخزوا
 رشدًا أى تخزوا ورشدًا عظيمًا لا يعلم كنهه الا الله تعالى وبمثل هذا لا يتحقق الا في الثواب (فان قيل)
 ان الجن مخلوقون من النار فكيف يكونون حطبًا للنار (أجيب) بأنهم وان خلقوا منها لكنهم
 يغفرون عن تلك الكيفية فيصيرون لجواردها هكذا قيل وهذا آخر كلام الجن وأن في قوله تعالى
 (وأن) هي الخففة من الثقله واسمها محذوف أى وأنهم وهو معطوف على أنه استمع أى وأوصى
 الى أن الشأن العظيم (لواستقاموا على الطريقة) أى طريقة الاسلام (لا سقينا هم) أى لعلنا
 لهم بما لنا من العظمة (مأعندًا) أى لو آمن هؤلاء الكفار لو سقنا عليهم في الدنيا ولبسنا لهم في
 الرزق وضرب الماء الغدق مثلا لان الخير والرزق كله في المطر كما قال تعالى ولو أن أهل القرى
 آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم الآية وقال تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا الآية
 ربه لا كلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم الآية وقال تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا الآية
 وقال تعالى استغفر واربككم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا الى قوله ويعدكم بأموال
 وبنين الآية (لنقتنهم) أى نعاملهم معاملة المختبر بما لنا من العظمة (فيه) أى في ذلك الماء الذي
 تكون عنده أنواع النعم لينكشف حال الشاكر والكافر قال الرازي وهذا بعد ما حبس عنهم
 المطر سنين إذ قال الجلال المحلى سبع سنين وقال عمر رضى الله تعالى عنه أينما كان الماء كان
 المال وأينما كان المال كانت الفتنة وقال الحسن وغيره كانوا أسامع بين مطيعين ففتحت عليهم
 كنوز كسرى وقبضت فقتلوا فاشفوا وبأمامهم فقتلوه يعنى عثمان رضى الله تعالى عنه قال
 البقاعي ويجوز ان يكون مستعار العلم وأنواع المعارف الناشئة عن العبادات التي هي النفوس
 كالنفوس للآبدان وتكون الفتنة بمعنى التخليص من الهموم والرزائل في الدنيا والنعم في الآخرة
 من فتنت الذهب اذا خلصته من غشه (ومن يعرض) أى اعراضا مستقرا الى الموت (عن ذكر
 ربه) أى مجاوزا عن عبادة المحسن اليه المربي له الذي لا احسان عنده من غيره وقيل المراد بالذكر

القرآن وقيل الوحى وقيل الموعظة (نسلكه) أى ندخله (عذاباً) يكون حظراً وفاقبه كالخطي
 ثقب الخرز في غاية الضيق (صعداً) أى شاقاً شديداً يعلمه ويغلبه ويصعد عليه ويكون كل يوم
 أعلى مما قبله جزاء وفاً وقال ابن عباس هو جبل في جهنم قال الخدرى كلما جعلوا أيديهم عليه
 ذابت وعن ابن عباس أن المعنى شقة من العذاب لأن الصعد في اللغة هو المشقة تقول تصعدني
 الأمر إذا شق عليك ومنه قول عمر ما تصعدني شيء ما تصعدني في خطبة النكاح يريد ما شق على
 وما غلبني والمشي في الصعود يشق وقال بكرمة هو صخرة ملساء في جهنم يكلف صعودها فإذا انتهى
 إلى أعلاها حذر إلى جهنم وقال الكلبي يكلف الوليد بن المغيرة أن يصعد جبل في النار من صخرة
 ملساء يجذب من أمامه بئلاسل ويضرب من خلفه بمقامع حتى يبلغ أعلاها ولا يبلغ في أربعين
 سنة فإذا بلغ أعلاها أجدر إلى أسفلها ثم يكلف أيضاً الصعود فذأبه أبداً وهو قوله تعالى
 سأرققه صعوداً وقرأ عاصم وحزرة والكسائي بالياء التحتية على الغيبة لإعادة الضمير على الله
 تعالى والناقون بالنون على الالتفات وهذا كما في قوله تعالى سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً قال
 يار كاحول البريه من آياتنا وانفقوا على فتح الهمزة في قوله تعالى (وَأَن) أى وأوحى إلى أن
 (المساجد لله) أى محضتها بالملك الأعظم والمساجد قبل جمع مسجد بالكسر وهو موضع السجود
 وقال الحسن أرادهم بالكل البقاع لأن الأرض جعلت كلها مسجداً للنبي صلى الله عليه
 وسلم يقول أيضاً كنتم فصلاً وأيضاً صليتم فهو مسجد وقيل أنه جمع مسجد بالفتح مراد به
 الأعضاء الواردة في الحديث الجهة والأنف والركبتان واليدين والقدمان وهو قول
 سعيد بن المسيب وابن حبيب والمعنى أن هذه الأعضاء أنعم الله تعالى بهم عليكم فلا تسجد لغيره
 فتجحد نعمة الله قال عطاء مساجد الأعضاء التي أكرمت بالسجود علم لا تدلهما لغير خالقها
 قال صلى الله عليه وسلم أمرت أن أسجد على سبعة أعظم وذكركم والحديث وقال صلى الله
 عليه وسلم إذا سجد العبد سجدة مع سبعه آراء قال ابن الأثير لا راب إلا راب الأعضاء وهذا القول
 اختياره ابن الأنباري وقيل بل جمع مسجد وهو مصدر بمعنى السجود ويكون الجمع لاختلاف
 الأنواع وقال القرطبي المراد بهم البيوت التي تبنيها أهل المال للعبادة قال سعيد بن جبيرة قالت
 الحق كيف لنا أن نأتى المساجد ونشهد معك الصلاة ونحن نأون عنك فبزلت وأن المساجد
 لله أى بنيت لذكر الله تعالى وطاعته وقال ابن عباس المساجد هامة مكة التي هي القبلة وسميت
 مكة مساجد لأن كل أحد يسجد إليها قال القرطبي والقول بأن البيوت المبنية للعبادة أظهر
 الأقوال أن شاء الله تعالى وهو مروى عن ابن عباس وإضافة المساجد إلى الله تعالى إضافة
 تشريف وتكريم وخص منها المسجد العتيق بالذكور فقال تعالى وظهر بيتي وهى وإن كانت
 لله ملكاً وتشريفها قد تنسب إلى غيره تعريفاً قال صلى الله عليه وسلم صلاة في مسجدى هذا خير
 من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام وفي رواية أن صلاة فيه خير من مائة صلاة في مسجدى
 هذا قال القرطبي وهذا حديث صحيح وفي حديث سابق صلى الله عليه وسلم بين الخليل التي لم تضر
 من الثنية إلى مسجد بنى زريق ويقال مسجد فلان لأنه جنبه ولا خلاف بين الأئمة في تحميم

ختم به النبوة والرسالة فجعل رسالته محيطه بجميع المال في التوحيد وغيره على سبيل الحجر (فان له)
 اى خاصة (نار جهنم) اى التى تلقاه بالعنوسة والغبط وقوله تعالى (خالدين فيها ابدا) حال مقدرة
 من الهام في له والمعنى مقدر خلودهم والعامل الاستقرار الذى تعلق به هذا الجار وجعل على معنى
 من فعل ذلك فوحداً ولا للفظ وجع للمعنى وأكذب قوله تعالى (فيها) رداعلى من يدعى الانقطاع
 قال البقاعي وأما من يدعى أنهم لا يحرقون عذابهم اعذوبة فليس احداً جئن منه الا من تابعه على
 ضلاله وغيه ومحاله وليس لهم دواء الا السيف في الدنيا والعذاب في الآخرة بما سموه اعذوبة
 وهم صائرون اليه وموقوفون عليه وحتى في قوله تعالى (حتى اذا رآوا) اية ثانية فيها معنى
 الغاية لمقدر قبلها اى لا يزالون على كفرهم الى أن يروا (ما يوعدون) من العذاب في الآخرة
 أو في الدنيا كوقعة بدر (فسمعون) اى في ذلك اليوم بوعده لا خاف فيه (من اضعف ناصراً) اى
 من جهة الناصر أنا وان كنت في هذا الوقت وحيداً مستضعفاً وهم (وأقل عدداً) وإن كانوا
 الا أن بحيث لا يحصيهم عدد الا الله تعالى فما الله ما أعظم كلام الرسل حيث يبضعفون أنفسهم
 ويذكرون قوتهم من جهة مولاهم الذى يده الملك وله جنود السموات والارض بخلاف
 الجبابرة فانهم لا كلام لهم الا في تعظيم أنفسهم وازدراء غيرهم قال مقاتل لما سمعوا قوله تعالى
 حتى اذا رآوا ما يوعدون فسمعوا من اضعف ناصراً وأقل عدداً قال النضر بن الحارث متى
 يكون هذا الذى توعدنا به قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم (قل) اى لهؤلاء في جوابهم
 يا أيها الذين آمنوا اسألوا الله عن وقت وقوعه (إن) اى ما (أدرى) بوجه من الوجوه
 (أقرب ما توعدون) اى فيكون الا أن أقرى بما من هذا الاوان بحيث يتوقع عن قرب وقوله (أم
 يبعد) اى أم يبعد يجعل (له) اى لهذا الوعد (ربى) اى المحسن الى أن قدمه أو أخره (أنداء)
 اى أعلام مضر وبافلا يتوقع دون ذلك الامد فهو في كل حال متوقع فكروا على غاية الحذر لانه
 لا بد من وقوعه لا كلام فيه وانما الكلام في تعيين وقته وليس الى (فان قيل) أليس الله صلى الله عليه
 وسلم قال بعثت أنا والساعة كهاتين فكان غلبا يقرب وقوع القيامة فكيف قال ههنا لأدرى
 أقرب أم بعيد (اجيب) بأن المراد يقرب وقوعه وان ما بقى من الدنيا اقل مما انقضى فهذا القدر
 من القرب معلوم قائم معرفته مقدار القرب المرتب وعدم ذلك فغير معلوم * (تنبيه) * أقرب
 خبر مقدم وما توعدون مبتدأ مؤخر ويجوز أن يكون قريب مبتدأ الاعتماد على الاستفهام وما
 توعدون فاعل به اى أقرب الذى توعدون شواً قائم أبو الوقر أنافع وابن كثير وأبو عمر وبفتح
 الباء والباقون بسكونه وقوله تعالى (عالم الغيب) بدل من ربى أو بيان أو خبر مبتدأ مضمراً اى هو
 عالم الغيب كله وهو ما لم يدر الى عالم الشهادة فهو مختص بعلمه سبحانه فلذلك سبب عنه قوله تعالى
 (فلا يظهر) اى بوجه من الوجوه في وقت من الاوقات (على غيبه) الذى غيبه عن غيره فهو
 مختص به (أحد) لعزلة علم الغيب ولانه خاصة الملك (الامن ارضى) وقوله تعالى (من رسول)
 تبين لمن ارضى اى الامن بصفه رسالته وبوقته فيظهر على ما يشاء من الغيب وتارة يكون
 ذلك الرسول ملكاً وتارة يكون بشراً وتارة يظهر على ذلك بواسطة ملك وتارة بغير واسطة

كوسى عليه السلام في أوقات المناجاة ومحمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج في العالم الأعلى
 في حضرة قاب قوسين أو أدنى وقال القرطبي المعنى فلا يظهر على غيبه أحد إلا من ارتضى
 من رسول فإنه يظهره على ما يشاء من غيبه لأن الرسل مؤيدون بالمعجزات ومنها الإخبار
 عن بعض الغيبات كما ورد في التنزيل في قوله تعالى وأنبئكم بما كنون وما تدرخون في بيوتكم
 وقال الزمخشري في هذه الآية إبطال الكرامات لأن الذين تصاف إليهم وإن كانوا أولياء مرتضى
 فليسوا برسل وقد خص الله تعالى الرسل من بين المرتضى بالاطلاع على الغيب وفيه إبطال
 الكهانة والتنجيم لأن أصحابهم ما بعد شئ من الارتضاء وأدخله في السخط اه وإنكار الكرامات
 مذهب المعتزلة وأما مذهب أهل السنة فثبتوا أنها يجوز أن يلهم الله تعالى بعض أوليائه
 وقوع بعض الوقائع في المستقبل فيخبره وهو من اطلاع الله إياه على ذلك وبدل على صحة ذلك
 ما روى عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لقد كان فين قبلكم من الأمم ناس
 محدثون من غير أن يكونوا أنبياء وإن يكن في أمتي أحد فإنه عمر أخرجه البخاري قال ابن وهب
 تفسير محدثون ملهمون وسلم عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول في الأمم
 قبلكم محدثون فإن يكن في أمتي منهم أحد فأن عمر بن الخطاب منهم ففي هذا اثبات كرامات
 الأولياء فإن قيل لوجازت الكرامة للولي لما تميزت بمعجزة النبي من غيرها وانسد الطريق إلى
 معرفة الرسول من غيره (أجيب) بأن معجزة النبي أمر خارق للعادة مع عدم المعارضة مقترن
 بالتحذي ولا يجوز للولي أن يدعى خرقاً للعادة مع التحذي إذ لو ادعاه الولي إلى كفر من ساعته فبان
 الفرق بين المعجزة والكرامة وأما الكهانة وما ضاهاها فقال القرطبي إن العلماء قالوا لما تفتح
 سبحانه بعلم الغيب واستأثر به دون خلقه كان فيه دليل على أنه لا يعلم الغيب أحد سواه ثم استثنى
 من ارتضاء من الرسل فأعلمهم ما شاء من غيبه بطريق الوحي إليهم وجعله معجزة لهم ودلالة
 صادقة على نبوتهم وليس التنجيم ومن ضاهاها ومن يضرب بالحصى وينظر في الكواكب ويزجر
 بالطير عن ارتضاء من رسول فيطلع على ما يشاء من غيبه بل هو كافر بالله مفسد عليه مجده
 وتحمينه وكذبه قال بعض العلماء وليت شعري ما يقول المنجم في سفينة ركب فيها ألف إنسان
 مختلفي الأحوال والرتب فيهم الملك والسوقة والعالم والجاهل والغني والفقير والكبير
 والصغير مع اختلاف طوالهم وتباين مواليدهم ودرجات شجوماتهم فعمهم حكم الفرق في ساعة
 واحدة فإن قال قائل إنما أغرقهم الطالع الذي ركبوا فيه فيكون على مقتضى ذلك أن هذا
 الطالع أبطأ أحكام تلك الطوائف كلها على اختلافها عند ولادة كل واحد منهم وما يقضيه
 طالعهم المخصوص به فلا فائدة إذا في عمل المواليد ولادلالة فيها على شئ وسعيد ولم يبق إلا
 معاندة القرآن الكريم ولقد أحسن القائل

حكم المنجم أن طالع مولدى * يقضى على بميسة الفرق
 قل للمنجم صحة الطوفان هل * ولداً جميع بكونك الفرق

وقيل لعلى رضى الله عنه لما أراد لقاء الخوارج تلقاهم والقمر في العقب فقال فإين قرهم

وكان ذلك في آخر السنة فانظر الى هذه الكلمة التي أجاب بها أو ما فيها من المبالغة في الرد على من
 يقول بالنجيم وقال له مسافر بن عون يا أمير المؤمنين لا تسرف في هذه الساعة وسر بعد ثلاث ساعات
 تمضي من النهار فقال له عليّ ولم قال له انك ان سرت في هذه الساعة أصابك وأصاب أصحابك
 بلاه وضر شديد وان سرت في الساعة التي أمرتك بها ظهرت وظفرت وأصبت ما طلبت فقال
 عليّ ما كان لمحمد صلى الله عليه وسلم منجم ولا نائم بعده ثم قال غن صدقك في هذا القول لم آمن
 عليه أن يكون اتخذه من دون الله نذراً أو ضد الله لا طير الا طيرك ولا خير الا خيرك ثم قال
 للمستمعكم تكذبك ونحالفك ونفسر في الساعة التي تمنها عنهما ثم أقبل على الناس فقال يا أيها
 الناس اياكم وتعلم النجوم الاما تهتدون به في ظلمات البر والبحر انما المنجم كالكافر والكافر
 في النار والمنجم كالساحر والساحر في النار والله لئن بلغني أنك تنظر في النجوم أو تعمل بها
 لا خلدك في الحبس ما بقيت وبقيت ولا حرمك العطاء ما كان لي سلطان ثم سافر في الساعة التي
 نهاه عنها فلقى القوم فقتلهم وهي وقعة النهر وان الثابتة في صحيح مسلم ثم قال لو سرت في الساعة
 التي أمرنا بها وظفرتنا وظهرنا لقال انما كان ذلك بتجيمى ومحمد منجم وما لنا بعده وقد فتح
 الله تعالى علينا بلاد كسرى وقصر وسائر البلدان ثم قال يا أيها الناس لو كانوا على الله وثقوا به
 فانه يكنى عن سواه (فانه) أي الله سبحانه يظهر ذلك الرسول على ما يريد من ذلك الغيب وذلك أنه
 اذا أراد اظهاره عليه (يسلك) أي يدخل ادخال السلك في الجوهر في تقوّمه ونقوّمه من غير
 أدنى تعويج الى غير المراد (من بين يديه) أي الجهة التي يعلمها ذلك الرسول (ومن خلقه) أي
 الجهة التي تغيب عن علمه فصار ذلك كناية عن كل جهة قال البقاعي ويمكن أن يكون ذكر الجهتين
 دلالة على الكل وخصهما لان العدومتي أعريت واحدة منهما أي منها ومتى حفظنا لم يأت من
 غيرهما لانه يصير بين الاولين والاخرين (رصداً) أي حرساً من جنوده يحرسونه ويحفظونه من
 الشياطين أن يسترقوا السمع من الملائكة ويحفظونه من الجن أن يسمعوا الوحي فيلقوه الى
 الكهنة قبل الرسول فيطردونهم عنه ويعصونه من وساوسهم حتى يبلغ ما يوحى اليه وقال
 مقاتل وغيره كان الله اذا بعث رسولاً ناه ابليس في ضرورة ملك بحجر فبعث الله تعالى من بين يديه
 ومن خلقه رصداً من الملائكة يحرسونه ويطردون الشياطين فاذا جاءه شيطان في صورة ملك
 أخبروه بأنه شيطان فاخذروه واذا جاءه ملك قالوا له هذا رسول ربك وعن الضحالك ما بعثني
 الا ومعه ملائكة يحرسونه من الشياطين أن يتشبهوا بصورة الملك (ليعلم) أي الله علم ظهور
 كقوله تعالى حتى نعلم المحمدين (أن) محففة من التثنية أي أنه (قد بلغوا) أي الرسل
 (رسالات ربهم) وحداً ولا على اللفظ في قوله تعالى من بين يديه ومن خلقه ثم جمع على المعنى كقوله
 تعالى فان له ناصيتهم خالدون فيها والمعنى ليبلغوا رسالات ربهم كما هي تحروسة من الزيادة
 والنقصان وقيل ليعلم محمد صلى الله عليه وسلم أن جبريل قد بلغ رسالات ربه وقيل ليعلم محمد صلى
 الله عليه وسلم أن الرسل قد بلغوا رسالات ربهم (وأحاط بما لديهم) أي بما عند الرسل من
 الحكم والشرائع لا يقوّمه منها شيء ولا ينسى منها حرفاً فهو مهيمن عليها حافظ لها (وأحصى)

أى الله سبحانه وتعالى (كل شئ) أى من القطر والرمل وورق الاشجار وزبد البحر وغير ذلك
(عددا) ولو على أقل مقادير الذر في عالم يزل وفيما لا يزال فكيف لا يحيط بجماعه الرسل من وحيه
وكلامه وقال ابن جبر رضى الله عنه ليعلم الرسل أن ربهم قد أحاط بالديهم فيبلغوا رسالاته
(تنبية) * هذه الآية تدل على أنه تعالى عالم بالجزئيات وبجميع الموجودات وعددا يجوز أن
يكون تمييزا منقولا من المفعول به والاصل أحصى عدد كل شئ كقوله تعالى وفجرنا الارض
عيونا أى عيون الارض وأن يكون منصوبا على الحال أى وضبط كل شئ معدودا محصورا وأن
يكون مصدرا في معنى الاحصاء وقول البيضاوى تبعنا لزمخشري ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال من قرأ سورة الجن كان له بعدد كل جن صدق فحمدوا وكذب به عتق رقبة حديث موضوع

﴿سورة المزمل مكية﴾

في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر وقال ابن عباس رضى الله عنهم الايتين منها واصبر
على ما يقولون والى تليها ذكره الماوردى وقال الثعلبي ان ربك يعلم أنك تقوم الى آخر السورة
فانه نزل بالمدينة وحى تسع عشرة وأعشرون آية ومائتان وخمس وعشرون كلمة ومائتان وخمسة
وثلاثون حرفا

(بسم الله) الذى من نزل عليه كصفاه في جميع الاحوال (الرحمن) الذى عم بنعمة اليجاد
المهتدى والفضل (الرحيم) الذى خص حربه بالسداد فى الافعال والاقوال وقوله تعالى (يا أيها
المزمل) أصله المترمل فأدغمت التاء فى الزاى يقال ابرمل يتزمل ترتلا فإذا أريد الادغام اجتمعت
همزة الوصل وهذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وفيه ثلاثة أقوال الاول قال عكرمة يا أيها
المزمل بالنسبة والمترمل للرسالة وعنه يا أيها الذى ازمل هذا الامر أى حمله ثم فتر والثانى قال
ابن عباس رضى الله عنهما يا أيها المزمل بالقرآن والثالث قال قتادة رضى الله عنه يا أيها المزمل
بشيء قال النخعي كان مترملا بقطعة عائشة جرح طولها أربعة عشر ذراعا قالت عائشة رضى الله
عنها كان ناصقه على وأنا نائمة ونصفه على النبي صلى الله عليه وسلم وهو صلى الله عليه وسلم
ولا يزال امر عزي ولا ابر يسما ولا صوفا كان سدا شعرا وجمته وبراذ كره الثعلبي ولجة الثوب
بفتح اللام وضمتها والفتح أفصح ولجة النسب كذلك والضم أفصح ولجة البازى بالضم لا غير لانها
كاللجمة قال القرطبي وهذا القول من عائشة رضى الله عنها يدل على أن السورة مدنية فان
النبي صلى الله عليه وسلم لم يبينها الا بالمدينة والقول بأنهم امكئة لا يصح وقال الضحاك ترمل لمنامه
وقيل بلغه من المشركين قول سويق فاشتد عليه فتزمل وتذرف فترت يا أيها المزمل ويا أيها المذثر
وقيل كان هذا فى ابتداء ما أوحى اليه فانه صلى الله عليه وسلم لما جاءه الوحي فى غار حراء رجع الى
خديجة رضى الله عنها وزوجته يرجف فؤاده فقال زملوني زملوني لقد خشيت على نفسي أى أن
يكون هذا مبادئ شعرا وكهانة وكل ذلك من الشيطان أو أن يكون الذى ظهر له بالوحي ليس
الملك وكان صلى الله عليه وسلم يغيض الشعرا والكهانة غاية البغضة فقالت وكانت وزيرة صدق

رضي الله تعالى عنها كلا والله لا يخزيك الله أبدا انك لتصل الرحم وتقرى الضيف وتعين على
نواب الحق ونحو هذا من الكمال الذي ثبت وقيل انه صلى الله عليه وسلم كان نائما في الليل متمزلا
في قطعة قبة ونودي بجاءمجن تلك الحالة التي كان عليها من التزمل في قطيعته فقبل لها بها
المزمل (قم الليل) أي الذي هو وقت الخلوة والخفية والستر فصل لنا في كل ليلة من هذا الجنس
وقف بين يدينا بالمناجاة والانس بما أنزل عليك من كلامنا فانريد اظهارك واعلاء قدرك في البر
والبحر والسر والجهر وقيام الليل في الشروع معناه الصلاة فلذا لم يقيده وهي جامعة لأنواع
الاعمال الظاهرة والباطنة وهي عمادها فذكرها دل على ما عداها * ولما كان للبدن حقه
في الراحة قال تعالى مستنسا من الليل (الاقبلا) أي من كل ليلة فان الاشتغال بالنوم فعل من
لا يهمه أمر ولا يعنيه شأن ألا ترى الى قول ذي الرمة

وكانت تحطت نائقي من مفازة * ومن نائم عن يلهام متمزل

يريد الكسلان المتعاس الذي لا ينهض في معاطم الامور وكفايات الخطوب ولا يحمل نفسه
المشاقي والمتاعب ونحوه * شهد اذا ما نام ليل الهويل * ومن أمثالهم
أوردها سعد وسعد مشتق * ما هكذا تورديا سعد الابل

فدمه بالاشتغال بكسائه وجعل ذلك خلاف الجلد والكيس وأمر بان يختار على الهجود
التهجد وعلى التزمل التشعر والتخف للعبادة والمجاهدة في الله لاجرم أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قد تشمر لذلك مع أصحابه حق التشمر وأقبلوا على احياء ليلهم ورفضوا له الرقاد والدعة
وتجاهدوا فيه حتى انتفخت أفئدة امهم واصفرت ألوانهم وظهرت السيمات وجوههم وراق
أمرهم الى حذر جهنم لدرهم نخف عنهم وقال السكبي انما تزمل صلى الله عليه وسلم ببيتاه ليمتها
للصلاة وهو اختيار الفراء فهو على هذا ليس به مجين بل هو شاعر عليه وتحسين لحاله التي كان عليها
وأمر بان يدوم على ذلك ويواظب عليه وعن عكرمة رضي الله عنه أن المعنى يا أيها الذي زم
أمر أعظم أي حله والزم الجمال قال البغوي قال الحكماء كان هذا الخطاب للنبي صلى الله عليه
وسلم في أول الوحي قبل تبليغ الرسالة ثم خوطب بعد بالنبي والرسول وقال السهيلي ليس المزمل
من أسماء النبي صلى الله عليه وسلم كما ذهب اليه بعض الناس وعدوه في أسمائه صلى الله عليه
وسلم وانما المزمل اسم مشتق من حاله التي كان عليها حين الخطاب وكذلك المذثر وفي خطابه بهذا
الاسم فائدتان احدهما الملاطفة فان العرب اذا قصدت ملاطفة المخاطب وترك المعاتبة سموه
باسم مشتق من حاله التي هو عليها كقول النبي صلى الله عليه وسلم لعلي حين غاضب فاطمة
رضي الله تعالى عنها ما فأتاه وهو نائم وقد لصق بجنبه التراب فقال له قم أياتراب اشعاره بأنه غير
عاقب عليه وملاطفة له وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم لحذيفة قم يا نومان وكان نائما ملاطفة له
واشعارا بترك العقب والتأنيب فقول الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم يا أيها المزمل قم فيه تأنيب
له وملاطفة ليستشعر أنه غير عاقب عليه والغائدة الثانية التوبيخ لكل متمزل راقد ليله أن يتسه
الى قيام الليل وذكر الله تعالى فيه لان الاسم المشتق من الفعل يشترط فيه مع المخاطب كل من

عمل ذلك العمل وانصف بتلك الصفة والليل مدته من غروب الشمس الى طلوع الفجر قال القرطبي
 واختلف هل كان قيامه فرضاً ونفلًا والدلائل تقوى أن قيامه كان فرضاً لأن المندوب لا يقع
 على بعض الليل دون بعض لأن قيامه ليس مخصوصاً بوقت دون وقت واختلف هل كان فرضاً
 على النبي صلى الله عليه وسلم وحده أو عليه وعلى من كان قبله من الانبياء أو عليه وعلى أمته على
 ثلاثة أقوال الأول قول سعيد بن جبير رضي الله عنه لتوجه الخطاب اليه الثاني قول ابن عباس
 رضي الله عنهما قال كان قيام الليل فريضة على النبي صلى الله عليه وسلم والانبياء قبله الثالث
 قول عائشة وابن عباس رضي الله عنهما أيضاً كان فرضاً عليه وعلى أمته لما روى مسلم أن
 هشام بن عامر قال لعائشة رضي الله عنها أتيتني عن قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت
 ألت تقرباً يا أيها المزمل فقلت بلى فقالت فإن الله عز وجل افترض قيام الليل في أول هذه
 السورة فقام نبي الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حولا وأمسك الله عز وجل حاتم الأثني عشر
 شهراً في السماء حتى أنزل الله عز وجل في آخر هذه السورة التخفيف فصار قيام الليل تطوعاً
 بعد فريضة وقيل عشر عليهم تميز القدر الواجب فقاموا الليل كله وشق عليهم فسخ بقوله تعالى
 آخرها فافروا ما تيسر من القرآن وكان بين الوجوب ونسخه سنة وقيل نسخ التقدير بحكمة وبي
 التمهيد حتى نسخ بالمدينة وروى وكيع وعلي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما نزلت يا أيها
 المزمل كنوا يقومون فحوا من قيامهم في شهر رمضان حتى نزل آخرها وكان بين نزول
 أولها وآخرها نحو من سنة وقال سعيد بن جبير رضي الله عنه مكث النبي صلى الله عليه وسلم
 وأصحابه عشر سنين يقومون الليل فزات بعد عشر سنين إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من
 ثلثي الليل تخفف الله تعالى عنهم وقيل كان قيام الليل واجباً ثم نسخ بالصلاة الخمس والصحيح
 أنه صلى الله عليه وسلم بعث يوم الاثنين في رمضان وهو ابن أربعين سنة وقيل ثلاث وأربعين
 وأمنت به خديجة رضي الله عنها ثم بعدها قبل على رضي الله عنه وهو ابن تسع سنين وقيل ابن
 عشر وقيل أبو بكر وقيل زيد بن حارثة ثم أمر بتبليغ قومه بعد ثلاث من مبعثه فأول ما فرض
 عليه صلى الله عليه وسلم بعد الانذار والدعاء الى التوحيد من قيام الليل ما ذكر في أول
 السورة ثم نسخ بما في آخرها ثم نسخ بإيجاب الصلوات الخمس ليلة الاسراء الى بيت المقدس بحكمة
 بعد النبوة بعشر سنين وثلاثة أشهر ليلة سبع وعشرين من رجب هذا ما ذكره النووي
 في روضته وقال في فتاويه بعد النبوة بخمسة أو ست وجعل الليلة من ربيع الأول وخالفه ما
 في شرح مسلم وحزم بأنهم يامن ربيع الآخر وقلد فيها القاضي عياضاً والذي عليه الأكثر
 ما في الروضة واستمر يصلي الى بيت المقدس مدة إقامة بحكمة وبعد الهجرة ستة عشر شهراً
 أو سبعة عشر ثم أمر باستقبال الكعبة ثم فرض الصوم بعد الهجرة بسنتين تقريباً وفرضت
 الزكاة بعد الصوم وقيل قبله وفي السنة الثانية قبل في نصف شعبان وقيل في رجب حوات
 القبلة وفيها فرضت صدقة الفطر وفيها ابتدأ صلى الله عليه وسلم صلاة عيد الفطر ثم عيد
 الاضحي ثم فرض الحج سنة ست وقيل سنة خمس ولم يحج صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة الا حجة

الوداع واعترا أربعاً وثلاثين صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لاثنتي عشرة خلت من شهر ربيع
 الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة * (قائدة) * الانبياء عليهم الصلاة والسلام كلهم معصومون
 قبل النبوة من الكفر وفي المعاصي خلاف وبعد هاهنا الكبار وكذا من الصغار ولوسهوا عند
 المحققين وقوله تعالى (نصفه) بدل من قلبه لا وقلته بالنظر الى الكل (أو انقص منه) أي من
 النصف (قليل) أي الثلث (أورد عليه) أي على النصف الى الثلثين وألخصه فكان صلى الله
 عليه وسلم مخبراً بين هذه المقادير الثلاثة وكان صلى الله عليه وسلم يقوم حتى يصبح مخافة أن لا
 يحفظ القدر الواجب وكذا بعض أصحابه واشته ذلك عليهم حتى انتفخت أقدامهم وقد تقدم
 أن ذلك نسخ بإيجاب الصلوات الخمس فصار قيام الليل تطوعاً فينبغي للمعتمد المواظبة عليه
 خصوصاً في الوقت الذي يبارك الله تعالى بالتخلى فيه فانه صرح أنه ينزل سبحانه عن ان تشبه ذاته
 شيئاً أو نزوله نزول غيره بل هو كناية عن فتح باب السماء الذي هو كناية عن وقت استجابة الدعاء حتى
 يبقى ثلث الليل وفي رواية حتى يبقى شطر الليل الآخر الى سماء الدنيا فيقول سبحانه هل من سائل
 فأعطيته هل من تائب فأتوب عليه هل من كذا هل من كذا حتى يطلع الفجر * ولما أمر بالقيام
 وقدر وقته وعينه أمر به بشدة التلاوة التي هي روح الصلاة على وجه عام فقال تعالى (ورتل
 القرآن) أي اقرأ على ترسل وتودة وتبين حروفه واشباع حركاته بحيث يتمكن السامع من
 عدّها ويحس المتلو منه شيئاً بالنغم المرتل وهو المنفصل المشبه بنور الاخوان وأن لا يهذه هذا
 ولا يسرده سرداً كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه شر السبر الحقيقية وشر القراءة الهزيمة
 وقال ابن مسعود رضي الله عنه ولا تنروه نرا الدقل ولا تهذوه هذا الشعر ولكن قفوا عند عما به
 وحز كوابه القلوب ولا يكن هم أحدكم آخر السورة وقوله تعالى (ترتلاً) تأكيد في الأمر به وأنه
 لا بد منه للقارئ وعن ابن عباس رضي الله عنهما اقرأ على هيئتك ثلاث آيات أو أربعاً وخمساً
 وروى الترمذي عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قام حتى أصبح بآية وآية
 ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم وثلث عائشة رضي الله عنها
 قراءة صلى الله عليه وسلم فقالت لا كسر دكم هذا لو أراد السامع ان يعد حروفها وعدّها وسئل
 أنس رضي الله عنه كيف كانت قراءة النبي صلى الله عليه وسلم قال كانت مداً ثم قرأ بسم الله الرحمن
 الرحيم بمد بسم الله ومد الرحمن ومد الرحيم وجاء رجل الى ابن مسعود رضي الله عنه فقال قرأت
 المفصل الليلة في ركعة فقال هذا كهذا الشعر لقد عرفت النظائر التي كان النبي صلى الله عليه وسلم
 يقرن بينهما فذكر عشر من سورته من المفصل كل سورتين في ركعة وروى الحسن رضي الله عنه
 أن النبي صلى الله عليه وسلم مرّ برجل يقرأ آية ويكبي فقال ألم تسمعوا الى قول الله عز وجل ورتل
 القرآن ترتلاً هذا الترتيل وروى أبو داود عن عبد الرحمن بن عوف قال قال النبي صلى الله عليه
 وسلم يؤتى بقارئ القرآن يوم القيامة فيوقف في أول درج الجنة ويقال له اقرأ أو ارق ورتل كما
 كنت ترتل في الدنيا فان منزلتك عند آخر آية تتروها ويندب اصفاؤه اليه وبكاء عند القراءة وتحسين
 صوت بها وتوذيها جهر أو إعادة لفصل طويل وجالوس لها واستقبال رتبه وتجويع وكثرة

بهن نجس وجازت بحمام وهي نظار في المصحف أفضل منها على ظهر قلب نعم ان زاد خشوعه
 وحضور قلبه في القراءة عن ظهر قلب فهي أفضل في حقه وهي أفضل من ذكر لم يخص بعمل وحرّم
 توسد مصحف وندب كتبه وايضا حقه ونقطه وشكله ويحرم كتبه بنجس ومسه به نجس غير معفو عنه
 وتحرم القراءة بالشواذ وهي ما نقل آحادا وبكسر الألف وكره العكس في السور الا في تعليم وندب
 ختم القرآن أول نهار وأول ليل وختمه في الصلاة أفضل من ختمه خارجها وندب صيام يوم الختم
 الا أن يصادف يوم منهي الشروع عن صيامه وندب الدعاء بعده وحضوره والشروع بعده في ختمه
 أخرى وندب كثرة تلاوته ونسيانه كبيرة وكذا نسيان شيء منه ويحرم تقديره بلا علم (أنا) أي بالنا
 من العظمة (سنلني) أي بوعده لا لف فيه (عليك قولا) أي قرأنا واختلف في معنى قوله تعالى
 (تقبلا) فقال قتادة رضي الله عنه ثقيل والله فرائضه وحدوده وقال مجاهد رضي الله عنه حلاله
 وحرامه وقال محمد بن كعب رضي الله عنه ثقيل على المنافقين لانه يهتك أسرارهم ويهتف
 أديانهم وقيل على الكفار لما فيه من الاحتجاج عليهم والبيان لضلالهم وسب آلهتهم قال السدي
 رضي الله عنه ثقيل بمعنى كريم مأخوذ من قولهم فلان ثقل على أي كرم على وقال الفراء ثقيل
 أي رزينا وقال الحسن بن الفضل ثقيل أي لا يحمله الا قلب مؤيد بالتوفيق ونفس مزينة
 بالتوحيد وقال ابن زيد هو والله ثقيل مبارك كما ينقل في الدنيا ينقل في الميزان يوم القيامة وقيل
 ثقيل أي ثابت كثيروت الثقيل في محله ومعناه انه ثابت الاعجاز لا يزول اعجازه أبدا وقيل ثقيل
 بمعنى ان العقل الواحد لا يفي بأدراك فوائده ومعانيه بالكلية فالتامه كلامون غاصوا في بحار
 معقولاته والفقهاء عجموا في أحكامه وكذا أدل اللغة والنحو وأرباب المعاني ثم لا يزال كل متأخر
 يشوز منه بفوائده ما وصل اليها المتقدمون فعلمنا أن الانسان الواحد لا يقوى على الاستقلال بجمله
 فصار كالجبل الثقيل الذي يعجز الخلق عن حمله والاولى أن تحمل هذه المعاني كلها فيه وقيل المراد
 هو الوحي كما جاء في الخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا أوحى اليه وهو على ناقته وضعت
 جرائنها أي صدرها على الارض فحاستطيع أن تتحمل حتى يسري عنه وعن الحرب بن هشام
 أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم كيف يأتيك الوحي فقال النبي صلى الله عليه وسلم أحيانا يأتيني
 في مثل صلصلة الجرس وهذا أشد على فيه فصرم عني وقد وعيت ما قال وأحيانا يتمثل لي الملك
 رجلا فيكلمني فأعي ما يقول قالت عائشة رضي الله عنها ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم
 الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليترعد عرفاً أي يجري عرقه كما يجري الدم من الفاصد
 وقوله فيفصم عني أي ينقل عني ويقارقني وقد وعيت أي حفظت ما قال وقال القشيري القول
 الثقيل هو قول لا اله الا الله لانه ورد في الخبر لا اله الا الله خفيفة على اللسان ثقيلة في الميزان
 وقال الزمخشري هذه الآية اعتراض ثم قال وارايد هذا الاعتراض أن ما كلفه من قيام الليل من
 جلة التكليف الثقيلة الصعبة التي ورد بها القرآن لان الليل وقت السبات والراحة والهدوء
 فلا بد لمن أحياه من مضارة أطبعه ومجاهدة لنفسه اه فالاعتراض من حيث المعنى لا من حيث
 الصنعة وذلك أن قوله تعالى (ان ناشئة الليل) أي القيام بعد النوم (في أشد وطأ) أي موافقة

السمع للقلب على تفهم القرآن هي أشد مطابق لقوله قم الليل فكأنه شبه الاعتراض من حيث
 دخوله بين هذين المناسبتين والمعنى سنلتقي عليك باقتراض صلاة الليل قولاً ثقیلاً شقلاً لانه لان
 الليل للناس من أمر بقيام أكثر لم يتهأله ذلك الا يحمل مشقة شديدة على النفس ومجاهدة
 الشيطان فهو أمر ثقیل على العبد * ولما كان الله يجدي جمع القول والفعل وبين ما في الفعل
 لانه أشق فكان بتقديم الترغيب بالمدحة أحق أتبعه القول فقال (وأقوم قبلاً) أي وأعظم
 سداداً من جهة القبول في فهمه ووقعه في القلوب لحضور القلب لان الاصوات هادية والنيابة
 سائلة فلا يضطرب على المصلي ما يقرؤه وقال قتادة ومجاهد رضي الله عنهم أصوب للقراءة
 وأثبت للقول لانه زمان التفهم لرياسة الليل بهدو الاصوات وتجلي الرب سبحانه بمجصول البركات
 وأخلص من الريا فبين الله تعالى بهذه الآية فضل صلاة الليل على صلاة النهار وأن الاستكثار
 من صلاة الليل بالقراءة فيها ما أمكن أعظم للاجر وأجلب للثواب كان علي بن الحسين رضي الله
 عنه يصلي بين المغرب والعشاء ويقول هو ناشئة الليل وقال عطاء وعكرمة رضي الله عنهم هو يد
 الليل وقال في الصحاح ناشئة الليل أول ساعاته وقال ابن عباس ومجاهد وغيرهم ما هي الليل
 كله لانه ينشأ بعد النهار وهو اختيار مالك قال ابن عري وهو الذي يعطيه اللفظ وتقضية اللغة
 وقالت عائشة وابن عباس أيضاً ومجاهد رضي الله عنهم انما الناشئة القيام بالليل بعد النوم
 ومن قام قبل النوم فقام ناشئة وقال يمان بن كيسان هو القيام من آخر الليل وأما قوله تعالى
 أشد وطأ أي أنقل على المصلي من ساعات النهار لان الليل وقت منام وراحة فاذا قام الى صلاة
 الليل فقد تحمل المشقة العظيمة هذا على قراءة كسر الواو وفتح الطاء بعده ألف عمدة وجمرة
 منونة وهي قراءة أبي عمرو وابن عامر وقرأ الباقر بن فتح الواو وسكون الطاء وبعده هاء حمزة
 منونة فهي مصدر وطات وطاء أي وافقت على الامر من الوفاق تقول فلان واطى
 اتبعه اسعى أي يوافق فاما معنى أشد موافقة بين القلب والبصر والسمع واللسان لا تنقطع
 الاصوات والحركات فله مجاهد وغيره قال تعالى ليوأطوا عدة ما حرم الله أي ليوافقوا ومنه
 قوله صلى الله عليه وسلم اللهم أشد وطأئك على مضر وقيل أشد مهاده للتصرف في الفكر والتدبر
 وقيل أشد ثباتاً من النهار فان الليل يخلفه الانسان بما يعمل فيكون ذلك أثبت للعمل والوطء
 الثبات تقول وطات الارض بقدمي وفي الجملة عبادة الليل أشد نشاطاً وأتم إخلاصاً وأكثر بركة
 وأبلغ في الثواب (ان لك) أي أيها المتهجد أو يا أكرم الخلق ان كان الخطاب للنبي صلى الله عليه
 وسلم (في النهار) الذي هو محل السعي في مصالح الدنيا (سجاً طويلاً) أي تصراً طويلاً وتقبلاً واثباتاً
 وإدباراً في حوائجك وأشغالك والسمع مصدر سجع استعير للتصرف في الحوائج من السباحة في
 الماء وهي التعدي فيه وقال القرطبي السبح الجري والدوران ومنه السباحة في الماء لتقلبه بيديه
 ورجليه وفر من سابع شديد الجري وقيل السبح الفراغ أي ان لك فراغاً لحاجات النهار وعن ابن
 عباس رضي الله عنه ما سجعاً طويلاً يعني فراغاً طويلاً لنومك وراحتك فاجعل ناشئة الليل
 لعبادتك وقيل ان فانك من الليل شيء فلك في النهار فراغ تقدر على تداركه فيه (واذكر اسم ربك)

أى المحسن اليك والموجد والمذكر بك بكل ما يكون ذكر من اسم وصفة وثناء وخضوع وتسبيح
 وتحميد وصلوة وقراءة ودعاء وإقبال على علم شرعى وأدب مرغى ودم على ذلك فى ليلك ونهارك
 واحرص عليه فاذا عظمت الاسم بالذكر فقد عظمت المسمى بالتوحيد والاخلاص وذلك عون
 لك على مصالح الدارين أما الآخرة فواضح وأما الدنيا فقد أُرشد النبي صلى الله عليه وسلم أعز
 الخلق عليه فاطمة ابنته رضى الله تعالى عنها لما سأله خادمها بيقها التعب الى التسبيح والتحميد
 والتكبير عند النوم (وتبيل) أى اجتهد فى قطع نفسك عن كل شاغل والاخلاص فى جميع
 أعمالها بالتدريج قلبا لقليل (المنتهى) (اليه) ولا تزل على ذلك حتى يصير ذلك لك خلقا فتكون نفسك
 كأنها منقطعة بغير قاطع وقوله تعالى (تبيلًا) مصدر تبيل حتى به رعاية للفواصل وهو ملزوم
 التبيل قال الرمنجرى فان قلت كيف قبل يتيسر لا مكان تبيلًا قلت لأن معنى تبيل تبيل نفسه
 بغيره على معناه مرعاة لخلق الفواصل اهـ والتبيل الانقطاع ومنه امرأة تبول أى منقطعة
 عن النكاح وفى الحديث انه منهى عن التبيل وقال يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة أى
 مؤن النكاح فليتزوج والمراد به فى الآية الكريمة الانقطاع الى عبادة الله تعالى كما مررت
 الإشارة اليه دون ترك النكاح والتبيل فى الاصل الانقطاع عن الناس والجماعات وقيل ان أصله
 عند العرب التفرد قاله ابن عرفة وقال ابن العربى هذا فى ما مضى وأما اليوم فقد مررت بهود
 الناس وخفت أماناتهم واستولى الحرام على الحطام فالعزلة خير من الخلطة والعزلة
 أفضل من التأهل ولكن معنى الآية وانقطع عن الاوثان والاصنام وعن عبادة غير الله تعالى
 وكذلك قال مجاهد رضى الله عنه معناه أخلص له العبادة ولم يرد التبيل فصار التبيل مأثورا به
 فى القرآن منها عنه فى السنة ومعلق الامر غير متعلق النهى فلا يتناقضان وانما باعث لتبيين
 ما أنزل اليهم فالتبيل المأمور به الانقطاع الى الله تعالى باخلاص العبادة كما قال تعالى وما أمروا
 الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين والتبيل المنهى عنه هو سلوك مسلك النصارى فى ترك النكاح
 والترهب فى الصوامع لكن عند فساد الزمان يكون خيرا مال المسلم غنما يتبع بها شعف الجبال
 ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن * ولما كان الواجب على كل أحد شكر المنعم بين سبحانه
 الذى أنعم بسكن الليل الذى أمرنا بالتهجد فيه ومتقشر النهار الذى أمر بالسج فيه فقال تعالى
 (رب المشرق) أى موجد محل الانوار التى بها ينمى هذا الليل الذى أنت قائم فيه ويضى بها
 الصباح وعند الصباح يحمد القوم السرى قال العلامة تقي الدين بن دقيق العيد

كم ليلة فيك وصلنا السرى * لانعرف الغمض ولا نستريح
 واختلف الاصحاب ماذا الذى * ينزل من شكواهم أو يريح
 ففيل تعريضهم ساعة * وقلت بل ذكر الله وهو الصحيح

(والمغرب) أى الذى يكون عند الليل الذى هو موضع السكون ومحل الخلوات ولذي المناجاة
 فلا تقرب شمس ولا قمر ولا نجم الا بتقديره (لا اله) أى لا معبود بحق (الاهو) أى ربك الذى دلت
 تربته لك على مجامع العظمة وأبهى صفات الكمال والتزود عن كل شائبة نقص وقرأ رب

ابن عامر أو أبو عمرو وخزعة والكسافي بكسر الباء على البدل من ربك وعن ابن عباس رضي الله
 عنهما على القسم بأضمار حرف القسم كقولك الله لا فعلن وجوابه لا اله الا هو كما تقول لا أحد
 في الدار الا زيدو الباقون برفعها على انه غير مبتدأ محذوف أو مبتدأ خبره لا اله الا هو (فاتخذ)
 أي خذ به جميع جهده وذلك بافرادك إياه ~~بكونه~~ (وكيلا) أي على كل من خالفك بأن
 تفوض جميع أمورك إليه فانه يكفيناكما كلها فانه المنفرد بالقدر عليها ولا شيء في يد غيره
 فلا تهم بشيء أصلا قال البقاعي وليس ذلك بأن يترك الإنسان كل عمل فان ذلك طمع فارغ
 بل بالأجمال في طلب كل مآذب الإنسان الى طلبه ليكون متوكلا في السبب لامن دون سبب
 فانه يكون حينئذ كمن يطلب الولد من غير زوجة وهو مخالف ~~للمعصية~~ هذه الدار المبنية
 على الأسباب ولولم يكن في افراده بالوكالة الا أنه يفارق الوكالة بالعظمة والشرف والرفق من
 جميع الوجوه فان وكيلك من الناس دونك وأنت تتوقع أن يكملك كثيرا في مصالحك وربك
 أعظم العظماء وهو يأمرك بأن تكلمه كثيرا في مصالحك ونسأله طويلا ووكيلك من الناس
 اذا حصل مالك سألك الاجرة وهو سبحانه يوفرك مالك ويعطيك الاجر ووكيلك من الناس يفتق
 عليك من مالك وهو سبحانه يرزقك ويتفق عليك من ماله ومن تمسك بهذه الآية عاش حرا يربح
 ومات خالصا شريفا ولى الله تعالى عبدا ضافيا محتارا تقيا ومن شرط الموحد أن يتوجه الى
 الواحد ويقبل عليه ويذل له نفسه ويقفوز اليه أمره ويترك التدبير ويتق به ويرك
 اليه ويتذل لربوبيته ويتواضع لعظمته (واصبر على ما يقولون) أي المخالفون المفهومون
 من الوكالة من الأذى والسب والاستهزاء ولا تجزع من قولهم ولا تمنع من دعواهم وفقوض
 أمرهم الى فاني اذا كنت وكيلك أقوم باصلاح أمرك أحسن من قيامك بأمر نفسك
 (واهجرهم) أي أعرض عنهم (هجر اجمالا) أي لا تعرض لهم ولا تشغل بمكافأتهم فان ذلك
 ترك للدعاء الى الله تعالى وكان هذا قبل الامر بالقتال فانه صلى الله عليه وسلم منع في أول
 الاسلام من قتال الكفار وأمرهم وأصحابه بالصبر على أذاهم بقوله تعالى لتبوءن في أموالكم
 الآية ثم أمرهم اذا ابتدوا بقوله تعالى وفاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ثم أجمع له
 ابتدأه في غير الأشهر الحرم ثم أمرهم مطلقا من غير تقييد بشرط ولا زمان بقوله تعالى وقاتلوهم
 حيث تفرقتهم (وذرنى) أي اتركنى (والمكذبين) أي لا تحتاج الى الظفر بمرادك ومشمالك
 الآن تخلى بيني وبينهم بأن تكل أمرهم الى وتستكفينيه فان في ما يفرغ بالك ويجلي همك
 وليس ثم منع حتى تطلب اليه ان تدره وإياه الا ترك الاستكفاء والتقويض كانه اذا لم يكل
 اليه أمره فكأنه منعه منه فاذا وكله اليه فقد أزال المنع وتركه وإياه وفيه دليل على الوفاق
 بأنه يتمكن من الوفاء بأقصى ما تدور حوله أمنية الخطاب وبما يرضى عليه واختلف في سبب
 نزول هذه الآية فقال مقاتل نزلت في المطعمين يوم بدر وهم عشرة فلم يكن الا يسيرا حتى قتلوا
 بيدرس وقال يحيى بن سلام انهم بنو المغيرة وقال سعيد بن جبيرة أخبرني انهم اثنا عشر رجلا
 وقال البيهقي نزلت في صناديد قريش ورؤساء مكة من المستهزئين وقوله تعالى (أولى النعمة)

نعت للمكذبين أى أصحاب النعم والترفع * (فائدة) * النعمة بالفتح النعم بالكسر الانعام
 وبالضم المسرة (ومهلهم) أى اتركهم يرفق وتأت وتدرج ولا تهتم بشأنهم وقوله تعالى
 (قليلًا) نعت لمصدرا أى تمهيلات قليلًا ونظرف زمان محذوف أى زمانا قليلًا نقتلوا بعد يسير
 يبدرو وقوله تعالى (ان لا ينأ أنكالا) جمع نكل بالكسر وهو القيد التقيد الذى لا ينقل أبدا
 وقال الكلبي أغلا من حديد (وجحيا) أى نار احامية جدا شديدة الانتقاد عما كانوا يتقيدون
 به من تبريد الشراب والنعم برفيق اللباس وتكلف أنواع الراحة (وطعاما ذا غصة) أى
 يغص به فى الحلق وهو الزقوم أو الضريع أو الغسلين أو الشوك من نار لا يخرج ولا ينزل
 (وعذابا أليما) أى مؤلما ومعنى الآية ان الذين فى الآخرة ما يضاعفون نعمهم فى الدنيا وهى
 هذه الامور الاربعة النكال والجحيم والطعام الذى يغص به والعذاب الاليم والمراد به
 سائر أنواع العذاب وروى أنه صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية فصعق وعن الحسن أنه
 أمسى صائما فأقبط طعام فعرضت له هذه الآية فقال ارفعه ووضع عنده الليلة الثانية فعرضت له
 فقال ارفعه وكذلك الليلة الثالثة فأخبر ثبات البناتى وزيد الضبى ويحيى البكاء فخا وأفلح
 ير الوابى حتى شرب شربة من سويق وقوله تعالى (يوم ترجف) منصوب بالاستقرار المتعلق به
 لذيئنا والرجفة الزلزلة والزعزعة الشديدة فترزل (الارض) أى كلالها (والجبال) أى التى
 هى أشدها (وكانت) أى وتكون (الجبال) التى هى مراسى الارض وأوتادها وغير شدة
 الاختلاط والتلاشى بالتوحيد فقال تعالى (كثيرا) أى رملها مجتمعا من كتب الشئ اذا جمعه
 كأنه فعيل بمعنى مفعول فى أصله ومنه الكثرة من اللبن (مهيلًا) قال ابن عباس رملها سائلا
 يتناثر وقال الكلبي هو الذى اذا أخذت منه شئ أبعثك ما بعده قال القرطبي وأصله مهيلول
 وهو مفعول من قولك هلت عليه التراب أهله أهالة وهيل اذا صبيته يقال مهيل ومهيلول
 ومكيل ومكيلول ومعين ومعينون قال الشاعر

قد كان قومك يحسبونك سيذا * وأخال أنك سيد معيون

وقال عليه الصلاة والسلام حين شكوا اليه الجذوبة انكليون أم تهيلون قالوا نهيمل قال
 كيلا اطعامكم يشارك لكم فيه وأصل مهيل مهيلول استثقلت الضمة على الياء فنقلت الى
 الهاء فالتقى ساكنان فيسيوية واتباعه حذفوا الواو وكانت أولى بالحذف لانها زائدة وان
 كانت القاعدة أن ما يحذف للتقاء الساكنين الاول ثم كسروا الهاء لتصح الياء وزنه حينئذ
 مفعول والكسائي ومن تبعه حذفوا الياء لان القاعدة حذف الاول كما مر وما خوف تعالى
 المكذبين أولى النعمة بأحوال يوم القيامة خوفهم بعد ذلك بأحوال الدنيا فقال تعالى (انا) أى
 بما لنا من العظمة (أرسلنا اليكم) يا أهل مكة شرفا لكم خاصة والى كل من بلغته الدعوة عامة
 (رسولا) أى عظيم جدا هو محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين وامامهم وأجلهم وأفضلهم
 قدرا (شاهدا عليكم) أى بما تصنعون ليؤدى الشهادة عند طلبها منه يوم تنزع من كل أمة
 شهيدا وهو يوم القيامة (كما أرسلنا) أى بما لنا من العظمة (الى فرعون) أى ملك مصر

(رسولا) وهو موسى عليه الصلاة والسلام وهذا تهديد لاهل مكة بالاخذ الويل قال مقاتل
واغاد كرموسى وفرعون دون سائر الرسل لان اهل مكة ازرروا محمدا صلى الله عليه وسلم
واستخفوا به لانه ولد فيهم كما أن فرعون ازررى موسى عليه السلام لانه ربه ونشأ فيمابينهم كما قال
تعالى حكاية عن فرعون ألم نريك فينا وليدا وذكرا الرأى السؤال والجواب قال ابن عادل وهو
ليس بالقوى لان ابراهيم عليه السلام ولد ونشأ فيمابين قوم غرود وكان آزر وزير غرود على
ما ذكره المفسرون وكذا القول في هود ونوح وصالح ولوط لقوله تعالى في قصة كل واحد منهم
لفظة أخاهم لانه من القبيلة التي بعث اليها انتهى وقد يقال الجامع بين محمد وموسى عليهما الصلاة
والسلام التربية فان أباطاب تربى عنده النبي صلى الله عليه وسلم وموسى عليه السلام تربى عند
فرعون ولم يكن ذلك لغيرهما (فعمى فرعون الرسول) انما عرفه لتقدم ذكره وهذه الالعهدية
والعرب اذا قدمت اسماء ثم أتوا به نائبا أتوا به مع رفايل أو أتوا بضمة يره ثلاثا يلبس بغيره نحو
رأيت رجلا فأكرمته الرجل أو فأكرمه ولو قلت فأكرمت رجلا لتوهم أنه غير الأول وقال
المهدوى ودخلت الالف واللام في الرسول لتقدم ذكره ولذا اختبرني أول الكتب سلام عليكم
وفي آخرها السلام عليكم ثم نسب عن عصيانه قوله تعالى (فأخذناه) أي فرعون بما لسان
العظمة وبين انه أخذ قهر وغضب بقوله تعالى (أخذوا سبيلا) أي ثقيل شديدا وضرب وييل
وعذاب وييل أي شديد قاله ابن عباس ومجاهد ومنه مطر وابل أي شديد قاله الاخفش وقال
الزجاج أي ثقيل غليظا ومنه قيل للمطر وابل وقيل مهلكا والمعنى عاقبناه عقوبة غليظة وفي
ذلك نحويف لاهل مكة ثم خوفهم بيوم القيامة فقال تعالى (فكيف تتقون ان كفرتم)
أي توجدون الوعابة التي تقي أنفسكم اذا كفرتم في الدنيا والمعنى لاسبيل لكم الى التقوى
اذا رايتم القيامة وقيل معناه فكيف تتقون العذاب يوم القيامة اذا كفرتم في الدنيا وقوله
تعالى (يوما) مفعول تتقون أي عذابه أي بأى حصن تتحصنون من عذاب الله يوم (يبعث
الولدان) وقوله تعالى (شيبا) جمع أشيب والاصل في الشين الضم وكسرت للجائسة الباء ويقال
في اليوم الشديد يوم يشيب نواصي الاطفال وهو مجاز ويجوز أن يراد في الآية الحقيقة والمعنى
يصيرون شيوخا شيوخا من هول ذلك اليوم وشدة ذلك حين يقال لا دم عليه السلام قم فابعث
بعث النار من ذريتك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول الله عز وجل يوم القيامة يا آدم
فيقول لبيك وسعديك وفي رواية والخير في يديك فينادي بصوت ان الله يأمرك ان تخرج
من ذريتك بعثا الى النار قال يارب وما بعث النار قال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين
فيتمتد تضح الخامل حملها ويشيب الوليد وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب
الله شديد فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم قالوا يا رسول الله أين ذلك الرجل فقال
النبي صلى الله عليه وسلم ابشروا فان من يأجوج وماجوج تسعمائة وتسعة وتسعين ومنكم
واحد ثم قال أنتم في الناس كالشجرة السوداء في جنب الثور الأبيض أو كالشجرة البيضاء
في جنب الثور الأسود وفي رواية كالرقعة في ذراع الحمار وهي بقع الرأى وسكون القاف الاثر

الذي في بطن عضد الجارواني لا رجوان تكو نو اربع اهل الجنة فكبر القوم ثم قال ثلث اهل
الجنة فكبروا ثم قال شطر اهل الجنة فكبروا وفي هذا الاشارة الى الاعتناء بهم لان اعطاء الانسان
مرة بعد مرة دليل على الاعتناء به ودوام ملاحظته وفي هذا ايضا حملهم على تجميد شكر الله
تعالى وحده على انعامه عليهم وهو تكبيرهم لهذه البشارة العظيمة ثم وصف هول ذلك اليوم
بقوله تعالى (السما منقطر) اي ذات انقطار اي انشقاق (به) اي بسبب ذلك اليوم لشدته
فالبا سميعة وجوز الرخمشري ان تكون للاستعانة فانه قال والباء في به مثلها في قولك فطرت
العود بالقدر فانقطر به وقال القرطبي معنى به اي فيه اي في ذلك اليوم وقيل به اي بالامر
اي السماء منقطر بما يجعل الولدان شيئا وقيل منقطر بالله اي بأمره * (نبيه) * انما
تؤت الصفه لوجوه منها قال ابو عمرو بن العلاء لانها بمعنى السقف تقول هذا سماء البيت
قال تعالى وجعلنا السماء سقفا محفوظا ومنها انما اعلى النسبة اي ذات انقطار ونحو امرأة
مرضع وجائض اي ذات ارضاع وذات حيض ومنها انما تذكرو توث انشد القراء
فلورفع السماء اليه قوما * لحقنا بالسماء وبالصحاب

ومنها انه اسم جنس يفرق بينه وبين واحد بالثاء فيقال سماء واسم الجنس يذكرو توث ولهذا قال
ابو علي الفارسي هو كقوله تعالى منتشر وأبحار تثل منقعر يعني لجأ على أحد الجائزين أولان
تأنيها ليس بحقيقي وما كان كذلك جاز تذكيره قال الشاعر * والمها * بالاعتد الحبري مكحول
والضمير في قوله تعالى (كان وعده مفعولا) يجوز ان يكون لله وان لم يجز له ذلك لعل به فيكون
المصدر مضافا للفاعل ويجوز ان يكون اليوم فيكون مضافا لمفعوله والفاعل وهو الله تعالى مقدر
قال المفسرون كان وعده بالقيامه والحساب والجزاء مفعولا كائنا لا شك فيه ولا خلف وقال
مقاتل كان وعده بأن يظهر دينه على الدين كله (ان هذه) اي الايات الناطقة بالوعيد الشديد
أو السورة (تذكرو) اي تذكرو عظيم هو اهل لان تعظ به ويعتبر به المعبر ولا سيما ما ذكر فيها لاهل
الكفر من العذاب ولما كان سبحانه قد جعل للانسان عقلا يدرك به الحسن والقبح واختيارا
يمكن به من اتباع ما يريد فلم يبق له مانع من جهة اختيار الاصل والاحسن الا قهر المشيئة التي لا
اطلاع له عليها ولا حيلة له فيها سبب عن ذلك قوله تعالى (من شاء اتخذ) اي بغاية جهده (الى ربه)
اي الحسن اليه خاصة لا الى غيره (سيلا) اي طريقا الى رضاه ورجته فليرجع فقد أمكن له لانه
أظهر له الحجج والدلائل قبل فسخت بآية السيف وكذلك قوله تعالى من شاء ذكره قال الثعلبي
والاشبه أنه غير منسوخ (ان ربك) اي المذبر لا امرك على ما يكون احسانا اليك ورفقا بك
(يعلم أنك تقوم) اي في الصلاة كما أمرت به أول السورة (أدنى) اي زمانا أقل والادنى مشترك
بين الاقرب والادون الانزل رتبة لان كلامهم ما يلزم عنه قلة المسافة (من ثلثي الليل) وقرأ
(ونصفه وثلثه) ابن كثير وعاصم وحجة والكسائي ينصب الفاء بعد الصاد ونصب المثلثة بعد
اللام ورفع الهاء فيها معطوف على أدنى والباقون يكسر الفاء والمثلثة وكسر الهاء فيها معطوف
على ضمير تقوم وقيامه كذلك مطابق لما وقع التخيير فيه أول السورة من قيام النصف

بتمامه أو الناقص منه وهو الثلث أو الزائد عليه وهو الثلثان أو الأقل من الأقل من النصف
 وهو الربع وقوله تعالى (وطائفة من الذين بعثك) عطف على ضمير تقوم وجاز من غير أن يكيد
 للفصل وقيام طائفة من أصحابه كذلك التماسي به ومنهم من كان لا يدري كم يصلي من الليل
 وكبقي منه فكان يقوم الليل كله احتياطاً فقاموا حتى انتفخت أقدامهم سنة وأكثر فحفف عنهم
 بقوله تعالى (والله) أي المحيط بكل شيء قدرة وعلماً (يقدر) أي تقدير أعطيها هو في غاية التحرير
 (الليل والنهار) أي هو العالم بمقادير الليل والنهار فيعلم القدر الذي تقومون من الليل
 والذي تنامون منه (علم أن) محققة من الثقبيلة واسمها محذوف أي أنه (لن تحصوه) أي
 الليل لتقوموا فيما يجب القيام فيه الإتيان جميعه وذلك يشق عليكم (فتاب عليكم) أي
 رجع بكم إلى التخفيف بالترخص لكم في ترك القيام المقدر أول السورة وقوله تعالى (فاقرأوا
 ما تيسر) أي سهل (من القرآن) فيه قولان أحدهما أن المراد بهذه القراءة القراءة في الصلاة
 وذلك أن القراءة أحد أجزاء الصلاة فأطلق اسم الجزء على الكلي والمعنى فصلوا ما تيسر عليكم
 قال الحسن يعني في صلاة المغرب والعشاء قال قيس بن أبي حازم صليت خلف ابن عباس بالبصرة
 فقرأ في أول ركعة بالحد وأول آية من البقرة ثم ركع ثم قام في الثانية فقرأ بالحد والآية الثانية من
 البقرة ثم ركع فلما انصرف أقبل علينا فقال إن الله تعالى يقول فاقرأوا ما تيسر منه قال القشيري
 والمشهور أن نسخ قيام الليل كان في حق الأمة وبقيت الفريضة في حق النبي صلى الله عليه
 وسلم وقال الشافعي رضي الله تعالى عنه بل نسخ بالكلية فلا يجب صلاة الليل أصلاً وإذا ثبت
 أن القيام ليس فرضاً لقوله تعالى فاقرأوا ما تيسر من القرآن معناه اقرؤا أن تيسر عليكم ذلك
 وصلوا أن تثبتوا والقول الثاني أن المراد بقوله تعالى فاقرأوا ما تيسر من القرآن دراسته
 وتحصيل حفظه وأن لا يعرض للنسيان سواء كان في صلاة أم غيرها قال كعب من قرأ في ليلة
 مائة آية كتب من القانتين وقال سعيد بن جبير آية قال القرطبي قول كعب أصح لقوله
 صلى الله عليه وسلم من قام بعشر آيات من القرآن لم يكتب من الغافلين ومن قام بمائة آية كتب
 من القانتين ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين خرجه أبو داود والطحاوي وروى أنس
 ابن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ خمسين آية في يوم أو في ليلة
 لم يكتب من الغافلين ومن قرأ مائة آية كتب من القانتين ومن قرأ مائتي آية لم يحاسبه القرآن
 يوم القيامة ومن قرأ أجمع مائة آية كتب له قنطار من الأجر فقوله من المقنطرين أي أعطى
 قنطاراً من الأجر وجاء في الحديث أنه ألف ومائتا ألفاً والاقية خير مما بين السماء والأرض
 وقال أبو عبيدة القناطر واحد ما قنطار ولا تجد العرب تعرف وزنه ولا واحد للقنطار من لفظه
 وقال ثعلب المعول عليه عند العرب أنه أربعة آلاف دينار فإذا قالوا اقناطر مقنطرة فهي اثنا
 عشر ألف دينار وقيل إن القنطار من جلد ثور ذهبا وقيل عتاقون ألفا وقيل هو جملة كثيرة
 مجهولة من المال نقله ابن الأثير قال القرطبي والقول الثاني أصح جلا الخطاب على ظاهر اللفظ
 والقول الأول مجاز لأنه من تسمية الشيء ببعض ما هو من أعماله وإذا كان ذلك على قيام لاني

قد والقراءة فلا دليل فيه على أن الفاتحة لاستعين في الصلاة بل هي متعينة في كل ركعة نظير
 الصبحين لا صلاة لمن لم يقرأ فيها بفتح الكتاب ونظير لا تجزى صلاة لا يقرأ فيها بفتح الكتاب
 رواه ابن جرير في صحيحه ما وافقه صلى الله عليه وسلم كما في مسلم مع خبر البخاري
 صلوا كما رايتوني أصلي ويحمل قوله تعالى فاقرأوا ما تيسر منه مع خبر ثم اقرأ بما تيسر معك من
 القرآن على الفاتحة أو على العاجز عنها جمع بين الأدلة ولما كان هذا انجما كان واجبا
 من قيام الليل أول السورة لعله سبحانه بعدم احصائه فسر ذلك العلم المجمل بعلم مفصل بيان
 الحكمة أخرى للنسخ فقال تعالى (علم أن) مخففة من الثقيلة أي أنه (سيكون) أي بتقدير لا يلبث
 منه (منكم مرضى) جمع مريض وهذه السورة من أول ما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم ففي
 ذلك إشارة بأن أهل الاسلام يكثرون جدا (وآخرون) غير المرضى (بضربون) أي يوقعون
 الضرب (في الارض) أي يسافرون لأن الماشي يجرد ويضرب برجله في الارض (يتقون)
 أي يطلبون طلبا شديدا (من فضل الله) أي بعض ما أوجده الملك الاعظم لعباده بالتجارة وغيرها
 (وآخرون) أي منكم أيها المسلمون (يقاتلون) أي يطلبون ويوقعون قتل أعداء الله تعالى
 ولذلك ينه بقوله تعالى (في سبيل الله) أي الملك الاعظم وكل من الفرق الثلاث يشق عليهم
 ما ذكر في قيام الليل وسوى سبحانه في هذه الآية بين درجة المجاهدين والمكسبين للمال
 الحلال النفقة على نفسه وعياله والاحسان فكان هذا دليلا على ان كسب المال بمنزلة الجهاد
 لانه جمعه مع الجهاد في سبيل الله قال صلى الله عليه وسلم ما من جالب يجلب طعاما من بلد الى
 بلد فبيعه بسعريومه الا كانت منزلته عند الله منزلة الشهداء ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه
 وسلم وآخرون يضربون في الارض يتقون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله وقال
 ابن مسعود أيما رجل جلب شيئا الى مدينة من مدائن المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعريومه
 كان له عند الله منزلة الشهداء وقرأ وآخرون الآية وقال ابن عمر ما خلق الله تعالى موبة
 أموتها بعد الموت في سبيل الله احب الى من الموت بين شعبي رجل اتقى من فضل الله ضاربا
 في الارض وقال طاووس السامعي على الارملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله وأعاد قوله تعالى
 (فاقرأوا ما تيسر منه) أي من القرآن للتأكيد (واقموا الصلاة) أي المكتوبة وهي خمس
 بجميع الامور التي تقوم بها من أركانها وشروطها وأبعاضها وهياتها (وأؤوا الزكاة) أي
 زكاة أموالكم وقال عكرمة وقتادة صدقة الفطر لأن زكاة الاموال وجبت بعد ذلك وقيل
 صدقة التطوع وقيل كل فعل خير وقال ابن عباس طاعة الله تعالى والاخلاص (واقضوا
 الله) أي الملك الاعلى الذي له جميع صفات الكمال التي منها الغنى المطلق من أبدانه لكم
 وأموالكم في أوقات محسبكم ويساركم (قرضا حسنا) من نوافل الخيرات كلها برغبة نامة
 وعلى هيئة جميلة في ابتدائه وانتهائه وقال زيد بن أسلم القرص الحسن النفقة على الاهل
 وقيل صلة الرحم وقرى الضيف وقال عمر بن الخطاب هو النفقة في سبيل الله (وما تقدموا
 لانفسكم) أي خاصة سلفا لاجل ما بعد الموت حيث لا تقدرون على الاعمال (من خير) أي

خير كان من عبادات البدن والمال (يتحدوه) أي محفوظا لكم (عند الله) أي المحيط بكل
شيء قدرة وعلم (هو) أي لا غيره (خيرا) أي لكم وجاز ضمير الفصل بين غير معرفتين لأن
أفعل منه كالمعرفة ولذلك يتنوع دخول أداة التعريف عليها والمعنى هو خير من الذي تدخرونه
إلى الوصية عند الموت قاله ابن عباس وقال الزجاج خير لكم من متاع الدنيا وروى البغوي
بسند عن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أيكم ماله أحب إليه من مال وارثه
قالوا يا رسول الله ما منّا من أحد إلا ماله أحب إليه من مال وارثه قال اعلموا ما تقولون قالوا
ما نعلم إلا ذلك يا رسول الله قال انما مال أحدكم ما قدم ومال وارثه ما أخر (وأعظم أجرا) قال
أنهريرة يعني الجنة ويحتمل أن يكون أعظم أجر الاعطائه بالجنة أجرا ولما كان الإنسان إذا
عمل ما يمدح عليه ولا سيما إذا كان المادح له ربه ربما أدركه الابهاب بين له أنه لا يقدر بوجهه
على أن يقدر الله تعالى حق قدره فلا يزال مقصرا فلا يسعه إلا العفو فقال عز من قائل
(واسع غفورا لله) أي اطلبيوا وأوجدوا ستر الملك الأعظم الذي لا تحيطون به عرفته فكيف
بأداء حق خدمته لتقصيركم عينا وأثر بفعل ما يرضيه واجتناب ما يسخظه (إن الله) أي الملك
الأعظم (غفور) أي بالغ الستر لا عيان الذنوب وآثارها حتى لا يكون عنها عقاب ولا عتاب
(رحيم) أي بالغ الأكرام بعد الاسترافضالاوا حسانا وتشريفا وامتنانا وقول البيضاءوى تنعا
للزخمشرى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة المزمل دفع الله عنه العسر في الدنيا
والآخرة حديث موضوع

﴿سورة المدثر﴾

(وهي خمس وأوست وخمسون آية ومائتان وخمسون كلمة وألف وعشرة أحرف)

(بسم الله) الملك الواحد القهار (الرحمن) الذي عم برحمته الأبرار والفقهار (الرحيم) الذي
خص أصفياه بجايوسلهم إلى دار القرار ولما ختمت المزمل بالبشارة لآرباب البصارة بعد
ما بدت بالاجتهاد في الخدمة المهيبة للقيام بأعباء الدعوة افتتحت هذه بحظ حكمة الرسالة
وهي التذارة فقال تعالى (يا أيها المدثر) روى عن يحيى بن أبي كثير قال سألت أبا سلمة بن عبد
الرحمن عن أول ما نزل من القرآن قال يا أيها المدثر قلت يقولون أقرأ باسم ربك الذي خلق قال
أبو سلمة سألت جابر بن عبد الله عن ذلك وقلت له مثل ذلك الذي قلت فقال لي جابر لا أحد لك
إلا مثل ما حدثنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جاورت بحرا شهرا فلما قضيت جوارى
هبطت فنوديت فنظرت عن يميني فلم أر شيئا ونظرت عن شمالي فلم أر شيئا ونظرت عن خلفي فلم أر
شيئا فرفعت رأسي فראيت شيئا فأبيت شديجة فقات دثروني وصبا على تمام باردا قال فنزل يا
المدثر الآية وذلك قبل أن تقرر الصلاة وفي رواية فلما قضيت جوارى هبطت فاستبظنت
الوادى وذكر نحوه وفيه فاذا قاعد على عرش في الهواء يعني جبريل عليه السلام فأخذتني
رجفة شديدة وعن جابر من رواية الزهري عن أبي سلمة عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه

وسلم يحدث عن فترة الوحي فقال لي في حديثه فبينما أنا أمشي سمعت صوتا من السماء فرفعت رأسي فإذا الملك الذي جاء لي بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض فجئنت منه رعبا فقلت زملوني زملوني فذرني فأنزل الله عز وجل يا أيها المذثر ألق قولك فاخبر وفي رواية فجئنت منه حتى هويت إلى الأرض فجئت إلى أهلي وذكره ثم جئ الوحي وتابعت (فان قيل) إن هذا الحديث دال على أن سورة المذثر أول ما نزل وبعارضه حديث عائشة المخرج في الصحيحين في بدء الوحي وسيأتي في موضعه إن شاء الله تعالى وفيه فقطعني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ باسم ربك الذي خلق حتى بلغ ما لم أعلم فرجع به رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده الحديث (أجيب) بأن الذي عليه العلماء أن أول ما نزل من القرآن على الإطلاق اقرأ باسم ربك الذي خلق كما صرح به في حديث عائشة ومن قال إن سورة المذثر أول ما نزل من القرآن فضعيف وانما كان نزولها بعد فترة الوحي كما صرح به في رواية الزهري عن أبي سلمة عن جابر ويدل عليه ما في الحديث وهو يحدث عن فترة الوحي إلى أن قال وأنزل الله تعالى يا أيها المذثر ويدل عليه قوله أيضا فإذا الملك الذي جاءني بحراء وحاصله أن أول ما نزل من القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة اقرأ باسم ربك وإن أول ما نزل بعد فترة الوحي سورة المذثر وهذا يحصل الجمع بين الحديثين بقوله فاذا هو قاعد على عرش بين السماء والأرض يريد به السرير الذي يجلس عليه وقوله يحدث عن فترة الوحي أي عن احتباسه وعدم تنابعه وتواليه في النزول وقوله فجئنت منه روي بفتح مضمومة ثم همزة مكسورة ثم ناء مثلثة ساكنة ثم ناء الضمير وروي بشاءين مثلتين بعد الجيم ومعناها فرعبت منه وفزعته وقوله سمع الوحي وتابعت أي كثر نزوله وازداد بعد فترة من قولهم حيث الشمس والنار إذا ازداد حرها وقوله وصبو على ماء بارد فيه أنه ينبغي لمن فزع أن يصب عليه الماء ليسكن فزعه وأصل المذثر المذثر وهو الذي يذثر في ثيابه ليستدف فيهما وأجمعوا على أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما سمى مذثر الوجه أحد ما قوله صلى الله عليه وسلم دثروني وثانيها أنه صلى الله عليه وسلم كان نائما متدثرًا بثيابه فجاء جبريل عليه السلام وأيقظه صلى الله عليه وسلم وقال يا أيها المذثر (قم فاذكر) أي حذر الناس من العذاب إن لم يؤمنوا والمعنى قم من مضجعك واترك التدثر بالثياب واشتغل بهذا المنصب الذي نصبك الله عز وجل له وثالثها أن الوليد بن المغيرة وأباجهسل وأبالهب والنضر بن الحارث اجتمعوا وقالوا إن وفود العرب يجتمعون في أيام الحج وهم يسألون عن أمر محمد وقد اختلفتم في الاخبار عنه في قاتل هو مجنون وقاتل ساحر وقاتل كاهن وتعلم العرب أن هذا كله لا يجتمع في رجل واحد فاستدلون باختلاف الاجوبة على أنها اجوبة باطلة سموها محمد باسم واحد تجتمعون عليه وتسميه العرب به فقام رجل منهم فقال انه شاعر فلما سمع صلى الله عليه وسلم ذلك اشتد عليه ورجع إلى بيته محزونًا فقدر بقطعة فأنزل الله تعالى يا أيها المذثر وقيل انه ليس المراد التدثر بالثياب وعلى هذا فقيه وجوه أيضا أحدها قال عكرمة المعنى يا أيها المذثر بالنبوة والرسالة من قولهم ألبسه الله لباس التقوى وزينه برداء العلم قال ابن العربي

وهذا مجاز بعيد لانه لم يكن نبيا بعد اى على القول بانها أول سورة نزلت وأما على أنها نزلت
بعد فترة الوحى فليس بعيد وثانيها ان المذنب بالشوب يكون كالمتقى فيه وهو صلى الله عليه وسلم
كان في جبل خراء كالمتقى من الناس فكانه قال يا أيها المذنب تدار الاختفاء فمبهذا الامر
واخرج من زاوية الجول واشتغل بانذار الخلق والدعوة الى معرفة الحق وثالثها أنه تعالى
جعل له رجة للعالمين فكانه قبل له يا أيها المذنب تأتوا بالعلم العظيم والخلق الكريم والرحمة الكاملة
قم فاندرد عذاب ربك وعلى كلا القولين في ندائه بذلك ملاطفة في الخطاب من الكريم الى
الحبيب اذ ناداه بحاله وعبر عنه بصفته ولم يقل يا محمد (وربك) أى خاصة (فكبر) أى عظمه
عما يقول عبدة الاوثان وصفه بأنه أكبر من أن تكون له صاحبة أو وادعى الحديث انهم قالوا
سم تفتح الصلاة فتزول وربك فكبر أى صفه بأنه أكبر قال ابن العربي وهذا القول وان كان
يقضى بعمومه تكبير الصلاة فانه يرادفه تكبير التقديس والتزويه بخلع الانداد والاصنام
ذونه ولا يتخذ وليا غيره ولا يعبد سواه وروى أن أباسقان قال يوم أحدا على جبل وهو اسم صنم
كان لهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم قولوا لله أعلى وأجل وقد صار هذا اللفظ يعرف الشرع
في تكبير العبادات كلها أذانا وصلاة وذكر يقول الله أكبر ورجل عليه لفظ النبي صلى الله عليه
وسلم الوارد على الاطلاق موارد هاهنا قوله تحريمها التكبير وتحليلها التسليم والشرع يقتضى
يعرفه ما يقتضى بعزمه ومن موارد أوقات الاهلال بالله تعالى لتحليصه من الشرك واعلاما
باسمه بالنسك واقراد الماشرع من أمره بالنسك والمنقول عن النبي صلى الله عليه وسلم
في التكبير في الصلاة هو لفظ الله أكبر وقال المفسرون لما نزل قوله تعالى وربك فكبر قام
النبي صلى الله عليه وسلم وقال الله أكبر فكبرت خديجة رضى الله تعالى عنها وفرحت وعاتت الله
وسمى من الله تعالى ذكره القشيري وقال مقاتل هو أن يقال الله أكبر وقيل المراد منه التكبير
في الصلاة (واستشكل) ذلك على القول بانها أول سورة نزلت فان الصلاة لم تكن فرضت
(وأجيب) بأنه يحتمل أنه صلى الله عليه وسلم كان له صلوات تطوع فأمر أن يكبر فيها (تمية)
دخلت الفاء في قوله تعالى فكبر وفيما بعده لافادة معنى الشرط كانه قيل وما يكن فكبر ربك
أو للدلالة على أن المقصود الاول من الامر بالقيام أن يكبر به عن الشرك والتشبيه فان
اول ما يجب معرفة الصانع وأول ما يجب بعد العلم بوجوده تنزيهه والقوم كانوا مقرين به
(وميا بك فظهر) أى من النجاسات لان طهارة الثياب شرط في صحة الصلاة لانصح الابهادهى
الاولى والاحب في غير الصلاة وقبيح بالمؤمن الطيب أن يجمد خبثا قال الرازى اذا جئنا
التطهير على حقيقته ففي الآية ثلاث احتمالات الاول قال الشافعي المقصود من الآية الاعلام
بأن الصلاة لا تجوز الا في ثياب طاهرة من النجاس وثانيها روى أنهم ألغوا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم سلاءة فشق عليه فرجع الى بيته حزينا وتدفق في ثيابه صلى الله عليه وسلم
فقيل يا أيها المذنب قم فاندرد ولا تمنعك تلك الشناعة عن الانذار وربك فكبر على أن لا يتقم
منهم وميا بك فظهر عن تلك النجاسات والقاذورات وثالثها قال عبد الرحمن بن زيد بن

أسلم كان المشركون لا يصوفون ثيابهم عن النجاسات فأمره الله تعالى أن يصون ثيابه عنها
وقيل هو أمر بتقصيرها ومخالفه العرب في تطويلهم الثياب وجرهم الذبول وذلك مما لا يؤمن
معه أصابة النجاسة قال صلى الله عليه وسلم إذا المؤمن إلى أنصاف ساقيه ولا جناح عليه فيما بينه
وبين الكعنين وما كان أسفل من ذلك ففي النار فجعل صلى الله عليه وسلم الغاية في لباس
الأزار الكعب وتوعد على ما تجتبه بالنار فبالرجال يرسلون أذيالهم ويطيلون ثيابهم
ثم يكفون رقعها بأيديهم وهذه حالة الكبر وقال صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله إلى من جتر
ثوبه خيلاء وفي رواية من جتر أزاره خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة قال أبو بكر رضي
الله عنه يا رسول الله إن أحد شقي أزارى يستترخى إلا أنى أنعاه ذلك منه فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لست بمن يصنعه خيلاء وقيل هو أمر بتطهير النفس عما يستقذر من
الأفعال ويستعجن من العادات يقال فلان طاهر الثياب وطاهر الجلب والذيل إذا وصفوه
بالنقاء من المعاييب ومما انس الاخلاق وفلان دنس الثياب للغادر وذلك لأن الثوب يلبس
إلنسان ويشتمل عليه فكفى به عنه ألا ترى إلى قولهم أعجبني زيد ثوبه كما نقول أعجبني زيد
عقله وخلقه ويقولون انجذ في ثوبه والكرم تحت حلتبه ولأن الغالب أن من طهر باطنه ونقاها
عنى بتطهير الظاهر وتنقيته وأبى الاجتناب الخبيث وإبشار الطهر في كل شئ وقال عكرمة
سئل ابن عباس رضى الله عنهما عن قوله تعالى وإياك فطهر فقال لا تلبسها على معصية ولا على
غدر ثم قال أما سمعت قول غيلان بن سلمة الثقفي

وانى بحمد الله لا ثوب فاجر * لست ولا من عنده أقتنع

والعرب تقول في وصف الرجل بالصدق والوفاء طاهر الثياب ويقولون لمن غدر أنه دنس
الثياب وقال أبي بن كعب لا تلبسها على غدر ولا على ظلم ولا على أثم البسها وأنت بر طاهر وقال
الحسن والقرطبي وخلقت فحسن وقال سعيد بن جبيرة وقيلك بيتك فطهر وقال مجاهد وابن زيد
وعملك فاصحج وروى منصور عن أبي رزين قال يقول وعملك أصحج قال وإذا كان الرجل خبيث
العسل قالوا إن فلانا نجس الثياب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم يحشر المرء في ثوبه للذين
مات عليهم ما بعنى عمله الصالح والطالح ذكره الماوردي وقيل المراد بالثياب الأهل أى طهرهم من
الخطايا بالموعظة والتأديب والعرب تسمى الأهل ثوبا ولباسا وإذا قال تعالى هن لباس لكم
وأنت لباس لهن وقيل المراد بالدين أى وديتك فطهر جاما في الصحيح أنه عليه الصلاة والسلام
قال رأيت الناس وعليهم ثياب منهم ما يبلغ البدي ومنها ما دون ذلك ورأيت عمر بن الخطاب
وعليه أزار يجزه قالوا يا رسول الله فما أولت ذلك قال الدين وقوله تعالى (والرجن) فسر النبي
صلى الله عليه وسلم بالإوثان (فاهجر) أى بدم على هجره وقيل الزاى فيه من قلبه من السنين
والعرب تعاقب بين السنين والزاى اقرب من جريحه ما دليل هذا التأويل قوله تعالى فاجتنبوا
الرجن من الإوثان وروى عن ابن عباس أن معناه اترك المأثم وقروا حنص انضم الراء
والباقون بكسرها وهم اللتان ومعناها واحد وقال أبو العالية الرجن بضم الراء الصنم

وبالكسر النجاسة والمعصية وقال الضعيف يغني الشرك وقال الكلبي يعني العذاب قال
 البغوي ويجاز الآية أجمراً ويجب لك العذاب من الاعمال وقوله تعالى (ولا تئن تستكثر)
 مرفوع منصوب المحل على الحال أي لا تعط مستكثراً راثياً لما تعطيه كثيراً واجعله خالصاً
 لله تعالى ولا تطلب عوضاً أصلاً ومعنى تستكثر أي طالباً للكثرة كراهاً أن ينقص المال بسبب
 العطاء فيكون الاستكثار هنا عبارة عن طلب العوض كيف كان ليكون عطاؤه صلى الله عليه
 وسلم خالياً عن انتظار العوض والثقات النفس اليه وقيل لا تعط شيئاً طالباً للثمن
 عن الاستقرار وهو أن يهب شيئاً وهو يطمع أن يعوض من الموهوب له أكثر من الموهوب
 وهذا جائز ومنه الحديث المستغزى به من هبته وفيه وجهان أحدهما أن يكون نهباً خاصاً
 برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ظاهر الآية لأن الله تعالى اختاره لأشرف الأديان وأحسن
 الأخلاق والثاني أنه نهى تنزيهه لا تحريمه ولا قتله وقيل أنه تعالى لما أمره بأربعة أشياء أذار
 القوم وتكبير الرب وتطهير الثياب وهجر الرجز ثم قال ولا تئن تستكثر أي لا تئن على ربك
 بهذه الأعمال الشاقة كما تستكثر لما تفعله (ولربك فاصبر) أي على الأوامر والنواهي متقرباً
 بذلك إليه غير ممتنع به عليه وقال الحسن بحسنائك تستكثرها وقال ابن عباس ولا تعط عطية
 ملتصباً بها أفضل منها وقيل لا تئن على الناس بما تعلمهم من أمر الدين والوحي مستكثر بذلك
 الأنعام فإنك إنما فعلت ذلك بأمر الله تبارك وتعالى فلا منه لك به عليهم ولهذا قال تعالى ولربك
 فاصبر وقيل لا تئن عليهم بنيتك لتستكثر أي لا تأخذ منهم أجراً على ذلك تستكثر به مالك
 وقال مجاهد والربيع لا تعظم عملك في عينك أن تستكثر من الخير فانه مما أنعم الله تعالى به عليك
 وقال ابن كيسان لا تستكثر عملك فترام من نفسك انما عملك منة من الله تعالى عليك اذ جعل لك
 الله تعالى سبيلاً إلى عبادته وقال زيد بن أسلم اذا أعطيت عطية فأعطها الربك لا تشغل دعوتك فلم
 يستجب لي وقيل لا تفعل الخير لتراعى به الناس * ولما ذكر تعالى ما يتعلق بأمر النبي صلى الله
 عليه وسلم ذكر بعده وعيد الاشقياء بقوله تعالى (فاذا نقر) أي نفخ (في الناقور) أي في الصور
 وهو القرن النفخة الثانية فأقول من المنقر من أي التصويت وأصله القرع الذي هو سب
 الصوت والفاء للسببية كأنه قال تعالى اصبر على زمان صعب تلقى فيه عاقبة صيرك وأعد أولك
 عاقبة ضرهم واذا نظرت لما دل عليه قوله تعالى (فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين) لأن
 معناه عسير الأمر على الكافرين وذلك إشارة إلى وقت النقر وهو يومئذ أخبره يوم عسير ويومئذ
 بدل أو ظرف خبره اذ التقدير ذلك الوقت وقوع يوم عسير وقرأ على الكافرين وأصحاب
 النار أبو عمرو والدوري عن الكسائي بالامالة تحضة وقرأ أورش بين اللقطين والباقرين بالفتح
 * ولما كان العسر قد يطلق على الشيء وفيه يسر من بعض الجهات أو يعالج فيرجع يسيراً بين أنه
 ليس كذلك بقوله تعالى (غير يسر) فجمع فيه بين اثبات الشيء ونفي ضده تحقيقاً لأمره ودفعاً
 للمجازعة وتقييده بالكافرين يشعر بيسره على المؤمنين فإنهم لا يناقشون الحساب ويحشرون
 بين الوجوه يقال الموازين قال الرازي ويحتمل أنه عسير على المؤمنين والكافرين إلا أنه على

الكافرين أشد * (تنبيه) قال الحلبي سمي الصور باسمين فان كان هو الذي ينفتح فيه النفختان
 فان نفخة الاصعاق بخلاف نفخة الاحياء وجاء في الاخبار ان في الصور ثقباً بعدد الارواح كلها
 وانهم تجتمع في تلك الثقب في النفخة الثانية فتخرج عند النفخ من كل ثقب روح الى الجسد
 الذي نزعته منه فيعود الجسد حياً باذن الله تعالى (ذري) أي اتركني على أي حالة اتفقت
 (ومن خلقت) معطوف على المفعول أو مفعول معه وقوله تعالى (وحيداً) فيه أوجه أحدها
 انه حال من الداء في ذري أي ذري وحدي معه فأنا أكفيل في الانتقام منه الثاني أنه حال من
 التاء في خلقت أي خلقتة وحدي لم يشركني في خلقه أحد فأنا أهلكه الثالث أنه حال من عائد
 المحذوف أي خلقتة وحيداً فوحيداً على هذا حال من ضمير المفعول المحذوف أي خلقتة في بطن
 أمه وحيداً لا مال له ولا ولد ثم أعطيت ما أعطيته فله مجاهد الرابع أن يقتضب
 على الذم لانه يقال ان وحيداً كان لقباً للوليد بن المغيرة الخزومي ومعنى وحيداً ذليلاً لانه كان
 يزعم انه وحيد في فضله وماله وليس في ذلك ما يقتضي صدق مقاتله لان هذا اللقب له شهرة به
 وقد يلقب الانسان بما لا يتصف به واذا كان لقباً تعين نصبه على الذم قال ابن عباس كان الوليد
 يقول أنا الوحيد بن الوحيد ليس لي في العرب نظير ولا لابي المغيرة نظير قال الرازي ورد هذا
 القول بعضهم بأنه تعالى لا يصدق في دعواه تلك بأنه وحيد لا نظير له ذكره الواحدى وهو ضعيف
 من وجوه ثلاثة لانه قد يكون الوحيد علماً في قول السؤال لان اسم العلم لا يفسد في المسمى صفة
 بل هو قائم مقام الاشارة الثاني أن يكون ذلك بحسب ظنه واعتقاده كقوله عز وجل ذق انك
 أنت العزيز الكريم الثالث أنه وحيد في كفره وعناده وخبثه لان لفظ الوحيد ليس فيه
 أنه وحيد في العلو والشرف الرابع قال أبو سعيد الوحيد الذي لا ب له كما تقدم في الزيم
 (وجعلت له) أي بأسباب أوجدتها أنا وحدي لا يجوز منه ولا قوة دليل أن غيره أقوى منه بدناً
 وقلباً وأوسع فكراً وعقلاً وهو دونه في ذلك (عالم المدودا) أي المالا واسعا كثيراً قال ابن عباس
 هو ما كان للوليد بمكة والطائف من الابل والمقر والغنم والجور والجنان والعبيد والحواري
 واختلفوا في مبلغه فقال مجاهد وسعيد بن جبيرة ألف دينار وقال قتادة ستة آلاف دينار وقال
 سفيان الثوري مرة أربعة آلاف دينار ومرة ألف ألف دينار وقال ابن عباس تسعة آلاف
 مثقال فضة وقال الرازي المدود هو الذي يكون له مدد يأتي منه الجزء بعد الجزء دائماً ولذلك
 فسره عمر غلة شهر بشهر وقال النعمان المدود بالزيادة كالزروع والضروع وأنواع التجارات
 وقال مقاتل كان له بستان بالطائف لا تنقطع ثماره شتاء ولا صيفاً (وبين) أي وجعلت له بين
 (شهوداً) أي حضوراً معه لغناهم عن الاسفار بكثرة المال وانتشار الخدم وقوة الاعوان وهم
 مع حضورهم في الذروة من الحضور بتمام العقل وقوة الخلق فهم في غاية المعرفة ومع ذلك
 فهم أعيان الجبال وصدور الحافل كانه لاشاهد به غيرهم قال مجاهد وقتادة كانوا عشرة
 وقال السدي والضحاك كانوا اثني عشر رجلاً وعن الضحاك سبعة واربعة وخمسة بالطائف
 وقال مقاتل كانوا سبعة ولعله اقتصر على من واد بمكة وعلى كل قول أسلم منهم ثلاثة خالداً الذي

مِن الله تعالى على المسلمين بإسلامه فكان سيف الله وسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم وهشام
 وعجزة (ومهدت) أي بسطت (له) العيش والعمر والولد والتمهيد عند العرب التوطئة والتهيئة
 ومنه مهيد الصبي. وقال ابن عباس أي وسعت له ما بين اليمن إلى الشام. وعن مجاهد أنه المال
 بعضه فوق بعض كما يهد القراش فلم يرع هذه النعمة العظيمة وقوله تعالى (تمهدا) تأكيد (ثم) أي
 بعد الأمر العظيم الذي ارتكبه من تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم (يطمع) أي بغیر
 سبب يدل به مما جعلناه سبب المزيد من الشكر (ان أنيد) أي فيما آتيت به في دينه أو في آخره وهو
 يكذب رسولنا صلى الله عليه وسلم. وقال الحسن ثم يطمع أن أحله الجنة وكان الوليد يقول
 ان كان محمد صادقاً لما خلقت الجنة الا لي فقال الله تعالى رداً عليه وتكذيباً له (كلام) أي وعزتنا
 وجلالنا لا تكون له زيادة على ذلك أصلاً وأما النقصان فسيرى ان استمر على تكذيبه فليرتدع
 عن هذا الطمع ولن ينزجر ولن يرجع فانه حق محض وزخرف مجت وعز وصراف قالوا فما زال
 الوليد بعد نزول هذه الآية في نقصان من ماله وولده حتى هلك فقيراً * (تنبيه) * كذا قطع للرجاء عما
 كان يطمع فيه من الزيادة فيكون متصلاً بالكلام الاقل وقيل كذا يعني حقاً ويبدأ بقوله تعالى
 (انه) أي هذا الموصوف (كان) أي بخلق كانه جبلة له وطبع لا يقدر على الانكسار عنه
 (لا يأتينا) على ماله من العظمة خاصة لكونها هادية إلى الوحدة لا إلى غيرها من الشبه القائدة
 إلى الشرك (عنيداً) قال قتادة أي جاحداً وقال مقاتل معرضاً وقال مجاهد انه المجانب للحق
 وجمع العنيد عند مثل رغيف ورغف والعنيد بمعنى المعاند والعناد كما قال الملو من كبر
 في النفس وييسر في الطبع وشراصة في الاخلاق أو خبل في العقل وقد جمع ذلك كما ابليس لعنه
 الله تعالى لانه خلق من نار وهي من طبعها البوسة وعدم الطواعية * (تنبيه) * في الآية
 اشارة إلى أن الوليد كان معانداً في أمور كثيرة منها انه كان يعاند في دلائل التوحيد وصحة النبوة
 وصحة البعث ومنها ان كفره كان عناداً لانه كان يعرف هذه الاشياء بقلبه ويذكرها بلسانه
 وكفر العناد أخش أنواع الكفر ومنها أن قوله تعالى كان يدل على أن هذه حرقه من قديم
 الزمان (سأرقه) أي أكلفه (صعوداً) أي مشقة من العذاب لا راحة له فيها. وروى الترمذي
 عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه جبل من نار تصعد فيه سبعين خريفاً ثم يرمى
 وفي رواية أنه كلما وضع يده في معالجة الصعود ذابت فاذا رفعها عادت وكذا رجله وقال
 الكلبي انه محزور ملساء في النار يكلف أن يصعد بها يجذب من أمامه بسلاسل الحديد ويضرب
 من خلفه بمقامع الحديد فيصعد بها في أربعين عاماً فاذا بلغ ذروتها أسقطها ثم يكلف
 أن يصعد بها فذلك دأبه أبداً (انه) أي هذا العنيد (فكر) أي ردّ فكره وأداره تابع الهواه
 لأجل الوقوع على شيء يطمع به في القرآن أو النبي صلى الله عليه وسلم (وقدر) أي أوقع تقدير
 الأمور التي يطمع بها وواقفها في نفسه لعله أنما أقرب إلى القبول وذلك ان الله تعالى لما أنزل
 على النبي صلى الله عليه وسلم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم إلى قوله تعالى المصير
 قام النبي صلى الله عليه وسلم في المنجد والوليد بن المغيرة قريب منه يسمع قراءته فلما فطن النبي

صلى الله عليه وسلم لاستماعه لقراءته أعاد قراءة الآية فأنطلق الوليد حتى أتى مجلس قومه
 بنى مخزوم فقال والله لقد سمعت من محمد أنفاً كلاماً ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن أن له
 الخلاوة وإن عليه لطاولة وإن أعلاه لمزوان أسفله لمغدق وأنه يعمل ولا يعمل عليه ثم أنصرف إلى
 منزله فقالت قريش صباحاً والله الوليد والله لتصبأ قريش كلهم فقال أبو جهل أناأ كفيكموه
 فأنطلق فقعد إلى جنب الوليد حتى ساف فقال له الوليد ما لي أراك حزينا يا ابن أخي قال وما يمنعني
 أن لأحزن وهذه قريش يجتمعون لك ثقة يعينونك على كبر سنك ويرحمون أنك زينت كلام
 محمد وأنك داخل على ابن أبي كبشة وابن أبي خافعة تسأل من فضل طعامهم فغضب الوليد
 وقال ألم تعلم أني من أكثرهم مالا وولداً وهل شيع محمد وأصحابه من الطعام فيكون لهم فضل
 ثم قام مع أبي جهل حتى أتى مجلس قومه فقال لهم تزعمون أن محمد المجنون فهل رأيتموه يخنق قط
 قالوا اللهم لا قال تزعمون أنه كاهن فهل رأيتموه قط تسكهن فقالوا اللهم لا قال تزعمون أنه شاعر
 فهل رأيتموه يتعاطى شعراً قط قالوا اللهم لا قال تزعمون أنه كذاب فهل جرت بتم عليه شيئا من
 الكذب قالوا اللهم لا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى الأمين قبل النبوة من صدقه
 فقالت قريش للوليد في هو قفصك في نفسه وقد رمأ أسراً قال الله تعالى (فقتل) أي هلك وطرده
 ولعن في دنياه هذه (كيف قدر) أي على أي كيفية أوقع تقديره هذا (ثم قتل) أي هلك وأعن هذا
 العنيد هلا كاولعنا هو في غاية العظمة فيما بعد الموت في البرزخ والقيامة (كيف قدر) فتم للدلالة
 على أن الثانية أبلغ من الأولى ونحوه قوله * ألا يا سلمي ثم اسلمي ثم اسلمي * ومعنى قول القائل
 قتله الله ما أشجعه وأخزاه الله ما أشعره للأشعار بأنه قد بلغ المبلغ الذي هو حقيق بأن يحسد
 ويدعو عليه حاسده بذلك وأما ثم المتوسطة بين الأفعال التي بعده فمدها فهي للدلالة على أنه تأنى
 في التأمل وتهمل وكان بين الأفعال المتناسقة تراخ وتباعد وقوله تعالى (ثم نظر) عطف على
 فيكره وقدر والدعاء اعتراض بينهما والنظر تأملي وجوه قومه وأما فيما يقدح به في القرآن
 (ثم عبس) أي قبض وجهه وكأه ونظر مع تقبض جلد وما بين العينين بكرهة شديدة كلهم
 للتفكير في شيء وهو لا يجد فيه فرجاً لأنه ضاقت عليه الحيل لكونه لم يجد فيما جاء به النبي
 صلى الله عليه وسلم مطعنا وقيل عبس وجهه في وجوه المؤمنين وذلك أنه لما قال لقريش
 إن محمد أساحر مري على جماعة من المسلمين فدعوه إلى الإسلام فعبس في وجوههم وقيل عبس
 على النبي صلى الله عليه وسلم حين دعاه (وبسر) أي زاد في القبض والكدح يقال وجهه بأسر
 أي منقبض أسود كالح متغير اللون قاله قتادة (ثم) أي بعد هذا التروى العظيمة (أدبر)
 أي عما أداه إليه فكره من الإيمان بسلامة المظروف فيه وعلوه عن المطاعين فخاد عن وجوه
 الأفكار إلى أقصيتها (واستكبر) أي أوجد الكبر عن الاعتراف بالحق إيجاداً من هو في غاية
 الرغبة فيه (فقال) أي عقب ما جره إليه طبعه الخبيث من إيقاع الكبر على هذا الوجه
 لكونه رآه نافعاً لهم في الدنيا (أن) أي ما (هذا) أي الذي أتى به محمد صلى الله عليه وسلم
 (الاسحر) أي أمور تخيلية لاحتمالها وهي لدقتها بحيث تخفى أسبابها أماراً يتوهى يفرق

بين الرجل وأهله وماله وولده ومواليه فما هو الأسحر (يوتّر) أي من شأنه أن ينقله السامع عن غيره فهو ينقله من مسيلة وأهل بابل كما قال (ان) أي ما (هو) أي القرآن (الاقول البشر) أي ليس فيه شيء عن الله تعالى فلا يغير أحد فيه ولا يعرج عليه فارتج النادى فرحاً ثم تفرقوا معجبين بقوله متعجبين منه قليل وهذا شبيه بما قال بعضهم

لو قيل كم خسر وخس لا تغدى * يو ما وليتبه بعدد ويحسب
ويقول معضله عجيب أمرها * ولئن فهمت لها لأمري أعجب
خمس وخمس ستة أو سبعة * قولان فالهما الخليل وتغلب

فيكون قوله هذا سبب هلاكه فكان كما قال بعضهم

احفظ لسانك أيها الإنسان * لا يلدغ غشك أنه ثعبان
كم في المقابر من قتل لسانه * كانت تهاب لقاءه الشجعان

وقوله تعالى (سأصليه) أي أدخله (سقر) أي جهنم بوعده لا بد منه عن قريب بدل من سأرهقه صعوداً وقوله تعالى (وما أدر الناس مقر) تعظيم لشأنه وقوله تعالى (لاتبقي ولا تذر) بيان لذلك أو حال من سقر والعامل فيه معنى التعظيم والمعنى لا تبق شيئاً يلقى فيها إلا أهلكته فإذا أهلكته لم تذرهما السكا حتى يعاداً ولا تبق على شيء ولا تدعه من الهلاك بل كل ما يطرح فيها هالك لا محالة وسميت سقر من سقرته الشمس إذا أذا به ولا تصرف للتعريف والتأنيث قال ابن عباس سقر اسم للطبقة السادسة فأن درك النار سبعة جهنم وظنى والحطمة والسعر والحميم وسقر والهواية (لواحة) من لوح الهجير قال

تقول ما لا حك يا مسافر * يا ابنه عى لاحقى الهواجر

(للشعر) أي محرقة لظاهر الجلد قد دعه أشد سواداً من الليل قال تعالى تلمح وجوههم النار وهم فيها كالخون والبشر اعالى البشرة وهو جع بشرة وجع البشر أبطار وعن الحسن تلوح للناس كقوله تعالى ثم لترونها عين اليقين وقيل اللوح شدة العطش يقال لاجه العطش ولوحه أي غيره وقال الاخفش والمعنى انها معطشة للبشر أي لاهلها وأنشد

بسمتني على لوح من الماء شربة * سقاها من الله الرهام النواديا

يعنى باللوح شدة العطش والرهام جمع وهممة بالكسر وهي المطرة الضعيفة وأرهمت السباعية أنت بالرهام (عليها تسعة عشر) أي من الملائكة وهم خزنته مالك ومعه ثمانية عشر وقيل التسعة عشر نبياء وقال أكثر المفسرين تسعة عشر ملكاً بأعيانهم وقيل تسعة عشر ألف ملك قال ابن جرير نعت النبي صلى الله عليه وسلم خزنة جهنم فقال أعيانهم كالبرق الخاطف وأنيابهم كالصياصي وأشعارهم عرس أقدامهم يخرج لهب النار من أفواههم ما بين منكبى أحدهم مسيرة سنة نزع منهم الرجة يدفع أحدهم سبعين ألفاً فيرميهم حيث أراد من جهنم قال عمرو بن دينار أن واحداً منهم يدفع بالدفع الواحدة في جهنم أكثر من أربعة مضى قال ابن الأثير الصياصي قرون البقر قال ابن عباس رضي الله عنهما المنازلة هذه الآية قال

أبو جهل القرشي نكثكم أمهاتكم أسمع ابن أبي كبشة يخبر أن خزنة النار تسعة عشر وأنتم الدهم
يعني الشجعان أفيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا بواحد من خزنة جهنم فقال أبو الاشدين
كلدة بن خلف الجعفي أنا أكفيكم منهم سبعة عشر عشرة على ظهري وسبعة على بطني فاكفوني
أنتم اثنين وروى أنه قال أنا أمشي بين أيديكم على الصراط فادفع عشرة بمنكبي اليمين وسبعة
بمنكبي اليسر في النار ونغضي فتدخل الجنة فأترل الله عز وجل (وما جعلنا) أي بالثامن العظيمة
وان خفي وجه العظيمة فيه على من عصى قلبه (أصحاب النار) أي خزنتها (الاملائكة) أي
لم نجعلهم رجالا فتعال بونهم وانما جعلهم ملائكة لانهم خلاف جنس القرنيين من الجن والانس
فلا يأخذهم ما يأخذ المجانس من الرحمة والرافة ولانهم أشد بأسا وقوى بطشا فتقومهم أعظم
من قوة الانس والجن ولذلك جعل الرسول الى البشر من جنسهم ليكون له رافة ورحمة بهم (فان
قال) ثبت في الاخبار أن الملائكة مخلوقون من النور فكيف تطبق المكث في النار (أجيب)
بأن الله تعالى قادر على كل الممكنات فكما أنه لا يستبعد في أنه يبقى الحى في مثل ذلك العذاب
الشديد أبدا ولا يموت فكذلك الاستبعاد في ابقاء الملائكة خنالا من غير ألم (وما جعلنا) أي
بالثامن العظيمة (عذتهم) أي مذكورة ومقصودة (الاقنسة) أي بلية (للذين كفروا) وقال ابن
عباس رضي الله عنهم ماضلالة وقنسة مقعول ثان على حذف مضاف أي الاسبب قنسة وللذين صفة
الفتنة وليست قنسة مقعولة وقول البضاوى وما جعلنا عدددهم الا العدد الذى اقتضى فنتهم
وهو التسعة عشر تبعا لمخشي قال أبو حيان انه تحرر بكتاب الله اذ زعم أن معنى الاقنسة
الذين كفروا الا تسعة عشر وهذا لا يذهب اليه عاقل ولا من له أدنى ذكاء وقال الرازي انما صار
هذا العدد سببا للفتنة الكفار من وجهين الاول ان الكفار يستهزئون ويقولون لم لا يكونون
عشرين وما مقتضى انقص هذا العدد والثاني ان الكفار يقولون هذا العدد القليل كيف
يكونون واثنين سبعة سذيب أكثر العالم من الجن والانس من أول ما خلق الله الى قيام الساعة
(وأجيب) عن الاول بأن هذا السؤال لازم على كل عدد يفرض وعن الثاني بأنه لا يعدان
الله تعالى يرزق ذلك العدد القليل قوة تفي بذلك فقد اقتلع جبريل عليه السلام مداثر قوم
لوط على أحد جناحيه ورفعه الى السماء حتى جمع أهل السما صياح ديكهم ثم قلبها فجعل عاليها
سافلها وأيضاً فاحوال القيامة لا تقاس بأحوال الدنيا والله قل فيها بحال وذكر أبواب المعاني
في تقرير هذا العدد وجهين أحدهما ما قاله أبواب الحكمة أن سبب فساد النفس الانسانية
في قوتها النظرية والاهلية هو القوى الحيوانية والطبيعية فالقوى الحيوانية هي الخمسة
الظاهرة والخفية الباطنة والشهوة والغضب فهذه اثنا عشر وأما القوى الطبيعية فهي الجاذبية
والمساكنة والهاضمة والدافعة والغاذية والنامية والموادة والنموذج تسعة عشر فلما كانت هذه
مشتتات لا يجرم كان عدد الزبانية هكذا ثانیها ما أن أبواب جهنم سبعة فستة منها للكفار وواحد
للفساق ثم ان الكفار يدخلون النار لأمور ثلاثة ترك الاعتقاد وترك الاقرار وترك العمل
فيكون لكل باب من تلك الابواب الستة ثلاثة فالجوع ثمانية عشر وأما باب الفساق

فليس هناك الا ترك العمل فالمجموع تسعة عشر مشغولة بغير العبادة فلا جرم صار عدد الزبانية
تسعة عشر وقوله تعالى (ليستيقن الذين) متعلق بـ جعلنا لا يقتنه وقيل بعمل مضمر أى فعلنا
ذلك ليستيقن الذين (أو قوا الكتاب) أى أعطوا التوراة والانجيل فانه مكتوب فيه ما أنه
تسعة عشر فذلك موافقة لما عندهم (ويرداد الذين آمنوا) أى من أهل الكتاب (أيماناً) أى
تصديقاً موافقة النبي صلى الله عليه وسلم لما في كتبهم (ولا يرتاب) أى يشك (الذين أو قوا الكتاب
والمؤمنون) في عددهم (فان قيل) قد أثبت الاستيقان لأهل الكتاب وزيادة الإيمان للمؤمنين
فما فائدة ولا يرتاب الذين أو قوا الكتاب والمؤمنون (أجيب) بأن الإنسان اذا اجتهد في أمر
عامض دقيق الحجة كثير الشبهة فصل له اليقين فربما غفل عن مقدمة من مقدمات ذلك الدليل
الدقيق فيعود الشك فاثبات اليقين في بعض الاحوال لا ينافي طريقتي الارتباب بعد ذلك ففائدة
هذه الجملة نفي ذلك الشك وأنه حصل لهم يقين جازم لا يحصل عقبه شك البتة (وليقول الذين في
قلوبهم مرض) أى شك ونفاق وان قل ونزول هذه السورة قبل وجود المناققين فهو علم من
أعلام النبوة فانه اخبار بمكة عما سيكون بالمدينة بعد الهجرة ولا ينكر جعل الله تعالى بعض الأمور
علة إصلاح ناس وفساد آخرين لانه لا يستل عما يقتضيه على أن العلة قد تكون مقصودة لشي
بالقصد الاول ثم يترتب عليها شيء آخر يكون قصده بالقصد الثاني تقول خرجت من البلد لحفاة
الشمر ومخافة الشمر لا يتعلق بها الغرض (والكافرون) أى ويقول الراسخون في الكفر الجازمون
بالتكذيب الساترون لما دلت عليه الأدلة من الحق (ماذا) أى أى شيء (أراد الله) أى الملك الذي
له جميع العظمة (بهذا) أى العدد القليل في جنب عظمته (مثلاً) قال الجلال الهلي سمعوه لغرابته
بذلك وأعرب حالا وقال الالب المثل الحديث ومنه مثل الجنة التي وعد المتقون أى حديثها
والخبر عنها وقال الرازي انما سمعوه مثلاً لانه لما كان هذا العدد عدداً عجيباً ظن القوم انه ربما
لم يكن مراد الله تعالى منه ما يشعر به ظاهره بل جعله مثلاً لشي آخر وتنبه على مقصود آخر لا جرم
سمعه مثلاً على سبيل الاستعارة لانهم لما استعجزوه فظنوا أنه ضرب مثلاً لغيره ومثلاً لتعبيراً أو حال
وتسمية هذا مثلاً على سبيل الاستعارة لغرابته • ولما كان التقدير أراد به هذا الضلال من ضل وهو
لا يبالى وهداية من اهتدى وهو لا يبالى كان كانه قبل هل يفعل مثل ذلك في غير هذا فقال تعالى
(كذلك) أى مثل هذا المذكور من الاضلال والهداية (يضل الله) أى الذي له مجامع العظمة
ومعاهد العز (من يشاء) بأى كلام شاء كاضلال الله تعالى أيا جهل وأصحابه المنكرين لحزنة جهنم
(ويهدي) بقدرته الدائمة (من يشاء) بنفس ذلك الكلام أو بغيره كهداية أصحاب محمد صلى الله
عليه وسلم وهذه الآية تدل على مذهب أهل السنة لانه تعالى قال في أول الآية وما جعلنا
عندهم الا قسبة للذين كفروا الخ ثم قال تعالى كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من
يشاء (وما يعلم جنود ربك) أى المحسن اليك بأنواع الاحسان المدبر لأمرك (الاهل)
أى الله سبحانه وتعالى قال مقاتل رضى الله عنه وهذا جواب لابي جهل حيث قال لما محمد أعوان
الاسعة عشر وقال مجاهد رضى الله عنه وما يعلم جنود ربك يعنى من الملائكة الذين خلقهم

لتعذيب أهل النار ولا يعلم عدتهم إلا الله تعالى والمعنى أن تسعة عشر هم خزنة النار ولهم من
الأعوان والجنود من الملائكة ما لا يعلم عدتهم إلا الله تعالى ولو أراد جعل الخزنة أكثر من
ذلك فقد روى أن البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة لا تعود لهم نوبة أخرى
وروى أن الأرض في السماء كقلعة ملقاة في قلاة وكل سماء في التي فوقها كذلك وورد في الخبر
أطت السماء وحق لها أن تنطمأ فيها موضع أربع أصابع وفي رواية موضع قدم الا وفيه ملك قائم
يصلي وفي رواية ساجد وانما خص هذا العدد لحكم لا يعلمها إلا هو ثم رجع إلى ذكر سقر فقال
تعالى (وما هي) أي النار التي هي من أعظم جنوده (الاذكري للبشر) أي ليتذكرن وأيعلموا كمال
قدرة الله وأنه سبحانه لا يحتاج إلى أعوان وأنصار وللشعر مفعول بذكرى واللام فيه مزيدة وقرأ
أبو عمر ووجزة والكسائي بالامالة مخضبة وقرأ ورش بين بين والباقون بالفتح وقوله تعالى (كلا)
ردع لمن أنكرها أو أنكار لان يتذكرها قاله البضاوي وقال البغوي هذا قسم يقول حقاً
وقال الجلال المحلي استفتاح بمعنى الا (والقمر) أي الذي هو آية الدليل الهادية من ضل بظلامه
(والليل إذا دبر) أي مضى فانتقل راجعاً من حيث جاء فانكشف ظلامه وقرأ نافع وجزة
وحذف بكون الذال المعجمة والذال المهملة بعدها وهمزة قطع مفتوحة بين المعجمة والمهملة
الساكنين والباقون بفتح الذال المعجمة وبعدها ألف وفتح المهملة بعد الالف فالقراءة الاولى
إذا دبر والثانية إذا دبر وكلاهما لغة يقال دبر الليل وأدبر إذا دبر إذا هبها قال أبو عمر وودبر
لغة قريش وقال قطرب دبر أي أقبل تقول العرب دبرني فلان أي جاء خلفي فالليل يأتي خلف النهار
وقوله تعالى (والصبح إذا أسفر) أي أضاء وتبين وقوله تعالى (أنها الاحدى الكبرى) جواب للقسم
أو تعليل لكلا والقسم معترض للتوكيد والكبرى جمع الكبرى جعلت ألف التانيث كأنها فلما
جعت فعلة على فعل جعلت فعلى عليها ونظير ذلك القواصع في جمع القاصعاء كأنها جمع فاعلة أي
لاحدى البليات والدواهي الكبرى ومعنى كونها احداً من اثنين وانها من احده في العظم لا نظير
لها كما تقول هو أحد الرجال وهي احدى النساء وقوله تعالى (نذيراً) تمييز من احدى على معنى انها
لاحدى الدواهي انذاراً كما تقول هي احدى النساء عفاً وقيل هي حال وقيل هو متصل بأول
السورة أي قم نذيراً (للشعر) قال الزمخشري وهو من بدع التفاسير وقوله تعالى (لمن شاء) أي
بارادته (منكم) بدل من البشر (أن يتقدم) أي إلى الخير وإلى الجنة بالإيمان (أو يتأخر) أي إلى
الشر والنار بالكفر (كل نفس) أي ذكر أو أنثى على العموم (بما كسبت) أي خاصة
لما كسب غيرها (رهينة) أي رهونة مأخوذة وليست بتأنيث رهين في قوله تعالى كل امرئ
بما كسب رهين لتأنيث النفس لانه لو قصدت الصفة لقل رهين لان فعلاً بمعنى مفعول
يسمى فيه المذكر والمؤنث وانما هي اسم عن الرهن كالشئمة بمعنى الشئم كأنه قيل كل نفس
بما كسبت رهين ومنه بيت الجاسسة

أبعد الذي بالأنف كف كويكب * رهينة رمس ذي تراب ويخندل

كأنه قال والمعنى كل نفس رهين بكسبها عند الله غير مفكوك (الاصحاب اليمين) وهم المؤمنون

فانهم فكروا قايهم بايمانهم وبما أحسنوا من أعمالهم وقيل لهم الملائكة وروى عن علي أنهم أمثال
 المسلمين وقال مقاتل رضى الله عنه هم أهل الجنة الذين كانوا على عين آدم يوم الميثاق حين قال
 لهم الله هؤلاء في الجنة ولا يأبى وعنه أيضا هم الذين أعطوا كتبهم بايمانهم وقال الحسن رضى
 الله عنه هم المسلمون الخالصون وقال القاسم كل نفس مأخوذة بكسبها بخيرا أو شرا إلا من اعتمد
 على الفضل فكل من اعتمد على الكتب فيورث به ومن اعتمد على الفضل فهو غير مأخوذة ولما
 أخرجهم من حكم الارتهان الذى أطلق على الإهلاك لانه سببه استأنف بيان حالهم فقال
 تعالى (في جنات) أى بساكنات في غاية العظم لانهم أطلقوا أنفسهم وفكروا قايهم فلم
 يرتزوا (بساكنون) أى فيما بينهم بسأل بعضهم بعضا أو يألون غيرهم (عن الجرمين) أى عن
 أخوالهم ويقولون لهم بعد اخراج الموحدين من النار (ما) محذوف لا استقام والتعجب
 والتوبيخ (سلحكم) أى أدخلكم أيهم المجرمون ادخلا هو في غاية الضيق حتى كانكم
 السلك في الثقب وقرأ الروسى بادغام الكاف في الكاف والباقيون بالاطهار (في سقر) ناسا
 بأن (قالوا لمن المصلين) أى صلاة يعتد بها فكان هذا تنبيها على أن رصوح القدم في الصلاة
 مانع من مثل حالهم وعلى أنهم معاقبون على فروع الشريعة وإن كانت لا تصلح منهم فلو فعلوها
 قبل الايمان لم يعتد بها وعلى أن الصلاة أعظم الاعمال وأن الحسنات بها تقدم على غيرها (ولم
 نك نعظم المسكين) أى نعظمه ما يجب علينا اعطاؤه (وكنا نحوض) أى نوجد الكلام الذى
 هو في غير مواقفه ولا علم لنا به ايجاد المشى من الخائض في ما غمر (مع الخائضين) بحيث مارنا
 هذا وصغارنا حتى نقول في القرآن انه سخر وانه شعروا انه كهانة وغير هذا من الاباطيل
 لا تتورع عن شئ من ذلك ولا تنفصع عقل ولا ترجع الى صحيح نقل فليأخذ الذين ينادون
 الى الكلام في كل ما يألون عنه من أنواع العلم من غير تثبت منزلتهم من هنا (وكنا نكذب)
 أى بحيث صار ذلك وصفا لنا (يوم الدين) أى يوم البعث والجزاء (حتى أنانا اليقين) أى
 الموت أو مقتداه الذى قطعنا عن دار العمل قال الله تعالى حتى يأتيك اليقين (فان قيل)
 لم آخر التكذيب وهو آخر الخصال الأربع (أجيب) بأنهم بعد اتصافهم بتلك الامور الثلاثة
 كانوا مكذبين يوم الدين والغرض تعظيم الذنب كقوله تعالى كان من الذين آمنوا ولم يآثروا
 على أنفسهم بما أوجب العذاب الدائم فكانوا ممن فسد من اجله فعدوا لاجله سبب عنه قوله
 تعالى (فاتقوا الله) أى في حال اتصافهم بهذه الصفات (شفاعة الشافعين) أى لاشفاعه لهم
 فلا انتفاع بها وليس المراد أن ثم شفاعة غير نافعة كقوله تعالى ولا يشفعون إلا من ارتضى وهذه
 الآية تدل على صحة الشفاعة للمذنبين من المؤمنين بخلافه ومما لا يتخصص هؤلاء بأنهم لا تنفعهم
 شفاعة الشافعين يدل على أن غيرهم تنفعهم شفاعة الشافعين قال عبد الله بن مسعود رضى الله
 عنه يشفع نبيكم عليه الصلاة والسلام رابع أربعة جبرائيل ثم ابراهيم ثم موسى أو عيسى ثم نبيكم
 صلى الله عليه وسلم وعليهم أجعين ثم الملائكة ثم النبيون ثم الصديقون ثم الشهداء ويبقى قوم في
 جهنم يقال لهم ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين الى قوله تعالى فاتنفعهم شفاعة الشافعين

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه هؤلاء الذين في جهنم (قالهم عن التذكرة بعرضين) أي
 في الآهل مكة قد أعرضوا وولوا عن القرآن قال مقاتل رضي الله عنه معرضين عن القرآن من
 وجهين أحدهما الجود والانكار والثاني ترك العمل بما فيه وقيل المراد بالتذكرة العظة
 بالقرآن وعبره من المواعظ ومعرضين حال من الضمير في الجار الواقع خبرا عن ما الاستفهامية
 ومثل هذه الحال تسمى حالا لازمة وعن التذكرة متعلقة أي أي شيء حصل لهم في اعراضهم عن
 الاعتباط (كانهم) في اعراضهم عن التذكرة من شدة النفر (نفر) أي من حجر الوحش وهي أشد
 الأشياء نفارا وذلك كان أكثر تشبهات العرب في وصف الابل بسرعة السير بالحرف في عدوها إذا
 وردت ما فاحست بما يريد (مستنفرة) أي موحدة للنفاذ بغاية الرغبة حتى كأنهم يطلبونه من
 أنفسهم لانه شأنهم وطبعها وقرأ ابن عامر ونافع بفتح الفاء على انه اسم مفعول أي نفروها
 القناص والباقون بكسرها بمعنى نافرة (فرت من قسورة) قال مجاهد رضي الله عنه هي جماعة
 الرماة الذين يصيدونهم الا واحد له من لفظه وهي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما وقال
 سعيد بن جبيرة رضي الله عنه هو القناص وعن زيد بن أسلم فريق من رجال أقوياء وكل ضخم شديد
 عند العرب قسور وقسورة وعن أبي المتوكل هي لفظ القوم وأصواتهم وروى عكرمة عن ابن
 عباس رضي الله عنهما ما قال حبال الصيادين وقال أبو هريرة رضي الله عنه هي الاسد وهو قول
 عطاء والكلبي وذلك ان الحمر الوحشية اذا عاينت الاسد هربت كذلك هؤلاء المشركون اذا سمعوا
 النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ القرآن هربوا وعن عكرمة رضي الله عنه ظلمة الليل ويقال لسواد
 الليل قسورة وفي تشبيههم بالحمر مذمة ظاهرة وتهجين لحالهم بين كافي قوله تعالى كمثل الجار يحمل
 أسفارا شهادة عليهم بالبله وقلة العقل * ولما كان الجواب قطع الاشياء لهم في اعراضهم هذا
 أضرب عنه بقوله تعالى (بل يريد) أي على دعواهم في زعمهم (كل امرئ منهم) أي المعرضين من
 ادعائه البكال في المرواة (أن يؤتى) أي من السماء (صحفا) أي قراطيس مكتوبة (مفسرة)
 أي ممتوحة وذلك ان أبا جهل وجماعة من قريش قالوا يا محمد لن تؤمن بك حتى تأتي كل واحد
 منكم كتاب من السماء عنده من رب العالمين الى فلان بن فلان وتؤمر فيه باتباعك وتظير لمن تؤمن
 لك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وعن ابن عباس رضي الله عنهما كانوا يقولون ان كان محمد صادقا
 ليصبح عند رأس كل واحد منا صحيفة فيها برأيه من النار وقال الكلبي رضي الله عنه ان
 المشركين قالوا يا محمد بلغنا أن الرجل من بني اسرائيل كان يصبح مكتوبا عنده راسه ذنبه وكفارته
 فائتبعه مثل ذلك وقالوا اذا كانت ذنوب الانسان تكتب عليه قال النازلي ذلك قال البغوي
 والصحف جمع الصحيفة ومنشرة منشورة قال الله تعالى (كلا) اي لا يؤتون الصحف وقيل حقا قال
 البغوي وكل ما ورد عليك منه فهذا وجهه قال ابن عادل والاول أجود لانه وقد قولهم * ثم بين
 تعالى سبب اعراضهم بقوله تعالى (بل لا يخافون) أي في زمن من الأزمان (الآخرة) فهذا هو
 السبب في اعراضهم وقوله تعالى (كلا) استفتاح قاله الجلال المحلى وقال البيضاوي ردع عن
 اعراضهم وقال البغوي وتبعه ابن عادل حقا (انه) أي القرآن (تذكرة) أي عظيمة توجب انجابا

عظيما اتباعه وعدم الانفكاك عنه بوجه فليس لاحد ان يقول أنا مغرور ولم أجد مذكرا ولا معززا
 فان عنده أعظم مذكرا وأشرف معترف (فن شاء) أي أن يذكره (ذكره) أي أنعظبه وجعله نصب
 عينيه وعلم بمعناه ويخلق به فن فعل ذلك سهل عليه لفظه وبعض معانيه فانه كالبحر القرات فن شاء
 اعترف (وما يذكرن) أي في وقت من الاوقات (الآن يشاء الله) أي الملك الاعظم الذي لا امر
 لاحد معه ذكرهم أو مشيتهم كقوله تعالى وما نشأون الا أن يشاء الله وهو تصريح بأن فعل العبد
 بمشيئة الله تعالى وقرأ نافع بقاء الخطاب وهو الصفات من الغيبة الى الخطاب والباقون بقاء
 الغيبة لا على ما تقدم من قوله تعالى كل امرئ (هو) أي الله سبحانه وتعالى وحده (أهل
 التقوى) أي أن يتقيه عباده ويحذروا غضبه بكل ما تصل قدرهم اليه من الجلال والعظمة
 والقهر وقرأ حمزة والكسائي بالامالة مخضبة وأبو عمرو وبين وبين وقرأ ورش بالفتح وبين اللفظين
 (وأهل المغفرة) أي وحقيق أن يطلب غفرانه للذنوب لاسيما اذا اتقاء المذنب لانه لا يزال
 واللفظ وهو القادر ولا قدرة لغيره فلا ينفعه شيء ولا يضره روى الترمذي وأحمد والحاكم عن
 أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في هذه الآية هو أهل التقوى وأهل المغفرة يقول
 الله تعالى أنا أهل أن أني فمن اتقى أن يشركني غيري فأنا أهل أن أغفر له ووقف الكسائي على
 أهل المغفرة بالامالة على أصله وورش بترقيق الراء وقفوا وصلوا على أصله وقول البيضاوي تبعا
 للزمخشري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة المدثر أعطاه الله تعالى عشر
 حسنات بعدد من صدق بحمده وكذب به حديث موضوع

﴿سورة القيامة مكية﴾

وهي تسع وثلاثون آية ومائة وسبع وتسعون كلمة وستمائة واثنان وخمسون حرفا

(بسم الله) الذي له الجلال والكمال (الرحمن) الذي علم بنعمة اليجاد أهل الهدى والضلال
 (الرحيم) الذي سدد أهل الغواية في الافعال والاقوال * واختلف في لافي قوله تعالى (لا أقسم)
 على أوجه أحدها أنها نافية لكلام المشركين المنكرين للبعث أي ليس الأمر كما زعموا ثم ابتداء
 أقسم (يوم القيامة) قال القرطبي ان القرآن جاء بالرد على الذين أنكروا البعث والجنة والنار
 فجاء الاقسام بالرد عليهم كقولك لا والله لأفعل فلا رد لكلام قد مضى كقولك لا والله ان القيامة
 لحق كأنك أكذبت قوما أنكروه الثاني انها من زيادة مثله في التلايلع أهل الكتاب واعترضوا
 هذا بأنها انما زاد في وسط الكلام لافي أوله وأجيب بأن القرآن في حكم سورة واحدة متصل
 بعضها ببعض يدل على ذلك انه قديجي ذكر الشيء في سورة ويذكر جوابه في سورة أخرى كقوله تعالى
 يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل في سورة أخرى ما أنت بنعمة ربك بمجنون وإذا
 كان كذلك كان أول هذه السورة جارا مجرى الوصل وذهبوا بأن القرآن في حكم السورة
 الواحدة في عدم التناقص لأن تفرق سورة بما بعدهما فلا يخلو غير جائز الثالث قال الزمخشري
 إدخال النافية على فعل القسم مستفيض في كلامهم وأشعارهم قال امرؤ القيس

لا وأبيك ابنة العامري * لا يتدعى القوم اني أفر

وفائدتها لو كيد القسم ثم قال الزمخشري بعد ان ذكر وجه الزيادة والاعتراض والجواب كما تقدم والوجه أن يقال هي للنفي والمعنى في ذلك أنه لا يقسم بالشئ الاعظاما له يدل عليه قوله تعالى فلا أقسم بمواقع النجوم وأنه لقسم لو تعلمون عظيم فكأنه يادخل حرف النفي يقول ان اعظامي له بأقسامى به كالأعظام يعنى أنه يستأهل فوق ذلك قال بعضهم قول الزمخشري والوجه أن يقال الى آخره تقريرا لقوله ادخل لا المنافية فيه على فعل القسم مستفيض الى آخره وحاصل كلامه يرجع الى انها نافية وأن النفي متسلط على فعل القسم بالمعنى الذى شرحه وليس فيه نفع لفظا ولا معنى وقرأ ابن كثير بخلاف عن البرزى ألف بعد اللام والمهمزة مضمومة والباقون بالالف ويعبر عن قراءة ابن كثير بالقصر وعن قراءة الباقرين بالمد ولا خلاف في قوله تعالى (ولا أقسم بالنفس اللوامة) في المذو والكلام في لا المتقدمة وجرى الجلال المحلى على انها زائدة في الموضعين واختلف في النفس اللوامة فقيل هي نفس المؤمن الذى لا تراه يلوم الانفسه تقول ما أردت بكذا ولا تراه يعاتب الانفسه وقال الحسن رضى الله عنه هي والله نفس المؤمن ما ترى المؤمن الا يلوم نفسه ما أردت بكلامي ما أردت بأكلى ما أردت بجدينى والفاجر لا يحاسب نفسه وقال مجاهد رضى الله عنه هي التى تلوم على ما فات فتلوم نفسها على الشر لم فعلته وعلى الخير لم لا تستكثر منه وقيل تلوم نفسها بما تلوم عليه غيرها وقيل المراد آدم عليه السلام لم يزل لأثم نفسه على معصيته التى أخرج بها من الجنة وقيل هي الملوثة فتكون صفة ذم وهو قول من نفي أن تكون قسما وعلى الأول صفة مدح فتكون القسم بها سائغا وقال مقاتل رضى الله عنه هي نفس الكافر يلوم نفسه تحسرا في الآخرة على ما فرط في جنب الله تعالى وجواب القسم محذوف اى ابين دل عليه قوله تعالى (أي يحسب الانسان) أى هذا النوع الذى جبل على الانس بنفسه والنظر في عظميه وأسند الفعل الى النوع كله لأن أكثرهم كذلك الغلبة الحظوظ على العقل الامن عصم الله تعالى وقرأ ابن عامر وعاصم وحزة بنفتح السين والباقون بكسر ها (ألن) أى انا لا (انجمع) أى على ما لنا من العظامة (عظامه) أى التى هي قالب بدنه فتعبد لها كما كانت بعد تزورها وتفتتها البعث والحساب وقيل نزلت في عدى بن ربيعة حليف بنى زهرة خال الاخنس ابن شريق الثقفى وذلك ان عديا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد حدثني عن القيامة متى تقوم وكيف أمرها وحالها فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال لو عاينات ذلك اليوم لم أصدقك ولم آمن بك أو يجمع الله العظام بعد تفرقها ورجوعها رميها ورفا تا تحت مطا بالتراب وبعد ما نسفتها الرياح وطيرتها في أباء الارض ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اكفني جارى السوء عدى بن ربيعة والاخنس بن شريق وقيل نزلت في عدي والله أبى جهل أنككر البعث بعد الموت وذكر العظام والمراد نفسه كلها لأن العظام قالب الخلق * (تنبيه) ألن هنا موصولة وليس بين المهمزة واللام نون في الرسم كما ترى وقوله تعالى (بلى) ايجاب لما بعد النفي المنسحب عليه الاستفهام وهو وقف حسن ثم يتبدى بقوله تعالى (تأذين) وقيل المعنى بل

نجمة لها قاذرين مع جمعها (على أن نسوي بئانه) أي أصابعه وسلامياته وهي عظامه الصغار التي
 في يده خصها بالذكرا لأنها أطرافه وآخر ما يتم به خلقه أي يجمع بعضها على بعض على ما كانت
 عليه قبل الموت لا ناقد رنا على تفصيل عظامه وتفتيتها فقدر على جمعها وتوصلها وقدرنا على جمع
 صغار العظام فنحن على جمع كبارها أقدر وقال ابن عباس وأكثر المفسرين على أن نسوي بئانه
 أي نجعل أصابع يده ورجليه شيئا واحدا كخف البعير وكفا فر الجارأ وكطاف الخنزير فلا يمكنه
 أن يعمل بها شيئا وكذا قزنا أصابعه حتى يفعل بها ما شاء وقيل نقدر أن نصير الإنسان في هيئة
 البهائم فكيف في صورته التي كان عليها وهو كقوله تعالى وما نحن بمسبوقين على أن نبذل
 أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون وقوله تعالى (بل يريد الإنسان) عطف على أيحسب فيصور أن
 يكون استغفها ما وأن يكون جوابا لجواز أن يكون الاضراب عن المستغفهم وعن الاستغفهم
 (لغير أمامه) أي ايدوم على فجوره فيما يستقبله من زمان لا يبرح عنه ولا يتوب هذا قول مجاهد
 رضى الله عنه وقال سعيد بن جبير رضى الله عنه يقدم الذنب ويؤخر التوبة فيقول سوف أتوب
 سوف أعمل حتى يأتيه الموت على أشرف أحواله وأساوأ أعماله وقال الضحاك رضى الله عنه هو
 الاجل يقول أعيش فأصيب من الدنيا كذا وكذا ولا يذكر الموت وقال ابن عباس رضى الله عنهما
 يكذب بما أمامه من البعث والحساب وأصل الفجور الميل وسعى الكافر والفاسق فاجر الميله عن
 الحق (يسأل) أي سؤال استهزاء واستبعاد (أيان) أي أى وقت يكون (يوم القيامة) يومنا
 كان الجواب يوم يكون كذا وكذا عدل عنه الى ما سبب عن استبعاده لأنه أهول فقال تعالى
 (فأذا برق البصر) أي شخص ووقف لما يرى مما كان يكذب به هذا على قراءة نافع بفتح الراء وأما
 على قراءة كسر حافا المعنى تحير ودش مما يرى وقيل هما الغتان في التحير والدشعة وخسف
 القمر أي أظلم وذهب ضوهه وقد اشتهر أن الخسوف للقمر والكسوف للشمس وقيل يكونان
 فيهما يقال خسفت الشمس وكسفت والقمر وكسف وقيل الكسوف أوله والخسوف
 آخره ولم تلحق علامة التأنيث في قوله تعالى (وجمع الشمس والقمر) لأن التأنيث مجازي وقيل
 لتغليب الذكرا لأنه لا يقال قام هند وزيد عند الجمهور ومن العرب وقال الكسائي جل على
 جمع النيران وقال الفراء لم يقل جمعت لأن المعنى جمع بينهما قال الفراء والزجاج جمع بينهما
 ذهاب ضوئهما فلا ضوه للشمس كالأضوه للقمر بعد خسوفه وقال ابن عباس وابن مسعود رضى
 الله عنهما قرن بينهما في طلوعهما من المغرب أسودين مكثورين مظلمين مقرنين كأنهما ثوران
 عقبران في النار وقال عطاء بن يسار رضى الله عنه يجمع بينهما يوم القيامة ثم يقذفان في البحر
 فيكونان نار الله الكبرى وقيل يجمعان في نار جهنم لأنهما قد عبدان دون الله تعالى ولا تكون
 النار عذابا لهما لأنهما مجادوا وإنما يفعل ذلك بهم لزيادة في تسكين الكفار وحسرتهم وقوله تعالى
 (يقول الإنسان) أي لشدة روعه ويرامع طبعه جواب إذا من قوله تعالى فأذا برق البصر
 (يومئذ) أي إذا كانت هذه الاشياء وقوله تعالى (أين المقر) منصوب المحل بالقول والمقر مصدر
 بمعنى الفرار قال الماوردي ويحتمل وجهين أحدهما أين المقر من الله تعالى استحياء منه والثاني

أين المفر من نجهنم حذر امنها ويحتمل هذا القول من الانسان وجهين أحدهما أن يكون من
 الكافر خاصة في عرصة القيامة دون المؤمن لقلة المؤمن يبشرى ربه تعالى والثاني أن يكون
 من قول المؤمن والكافر عند قيام الساعة لهول ما شاهدوا منها وقيل أبو جهل خاصة وقوله
 تعالى (كلا) ردع عن طلب المفر (لا وزر) أى لا ملجأ ولا حصن استعير من الجبل قال السدي
 كانوا في الدنيا إذا فزعوا وتخصصوا في الجبال فقال الله تعالى لهم لا وزر بعضكم منى يومئذ
 واشتقاقه من الوزر وهو الثقل (إلى ربك) أى المحسن اليك بأنواع الاحسان لا إلى شئ غيره
 (يومئذ) أى إذا كانت هذه الامور (المنتهى) أى استقر الخلق كلهم باطاعتهم وصامتهم ومكان
 قرارهم وزمانه إلى حكمه سبحانه ومشيئته ظاهره وباطنه لا حكم لغيره بوجه من الوجوه في ظاهر
 ولا باطن كما هو في الدنيا وقال ابن مسعود المصير والمرجع قال الله تعالى إلى ربك الرجعى واليه
 المصير وقال السدي المنتهى نظيره وان إلى ربك المنتهى (ينبأ) أى يخبر تخبيراً عظيماً (الانسان)
 يومئذ أى إذا كان الزلزال الاكبر (بما قدم) قال ابن مسعود وابن عباس رضى الله تعالى
 عنهم بما قدم قبل موته من عمل صالح وسوى (وأخر) بعدموته من سنة حسنة أو سيئة يعمل
 بها وقال ابن عطية عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهم بما قدم من المعصية وآخر من الطاعة
 وقال قتادة بما قدم من طاعة الله وآخر من حق الله فضيعه وقال مجاهد بأول عمله وآخره وقال
 عطاء بما قدم في أول عمره وما أخر في آخر عمره وقال يزيد بن اسلم بما قدم من أموال نفسه
 وما أخر خلفه للورثة والاولى أن يقال ينبأ بجميع ذلك إذا لمناقاة بين هذه الاقوال (بل
 الانسان) أى كل واحد من هذا النوع (على نفسه) أى خاصة (بصيرة) أى حجة بينة على أعماله
 والمهام المبالغة يعنى أنه في غاية المعرفة باحوال نفسه فيشهد عليه بعمله معه وبصره وجوارحه
 قال الله تعالى كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً قال البغوي ويحتمل أن يكون معناه بل للانسان
 على نفسه يعنى جوارحه فحذف حرف الجر قوله تعالى وان أردتم أن تسترضعوا أولادكم
 أى لأولادكم ويجوز أن يكون نعماً لاسم وثقت أى بل الانسان على نفسه عين بصيرة (ولو ألقى)
 أى ذكر بغاية السرعة ذلك الانسان من غير تعلم دلالة على غاية الصدق والاهتمام والتأني وقوله
 تعالى (معاذيره) جمع معذرة على غير قياس قاله الجلال المحلى أى لوجه بكل معذرة ما قبلت منه
 وقال الزمخشري المعاذير ليس بجمع معذرة وانما هو اسم جمع لها وفحواه المناكير في المنكر اه
 قال أبو حيان وليس هذا البناء من ائنية أسماء الجموع وانما هو من ائنية جموع التكسير اه
 وقيل معاذير جمع معذار وهو الستر والمعنى ولو ألقى ستموره والمعاذير السطور بلفظة البن
 قاله الضحاك وحكى الماوردي عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ولو ألقى معاذيره أى
 ولو تجرد عن شبهه * ولما كان صلى الله عليه وسلم اذ لقن الوحي نازع جبريل عليه السلام القراءة
 ولم يصبر إلى أن يتها مسارعة إلى الحفظ وخوفاً من أن ينقلب منه أمره الله تعالى بأن ينصت له
 ملقياً اليه بقلبه وسمعه حتى يقضى الله تعالى وحيمه ثم يعقبه بالدراسة إلى أن يرتفع فيه بقوله
 تعالى (لا تحزله) أى بالقرآن (لسانك) مادام جبريل عليه السلام يقرؤه (لتجمل به) أى

لتأخذه على عجلة مخافة أن ينفلت منك فإن هذه العجلة وإن كانت من السمكالات بالنسبة إليك
والإخوانك من الأنبياء عليهم السلام كما قال موسى عليه السلام وبمحلتي إليك رب أنرضني
نقل صلى الله عليه وسلم من مقام كامل إلى أكل منه ثم عالج النهي عن العجلة بقوله تعالى (إِنَّ
عَلَيْنَا) أي بما لنا من العظمة لأعلى أحد سوأنا (جمعه) أي في صدوركم حتى تثبتوه وتثبتوه
(وقرآنه) أي قراءته أي به يعني جريانه على لسانك (فاذا قرأناه) عليك بقراءة جبريل عليه السلام
(قائما) أي بغاية جهده بالقاء سمعك واحضار قلبك (قرآنه) أي قراءته بجموعة على حسب
ما أداه رسولنا رجعا له في صدوركم وتلاوته حتى يصير لك به ملكة عظيمة ويصيرك خلقا
فيكون قائدا إلى كل خير وروى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى لا تحرك به
لسانك لتعجل به قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل جبريل بالوحي كان مما يحرك به
لسانه وشفتيه فيشتد عليه وكان يعرف منه فأنزل الله تعالى الآية التي في لأقسم بيوم القيامة
لا تحرك به لسانك الآية فكان صلى الله عليه وسلم إذا أتاه جبريل عليه السلام أطرق فاذا ذهب
قرأه كما وعده الله تعالى قال سعيد بن جبيرة قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ما فانا
أحر كمها لك كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحركهما فأنزل الله عز وجل الآية (ثم إن
علينا) أي بما لنا من العظمة (بيانه) أي بيان ألفاظه ومعانيه لك سواء أسمعته من جبريل عليه
السلام على مثل صلصلة الجرس أم بكلام الناس المعتاد بالصوت والحروف ولاغير ذلك على لسانك
وعلى ألسنة العلماء من أمتك والآية مشيرة إلى ترك مطلق العجلة لأنه إذا نهى عنها في أعظم
الأمور وأهمها كان غيره بطريق الأولى والمناسبة بين هذه الآية وما قبلها إن تلك تضمنت
الاعراض عن آيات الله تعالى وهذه تضمنت المبادرة إليها بحفظها أو قوله تعالى (كَلَّا) استفتاح
بمعنى ألا وقال الزخري ردع للنبي صلى الله عليه وسلم عن عادة العجلة وقال جماعة من
المفسرين حقا والاول جرى عليه الجلال الهلي وهو أظهر (بل يحبون) متجدة على تجديد
الزمان (العاجلة) بدليل أنهم يقبلون غاية الأقبال عليها وحبها وأوجب لهم ارتكاب ما يلعبون
قبه فان الآخرة والاولى ضرران من تقرب من أحدهما لا بد من تباعده عن الأخرى فان
حبك للشيء يعنى ويصم (ويذرون) أي يتركون على أي وجه كان ولو أنه غير مستحسن
(الآخرة) لانهم يغضون الارتكابهم ما يضرهم فيها وجمع الضمير وإن كان مبنى الخطاب مع
الإنسان للمعنى وقرأ يحبون ويذرون ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بياء الغيبة فيه ما جلا على لفظ
الإنسان المذكور أو لالاق المراد به الجنس لأن لإنسان بمعنى الناس والباقيون بناء الخطأ
فيهما أما خطا بالكفار قرئ أي يحبون يكفرون قرئ العاجلة أي الدار الدنيا والجار فيها
وتتركون الآخرة والعمل لها وأما التقا عن الأخبار عن الجنس المتقدم والاقبال عليه
بالخطأ * ولما ذكر تعالى الآخرة التي أعرضوا عنها ذكر ما يكون فيها يائس الجاهلهم وسوءهم وقلة
عقولهم وترهبهم من أذرعها وترغبهم من أقبال عليها لظواهرهم ورجعهم فقال تعالى (وجوه)
أي من المشهورين وهم جميع الخلائق (يومئذ) أي إذا تقوم الساعة (ناصرة) من النصرة بالصاد

وهي النعمة والرافية أي هي هبة مشرقة عليها أثر النعمة بحيث يدل ذلك على نعمة أصحابها
(إلى ربها) أي المحسن إليها خاصة باعتبار أن عد النظر إلى غيره كالتنظر (ناظرة) أي دائماتهم
مصدقون أبصارهم لا غفلة لهم عن ذلك فإذا رفع الحجاب عنهم أبصروه بأعينهم بدليل التعدي إلى
وذلك النظر جهر من غير كتمان ولا تضام ولا زحام كما قاله ابن عباس رضي الله تعالى عنهم
وأكثر المفسرين وجميع أهل السنة وروى عن النبي عليه الصلاة والسلام في الأحاديث
الصحيحة من وجوه كثيرة بحيث أشهر غاية الشهرة وتكون الرؤية كما مثلت في الأحاديث
كما يرى القمر ليلة البدر أي كل من يريد رؤيته من يتهيراد مجلياله هذا وجه الشبه لأنه في جهة
ولا في حالة لها شبهة تعالى الله الكريم عن التشبيه في تلك الأحاديث ما روى عن جرير بن عبد الله
قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال صلى الله عليه وسلم
إنكم سترون ربكم عيانا كما ترون القمر لا تضامون في رؤيته فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة
قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فافعلوا ثم قرأ وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل
غروبها وفي كتاب النسائي عن وهب قال ينكشف الحجاب فينظرون إليه فوالله ما أعطاهم ثم
شيئا أحب إليهم من النظر ولا أقرل أعينهم وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يتجلى ربنا عز وجل حتى تنظر إلى وجهه فيخرون له سجدافيقول تعالى ارفعوا رؤسكم فليس هذا
يوم عبادة وقدم الجازم الدال على الاختصاص إشارة إلى أن هذا النظر مبين للنظر إلى غيره
فلا يعد ذلك نظرا بالنسبة إليه وعبر بالوجوه عن أصحابها لانهم أدل ما يكون على السرور وليكون
ذكرها أوضح في أن المراد بالنظر حقيقة روى مسلم في قوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى
وزيادة كان ابن عربي يقول أكرم أهل الجنة على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشية ثم تلا هذه
الآية وأنكر الرؤية المعتزلة واحتجوا بقوله تعالى لا تدركه الأبصار ويقرولون النظر المقرول بالي
ليس اسم الرؤية بل مقدمة الرؤية وهي قلب الحقيقة نحو المرقى التماسا لرؤيته ونظر العين بالنسبة
إلى الرؤية كنظر القلب بالنسبة إلى المعرفة وكالاصفا بالنسبة إلى السمع ويدل على ذلك قوله
تعالى وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون فأثبت النظر حال عدم الرؤية فتكون الرؤية غاية
النظر وإن النظر يحصل والرؤية غير حاصلة قالوا ويحتمل أن يكون معنى قوله تعالى ناظرة
منتظرة كقولك أنا أنظر اليك في حاجتي وأجيب عن استدلالهم بقوله تعالى لا تدركه الأبصار
بأن لا تدركه بالأحاطة والجهة فلا يكون ذلك مانعا للرؤية على هذا الوجه وعن بقية استدلالهم
بما ذكره يجوابين أحدهما أن نقول النظر هو الرؤية لقول موسى عليه السلام أرني أنظر
إليك فلو كان المراد قلب الحقيقة نحو المرقى لاقتضت الآية إثبات الجهة والمكان ولأنه آخر
النظر عن الإراءة فلا يكون تقاييم الحقيقة الجواب الثاني سلما ما ذكرتموه من أن النظر قلب
الحقيقة تعذر جله على الحقيقة فيجب جله على الرؤية إطلاقا لا اسم السبب على المسبب وهو أولى
من جله على الانتظار لعدم الملازمة لأن قلب الحقيقة كالسبب للرؤية ولا تعلق بينهما وبين
الانتظار وأما قولهم بجمله على الانتظار فأجيب عنه أيضا بأن الذي هو بمعنى الانتظار في القرآن

غير مقرون بالى كقول تعالى انظرونا نقبس من نوركم هل ينظرون الا أن والذي ندعيه ان النظر
المقرون بالى ليس الابعنى الرؤية لان وروده بمعنى الرؤية ظاهرة فلا يكون بمعنى الانتظار دفعا
للاشتراك * ولما ذكر تعالى أهل النعمة أتبعه أضدادهم من أهل النعمة فقال سبحانه وتعالى
(ووجوه يومئذ) أى فى ذلك اليوم بعينه (باسرة) أى شديدة العيوس والكفوح والتكره
لما هى فيه من ألم كأنها قد غرقت فيه وقال السدى بأسرة متغيرة (تظن) أى تتوقع أربابها
بما ترى من المخايل (أن يفعل بها) أى بهم فانه اذا أصيب الوجه الذى هو أشرف ما فى الجملة كان
ما عساه أولى (فاقرة) وهى الداهية العظيمة قال أبو عبيدة سميت بذلك لانها تكسر قفار
الظهر يقال فقرته الفاقة أى كسرت قفاز ظهره ومنه سعى الفقير لانه كسار قفاره من القل
وقال قتادة الفاقة البشر وقال السدى الهلاك وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما دخول
النار وقال الكلبي هى أن تحجب عن رؤية الرب عز وجل وقوله تعالى (كلّا) ردع عن ابتداء
الدنيا على الآخرة قاله البيضاوى تعالى زحشمرى وزاد الزحشمرى كأنه قيل ارتدعوا عن ذلك
وتنبهوا الى ما بين أيديكم من الموت الذى عنده تنقطع العاجلة عنكم وتنقلبون الى الآجلة التى
تتوافقها مخلدين (اذابلغت) النفس (التراقى) وأضم النفس وان لم يجز لها ذلك لان الكلام
الذى وقعت فيه يدل عليها كما قال حاتم

أماوى ما يغنى الثراء عن الفتى * اذا حشر جثت يوما وضاق بها الصدر

وتقول العرب أرسلت يريدون جاء المطر ولا تكاد تسمعه من كرون السماء والتراقى جمع ترقوة
وهى العظام لمكتنفة للثغرة النحر عن يمين وشمال ولكل انسان ترقوتان قال الباقى ولعله جمع
المثنى اشارة الى شدة انتشارها بغاية الجهد لما فيه من الكرب لاجتماعها من أقاصى البدن الى
هناك اه وهذا كناية عن الشفاء على الموت ذكرهم صعوده الموت وهو أول من أحل الآخرة
حين تبلغ الروح التراقى ودناز هو قها (وقيل) أى قال حاضر وصاحبها وهو المختصر بعضهم
لبعض (من راق) أى أيكم برقيه مما به يحصل له الشفاء وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما
هو من كلام ملائكة الموت أى أيكم برقى بروحه ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب فالاول اسم
فاعل من رقا برقى بمعنى الرقية بالفتح فى الماضى والكسرى فى المضارع والثانى الذى بمعنى المعود
بالكسرى فى الماضى والفتح فى المضارع (وظن) أى أيقن المختصر لما لاخ له من أنوار الآخرة
وقيل القائل من راق من أهله (انه) أى الشأن العظيم الذى هو فيه (الفراق) لما كان أى
فيه من محبوب العاجلة الذى هو الفراق الاعظم الذى لا فراق مثله فى الخبر ان العبد له عالم
كرب الموت وسكراته وان مفاصله ليسم بعضها على بعض تقول السلام عليكم تفرقنى وأفارقن
الى يوم القيامة وسمى اليقين هنا بالظن لان الانسان مادامت روحه متعلقة ببدنه فانه يطمع
فى الحياة لشدة حبه لهذه الحياة العاجلة ولا يقطع رجاء عنها أو ان المراد الظن الغالب اذا
يحصل يقين الموت مع رجاء الحياة وقيل سما بالظن تم كما قال الرازى وهذه الآية تبدل على ان
الروح جوهر قائم بنفسه باق بعد موت البدن لانه تعالى سعى الموت فراقا والفرق انما يكون

إذا كانت الروح باقية فإن الفراق والوصال صفة والصفة تستدعي وجود الموصوف (والتفت
الساق بالساق) أي اجتمعت احداهما بالآخرى إذا التفتاف الاجتماع قال تعالى جنبنا بكم
لفيها ومعني الكلام اتصلت شدة آخر الدنيا بشدة أول الآخرة قاله ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما ما والحسن وغيرهما وقال الشعبي التفت ساق الانسان عند الموت من شدة الكرب قال
قتادة أما رأيت ما إذا أشرف على الموت يضرب برجله على الآخرى وقال سعيد بن المسيب هما ساقا
الانسان إذا التفتاف الكفن وقال زيد بن أسلم التفت ساق الكفن بساق الميت وقال الضحاك
الناس ينحزون جسداه والملائكة يجهزون روجه وقال السدي لا يخرج من كرب الا جاءه
أشد منه وأول الاقوال كما قال النحاس أحسنها والعرب لاتذكر الساق الا في الشدائد والحن
العظام ومنه قولهم قامت الحرب على ساق قال أهل المعاني لأن الانسان اذا دهمته شدة شمر
لها عن سابقه فقيل للامر الشديد ساق قال الجعدي

أخو الحرب ان عضت به الحرب عضها * وان شممت عن ساقها الحرب شمرا
ولما صور وقت تأسفه على الدنيا واعراضه عنها ذكر غاية ذلك فقال تعالى مقددا النبي صلى الله
عليه وسلم بالخطاب اشارة الى أنه لا يفهم هذا حق فهمه غيره (الى ربك) أي المحسن اليك بجميع
ما أنت فيه (يومئذ) أي اذ وقع هذا الامر (المساق) أي السوق الى حكمه تعالى فقد انقطعت
عنه أحكام الدنيا فاما أن تسوقه الملائكة الى سعادة واما الى شقاوة والضمير في قوله تعالى
(فلا صدق) راجع للانسان المذكور في أي بحسب الانسان أي فلا صدق النبي صلى الله عليه وسلم
فيما أخبر به بما كان يعمل من الاعمال الخبيثة ولا في ماله بالانفاق في وجوه الخير التي تدب اليها
واجبة كانت أو مندوبة وحذف المفعول لانه أبلغ في التعميم (ولا صلى) أي ما أمر به من فرض
 وغيره فلا تمسك بجبل الخالق ولا وصل جبل الخلائق وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
لم يصدق بالرسالة ولا صلى أي دعا لربه عز وجل وصلى على رسوله صلى الله عليه وسلم وقال قتادة
فلا صدق بكاتب الله تعالى ولا صلى لله جل ذكره (ولكن) أي فعل ضد ما أمر به بأن (كذب)
أي بجا أتياه النبي صلى الله عليه وسلم من قرآن وغيره (ويولى) أي أعرض عنه وهذا الاستدراك
وأوضح اذ لا يلزم من نفي التصديق والصلاة الكذب والتولى وقال القرطبي معناه كذب
بالقرآن وتولى عن الايمان وقيل نزلت في أبي جهل (ثم ذهب) أي هذا الانسان أو أبو جهل
(الى أهله) غير متفكر في عاقبة ما فعل من التكذيب حاله كونه (يتطلى) أي يتجترأ فتخارا
بتكذبه واعراضه وعدم مبالاة بذلك وأصله يتطط أي يتبدلان المتجترع بخطاه وانما أبدلت
الطاء الثانية براء كراهة اجتماع الامثال وقيل هو من المطا وهو الظاهر لانه يلو به تجترأ في مشيئة
وقوله تعالى (أولى لك) فيه التفات من الغيبة والسكامة اسم فعل واللام للتيبين أي وليك ما تذكره
(فاولى) أي فهو أولى بك من غيرك وقوله تعالى (ثم أولى لك فاولى) نأ كيد وقيل هذه الكلمة
تقولها العرب لمن قاربه المكروه وأصلها من التولى وهو القرب قال الله تعالى فانلوا الذين
يلونكم وقال قتادة ذكر لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية أخذ يجامع نوب

أي جهل بالبطياء وقال له أولئك فأولئك ثم أولئك فأولئك فقال أبو جهل أتوعدني يا محمد فوالله
 ما أنت مطيع أنت ولا ربك أن تقع علي شيأ وأني والله لأعزن مشي بين جليلي فلما كان يوم بدر
 صرعه الله شرمصرع وقتله أسوأ قتله قال وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول لكل أمة فرعون
 وان فرعون هذه الامة أبو جهل (أي يحسب) أي يجوز لقلبه عقوله (الانسان) أي الذي هو عبد
 مريب ضعيف عاجز محتاج بما يرى من نفسه وأبناء جنسه (أن يترك) أي يكون تركه بالكلمة
 (سدى) أي هملا لا غيا لا يكلف ولا يجازي ولا يعرض على الملك الاعظم الذي خلقه فيسأله عن
 شكره فيما أسدى اليه فان ذلك منافع للبعث فانهما يقتضي الامر بالمحاسن والنهي عن
 المساوي والجزاء على كل منهما وأكثر الظالمين والمظالمين يموتون من غير جزاء فافقت الحكمة
 أنه لا بد من البعث للجزاء (ألم يكن) أي الانسان (نطفة) أي شيأ يسيرا (من موى) أي ماء من صلب
 الرجل وترائب المرأة (معى) أي تصب في الرحم سبب الله تعالى للانسان المعالجة في ارجاءها بما
 ركب فيه من الشهوة وجعل له من الزوج التي يسرها لقضاء وطره حتى ان وقت صبه في الرحم
 تصب منه بغير اختياره حتى كان له لا فعل له فيها أصلا (فان قيل) ما فائدة تمنى بعد قوله تعالى من
 موى (أجيب) بأن فيه اشارة الى خفارة حاله كأنه قيل انه مخلوق من المني الذي يجري على مجرى
 النجاسة فلا يليق بمثل هذا أن يتردد عن طاعة الله تعالى الا أنه عبر عن هذا المعنى على سبيل الرمز
 كما في قوله تعالى في عيسى عليه السلام وأمه مريم كنايةا كذل الطعام والمراد منه قضاء
 الحاجة (ثم كان) أي كونا محكما (علقة) أي دما أحر غليظا شديد الحرارة والغاظ (خاق) أي قدر
 سبحانه عقب ذلك لجه وعظامه وعصبه وغير ذلك من جواهره وأعراضه (فسوى) أي عدل من
 ذلك خلقا آخر غاية التعديل لشخصا مستقلا (تجعل) أي بسبب النطفة (منه) أي من المني
 الذي صار علة أي قطعة دم ثم مضغة أي قطعة لحم (الزوجين) أي النوعين (الذكر والأنثى)
 يحتملان تارة وينفرد كل منهما عن الآخر تارة قال القرطبي وقد احتج به هذه الآية من رأى
 اسقاط الأنثى وأجيب بأن هذه الآية رقر بانها خرجت بخروج الغالب أو أنه في نفس الامر
 ذكر أو أنثى (أليس ذلك) أي الخالق المسوى الاله الاعظم الذي قدر على تمييز ما يصلح من ذلك
 للذكر وما يصلح منه للأنثى (بقادر على أن يحيي الموتى) أي ان يعيد هذه الاجسام كهيئتها للبعث
 بعد البلاء روى أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأها قال سبحانك اللهم بل روى أبو داود
 والحاكم وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما من قرأ سبع اسم ربك الاعلى اماما كان أو غيره
 فليقل سبحان رب الاعلى ومن قرأ الأقسام يوم القيامة الى آخرها قل سبحانك اللهم بل اماما
 كان أو غيره وروى البيهقي بسنده عن طريق أبي داود عن اعرابي عن أبي هريرة قال قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ أممكم ولذين والزيتون فانتهي الى آخرها أليس الله بأحكم
 الحاكمين فليقل بل وانا على ذلك من الشاهدين ومن قرأ الأقسام يوم القيامة فانتهي الى أليس
 ذلك بقادر على أن يحيي الموتى فليقل بل ومن قرأ والمرسلات فبلغ فبأي حديث بعده يؤمنون
 فليقل آمنا بالله وروى ان رجلا كان يصلي فوق بيته فكان اذا قرأ أليس ذلك بقادر على أن يحيي

الموتى قال سبحانه يا الله بل فسألوه عن ذلك فقال سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقول البيضاوي تبع للزنجشري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة القيامة
شهدت له أنا وجبريل يوم القيامة أن كان مؤمنا حديث موضوع

﴿سورة الانسان﴾

ونسبى هل أتى والامشاج والدهر مكية أو مدينة وهي إحدى وثلاثون
آية وما تسان وأربعون كلمة وألف وأربعة وخمسون حرفا

واختلف فيها هل هي مكية أو مدينة فقال ابن عباس رضى الله تعالى عنه ما ومقاتل والكبي
مكية وبحرى عليه البيضاوي والزنجشري وقال الجوهري ومدينة وقال الجلال المحلى مكية
أو مدينة ولم يجزم بشئ وقال الحسن وعكرمة هي مدينة الآية وهي قوله تعالى فاصبر لحكم ربك
ولا تطع منهم أبتأ وكفورا وقيل فيها سكي من قوله تعالى أنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا
الى آخر السورة وما تقدمه مدنى

(بسم الله) الذى له الاسماء الحسنى (الرحمن) الذى عظم شيمه الذكر والاشئ (الرحيم) الذى
خص منهم من شاء بان تمام الاسئ * ولما تم الاستدلال على البعث والقدرة عليه تلامه هذا
الاستفهام وهو قوله تعالى (هل أتى) قال الزنجشري يعنى قدنى الاستفهام خاصة والاصل أهل
بدليل قول الشاعر

سائل فوارس يربوع بسدتنا * أهل رأونا بسفع القاع ذى الاكم

فالمعنى أودأتى على التقرير والتقريب جميعا أى أتى (على الانسان) قبل زمان قريب (حين
من الدهر لم يكن شيأ منذ كورا) أى كان شيأ منسيا غير مذكور نقطة فى الاصلا ب اه فقوله
على التقرير يعنى المفهوم من الاستفهام وقوله والتقريب يعنى المفهوم من قدالتى وقع
موقعها هل ومعنى قوله فى الاستفهام خاصة أن هل لا تكون بمعنى قد الا ومعها الاستفهام
افظا كالبيت المتقدم أو تقدير كالاية الكريمة ولوقلت هل جاء زيد يعنى قد جاء من غير
استفهام لم يجز وغيره جعلها بمعنى قد من غير هذا القيد وبحرى عليه الجلال المحلى واعترض
على الزنجشري بأنه لم يذكر غير كونها بمعنى قد وبقي قيد آخر وهو أن يقول فى الجمل الفعلية لانها
متى دخلت على جملة اسمية استحال كونها بمعنى قد لان قد محتمة بالافعال وأجيب عنه بأن
هذا لا يحتاج اليه لانه تقرر ان قد لا تبشر الاسماء واختلف فى المراد من الانسان فقال قتادة
وعكرمة والشعبي هو آدم عليه السلام مرت عليه أربعون سنة قبل أن تنفخ فيه الروح وهو
ماضى بين مكة والطائف وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنه ما فى رواية الضعفاء أنه خلق من
طين فأقام أربعين سنة ثم من حناس من أربعين سنة ثم من صلصال أربعين سنة ثم خلقه بعد
مائة وعشرين سنة ثم نفخ فيه الروح وشكى الماوردى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه ما
ان الحين المذكور هنا هو الزمن الطويل الممتد الذى لا يعرف مقداره وقال الحسن خلق الله

كل الاشياء ما يرى وما لا يرى من دواب البر والبحر في الايام الست التي خلق الله تعالى فيها السموات والارض وآخرها خلق آدم عليه السلام فهو قوله تعالى لم يكن شيأ مذكورا روى ان أبابكر رضي الله عنه لما قرأ هذه الآية قال ليتهاجت فلان تبلى أى لت خذ هذه المدة التي أنت على آدم عليه السلام لم يكن شيأ مذكورا تمت على ذلك فلا يلد ولا تبلى أولاده وسمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه لم يكن شيأ مذكورا قال عمر ليتهاجت يقول ليهتج على ما كان خذا وهما خجعا صلى الله عليه وسلم ولكن بقدر القرب يكون الخوف (فان قيل) ان الطين والصلصال والحما المنون قبل تنفخ الروح فيه ما كان انسانا والاية تقتضى أنه مضى على الانسان حال كونه انسانا حين من الدهر مع انه في ذلك الحين ما كان شيأ مذكورا (أجيب) بأن الطين والصلصال اذا كان مصورا بصورة الانسان ويكون محكوما عليه بأنه ستنفخ فيه الروح وبصير انسانا مع تسميته بأنه انسان روى النخعي عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما في قوله تعالى لم يكن شيأ مذكورا لافي السماء ولا في الارض بل كان جسدا مصورا ترابا وطينا لا يدرك ولا يعرف ولا يدرك ما له ولا ما يراد به ثم تنفخ فيه الروح فنصارمذكورا قال ابن سلام لم يكن شيأ لأنه خلقه بعد خلق الحيوان كله ولم يخلق بعده حيوانا وقال الزنجشري وتبعه جماعة من المفسرين ان المراد بالانسان جنس بني آدم يدل قوله تعالى (انا خلقنا الانسان) أى بعد خلق آدم عليه السلام (من نطفة) أى مادة هي شئ يسير جدا من الرجل والمرأة وكل ماء قليل في وعاء فيه ونطفة كقول عبد الله بن رواحة يعاتب نفسه

مالي ارا التكرهين الجنة * هل أنت الانطفة في شئ

وعلى هذا فالمراد بالجين المدة التي حوفا في بطن أمه لم يكن شيأ مذكورا اذ كان علقة ونطفة لانه في هذه الحالة جمد لا خطر له وقوله تعالى (أمشاج) أى أخلط من ماء الرجل وماء المرأة المختلطين الممتزجين نعت لنطفة ووقع الجمع نعتا للمفرد لانه في معنى الجمع كقوله رفر في خضر أوجعل كل جزء من النطفة نطفة فوصفت بالجمع وقال الزنجشري نطفة أمشاج كبرمة أعشار وبردأ كاشم وهي ألفاظ مفردة غير جموع ولذلك وقعت صفات للآفراد ويقال أيضا انطفة منج قال الشماخ

طوت أحشاء مرتجة لوقت * على مشج سلالته مهين

ولا يصح أمشاج أن يكون تكسيرا له بل هما مثلان في الأفراد لوصف المفرد بهما فقدم منع أن يكون أمشاجا جمع مشج بالكسر قال أبو حيان وقوله مخالف لنص سيبويه والنحويين على أن أفعالا لا يكون مفردا وأجاب بعضهم بأن الزنجشري انما قال بوصفه المفرد ولم يجعل أفعالا مفردا فكأنه جعل كل قطعة من البرمة برمة وكل قطعة من البرد بردا فوصفهما بالجمع والمعنى من نطفة قد امتزج فيها الماءان وكل منهما مختلف الاجزاء متباين الاوصاف في الرقة واللخن والقوام والخواص يجمع من الاخلط وهي العناصر الاربع ماء الرجل غليظ أبيض وماء المرأة رقيق أصفر فأيهما علا كان الشبه له وعن ابن عباس رضى الله

تعالى عنهم ما قال يحتلط ماء الرجل وهو أبيض غليظ بما المرأة وهو أصفر رقيق فيخلق منهما
 الولد فما كان من عصب وعظم وقوة فمن نطفة الرجل وما كان من لحم ودم وشعر فمن ماء المرأة
 قال القرطبي وقد روى هذا امرؤ قنوص ذكره البراءة وعن قتادة أمشاج ألوان وأطوار يريد
 أنهم ما تكون نطفة ثم علقه ثم مضغه ثم خلقا آخر وعن ابن مسعود رضى الله عنه هي عروق
 النطفة وقال مجاهد نطفة الرجل بيضاء وجراء ونطفة المرأة خضراء وصغراء والغرض من هذا
 التنبيه على أن الإنسان محدث فلا بد له من محدث قادر على تصويره وقد صورته على صور
 مختلفة فمنها صغير وكبير وطويل وقصير ومستدير وعريض ولما كان الإنسان محتاجا إلى
 الحركة يجهل بدنه ويجهل بعض أعضائه جعل بين العظام مفاصلا ثم وصلها بأوتار وعروق
 ولحم ودرار الراس وشق في جانبيه السمع وفي مقدمه البصر والأنف والقم وشق في البطن
 سائر المنافذ ثم مد اليدين والرجلين وقسم رؤسها بالأصابع وركب الأعضاء الباطنة
 من القلب والمعدة فصبغ من خلق تلك الأشياء من نطفة مخيفة أليس ذلك بقادر على
 أن يحيى الموتى وقوله تعالى (تنبئهم) يجوز فيه وجهان أحدهما أنه حال من فاعل خلقنا
 أى خلقناه حال كونهما مبتليين له والثاني أنه حال من الإنسان ومع ذلك لأن في الجملة
 ضميرين كل منهما يعود على ذى الحال ثم هذه الحال يجوز أن تكون مقارنة إن كان المعنى
 تنبيه نصرته في بطن أمه نطفة ثم علقه كما قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهم ما وأن تكون
 مقدرة إن كان المعنى تنبيهه فاختبره بالكيف لانه وقت خلقه غير مكلف وفيما يختبره به
 وجهان أحدهما قال الكوفي فاختبره بالخير والشر والثاني قال الحسن فاختبره شكره في السراء
 وصبره في الضراء وقيل تنبيهه نكافه بالعمل بعد الخلق قال مقاتل رضى الله عنه وقيل نكافه
 ليكون مأورا بالطاعة ومنه ما عن المعاصي (تجعلناه) أى بما لنا من العظمة بسبب ذلك (جميعا)
 بصيرا أى عظيم السمع والبصر والبصيرة ليستكن من مشاهدة الدلائل بغيره وسماع الآيات
 بسمع ومعرفة الحجج بصيرته فيصير نكافه ما تلازم فتقدم العلة الغائية لأن امتداده
 في الاستخفاف على التابع لها المعجم لارودها وقدم السمع لانه أنفع في مخاطبات ولان الآيات
 المجموعة أبين من الآيات المرسية وخدهما بالذئب ولان ما أنفع الحواس ولان البصر ينفعهم
 البصيرة وهى تتبين الجميع وقال بعضهم في الكلام تقديم وتأخير والامل اناجعلناه جميعا بصيرا
 تنبيهه أى جعلناه ذلك لا ابتلاء وقبل المراد بالجميع المطيع كشرك جمع وطاعة وبالبحر العالم
 يقال لفلان بصير في هذا الامر (انا) أى بما لنا من العظمة (هديناه السبيل) أى بيناه وعرفناه
 طريق الهدى والضلال والخير والشر يبعثه الرسل وقال مجاهد رضى الله عنه بيناه السبيل إلى
 السعادة والشقاوة وقال السدي رضى الله عنه السبيل هنا شروجه من الرحم وقيل منافع
 ومضارة التى يهتدى اليها بطبعه وكما علة قال الرازى والآية تدل على أن العقل متاخر عن
 الحواس قال وهو كذلك وقوله تعالى (أما شاكر) أى لانعام ربه عليه (وأما كفورا) أى بليغ
 الكفر بالأعراض والتكذيب نصب على الحال وفيه وجهان أحدهما أنه حال من مفعول

هديناه أي هديناه ميثاله كما حاله **والثاني** أنه حال من السبل على الجار قال الرضوي
 ويجوز أن يكونا حين من السبل أي عرفناه السبل أما سبلا شاكرا وأما سبلا كفورا كقوله
 تعالى وهديناه التجدين فوصف السبل بالشكر والكفر مجازا وروى الشيخان عن أبي هريرة
 رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو
 ينصرانه أو يمجسانه الحديث وعن جابر رضي الله عنه كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه
 لسانه أما شاكرا وأما كفورا وما قسمهم إلى قسمين ذكر جزء كل فريق فقال تعالى (أنا) أي على
 ما لنا من العظمة (أعزنا) أي هيأنا وأحضرنا بشدة وعظمة (للكافرين) أي العريقين
 في الكفر خاصة وقدم الأسهل في العذاب فالأسهل فقال تعالى (سلاسل) جمع سلسلة أي يقادرون
 ويوثقون بها (وأغلالا) أي في أعناقهم تشديفا للسلاسل فتجمع أيديهم إلى أعناقهم (وسعيرا)
 أي نار حامية جدا شديدة الاتقاد وقرأ نافع وهشام وشعبة والكسائي سلاسل وصلا بالسورين
 والباقون بغير تنوين وأما الوقف على الثانية فوقف عليه بغير ألف قبل وجزة ووقف البري وابن
 ذكوان وحفص بغير ألف وبالألف ووقف الباقون بالألف ولا وقف على الأولى والرسم بالألف
 أما من نون سلاسل فوجه بأوجه منها أنه قصد بذلك التناسب لأن ما قبله وما بعده منون منصوب
 ومنها أن الكسائي وغيره من أهل الكوفة حكموا عن بعض العرب أنهم يصرفون جميع
 ما لا يصرف إلا أفضل منك وقال الاخفش سمعنا من العرب من يصرف كل ما لا يصرف لأن
 الأصل في الأسماء الصرف وترك الصرف لعارض فيها وروى عن بعضهم أنه يقول رأيت عمرا
 بالألف يعني عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأيضاً هذا الجمع قد جمع وإن كان قليلا فالواضوح
 وهو أحبات وفي الحديث أنكن مواجبات يوسف ومنها أنه مرسوم في الامام أي معصف الطراز
 والكوفة بالألف رواه أبو عبيدة ورواه قالون عن نافع وروى بعضهم ذلك عن مصاحف البصرة
 أيضا وقال الرضوي فيه وجهان أحدهما أن يكون هذا السورين بدلا من حرف الإطلاق
 ويجري الوصل مجرى الوقف والثاني أن يكون صاحب هذه القراءة ممن ضري رواية الشعر
 وممن لسانه على صرف غير المنصرف اه قال بعض المفسرين وفي هذه العبارة قفاطة وعظمة
 لاسيما على مشايخ الاسلام وأئمة العلماء الاعلام وأما من لم يثونه فوجه ظاهر لأنه على صيغة
 منتهى الجمع وقولهم قد جمع نحو مواجبات لا يتقدح لأن المحذور يرجع التكسير وهذا جمع
 تصحيح وأما من لم يقف بالألف فواضح * ولما أوجز في جزاء الكافر أتبعه جزاء الشاكر وأطلب
 تأكيد الترتيب فقال تعالى (إن الأبرار) جمع بر كأبرار جمع رب أو بار كأشهاد جمع شاهد وفي
 الصحيح وجع البار البررة وهم الصادقون في إيمانهم المطيعون لهم الذين سمع منهم عن
 المستحقرات نظهرت في قلوبهم ينابيع الحكمة وروى ابن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله
 عليه وسلم أنه قال إنما سماهم الله تعالى الأبرار لأنهم برؤا والآباء والأبناء كما أن لو ادعى عليك
 جفا كذلك لو ادعى عليك حق وقال الحسن رضي الله عنه البر الذي لا يؤذي الذر وقال قتادة
 رضي الله عنه الأبرار الذين يؤدون حق الله ويوفون بالذر وفي الحديث الأبرار الذين لا يؤذون

أحمد (يشربون من كأس) هو أنما شرب الخمر وهي خبثه والمراد من خمر تسمية للحال باسمه المحل
ومن للتبعض (كان من اجها) أى ما تخرج به (كافورا) ليزده وعذوبته وطيب عرفه ولا كرفعل
الكون يدل على أن له شأن في المخرج عظيم لا يكون فيه كانه من نفس الجبله لا كما يهملون الكافور
ثبت معروف وكان اشتقاقه من الكفر وهو الستر لانه يغطي الاشياء برائحته والكافور أيضا
كلام الشجر الذي هو غرسها والكافور البحر والكافر الليل والمكافر السائر لقم الله تعالى والكافر
الزارع لتورثه الخب في الارض قال الشاعر
وكافورات على كفره * وخبنة الفردوس للكافر

والكفارة تعطفية الاثم في اليقين الفاجرة والنذور الكاذبة بالمغفرة والكافور ما يحوف الشجر
مكفور فيغرزونه بالحد يد فيخرج الى ظاهر الشجر فيضربه الهواء فيجهد وينفقد كالصمغ الجامد
على الاشجار (فان قيل) مزج الكافور بالمشروب لا يكون لذيذا فما السبب في ذكره (أجيب)
بأوجه أحدها قال ابن عباس رضي الله عنهما الكافور اسم عين في الجنة يقال لها عين الكافور
أى يمازجها ماء هذه العين التي تسمى كافورا في رياض الكافور وورائحتها وبرده ولكن لا يكون
فيه طعمه ولا مضرتة ثانيها أن رائحة الكافور عرض والعرض لا يكون الا في جسم يخلق الله
تعالى تلك الرائحة في جرم ذلك الشراب فسمى ذلك الجسم كافورا وان كان طعمه طيبا فيكون
الكافور ريحها الاطعمها ثالثها ان الله تعالى يخلق الكافور في الجنة مع طعم طيب لذيذ ويسلب
عنه ما فيه من المضرة ثم انه تعالى يمزجه بذلك الشراب كما انه تعالى يسلب عن جميع المأكولات
والمشروبات ما معها في الدين من المضار بوقال سعيد بن قتادة رضي الله عنهم يمزج لهم بالكافور
ويختم بالسك وقبل يخلق فيها رائحة الكافور ويأضه فكانهم امرجت بالكافور وقوله تعالى
(عيننا) في نصبه أوجه أحدها انه يدل من كافور الان ماءها في رياض الكافور وورائحتها وبرده
واقصر على هذا الجلال المحلى الثاني انه يدل من محل من كأس قاله مكي ولم يقدر حذف مضاف
وقدر الزمخشري على هذا الوجه حذف مضاف قال كانه قيل يشربون خمر اخر عين الثالث انه
نصيب على الاختصاص قاله الزمخشري الرابع أنه باضمار أعني قاله القرطبي وقيل غير ذلك
(يشرب بها) قال الجلال المحلى منها وقال البقاعي أى عزاها وقال الزمخشري به الخمر قال كما
تقول شربت الماء بالعسل والاقول أوضح (عباد الله) أى أوليائوه (فان قيل) الكفار عباد الله
وهم لا يشربون منها بالاتفاق (أجيب) بأن لفظ عباد الله يختص بأهل الايمان ولكن بشكل بقوله
تعالى ولا يرضى لعباده الكفر فانه يصير تقدير الآية ولا يرضى لعباده المؤمنين الكفر مع أنه
سيهانه لا يرضى الكفر للكافر ولا غيره وقد يجاب بأن هذا كثرى لا كلى أو يقال حيث أضيف
العباد والعباد الى اسم الله الظاهر سواء كان بافظ الجلالة أم لا فالمراد به المؤمن وان أضيف الى
ضميره تعالى فيكون بحسب المقام فتارة يختص بالمؤمن كقوله تعالى ان عبادى ليس لك عليهم
سلطان وتارة يعم كقوله تعالى ولا يرضى لعباده الكفر وقوله تعالى نبي عبادى أنى أنا المغفور
الرحيم (يفعرونها) أى يجزونها حديث شاذ من منازلهم وان علت (تفجيرا) سهلا لا يتسع عليهم

• ولما ذكر جزاءهم ذكر وصفهم الذي يستحقون عليه ذلك بقوله تعالى (يوفون بالنذر) وهذا
 يجوز أن يكون مستأنفا ويجوز أن يكون خبر المكان مضمرة قال الفراء التقدير كانوا يوفون
 بالنذر في الدنيا وكانوا يخافون وقال الزمخشري يوفون جواب من عسى يقول ما لهم يرزقون
 ذلك قال أبو حيان واستعمل عسى صلة لمن وهو لا يجوز وأتى بالمضارع بعد عسى غير مقرون بأن
 وهو قليل أوفى الشعر والوفاء بالنذر مبالغة في وصفهم بالتوفير على أداء الواجبات لأن من وفى
 بما أوجبه هو على نفسه لوجه الله تعالى كان بما أوجبه الله تعالى عليه أوفى وقال الكلبي يوفون
 بالنذر أي يتمون العهود لقوله تعالى وأوفوا بعهدهم الله أوفوا بالعقود أمر بالوفاء بها لأنهم
 عقدوها على أنفسهم باعتقادهم الإيمان قال القرطبي والنذر حقيقة مأا أوجبه المكلف على
 نفسه من شيء يفعل وإن شئت قلت في حقه هو إيجاب المكلف على نفسه من الطاعات ما لو لم
 يوجبه لم يلزمه وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصيه
 فلا يعصه • ولما دل وفاءهم على سلامة طباعهم قال تعالى عاقدوا لآله على جمعهم للأمرين
 المتعاطفين فهم يفعلون الوفاء لا لآجل شيء بل لكرم الطبع (ويخافون) أي مع علمهم
 للواجبات (يوما) قال ابن عبد السلام شر يوم أو أهوال يوم (كان) أي كونا هو في جبلته
 (شره) أي ما فيه من الشدائد (مستطيرا) أي فاشيا منتشرا غاية الانتشار من استطار الحرير
 والفجر وهو أبلغ من طار وقال قتادة رضي الله عنه كان شره فاشيا في السموات فانشقت
 وتناثرت الكواكب وكورت الشمس والقمر وفزعت الملائكة ونسفت الجبال وغارت المياه
 وتكسر كل شيء على الأرض من جبل وبناء وفي ذلك أشعار بحسن عقيدتهم واحسانهم
 واجتنابهم عن المعاصي فان الخوف أدل دلل على عمارة الباطن قالوا ما فارق الخوف قلبا
 الا خرب ومن خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل (فان قبل) لم قال تعالى كان شره ولم يقل سيكون
 (أجيب) بأنه كقوله تعالى أي أمر الله فاقبل في ذلك يقال هنا (ويطعمون الطعام) أي على
 حسب ما يتيسر لهم من مال ودون وقوله تعالى (على حبه) حال امان الطعام أي كائين على
 حبه اياه فهو في غاية المكنة منهم والاستعلاء على قلوبهم لقلته وشهوتهم له وحاجتهم اليه كما قال
 تعالى ابن تالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ليفهم انهم للفضل أشد بدلا ولهذا قال صلى الله عليه
 وسلم في حق الصحابة رضي الله عنهم لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مدأ أحدهم ولا ينصفه لقلة
 الموجود اذ ذلك وكثرته بعدوا ما من الفاعل والضمير في حبه لله أي على حب الله وعلى التقديرين
 فهو مصدر مضاف للمفعول وقال الفضيل بن عياض على حب اطعام الطعام (مسكنا) أي
 محتاجا احتياجا يسيرا فصاحب الاحتياج الكثير أولى (وتقيا) أي صغيرا لأب له (وأسيما) أي
 في أيدي الكفار وخص هؤلاء بالذكر لأن المسكين عاجز عن اكتساب بنفسه عما يكفيه واليتيم
 مات من يكتسب له وبني عاجز عن الكسب لصغره والاسير لا يتمكن لنفسه نصرا ولا حيلة وقال
 مجاهد وسعيد بن جبير رضي الله عنهم الاسير المحبوس في ذلك المملوك والمجبرون
 والكافر الذي في أيدي المسلمين وقد نقل في غزوة بدر أن بعض الصحابة رضي الله عنهم كان يوتر

أسيره على نفسه بالخيز وكان الخبز اذذ العزير حتى كان ذلك الاسير يحجب من مكارمهم حتى كان ذلك عمادعاه الى الاسلام وذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم لما دفعهم اليهم قال استوصوا بهم خيرا وقيل الاسير المملوك وقيل المرأة لقول النبي صلى الله عليه وسلم اتقوا الله في النساء فانهم عندكم عوان أى أسرى وقوله تعالى (انما نطعمكم) على اضمار القول أى يقولون بالاسان المقال أو الحلال انما نطعمكم أى المحتاجون (لوجه الله) أى لذات الملك الذى استجمع الجلال والاکرام لكونه أمر نابلذ وعبر بالوجه لان الوجه يستقى منه ويرجى ويخشى عند رؤيته (لا تريد منكم) لاجل ذلك (جزاء) أى لنا من اعراض الدنيا (ولاشكورا) أى لشيء من قول ولا فعل روى أن عائشة رضی الله تعالى عنها كانت تبعث بالصدقة الى أهل بيت ثم تسأل المبعوث ما قالوا فان ذكر دعاء دعيت لهم بعث له يسبق ثواب الصدقة لها خالصا عند الله تعالى ثم علاوا قولهم هذا على وجه التأكيد بقولهم (اننا نخاف من ربنا) أى الخالق لنا المحسن اليها (يوما) أى أهوال يوم هو في غاية العظمة وينبؤ اعظمته بقولهم (عبوسا) قال ابن عباس رضى الله عنهم ووصف اليوم بالعبوس مجاز على طريقين أن يوصف بصفة أهله من الاشقياء كقولك نهرا لصائم روى أن الكافر يعبس يومئذ حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران وأن يشبهه في شدته وضرره بالاسد العبوس أو بالشجاع الباسل (قطريرا) قال ابن عباس رضى الله عنهم ما طويلا وقال مجاهد وقادة رضى الله عنهم القمطرير الذى يقبض الوجوه والجباه بالتعبس وقال المكبي العبوس الذى لا انبساط فيه والقمطرير الشديد وقال الاخفش القمطرير أشد ما يكون من الايام وأطولها في البلاد يقال يوم قطرير وخاطر إذا كان شديدا كريها ولما كان فعلهم هذا خالصا لله تعالى سبب عنه جزاءهم فقال تعالى (فوقاهم الله) أى الملك الاعظم بسبب خوفهم (شر ذلك اليوم) أى العظيم ولا بد لهم من نعيم ظاهر وباطن ومسكن يقيمون فيه وملبس وقد أشار الى الاول بقوله تعالى (ولقاهم) أى أعطاهم (نضرة) أى حسنا دائما في وجوههم وأشار الى الثانى بقوله تعالى (وسرورا) أى في قلوبهم دائما في مقابلة خوفهم في الدنيا وأشار الى الثالث بقوله تعالى (وجزاءهم بما صبروا) أى بسبب ما أوجدوا من الصبر على العبادة من لزوم الطاعة واجتناب المعصية ومنع أنفسهم الشهوات وبذل المحبوبات (جنة) أى ادخلوا بستاننا بما عملوا يا كملون منه ما يشتهون جزاء على ما كانوا يطعمون وان كان غيرهم يشار كهم في ذلك دونهم في الجزاء وأشار الى الرابع بقوله تعالى (وسريرا) أى البسوه أى هو في غاية العظمة وما رواه البيضاوى تبعا للزمخشري عن ابن عباس أن الحسن والحسين رضى الله عنهم ما مرضا فعادهما رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناس فقلا لواليا أبا الحسن لو نذرت على ولدك فنفذت على وفاطمة وفضة جارية لهم ما صوم ثلاثة أيام ان برئنا فشفيا وما معهما شيء فاستقرض على من شعرون اليه ودى الخبيري ثلاثة أصع من شعير وطحن فاطمة صاعا واختبرت خمسة أقراص على عددهم فوضوها بين أيديهم ليفطاروا فوقف عليهم سائل فقال السلام عليكم أهل بيت محمد مسكين من مساكين المسلمين أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة فأثروه وياؤوا لم يذوقوا

الائمة وأصبحوا ضامنا فلما أمسوا وضعوا الطعام بين أيديهم فوقف عليهم يتيم فأثروا ووقف عليهم أسير في الثالثة ففعلوا مثل ذلك زاد في الكشف فلما أصبحوا أخذ على رضي الله تعالى عنه يد الحسن والحسين فأقبلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أبصرهم وهم يرتعشون كالفرأخ من شدة الجوع قال ما أشد ما يستوفى ما أرى بكم وقام فانطلق معهم قرأ أي فاطمة في محرابهم أقد التصق ظهرها بيطنهم وأغارت عيناها فساء ذلك فنزل جبريل عليه السلام وقال خذها يا محمد أي السورة فهناك الله في أهل بيته فأقرأه السورة حديث موضوع ثم بين حالهم فيها بقوله تعالى (متكئين فيها) أي الجنة واختلفوا في أعراب متكئين فقال الجلال المحلى حال من مرفوع ادخلوها المقدر وقال أبو البقاء يجوز أن يكون حال من المفعول في جزاءهم وأن يكون صفة واعتراض عليه في كونه صفة بأنه لا يجوز عند البصريين لأنه كان يلزم الضمير فقال متكئين هم فيها الجريان الصفة على غير من هي له وقيل أنه من فاعل صبروا واعتراض أن الصبر كان في الدنيا والاتكاه في الآخرة وأجيب بأنه يصح أن يكون حال لا مقدرة لأن ما اكلم بسبب صبرهم إلى هذه الحالة ثم أشار إلى زيادة راحتهم بقوله تعالى (على الأرائك) أي السرر في الخلال ولا تكون أريكة إلا مع وجود الخلال وقيل الأرائك الفرش على السرر وقوله تعالى (لا يرون فيها) أي الجنة حال ثانية على الخلاف المتقدم في الأولى ومن جوز أن تكون الأولى صفة جوزة في الثانية وقيل أنها حال من الضمير المرفوع المستكن في متكئين فتكون حال امتداد لـ (ثمنا) أي حزا ولا يرون فيها (زمهريرا) أي بردا شديدا فالآية من الاحتجاب الدل في الشمس أولا على نفي القمر ودل في الزمهرير الذي هو سبب البرد ثانيا على نفي الحر الذي سببه الشمس فأفاد هذا أن الجنة غنية عن النيران لأنها تبرد بذاتها وأهلها غير محتاجين إلى معرفة زمان إذ لا تكيف فيها بوجه وأنها ظلية معتدلة دائما بخلاف الدنيا فإن فيها الحاجة إلى ذلك والحر والبرد فيها من قبح جهنم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد نكت النار إلى ربها قالت يا رب أكل بعضي بعضا فجعل لها نقسين ففاض في الشتاء ونفا في الصيف فشدة ما تجدونه من البرد من زمهريرها وشدة ما تجدونه من الحر من سهرها وقيل الزمهرير القمر بلغة طي وأنشدوا

وليلة ظلامها قد اعتسكركم قطعتموا الزمهرير ما زهر

ويروي ما ظهر (ودانية) أي قريبة مع الارتفاع (عليهم ظلالها) أي شجرها من غير أن يحصل منها ما يزيل الاعتدال واختلف في نصب دانية فقال البغوي عطف على متكئين وقال الجلال المحلى عطف على نحل لا يرون وذكره البغوي بعد الأول بصيغة قبل قال البيضاوي أو عطف على جنه أي وجنة أخرى دانية لأنهم وعدوا بحسين لقوله تعالى ولئن خاف مقام ربي جنتان (فان قيل) إن الظل إنما يوجد حيث توجد الشمس والجنة لا شمس فيها فكيف يحصل الظل (أجيب) بأن اعتبار الجنة تكون بحيث لو كان هناك شمس لكانت تلك الأشجار مظلة منها وإن كان لا شمس ولا ظر كما أن أمشاطهم الذهب والفضة وإن كان لا وضع ولا شعاع (وذلك قطوفها) جمع قطف بالكسر وهو العنقود واسم للثمار المقطوفة أي الجمجمة (تدليلها) أي سفل تناولها تنهلا عظيما لبرد البند

عنه بعد ولا شول لكل من يريد أخذها على أي حالة كانت من انكسار وغيره فان كانوا قعودا أو مضطجعين تديات اليهم وان كانوا اقياما وكانت على الارض ارتفعت اليهم وقال البراءة ذلت لهم فهم يتناولون منها كيف شاؤوا فمن أكل قائما لم يؤذ به ومن أكل جالسا لم يؤذ به ومن أكل مضطجعا لم يؤذ به وهذا اجر أوهم على ما كانوا يذللون أنفسهم لامر الله تعالى * ولما وصف تعالى طعامهم ولباسهم وسكنهم وصف شرايبهم بقوله تعالى (ويطاف) أي من أي طائف كان لكثرة الخدم (عليهم بآية) جمع اناه كسقاء وأسقية وجمع الآنية أو ان وهي ظروف للمياه ومعنى يطاف أي يدور على هؤلاء الابرار الخدم اذا أرادوا الشرب ثم بين تلك الآنية بقوله تعالى (من فضة) قال ابن عباس رضي الله عنهما ليس في الدنيا شيء مما في الجنة الا الاسماء أي الذي في الجنة أشرف وأعلى ولم ينف الآنية الذهبية بل المعنى يسقون في الاواني الفضة وقد سبق في الاواني الذهب كما قال تعالى سرايل تقبلكم الخزأي والبرد فنبه بذلك أحدهما على الآخر * ولما جمع الآنية خص فقال تعالى (وأكواب) جمع كوب وهو كوز لا عروقة فيسهل الشرب منه من كل موضع فلا يحتاج عند تناول الى ادارة (كأنت) أي تلك الاكواب كونا هو من جبلتها (قوارير) أي كانت بصفة القوارير من الصفاء والرقه والشفوف والابراق جمع فارورة وهي ما أقربه الشراب ونحوه من كل اناورقيق صاف وقيل هو خاص بالزجاج * ولما كان رأس آية وكان التعبير بالقوارير ربما أفهم انها من الزجاج وكان في الزجاج من النقص سرعة الانكسار لافراط الصلابة قال تعالى بمعبد اللفظ أول الآية الثانية تأكيد للاتصاف بالصالح من أوصاف الزجاج وبياناً لنوعها (قوارير من فضة) أي قد جعلت صفى الجوهر من المتباينين صفاء الزجاج وشفوفه وبريقه وبياض الفضة وشفورها ولبنها وقال الكلبي ان الله تعالى جعل قوارير كل قوم من تراب ارضهم وان أرض الجنة من فضة فجعل منها قوارير يشربون منها (٣) وقرأنا نافع وشعبة والكلبي وصيلا التنيون فيهما ووافقه ابن كثير في الأول دون الثاني والباقيون بغير تنوين وأما الوقف فنون وقف بالالف ومن لم يتون وقف بغير ألف الا هشام فإنه وقف على الثاني بالالف وفي الوصل لم يتون فالقراآت جميعته على خمس مراتب احداً تنوينهم ماعوا والوقف عليهم جابا بالالف الثانية مقابلة وهو عدم تنوينهم ماعوا وعدم الوقف عليهم جابا بالالف الثالثة عدم تنوينهم ماعوا والوقف عليهم جابا بالالف الرابعة تنوين الأول دون الثاني والوقف على الأول بالالف وعلى الثاني بدونها في الخامسة عدم تنوينهم ماعوا والوقف على الأول بالالف وعلى الثاني بدونها وأما من تنوينهم ماعوا في تنوين سلاسل اللف ماصيعة منتهى المجموع ذال على مفاعل وذال على مفاعل والوقف بالالف التي هي بدل التنيون فأما عدم تنوينهم ماعوا وعدم الوقف بالالف فظاهر وأما من تنوين الأول دون الثاني فإنه ناسب بين الأول وبين رؤس الآي ولم يناسب بين الثاني وبين الأول والوجه في وقفه على الأول بالالف وعلى الثاني بغير ألف فظاهر وأما من لم يتون ماعوا ووقف على الأول بالالف وعلى الثاني بدونها فلان الأول رأس آية فتناسب بينه وبين رؤس الآي في الوقف بالالف وفرق بينه وبين الثاني لانه ليس برأس آية وأما من لم يتون ماعوا ووقف عليهم جابا بالالف فإنه ناسب بين الأول

(٣) قوارير
عبارة
أن الآنية
نفس
تنوين
عليها
والك
الثانية
وهي
وعده
بالالف
الثالثة
تنوين
عليها
وحده
الأول
والوقف
بالالف
بدونها
وحده
تنوينهم
على
وعلى
لاي
ذكر
الممر
يتضح
المقسم

وبين رؤس الآتى وناسب بين الثانى وبين الاول وقال الرنخسرى وهذا التنوين بدل من ألف
الاطلاق لانها فاصلة وفي الثانى لاتباعه الاول يعنى انهم يأتون بالتنوين بدلا من حرف الاطلاق
الذى لا تترجم كقوله * يا صاح ما حاج العيون الذرفن * وقوله تعالى (قدر وهاته قديرا) صفة
لقوارير من فضة وفي الواو فى قدر وهوا وجهان أحدهما أنه للمطاف عليهم ومعنى تقديرهم لها انهم
قدر وهيا أنفسهم أن تكون على تقادير وأشكال على حسب شهواتهم بخفاء كما قدروا والثانى
انه للطائفة من به ادل عليه قوله تعالى ويطاف عليهم على انهم قدروا مشربا على قدر الرى وهو أذل
للشارب لكونه على مقعدا وحاجته لا يفضل عنه ولا يعجز وعن مجاهد رضى الله عنه لا تقبض
ولا تقبض وعن ابن عباس رضى الله عنهم ما قدر وهوا على ملء الكف حتى لا تؤذيهم بشغل أو بإفراط
صغر وجوز أبو البقاء أن تكون الجملة مستأنفة (ويستقون) أى بمن أرادوه من خدمهم الذين
لا يحصون كثرة (فيها) أى فى الجنة أو تلك الاكواب (كاسا) أى خمرانى اناه (كان من اجها) أى
ما تخرج به على غاية الاحكام (رنجيلا) أى غاية اللذة وكانت العرب تلتذ بالشرب الممزوج به
لهضمه وتطيبه الطعم والرنجيل نبت معروف وسمى الكأس بذلك لوجود طعم الرنجيل
فيها قال الاعشى
وقال المسيب بن علس

وكان طعم الرنجيل به * اذا ذقه وسلافة الخمر

وقوله تعالى (عنا فيما) أى الجنة بدل من رنجيلا وكون الرنجيل عنان فيه خرق للعوائد لأن
الرنجيل عندنا شجر يحتاج فى تناوله الى علاج فبين انه هناك عين لا يحتاج فى صبر وورثه رنجيلا
الى ان تخيله الارض بغيره فيها حتى يصير شجر يتحول عن طعم الماء الى طعم الرنجيل (تسمى)
أى تلك العين لسهولة اساعتها ولذة طعمها وسمو وصفها (سلسيلا) والمعنى ان ماء تلك العين
كالرنجيل الذى تلتذ به العرب سهل المساغ فى الخلق فليس هو كرنجيل الدنيا بلذع فى الخلق
فتصعب اساعته والسلسيل والسلسل والسلسال ما كان من الشراب غاية فى السلاسة يزيد
فيه الباء زيادة فى المبالغة فى هذا المعنى وقال مقاتل وابن حبان رضى الله عنهم سميت سلسيلا
لانها تسيل عليهم فى الطرق وفى منازلهم تنبع من أصل العرش من جنة عدن الى أهل الجنان
قال البغوى وشراب الجنة فى برد الكافور وطعم الرنجيل وريح المسك من غير لذع وقال مقاتل
رضى الله عنه يشربهم المقربون صرفا وتمزج لسا ترأحل الجنة * ولما ذكر تعالى الطوف به لانه
الغاية المقصودة وصف الطائفة لما فى طوافه من العظيمة المشهودة بقوله تعالى (ويطوف عليهم)
أى بالشراب وغيره من الملاذ والمحاب (ولدان) أى غلمان هم فى سن من هو دون البلوغ لأن
الفةهاء قالوا الناس غلمان وصبيان وأطفال وذراى الى البلوغ ثم هم بعد البلوغ شبان
وقبان الى الثلاثين ثم هم بعدها كهول الى الأربعين ثم بعدها شيوخ واستبط بعضهم ذلك من
القرآن فى حق بعض الانبياء عليهم الصلاة والسلام قال الله تعالى فى حق يحيى وآتينا الحكم
صبييا وفى حق عيسى يكلم الناس فى المهند وكهلا وعن ابراهيم قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له

ابراهيم وعن يعقوب ان له اياش جنا كبيرا قالوا وقل أهل الجنة من يخدم ألف غلام ويعطى
 في الجنة قدر الدنيا عشر مرات وقرأ حجة بضم الهاء والباقون بكسرها * ثم وصف تعالى تلك
 الغلمان بقوله تعالى (مخلدون) أى قد حكم من لا يرد حكمه بأن يكونوا كذلك دائماً من غير علة
 ولا ارتفاع عن ذلك الخدم مع انهم من سنون بالخلي وهو الخلق والاسا وروا القرط والملايس الحسنة
 (اذأرايتهم) أى يا أعلی الخلق وأنت أثبت الناس نظراً وأياها الراى الشامل لكل راء فى أى
 حالة رأيتهم فيها (حسبتهم) أى من يياضهم وصفاء ألوانهم وانتشارهم فى الخدمة (لؤلؤا منثورا)
 أى من سلعة أو من صدفة وهو أحسن منه فى غير ذلك قال بعض المفسرين هم غلمان ينشثم
 الله تعالى لخدمة المؤمنين وقال بعضهم أطفال المؤمنين لانهم ما نوا على القطرة وقال ابن بريان
 وأرى والله أعلم انهم من علم الله تعالى ايمانهم من أولاد الكفار وتكون خدم الال الجنة كما
 كانوا النافى الدياسيا وخداما وأما أولاد المؤمنين فيلقون بأباثهم سنا وملكا سورا لهم ويؤيد
 هذا قوله صلى الله عليه وسلم فى ابنه ابراهيم عليه السلام ان له نظرا اتم رضاعه فى الجنة فانه يدل
 على انتقال شأنه فيما هنالك وكنته فى الاحوال فى الدنيا ولا دليل على خصوصيته بذلك وقرأ
 السوسى وشعبة بإبدال الهمزة الاولى الساكنة وقفا ووصلا واذ وقف حجة أبداً الاولى
 والثانية * ولما ذكر الخدم والخدم ذكر المكان بقوله تعالى (واذا رأيت) أى وجدت منك الرؤية
 (ثم) أى هنا فى أى مكان كان فى الجنة وأى شئ كان فيها وقوله تعالى (رأيت) جواب اذا أى
 رأيت (نعما) أى ليس فيه كدر بوجه من الوجوه ولا يقدر على وصفه واصف (وملكا كبيرا)
 أى لم يخطر على باله ما هو فيه من السعة وكثرة الوجود والعظمة قال سفيان الثورى بلغنا
 ان الملك الكبير تسليم الملائكة عليهم وقيل كون السجنان على رؤسهم كما تكون على
 رؤس الملوك وقال الحكيم الترمذى هو ملك التكوين اذا اراد واشيا قالوا له كن فيكون
 وفى الخبر ان الملك الكبير هو ان أدناهم منزلة أى وما فيهم دنى الذى فى ملكه مسيرة ألف
 عام ويرى أقصاه كما يرى أدناه وان أعظمهم منزلة من ينظر الى وجهه ربه سبحانه وتعالى كل
 يوم أى قدر يوم من أيام الدنيا مرتين * ولما ذكر الداروسا كنهم من مخدوم وخدم ذكر لباسهم
 بقوله تعالى (عاليم) أى فوقهم (ثياب سندس) هو مارق من الحرير (خضر واستبرق)
 وهو ما غلظ من الدياج فهو البطائن والسندس الظهائر وقرأ نافع وحجة عليهم بسكون الباء
 بعد اللام وكسر الهاء والباقون بفتح الباء وضم الهاء لان الباء لما سكنت كسرت
 الهاء ولما تحركت ضمت الهاء فأمارة نافع وحجة فقيها أوجه أظهرها أن يكون خبرا
 مقدما وثياب مبتدأ مؤخر وأما قراءة الباقي فقيها أيضاً أوجه أظهرها أن يكون خبرا مقدما
 وثياب مبتدأ مؤخر كأنه قال فوقهم ثياب قال أبو البقاء لان عاليم بمعنى فوقهم والضخير
 المتصل به للمطوف عليهم أو للخادم والمخدوم جيعا وان كانت تتفاوت بتفاوت الرتب وقرأ نافع
 وحفص خضر واستبرق برفعهما وقرأ حجة والكسافى بخفضهما وقرأ أبو عمرو وابن عاصم
 برفع خضر وجر استبرق وقرأ ابن كثير وشعبة بجر خضر ورفع استبرق وحاصل القراءات

في ذلك أربع مراتب الاولى رفعهما الثانية خفضهما الثالثة رفع الاول وخفض الثاني
الرابعة عكس ذلك فاما القراءة الاولى فان رفع خضر على النعت لثياب ورفع استبرق نسق على
الثياب ولكن على حذف مضاف أى وثياب استبرق وأما القراءة الثانية فيكون جر خضر
على النعت لسندس ثم استشكل على هذا وصف المقر بالجمع فقال مكي هو اسم جمع وقيل
هو جمع سندس كتمر وتمره ووصف اسم الجنس بالجمع صحيح قال تعالى وينشئ السحاب الثقال
وأما ز نخل منقعر ومن الشجر الأخضر وإذا كانوا قد وصقوا المحلى لكونه مراداً به الجنس
بالجمع في قولهم أهلك الناس الدنيا والخر والدرهم البيض وفي التنزيل أو الطفل الذين فلا
يوجد ذلك في أسماء الجوع أو أسماء الاجناس الفارق بينها وبين واحداتها التأنيث بطريقتين
الاولى وجر استبرق نسقاً على سندس لان المعنى ثياب من سندس وثياب من استبرق
وأما القراءة الثالثة فرفع خضر نعتاً لثياب وجر استبرق نسقاً على سندس أى ثياب خضر من
سندس ومن استبرق فعلى هذا يكون الاستبرق أيضاً أخضر وأما القراءة الرابعة فجر خضر على
أنه نعت لسندس ورفع استبرق على النسق على ثياب بحذف مضاف أى وثياب استبرق ثم أخبر
تعالى عن تحليتهم بقوله سبحانه (وخلوا) أى الخدم والخدام (أساور من فضة) وإن كانت
تتفاوت بتفاوت الرتب وهي بالغة من الاعضاء ما يبلغه التحجيل في الوضوء كما قال صلى الله عليه
وسلم الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء فلذلك كان أبو هريرة يرفع الى المشركين وإلى السابقين
* (نبيه) * قال هنا أساور من فضة وفي سورة فاطر يحلون فيها من أساور من ذهب وفي سورة
الحج يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤ فقل حلل الرجال الفضة وحلى النساء الذهب وقيل
تارة يلبسون الذهب وتارة يلبسون الفضة وقيل يجمع في يدي أحدهم سواران من ذهب
وسواران من فضة وسواران من لؤلؤ ليجتمع لهما محاسن الجنة قاله سعيد بن المسيب وقيل يعطى
كل أحد ما يرغب فيه ويميل نفسه اليه وقيل أسورة الفضة انما تكون للولدان وأسورة الذهب
للنساء وقيل هذا للنساء والصبيان وقيل هذا يكون بحسب الاوقات والاعمال (وسقاهم ربهم)
أى اوجد لهم المحسن اليهم المدبر لصلحهم (شربا طهورا) أى ليس هو كشراب الدنيا سواء
أكان من الخمر أم من الماء أم من غيره أهو بالغ الطهارة وقال على رضى الله عنه إذا توجه أهل
الجنة الى الجنة من ساقها عياناً فيشربون من احداهما فبجري عليهم نضرة
النعيم فلا تتغير أبشارهم ولا تشعث شعورهم أبداً ثم يشربون من الاخرى فيخرج ما في بطونهم
من الاذى ثم تستقبلهم خزنة الجنة فيقولون لهم سلام عليكم طيبتم فادخلوها خالدين وقال
الضعفى وأبو قلابه هو اذا شربوه بعداً كلهم طهرهم وصاروا كأروه وشربوه رشح مسك وضربت
بطونهم وقال مقاتل هو من عين ماء على باب الجنة تتبع من ساق شجرة من شرب منها نزاع الله
تعالى ما كان في قلبه من غش وغل وحسد وما كان في جوفه من أذى وعلى هذا فيكون فعول
للمبالغة وقال الرازى قوله تعالى طهورا في نفسه احتمالات أحدها أن لا يكون نجسا
كخمر الدنيا وثانيها المبالغة في البعد عن الامور المستقرة لانه لم يعصر نفسه الا يدي الوضوء

وتدوسه الارجل الدنسة ولم يجعل في الدنان والاباريق التي لم يعن بتنظيفها وثالثها أنه لا يؤل
الى النجاسة لانها تترشح عرقا من أبدانهم لم يريح كريج المسك وعلى هذين الوجهين يكون
الظهور مطهرا لانه يظهر بواطنهم من الاخلاق الذميمة والاشياء المؤذية (فان قيل) هل هذا نوع
آخر غير ما ذكر قبل ذلك من أنهم يشربون من الكافور والزنجبيل والسبيل أم لا (أجيب)
بأنه نوع آخر لوجوه أولها رفع ثانيا انه تعالى أضاف هذا الشراب الى نفسه بقوله تعالى
وسقاهم ربهم شرابا طهورا وذلك يدل على فضل هذا دون غيره ثالثها ما روى انه تقدم اليهم
الاطعمة والاشربة فاذا فرغوا منها أتوا بالشراب الطهور فيشربون فيطهرون بذلك بطونهم
وبقيص عرقا من جلودهم مثل ريح المسك وهذا يدل على أن ذلك الشراب مغاير لتلك الاشربة
ولأن هذا الشراب يهضم سائر الاشربة ثم إن له مع هذا الهضم تأثيرا عجيبا وهو أنه يجعل سائر
الاطعمة والاشربة عرقا فيفوح منه ريح كريج المسك ويطهر شاربه عن الميل الى اللذات
الخبيسة والركون الى ماسوى الحق فيجتزئ لطاعة جلالة مثلذذا بلقاءه باقيا بقائه وهو منتهى
درجات الصديقين وكل ذلك يدل على المغايرة وقوله تعالى (إن) على اضممار القول أى ويقال
لهم ان (هذا كان لكم جزاء) أى على أعمالكم التي كنتم تجاهدون فيها أنفسكم عن هواها
الى ما يرضى ربكم والاشارة الى ما تقدم من عطاء الله تعالى لهم (وكان) أى على وجه الثبات
(سعيكم مشكورا) أى لا نضيع شيئا منه ونجازي بأكثر منه أضعافا مضاعفة * ولما
بين تعالى بهذا القرآن العظيم الوعد والوعيد ذكر سبحانه أنه من عنده وليس هو بسحر
ولا كهانة ولا شعر بقوله تعالى (انا نحن) أى على ما لنا من العظمة التي لانهاية لها لا غيرنا (نزلنا
عليك) وأنت أعظم الخلق انزالا استعلي حتى صار المنزل خلقا لك (القرآن) أى الجامع لكل
هدى (تزيلا) قال ابن عباس متفرا فآية بعد آية ولم ينزل جملة واحدة قال الرازي والمقصود
من هذه الآية تثبيت الرسول صلى الله عليه وسلم وشرح صدره فيما نسبوه اليه صلى الله عليه
وسلم من كهانة وسحر فذكر تعالى ان ذلك وحى من الله تعالى فكانه تعالى يقول ان كان هؤلاء
الكفار يقولون ان ذلك كهانة فانا الله الملك الحق أقول على سبيل التاكيد ان ذلك وحى حق
وتنزيل صدق من عندى وفي ذلك فائدة ثان الاولى ازالة الوحشة الحاصلة بسبب طعن الكفار
لان الله تعالى عظمه وصدقه الثانية تقويته على تحمل مشاق التكليف فكانه تعالى يقول له
انى ما نزلت القرآن عليك متفرا فالله الحكمة بالغة تقتضى تخصيص كل شئ بوقت معين
وقد اقتضت تلك الحكمة تأخير الاذن فى القتال (فاصبر لحكم ربك) أى المحسن اليك قال
ابن عباس اصبر على أذى المشركين ثم نسخ بآية القتال وقيل اصبر لما يحكم عليك به
من الطاعات أو انتظر حكم الله اذ وعدك بالنصر عليهم ولا تستعجل فانه كان لا محالة (ولا تطلع
منهم) أى الكفرة الذين هم ضد الشاكرين (آثما) أى ذاعيا الى اثم سواء كان مجردا عن مطلق
الكفر أو مصاحبا له (أو كفورا) أى مباغيا فى الكفر وداعيا اليه وان كان كبيرا وعظيما
فى الدنيا فان الحق أكبر من كل كبير وقال قتادة أراد بالآثم والكفور أبا جهل وذلك انه

قوله أو
فى الله
أولها
ما نقضا
وقال

لما فرضت الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم نهاه أبو جهل عنها وقال لئن رأيت محمد ابصلي
لاطأت على عنقه وقال مقاتل أراد بالآثم عتبة بن ربيعة وبالكفور الوليد بن المغيرة وكانا أميا
النبي صلى الله عليه وسلم بعرضان عليه الاموال والتزويج على أن يتلذذ ذكر النبوة عرض عليه
عتبة بنته وكانت من أجل النساء وعرض عليه الوليد أن يعطيه من الاموال حتى يرزى
وينزل ما هو عليه فقرأ عليهم ما رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر آيات من أول حم السجدة
إلى قوله تعالى فإن أعرضوا قل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فانصرفا عنه وقال
أحدهما ظننت أن الكعبة ستقع على (فان قيل) كانوا كلهم كفرة فمأعنى القصة في قوله أئما
أو كفورا (أجيب) بأن معناه ولا تطع منهم را بكالم هو ائما دعا عيال الله أو فاعلا لما هو كفر
داعيا لك اليه لانهم ائما أن يدعوهم الى مساعدتهم على فعل هو ائما أو كفر أو غير ائما ولا كفر
فهني أن يساعدهم على الاثنين دون الثالث ثم قال (فان قيل) معنى أو لا تطع أحدهما
فهلا جى بالواو وليكون نهيها عن اطاعتها جميعا (أجيب) بأنه لو قال ولا تطعها لجاز أن
يطيع أحدهما وإذا قيل ولا تطع أحدهما علم أن الناهي عن طاعة أحدهما أنهى عن طاعتها
جميعا كما اذا نهى أن يقول لابويه أف علم أنه نهى عن ضربهما بطريق الاولى (فان قيل)
انه صلى الله عليه وسلم ما كان يطيع أحدا منهم فافائدة هذا النهي (أجيب) بأن
المقصود بيان أن الناس محتاجون الى التنبيه والارشاد لاجل ما ترك فيهم من الشهوة
الداعية الى النساء وان الواحد لو استغنى عن توفيق الله تعالى وارشاده لكان أحق الناس به
هو رسول الله صلى الله عليه وسلم المعصوم دائما أبدا ومتى ظهر لك ذلك عرفت أن كل مسلم
لا بد له من الرغبة الى الله تعالى والتضرع اليه أن يصونه عن الشهوات (واذكر) أي
في الصلاة (اسم ربك) أي المحسن اليك بكل جميل (بكرة) أي الفجر (وأصليا) أي
الظهر والعصر (ومن الليل) أي بعضه والباقي للراحة بالنوم (فاسجد له) أي القرب
والعشاء (وسجدة لاطويلا) أي سهل التطوع فيه كاتفة قدم من ثلثيه أو نصفه أو ثلثه
أو اذ كره بلسانك بكرة عند قيامك من مقامك الذي هو المومة الصغرى وتذكر أنه يجي
الموتى ويحشرهم جميعا وأصليا أي عند انقراض نهارك وتذكر أنقراض دنياك وطى
هذا العالم لاجل يوم الفصل وفي ذكر الوقتين اشارة الى دوام الذكر وذكر اسمه لازم لذكره
والذى عليه أكثر المفسرين الاول قال ابن عباس وسفيان كل تسبيح في القرآن فهو صلاة
لان الصلاة أفضل الاعمال البدنية لانها أعظم الذكر لانها ذكر اللسان والجنان والاركان
فوظفت فيها اركان لسانية وحركات وسكات على هيات مخصوصة من عاداتها أن لا تفعل
الا بين يدي الملوكة * ولما خاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتعظيم والاهم والنهي عبد
سبحانه الى شرح أحوال الكفار والمتردين فقال تعالى (ان هؤلاء) أي الذين يفتلون عن الله
من الكفار والمتردين (يحبون) أي محبة تجدد عندهم زيادتها في كل وقت (العاجلة) لقصور
نظارهم وجودهم على المحسوسات التي الاقبال عليها من انشأ البلاد والقصور ومعدن

الأمراض للقلوب التي في الصدر ومن تعاطى أسباب الأمراض من ضرسى كنفورا
 ومن تعاطى ضد ذلك شئى وسعى شاكرا (ويذرون) أى ويتركون (وراهم) أى قدأهمهم على
 وجه الإحاطة بهم وهم عنه معرضون كما يعرض الإنسان عما وراءه وأخلف ظهورهم لا يعقبون به
 وقوله تعالى (لوما) مفعول يذرون لا ظرف وقوله تعالى (ثقيلا) وصف له استعير له الثقل لشدة
 وهوله من الشئ الثقيل الباحظ لحامله ونحوه ثقلت في السموات والارض (نحن خلقناهم)
 أى بعناهم العظيمة لا غيرنا (وشددنا) أى قويننا (أسرهم) أى توصيل عظامهم بعضها ببعض
 وتوثيق عظامهم بالأعصاب بعد أن كانوا انطفاأ مشاجا في غاية الضعف وأصل الأسر الربط
 والتوثيق ومنه أسر الرجل إذا وثق بالقد وهو الأسار وفرس مأسور والخلق (وإذا شئنا) أى
 بعناهم العظيمة أن تبدل ما نشاء من صفاتهم وأذواتهم (بدلنا أمثالهم) أى جئنا بأمثالهم
 بدلا منهم أما بأنهم لكهم ونأى بيدلهم بمن يطيع وأما بتغيير صفاتهم كما شؤده في بعض الاوقات
 من السخ وغيره وقوله تعالى (تديلا) تأكيدا قال الجلال المحلى ووقعت اذا موقع ان نحو
 ان يشأ يذهبكم لانه تعالى لم يشأ ذلك وإذا ما يقع وفي ذلك رد اقول الزمخشري وحقه أن يجي
 بان لا باذا كقوله وان تتولوا يستبدل قوم غيركم ان يشأ يذهبكم (ان هذه) أى السورة
 أو الآيات القرية (تذكرة) أى عظة للخلق فان في تصفحها تنبيهات للعاقلين وفي تدبرها
 وتذكرها فوائد لجة للطالبين السالكين ممن ألقى سمعه وأحضر قلبه وكانت نفسه مقبلة على
 ما ألقى اليه سمعه (فن شاء) أى بأن اجتهد في وصوله الى ربه (اتخذ) أى أخذ يجهد في مجاهدة
 نفسه ومغالبة هواه (الى ربه) أى المحسن اليه الذى ينبغي له أن يحبه بجميع جوارحه وقلبه
 ويجهتدى القرب منه (سيلا) أى طريقا واضحا مهيأ واسعا بأفعال الطاعة التى أمر بها
 لاناينا الامور غاية البيان وكشفنا اللبس وأزلنا جميع موانع الفهم فلم يبق مانع من استطرار
 الطريق غير مشب يمتننا (وما نشأون) أى في وقت من الاوقات شبيها من الاشياء وقرأ أبو عمرو
 وابن عامر وابن كثير بالياء التحية على الغيبة والباقون بالتاء على الخطاب وإذا وقف جزء سهل
 الهمة مع المد والقصر وله أيضا البد الها واو امع المد والقصر (الا) وقت (أن يشاء الله) أى
 الملك الاعلى الذى له الامر كله والملك كله على حسب ما يريد ويقدر وقد صرح بهذا ما قال الاشعري
 وسائر أهل السنة من أن للعبد شيئة تسمى كسبا لا تؤثر الا بشيئة الله تعالى واتقى مذهب
 القدرية الذين يقولون اننا خلقنا أفعالنا ومذهب الجبرية القائلين لا فعل لنا أصلا ومثل الملوى
 ذلك بن يريد قطع بطيخة فخذ سدس كمينه وهياها وأوجد فيها أسباب القطع وأزال عنها موانعه
 ثم وضعها على البطيخة فهى لا تقطع دون أن يتحمل عليها التحامل المعروف لذلك ولو وضع عليها
 ما لا يصلح للقطع كطبة مثلا لم تقطع ولو تحمل فالتحمل كالسكين خلقه الله تعالى وهياها بما أعطاه
 من القسيرة للفعل فن قال أنا أخلقى فعلى مستقلة فهو وإن قال السكين تقطع بمجرد وضعها
 من غير تحامل ومن قال الفاعل هو الله من غير نظر الى العبد أصلا كان كمن قال هو يقطع
 البطيخة بتحمل يده أو قسبة ملبسائه من غير سكين والذى يقول انه باشر بتقديره المهيأة للفعل

يخلق الله تعالى لها في ذلك الفعل كمن قال ان السكين قطعت بالتحامل عليها هذا أجرى الله سبحانه وتعالى عادته في الناس ولو شاء غير ذلك فعل ولا يخفى ان هذا هو الحق الذي لا مريية فيه ثم علل ذلك باحاطته بعشيتهم بقوله تعالى (ان الله) أي المحيط علما وقدره (كان) أي أزلا وأبدا (عليها) أي بما يستأهل كل أحد (حكيمًا) أي بالغ الحكمة فهو يمنع منعًا محكمًا من أن يشاء غيره ما لم يأذن فيه فمن علم في جبلته خيرا أعانته عليه ومن علم منه الشر ساقه اليه وجعله عليه وهو معنى قوله تعالى (يدخل من يشاء) أي ممن علمه من أهل السعادة (في رحمته) أي بجنه وهم المؤمنون وقوله تعالى (والظالمين) أي الكافرين منسوب بفعل يفسره قوله تعالى (أعد لهم) مثل أوعدوكافأله مطابق الجمل المعطوف عليها (عذابا أليما) أي مؤلما فاتهم فيه خالدون أبدا لا يبدون وقول البيضاوي تعالى لا تخشى انه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة هل أتى كان جزاؤه على الله جنة وحرير احديث موضوع

﴿سورة والمرسلات عرفا مكية﴾

في قول الحسن وعكرمة وعطاء ونيابر وقال ابن عباس وقادة الآية منها وهي قوله تعالى واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون فنادى

وقال ابن مسعود نزلت والمرسلات عرفا على النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجن ونحن معه نسبح حتى أرينا الى غار مني فنزلت فبينما نحن نلتقاها منه وان فاه رطب بها اذ وثبت حية فوثبنا عليها لنقتلها فذهبت فقال النبي صلى الله عليه وسلم وقيم شرها كما وقيت شركم اه والغار المذكور مشهور في منى وقد زوره ولله الحمد وعن كريب مولى ابن عباس قال قرأت سورة والمرسلات عرفا فسمعتني أم الفضل امرأة العباس فبكت وقالت والله يا بني لقد أذكرني بقراءتك هذه السورة أنها لا آخر ما سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأهم في صلاة المغرب وهي خمسون آية واحدى وعشرون كلمة وعثمان مائة وستة عشر حرفا (بسم الله) الملك الحق المبين (الرحمن) المنعم على الخلق أجمعين (الرحيم) الذي خص بكرامته عباده المؤمنين (والمرسلات عرفا) أي الرياح متتابعة كعصف القوس يتلو بعضها بعضا ونصها على الحال هذا ما عليه الجمهور من أنها الرياح قال تعالى وأرسلنا الرياح وقال تعالى ويرسل الرياح وروى مسروق عن عبد الله قال هي الملائكة أرسلت بالعرف من أمر الله تعالى ونهيه والخير والوحي وهو قول أبي هريرة ومقاتل والكلبي وقال ابن عباس رضى الله عنهم ا هم الانبياء عليهم السلام أرسلوا بلا اله الا الله وقال أبو صالح هم الرسل ترسل بما يعرفون به من المعجزات وقيل المراد السحاب لما فيها من نعمة ونقمة عارفة بما أرسلت اليه ومن أرسلت اليه (فالعاصفات) أي الرياح الشديدة (عصفا) أي عظميا بما لها من النتائج الصالحة وقيل الملائكة تشبهت لسرعة جريها في أمر الله تعالى بالرياح وقيل الملائكة تعصف بروح الكافر يقال عصفت بالشيء اذا أباده وأهلكه وناقاة عصفوف أي تعصف بركابها فتضي كأنها ريح في السرعة

وعصفت الحرب بالقوم أي ذهبت بهم وقيل يحتمل أنها آيات المهلكة كالزلازل
والخسوف (والناشرات نشرا) أي الرياح اليلينة تنشر المطر وقال الحسن هي الرياح التي يرسلها
الله تعالى بين يدي رحمته وقيل الامطار لانها تنشر النبات بمعنى تحييه وروى عن السدي
أنهم الملائكة تنشر كتب الله تعالى وروى الضحاك أنها الصحف تنشر على الله تعالى بأعمال
العباد * (تنبيه) * انما قال الله تعالى والناشرات بالواو لانه استئناف قسم آخر (فانقارقات
فرقا) أي الرياح تفترق السحاب وتبدده قاله مجاهد وعن ابن عباس هي الملائكة تفرق
الاقوات والاوراق والاحبال وقيل هم الرسل فترقوا بين ما أمر الله تعالى به وما نهى عنه
أي ينو اذلك وقيل آيات القرآن تفرق بين الحق والباطل والاحلال والحرام (فالملقيات
ذكر) أي الملائكة تنزل بالوحي الى الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وقيل هو جبريل عليه
السلام وحده سمي باسم الجمع تعظيما (فان قيل) ما المناسبة على هذا بين الرياح والملائكة
في القسم (أجيب) بان الملائكة روحانيون فهم بسبب لطافتهم وسرعة حركاتهم كالرياح وقيل
المراد به الرسل يلقون الى أمهم ما أنزل عليهم وذكر ما فاعول به ناصبه الملقيات (عذرا أو نذرا)
مصدران من عذرا اذا احسا الاساءة ومن أنذرا اذا خوف على فعل كالكفر والشكر ويجوز
أن يكون جمع عذير بمعنى المعذور وجمع نذير بمعنى الانذار وجمعى العاذر والمنذر ونص بهما
اماعلى البديل من ذكر اعلى الوجهين الأولين أو على المفعول له واما على الوجه الثالث فعلى
الاحمال بمعنى عاذرين أو منذرين ، وقرأ أو نذرا نافع وابن كثير وابن عامر وشعبة بضم الذال
والباقون بسكونه وقوله تعالى (انما توعدون لواقع) جواب القسم ومعناه ان الذى توعدونه
من مجيئ القيامة كائن لا محالة وقال الكلبي المراد ان كل ما توعدون به من الخير والشر لواقع
ثم بين وقت وقوعه فقال تعالى (فاذا النجوم) أي على كثرتها (طمست) أي محي نورها أو
ذهب نورها ومحقت ذواتها وهو موافق لقوله تعالى انتشرت وانتكدرت قال الزمخشري ويجوز
أن يعنى نورها ثم تنتثر محققة النور (واذا السماء) أي على عظمتها (فربحت) أي فحقت وشقت
فكانت أبوابا والفرج الشق ونظيره اذا السماء انشقت (واذا الجبال) أي على صلابتها
(نسفت) أي ذهب بها كلها بسرعة من نسفت الشيء اذا اختطفته أو نسفت كالحب اذا نسف
بالنسف ونحوه وبست الجبال بسا وكانت الجبال كتيبا مهيبا (واذا الرسل) أي الذين أنذروا
الناس ذلك اليوم فكذبوا (أقنت) قال مجاهد والزجاج المراد بهذا التأقنت تبين الوقت
الذى فيه يحضرون للشهادة على أمهم أي جعلت لملاقات يوم معلوم وهو يوم القيامة والوقت
الاجل الذى يكون عنده الشيء المؤخر اليه فالعنى جعل لها وقت أجل للفصل والقضاء بينهم
وبين الامم كقوله تعالى يوم يجمع الله الرسل وقرأ أبو عمرو وبوا ومضمومة والباقون بهمزة
مضمومة وهما الغنان والعرب تعاقب بين الراو والهزمة كقولهم وكدت وكدت وأقوت وقوله تعالى
(لاى يوم) أي عظيم متعلق بقوله تعالى (أجلت) وهذه الجملة معمولة لقول مضر أي يقال
لاى يوم أجلت وهذا القول المضمون يجوز أن يكون جوابا لاذ وأن يكون حالا من مرفوع

أقمت أي مقولاً فيها إلى يوم أجلبت أي أخرت وهذا تعظيم لذلك اليوم وتجبيل له وقوله تعالى
 (ليوم الفصل) بيان ليوم التاجيل وقيل اللام بمعنى إلى ذكره مكي قال ابن عباس يوم فصل
 الرحمن بين الخلائق كقوله تعالى أن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين ثم أتبع هذا التعظيم تعظيماً
 آخر بقوله تعالى (وما أدراك ما يوم الفصل) أي ومن أين تعلم كنهه ولم تر مثله في شدة وقهارة
 وقرأ أبو عمرو وشعبة وحزرة والكسائي وابن ذكوان بخلاف عنه بالأمانة المحضة وقرأ ورش
 بين وبين والباقون بالفتح ثم أتبعه تهويلاً ثالثاً بقوله تعالى (ويل يومئذ) أي اذ يكون يوم الفصل
 (للمكذبين) أي بذلك قال القرطبي ويل عذاب وخزي لمن كذب بالله تعالى وبرسوله وكتبه ويوم
 الفصل وهو وعيد وكرره في هذه السورة عند كل آية كأنه قسمه بينهم على قدر تكذيبهم فإن لكل
 مكذب بشئ عذاباً بسوى عذاب تكذيبه بشئ آخر ورب شئ كذب به هو أعظم جرماً من تكذيبه
 لغيره لانه أقبح في تعظيمه وأعظم في الرد على الله تعالى وانما يقسم لهم من الويل على قدر ذلك
 وعلى قدر وفاقه وهو قوله تعالى جزاء وفاقا وقيل كثره لمعنى تكرار التخويف والوعيد وروى
 عن النعمان بن بشير قال ويل واد في جهنم فيه ألوان العذاب وقاله ابن عباس وغيره وروى
 أنه عليه الصلاة والسلام قال عرضت على جهنم فلم أرفها وادياً أعظم من الويل وروى أيضاً
 أنه جمع ما يسيل من قيح أهل النار وصددهم وانما يسيل الشئ فيما يسيل من الأرض وقد علم
 العباد في الدنيا أن شر المواضع ما استنقع فيها مياه الأذناس والاقذار والغسلات والنجس
 وماء الحمامات فذكر أن الوادى مستنقع صديد أهل الكفر والشرك ليعلم العاقل أنه لا شئ أقدر
 منه قدارة ولا أثن منه تناساً * (تنبيهه) * ويل مبتدأ وسوغ الابتداء به الدعاء ويومئذ ظرف
 للويل وللمكذبين خبره وقال الرخخري فإن قلت كيف وقع النكرة مبتدأ قلت هو في أصله
 مصدر ومنصوب ساد مستفعله لكنه عدل به إلى الرفع للدلالة على معنى ثبات الهلاك ودوامه
 للدعوى عليه ونحوه سلام عليكم واعترض بأن الذي ذكره ليس من المستوعات التي ذكرها
 النحويون وانما المسوغ كونه دعاء وفائدة العدول إلى الرفع ما ذكره (ألم نهك) أي بما لنا من
 العظمة (الأوليين) من لدن آدم عليه السلام إلى زمن محمد صلى الله عليه وسلم كتوم نوح وعاد
 وعود بتكذيبهم أي أهل كلهم (ثم تبعهم الآخرين) أي ممن كذبوا ككفار مكة فهلكهم
 كما هلك الأولين ونسلك بهم سبلهم لانهم كذبوا مثل تكذيبهم (كذلك) أي مثل ذلك الفعل
 الشنيع (نفعل بالجرمين) أي بكل من أجرم فيما يستقبل أما بالسيف وأما بالهلاك
 (ويل يومئذ) أي اذ يوجد ذلك الفعل (للمكذبين) أي بآيات الله وأنبائه قال البيضاوي
 فليس تكراراً وكذا أن أطلق التكذيب أو علق في الموضوعين بواحد لأن الويل الأول يقول بغذاب
 الآخرة وهذا الإلهلاك في الدنيا مع أن التكرير للتوكيد حسن شائع في كلام العرب
 (ألم خلقكم) أي أيها المكذبون بما لنا من العظمة التي لا تغيرها عظمة (من ما مهين) أي
 ضعيف حقير وهو المني وهذا نوع آخر من تخويف الكفار وهو من وجهين الأول أنه تعالى
 ذكرهم عظيم انعامه عليهم وكل ما كان نعمه عليهم أكثر كان جنايته في حقهم أقبح وأغش الثاني

أنه تعالى ذكرهم أنه قادر على الابتداء والقادر على الانتهاء قادر على الاعادة فكما أنكرنا هذه
 الدلالة الظاهرة لاجرم قال تعالى في حقهم ويل يومئذ للمكذبين وهذه الآية تطير قوله تعالى
 ثم جعل نسله من سلالة من مبهمين وقرأ بكل القراء بادغام القاف في الكاف وأبقاء الصفة
 ولهم أيضاً ادغام الصفة مع الحذف (فجعلناه) أي بما لنا من القدرة والعظمة بالانزال للماء
 في الرحم (في قرار) أي مكان (ممكن) أي حريز وهو الرحم (الذي قدر معلوم) أي وهو وقت
 الولادة كقوله تعالى إن الله عنده علم الساعة إلى قوله ويعلم ما في الارحام (فقد رنا) أي ذلك
 دون غيرنا (فنفخ القادرون) نحن وقرأنا نافع والكسائي بتشديد الدال فيصح على هذه القراءة
 أن يكون المعنى فقد قدرناه والباقون بالتخفيف وقال على كرم الله وجهه ولا يعدد أن يكون
 المعنى في التخفيف والتشديد واحد إلا أن العرب تقول قدر وقد رعبه الموت (ويل يومئذ) أي
 إذ كان ذلك (للمكذبين) أي بقدرتنا على ذلك أو على الاعادة وقوله تعالى (ألم نجعل) أي نصير
 بمأشئتنا بما لنا من العظمة (الارض كفاتاً) مصدر كفت بمعنى ضم وعاء ضامة (أحياء) أي على
 ظهرها في الدور وغيرها (وأمواناً) أي في بطنها في القبور وغيرها وقيل الأحياء والأموان ترجع
 إلى الارض أي الارض منقسمة إلى حي وهو الذي ينبت وإلى ميت وهو الذي لا ينبت وقيل
 كفاتاً جمع كافت كصيام وقيام جمع صائم وقائم وقال الخليل تقايب الشيء ظهر البطن
 أو بطنها الظهر ويقال انكفت القوم إلى منازلهم أي انقلبوا بمعنى الكفات انهم يتصرفون على
 ظهرها وينقلبون اليها فيدفعون فيها (وجعلنا) أي بما لنا من القدرة التامة (فيها) أي الارض
 (زواصي) أي جبالاً لولاها لماتت بأهلها ومن المجازيب مراسيها من فوقها خـ لافاً لمراسي
 السفن (شامخات) أي مرتفعات جمع شاخ وهو المرتفع جداً ومنه شخ بألفه إذا تكبر جعل
 كتابه عن ذلك كثنى العطف وصعر الخد كما قال لقمان لابنه ولا تصغر خدك للناس
 (وأسقيناهم) أي بما لنا من العظمة (ماء) أي من الانهار والعيون والغدران والآبار وغير ذلك
 (قراناً) أي عذاباً يشربون منه ودوابكم وتسقون منه زرعكم وهذه الامور أعجب من البعث
 روى في الارض من الجنة سيجان وجحجان والنيل والفرات كل من أنهار الجنة (ويل
 يومئذ) أي إذ تقوم الساعة (للمكذبين) أي بأماثل هذه النعم وقوله تعالى (انطلقوا) على
 ارادة القول أي يقال للمكذبين يوم القيامة انطلقوا (إلى ما كنتم به تكذبون) من العذاب
 يعني النار فقد شاهدتموها عياناً (انطلقوا إلى ظل) أي ظل دخان جهنم لقوله تعالى وظل من
 يحوم (ذي ثلاث شعب) أي تشعب لعظمه كما يرى الدخان العظيم يتفرق ذواتب وقيل
 يخرج لسان من النار فيحيط بالكفار كالسراذق وتشعب من دخان ثلاث شعب فقطلهم حتى
 يفرغ حسابهم والمؤمنون في ظل العرش وقيل إن الشعب الثلاث هي الضريع والزقوم
 والغسلين لأنهم أوصاف النار وقوله تعالى (لا ظليل) أي كمن يظلمهم من حر ذلك اليوم تهكم
 بهم وردلما يوبهم لفظ الظل (ولا يغني) أي ولا يرد عنهم شيئاً (من الاله) أي لهب النار فليس
 كالظل الذي يقي حر الشمس وهذا تهكم بهم وتعرض بأن ظلمهم غير ظل المؤمنين واليهب ما يعا

على النار إذا اضطربت من أحر وأصفر وأخضر (أنها) أي النار (ترى) أي من شدة
الاشتغال (بشر) وهو ما تطاير من النار (كالقصر) أي كل شرة كالقصر من البناء
في عظمه وارتفاعه قال ابن مسعود يعني الحصون وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى
ترى بشر كالقصر قيل هي الخشب العظيم المقطعة قال وكان نعمد إلى الخشب فقطعها ثلاثة
أذرع وفوق ذلك ودونه نذرها للشتاء فكأنهم القصر وقال سعيد بن جبير والله الذي
أصول النخل والشجر العظام واحدة أقصره مثل جرة وجر وقوله تعالى (كأنه) أي الشرر
(بجالات) قرأه حمزة والنكسائي وحفص بغير ألف بعد اللام على التوحيد والباقيون بالألف على
الجمع جمع جمالة وهي التي قرأ بها أتولا وهي جمع جل مثل حجارة وحجر وقوله تعالى (صفر) جمع
أصفر أي في هيئتها ولونها وفي الحديث شرار النار أصفر كالتقير والعرب تسمى سود الأبل صفرا
لشوب سوداها بصفرة فقل صفر في الآية يعني سوداها ذكره في شعر عمر بن حطان الخارجي
دعهم بأعلى صوتهم وأورمتهم * بمثل الجمال الصفر نزاعة الشوى

قال الترمذي وهذا القول ضعيف ومحال في اللغة أن يكون من يشوبه شيء قليل فينسب كله إلى
ذلك الشائب فالمعجب من قد قال هذا وقد قال الله تعالى بجالات صفر فلانسلم من هذا شيئا في اللغة
وقيل شبه الشرر بالجمالات اسرعة سيرها وقيل لم تابعة بعضها بعضا (ويل يومئذ) أي اذ يكون
ذلك (للمكذبين) أي بهذه الأمور العظام (هذا) أي يوم القيامة (يوم لا ينطقون) أي ينشئ
من فرط الدهشة والحيرة وهذا نوع آخر من أنواع تخويف الكفار بين أنه ليس لهم عذر
ولا حجة فيما أتوا به من القبيائح وهذا في بعض المواضع فان يوم القيامة يوم طويل ذو مواطن
ومواقيت ينطقون في وقت ولا ينطقون في وقت ولذلك ورد الأمر في القرآن أن الكفار في
بعضها يحتضنون ويتكلمون وفي بعضها ينحتم على أفواههم فلا ينطقون وروى عكرمة أن ابن
عباس رضي الله تعالى عنه - ما سأله ابن الأزرقي عن قوله تعالى - هذا يوم لا ينطقون ولا تسبح
الاهمسا - وأقبل بعضهم على بعض يتسائلون فقال إن الله تعالى يقول وإن يوما عسيرك
كألف سنة مما تعدون فان لكل مقدارا من هذه الأيام لو نام من هذه الألوان وقال الحسن
فيه اضمار أي هذا يوم لا ينطقون فيه بحجة نافعة فجعل نطقهم كالألف لانه لا ينفع ولا يسمع ومن
نطق بما لا ينفع فكأنه ما نطق كما يقال لمن تكلم بكلام لا يفيد ما قلت شيئا وقيل إن هذا وقت
جوابهم أحسوا فيه ولا تكلمون (ولا يؤذن لهم) أي في العذر وقوله تعالى (فيعتذرون) عطف
على يؤذن من غير نسب عنه فهو داخل في حيز النفي أي لا إذن فلا اعتذار (ويل يومئذ) أي
اذ كان هذا الموقف (للمكذبين) أي الذين لا تقبل منهم معذرة (هذا يوم الفصل) وهذا نوع آخر
من أنواع تهديد الكفار وتخويفهم أي يسأل لهم هذا اليوم الذي يفصل فيه بين الخلاق فيبين
الحق من البطل (جمعنا كم) أي المكذبون من هذه الأمة بما لنا من العظمة (والأولين) من
المكذبين قبلكم فحاسبون وتعذبون جميعا قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه - ما جمع الذين
كذبوا محمد صلى الله عليه وسلم والذين كذبوا النبيين من قبل وقوله تعالى (فان كان لكم

كيد) أى حيلة فى دفع العذاب عنكم (فكيدون) أى فاحتملوا لأنفسكم وقاؤون ولن
 تجددوا ذلك تقرّيع لهم على كيدهم لدين الله تعالى وذويه وتسجيل عليهم بالعجب وقيل إن ذلك
 من قول النبي صلى الله عليه وسلم فيكون كقول هو عليه السلام فكيدونى جميعاً ثم لا تنظرون
 (ويل يومئذ) أى اذ يقال لهم هذا الكلام فيكون زيادة فى عذابهم (المكذبين) أى الراسخين
 فى التكذيب فى ذلك * ثم ذكر ضد المكذبين بقوله تعالى (إن المتقين) أى الذين اتقوا الشرك
 لأنهم فى مقابلة المكذبين (فى ظلال) أى تكاثف أشجاراً لا شمس يظل من حرّها (ويعيون)
 أى من ماء وعسل وابن وخر كما قال تعالى فيها أنهم آمن من ماء فغير آسن وأنهم آمن من لبن لم يتغير طعمه
 وأنهم آمن من خمر لذة للشاربين وأنهم آمن من عسل مصفى وقرأ نافع وأوبر عروء هشام وحفص بضم
 العين والباء اقون بكسرهما (وفوا كه ما يشتمون) فى هذا اعلام بأن الماء كل والمشرّب فى الجنة
 بحسب شهواتهم بخلاف الدنيا فيحسب ما يمجّد الناس فى الاغلب وقوله تعالى (كاواوا شربوا)
 فى موضع الحال من ضمير المتقين فى الظرف الذى هو فى ظلال أى هم مستقرّون فى ظلال مقولاً
 لهم ذلك وقوله تعالى (هنيئاً) حال أى ممتنين (بما) أى بسبب ما (كنتم تعملون) من طاعات
 الله تعالى (أنا) أى بما لنا من العظمة (كذلك) أى كما جزينا المتقين هذا الجزاء العظيم (نجزى
 المحسنين) أى ينسب الذين أحسنوا فى تصديقهم بحمد صلى الله عليه وسلم وأعمالهم فى الدنيا
 (ويل يومئذ) أى اذ يكون هذا النعيم للمتقين المحسنين (المكذبين) أى يحض لهم العذاب المخالد
 ضد النعيم المؤبد وقوله تعالى (كاواوا غمّوا) خطاب للاكفار فى الدنيا (قليل) أى من الزمان
 وغاية الى الموت وهو زمان قليل لانه زائل مع قصر مدته فى زمن الآخرة وفى هذا تهديد لهم
 ويجوز أن يكون ذلك خطاباً لهم فى الآخرة أيضاً بأنهم كانوا فى الدنيا اخفاء بما يقال لهم وكانوا
 من أهله يذكروا بها لهم السجدة بما جتموا على أنفسهم من اتيان المتاع القليل على النعيم والمالك
 الخالد وهذا ما جرى عليه الزمخشري أولاً وذكر الاول ثانياً واقتصر الجلال المحلى على ما ذكرته
 أولاً وهو أولى قال بعض العلماء التمتع بالدينام افعال الكافرين والسعى لها من افعال
 الظالمين والاطمئنان اليها من افعال الكاذبين والسكون فيها على حد الاذن والاخذ منها على
 قدر الحاجة من افعال عوام المؤمنين والاعراض عنها من افعال الزاهدين وأهل الحقيقة
 أجعل خطراً من أن يؤثر فيهم حب الدنيا وبغضها ورجعها وتركها * ثم قال ذلك مؤكداً بقوله
 تعالى لانهم يشكرون وصفهم بذلك (أنكم مجرمون) نفسه دلالة على أن كل مجرم يتمتع بأيا ما قلائل
 ثم البقاء فى الهلاك أبداً (ويل يومئذ) أى اذ تعذبون بأجر انكم (المكذبين) حيث عرضوا
 أنفسهم للعذاب الدائم بالتمتع القليل (واذا قيل لهم) أى لهؤلاء المجرمين من أى تقاتل كان
 (أركعوا) أى صلوا الصلاة التى فيها الركوع كما نقل عن ابن عباس رضى الله عنهما وأطلقوه عليها
 تسمية لها باسم جزئها وخص هذا الجزء لانه يقال على الخضوع والطاعة ولانه خاص بصلاة
 المسلمين (لا يركعون) أى لا يصلون قال الرازى وهذا ظاهر لأن الركوع من أركانها فبين تعالى
 إن هؤلاء الكفرة آمن صفقتهم أنهم اذا دعوا الى الصلاة لا يصلون ويجوز أن يكون أركعوا بمعنى

اخشعوا وتواضعوا لله يقبل وجهه واتباع دينه واطرحوا هذا الاسم ~~كبار~~ لا يخشعون ولا يقبلون ذلك ويصرون على استكبارهم وأن يكون بمعنى اركعوا في الصلاة اذ روي أنها زلات في ثقيف حين أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة فقالوا لا نخفي فانهم اسبغة علينا فقال صلى الله عليه وسلم لا خير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود قال في القاموس جي تجيبة وضع يديه على ركبتيه أو على الأرض أو انكب على وجهه والتجيبة أن تقوم قياماً الرأع واستدل به هذه الآية على ان الكفار مخاطبون بفروع الشريعة وأنهم حال كفرهم يستحقون الذم والعقاب بترك الصلاة لأن الله تعالى ذمهم حال كفرهم وعلى أن الامر للوجوب لأن الله تعالى ذمهم عجزاً وترك المأمور به وهو يدل على أن الامر للوجوب (فان قيل) انما ذمهم لكفرهم (أجيب) بأنه تعالى ذمهم على كفرهم من وجوه الأ أنه تعالى انما ذمهم في هذه الآية لتركهم المأمور به وقرأ هشام والكسائي بضم القاف والباقون بكسرها (ويل يومئذ) أي اذ يكون الفصل (للمكذبين) أي بما أمر به قال الرازي انه تعالى لما بالغ في زجر الكفار من أول هذه السورة الى آخرها بهذه الوجوه العشرة المذكورة وحث على التمسك بالنظر والاستدلال والانقياد للدين الحق ختم السورة بالتعجب من الكفار وبين أنهم اذا لم يؤمنوا به هذه الدلائل القطعية مع تجليلها ووضوحها (فبأي حديث بعده) أي القرآن (يؤمنون) أي لا يمكن ايمانهم بغيره من كتب الله تعالى بعد تكذيبهم به لاشتماله على الاعجاز الذي لم يشتمل عليه غيره واستدل بعض المعتزلة بهذه الآية على أن القرآن حادث لأن الله تعالى وصفه بأنه حديث والحديث ضد القديم والضدان لا يجتمعان فاذا كان حديثاً واجب أن لا يكون قديماً وأجيب بأن المراد منه هذه اللفاظ ولا نزاع في أنها محدثة وقول البضاوي تعالى لا تخشعون ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة والمرسلات كتب الله تعالى له أنه ليس من المشركين حديث موضوع

❖ (سورة عم يسألون) ❖

وتسمى سورة النبامية وهي أربعون أو إحدى وأربعون آية ومائة وثلاثة وسبعون كلمة وسبع مائة وسبعون حرفاً

(بسم الله) الذي له الملك كله (الرحمن) الذي عم الوجود بفضله (الرحيم) الذي تحضت أولياؤه جنته وقوله تعالى (عم) أصله عن ما على أنه حرف جرد دخل على ما الاستفهامية وأدغمت النون في الميم وحذفت ألف ما كقوله فيم واستعمال الأصل قليل ومنه قول حسان

على ما قام يشتمى لثيم * كخزير يترغ في رماد

ومعنى هذا الاستفهام تفخيم الشأن كأنه قال عن أي شيء (يسألون) ونحوه قولك زيد ما زيد جعلته لانقطاع قرينه وعدم نظيره كأنه شيء خفي عليك فأنت تسأل عن جنسه وتقص عن جوهره كما تقول ما القول وما العنقاء تريد أي شيء هو من الأشياء هذا أصله ثم جرد للعبارة عن التفخيم حتى وقع في كلام من لا تخفى عليه خافية وإذا ما وقف البري ألقى الميم هاء السكت بخلاف عنه والضمير في يسألون لاهل مكة كانوا يسألون عن البعث فيما بينهم وذلك أن النبي صلى

صلى الله عليه وسلم لم ادعاهم الى التوحيد وأخبرهم بالبعث بعد الموت وتلا عليهم القرآن جعلوا يتسائلون بينهم فيقولون ماذا جاء به محمد ويسألون الرسول والمؤمنين عنه استمراء وقيل الضمير للمسلمين والكافرين جميعا وكانوا جميعا يتسائلون عنه أما المسلم فليريد ادخسه واستعدادا وأما الكافر فليريد اداسه ثم زاء * ثم ذكر أن تسألهم عما إذا فقال تعالى (عن الانبياء العظيم) قال مجاهد والا كثرون هو القرآن دليله قوله تعالى قل هو نبأ عظيم وقال قتادة هو البعث (فان قيل) اذا كان الضمير يرجع للكافر فكيف يكون قوله تعالى (الذى هم) أى بضمايرهم مع ادعائهم أنها أقوى الضمائر (فيه مختلفون) مع أن الكفار كانوا متفقين على انكار البعث (أجيب) بأن الانسليم اتفقا لهم على ذلك بل كان فيهم من ثبت المعاد الروحاني وهم جمهور النصارى وأما المعاد الجسماني فتم من من يقطع القول بانكاره ومنهم من يشك وأما اذا كان المتسائل عنه القرآن فقد اختلفوا فيه كثيرا وقيل المتسائل عنه نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى (كلا) ردع للمتسائلين هزوا (سيعلمون) ما يحل بهم على انكارهم له وقوله تعالى (ثم كلا سيعلمون) تأكيد وجى فيه بتم الايدان بان الوعيد الثاني أشد من الاول وقال الضحالة الاولى للكفار والثانية للمؤمنين أى سيعلم الكافرون عاقبة تكذيبهم وسيعلم المؤمنون عاقبة تصديقهم * ثم أومأ تعالى الى القدرة على البعث بقوله تعالى (ألم نجعل) أى بما لنا من العظمة (الارض مهادا) أى فراشا كالمهاد للصبي وهو ما يمهده فيه ثم عليه تسمية للممهد بالمصدر كضرب الامير (والبجبال) أى التى تعرفون شدتها وعظمتها (أو نادا) أى ثبت بها الارض كما ثبت الخيام بالانودا والاستفهام للتقرير فيستدل بذلك على قدرته على جميع الممكنات واذا ثبت ذلك ثبت القول ببعثة البعث وانه قادر على تخريب الدنيا بسماواتها وكواكبها وارضها وعلى ايجاد عالم الاخرة * (تنبيه) * مهادا مفعول ثان لان الجعل بمعنى التصيير ويجوز أن يكون بمعنى الخلق فتكون حالا مقدرة (وخلقناكم) أى بما دل على ذلك من مظاهر العظمة (أزواجا) أى أصنافا ذكورا واناثا وقيل ألوانا (وجعلنا) أى بما لنا من العظمة (نومكم سباتا) أى راحة لا بد انكم قال الزجاج السبات أن ينقطع عن الحركة والروح فيه وقيل معناه جعلنا نومكم قطعاً عما لكم وقيل المسبوت الميت من السبب وهو القطع لانه منقطع عن الحركة والنوم أحد التوفيقين وقوله تعالى (وجعلنا) أى بما لنا من العظمة (الليل) أى بعد ذهاب الضياء حتى كأنه لم يكن (لباسا) فيه استعارة أى يستركم عن العيون بظلمته كما اذا أردتم هربا من عدو أو بياناً له أو اخفاء ما لا تحبون الاطلاع عليه من كثير من الامور قال الشاعر

وكم لظلام الليل عندى من يد * تخبر أن الماوية تكذب

ولما جعل النوم موتا جعل اليقظة معاشا فقال تعالى (وجعلنا) أى بما لنا من القدرة التامة (النهار) أى الذى آتته الشمس (معاشا) أى حياة تغنون فيه عن نومكم أو وقت معاش تغلبون فيه في حوائجكم ومكاسبكم لتحصيل ما تعيشون به فعاشا على هذا اسم زمان (وبينا) بما لنا من الملك التام (فوقكم سبعاً) أى سبع سموات وقوله تعالى (شدادا) جمع شديدة أى قوية

بحكمة لا يؤثر فيها مرور الزمان لا فطور فيها ولا فروج وتظهره قوله تعالى وجعلنا السماء سقفا محفوظا (وجعلنا) أي بالنامن العظمة مما لا يدركه غيرنا (سراجا) أي منيرا متلائنا (وهاجا) أي وقادا وهي الشمس (وأنزلنا) أي بالنامن كمال الاوصاف (من المعصرات) أي السحاب اذا عصرت أي شارفت أن تعصرها الرياح فتطر كقولك أجز الزرع أي حان أن يجرز وأعصرت الجارية اذا دنت أن تحيض وعن الحسن وقادة هي السموات وتأويله ان الماء ينزل من السماء الى السحاب فكان السموات عصرن وقيل من الرياح التي حان لها ان تعصر السحاب وقيل الرياح ذوات الاعاصير وانما جعلت سبدا للأنزال لانها تنشي السحاب وتبذر أخلافه (ماء نجاجا) أي منصبا بكثرة يقال نجبه وثج بنفسه وفي الحديث أفضل الحج العج والثج أي رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدى وكان ابن عباس رضي الله تعالى عنهم أشجاس يسيل غر يابعدني شج الكلام نجاجي خطبته (لتخرج) أي بعظمة التي ربطنا بها المسيدات بالاسباب (به) أي بذلك الماء (حبا) أي نجما اذا حب مما يتقوت به كالخطة والشعر والارز (ونبتانا) أي ما يعتاق به كالتين والحشيش كما قال تعالى كلاوا زرعوا أنعامكم والحب ذو العصف والريحان (وجنات) أي بساكن تجمع أنواع الاشجار والنبات المقتات وغيره (ألفافا) أي ملتفة بالشجر جمع لفيف كشریف وأشراف وقيل هو جمع الجمع يقال جنة لفساء وجمعها الف بضم اللام وجمع الجمع ألفاف وقيل لا واحده كالأوزاع والاختياف وقيل الواحد لف قال صاحب الاقليد أنشدني الحسن بن علي الطوسي

جنة اف وعيش مغدق * وندامي كلهم - مريض زهر

وقال الزمخشري ولو قيل هو جمع ملتفة بتقدير حذف الزوائد كان قولنا وجها (ان يوم الفصل) أي بين الخلائق (كان) أي في علم الله تعالى وفي حكمه كونا لا بد منه (ميقانا) أي وقتا لا ثواب والعقاب أو وقتا نوقت به الدنيا وننتهي عنه مع ما فيها من الخلائق وقوله تعالى (يوم ينفتح في الصور) أي القرن بدل من يوم الفصل أو بيان له والنافع اسرافيل عليه السلام أو من أذن الله تعالى له في ذلك (قتانن) أي بعد القيام من القبور الى الموقف (أفواجا) أي جماعات مختلطة وعن معاذ أنه سأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم لم فقال يا معاذ سألت عن أمر عظيم من الامور ثم أرسل عينيه باصميا وقال تحشر عشرة أصناف من أمتي بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسون أرجلهم فوق وجوههم يستجبون عليها وبعضهم عميا وبعضهم صمابكا وبعضهم يعضون ألسنتهم فهي مدلاة على صدورهم يسبل القحج من أفواههم يتقذرون أهل الجمع وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم وبعضهم مصلبون على جذوع من نار وبعضهم أشد تناما من الجنين وبعضهم ملبسون جبايا سابعة من قطران لازقة بجلودهم ثم فسر هولا بقوله فأما الذين على صورة القردة فالقاتات من الناس يعني النيام وأما الذين على صورة الخنازير فأهل السجث وأما المنكبون على وجوههم فأكلة الربا وأما العمي فالذين يجورون في الحكم وأما الصم البكم فالمجبون بأعمالهم وأما الذين

يصفون السننهم فـالعلماء والقصاص الذين خالف قولهم فعلهم وأما الذين قطعت أيديهم
 وأرجلهم فهم الذين يؤذون الجيران وأما المصلون على جذوع من نار فالساعة بالناس إلى
 السلطان وأما الذين أشد تنام الخيف فالذين يتبعون الشهوات واللذات ويمنعون حق الله
 تعالى في أموالهم وأما الذين يلبسون الجلباب أهل الكبر والفتور والخيلاء اه وقد تكلم
 في صحة هذا الحديث نعوذ بالله تعالى من هؤلاء ونسأله التوفيق لنسأول أحبا بنا فإنه كريم جواد
 لا يرد من سأله (وفتح السماء) أي شقت لنزول الملائكة (فكانت أبوابا) فان قبل هذه الآية
 تقتضي ان السماء بجملة تصير أبوابا أجيب بوجوه أولها أن تلك الأبواب لما كثرت صارت
 كأنها ليست إلا أبوابا مفتحة كقوله تعالى وبجرنا الارض عيونا كان كلها عيون تتفتح ثانیها
 أنه على حذف ضاف أي فكانت ذات أبواب ثانیها أن الضمير في قوله تعالى فكانت أبوابا يعود
 إلى ضمير والتقدير فكانت تلك المواضع المفتوحة أبوابا وقيل الأبواب الطرق والمسالك أي
 تكسب فينفخ مكانها وتصير طرقا لا يسدها شيء وقرأ عاصم وحزرة والكسائي بخفيف السماء
 بعد الفاء والباقون بتشديدها (وسيرت الجبال) أي ذهب بها عن أما كتبها (فكانت سرايا)
 أي لاشئ كما ان السراب كذلك يظنه الراي ماء وليس بماء قال الرازي ان الله تعالى ذكر أحوال
 الجبال بوجوه مختلفة ويمكن الجمع بينها بان نقول أول أحوالها الاندك وهو قوله تعالى وحلت
 الارض والجبال فدكادكة واحدة والحالة الثانية أن تصير كالعهن المنفوش وهو قوله تعالى
 وتكون الجبال كالعهن المنفوش والحالة الثالثة أن تصير كالهباء وهو قوله تعالى وبست
 الجبال بساف فكانت هباء منبثا الحالة الرابعة أن تنسف لأنهم مع الأحوال المتقدمة قارة
 في مواضعها فترسل عليها الرياح فتسفهها عن وجه الارض فتطيرها في الهواء وهو قوله تعالى
 ويسفونك عن الجبال فقبل نسفهها ربي نسفا الحالة الخامسة ان تصير سرايا أي لاشئ كما يرى
 السراب من بعد وقرأ أبو عمرو وحزرة والكسائي بادغام التاء في السبين والباقون
 بالاطهار (ان جهنم) أي النار التي تاتي أصحابها متجهمة لهم بغاية ما يكرهون (كانت مرصدا)
 أي ترصد الكفار وموضع رصير صدفه خزنة النار الكفار أو خزنة الجنة المؤمنين ليجر سوهم
 من فيجها في مرورهم عليها وروى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهم ان على جسر جهنم
 سبع محابس يسئل العبد عندها أولها عن شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فان جاء
 بها تامة جاز إلى الثبات فيسئل عن الصلاة فان جاء بها تامة جاز إلى الثالث فيسئل عن الزكاة
 فان جاء بها تامة جاز إلى الرابع فيسئل عن الصوم فان جاء بها تامة جاز إلى الخامس فيسئل عن
 الحج فان جاء بها تامة جاز إلى السادس فيسئل عن العمرة فان جاء بها تامة جاز إلى السابع فيسئل
 عن المظالم فان خرج منها والافيقا انظروا ان كان له تطوع أكلوا أعماله فاذا فرغ انطلق به
 إلى الجنة وأما الكافر فهو مستمر فيها كما قال تعالى (للطاغين) أي الكافرين (ما با) أي من جمعا
 يرجعون اليه وقرأ حزة (لائين فيها) بغير ألف بين اللام والباء الموحدة والباقون بألف
 وهم اللعين والاولى بألف قاله البضاوي وقوله تعالى (أحقابا) جمع حقب والحقب الواحد

ثمانون سنة كل سنة اثنا عشر شهرا كل شهر ثلاثون يوما كل يوم ألف سنة روى ذلك عن علي بن
 أبي طالب رضي الله عنه وقال مجاهد الاحقاب ثلاثة وأربعون حقبيا وقال الحسن إن الله
 تعالى لم يجعل لاهل النار مدة بل قال لا بين فيها أحقابا فوالله ما هو الا أنه اذا مضى حقب دخل
 آخر الى الابد فليس للاحقاب عدة الا الخلود روى عن عبد الله أنه قال لو علم أهل النار أنهم
 يلبثون في النار عدد حصي الدنيا لفرحوا ولو علم أهل الجنة أنهم يلبثون في الجنة عدد حصي
 الدنيا لحزنوا وقال مقاتل بن حبان الحقب الواحد سبعة عشر ألف سنة قال وهذه الآية
 منسوخة نسختها فلن تزيدكم الا عذابا يعني ان العدد قد ارتفع والخلود قد دخل وعلى تقدير عدم
 النسخ فهو من قبيل المفهوم فلا يعارض المنطوق الدال على خلوده **فقار** ويجوز أن يراد
 لا بين فيها أحقابا (لا يذوقون) أي غير ذائقين (فيها) أي النار (بردا ولا شربا الا حميا وغسقا)
 ثم يذوقون بعد الاحقاب غير الحميم والغساق من جنس آخر من العذاب ويجوز أن يكون جمع
 حقب من حقب عامنا اذا قل مطره وخبره وحقب فلان اذا أخطأ الرزق فهو حقب وجمعه
 أحقاب فبذات صلب حال عنهم يعني لا بين فيها حقيقين جهدين وقوله تعالى لا يذوقون فيها بردا
 ولا شربا تفسيره والاستثناء منقطع يعني لا يذوقون فيها بردا قال عطاء والحسن أي راحة
 وروحا أي ينفس عنهم حر النار ولا شربا يسكن من عطشهم ولكن يذوقون فيها حميا أي ماء
 حار اغاية الحرارة وغسقا وهو ما يسيل من صديد أهل النار فانهم يذوقونه وروى عن ابن
 عباس رضي الله تعالى عنهم ان البرد النوم ومثله قال الكسائي وأبو عبيدة تقول العرب يمنع
 البرد البرد أي أذهب البرد النوم قال الشاعر

فلو شئت حرمت النساء سواكم * وان شئت لم أطعم نقاخا ولا بردا

وقرأ جزءه والكسائي وجعفر بتشديد السين والباقون بتحقيقها وعن ابن عباس رضي الله
 تعالى عنهم الغساق الزمهرير يحرقهم بيرده جوزوا بذلك (جزاء وفاقا) أي موافقا لعملهم قال
 مقاتل وافق العذاب الذنب فلا ذنب أعظم من الكفر ولا عذاب أعظم من النار وقوله تعالى
 (أنهم كانوا لا يرجون حسابا) بيان لما وافقه هذا الجزء أي لا يخافون أن يحاسبوا والمعنى أنهم
 كانوا لا يؤمنون بالبعث ولا أنهم يحاسبون (وكذبوا بآياتنا) أي بما جاءت به الانبياء عليهم السلام
 وقيل القرآن وقرأ (كذابا) غير الكسائي بالتشديد أي تكذبا قال القراء وهي لغة بمالية
 فصيحة يقولون في مصدر التفعيل فعال وقال الزنجشيري وفعال في باب فعل كاه فاش في كلام
 فصحاء من العرب لا يقولون غيره وسعني بعضهم أفسر آية فقال لقد فسرتها افسار ما مع بمثله
 وقرأ الكسائي بالتخفيف مصدر كذب بدليل قول الشاعر

فصدقتها وكذبتها * والمرأى ينفعه كذابه

قال الزنجشيري وهو مثل قوله أئبته **كم** من الارض نباتا يعني وكذبوا بآياتنا فكذبوا كذبا
 أو تنصبه بكذبوا لانه يتضمن معنى كذبوا لانه كل مكذب بالحق كاذب وان جعلته بمعنى المكاذبة
 فمعناه وكذبوا بآياتنا فكذبوا مكاذبة أو كذبوا بها مكاذبين لانهم اذا كانوا عند المسلمين كاذبين

وكان المسلمون عندهم كاذبين فيبينهم مكاذبة أولانهم يتكلمون بما هو افراط في الكذب فعل
 من يغالب في أمر فيبلغ فيه أقصى جهده (وكل شيء) أي من الاعمال وغيرها (أحصيناه) أي
 ضبطناه وقوله تعالى (كتاباً) فيه وجهان أحدهما أنه مصدر في موضع احصاه والاحصاء
 والكتب يتشاركان في معنى الضبط ثانيهما أن يكون الاعمى مكتوباً في اللوح المحفوظ
 كقوله تعالى وكل شيء أحصيناه في امام مبين. وقيل أراد ما كتبه الملائكة الموكلون بالعباد
 بأمر الله تعالى إياهم بالكتابة لقوله تعالى وان عليكم لحافظين كراما كاتبين والجملة اعتراض
 وقوله تعالى (فذوقوا فلن نزيدكم) أي شيئاً من الاشياء في وقت من الاوقات (الاعذاب)
 تسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات قال الرازي وفي هذه الآية مبالغات
 منها للتأكيّد ومنها الالتفات ومنها اعادة قوله تعالى فذوقوا بعد ذكر العذاب قال أبو بردة
 سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن أشد آية في القرآن فقال صلى الله عليه وسلم قوله تعالى فذوقوا
 فلن نزيدكم الا عذابا أي كلما نضجت جلودهم بدلناهم بجلود أخرى البسوق والعذاب
 وكلما خبث زدناهم سعييراً ولما ذكر تعالى ما للكافرين أتبعه بذكر المؤمنين فقال تعالى (إن
 للمتقين مغازاة) أي مكان فوز في الجنة وقوله تعالى (حدائق) أي باتين فيها أنواع الاشجار
 المترعة بدل من مغازاة بدل الاشمال أو البعض أو بيان له وقوله تعالى (وأعناناً) أي كروم وأعطف
 على مغازاة (وكواعب) أي جوارى تكعب ندهن جمع كاعب (أتراباً) أي على سق
 واحد جمع ترب بكسر التاء وسكون الراء وقيل الاتراب اللدات (وكأسادهات) أي خرمالئة
 محالها وفي القتال وأنهار من خمر والدهاق المترعة ودهق الحوض ملاء حتى قال قطنى وقال
 ابن عباس مترعة مملوءة وقال عكرمة صافية (لا يسمعون فيها) أي الجنة في وقت ما عند شرب
 الخمر وغيره من الاحوال (لغوا) أي لغطاب تحقق أن يلقي بأن يكون ليس له معنى وقوله تعالى
 (ولا كذاباً) قرأه بالتخفيف الكسائي وبالتشديد الباقون أي تكذبا من واحد لغيره
 بخلاف ما يقع في الدنيا عند شرب الخمر (جزاء من ربك) أي المحسن اليك بما أعطاك جزاءهم بذلك
 جزاء وقوله تعالى (عطاء) بدل من جزاء وهو اسم مصدر وجعله الزنجشري منصوباً بجزاء نصب
 المفعول به وردّه أبو حيان بأنه جعل جزاء مصدر مؤكداً للمضمون بالجملة التي هي ان للمتقين قال
 والمصدر المؤكداً لا يعمل لانه لا يفعل لحرف مصدرى والفعل ولا تعلم في ذلك خلافاً (حساباً) أي
 كافياً وافيّاً يقال أحسبت فلاناً أي أعطيته ما يكفيه حتى قال حسيبي وقال ابن قتيبة أي عطاء
 كثير وقيل جزاء بقدر أعمالهم وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو (رب السموات والارض وما
 بينهما الرحمن) برفع رب والرحن وابن عامر وعاصم يخففهما والآخران بخفض الاول ورفع
 الثاني أما رفعهما فن أوجه أحدها أن يكون رب خبر مبتدأ مضمراً أي هو رب والرحن كذلك أو
 مبتدأ خبره لا يعمل لكون ثانيهما أن يجعل رب مبتدأ والرحن خبره ولا يعمل لكون خبراً ثانياً أو مستأنفاً
 ثالثاً أن يكون رب مبتدأ والرحن نعت ولا يعمل لكون خبر رب رابعاً أن يكون رب مبتدأ
 والرحن مبتدأ ثانٍ ولا يعمل لكون خبره والجملة خبر الاول وحصل الربط بتكرير المبتدأ بعنائه وهو

دأى الاخفش ويجوز أن يكون لا يملكون حالا وتكون لازمة وأما جرهما فعلى البيان والنعت
 أو يجعل رب السموات تابعا للاول والرحمن تابعا للثاني وأما جر الاول فعلى التبعية للاول ورفع
 الثاني فعلى الاستداه والخبر الجملة الفعلية وهى لا يملكون أى الخلق (منه) أى من الله تعالى
 (خطابا) والضمير فى لا يملكون لاهل السموات والارض أى ليس فى أيديهم سم ما يحاطب به الله
 ويأمر به فى أمر الثواب والعقاب خطاب واحد يصرفون فيه تصرف الملائكة فيزدون فيه
 أو ينقصون منه أو لا يملكون أن يحاطبوا بشئ من نقص العذاب أو زيادة فى الثواب إلا أن يهب
 لهم ذلك ويأذن لهم فيه وقوله تعالى (يوم) متعلق بلا يملكون أو لا يتكلمون (يقوم الروح
 والملائكة) وقوله تعالى (صفا) حال أى مصطفين والروح أعظم خلقا من الملائكة وأشرف منهم
 وأقرب من رب العالمين وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو ملك عظيم ما خلق الله تعالى بعد
 العرش خلقا أعظم منه فإذا كان يوم القيامة قام هو وحده صفا وقامت الملائكة كاهم صفا
 واحد فيكون عظم خلقه مثلهم وقال الشعبي هو جبريل عليه السلام وقيل ملك موكل على
 الارواح وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال الروح ملك أعظم من السموات ومن الجبال ومن
 الملائكة وهو فى السماء الرابعة يسبح كل يوم اثنى عشر ألف تسبيحة يخلق من كل تسبيحة ملك
 يحيى يوم القيامة صفا وحده وقال مجاهد وقتادة رضى الله عنهم الروح خلق على صورة بنى آدم
 وأيسوا بناس يقومون صفا والملائكة صفا هو لا جند وهو لا جند وروى مجاهد عن ابن عباس
 رضى الله عنهما قال خلق على صورة بنى آدم وما ينزل من السماء ملك الامعة واحد منهم وقال
 الحسن رضى الله عنه هو بنو آدم ورواه قتادة عن ابن عباس رضى الله عنهما وقال هذا ما كان
 يكتمه ابن عباس وقيل هو جند من جند الله تعالى ليسوا ملائكة لهم رؤس وأيدوا رجل
 يأكون الطعام وقيل أدواح بنى آدم وقال زيد بن أسلم هو القرآن وقرأ وكذلك أوحينا اليك روحا
 من أمرنا وإذا كان هؤلاء (لا يتكلمون) وهم من أفضل الخلق وأشرفهم وأكثرهم طاعة وأقربهم
 منه تعالى لا يملكون التكلم فى ما نزل من عذابهم من أهل السموات والارض ويجوز رجوع
 الضمير للخلق أجمعين (الامن أذن له) أى فى الكلام إذا ناسا (الرحمن) أى الملك الذى لا تكون
 النعمة الا منه (وقال) قولنا (صوابا) فى الدنيا أى حقا من المؤمنين والملائكة وهم أشرف طائفتين
 أن يكون المتكلم مأذونا له فى الكلام وأن يتكلم بالصواب فلا يشفع لغير من نفى لقوله تعالى
 ولا يشفعون الا لمن ارتضى وقيل القول الصواب لا اله الا الله (ذلك) أى المشار اليه لبعده مكانة
 وعظم رتبته وعلو منزلته (اليوم الحق) أى الكائن لا محالة وهو يوم القيامة (فمن شاء اتخذ الى
 ربه) أى المحسن اليه (مآبا) أى مرجعا وسبيلا لطاعته ليسلم من العذاب فى ذلك اليوم فان الله
 تعالى جعل لهم قوة واختيار ولكن لا يقدر أحد منهم على مشيئة شئ الا بمشيئة الله تعالى (انا) أى
 على ما لنا من العظمة (أنذركم) أى يا كفار مكة (عذابا قريبا) أى عذاب يوم القيامة الا ترى
 وكل آت قريب وقوله تعالى (يوم) ظرف لعذابا يصفقه (ينظر المزمع) أى كل امرء سواء كان
 مؤمنا أو كافرا انظر الامرية فيه (ما) الذى (قدمت يده) أى كسبه فى الدين من خير وشر

وقال الحسن رضي الله عنه أراد بالمرء المؤمن أي يجد لنفسه عملا وأما الكافر فلا يجد لنفسه عملا فيمتنى أن يكون ترابا ولأنه تعالى قال (ويقول الكافر) فعلم أنه أراد بالمرء المؤمن وقيل هو الكافر لقوله تعالى أنا أنذرناكم فيكون الكافر ظاهرا وضع موضع الضمير زيادة الذم ومعنى ما قدمت يدا من الشر كقوله تعالى ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ذلك بما قدمت يدا والوما يجوز أن تكون استقهامية منصوبة بقدمت أي ينظر أي شيء قدمت يداه أو موصولة منصوبة ينظر يقال نظره بمعنى نظرت إليه والراجع إلى الصلة محذوف وقال مقاتل رضي الله عنه نزل قوله تعالى يوم ينظر المرء ما قدمت يدا في أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي ويقول الكافر (باليتمنى كنت ترابا) في أخيه الأسود بن عبد الأسد وقال الثعلبي سمعت أبا القاسم بن حبيب يقول الكافر هنا إبليس وذلك أنه عاب آدم عليه السلام بأنه خلق من تراب واقتضرب أنه خلق من نار فإذا عاب يوم القيامة ما فيه آدم وبنوه من الثواب والراحة ورأى ما هو فيه من الشدة والعذاب عني أنه كان يمكن آدم فيقول يا ليتني كنت ترابا قال ورأيت في بعض التفاسير قال البغوي قال أبو هريرة رضي الله عنه فيقول التراب لا ولا كرامة لكل من جعل مثلي وروى عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال يحشر الخلق كلهم من دابة وطيائر وانبساط ثم يقال للبهائم والطير كونوا ترابا عند ذلك يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا أي فلا أعذب وقيل معنى يا ليتني كنت ترابا أي لم أبعث وقال أبو الزناد إذا قضى بين الناس وأمر بأهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار قيل لساير الأمم ولمؤمنى ألحق عودوا ترابا فيعودون ترابا فعند ذلك يقول الكافر حين يراه يا ليتني كنت ترابا وقال ليث بن أبي سليم مؤمنوا الجنة بعودوا ترابا وقال عمر بن عبد العزيز يؤمها دود وغيرهما مؤمنوا الجنة حول الجنة في روض ورحاب وليسوا فيها والذي عليه الأكثر أنهم مكفون مشايرون ومعاقبون كبنى آدم وقيل يحشر الله تعالى الحيوان غير المكلف حتى يقتص للجنم من القرناء ثم يرده ترابا فيود الكافر حاله وما قاله البيضاء فيعزل يحشر من أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة عم سقاها الله تعالى برد الشراب يوم القيامة حديث موضوع

﴿سورة النازعات مكية﴾

وهي خمس وأربعون آية ومائة وسبعون كلمة وسبع مائة وثلاثون حرفا

(بسم الله) الذي أحاط علمه بالكائنات (الرحمن) الذي أنعم على سائر الموجودات (الرحيم) الذي خص أوليائه بالجنات (والنازعات) أي الملائكة تنزع أرواح الكفار (غرقا) أي تنزع أرواحهم من أجسادهم بشدة كما يغرق النازع في القوس ليلبلغ بها غاية المتبعدين عن عذابها حتى إذا كادت تخرج ردها إلى جسدها فهذا عملهم بالكفار وقال علي وابن مسعود رضي الله عنهما يريد نفس الكفار ينزعها تلك الموت من أجسادهم من تحت كل شجرة ومن تحت الاطفاير وأصول القديمين نزعا كالسيفود ينزع من الصوف الرطب ثم يغرقها أي يرجعها إلى أجسادهم ثم ينزعها فهذا عمل في الكفار وقال السدي رضي الله عنه والنازعات هي النفوس حين تغرق

في الصدور وقال مجاهد رضي الله عنه هي الموت ينزع النفوس وقال الحسن وقادة رضي الله
 عنهم هي النجوم تنزع من أفق إلى أفق تطلع ثم تغيب وقال عطاء وعكرمة رضي الله عنهم هي
 النفوس وقيل الغزاة * (تنبيه) * غر فاجوز أن يكون مصدرا على حذف الزوائد بمعنى اغرافا
 واتصابه بما قبله ملاقاته في المعنى وأن يكون على الحال أي ذوات اغراق يقال اغرق في الشيء
 يغرق فيه إذا أوغل وبلغ أقصى غايته (والناشطات نشطا) أي الملائكة تنشط أرواح المؤمنين
 أي تسلمها برفق فتقبضها كما ينشط العقل من يد البعير إذا حل عنه وفي الحديث كأنما نشط
 من عقاب وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي أنفس المؤمنين تنشط للغروب عند الموت لما ترى من
 الكرامة لأن الجنة تعرض عليهم قبل الموت وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه هي الملائكة
 تنشط أرواح الكفار عما بين الجلد والاطفار حتى تخرجها من أفواجهم بالكبد والغم والنشط
 الجذب والزرع يقال نشط الدون شطا انتزعها وقال السدي رضي الله عنه هي النفس تنشط من
 بين القدمين أي تجذب وقال قتادة رضي الله عنه هي النجوم تنشط من أفق إلى أفق أي تذهب
 يقال نشط من بلد إلى بلد إذا خرج في سرعة ويقال حمارنا نشط ينشط من بلد إلى بلد وقال
 الجوهري يعني النجوم تنشط من برج إلى برج كالنور الناشط من بلد إلى بلد (والساجحات سحبا)
 أي الملائكة تسبح من السماء بأمره أي ينزلون من السماء مسرعين كالقوس الجواذ يقال لها ساج
 إذا أسرع في جريه وقال علي رضي الله عنه هي الملائكة تسبح بأرواح المؤمنين قال المكي
 كالذي يسبح في الماء فأحيانا ينغمس وأحيانا يرتفع يسبحون أسلا فيقاس بهولة ثم يدعون بها حتى
 تستريح وعن مجاهد رضي الله عنه الساجحات الموت يسبح في نفوس بني آدم وقال قتادة والحسن
 رضي الله عنهم هي النجوم تسبح في أفلاكها وكذا الشمس والقمر قال تعالى كل في ذلك يسبحون
 وقال عطاء هي السفن في الماء وقال ابن عباس رضي الله عنهما أرواح المؤمنين تسبح شوقا إلى
 لقاء الله تعالى ورحمته حتى تخرج وقيل هي خيل الغزاة قال عنترة

وانليل تعلم حين تسبح في حياض الموت سحبا

(فالساجحات سحبا) أي الملائكة تسبح بأرواح المؤمنين إلى الجنة وقال مجاهد رضي الله عنه هي
 الملائكة تسبح ابن آدم بالخير والعمل الصالح وقال ابن مسعود رضي الله عنه هي أنفس
 المؤمنين تسبح إلى الملائكة الذين يقبضونهم أشوقا إلى لقاء الله تعالى وكرامته وقد طابت السرور
 وقال قتادة رضي الله عنه هي النجوم يسبح بعضها بعضا في السير وقال عطاء هي الخيل التي تسبح
 في الجهاد وقيل هي ما يسبق من الأرواح قبل الأجساد إلى الجنة أو نار قال الجرجاني ذكر
 الساجحات بالفاء لأنهم مسيبة عن الذي قبلها أي واللاتي يسبحن فيسبقن قال الواحد وهذا
 غير وارد في قوله تعالى (فالمديرات أمرا) أي الملائكة تدبر أمر الدنيا أي تنزل بتدبيره قال الرازي
 ويمكن الجواب بأنهم المسامحة تسبحت فيسبق فدبرت ما أمرت بتدبيره فتكون هذه أفعالا اتصل
 بعضها ببعض وقال ابن عباس رضي الله عنهما المديرات هي الملائكة وكذا أبو مورع فهم الله
 تعالى العمل بها قال عبد الرحمن بن سابط يدبر الأمر في الدنيا أربعة من الملائكة تسبح جبريل

وميكائيل وملك الموت واسرافيل عليهم السلام فأما جبريل فوكل بالرياح والجنود وأما ميكائيل
 فوكل بالقطر والنبات وأما ملك الموت فوكل بقبض الأرواح وأما اسرافيل فهو ينزل بالامر
 عليهم وليس في الملائكة أقرب منه وبينه وبين العرش خمسمائة عام وقيل هي الكواكب
 السبع حكى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه وفي تدبيرها بالامور وجهان أحدهما تدبير
 طلوغها وأقوالها والثاني في تدبير ما قضى الله تعالى فيها من تقلب الأحوال أقسم سبحانه
 وتعالى بهذه الامور على قيام الساعة والبعث وانما حذف الدلالة ما بعده عليه والله تعالى أن
 يقسم عايشا من خلقه وأما العباد فلا يصح لهم أن يقسموا بغير الله تعالى وصفاته وقوله تعالى
 (يوم ترجف) أى تضطرب اضطرابا كثيرا من عجا (الراجفة) أى الصيحة منصوب بالجواب أى
 لتبعين يا كفار مكة يوم ترجف الراجفة وهى النفخة الاولى بها يرجف كل شئ أى يتزلزل ويتعرجل
 لها كل شئ ويموت منها جميع الخلائق فوصفت بما يحدث منها (تبعها الرادفة) أى الصيحة
 التابعة لها وهى النفخة الثانية ردت الاولى بينهما أربعون سنة والجملة حال من الراجفة
 واليوم واسع للنفختين وغيرهما فيصح ظرفيته للبعث الواقع عقيب الثانية وقال قتادة رضى الله
 عنه هما صيحتان فالاولى قيت كل شئ والاخرى تحي كل شئ بأذن الله سبحانه وتعالى وقال عطاء
 الراجفة القيامة والرادفة البعث روى عن أنس بن كعب رضى الله عنه أنه قال كان رسول الله
 صلى الله عليه وسلم اذا ذهب ربيع الليل قام وقال يا أيها الناس اذكروا الله جاء الراجفة تتبعها
 الرادفة جاء الموت بما فيه (قلوب يومئذ) أى اذ قام الخلائق بالصيحة التابعة الاولى (واجفة)
 أى خائفة قلقة مضطربة من الوجيف وهو صفة القلوب وقال مجاهد رضى الله عنه وجلة وقال
 السدى زائلة عن أمانتها نظيره اذ القلوب لدى الحناجر (ابصارها) أى أبصار أجمعها فهو من
 الاستخدام (حاشية) أى ذليلة من الخوف ولذا أضافها الى القلوب كقوله تعالى خاشعين من
 الذل (يقولون) أى أرباب القلوب والابصار فى الدنيا استمراء وانكار البعث (أمنار دودون)
 أى بعد الموت (فى الحافرة) أى فى الجحاة التى كفاها قبل الموت وهى حالتنا الاولى فصيها أحياء
 بعد الموت كما تقول العرب رجع فلان فى حافرة أى رجع من حيث جاء والحافرة عندهم اسم
 لابتداء الشئ وأول الشئ وقال بعضهم الحافرة وجه الارض التى تحفر فيها قبورهم سميت حافرة
 بمعنى المحفورة كقوله تعالى عبثة راضية أى مرضية وقيل سميت حافرة لانهم استنقروا الحوافر أى
 انما لدودون الى الارض فنبعث خلقا جديدا نمشي عليها وقال ابن زيد الحافرة النار (أنا ككا)
 أى كونا صار جبه لنا (عظا ما نخرة) أى بالية متهتة نحميا بعد ذلك وقرأ أنساواذ نافع وابن
 عامر والكسائي بالاستهقهام فى الاول والخبر فى الثانى والباقيون بالاستهقهام فيهما وسهل نافع
 وابن كثير وأبو عمرو والباقيون بالتحقيق وأدخل بين الهمزتين فالون وأبو عمرو ويهشام بخلاف
 عنه ألفا والباقيون بنهر ادخل وقرأ نخرة حمزة وشعبة والكسائي بالالف بعد النون والباقيون
 بغير ألف وهما القبان مثل الطمع والطامع والخذر والخاذر معناه ما البالية وقرئ قوم بينهما
 فقالوا النخرة البالية والنخرة المحفورة التى تحفر فيها الریح تتغير أى تصوت (قالوا) أى المنكرون

البعث (تلك) أي رجعتنا العجيبة الى الحياة (إذا) أي ان صحت (كرة) أي رجعة (خاسرة) أي ذات خسران أو خسارة أصحابها والمعنى أن صحت فمن اذا خسرون يتكذبوا وهو استهزاء منهم وعن الحسن رضي الله عنه أن خاسرة بمعنى كاذبة أي ليست كاشنة قال الله تعالى (فانما هي) أي الرادفة التي تتبعها البعث (زبرة) أي صيحة ناهتار تتضمن الامر بالقيام والسوق الى المحشر والمنع من التخلف (واحدة) عبر بالزبرة لانه أشد من النهي لانهم أصحح لا يتخلف عنها القيام أصلاً فكان كاشنة بلسان قال عن تلك الصيحة أيها الاجساد البالية انتهى عن الرقاد وقوي الى المعاد بما حكىناه من المعاد فقد انتهى زمن الحصاد وأن أوان الاجتماع لما قدم من الراد فإخسارة من ليس له زاد (فأذا هم) أي فتسبب عن تلك النفخة وهي الثانية أن كل الخلائق (بالساهرة) أي صاروا على وجه الارض بعدما كانوا في جوفها والعرب تسمى القسالة وجوه الارض ساهرة قال بعض أهل اللغة تراهم سموها ساهرة لأن فيها نوم الطيور وسهرهم قال سفيان رضي الله عنه هي أرض الشام وقال قتادة رضي الله عنه هي جهنم (فان قيل) لم يتعلق فانما هي زبرة واحدة (اجيب) بأنه متعلق بمحذوف معناه لا تستصعبوها فانما هي زبرة واحدة يعني لا تحسبوا تلك الكرة صعبة على الله تعالى فانها سهلة هينة في قدرته تعالى وقال الزنجشري الساهرة الارض البيضاء المستوية سميت بذلك لأن السراب يجري فيها من قولهم عين ساهرة أي جارية الماء وفي ضدّها نائمة قال الأشعث بن قيس

وساهرة بضحي السراب مجللاً * لا قطارها قد حبت مثلما

أولاً قال سالكها لا ينام خوف الهلكة وقال الراغب هي وجه الارض وقيل أرض القيامة وحقيقتها التي يكثر الوطء بها كاتهم ساهرت من ذلك والاسهران عزقان في الأنف والساهور غلاف القمر الذي يدخل فيه عند كسوفه وروى الضعائف عن ابن عباس رضي الله عنهما قال الساهرة أرض من فنة لم يعص الله عليها قط جعلها حينئذ وقيل الساهرة اسم للارض السابعة يأتي بها الله تعالى فيحاسب عليها الخلائق وذلك حين تبدل الارض غير الارض وقال وهب بن منبه جبل بيت المقدس وقال عثمان بن أبي العاتكة انه اسم مكان من الارض بعينه بالشام وهو الصقع الذي بين جبل اريحا وجبل حسان عتده الله تعالى كيف شاء ثم ان الله تعالى سلى نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى (هل انالك) يا أشرف المخلوق (حديث موسى) أي أليس قد انالك حديثه فيسليك على تكذيب قومك ويهددهم عليه بأن يصيبهم مثل ما اصاب من هو أعظم منهم فانه كان أقوى أهل الارض بما كان له من كثرة الجنود فلما أصرت على التكذيب ولم يرجع ولا فاداه التاديب أغرقناه وآله ولم يبق منهم أحد اوقد كانوا لا يحصون عدداً بحيث قيل ان طليعته كانت على عدي بن اسرائيل ستمائة ألف فكيف بقومك الضعاف وقوله تعالى (إذا) أي حين (ناداه) منصوب بحديث لا بأناك (ربه) أي المحسن اليه بالرسالة وغيرها (بالوادي المقدس) أي الطهور غاية الطهور يشترى الله تعالى له بانزال النبوة المفضة للبركات وقوله تعالى (طوى) اسم الوادي وهو الذي طوى فيه الشتر عن بني اسرائيل ومن أراد الله تعالى من خلقه ونشربه

بركاتب النبوة على جميع أهل الارض المسلم باسلامه وغيره برفع عذاب الاستئصال عنه فان
العلماء قالوا ان عذاب الاستئصال ارتفع حين أنزلت التوراة وهو واد بالطور بين ايلة ومصر
وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وبغير تنوين في الوصل والباقون بالتنوين وقوله تعالى (أذهب الى
فرعون) أى ملك مصر الذى كان يستعبد بنى اسرائيل على ارادة القول (انه طغى) أى تجاوز
الحدى الكفر وعلا وتكبر وقال الرازى لم يسن أنه طغى فى أى شئ ف قيل تكبر على الله تعالى وكفر
به وقيل تكبر على الخلق واستعبدهم وروى عن الحسن رضى الله عنه قال كان فرعون عالما من
همدان وقال مجاهد رضى الله عنه كان من أهل اصطخر وعن الحسن أيضا كان من أصحابان يقال
له ذوالظفر طوله أربعة أشبار وقوله تعالى (فقل) أى له (هل لك) أى هل لك سبيل (الى أن تركى)
أى تطهر من الكفر والظلم قال ابن عباس رضى الله عنهما بأن تشهد أن لا اله الا الله وقال
أبو البقاء لما كان المعنى أدعوك لى بى وقال غيره يقال هل لك فى كذا وهل لك الى كذا كما تقول
هل ترغب فيه وهل ترغب اليه وقرأ نافع وابن كثير بتشديد الزاى والاصل تركى والباقون
بتخفيفه (وأهديك الى ربك) أى وأهيك على معرفة المحسن اليك (فتخشى) لان الخشية
لا تكون الا بالمعرفة قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء أى العلماء وذكر الخشية لانها
ملأه الامر من خشى الله تعالى أى منه كل خير ومن آمن اجترأ على كل شر ومنه قوله صلى
الله عليه وسلم من خاف أدبج ومن أدبج بلغ المنزل بدأ يخاطبته بالاستفهام الذى معناه العرض
كما يقول الرجل لضيفه هل لك أن تنزل بنا وأردفه الكلام الرفيق ليستدعيه للطف فى القول
ويستتره بالمدارة من علوه كما امر بذلك فى قوله تعالى فقولا له قولا لينا الآية وقال الرازى سائر
الآيات تدل على انه تعالى لما نادى موسى عاينه السلام ذكر له اسماء كثيرة فودى أن اريك الى قوله
تعالى لتريك من آياتنا الكبرى اذهب الى فرعون انه طغى فدل قوله تعالى اذهب الى فرعون انه
طغى أنه من جملة ما ناداه به لا كل ما ناداه به وأيضا فليس الغرض انه عليه السلام كان مبعوثا
الى فرعون فقط بل الى كل من كان فى الطور الا أنه خصه بالذکر لان دعونه جارية بحجى كل القوم
والقاء فى قوله تعالى (فأراه) عاطفة على محذوف يعنى فذهب فأراه (الآية الكبرى) كقوله تعالى
اضرب بعصاك الحجر فانفجرت اى فضرب فانفجرت واختلفوا فى الآية الكبرى أى العلامة
العظمى وهى المعجزة فقال عطاء وابن عباس رضى الله عنهما هى العصا وقال مقاتل والكلبي رضى
الله عنهما هى اليد البيضاء تبرى كالشمس والاول أولى لانه ليس فى اليد الا انقلاب لونها وهذا
حاصل فى العصا لانها انقلبت حية لا بد وأن يتغير اللون الاول فاذا نكل مافى اليد فهو حاصل
فى العصا وأمور أخرى وهى الحياة فى الجرم الجادى وتزايد أجزائه وحصول القدرة الكبيرة
والقوة الشديدة وابتلاعها أشياء كثيرة وزوال الحياة والقدرة عنها وذهاب تلك الاجزاء التى
عظمت وزوال ذلك اللون والشكل اللذين صارت العصا ماحية وكل واحد من هذه الوجوه
كان معجزا مستقلا فى نفسه فعلمنا أن الآية الكبرى هى العصا وقال مجاهد رضى الله عنه هى
مجموع العصا واليد وقيل فلق البحر وقيل جميع آياته التسع (فكذب) أى فتسبب عن رؤيته ذلك

أن كذب موسى عليه السلام (وعصى) الله تعالى بعد ظهروا الآية وتحقيق الامر وقيل كذب
 بالقول وعصى بالقرء والتجبر (ثم أدبر) أي تولى وأعرض عن الايمان بعد المهل والاناة إعراضا
 عظيميا بالتمادي على أعظم ما كان فيه من الطغيان بعد خطوط جليلة ومشاهد طويلة حال كون
 (يسعى) أي يعمل بالفساد في الأرض وأنه لما رأى النعبان أدبر مرعوبا يسي أي يسرع في
 مشيته قال الحسن رضي الله عنه كان رجلا طيلا خفيا وتولى عن موسى عليه السلام يسعى
 ويجهت في مكابدة أو أريد ثم أقبل يسعى كما تقول أقبل فلان يفعل كذا يعني أنشأ يفعل فوضع
 أدبر موضع أقبل لئلا يوصف بالاقبال (لخضر) أي فتسبب عن أدباره أنه جمع السجرة لئلا يعارضة
 وجنوده للقتال (فنادى) حينئذ بأعلى صوته قال حمزة الكرماني قال له موسى عليه السلام إن
 ربني أرسلني إليك لئن أمنت بربك تكون أربع مائة سنة في النعيم والسرور ثم تموت فتندخل
 الجنة فقال حتى أستشيرها ما ن فاستشاره فقال أتصير عبدا بعد ما كنت ربا فعند ذلك جمع بعض
 الشرط وجمع السجرة والجنود فلما اجتمعوا قام عدو الله على سريره (فقال أنا ربكم الأعلى) أي
 لأرب فوفى وقيل أراد أن الاصنام أرباب وأنار بهم وأوربكم وقيل أمرهم ناديا فنادى في الناس بذلك
 وقيل قام فيهم خطيبا فقال ذلك (فأخذ الله) أي أهلكه بالفرق الملك الأعظم الذي لا كف له
 (نكال) أي عقوبة (الآخرة) أي هذه الكلمة وهي قوله أنا ربكم الأعلى (والأولى) وهي قوله
 ما علمت لكم من اله غيري قال ابن عباس رضي الله عنهما وكان بين الكلمتين أربعون سنة
 والمعنى أمهله في الأولى ثم أخذ في الآخرة فعذبه بكلمتيه وقال الحسن رضي الله عنه نكال
 الآخرة والأولى هو أن أغرقه في الدنيا وعذبه في الآخرة وعن قتادة رضي الله عنه الآخرة
 هي قوله أنا ربكم الأعلى والأولى تكذيبه لموسى عليه السلام * ثم انه تعالى ختم هذه القصة بقوله
 تعالى (إن في ذلك) أي الامر العظيم الذي فعله فرعون والذي فعل به حين كذب وعصى (لعبرة)
 أي لعظة (للمن يخشى) أي لمن يخاف الله تعالى لأن الخشية أساس الخير كما مرت الإشارة إليه * ثم
 خاطب تعالى منكري البعث بقوله تعالى (أأنتم) أي أيها الأحياء مع كونكم خلقتا ضعيفا (أشد
 خلقا) أي أن خلقكم بعد الموت أشد في تقديركم (أم السماء) أي فن قدر على خلق السماء على
 عظمتها من السعة والكبر والعلو والمنافع قدر على الاعادة وهذا كقوله تعالى خلقي السموات
 والأرض أكبر من خلق الناس والمقصود من الآية الاستدلال على منكري البعث وتظهير قوله
 تعالى وليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم ومعنى الكلام التفرغ
 والتوبيخ وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وهشام بخلاف عنه بتحقيق الأولى وتسهيل الثانية
 والباقون بضم الثانية ما وأدخل بينهما ألفا قالون وأبو عمرو وهشام والباقون بغير ادخال وقوله تعالى
 (بناها) بيان لكيفية خلقه أيها قالوا وقف على السماء والابتداء بما بعدها وقوله تعالى (رفع
 سمكها) جملة مفسرة لكيفية البناء والسمك الارتفاع أي جعل مقدارها في سمك العلوم هذا
 رفعا مائة خمسمائة عام (فستواها) أي فعد لها مستوية ملساء ليس فيها تفاوت ولا فطور
 أو فقه ما علم انتم به وأصلها من قولك شوي فلان أمر فلان (وأغطس) أي أغطس (ليلها) أي

جعله مظلماً بغياب شمسها فأنقذ ضياءها بما تذا دخل الارض على ككل ما كانت الشمس
 ظهرت عليه فصار لا يهتدى معه الى ما كان في حال الضياء وأضاف الليل الى السماء لان
 الليل يكون بغروب الشمس والشمس تضاف الى السماء ويقال نجوم الليل لان ظهورها بالليل
 وقوله تعالى (وأخرج فضاها) فيه حذف أي ضحى شمسها وأضاف الليل والضحى لهما للملازمة
 التي بينهما وبينهما لان الليل ظلها والشمس هي السراج المنقب في جوفها وانما عبر عن النهار بالضحى
 لان الضحى أكل أجزاء النهار بالنور والضوء (والارض بعد ذلك) أي بعد المذكور كله (دحاها)
 أي بسطها وهددها للسكنى وبقية المنافع وكانت مخلوقة قبل السماء من غير دحوق ولا معارضة بينهما
 وبين آية فصلت لانه خلق الارض أولاً غير مدحوة ثم خلق السماء ثم دحا الارض قال ابن عباس
 رضى الله عنهم ما خلق الله تعالى الارض بأقواتها من غير أن يدحوها قبل السماء فسواها سبع
 سموات ثم دحا الارض بعد ذلك وقيل معناه والارض مع ذلك دحاها كقوله تعالى عتل بعد ذلك
 أي مع ذلك ومنه قولهم أنت احق وانت بعد هذا سي الخلق وقيل بعد بمعنى قبل كقوله تعالى
 ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكراى من قبل وروى عن ابن عباس رضى الله عنهم ما انه قال خلق
 الله تعالى السكبة ووضعها على الماء على اربعة اركان قبل ان يخلق الدنيا بألني عام ثم دحيت
 الارض من تحت البيت (أخرج منها) أي الارض (مأها) أي بتغيير عيونهم وأضافها اليها دليل
 على أنه مودوع فيها (ومرعها) أي النبات الذي يرى مما يأكله الناس والانعام من العشب
 والشجر والغمر والحطب حتى النار والمخ لان النار من العيدان قال تعالى أفرأيت النار التي تورون
 الآية والمخ من الماء واستعير الرعى للانسان كما استعير الرقع في قوله تعالى عن اخوة يوسف عليه
 السلام رقع ونلعب والمرعى في الاصل موضع الرعى * (تبسه) * أخرج حال باضمار قد أي مخزجا
 واضمار قد هو قول الجهم وروخالف الكوفيون والاعفش (والجبال ارساها) أي اثبتها على وجه
 الارض لتسكن وتظيره قوله تعالى والجبال اوتادا وقوله تعالى (مماعا) مفعول له لمقدراى فعل
 ذلك بمنفعة أو مصدر لعا مل مقدر اى متعكم غيبعا (لكم) وقوله تعالى (ولأنعامكم) جمع ثم وهى
 الابل والبقر والغنم وذكر الانعام لكثرة الانتفاع بها (فأذا جاء الطامة الكبرى) أي الداهية التي
 تطم على الدواهى أي تعلو وتغلب وفي أمثالهم جرى الوادى فطم على القرى قال ابن عباس وهى
 النفخة الثانية التي يكون معها البعث وقال الضمالة هى القيامة سميت بذلك لانها تطم على كل
 شئ فتغمره وقال القاسم بن الوليد الهمدانى هو الساعة التي تساق فيها أهل الجنة الى الجنة
 وأهل النار الى النار وقوله تعالى (يوم يذكركم) أي تذكرا عظيم (الانسان) أي الخلق الآسن
 بنفسه الغافل عما خلق له بدل من إذا (ماسعى) فى المنام خير أو شر يعنى اذا رأى أعماله
 مدقبة فى كتابه تذكروها وكان قد نسىها كقوله تعالى أحصاه الله ونسوه وما فى ماسعى موصولة
 أو مصدرية (وبرزت الحليم) أي أظهرت النار المحرقة اظهارا بينا مكشوف (لمن يرى) أي لكل
 راء كقولهم قد تبين الصبح لذى عينين يريدون لكل من له بصر وهو مثل فى الامر المكشف
 الذى لا يخفى على أحد لكن الناجح لا ينصرف بصره اليها فلا يراها كما قال تعالى لا يسمعون

حبيبها وجواب اذ قوله (فأما من طغي) أي تجاوز الحد في العدوان حتى كفر بربه (وأنز)
 أي قدّم واختار (الحياة الدنيا) أي انهمك فيها ولم يستعذ لا آخر بالعبادة وتهذيب النفس
 (فإن الجحيم) أي النار الشديدة التوقد العظيمة (هي) أي خاصة (المأوى) أي مأواه كما تقول
 للرجل غصن الطرف تريد طرفك وليست الآف واللام بدلا عن الإضافة ولكن لما علم أن العاني هو
 صاحب المأوى وأنه لا يقص الرجل طرف غيره تركت الإضافة * (تنبيه) * هي يجوز أن تكون
 فصلاً ومبتدأ (وأما من خاف مقام ربه) أي قيامه بين يديه لعلّه بالمعاد أو بالمعاد وقال مجاهد
 خوفه في الدين أن الله تعالى عظم واقعة الذنب فيقلع عنه نظيره ولأن خاف مقام ربه بخلاف
 (فمنه النفس) أي الامارة بالسوء (عن الهوى) وهو اتباع الشهوات وزجرها عنهم واضبطها
 بالصبر والتوطين على اتيار الخير (فإن الجنة) أي البستان لكل ما يشتهى (هي) أي خاصة
 (المأوى) أي ليس له سواها مأوى وحاصل الجواب أن العاصي في النار والطائع في الجنة قال
 الرازي هذان الوصفان مضافان للوصفين المتقدمين فقوله تعالى فأما من خاف مقام ربه فقد
 قوله تعالى فأما من طغي عن النفس عن الهوى ضد قوله تعالى وأثر الحياة الدنيا فكا دخل في
 ذنوبك الوصفين جميع القبائح دخل في عذوب الوصفين جميع الطاعات وقال عبد الله بن مسعود
 أنتم في زمان يقود الحق الهوى وسيأتي زمان يقود الهوى الحق فتعوذوا بالله من ذلك الزمان
 * (تنبيه) * اختلاف في سبب نزول هاتين الآيتين فقيل نزلتا في مصعب بن عمير وأخيه زوي
 الضمالة عن ابن عباس قال أما من طغي فهو أخو مصعب بن عمير أسير يوم بدر وأخذته الأنهار
 فة الوامن أنت قال أنا أخو مصعب بن عمير فلم يشدّوه في الزناق وأكرموه ويشدّوهم فلما أصبحوا
 حذّوهم مصعب بن عمير حديثه فقال ما هو لي يا خ شددوا أسيركم فإن أمّهم أكرأجل البطالة حليها
 وما لا فاقوتوه حتى تبعث أمّهم فنداهم وأما من خاف مقام ربه فصعب بن عمير في رسول الله صلى الله
 عليه وسلم بنفسه يوم أحد حين تفرق الناس عنه حتى نفذت المشاقص في جوفه والمشاقص جمع
 مشقص وهو السهم الغريض فلما رآه صلى الله عليه وسلم متشحطا في دمه قال صلى الله عليه وسلم
 عند الله أحسن منك وقال صلى الله عليه وسلم لأصحابه لقد رأيته وعليه بردان ما تعرف قيمته ما وإن
 شرب النعلة من ذهب وعن ابن عباس أيضا نزات في رجلين أبي جهل بن هشام ومصعب بن عمير و
 السدي نزات الآية الثانية في أبي بكر الصديق رضي الله عنه وقال الكلبى جماعة ما تان * ولما جمع
 المشركون أخبارا اقيامته ووصفها بالآوصاف الهائلة مثل الطامة الكبرى والصاحّة والخارعة
 وسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم استترأمتي تكون الساعة نزل (يسئلونك) يا أشرف الخلق
 (عن الساعة) أي البعث الآخر أكثر ما تتوعدهم به من أمرها (أيان عمر ساها) أي في أي
 وقت أرساؤها أي أقامتها أرادوا متى يقيمها الله تعالى ويثبتها ويكون أيا ن منتهاها ومستقرها
 كما أن مرسي السفينة مستقرها حيث تنهي اليه فأجابهم الله تعالى بقوله سبحانه (فيم) أي في أي
 شيء (أنت من ذكرها) أي من أن تذكر وقتها لهم وتعلمهم به * (تنبيه) * فيم خبر مقدم وأنت مبتدأ
 مؤخر ومن ذكرها ما يتعلق بما يتعلق به الخبر والمعنى أنت في أي شيء من ذكرها أي ما أنت من

ذكر اهلهم وتبين وقتها في شيء وعن عائشة رضي الله عنهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر
 الساعة ويسأل عنها حتى نزلت فهو على هذا تعجب من كثرة ذكرها كما قد قيل في أي ساعة
 واهتمام أنت من ذكرها والسؤال عنها والمعنى انهم يسألونك عنها فمرصك على جوابهم لاتزال
 تذكرها وتسأل عنها (الى ربك) أي المحسن اليك بأنواع النعم (منهاها) أي منتهى علمها لم يوثق
 عليها أحد من خلقه كقوله تعالى انما علمها عند ربى وقوله تعالى ان الله عنده علم الساعة قال
 القرطبي ويجوز ان يكون انكارا على المشركين في مسئلتهم أي فيم أنت من ذلك حتى يسألونك
 بيانه ولست بمن يعلمه روى معناه عن ابن عباس رضي الله عنهما وقيل الوقف على قوله تعالى فيم
 وهو خبر مبتدأ مضمرة أي فيم هذا السؤال ثم يتبدأ بقوله تعالى أنت من ذكرها أي أرسلنا النوات
 خاتم الانبياء و آخر الرسل المبعوث في فم الساعة ذكر من ذكرها وعلامة من علاماتها فكفها
 بذلك دليلا على دئوها ومشارفتها ووجوب الاستعداد لها ولا معنى لسؤالهم عنها (انما أنت) أي
 يا أشرف الرسل (منذر) أي انما بعثت لئذار (من يخشاها) أي لتخويف من يخاف هواها وهو
 لا يناسب تعيين الوقت وتخصيص من يخشى لانه المستمع به أي انما يتبع لئذارك من يخافها وان
 كنت منذر الكل مكلف (كانتم - م) قال البغوي يعني كفار قريش (يوم يرونها) أي يعلمون قيام
 الساعة علمنا هو كالرؤية ويرون ما يحدث فيها بعد سماع الصيحة وقيامهم من القبور مع علمهم بما مر
 من زمانهم وما أتى فيه (لم يلبثوا) أي في الدنيا وفي القبور (الاعشى) أي من الزوال الى غروب
 الشمس (أو ضحاها) أو ضحى عشية من العشايا وهو البكرة الى الزوال والعشية بعد ذلك اضيف
 اليها الضحى لانها من النهار والاضافة تحصل بأدنى سلاسة وهي هنا كونها من نهار واحد فالمراد
 سابعة من نهار من اقبله وآخره لم يستكملوا نهارا تاما ولم يجمعوا بين طرفيه وهذا كما قال صلى الله
 عليه وسلم ما الدنيا في الاخرة الا كما يجعل أحدكم اصبعه في اليم فيلنظر به يرجع (فان قيل) هلا
 قال الاعشيه اوضحي وما فائدة الاضافة (أجيب) بأن ذلك للدلالة على ان مدة لبثهم كأنهم لم يبلغ
 يوما كاملا ولكن ساعة منه عشية أو ضحاها فلما ترك اليوم اضافته الى عشية فهو كقوله تعالى
 لم يلبثوا الا ساعة من نهار وحسن الاضافة وقوع الكلمة فاصلة (تنبيه) * قرأ حديث موسى
 طوى طوى تركى فتنشى وعصى يسعى فنادى الاعلى والاولى يخشى ماسعى طوى الدنيا المأوى عن
 الهوى المأوى حمزة والنكسائى بالامالة مخضفة وورش وابو عمرو بين وقرأ ورش بالفتح وبين
 اللغظين وقرأ أراه الآية الكبرى الطامة الكبرى لمن يرى من ذكرها ابو عمرو وجزء والنكسائى
 بالامالة مخضفة وقرأ ورش بين اللغظين والباقر بالفتح في الجميع وقول البضاوى تبعه لا يخشى
 ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة والنارعات كان من حبه الله تعالى في القبر
 والقيامة حتى يدخل الجنة قدر صلاة مكتوبة حديث موضوع

﴿سورة جسد مكية ونسبي سورة السقرة﴾

وهي اثنا وأربعون آية ومائة وثلاثون كلمة وثلاثمائة وثلاثون حرفا

(بسم الله) الواحد القهار (الرحمن) الذي عمّ بانيته الامراء والتجار (الرحيم) الذي خص
اوليائه برحمته في دار القرار (عيسى) أي كلج وجهه النبي صلى الله عليه وسلم (وتولى) أي أعرض
بوجهه لاجل (أن جاءه الاعشى) وهو ابن أم مكتوم وأم مكتوم أم أبيه واسمها عاتكة بنت عامر
ابن مخزوم واسمها عبد الله بن شريح بن مالك بن ربيعة الفهري من بني عامر بن لؤي وذلك أنه
جاءه وعنده صناديد قریش عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب
وأمية بن خلف والوليد بن المغيرة يدعوههم الى الاسلام رجاء أن يسلم أولئك الاشراف الذين
كان يخاطبهم فيأتيهم بالاسلام ويسلم بالاسلامهم أتباعهم فتعلو كلمة الله تعالى فقال يا رسول الله
أقرئني وعلمني مما علمك الله تعالى وكرز ذلك وهو لا يعلم تشاغل بالقوم فكره رسول الله صلى الله
عليه وسلم قطعه لكلامه وعيسى وأعرض عنه وقال في نفسه يقول هؤلاء الصناديد انما اتبعه
العيان والعبد والسفلة فعبس وبوجهه وأعرض عنه وأقبل على القوم الذين يكلمهم فأنزل الله
تعالى هذه الآيات فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك بكرمه واداراه قال مر حباب بن
عابتى فيه ربي ويسقط له رداه ويقول له قل لك من حاجة واستخافه على المدينته مرتين في غزوتين
غزاهما قال أنس بن مالك رأيت يوم القادسية راكبا وعليه درع وله راية سوداء (وما يدريك) أي
أي شيء يجعلك داري بما جاله (أله) أي الاعشى (يركي) فيه ادغام التاء في الاصل في الزاى اي يظهر
من الذنوب بما يسمع منك وفي ذلك ايعاء بأن اعراضه كان لتزكية غيره (أويذ كر) فيه ادغام التاء في
المذال أي يعظ وتسبب عن تركته وتذكره قوله تعالى (فتنفعه الذكرى) أي العظة المسموعة
منك وقرأ عاصم بنصب العين والباقون برفعها فن رفع فهو نطق على قوله تعالى أويذ كر ومن
نصب فعلى جواب الترحى كقوله تعالى في غافر فأطلع الى المومنين وقال ابن عطية في جواب
التمنى لان قوله تعالى أويذ كر في حكم قوله تعالى لعلة يزكى واعترض عليه أبو حنيفة بأن هذا ليس
تمنيا وانما هو ترجح وأجيب عنه بأنه انما يريد التمنى المفهوم وقت الذكرى وقرأ الذكرى ابو عمر ووجه
والكسائي بالاجالة مخضرة وورش بين اللغطين والباقون بالنفع وقيل الضعيف في لعلة للكافر بمعنى
أنك طمعت في أن يتركى بالاسلام أويذ كر فتقر به الذكرى الى قبول الحق وما يدريك أن طامعت
فيه كائن (أما من استغنى) أي بالمال وقال ابن عباس رضى الله عنهما استغنى عن الله وعن الايمان
بماله من المال (فأنت له) أي دون الاعشى (تصدى) أي تتعرض له بالاقبال عليه والمصادرة المعارضة
وقرأ أنافع وابن كثير بتشديد الصاد بادغام التاء الثانية في الاصل فيها والباقون بالتخفيف (وما)
أي فعلت ذلك والحال انه ما (عليك) أي وليس عليك بأس (الآيركي) أي في أن لا يتركى بالاسلام
حتى يهلك الحرص على اسلامه الى الاعراض عن أسلم ان عليك الا البلاغ (وأما من جال) أي
حال كونه (يسعى) أي يسرع في طلب الخير وهو ابن أم مكتوم (وهو) أي والحال انه (يخشى)
أي الله أو الكفار في أذا هم على الايمان اليك وقيل جاءه وليس معه قائد فهو يخشى الكثرة وقرأ
قالون وأبو عمر والستى يسكون الهاه والباقون بضمها (فأنت عنه تلهسى) فيه حذف التاء
الاخرة في الاصل أي تشاغل وقرأ وتولى الاعشى يزكى من استغنى تصدى يزكى يسمى يخشى

تلهي حزة والكسافي بالامالة محضه ووروش وأبو عمرو وبين وبين والفتح عن ورش قليل والباقيون
 بالفتح وقوله تعالى (كلاً) ردع عن العاتب عليه وعن معاوية مثله (فان قيل) ما فعله ابن أم مكتوم
 كان يستحق عليه التأديب والزجر فكيف عاتب الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم على تأديبه
 لانه وان كان اعى فقد سمع مخاطبته صلى الله عليه وسلم لا ذلك الكفار وكان يسماعه يعرف شدة
 اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بشأنهم فكان اقدامه على قطع كلامه صلى الله عليه وسلم لغرض
 نفسه قبل تمام كلام النبي صلى الله عليه وسلم معصية عظيمة وأيضاً فان الالهة يقدم على المهم وكان
 قد أسلم وتعلم ما يحتاج من أمر الدين وأما أولئك الكفار فلم يكونوا أسلموا وكان اسلامهم سبباً
 لاسلام غيرهم فكان كلام ابن أم مكتوم كالسبب في قطع ذلك الحبيب العظيم لغرض قليل وذلك
 يجرم وأيضاً فان الله تعالى ذم الذين يشادونه من وراء الحجرات بمجرد ذمهم فهذا الذم الذي هو
 كالصارف للكفار عن الايمان أولى أن يكون ذنباً وأيضاً فع هذا الاعناء كيف لقب بالاغنى
 وأيضاً فان النبي صلى الله عليه وسلم لم أن يؤدب أصحابه بما يراه مصلحة والتعيس من ذلك القبول
 (أجيب) بأن ما فعله ابن أم مكتوم كان من سوء الادب لو كان عالماً بأن النبي صلى الله عليه وسلم
 وسلم مشغولاً بغيره وأنه يرجو اسلامهم ولكنه لم يعلم بذلك وأيضاً الله سبحانه وتعالى انما عاتبه
 على ذلك حتى لا تنكسر قلوب الضعفاء وليعلم أن المؤمن الفقير خير من الغني الكافر وقال
 ابن زيد انما عاب النبي صلى الله عليه وسلم لابن أم مكتوم وأعرض عنه لانه أشار الى الذي كان
 يقوده أن يكفه فدفعه ابن أم مكتوم وأبي إلا أن يسلكهم مع النبي صلى الله عليه وسلم فكان في هذا
 نوع جفاء منه ومع هذا انزل في حقه ذلك وأما ذكره بلفظ الاغنى فليس للتخفيف كان بسبب
 عما يستحق أن يزيد تعظفاً وترؤفاً وتقريباً وترجيحاً ولقد تأدب الناس بأدب الله تعالى في هذا
 تأديباً حسناً فقد روى عن سفيان الثوري رضي الله عنه أن الفقراء كانوا يجلسه امرأاً وأما
 كونه صلى الله عليه وسلم كان مأذوناً له في تأديب أصحابه فلان تقديمهم رجاء لهم ترجيح تقديم
 الاعناء على الفقراء فهذا السبب عويب قال الحسن رضي الله عنه لما تلاجبريل عليه السلام
 على النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآيات عاد وجهه كأنه انفس فيه الرماد ينتظر ما يحكم الله
 تعالى عليه فلما قال كلاً سترى عنه أي لا تفعل مثل ذلك وقد بينا نحن ان ذلك محمول على ترك
 الأولى ثم قال الله تعالى (انها) أي هذه السورة وقال مقاتل رضي الله عنه آيات القرآن وقيل
 القرآن وأما لتأنيث خبره وهو قوله تعالى (تذكرة) أي غلة الخلق يجب الاتعاظ به والعمل
 بموجبها (فمن شاء ذكره) أي كان حافظاً لغير ناس وذكر الضمير لان التذكرة في معنى الذكر والوعظ
 ثم ان الله تعالى أخبر عن جلالة ذلك عنده فقال سبحانه (في مصحف) أي منصف من اللوح
 المحفوظ وقيل هي كتب الانبياء عليهم السلام دليله قوله تعالى ان هذا الذي الصحف الأولى مصحف
 ابراهيم وموسى (مكرمة) أي عند الله تعالى (مرفوعة) أي في السماء السابعة أو مرفوعة
 المقدار (مطهرة) أي منزهة عن أيدي الشياطين لا يمسها الايدي ملائكة كرام مطهرين كما قال
 تعالى (بأيدي نفرة) أي كتبه ينسخونها من اللوح المحفوظ وهم الملائكة الكرام الكاتبون

واحدهم سافر يقال سقرت أي كذبت ومنه قيل لا كتاب سقر وجمعه أسفار وقيل هم الرسل من
الملائكة واحد سقر وهو الرسول وسقر القوم هو الذي يسعى بينهم بالصلح وسقرت بين القوم
إذا أصلحت بينهم ثم أنى تعالى عليهم بقوله سبحانه (كرام) أي على الله تعالى وروى الضحاك عن
ابن عباس رضي الله عنهما في كرام قال مكرمون أن يكونوا مع ابن آدم إذا دخل زوجته أو رز
لقائط وقيل يؤثرون منافع غيرهم على منافع أنفسهم وقوله (بررة) جمع بار كسائر بررة وفابر
وبغرة والبار هو الصادق المطيع ومنه بر فلان في عيشه أي صدق وفلان ببر خالقه أي بطيعه فعني
بررة مطيعين صادقين لله تعالى في أعمالهم * ولما ذكر تعالى ترقيع صناديد قريش على فقراء المسلمين
عجب عباده المؤمنين من ذلك فقال سبحانه (قيل الإنسان) أي لعن الكافر وقوله تعالى (ما
أكفره) استغفاهم توبيخ أي ما أشد تغلبته للبع وبجده له وعنايته فيه لانكاره البعث وأشار أنه
بربه وغير ذلك مما جعله على الكفر وقوله تعالى (من أي شيء خلقه) استغفاهم تقريرهم بقوله
تعالى (من نطفة) أي ما يبرجده الامن غيره (خلقته) أي أوجده مقدرا على ما هو عليه من
التخطيط (فقدرة) أي علقه ثم مضى إلى آخر خلقه فكانه قيل وأي سبب في هذا الترفع مع أن
أوله نطفة مذرة وآخره جيفة قذرة وهو فيما بين الوقتين حامل عذرة فان خلقه الانسان لتصلح أن
يستدل بها على وجود الصانع لانه يستدل بها على أن وال البعث والحشر قيل نزلت في عتبة بن
أبي لهب والظاهر العموم (فان قيل) الدعاء على الانسان انما يليق بالعاجز القادر على الكل
كيف يليق به ذلك والتعجب أيضا انما يليق بالجاهل بسبب الشئ فالعالم به كيف يليق به ذلك
(أجيب) بأن ذلك ورد على أسلوب كلام العرب لبيان استحسانهم لا عظم العقاب حيث أبوا
بأعظم القبايح كقولهم إذا تعجبوا من شئ فأتله الله ما أحسنه وأخزاه الله ما أظلمه والمعنى انهوا
من كفر الانسان بجمع ما ذكرنا بعد هذا وقيل الاستغفاهم استغفاهم تحقيره فذكر أول مراتبه
وهو قوله تعالى من نطفة خلقه ولا شك أن النطفة شئ حقير مهين ومن كان أصله ذلك كيف يسكر
وقوله تعالى فقدرة أي أطوارا وقيل سواء كقوله تعالى ثم سوا الزجلا او قدر كل عضو في الكيفية
والكمية بالقدر اللائق لمصلحته كقوله تعالى وخلق كل شئ فقدرة تقديره ثم ذكر المرتبة الوسطى
بقوله تعالى (ثم) بعد انتهاء المدة (السييل) أي طريق خروجه من بطن أمه (يسره) أي سهله
أمره في خروجه بأن فتح له الرحم وألهمه الخروج منه ولا شك أن خروجه من أضيق المسالك
من أعجب العجائب يقال انه كان رأسه في بطن أمه من فوق ورجلاه من تحت فإذا جاء وقت
الخروج انقلب فن الذي أعطاها ذلك الالهام المراد ومنه قوله تعالى وهديناه النجدين أي النبيين
بين الخير والشر وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال سبيل السقاء والسعادة وقال ابن زيد
سبيل الاسلام قال أبو بكر بن طاهر يسر على كل أحد ما خلقه له وقدر عليه له لقوله صلى الله عليه
وسلم كل ميسر لما خلق له * ثم ذكر المرتبة الأخيرة بقوله تعالى (ثم أماته) وأشار إلى إيجاب المبادرة
بالتجهيز للنساء المعقبة في قوله تعالى (فأقره) أي جعله في قبره يستريحه كما قاله ولم يجعله ممن يلقى على
وجه الارض تأكله الطير وغربها (ثم إذا شاء أنشأه) أي أحياه بعد موته للبعث ومفعول شاء

محمدوف أى شاء انشاره وأنشره جواب اذا قرأ قالون وأبو عمرو والبزى بإسقاط الهمزة الاولى
 مع المدة وأقصر وسهل الثانية ورش وقيل ولهما أيضاً البداهة والقوا بالاقون بتحقيقهما وقوله
 تعالى (كَلَّا) ردع للانسان عما هو عليه وقيل معناها حقاً قال الاول الرنخشى وسبعه
 السبواوى وقال الثانى الجلال المحلى (لما يقض) أى يفعل (مأمره) به ربه من الايمان وترك
 التكبر وقيل لم يوف بالمشاق الذى أخذ عليه فى صلب آدم عليه السلام وقيل المعنى ان ذلك
 الانسان الكافر لم يقض مأمره به من التأمل فى دلائل الله تعالى والتدبر فى عجائب خلقه * ولما
 كانت عادة الله تعالى جارية فى القرآن انه كلما ذكر دلائل الانسان ذكر عقبها دلائل الاقاف بدأ
 من ذلك بما يحتاج اليه الانسان بقوله تعالى (فليستظر الانسان) أى يوقع النظر التام بكل شئ يقدر
 على النظر به من بصره وبصيرته (الى طعامه) أى الذى هو قوام حياته كيف هيأ له أسباب المعاش
 ليستمتع به * ولما عاد قال الحسن ومجاهد فليستظر الى طعامه الى مدخله ومخرجه وروى عن
 الضمك أنه قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بخل ما طعامك قلت يا رسول الله اللحم
 واللبن قال فشرابك ماذا قلت الماء قد علمته قال فان الله تعالى ضرب ما يخرج من ابن آدم مثلاً
 للدنيا وروى عن ابن عمر ان الرجل يدخل الغلاء فيستظر ما يخرج منه فيأتيه الملك فيقول انظر الى
 ما تجلبت به الام صار وقرأ (انا صبينا) أى بما لنا من العظمة (الماء) عاصم وحجرة والكسائى
 بنسخ الهمزة على أنه بدل اشتمال بمعنى أن صب الماء سبب فى اخراج الطعام فهو مشتمل عليه
 بهذا التقدير وأنه على تقدير لام العلة أى فليستظر لانه ما حذف الحافض وقال البغوى انا بالفتح
 على تكرير الحافض مجازة فليستظر الى أنا وقرأ الباقون بالكسر على الاستئناف بعد ان انعمه
 تعالى عليه وقوله تعالى (صبياً) تأكيد والمراد بالماء المطر * ولما كان الانسان محتاجاً الى جميع
 ما فى الوجود ولو نقص منه شئ اختل امره وبدأ أولاً بالسماء لانه اشرف وبالماء الذى هو حياة
 كل شئ تنبيهه على استبداء خلقه شئ بالارض التى هى كالانثى بالنسبة الى السماء فقال تعالى
 (ثم) أى بعد سهولة من انزال الماء (شققنا) أى بما لنا من العظمة (الارض) أى بالنبات
 الذى هو فى غاية الضعف عن شق اضغف الاشياء فكيف بالارض اليابسة وقوله تعالى
 (شقاً) تأكيد ثم سبب عن الشق ما هو كالتفسير له فقال تعالى (فأنبأنا) أى بما لنا من القدرة التامة
 (فيها) أى بسبب الشق (حباً) أى قحاً وشعيراً وسلماً وسائر ما يحصد ويدخر وقدّم ذلك لانه كالاصل
 فى التغذية (وعنباً) وذكره بعد الحب لانه غذاء من وجهه وقاصد كهمه من وجهه (وقضباً) قال ابن
 عباس رضى الله عنهما هو الرطب لانه يفتض من النخل أى يقطع ورجه بعضهم لذكره بعد
 العنب لانهم ما يقران كثيراً وقيل القث الرطب وقيل كل ما يقضب من البقول لبني آدم وقيل هو
 الرطبة والمقضب أرضه سمي مصدر قضبته اذا قطعه لانه يقضب مرة بعد اخرى وقال الحسن
 القضب العاقب للدواب (وزيتونا) وهو ما يعصر منه الزيت يكون فيه حراقة وغضاضة فيه
 اصلاح المزاج وقوله تعالى (ونخلاً) جمع نخلة وكل من هذه الاشجار مخالف للآخرى الشكل
 والى وغير ذلك مع المرافقة فى الارض والسقي وقوله تعالى (وجداً ثق غلباً) جمع أغلب وغلباء

كحمر في أحر وجرا أي بسايتين كثيرة الاشجار والاصل في الوصف بالغلب الرقاب يقال رجل
 أغلب وامرأة غلباء غلبا الرقة فاستعير قال عمرو بن معد يكرب
 يمشي به أغلب الرجال كأنهم * بزل كسين من الكعبيل جلالة
 وقال مجاهد وقابل الغلب الملقبة الشجر بعضه في بعض وقال ابن عباس رضي الله عنهما
 الطوال وقيل غلاظ الاشجار (وفا كهة) وهي مائتا كلة الناس من غمار الاشجار كالتين والنوخ
 قال النووي في منهاجه ويدخل في فا كهة رطب وعقب ورمان وأترج ورطب وبابس أي
 كالتمر والزبيب قال قلت وليون وبق وبطيخ ولب فستق وبنديق وغيرها في الاصح (وأب) وهو
 مائتا كلة الدواب لانه يوب أي يؤتم ويتجمع اليه وقال عكرمة الفها كهة مايا كلة الناس والاب
 مائتا كلة الدواب وقيل التين وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه سئل عن الاب فقال أي
 مناه تطلني وأي أرض تغلني اذا قلت في كتاب الله تعالى ما لا علم لي به وعن عمر رضي الله عنه أنه
 قرأ هذه الآية فقال كل هذا عرفنا فالاب ثم رفض عصا كانت بيده ثم قال هذا العمر الله
 التكلف وما عليك يا ابن أم عمر أن لا تدري ما الاب ثم قال اتبعوا ما بين لكم من هذه الكتاب
 وما لا قدعوه (فان قيل) هذا يشبه النهي عن تتبع معاني القرآن والبحث عن مشكلاته
 (أجيب) بأنه لم يذهب الى ذلك ولكن القوم كانت أكثرهم تمعنا كهة على العمل وكان التشاغل
 بشئ من العلم الذي لا يعمل به تكلفا عندهم فأراد أن الآية مسوقة عندهم في الامتنان على
 الانسان بطلعه واستدعاه شكره وقد علم من خوى الآية أن الاب بعض ما ينسبه الله تعالى
 للانسان مشاعله أو لانهامه فعليك بما هو أهم من التهور بالثكر لله تعالى على ما بينك ولم
 يشكل بما قد من نعمه ولا تشاغل عنه بطلب معنى الاب ومعرفة النبات الخاص الذي هو
 اسم له واكتف بالمعرفة الجلية الى أن تبين لك من مشكلات القرآن (متاعا) أي الغيب أي
 منفعة أو متعة كما تقدم في السورة قبلها (لكم) أي الفاهة (ولانعامكم) وتقدم أيضا في
 السورة التي قبلها معرفة الانعام والحكمة في الاقتصار عليها ولما ذكر تعالى هذه الاشياء وكان
 المقصود منها ثلاثة أولها الدلائل الدالة على التوحيد وثانيها الدلائل الدالة على القدرة والمعاد
 وثالثها أن هذا الاله الذي أحسن الى عبده هذه الانواع العظيمة من الاحسان لا يليق بالعاقل
 أن يتزدد على طاعته وأن يتكبر على عبده أتبع ذلك بما يكون كالمؤكد له هذه الاغراض وهو
 شرح أحوال القيامة فان الانسان اذا سمعها خاف فبدعه ذلك الخوف الى التامل في الدلائل
 والايان بها والاعراض عن الكفر وبدعه أيضا الى ترك التكبر على الناس والى اظهار
 التواضع فقال تعالى (فاذا جاءت) أي كانت ووجدت لان كل ما هو كائن لا يقبل وجاء اليك
 (الصاخة) أي صيحة القيامة وهي النفخة الثانية التي تصح الاذن أي تصيحها لشدة وقعها
 مأخوذة من صخه بالجر أي صكبه وقال الرخشي صخ لحدية مثل أصاخ فوصفت النفخة
 بالصاخة مجازا لأن الناس يصحون لها وقال ابن العربي الصاخة التي تورث الصمم وانهم السبعة
 وهذا من بدع القصاحة كقوله

أصغى سرهم أيام فرقهم * وهل سمعتم بسر تورث الصما

وجواب إذا حذف دل عليه قوله تعالى فإذا جاءت الصاخة أي اشتغل كل واحد بنفسه وقوله تعالى (يوم يقر المرء) بدل من إذا (من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته) أي زوجته (وبنته) لاستغفاله بما هو مدفوع اليه ولعله أنهم لا يغفون عنه شيئاً كقوله تعالى يوم لا يغني عن مولى عن مولى شيئاً فيقر المرء من هؤلاء الذين كان يقر إليهم في دار الدنيا ويستجير بهم لكثرة ما يشغله وبدء بالآخ لأنه أدناهم مرتبة في الحب والذب ثم بالأم لأنها كانت مشاركة له في الآف ويلزم من حمايتها أكثر مما يلزم للآخ وهو لها آف وعليها أرحم وأعطف ثم بالآب لأنه أعظم منها في الآف لأنه أقرب منها في النوع والولد عليه من المعاطفة ماله من مزيد النفع أكثر من قبله ثم بالصاحبة لأن الزوجة التي هي أهل لأن تصعب الصق بالفؤاد وأعز في الوداد وكان الإنسان أذب عنها عند الشدائد ثم بالولد لأن له من المحبة والمعاطفة بالسرور والمشاورة في الأمر ما ليس لغيره ولذلك يضيع عليه رزقه وعمره فتقدم أدناهم مرتبة في الحب والذب فأدناهم على سبيل الترتيب وآخر الأوجب في ذلك فالأوجب بخلاف ما في سورة سأل فكانت قيل يقر المرء من أخيه بل من أمه بل من أبيه بل من صاحبته بل من بنيه وقيل يقر منهم حذر من مطالبتهم بالتبعات يقول الآخ لم توأسي عيالك والآبوان قصرتم في برناو الصاحبة أطعمتني الحرام وفعلت وصنعت والبنون لم تعلموا ولم ترشدنا وقيل أول من يقر من أخيه هابيل ومن أبويه إبراهيم عليه السلام ومن صاحبه نوح ولوط ومن ابنه نوح * ولما ذكر الفرار أتبعه سببه فقال تعالى (لكل امرئ) وإن كان أعظم الناس مروءة (منهم يومئذ) أي إذا تكون هذه الدواهي العظام والشدائد والآلام (شأن) أي أمر عظيم وقوله تعالى (يغنيه) حال أي يشغله عن شأن غيره وعن سودة رضى الله تعالى عنها وزوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث الناس حفاة عزاة غرلاً أي بالقلقة قد أبلجهم العرق وبلغ شحوم الأذن فقلت يا رسول الله وأسوأ تأمل ينظر بعضنا إلى بعض فقال صلى الله عليه وسلم قد شغل الناس لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه وقال قتيبة يغنيه أي يصرفه عن قرابته ومنه يقال أغنى عن وجهك أي أصرفه وقال أهل المعاني يغنيه أي ذلك الهم الذي حصل له قد ملا صدره فلم يبق فيه متسع لهم آخر فصار شيئاً بالغنى في أنه ملك شيئاً كثيراً * ولما ذكر تعالى حال القيامة في الهول بين أن المكلفين على قسمين سعداء وأشقياء فوصف سبحانه السعيد بقوله تعالى (وجوه يومئذ) أي إذا كان ما تقدم من الفرار وغيره (مسفرة) أي مضيئة ممتلئة من أسفر الصبح إذا أضاء وعن ابن عباس من قيام الليل لما روى في الحديث من كثرت صلواته بالليل حسن وجهه بالنهار وبين النعمان من آثار الوضوء وقيل من طول ما غبرت في سبيل الله تعالى (صاحبة) أي مسرورة فرحة قال الكلبي يعني بالفراغ من الحساب (مبشرة) أي بما آتاه الله تعالى من الكرامة ثم وصف الشقي بقوله تعالى (وجوه يومئذ) أي إذا وجد ما ذكر (عليها غبرة) أي غبار (ترحقها) أي تعالوها (قرة) أي سواد كالمدخان ولا يرى أوحش من

اجتماع الغيرة والسواد في الوجه كما يرى في وجوه الزنوج اذا اغبرت (أرثك) أي
البداء البغضاء الذين يصنع بهم هذا (هم) أي خاصة (الكفرة النجسة) جمع الكافر والناظر
وهو الكاذب والمفتري على الله تعالى فجمع تعالى الى سواد وجوههم الغيرة كما جمعوا الغيور
الى الكفر وقول البيضاوي تعالى يخشى الله فخلقهم نسلا نكورا فاجتنبوا وجهه يوم القيامة
جاء يوم القيامة ووجهه ضاحك مستبشر حديث موضوع وكان من حق البيضاوي أن لا يبر
بقال بل يعن كالمخشى أو نحوها ويأتي مثله في نظائره

﴿سورة التكوينية﴾

وهي تسع وعشرون آية ومائة وأربع كلمات وأربعة وأربعون حرفا

(بسم الله) الذي أحاط علمه بالكائنات (الرجن) الذي عمّ جوده سائر البريات (الرحيم) الذي
خص حزبه بنعيم الجنات واختلف في معنى قوله تعالى (إذا الشمس) أي التي هي أعظم آيات
السماء الظاهرة وأوضحها الحسن (كورت) فقال ابن عباس أظلمت وقال قتادة ذهب ضوءها
وقال سعيد بن جبير غورت وقال مجاهد اضمحلت وقال الزجاج لفت كالتف العمامة يقال
كرت العمامة على رأسي أكورها كورا وكورتها تكويرا اذا لففتها وأصل التكوير يرجع
بعض الشيء الى بعض فعناء أن الشمس يجمع بعضها الى بعض ثم تلف فاذا فعل به ذلك ذهب
ضوءها قال ابن عباس يكور الله تعالى الشمس والقمر والنجوم يوم القيامة في البحر ثم يبعث
عليها ريحا تدور فتمضمضها فتصير نارا وعن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الشمس
والقمر يكوران يوم القيامة * (تنبيه) * ارتفاع الشمس على القاعة ورافعها فعل مضمر
يفسره كورت لان اذا تطلب الفعل لمسا فيها من معنى الشرط (واذا النجوم) أي كلها بكراها
وضغارها (انكدرت) أي انقضت وتساقطت على الارض قال تعالى واذا الكواكب انتثرن
والاعمال في الانكدار الانصباب قال الزجاج في مدحه لعمرو بن معد يكرب
اذا الكرام ابتدروا الباع ابتدر * تقضى البازي اذا البازي كسر

• أبصر خربان فضاء فانكدر *

أي فانهض وسقط والخربان جمع خرب وهو ذكرا الخباري والباع يستعمل في الكرم يقال
فلان كريم الباع والمعنى أن الكرام اذا ابتدروا فعل المكرمات بدرهم عمر وأى أسرع
كانه قاض البازي وروى عن ابن عباس أن النجوم فتاديل معلقة بين السماء والارض
بسلاسل من نور بأيدي الملائكة عليهم السلام فاذا مات من في السموات ومن في الارض
تساقطت تلك الكواكب من أيدي الملائكة لانه مات من كان يمسكها (واذا الجبال) التي هي
في العالم السفلي كالنجوم في العالم العلوي وهي أصاب ما في الارض (سبرت) أي ذهب بها
عن وجه الارض فصارت هباء منبثا وصارت الارض قاعا مفضضا (واذا العشار) أي النوق
الحوامل جميع عشراء كالنقاس جميع نقساء وهي التي أتى على حمله عشرة أشهر ثم هواسها الى

أن تضع لتعام السنة وهي أنفس ما يكون عند أهلها روى أنه صلى الله عليه وسلم مر في أصحابه
بعشار من النوق فغضب بصره فقبل له هذه أنفس أم والنافل لا ينتظر إليها فقال قد مناني الله
عن ذلك ثم تلا ولا تمدن عينيك الآية (عطلت) أي تركت مسيبة مهملة بلا راء أو عطلها أهلها
عن الحلب والصر لاشتغالهم بأنفسهم أو السحاب عطلت عن المطر والعرب تشبه السحاب
بالحامل والاول على وجه المثل لأن في القيامة لا تكون ناقة عشراء والمعنى أن يوم
القيامة بحالة لو كان للرجل ناقة عشراء أعطلها واشتغل بنفسه (واذا الوحوش)
أي ذواب الارض التي لا تأنس بأحد التي تظن أنهم لا يعبرون بها ولا التفات اليها فإنا نطوك بغيرها
(حشرت) أي جعلت بعد البعث ليقص لبعضهم من بعض ثم نصير ترابا قال قتادة يحشر
كل شيء حتى الذباب للخصاص وقبل اذا قضى بينهما ردت ترابا فلا يبقى منه الا ما فيه سرور
لبني آدم والعجاب بصورة كالأوس ونحوه وعن ابن عباس حشرها موتها يقال اذا
أجحف السنة بالناس وأموالهم حشروهم السنة وقراء (واذا البحار سجرت) أي على
كثرتها ابن كثير وأبو عمرو بتحقيق الجسيم والباقون بتشديدها قال ابن عباس أو قدت
فصارت ناراً تضطرم وقال مجاهد جمر بعضها في بعض العذب والمخ فصارت البحار كلها بجرا
واحدا وقال القسيري يرفع الله تعالى الحجاز الذي ذكره فاذا رفع ذلك البرزخ تفجرت مياه
البحار فعمت الارض كلها وصارت بحرا واحدا وروى أبو العالية عن أبي بن كعب قال ست
آيات قبل يوم القيامة بينما الناس في أسواقهم اذ ذهب ضوء الشمس فبينما هم كذلك اذ تناثرت
النجوم فبينما هم كذلك اذ وقعت الجبال على الارض فتمحرت واضطربت وفزع الجن الى
الانس والانس الى الجن واختلطت الدواب والطيروالوحش وملج بعضهم في بعض فذلك قوله
تعالى واذا الوحوش حشرت أي اختلطت واذا البحار سجرت قال الجن للانس نحن نأتبكم
بالطير فانطلقوا الى البحر فاذا هو نار تاتج قال فبينما هم كذلك اذ نصعدت الارض صعدة
واحدة الى الارض السابعة السفلى والى السماء السابعة العليا فبينما هم كذلك اذ جاءتهم الرياح
فأماتهم وعن ابن عباس قال هي اثنا عشرة خصلة ستة في الدنيا وستة في الآخرة وهي ما ذكر
من بعد (واذا النفوس) أي من كل ذي نفس من الناس وغيرهم (زوجت) أي قرنت بأجسادها
وروى ابن عمر سئل عن هذه الآية فقال يقرن بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح في الجنة
ويقرن بين الرجل السوء مع الرجل السوء في النار وقال الحسن وقتادة ألحق كل امرئ
بشيعته اليهود باليهود والنصارى بالنصارى وقال عطاء زوجت نفوس المؤمنين بالحوار العين
وقرنت نفوس الشياطين بالكافرين (واذا المودة) أي الجارية المدفونة حية كان الرجل
في الجاهلية اذ ولد له بنت فاراد أن يستحييها أو يسلمها من صوف أو شعر ترمي له الابل والغنم
في البادية وان أراد قتلها تركها حتى اذا كانت سداسية فبقول لامها طيبها وزيئها حتى اذهب
بها الى أحماها وقد حفر لها بئرا في الصخر افيذهبهم الى البرقية قول لها انظري فيها ثم يدفنها
من خلقها ويهيل عليها التراب حتى تستوى بالارض وقال ابن عباس كانت الحامل

إذا قربت ولادتها حفرت حفرة فتمحضت على رأس الحفرة فإذا ولدت بتنازعت بهما في الحفرة
وإذا ولدت ولدا حبسته وكانوا يفعلون ذلك لخوف لحوق العار بهم من أجلهن أو لخوف من
الاملاق كما قال تعالى ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق وكانوا يفعلون إن الملائكة نبات الله
فألقوا النبات به فهو أحق بهن وكان مصعصة بن ناجية بمنع الوأد وفيه افتخر
الفرزدق في قوله

ومنا الذي منع الوائدات * واحيا الوئيد فلم تؤاد

(سئلت بأى آى بسبب أى) (ذنب) بأى الجاهلون (قتلت) أى استحققت به عندكم القتل
وهى لم تبأسر سؤال الكونم المفضل الى حد التكليف (فان قيل) مامعنى سؤالها عن ذنبها الذى
قتلت به وهلا سئل الوائد عن موجب قتلها (أجيب) بأن سؤالها وجوابها بتبكيقت لقتالها
نحو ان تبكيقت في قوله تعالى لعيسى عليه السلام أنت قلت للناس اتخذوني وأتى الهين من دون
الله قال سبحانه ما يكون لى ان أقول ما ليس لى بحق وروى أن قيس بن عاصم جاء الى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انى وأدت ثمان بنات كن لى فى الجاهلية فقال صلى الله
عليه وسلم أعنتى عن كل واحدة منهن رقبة قال يا رسول الله انى صاحب ابل فقال له صلى الله عليه
وسلم أهد عن كل واحدة منهن بدنة ان شئت وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال ان المرأة التى
تقتل ولدها تأتى يوم القيامة متعلقا ولدها يدها ملطخا بدمائه فيقول يا رب هذه أمتى وهذه
قتلتنى (وإذا العصف نشرت) أى فتحت بعد أن كانت مطوية والمراد بحف الإعمال التى
كتبت الملائكة فيها أعمال العباد من خير وشر تطوى بالموت وتنشر فى القيامة فيقف كل
انسان على حقيقة ما فعل ما فيها فيقول ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها
وروى عن عمر أنه كان اذا قرأها قال الميت يساق الامر يا ابن آدم وروى أنه صلى الله عليه
وسلم قال يحشر الناس حفاة عراة غفلة أمت سلمة كيف بالنساء فقال شغل الناس بأمت سلمة قالت
وما يشغلهم قال نشر العصف فيها ما قبل الذر وما قبل الخردل وقرأ نافع وابن عامر وعاصم
بتخفيف الشين والباقون بتشديد هاء على تكرير النشر للمبالغة فى تقديح العاصي وتبشير المطيع
وقبل لتكرير ذلك من الانسان (وإذا السماء) أى هذا الجنس كله أفرد له لانه يعلم بالقسرة على
بعضه القدرة على الباقي (كشطت) أى نزعت عن أما كتبها كما ينزع الجلد عن الشاة والغطاء
عن الشئ قال القرطبي يقال كشطت البعير كشطانزعت جلده ولا يقال سلخت لأن العرب
لا تقول فى البعير الا كشطته أو جلده والمعنى أزبلت عما فوقها وقال القرطبي طويت (وإذا
البحيم) أى النار الشديدة التأيج (سعرت) أى أيجت فأضمرت للكفار وزيد فى اجاثم يقال
سعرت النار وأسعرتها روى أنه صلى الله عليه وسلم قال أوقد على النار ألف سنة حتى اجرت
ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت فهى سوداء مظلما
واحتج بهذه الآية من قال النار مخلوقة الآن لانه يدل على أن سعيرها معلق بيوم القيامة
وقرأ نافع وابن ذكوان وعاصم بتشديد العين والباقون بتخفيفها (وإذا الجنة) أى البستان

ذوالاشجار الملتفة والرياض المجيبة (أزلت) أى قربت لاهلها ليدخلوها وقال الحسن
انهم يقربون منها لأنهم اتزول عن موضعها وقال عبد الله بن زيد زينت والزاني في كلام العرب
القربة وقوله تعالى (علمت نفس) جواب اذا أول السورة وما عطف عليها أى علمت كل نفس من
النفوس وقت هذه المذكورات وهو يوم القيامة فالتكبير فيه مثله في فترة خير من جراحة ودلالة
هذا السياق للهول على ذلك يوجب اليقين فيه (ما) أى كل شئ (أحضرت) من خير وشر روى
عن ابن عباس وعمر أنهما قرآ فلما بلغا علمت نفس ما أحضرت فاللهذا أجزيت القصة قال
الرازي ومعلوم ان العمل لا يمكن احضاره فالمراد ان ما أحضرت به في صحائفها أو ما أحضرت به
عند المحاسبة وعند الميزان من آثار تلك الاعمال وعن ابن مسعود أن قارئا قرأها عنده
فلما بلغ علمت نفس ما أحضرت قال واقطع ظهره (فلا أقسم) لا مزيدة أى أقسم (بالحسن
الجوار الكنس) هى النجوم الخمسة زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد تجنس
بضم النون أى ترجع في مجراها وراءها ينظر النجم في آخر البرج اذ كـتراجعا الى قوله
وتكنس بكسر النون تدخل في كلها أى تغيب في المواضع التى تغيب فيها خفوسها رجوعها
وكنوسها اختفاؤها تحت ضوء الشمس وقيل هى جميع الكواكب تنفس بالنهار فتغيب
عن العيون وتكنس بالليل أى تطلع فى أماكنها كالوحش فى كنسها (والليل) أى الذى هو محل
ظهور النجوم وزوال خفوسها وذهاب كنوسها (اذا عسعس) قال البغوى قال الحسن أقبل
بظلامه وقال آخرون أدبرت قول العرب عسعس الليل وسعسع اذا أدبر ولم يبق منه الا القليل
(والصبح اذا تنفس) أى امة حتى يصير نهارا ينطق بالليل اذا اذا تنفس ومعنى التنفس
خروج النسيم من الجوف وفى كيفية المجاز قولان الاول انه اذا أقبل الصبح أقبل باقباله
روح ونسيم فجعل ذلك نفسا له على المجاز فقبل تنفس الصبح الثانى أنه شبه الليل المظلم
بالمكروب المحزون الذى حبس بحيث لا يتحرك فاذا تنفس وجد راحة فهنا لما طلع الصبح فكانه
تخلص من ذلك الحزن فعبّر عنه بالتنفس وقوله تعالى (انه) أى القرآن (لقول رسول كـ) كـ
هو المقسم عليه والمعنى انه لقول رسول عن الله تعالى كريم على الله تعالى أى انتفت عنه وجوه
المذام كلها وثبت له وجوه المحامد كلها وهو جبريل عليه السلام وأضاف الكلام اليه لانه قاله
عن الله عز وجل (ذى قوة) أى شديد القوى روى الفخما عن ابن عباس أنه قال من قوته
قلعه مدائن قوم لوط بقوادم جناحه فرفعها الى السماء ثم قابها وأبصر ابليس يكلم عيسى عليه
السلام على بعض عقاب الارض المقدسة فنفخه بجناحه فنفخه ألقاه الى أقصى جيل بالهند
وصاح صيحة بثود فأصبحوا جاثين ويهبط من السماء الى الارض ويصعد فى أسرع من
الطير (عند ذى العرش) أى الملك الاعلى المحيط عرشه بجميع الاكوان الذى لا عند
فى الحقيقة الا هو الله سبحانه وتعالى وقوله تعالى (مكين) أى ذى مكانة متعلق به عند أى
ذى منزلة ومكانة ليس عندية جهة بل عندية اكرام وتشرىف كقوله تعالى أنا عند المنكب مسرة
قلوبهم وقيل قوى فى أداء طاعة الله تعالى وترك الاخلال بها (مطاع ثم) أى فى السموات

قال الحسن فرض الله تعالى على أهل السموات طاعة جبريل عليه السلام كما فرض على أهل الأرض طاعة محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس من طاعة جبريل عليه السلام الملائكة أنه لما أسرى بالنبي صلى الله عليه وسلم قال جبريل عليه السلام لرضوان حازن الجنان افتح له ففتح فدخلها فرأى ما فيها (أمين) أي يبلغ الأمانة على الوحي الذي يجي به وقيل الرسول هو محمد صلى الله عليه وسلم فالمعنى حينئذ قوة على تبليغ الوحي مطاع أي يطيعه من أطاع الله تعالى (وما صاحبكم) أي الذي طالت صحبته لكم وأنتم تعلمون أنه في غاية الكمال حتى أنه ليس له وصف عندكم إلا الامين وهو محمد صلى الله عليه وسلم وهذا عطف على أنه إلى آخر المقسم عليه وأغرق في النقي فقال تعالى (مجننون) أي كما زعمتم بهم في قوله بل يخافون الحق وصدق المرسلين فما القرآن الذي يتلوه عليكم قول مجنون ولا قول متوسط في العقل بل قول أعقل العقلاء وأكمل الكمل * (تنبيه) * استدلل بذلك بعضهم على فضل جبريل عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم حيث عتد فضائل جبريل عليه السلام واقترعوا على نفي الجنون عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو كما قال البيضاوي ضعيف اذ المقصود منه نفي قولهم انما يعلمه بشر وقولهم أفترى على الله كذبا وقولهم أم به جنة لا تعدد فضله والموازنة بينهما (ولقد رآه) أي رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام على صورته التي خلق عليها وله ستمائة جناح (بالافق البين) أي البين وهو الافق الاعلى الذي عند سدرة المنتهى حيث لا يكون لبس أصلا ولا يكون للشیطان على ذلك المكان سبيل فعرفه حتى المعرفة وقال مجاهد وقادة بالافق الاعلى من ناحية المشرق وعن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام اني أحب أن أراك على صورتك التي تكون فيها في السماء قال لن تقوى على ذلك قال بلى قال فأين تشاء أن أتخيل لك قال بالابطح قال لا يسعى قال فبني قال لا تسعى قال فبعرفات قال ذلك بالخرى أن يستعني فواعده فخرج النبي صلى الله عليه وسلم للوقت فاذا هو بجبريل قد أقبل من جبل عرفات بمشخصة وكاككة قدملا ما بين المشرق والمغرب ورأسه في السماء ورجلاه في الأرض فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم خر مغشيا عليه قال فتحول جبريل عن صورته فضعه الى صدره وقال يا محمد لا تخف فكيف لو رأيت اشراقا قبل ورأسه تحت العرش ورجلاه في الخوم السابعة وإن العرش اعلى كاهل وأنه ليستضاءل احبنا نمن مخافة الله تعالى حتى يصير مثل الوضع يعني العصفور حتى ما يحمل عرش ربك الاعظمته وقيل ان محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه عز وجل بالافق المبين وهو قول ابن مسعود وقد مر ذلك في سورة النجم (وما) أي وسمعه ورآه والحال انه ما (هو) أي محمد صلى الله عليه وسلم (على الغيب) أي ما تاب من الوحي وخبر السماء ورؤية جبريل وغير ذلك مما أخبر به وقرأ (بظنين) ابن كثير وأبو عمر والكسائي بالطاء المشالة من الظنة وهي التهمة أي فليس بهمتم والباقون بالضاد موافقة للمرسوم من الضن وهو الخجل أي فليس بخجل بالوحي فيروى بعضه أو يستدل تعلمه فلا يعلم كما يكتم الكاهن ما عنده حتى يأخذ عليه حلوا ناوهو في مصحف عبد الله بالطاء وفي مصحف أبي بالضاد وكان صلى الله عليه وسلم يقرأ

بهم ما قال الزمخشري واتقان الفصل بين الضاد والظاء واجب ومعرفة مخارجهم مما عملا بآدمه
 للقارئ فان أكثر العجم لا يفرقون بين الحرفين وان فرقوا فارقا غير صواب وبينهم ما يرون
 بعيدا فان مخرج الضاد من أصل حافة اللسان وما يليه من الأضراس من عيين اللسان أو يساره
 وكان عمر بن الخطاب أضبط يعمل بكتايبه وكان يخرج الضاد من جاني لسانه وهي أحد
 الاسرف الشجرية أخت الجيم والشين وأما الظاء فخرجها من طرف اللسان وأصول النبايا
 العليا وهي أحد الاحرف الذوقية أخت الذال والهاء ولو استوى الحرفان لما ثبتت في هذه
 الكلمة قراءتان اثنتان واختلاف بين جبليين من جبال العلم والقراءة ولما اختلف المعنى
 والاشتقاق والتركيب فان قلت فان وضع المصلي أحد الحرفين مكان صاحبه قلت هو كوضع
 الذال مكان الجيم والهاء مكان السين لان التقاوت بين الضاد والظاء كالقفاوت بين أخواتهما
 اه كلامه بحروفه (وما هو) أي القرآن الذي من جملة مجزاته الاخبار بالمغيبات وأغرق
 في النقي بالتأ كيد بالباء فقال تعالى (بقول شيطان) أي مسترق للسمع فيوجهه إليه كما يوجهه
 الى بعض الكهنة (رجيم) أي مرحوم مطرود بعيد من الرحمة وذلك ان قريشا كانوا يقولون
 ان هذا القرآن يجي به شيطان فيأقيه على لسانه يريدون بالشيطان الايض الذي كان يأتي
 النبي صلى الله عليه وسلم في صورة جبريل يريد أن يقتله فنفى الله تعالى ذلك وقوله تعالى (فأين)
 منصوب بقوله تعالى (تذهبون) لانه ظرف مبهم وقال أبو البقاء أي الى أين فحذف الجار أي
 فأى طريق تسلكون في انكاركم القرآن واعراضكم عنه وفي هذا استضلال لهم
 فيما يسلكون من أمر النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن كقولك لتارك الجادة أين تذهب (ان)
 أي ما هو) أي القرآن الذي أتاكم به الرسول (الاذكر) أي عظة وشرف (للعالمين) من اناس
 وجن وملاك وقوله تعالى (لمن شاء منكم) بدل من العالمين باعادة الجار (أن يستقيم) باتباع الحق
 قال أبو جهل الامر اليان شئنا استقمنا وان شئنا لم نستقم وهذا هو القدر وهو رأس القدرية
 فنزل (وما نشأون) الاستقامة على الحق (الا أن يشاء الله) أي الا وقت أن يشاء الملك الاعظم
 الذي بيده كل شئ مشيتكم الاستقامة عليه (رب العالمين) أي مالك الخلق وفي هذا اعلام
 ان أحدا لا يعمل خيرا الا بتوفيق الله تعالى ولا شرا الا بخذله وقلع البغوى في أول السورة
 باسنادها الى ابن عمر رضي الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم قال من أحب أن ينظر في يوم القيامة
 فليقرأ اذا الشمس كورت وأما قول البيضاوي تبعا للزمخشري أنه صلى الله عليه وسلم قال من
 قرأ سورة التكموير أعاده الله أن يفصح به حين تنشر صحيفة حديثه وموضوع

﴿سورة الانظار مكية﴾

وهي تسع عشرة آية وثمانون كلمة وثلثمائة وسبعة وعشرون حرفا

(بسم الله) الذي خلق كل شئ فقدره تقديرا (الرحمن) الذي دبر الكائنات تدبيرا (الرحيم) الذي
 أرسل رسوله للخلق نذيرا (اذا السماء) أي على شدة احكامها واتساقها وارتفاعها (انفطرت)

أى انشقت لنزول الملائكة كقوله تعالى ويوم تشق السماء بالغمام (واذا الكواكب) أى
 النجوم الصغار والكبار كلها الغراء الزاهرة المتوقدة توقد النار المرصعة ترصيع المسامير
 (انتثرت) أى تساقطت متفرقة لأن عند انتقاض تركيب السماء تنتثر النجوم على الأرض
 (واذا البحار) المتفرقة فى الأرض وهى ضابطة لها أتم ضبط النفع العباد على كثرتها (لجرت)
 أى فتح بعضها فى بعض فاختلف العذب بالمح والزال البرزخ الذى بينهما فصارت البحار بحرا واحدا
 وروى أن الأرض تنشق الماء بعد ما تلاء البحار قصير مستوية وهو معنى التسجير عند الحسن
 فى قوله تعالى وإذا البحار سجرت وقال هنا لجرت بغت (واذا القبور) أى مع ذلك كله (بعثت)
 أى قلبت يقال بعثه وبجثه بالعين والحاء قال الزمخشري وهما مكران من البعث والبعث
 مع راء مضهومة اليهما أى فهم ما عنى والمعنى قلب أعلاها أسفلها وأقلب باطنها ظاهرها وخرج
 ما فيها من الموتى أحياء وقيل التبعثر أخرج ما فى بطنها من الذهب والفضة ثم تخرج الموتى بعد
 ذلك وجواب إذا أول السورة وما عطف عليه (علت نفس) أى كل نفس وقت هذه المذكورات
 وهو يوم القيامة (ما قدمت) من عمل (وأخرت) أى جميع ما علمت من خيرا وأشرا وغيرهما
 (فان قيل) أى وقت من القيامة يحصل هذا العلم قال الرازى أما العلم الاجالى فيحصل فى أول
 زمان الحشر لأن المطيع يرى آثار السعادة والعاصى يرى آثار الشقاوة فى أول الامر وأما
 العلم التفصيلي فانه يحصل عند قراءة الكتب والمحاسبة وقوله تعالى (يا أيها الإنسان) أى
 البشر الآنس بنفسه الناسي لما يعنيه خطاب لمنكرى البعث وروى عطاء عن ابن عباس أنها
 نزلت فى الرايد بن المغيرة وقال الكلبي ومقاتل نزلت فى أبي الشريق ضرب النبي صلى الله عليه
 وسلم فلم يعاقبه الله تعالى فى أول أمره وقيل تناول جميع العصاة لأن الاعتبار به يوم اللفظ
 لا بخصوص السبب (ما غرل ربك) أى ما خدعك وسؤل لك الباطل حتى تركت ما أوجب
 عليك الحسن اليك وأنت بالمحرمات (الكريم) أى الذى له الكمال كله المقتضى لأن لا يهمل
 الظالم ولا يسوى بين المحسن والمسيء هذا إذا جلنا الإنسان على جميع العصاة فان جلناه على
 الكافر وهو ظاهر الآية فالمدنى ما الذى دعاك الى الكفر وأنكار الحشر والنشر (فان قيل)
 كونه كريما يقتضى أن يغفر الإنسان بكرمه لانه جواد مطلق والجواد الكريم يستوى عنده
 طاعة المطيع وعصيان المذنب وهذا يوجب الاعتذار كما روى عن علي بن أبي طالب رضى الله
 تعالى عنه أنه صبح بغلام له مرات فلم يلبه فتنظر فاذا هو بالباب فقال له لم لا تنجيبنى فقال لتقتى بملك
 وأمنى عقوبتك فاستحسن جوابه وأعفته وقالوا أيضا من كرم ساء أدب غلمانه وأذا ثبت أن كرمه
 يقتضى الاعتذار به فكيف جعله عنهما ما يعمان الاعتذار (أجيب) بأن حق الإنسان أن لا يغفر
 بـ كرم الله تعالى عليه حيث خلقه حيا وتفضل عليه فهو من كرمه لا يعاجل بالعقوبة بسطا
 فى مدة التوبة وتأخير الجزاء الى أن يجمع الناس الجزاء فالحاصل ان تأخير العقوبة لاجل
 الكرم وذلك لا يقتضى الاعتذار بهذا التفضيل فانه منكر خارج عن حد الحكمة ولهذا قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تأتلاها غرته جهله وقال عمر غرته جمعه وجهله وقال الحسن

غزه والله شيطانه الخبيث أي زين له المعاصي وقال له افضل ما شئت فربك الكريم الذي تفضل
عليك بما تفضل به أو لا وهو مفضل عليك آخر احتى وزطه وقيل للفضيل بن عياض ان أقامك
الله يوم القيامة وقال لك ما غرتك بربك الكريم ماذا تقول له قال أقول غرتني ستورك المرحاة
وهذا على سبيل الاعتراف بالخطا في الاعتذار بالسوء وليس باعتذار كما يظنه العامة ويظن به
قصاص الحشوية ويروون عن أئمتهم انما قال بربك الكريم دون سائر صفاته ليلقن عبده الجواب
حتى يقول غرتني كرم الكريم وقال مقاتل غزه عفو الله حيث لم يعاقبه أو لمرة وقال السدي
غزه رفق الله تعالى به وقال قتادة سبب غرور ابن آدم تسويل الشيطان وقال ابن مسعود
ما منكم من أحد الا سبخلوا الله تعالى به يوم القيامة فيقول ما غرتني يا ابن آدم ماذا علمت
فيما علمت يا ابن آدم ماذا أجببت المرسلين (الذي خلقك) أي أوجدك من العدم مهيا بتقدير
الاعضاء (فسواله) عقب تلك الاطوار بتصوير الاعضاء والمنافع بالفعل (فعدلك) أي جعل
كل شيء من ذلك سليما مودعا فيه قوة المنافع التي خلقه الله تعالى لها * (تنبه) * قوله تعالى الذي
يحتمل الاتباع على البذل والبيان والنعت والقطع الى الرفع والنصب * وأعلم أنه سبحانه وتعالى
لما وصف نفسه بالكرم ذكر هذه الامور الثلاثة كالدلالة على تحقيق ذلك الكرم فقوله سبحانه
الذي خلقك أي بعد أن لم تكن لاشك أنه كرم لانه وجوده والوجود خير من العدم والحياة خير
من الموت كما قال تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم وقوله تعالى فسواله أي
جعلك مستويا الخلقه سالم الاعضاء غايه في الكرم كما قال تعالى أكفرت بالذي خلقك من تراب
ثم من نطفة ثم سواك رجلا أي معتدل الخلق والاعضاء وقال ذو النون المعري أي ضررك
المكروبات أجمع وما جعلك مسخر النسي منها ثم أنطق لسانك بالذكرو قلبك بالعقل وروحك
بالمعرفة ومذك بالابحان وشر فك بالامر والنهي وفضلك على كثير من خلق تفضيلا وقرأ عاصم
وجزة والكسائي تخفيف الدال والباقون بالتشديد يعني جعلك متناسبا الاطراف فلم يجعل
احدى يديك أو رجلتك أطول ولا احدى عينيك أوسع فهو من التعديل وهو كقوله تعالى
بلى قادرين على أن نسوي بنانه وقال عطاء عن ابن عباس جعلك قائما مع تدلا حسن الصورة
لا كالبهيمة المنخمية وقال أبو علي الفارسي عدلك خلقك في أحسن تقويم مستويا على جميع
الحيوان والنبات وواضلا في السكال الى ما لم يصل اليه شيء من أجسام هذا العالم وأما قراءة
التخفيف فتحتمل هذا الى عدل بعض أعضائك ببعض ويحتمل أن يكون من العدول أي صيرفك
الى ما شاء من الهيات والاشكال ونقل القفال عن بعضهم انه ما لغتان بمعنى واحد (في أي
صورة) أي من الصور التي تعرفها والتي لا تعرفها من الدواب والطيور وغير ذلك من الحيوان
وغيره وما في قوله تعالى (ما شاء) مزيدة وفي أي متعلق بركب في قوله تعالى (وركبك) أي ركبك
في أي صورة اقتضت أمشيته وحكمته من الصور المختلفة في الحسن والقبح والطول والقصر
والذكورة والأنوثة والشبه ببعض الاقارب وخلاف الشبه (فان قيل) هلا عطف هذه الجملة
كما عطف ما قبلها (اجيب) بأنها بيان لعدلك ويجوز ان يتعلق بمخدوف أي ركبك حاملا في بعض

الصور ويجله الغيب على الحال ان علق بمحذوف ويجوز ان يتعلق بعد ذلك ويكون في أي معنى
 التجب أي فعل ذلك في صورة عجيبة ثم قال ما شاء ركبك من التراكيب يعني تركيباً حسناً وقوله
 تعالى (كَلَّا) ردع عن الاعتزاز بكرم الله تعالى والتعلق به وهو موجب الشكر والطاعة الى
 عكسه ما الذي هو الكفر والمعصية وقوله تعالى (بَلْ تَكذبون) أي يا كفار مكة (بالدين) اضراب
 الى ما هو السبب الاصل في اعتزازهم والمراد بالدين الجزاء على الاعمال والاسلام (وَأَنْ) أي
 والحال ان (عليكم) أي عن أفعالهم من جندنا من الملائكة (لحافظين) أي على أعمالكم بحيث
 لا يخفى عليهم منها جليل ولا حقير (كراما) أي على الله تعالى (كاتبين) أي لهذه الاعمال في الصحف
 كما تكتب المشهود منكم العهد وليقع الجزاء على غاية التحريم (تنبيه) * هذا الخطاب وان كان
 خطاب مشافهة الا ان الامة أجمعت على عموم هذا الخطاب في حق المكلفين وقوله تعالى حافظين
 جمع يحتمل أن يكونوا حافظين لجميع بني آدم من غير أن يمتص واحد من الملائكة بواحد من بني
 آدم ويحتمل أن يكون الموكل بكل واحد منهم غير الموكل بالآخر ويحتمل أن يكون الموكل بكل
 واحد منهم جماعاً للملائكة كما قيل اثنتان بالليل واثنتان بالنهار وكما قيل انهم خمسة واختلفوا
 في الكفار هل عليهم حافظة فمقل لان أمرهم ظاهر وعملهم واحد قال تعالى يعرف المجرمون
 بسماتهم وقيل عليهم حافظة وهو ظاهر وقوله تعالى بل تكذبون بالدين وان عليكم لحافظين وقوله
 تعالى وأما من أوفى كتابه بشعاله وقوله تعالى وأما من أوفى كتابه وراء ظهره فأخبر أن لهم
 صحفاً ما و أن عليهم حافظة (فان قيل) فأي شيء يكتب الذي عن عيونه ولا حسنة له (أجيب) بأن
 الذي عن شماله يكتب بأذن صاحبه ويكون صاحبه شاهداً على ذلك وان لم يكتب وفي هذه الآية
 دلالة على أن الشاهد لا يشهد الا بعد العلم لوصف الملائكة بكونهم حافظين كراما كاتبين (يعلمون)
 أي على التجرد والاستمرار (ما يفعلون) فدل على أنهم يكونون عالمين بما احق انهم يكتبونه فاذا
 كتبوها يكونون عالمين عند أداء الشهادة وفي تعظيم الكتابة تعظيم لأمر الجزاء فانه عند الله من
 جلائل الأمور ولولا ذلك لما وكل بضبط ما يحاسب عليه وفيه اندازة وتحويل للعبادة ولطف
 بالمؤمنين وعن الفضيل انه كان اذا قرأها قال ما أشد هامن آية على العاقلين * ولما وصف تعالى
 الكرام الكاتبين لعمال العباد ذكر أحوال العالمين وقسمهم قسمين وبدأ بقسم أهل السعادة
 فقال تعالى (أَنْ الْاَبْرَارَ) أي المؤمنين الصادقين في ايمانهم بأداء فرائض الله تعالى واجتناب
 معاصيه (لَنْ نَعِيبَ) أي محيط بهم أبداً بالدين وهو نعيم الجنة الذي لا نهاية له * ثم ذكر قسم أهل
 السقاوة بقوله تعالى (وَأَنْ الْفُجَارَ) الذين من شأنهم الخروج عما ينبغي الاستقرار فيه من رضا
 الله تعالى الى معصيته وهم الكفار (لَنْ يَحْمِلَ) أي نار مجرقة تتوقد غاية التوقد فهم فيها أبداً
 لا بد من (يصلونها) أي يدخلونها ويقاسون حرها (يوم الدين) أي يوم الجزاء وهو يوم القيامة
 (وما هم عنها) أي الجحيم (بغائبين) أي مخرجين ويجوز ان يراد يصلون النار يوم الدين وما يغيبون
 عنها قبل ذلك في قبورهم وقيل أخبر الله تعالى في هذه السورة أن لابن آدم ثلاث حالات حالة
 الحياة التي يحفظ فيها عمله وحالة الاسرة التي يجازي فيها وحالة البرزخ وهو قوله تعالى وما هم

عنهما بقا يسين وزوى آن سليمان بن عبد الملك قال لابي حازم المدني لبت شنعري ما لنا عند الله
قال اعرض علك على كتاب الله تعالى فانك تعلم مالك عند الله تعالى قال فاین أجد ذلك في كتاب
الله قال عند قوله تعالى ان الابرار لاني نعيم الآية قال سليمان فاین رجة الله تعالى قال قريب من
الحسين * ثم عظم سبحانه وتعالى ذلك اليوم فقال (وما أدراك) أي وما أعلمك وان اجتمدت في
تطلب الدراية به (ما يوم الدين) أي أي شيء هو في طوله وهوله وقطاعته وزلاله ثم كره تعجب الشأنة
فقال تعالى (ثم ما أدراك) أي كذلك (ما يوم الدين) أي ان يوم الدين الذي بحيث لا تدركه دراية
داركنه في الهول والشدة وكيفما اتصورته فهو فوق ذلك وعلى أضعافه والتكرير لزيادة التحويل
ثم أجل تعالى القول في وصفه فقال سبحانه (يوم لا تقول) أي بوجه من الوجوه في وقت ما (نفس)
أي أي نفس كانت (النفس شياً) أي قل أو جل وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ويرفع يوم على أنه خبر مبتدأ
مضمر أي هو يوم وجوز الزمخشري أن يكون بدلاً عما قبله يعني يوم الدين والباقون بالغتج باضمار
أعني أو اذكر (والامر) أي كاه (يومئذ) أي اذ كان البعث الجزاء (لله) أي ملك الملوك
لا امر لغيره فيه فلا يملك الله تعالى في ذلك اليوم أحداً شيئاً كما ملكهم في الدنيا وقول البيضاوي
تبعاً للزمخشري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة انفطرت كتب الله له بعدد كل
قراءة من السما خمسة وبعده كل قبر حسنة حديث موضوع

﴿سورة المطففين مدنية﴾

في قول الحسن وعكرمة ومقاتل قال مقاتل وهي أول سورة نزلت بالمدينة وقال ابن عباس
وقتادة مدينة الاثمان آيات وهي قوله تعالى ان الذين أخرجوا الى آخرها فهو مكى وقال الكلبي
وجابر بن زيد نزلت بين مكة والمدينة ولعل هذا هو سبب الاختلاف وقال ابن مسعود والفضال
مكية وهي ست وثلاثون آية ومائة وتسع وتسعون كلمة وسبع مائة وثمانون حرفاً

(بسم الله) الذي من توكل عليه كفاه (الرحمن) الذي عظم جوده الابرار والعصاة (الرحيم)
الذي خص أهل طاعته بهداه (ويل) مبتدأ وسوخ الابتداء به كونه دعاء وهو آية عذاب
أو هلاك ثابت عظيم في كل حال من أحوال الدنيا والآخرة أو وادى جهنم وقوله تعالى
(للمطففين) خبره والتطفيف الخس في الكيل والوزن لان ما يخفى شيء طفيف حقير قال الزجاج
وانما قيل للذي ينقص المكيال والميزان مطفف لانه لا يكاد يسرق في المكيال والميزان الا الشيء
اليسير الطفيف وروى ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وكانوا من
أجنس النحاس كيلاً فترزت فأحسنوا الكيل فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأها عليهم
وقال خيس بخمس قيل يا رسول الله ما خيس قال ما نقص قوم العهد الا سلب الله تعالى عليهم
عذوبتهم ولا حكموا بغير ما أنزل الله الا فساد فيهم الفقر ولا ظهرت فيهم الفاحشة الا فساد فيهم الموت
ولا طفقوا المكيال الامنعوا النيات وأخذوا بالثمين ولا منعوا الزكاة الا خيس عنهم المطر وقال
السدي قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وفيها رجل يعرف بأني جهينة ومعه صاعان

يكيل بأحد عساو يكال بالآخر فقلت وقيل كان أهل المدينة تجار يطففون وكانت ياعاتهم
المناذرة والملازمة والمخاطرة فقلت وعن علي أنه من رجل زين الزعفران وقد أربح فقال له أقم
الوزن بالقسط ثم أربح بعد ذلك ما شئت كأنه أمر بالتسوية أو لا يعتادها أو يفصل الواجب من
الذيل وعن ابن عباس أنكم معشر الأعاجم وليتم أمرين من ممالك من كان قبلكم المكيل
والميزان وخص الأعاجم لأنهم يجمعون الكيل والوزن جميعا وكانا مفرقين في الحرمين كان أهل
مكة يزنون وأهل المدينة يكيلون وعن ابن عمر أنه كان يمر بالبائع فيقول اتق الله وأوف الكيل
فإن المطففين يوقفون يوم القيامة لعظمة الرحمن حتى إن العرق يلجمهم إلى أنصاف آذانهم وعن
عكرمة أشهد أن كل كيال ووزان في النار فقبل له إن أسكت كيال أو وزان فقال أشهد أنه في النار
وعن أبي لؤي الحواري عن رزق في رؤس المكائيل وأسن الموازين * ثم بين تعالى المطففين
منهم بقوله تعالى (الذين إذا اكالوا) أي عالجوا الكيل (على الناس) أي كائنين من كانوا
لا يخافون شيئا ولا يراعون أحدا بل صارت الله والوفاء لهم ديننا (يستوفون) أي إذا
كألوا منهم وأبدل على مكان من الدلالة على أن أتميا لهم من الناس أكسال يضرهم ويتخامل
فيه عليهم ويجوز أن يتعلق على يستوفون ويقدم المفعول على الفعل لإفادة الخصوصية أي
يستوفون على الناس خاصة وأما أنفسهم فيستوفون لها وقال القراء من وعلى به عاقبان في هذا
الموضع لأنه حتى عليه فإذا قال ا كنت عليك فكأنه قال أخذت ما عليك وإذا قال ا كنت
منك فكأنه استوفيت منك (وإذا كالوهم) أي كألوا الناس أي حقهم أي ما لهم من الحق
(أو ووزوهم) أي ووزوا لهم فحذف الجار وأوصل الفعل كما قال القائل
ولقد جئنيكأ كموأعسا قلا * ولقد هيئت عن نبات الأوبر

وقال آخر والحريص يصيدك لا الجواد بمعنى جئت لك ويصيدك ويقال وزنتك حقك وكنتك
طعامك أي وزنت لك وكنت لك ونصحت لك وكسبتك وكسبت لك والأكو جمع كاة
والعساقل ضرب منها وأصله عساقل لأن واحد عساقل كعصفور فحذف الباء للضرورة
وبسات أو برضرب من الكافة ردي (يخسرون) جواب إذا وهو يتعدى بالهمزة يقال خسرت
الرجل وأخسرت أمانه فمفعوله مخدوف أي يخسرون الناس متاعهم وقيل يخسرون أي ينقصون
بلغة فارس أي ينقصون الكيل أو الوزن وقوله تعالى (الأيظن أولئك) أي الإخساء البعداء
الأراذل (أنهم مبعوثون ليوم) أي لأجله أوفيه وزاد التحويل بقوله تعالى (عظيم) انكارا
وتعجيبا من حالهم في الاختراء على التطفيف كأنهم لا يحطرون بيسالهم ولا يخمنون تخميناً أنهم
مبعوثون ومحاسنون على مقدار الذرة والحرذلة وقيل الظن بمعنى اليقين وقوله تعالى (يوم) يجوز
نصبه بمبعوثون أو بإضمار أعني أو بدل من محل يوم فناسبه يبعثون (يقوم الناس) أي من قبورهم
(رب العالمين) أي الخلاق لأجل أمره وجزائه وحسابه وعن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه
وسلم قال يوم يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب أحدهم في رشفة إلى أنصاف أذنيه وعن
المقداد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا كان يوم القيامة أدنيت الشمس من

العباد حتى تكون قديم ل أو اثنين قال سليم لا أدري أى الميلىن يعنى مسافة الارض أو الميل
 الذى تكمل به العين قال قدهمهم الشمس فيكونون في العرق بقدر أعمالهم فثم من يأخذه الى
 عقبه ومنهم من يأخذه الى ركبته ومنهم من يأخذه الى حقويه ومنهم من يلجمه الجاما قرأيت
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يشير بيده الى فيه يقول الجاه الجاما وعن قتادة أو يا ابن آدم
 كما تحب أن يوفى لك وأعدل كما تحب أن يعدل لك وعن الفضيل بن عيسى الميزان سواد الوجوه يوم
 القيامة وعن عبد الملك بن مروان أن أعرابيا قال له قد سمعت ما قال الله في المطففين أراد بذلك
 أن المطفف قد توجه عليه الوعيد العظيم الذى سمعت به فحافظك بنفسك وأنت تأخذ أموال
 المسلمين بلا كيل ولا وزن وفي هذا الانكار والتجيب وكلمة الظن ووصف اليوم بالعظم وقيام
 الناس فيه لله تعالى خاضعين ووصفه ذاته برب العالمين بيان بليغ اعظم الذنب وتفاقم الاثم
 في التطفيف وفيما كان في مثل حاله من الحيف وترك القيام بالقسط والعمل على السوية
 والعدل في كل أخذ واعطاء بل في كل قول وعمل وعن ابن عمر أنه قرأ هذه السورة فلما بلغ قوله
 تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين بكى نحيبا وامتنع من قراءة ما بعده وعن بعض المفسرين أن
 لفظ التطفيف يتناول التطفيف في الوزن والكيل وفي اظهار العيب واخفائه وفي طلب
 الانصاف والاتصاف ويقال من لم يرض لآخيه المسلم ما يرضاه لنفسه فليس بنصف والمعاشرة
 والصحبة في هذه المادة والذى يرى عيب الناس ولا يرى عيب نفسه من هذه الجملة ومن طلب
 حق نفسه من الناس ولا يعطيهم حقوقهم كما يطلبه وقوله تعالى (كلا) ردع أى ليس الامر على
 ما هم عليه فليتردعوا وهناتم الكلام وقال الحسن كذا ابتداء متصل بما بعده على معنى حقا
 وجرى الجلال الهلى وأ كثر المفسرين على الاول (ان كتاب الفجار) أى كتب اعمال الكفار
 وأظهر موضع الاضمار تعميما وتعليقا لكم بالوصف واختلف في معنى قوله سبحانه وتعالى (لن
 سيجن) فقيل هو كتاب جامع وهو ديوان الشردون الله تعالى فيه أعمال الشياطين وأعمال الكفرة
 والفسقة من الجن والانس وقيل هو مكان تحت الارض السابعة وهو محل ابليس وجنوده
 وقال عبد الله بن عمر سجين في الارض السابعة السفلى فيها أرواح الكفار وعن البراء قال قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم سجين أسفل سبع أرضين وعليون في السماء السابعة تحت
 العرش وقال الكلبي هو خضرة تحت الارض السابعة خضرة السموات منها يجعل كتاب
 الفجار فيها وقال وهب هي آخر سلطان ابليس وعن كعب الاحبار أن روح الفاجر يعنى الكافر
 يصعد بها الى السماء فتأبى السماء ان تقبلها ثم يهبط بها الى الارض فتأبى الارض ان تقبلها
 فتدخل تحت سبع أرضين حتى ينتهى بها الى سجين وهو موضع جنس ابليس وذلك استهانة بها
 ويشبهها الشياطين المدحورون كما يشهد ديوان الخير الملائكة المقربون وقال عكرمة لنى
 سجين أى في خسار وضلال (وما أدراك) أى جعلك داريا وان اجتهدت في ذلك (ما سجين) وقال
 الزجاج أى ليس لك ذلك ما كنت تعلم أنت ولا قومك وقوله تعالى (كتاب مرقوم) ليس تفسيره
 له سجين بل هو بيان للكتاب المذكور في قوله تعالى ان كتاب الفجار أى هو كتاب مرقوم أى مرسوم

بين الكتابة مكتوب فيه أعمالهم مثبت عليهم كالرقم في الثوب لا يفسى ولا يمحى حتى يجازون
 به أو يعلم يعلم من رآه أنه لأخبر فيه وقيل الرقم الختم بلغة جبر وافتصر على هذا الجلال المحلى وقال
 قتادة رقم عليه بشركانه علم بعلامته يعرف بها أنه كافر والمعنى أن ما كتب من أعمال الفجار
 مثبت في ذلك الديوان وسمى حينئذ فعلا من السجن وهو الحبس والتضييق في جهنم أولاته
 مطروح تحت الأرض كما مر (فان قيل) سجين هل هو اسم أو صفة (أجيب) بأنه اسم علم منقول
 من وصف كاتم وهو منصرف لأنه ليس فيه الاسبب والحد وهو التعريف (ويل) أى أعظم
 الهلاك (يومئذ) أى اذ تقوم النائمات تدم (للمكذبين) أى بذلك أو بالحق وقوله تعالى
 (الذين يكذبون يوم) أى بسبب الأخبار يوم (الدين) أى الجزاء الذى هو سر الوجود بدل
 أو بيان للمكذبين * ثم أخبر عن صفة من يكذب يوم الدين ثلاث صفات ذكر أولها بقوله تعالى
 (وما) أى والحال أنه ما (يكذب به) أى بذلك اليوم (الكل معتد) أى متجاوز عن النظر
 غال في التقليد حتى استقصى قدرة الله تعالى وعمله فاستحال منه الاعادة * ثم ذكر الصفة الثانية
 بقوله تعالى (أنهم) أى منهم من يكذب في الشهوات المخرجة بحيث اشتغل عما وراءها وجلته على الانكار
 لماعداها * ثم ذكر الصفة الثالثة بقوله تعالى (إذا تلى عليه آياتنا) أى القرآن (قال أساطير
 الأولين) أى الحكايات سطرت قديما جمع أسطور بالضم وذلك لفرط جهله واعراضه عن الحق
 فلا تنفعه شواهد النقل كما لا تنفعه دلائل العقل وهذا عام في كل موصوف بذلك وقال الكلبي هو
 الوليد بن المغيرة وقيل هو النضر بن الحرث وقوله تعالى (كلا) ردع وزجر أى ليس هو أساطير
 الأولين وقال الحسن معناها حقا كما مر (بل ران) أى غلب وأحاط وغطى تغطية الغيم السماء
 (على قلوبهم) أى كل من قال هذا القول (ما كانوا يكسبون) أى كما يركب الصدام من أصرارهم
 على الكبر وتسويق التوبة حتى طبع على قلوبهم فلا تقبل الخير ولا تقبل اليه روى أبو هريرة أن
 رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن المؤمن إذا أذنب ذنبا نكتت بكنته سوداء في قلبه فان تاب
 ونزع واستغفر صقل قلبه منها وإذا زاد زادت حتى تعاقب قلبه فذلكم الران الذى ذكره الله تعالى في
 كتابه المبين وقال أبو معاذ الران أن يسود القلب من الذنوب والطبع أن يطبع على القلب وهو
 أشد من الران والاقفال أشد من الطبع وهو أن يقفل على القلب قال تعالى أم على قلوب أقفالها
 وقال الحسن هو الذنب على الذنب حتى تحيط الذنوب بالقلب ويقضى فيوت القلب قال صلى الله
 عليه وسلم أياكم والمهقرات من الذنوب فان الذنب على الذنب يوقد على صاحبه جحima فخمة وعن
 الحسن الذنب بعد الذنب يسود القلب يقال ران عليه الذنب وقمان عليه ريتا وغينا والغين الغيم
 ويقال ران فيه الذنوم رجع فيه ورانت به الخمرة ذهبت به وقر أجرة وشعبه والصكبات
 بالامالة محضة والمباقون بالفتح وسكت حفص على اللام وقفة لطيفة من غير قطع والمباقون بغير
 سكت وقوله تعالى (كلا) ردع عن الكسب الران على قلوبهم وقيل بمعنى حقا كما مر (أنهم عن
 ربهم) أى المحسن إليهم (يومئذ لمحبوبون) أى فلا يرونه بخلاف المؤمنين فانهم يرونه كما كانت
 لثى الأحاديث المصنعة وقال الحسن لو علم الزاهدون والعابدون أنهم لا يرون ربهم في المعاد

لرقت أنفسهم في الدنيا وسئل مالك عن هذه الآية فقال لما حجب أعداءه فلم يروهم تجلي لأوليائه
حتى رأوه وفي قوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون دلالة على أن أولياء الله يرون الله تعالى
ومن نبي الرؤية كالمحشمري جعله تمهيدا للاستحقاق بهم واهانتهم لانه لا يؤذن على الملوك الا
الالوجهاء والمكرمين لديهم ولا يجيب عنهم الا الاذياب المهاجون عندهم وعن ابن عباس
وقادة محجوبون عن رحمة وعن ابن كيسان عن كرامته (ثم انهم) أي بعد ما شاء الله تعالى من
امهالهم (لصالحين) أي لداخلوا النار المحرقة (ثم يقال) أي تقول لهم الخزنة (هــ) أي
العذاب (الذي كنتم به تكذبون) أي في دار الدنيا وقوله تعالى (كلا) ردع عن التكذيب وقيل
معناها حقا كما مر وقال البيضاوي تكرر للاول ليعقب بوعدا الارباب كما عقب بوعيد الفجار
اشعار بأن التعذيب بغور والافاء يزور ردع عن التكذيب (ان كتاب الارباب) أي كتب اعمال
المؤمنين الصادقين في ايمانهم (التي عليين) وعلون علم لديوان الخير الذي دقن فيه كل ما عملته
صلحاء النقلين منقول من جمع فصيل من العلوك سمعين من السجن ممي بذلك اما لانه سبب
الارتفاع الى أعالي الدرجات في الجنة واما لانه مرفوع في السماء السابعة حيث يسكن الكرويون
تكريما له وتعلينا وروي ان الملائكة تصعد بعمل العبد فيسبغونه فاذا انتهوا به الى ما شاء الله
من سلطانه أوحى اليهم انكم الحفظة على عبيدي وانا الرقيب على ما في قلبه وانه أخلص عمله
فاجعلوه في عليين وقد غفرت له وانما تصعد بعمل العبد فيسبغونه فاذا انتهوا به الى ما شاء الله
أوحى اليهم انتم الحفظة على عبيدي وانا الرقيب على قلبه وانه لم يخلص لي عمله فاجعلوه في عليين
وعن البراء مرفوعا عليين في السماء السابعة تحت العرش وقال ابن عباس هو لوح من زبرجدة
خضراء معلق تحت العرش اعمالهم مكتوبة فيها وقال كعب وقادة هو قاعة العرش المعنى وقال
عطاء عن ابن عباس هو الجنة وقال الضمالة سدرة المنتهى وقال بعض أهل المعاني علو بعد علو
وشرف بعد شرف ولذلك جئت بالباء والنون قال القراء هو اسم موضع على صيغة الجمع لا واحد له
من لفظه مثل عشرين وثلاثين (وما أدراك) أي جعلك داريا وان بالفت في الفحص (ما عليون)
أي ما كتاب عليين هو (كتاب) أي عظيم (مرفوع) أي فيه ان فلانا من من النار رقي اليه من
رقم ما أجهاد وأجمله (يشهد المقربون) يحضرون فيشهدون على ما فيه يوم القيامة ويحفظونه
ولما عظم كتابهم عظم منزلتهم بقوله تعالى (ان الارباب اني نعم) أي في الجنة ثم بين ذلك النعيم
بأمر ثلاثة أوله ا قوله تعالى (علي الارائك) أي الاسرة في الجبال ولا يسمى اربكة الا اذا كان
كذلك والجبال بكسر الحاء جمع جبل وهي بيت يزين بالثياب والستور والاميرة قاله الجوهري
(ينظرون) أي الى ما شاء امد أعينهم اليه من مناظر الجنة والى ما أوالاهم الله تعالى من النعمة
والكرامة والى أعدائهم يعذبون في النار وما تحجب الجبال أبصارهم عن الادراك وقال
الرازي ينظرون الى ربهم بدليل قوله تعالى (تعرف) أي أيها الناظر اليهم (في وجوههم) عند
رؤيتهم (نضرة النعيم) أي بهجته وحسنه ورونقه كما تزي في وجوه الاغنياء وأهل الترفه
أو الخطاب اما النبي صلى الله عليه وسلم أو لكل ناظر وقال الحسن النضرة في الوجه والسرور في

القلب وهذا هو الامر الثاني وأما الثالث فهو قوله تعالى (يسقون من رحيق) أى خرصافية
طيبة وقال مقاتل الخمر البيضاء وقال الرازى لعله الخمر الموصوف بقوله تعالى لافيهما غول
(مختوم) أى ختم ومنع من أن غشه يدالى أن يفسد ختمه الا برار وقال القفال يحتمل أن يكون ختم
عليه تكريهاً له بالصيانة على ما جرت به العادة من ختم ما يكره ويصان وهناك خبر آخرى تجرى
أنها راقوله تعالى وأنها من خمر لذة للشاربين الآن هذا المختوم أشرف من الخارى (ختمه
مسك) أى آخر شربه يفوح منه مسك فاختوم الذى له ختم أى آخر شربه وختم كل شئ الفراغ
منه وقال قتادة يخرج لهم بالكافور ويختتم بالمسك وقال ابن زيد ختمه عند الله مسك وقيل طينه
مسك وقيل تختم أو أتيه من الاكواب والاباريق بمسك مكان الطينة (وفى ذلك) أى الامر العظيم
البعيد التساول وهو العيش والنعيم والشرب الذى هذا وصفه (فليتناقسن) أى فليترغب غاية
الرغبة بجميع الجهد والاختيار (المتنافسون) أى الذين من شأنهم المنافسة وهو أن يطلب كل
منهم ان يكون ذلك المتنافس فيه لنفسه خاصة دون غيره لانه نفيس جداً والنفيس هو الذى
تحرص عليه نفوس الناس وتتعالى فيه والمنافسة فى مثل هذا بكثرة الاعمال الصالحة والنيات
الخالصة وقال مجاهد فليعمل العاملون نظيره قوله تعالى لمثل هذا فليعمل العاملون وقال مقاتل
ابن سليمان فليبارع المتسارعون وقال عطاء قلب متبقي المستبقون وقال الزنجشبرى فليترقب
المرتقبون والمعنى فى الجميع واحد وأصله من الشئ النفيس الذى تحرص عليه نفوس الناس
ويريد كل أحد لنفسه وينفس فيه على غيره أى يضن (ومزاجه) أى ما يمزج به ذلك الرحيق (من
تسليم) وهو علم لعين بعينها سميت بالتسليم الذى هو مصدره اذا رفعه لانها تأتيهم من فوق على
ما روى انه انجرى فى الهوام مسخرة فتصب فى أواني أهل الجنة على وقد ارا الحاجة فاذا امتلأت
أمسكت وقوله تعالى (عيناً) نصب على المدح وقال الزجاج نصب على الحال (يشرب بها) أى
بسيها على طريقة المزج منها (المقربون) وضم يشرب بمعنى يلقونها يشربونهم يشربونهم
سائر أهل الجنة (الذين أجمعوا) أى قطعوا ما امر الله به ان يوصل وهم رؤساء قريش كانوا
من الذين آمنوا وهم فقراء الصحابة عمار وصهيب وخباب وبلال وغيرهم من فقراء المؤمنين
(يضفحكون) أى استمزأ بهم (واذا امروا) أى المؤمنون (بهم) أى بالذين أجمعوا (يتفاضرون)
أى يشربوا الجرمون الى المؤمنين بالحق والحاجب استمزأ بهم وقيل يغمز بعضهم بعضاً ويشيرون
بأعينهم قبل جاء على بن ابي طالب رضى الله عنه فى نفر من المسلمين فسخر منهم المنافقون
وضفحوا وتفاضروا ثم رجعوا الى أصحابهم فقالوا رأينا اليوم الاصلع وضفحوا منه فترأت قبل أن
يصل على إلى النبي صلى الله عليه وسلم (واذا انقلبوا) أى رجع الذين أجمعوا برغبته
فى الرجوع واقبالهم عليه من غير تكرر (الى أهلهم) أى منازلهم التى هى عامرة بجماعتهم وقرأ
جزء والكسائى فى الوصل بضم الهاء والميم وأبو عمر وبكسر الهاء والباقيون بكسر الهاء وضم
الميم (انقلبوا) حالة كونهم (فاكهنين) أى مثلاً الذين بما كان من مكنتهم ورفعهم التى أوصلتهم الى
الاستبصار بغيرهم قال ابن برجان روى عنه عليه الصلاة والسلام ان الذين بدأ غريبنا وسيعود

غريباً كما بدا يكون القابض على دينه كالقابض على الجرو في أخرى يكون المؤمن فيهم اذل من
الامة وفي أخرى العالم فيهم اثنان من جيفة حمار قاله المستعان وقرأ حفص بغير الف بين الفاء
والكاف والباءون بالالف قبل هما بمعنى وقيل فكهين فرحين وفاكهين ناعمين وقيل فاكهين
أصحاب فاكهة ومنزاح (واذا راؤهم) أي رأى الجرمون المؤمنين (قالوا) أي الجرمون (أن
هؤلاء) أي المؤمنين (اضالون) أي لا يمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم يرون أنهم على شيء وهم على
ضلال في تركهم التمتع الحاضر بسبب شيء لا يدري هل له وجود أم لا قال الله تعالى (وما) أي
والحال أنهم ما (أرسلوا) أي الكفار (عليهم) أي على المؤمنين (حافظين) أي موكلين بهم يحفظون
عليهم أحوالهم ويمننون على أعمالهم ويشهدون برشدكم وضلالهم وهذا تسكم بهم وقيل هو
من جملة قول الكفار وانهم اذا راوا المسلمين قالوا ان هؤلاء اضالون وانهم لم يرسلوا عليهم
حافظين انكار الصلوة اياهم عن الشرك ودعائهم الى الاسلام وجدهم في ذلك وقوله تعالى
(فاليوم) منصوب بيفضكون ولا يضر تقديمه على المبتدأ لانه لو تقدم العامل هنا لجاز اذ لا
ليس بخلاف زيد قام في الدار لا يجوز في الدار زيد قام ومعنى فاليوم أي في الآخرة (الذين
آمنوا) ولو كانوا في أدنى درجات الايمان (من الكفار يفضكون) وفي سبب هذا الضحك
وجوه منها أن الكفار كانوا يفضكون على المؤمنين في الدنيا بسبب ما هم فيه من الضر والبؤس
وفي الآخرة يضحك المؤمنون على الكافرين بسبب ما هم فيه من الهوان والسخار بعد العزة
والكبر ومن ألوان العذاب بعد النعيم والترفة ومنها أنهم علموا أنهم كانوا في الدنيا على غير شيء
وأهم باءوا المالبق بالفاني ومنها أنهم يرون أنفسهم قد فازوا بالنعيم المقيم ونالوا بالتعب اليسير
راحة الابد ومنها قال أبو صالح يقال لاهل النار وهم فيها اخرجوا ونفخ لهم أبوابها فاذا راوها
وقد فُتحت أبوابها أقبلوا اليها يريدون الخروج والمؤمنون ينظرون اليهم فاذا انتهوا الى أبوابها
غلقت دونهم بفعل ذلك بهم مراراً فذلك سبب الضحك ومنها أنهم اذا دخلوا الجنة وأجلسوا
على الارائك ينظرون الى الكفار كما قال تعالى (على الارائك) أي الاسرة العالمية (ينظرون)
اليهم كيف يعذبون في النار ويرفعون أصواتهم بالويل والشبور ويلعن بعضهم بعضاً * (تنبيه) *
ينظرون حال من يضحكون أي يضحكون ناظرين اليهم والى ما هم فيه من الهوان وقال كعب
بين الجنة والنار كوى اذا أراد المؤمن أن ينظر الى عدوه كان في الدنيا اطلع عليه من تلك
الكوى كما قال تعالى فاطلع فراآ في سواء الجحيم فاذا اطلعوا من الجنة على أعدائهم وهم يعذبون
في النار ضحكوا قال الله تعالى (هل ثوب الكفار) أي هل جوزوا (ما كانوا يفعلون) أي جزاء
استزائهم بالمؤمنين ومعنى الاستفهام ههنا التقرير وثوبه وأتابه بمعنى واحداً اذا جازاه قال أوس
سأجزيك وأبجزيك عنى منسوب * وحسبك ان يثنى عليك وتحمدى
وقرأ الكسائي وهشام بادغام اللام في الشاء والباءون بالاعطار وقول البيضاوى تبعاً
للزحشرى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة المطففين سقاء الله تعالى من الرحيق
المختوم يوم القيامة حديث موضوع

﴿سورة الانشقاق مكية﴾

وهي ثلاث وأخمس وعشرون آية ومائة وسبع كلمات وأربعمائة وأربعة وثلاثون حرفا

(بسم الله) الذي شقق الارض بالنبات (الرحمن) الذي عمّ جوده أهل الارض والسموات (الرحيم) الذي خص أهل طاعته بالجنات وقوله تعالى (إذا السماء) أي على مالها من الاحكام والعظمة (انشقت) كقوله تعالى إذا الشمس كورت في اضممار الفعل وعدمه وفي اذا هذه احتمالا لأن أحدهما أن تكون شرطية والثاني أن تكون غير شرطية فعلى الاول في جوابها أوجه أحدها أنه محذوف ليهذه المذهب المقدر كل مذهب أو اكتفاء بما علم في مثلها من سور في التذكير والانقطار وهو قوله تعالى علمت نفس الثاني جوابها ما دل عليه فلاقية الثالث أنها يا أيها الانسان على حذف الفاء وعلى كونها غير شرطية فهي مبتدأ وخبرها اذا الثانية والواو من زيادة تقديره وقت انشقاق السماء وقت مدا الارض أي يقع الامر ان في وقت قاله الاخفش وقيل انه منصوب مفعولا به باضممار اذ كسر وانشقاقها بالغمام وهو من علامات القيامة كقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام وعن علي تنشق من المجزة قال ابن الاثير المجزة هي البياض المعترض في السماء والسراب من جانبها (وأذنت) أي سمعت وأطاعت في الانشقاق (لربها) أي للتأثير بقدرته حين أراد انشقاقها انقياد المطواع الذي ورد عليه الامر من جهة المطاع فأصغرت له وأذعن ولم ياب ولم يتنزع كقوله أتينا طائعين (وحقت) أي حق لها أن تسمع وتطيع بأن تنقاد ولا تنزع يقال حق بكذا فهو محقوق وحقيق (وإذا الارض) أي على مالها من الصلابة (مدت) أي زبدت سعتها كمد الاديم ولم يبق عليها بناء ولا جبل كما قال تعالى فاعاصفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا وعن ابن عباس مدت مدا الاديم العكاطي لأن الاديم اذا مزال كل انشاء فيه وأمت واستوى (وألفت) أي أخرجت (ما فيها) من الكنوز والموتى كقوله تعالى وأخرجت الارض أثقالها (وتخلت) أي خلت منها حتى لم يبق في بطنها شيء وذلك يؤذن بعظم الامر كما تلقي الحامل ما في بطنها عند البسطة ووصفت الارض بذلك توسعا والافال تحقيق أن الله تعالى هو المخرج لتلك الاشياء من الارض وقوله تعالى (وأذنت لربها وحقت) تقدم نفسه بغيره وهذا ليس بتكرار لأن الاول في السماء وهذا في الارض وتقدم جواب اذا من جملة ما قيل فيه وما عطف عليه أنه محذوف دل عليه ما بعده تقديره لني الانسان عمله وذلك كله يوم القيامة * واختلف في الانسان في قوله تعالى (يا أيها الانسان) أي الاتس بنفسه الناصي لاهل ربه (انك كادح) ف قيل المراد جفس الانسان كقولك يا أيها الرجل فكأنه خطاب خص به أحد من الناس قال الفحل وهو أبلغ من العموم لانه قائم مقام التخصيص على مخاطبة كل واحد منهم على التعيين بخلاف اللفظ العام وقيل المراد منه رجل بعينه فقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى انك كادح في ابلاغ رسالات الله تعالى وارشاد عباده وتحمل الضرر من الكفار فابشر فانك تلقي الله تعالى بهذا العمل وقال

ابن عباس هو أبي بن خلف وكده هو جدته واجتماعه في طلب الدنيا وايداء النبي صلى الله عليه
 وسلم والامرار على الكفر والكذب جهد النفس في العمل والكد فيه حتى يؤثر فيها من كدح
 جلده ما اذا خدشه ومعنى كادح (الى ربك) أى جاهد الى لقائه وهو الموت اى هذا الكدح يستمر
 الى هذا الزمن. وقال القفال تقديره انك كادح في دنياك (كدحا) تصير الى ربك وقوله تعالى
 (فلاقيه) يجوز أن يكون عطفا على كادح والسبب فيه ظاهر وأن يكون خبر مبتدأ مضمر أى
 فأتت ملاقيه وقيل جواب اذا والضمير في ملاقيه أمّا الرب اى ملاقى حكمه لا مفرك منه واما
 للكدح الآن الكدح عمل وهو غرض لا يبقى فلا فاته ممنهجة فالمراد اجزاء كدحك من خير أو
 شر وقال الرازى المراد ملاقة الكتاب الذى فيه بيان تلك الاعمال ويؤ كده هذا قوله
 تعالى بعده (فأما من أوفى كتابه) اى كتاب عمله الذى كتبه الملائكة (بيمينه) أى من أمامه وهو
 المؤمن المطيع (فسوف يحاسب) أى يقع حسابه بوعده لا خلاف فيه وان طال الامد لاظهار
 الجبروت والكبرياء والقهر (حسابا يسيرا) هو عرض عمله عليه كما فسر في حديث الصحيحين
 وفيه من نوقش الحساب هلك وفي رواية من حوسب عذب قالت عائشة اليس يقول الله تعالى
 فسوف يحاسب حسابا يسيرا فقال انما ذلك العرض ولكن من نوقش الحساب عذب وانما
 حوسب حسابا سهلا لانه كان يحاسب نفسه فلا تقع له المخافة الاذهولا فلاجل ذلك تعرض
 أعماله فيقبل حسنها ويعفى عن سيئها (وينقلب) أى يرجع بنفسه من غير مزعج برغبة وقبول
 (الى أهله) أى الذين أهلهم في الجنة من الحور العين والادميات والذريات اذا كانوا مؤمنين
 (مسرورا) أى قد أوفى جنسه وحريرافاته كان في الدنيا فى أهله مشفقاً من العرض على الله
 يحاسب نفسه حسابا يسيرا مع ما هو فيه من تكدي الازل وضيق العيش (وأما من أوفى كتابه
 وراء ظهره) وهو الكافر تغل يئاه الى عنقه وتجعل يسراه وراء ظهره فأخذها كتابه (فسوف
 يدعوا) أى بوعده لا خلف في وقوعه (ثورا) يقول يا ثورا والثبور الهلاك كقوله تعالى دعوا
 هنالك ثورا (ويصلى سعيرا) أى يدخل النار الشديدة وقرأ أبو عمرو وعاصم بفتح الباء
 وسكون الصاد وتحذف اللام والباقون بضم الباء وفتح الصاد وتشديد اللام وقرأ حمزة
 والكسائي باللام المحضة وقرأ ورش بالفتح وبين اللفظين واذا فتح ورش غلط اللام واذا مال
 رقى والباقون بالفتح (انه كان) أى بما هو له كالجبل (فى أهله) أى عشيرته في الدنيا (مسرورا)
 قال القفال أى منعما مستريحاً من التعب بأداء العبادات واحتمال مشقة الفرائض من
 الصلاة والجهاد مقدم على المعاصي آمن من الحساب والثواب والعقاب لا يخاف الله تعالى
 ولا يرجو فأبدله الله تعالى بذلك السرور غمها بما لا ينقطع وقيل ان قوله تعالى انه كان فى أهله
 مسرورا كقوله تعالى واذا انقلبوا الى أهلهم انقلبوا فأكهين أى متنعمين في الدنيا معجبين
 بما هم عليه من الكفر بالله تعالى والتكذيب بالبعث فيضحكون عن آمن بالله تعالى وصديق
 بالحساب كما قال صلى الله عليه وسلم الدنيا سجين المؤمن وجنة الكافر (انه ظن) أى اضعف
 نظره (أن) مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أى أنه (لن يحور) أى لن يرجع الى الله تعالى

تكذيباً بالمعاد يقال لا يجوز ولا يجوز أي لا يرجع ولا يتغير قال لبيد

وما المراء إلا كالشهاب وضوته * يجوز رزما بعد اذ هو ساطع

وعن ابن عباس ما كنت أدري ما معنى يجوز حتى سمعت أعرابية تقول لبينة لها حوري أي
ارجعي وقوله تعالى (بلى) ايحباب لما بعد النفي في لن يجوز أي بلى ليجوزن (أن ربه) أي الذي
ابتدأ انشاء ورباه (كان) أي أن لا وأبدا (به بصيرا) أي من يوم خلقه إلى يوم بعثه أو بأعماله
لا ينساها وقال عطاء بصيرا بما سبق عليه في أم الكتاب من الشقاوة * واختلافه في الشفق
في قوله تعالى (فلا أقسم بالشفق) فقال مجاهد هو النهار كله وقال عكرمة ما بقي من النهار
وقال ابن عباس وأكثر المفسرين هو الحجرة التي تبقى في الأفق بعد غروب الشمس وقال قوم
هو البياض الذي يعقب تلك الحجرة * (تنبيه) * سمي بذلك لرقته ومنه الشفقة على الإنسان رقة
القلب عليه واللام في لا أقسم من زيادة للتأكيد (والليل) أي الذي يغلبه ويذهب (وما وسق) أي
ما جمع وضم يقال وسقه فاتسق واستوسق قال الشاعر * مستوسقات لو يجدن سائقا *
ونظيره في وقوع افتعل واستفعل مطاوعين اتسع واستوسع ومعناه وما جمعه وستره وآوى إليه
من الدواب وغيرها (والقمر) أي الذي هو آتية (إذا اتسق) أي إذا اجتمع واستوى ليلة أربع
عشرة وقال قتادة استدار وهو افتعل من الوسق * (تنبيه) * قد اختلف العلماء في القسم
بهذه الأسماء هل هو قسمهم أو بجنالقتها فذهب المتكلمون إلى أن القسم واقع بربهما وإن كان
محدوفا لأن ذلك معلوم من حيث ورود الحظر بأن يقسم بغير الله تعالى أو بصفة من صفاته
وقدمت أن ذلك يكره في حق الإنسان فإن الله تعالى يقسم بأسماء من خلقه وجواب القيسم
(لتركبن) أي أيها الناس أصله تركبون حذف تون الرفع اتوا إلى الامثال والواو والالتقاء
الساكنين وقرأ ابن كثير وحزرة والكسائي بفتح الباء الموحدة على خطاب الإنسان والباقون
بضمها على خطاب الجمع وهو معنى الإنسان إذا المراد به الجنس أي لتركبن أيها الإنسان (طبقا)
مجاوزا (عن طبق) أي حالا بعد حال قال عكرمة رضي بيع ثم فطيم ثم غلام ثم شاب ثم شيخ وعن
ابن عباس الموت ثم البعث ثم العرض وعن عطاء مرة فقيرا ومرة غنيا وقال أبو عبيدة لتركبن
سنن من كان قبلكم وأجواهم لما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال لتبعن سنن من كان قبلكم
شبرا شبرا وذراعا ذراعا حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى
قال فن وقوله تعالى (قال لهم) أي الكفار (لا يؤمنون) استفهام انكار أي أي مانع لهم من
الايان أو أي حجة لهم في تركه بعد وجود براهينه (و) ما لهم (إذا قرئ) أي من أي قارئ قراءة
مشروعة (عليهم القرآن) أي الجامع لكل ما يقعهم في دنياهم وآخراتهم الفارق بين كل
ملابس (لا يسجدون) أي لا يخضعون بأن يؤمنوا به لا بحجازه أو لا يصطلحون قتاله مقاتل أو
لا يسجدون لتلاوته لما روى أنه صلى الله عليه وسلم قرأ واجهد واقترب فسجد ومن معه من
المؤمنين وقرئ بش تصفق رؤسهم فنزلت وعن أبي هريرة أنه قال سجدنا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم في أقرأ باسم ربك وإذا السماء انشقت وعن نافع قال صليت مع أبي هريرة العمة فقرأ

إذا السماء انشقت فسهـد فقلت ما هذه قال سجدت به اخلف أبي القاسم صلى الله عليه وسلم
 فلا زال أسجد فيها حتى ألقاه وليس في ذلك دلالة على وجوبها فهي مندوبة وعن الحسن هي
 واجبة واحتج أبو حنيفة على وجوب السجود بأنه تعالى ذم من سعه ولم يسجد وعن ابن عباس
 ليس في المفصل سجدة وما روى عن أبي هريرة يخالفه وعن أنس صليت خلف أبي بكر وعمر
 وعثمان فسهدوا (بل الذين كفروا يكذبون) أي بالقرآن والبعث (والله أعلم بما يوعون) أي
 بما يجتمعون في صدورهم ويضمرون من الكفر والحسد والبغى والبغضاء أو بما يجتمعون
 في صحفهم من الكفر والكذب وأعمال السوء ويدخرون لانفسهم من أنواع العذاب وقوله
 تعالى (فنبشركم بعذاب أليم) أي مؤلم استهزأ بهم أو أن البشارة بمعنى الاخبار أي أخبرهم
 وقوله تعالى (الا استنذنا منقطع أي لكن) (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) تحقية الايمانهم
 (لهم أجر غير ممنون) أي غير مقطوع ولا منقوص ولا ممنون به عليهم وقول البيضاوي تبعنا
 للزخشرى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ إذا السماء انشقت أعاد الله تعالى أن
 يعطيه كتابه وراى ظاهره حديث موضوع

(سورة البروج مكية)

وهي اثنان وعشرون آية ومائة وتسع كلمات وأربع مائة وثمانية وخمسون حرفا

(بسم الله) الذي أحاط علمه بالكانات (الرحمن) الذي عم جوده سائر المخلوقات (الرحيم)
 الذي خص أهل السعادة بالجنات وقوله تعالى (والسما) أي العالية غاية العلو المحكمة غاية
 الاحكام (ذات البروج) قسم أقسم الله تعالى به وتقدم الكلام على ذلك مرارا وفي البروج
 أقوال فقال مجاهد هي البروج الاثنا عشر شبت بالقصور لانهم اتزلها السبادات وقال
 الحسن هي النجوم وقيل هي منازل القمر وقال عكرمة هي قصور في السماء وقيل عظام
 المكيواكب سميت بروجها ظهورها وقيل أبواب السماء وقوله تعالى (واليوم الموعود) قسم
 آخر وهو يوم القيامة قال ابن عباس وعد أهل السماء وأهل الأرض أن يجتمعوا فيه
 واختلفوا في قوله سبحانه وتعالى (وشاهد مشهود) فقال أبو هريرة وابن عباس الشاهد يوم
 الجمعة والمشهود يوم عرفة وروى مرفوعا اليوم الموعود يوم القيامة واليوم المشهود يوم
 عرفة والشاهد يوم الجمعة خرجه الترمذي في جامعه قال القشيري فيوم الجمعة يشهد على
 عامله بما عمل فيه قال القرطبي وكذا سائر الايام والليالي لما روى أبو نعيم الحافظ عن معاوية
 أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس من يوم يأتي على العبد الا يتأدى فيه يا ابن آدم أنا خلق
 جديد وأنا فيما تعمل عليك شاهد فاعمل في خيرا أشهدك به غدا فاني اذا مضيت لم ترني أبدا
 ويقول الدليل مثل ذلك حديث غريب وحكى القشيري عن عمر أن الشاهد يوم الاضحى وقال
 ابن المسيب الشاهد يوم التروية والمشهود يوم عرفة وروى عن علي الشاهد يوم عرفة
 والمشهود يوم النحر وقال مقاتل أعضاء الانسان هي الشاهد لقوله تعالى يوم تشهد عليهم

أَلَسْتُمْ الْآبِيَّةُ وَقَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ الْقُضَل الشَّاهِدُ هَذِهِ الْأُمَّةُ وَالْمَشْهُودُ سَائِرُ الْأُمَمِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى
 وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا الْآبِيَّةُ وَقِيلَ الشَّاهِدُ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى إِنَّا
 أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَقِيلَ آدَمُ وَقِيلَ الْحَقِيقَةُ الشَّاهِدُ وَالْمَشْهُودُ أَوْلَادُ آدَمَ وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ وَكُلُّ ذَلِكَ
 صَحِيحٌ * وَاخْتَلَفَ فِي جَوَابِ الْقِسْمِ فَقَالَ الْجَلَالُ الْمَحَلِّي جَوَابَ الْقِسْمِ مَحْذُوفٌ صَدْرُهُ أَيْ لَقَدْ
 (قَتَلَ) أَيْ لَعَنَ (أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ) وَقَالَ الرَّيْحَانِيُّ مَحْذُوفٌ وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ قَتَلَ أَصْحَابَ
 الْأَخْدُودِ وَكَانَهُ قَبْلَ أَقْسَمَ بِهِ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ أَنَّهُمْ مَلْعُونُونَ يَعْنِي كَقَوْلِهِمْ قَرِيشُ كَمَا لَعَنَ أَصْحَابَ
 الْأَخْدُودِ فَإِنَّ السُّورَةَ وَرَدَتْ لَتَشْيِيتِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى أَذَاهُمْ وَتَذَكِيرِهِمْ بِمَا جَرَى عَلَى مَنْ قَبْلَهُمْ
 وَاسْتَنْظَاهُ هَذَا الْبَيْضَاوِي وَالْأَخْدُودُ هُوَ الشَّقُّ الْمُسْتَطِيلُ فِي الْأَرْضِ كَالنَّهْرِ وَجَمْعُهُ أَخْدِيدٌ
 وَاخْتَلَفَ فِيهِمْ فَمَنْ صَحِبَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ وَكَانَ
 لَهُ سَاحِرٌ فَلَمَّا كَبُرَ قَالَ لِلْمَلِكِ إِنِّي قَدْ كَبُرْتُ فَأَبْعَثْ إِلَيَّ غُلَامًا أَعْلِمُهُ السَّحْرَ فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلَامًا وَكَانَ
 فِي طَرِيقِهِ إِذَا سَلَكَ إِلَيْهِ رَاهِبٌ فَقَعَدَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلَامَهُ فَأَعْجَبَهُ فَبَكَى إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرَّ بِالرَّاهِبِ
 فَقَعَدَ إِلَيْهِ فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ وَإِذَا رَجَعَ مِنْ عِنْدِ السَّاحِرِ قَعَدَ إِلَى الرَّاهِبِ وَسَمِعَ كَلَامَهُ فَإِذَا
 أَتَى أَهْلَهُ ضَرَبَهُ فَنَشَاكَ إِلَى الرَّاهِبِ فَقَالَ إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ فَقُلْ حَسْبِيَ أَهْلِي وَإِذَا خَشِيتَ
 أَهْلَكَ فَقُلْ حَسْبِيَ السَّاحِرُ فَيَمْنَاهُ وَكَذَلِكَ إِذَا أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدِ حَسِبْتَ النَّاسَ فَقَالَ الْيَوْمَ
 أَعْلَمُ الرَّاهِبَ أَفْضَلَ أَمْ السَّاحِرَ فَأَخَذَ حِجْرًا ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ
 أَمْرِ السَّاحِرِ فَأَقِلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ حَتَّى تَعْضِيَ النَّاسَ فَرَمَاهَا وَقَتْلَهُ أَنْفَضِيَ النَّاسَ فَأَتَى الرَّاهِبَ
 فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ أَيْ بَنِي أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى وَأَنْتَ سَتَبْلِي
 فَإِنَّ ابْنَتَكَ فَلَا تَدُلُّ عَلَى فَكَّانِ الْغُلَامِ يَبْرَأُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الْأَدْوَاءِ
 فَسَمِعَ جَلِيسُ الْمَلِكِ وَكَانَ قَدِ عَمِيَ فَأَتَاهُ بِدَايَا كَثِيرَةٍ فَقَالَ هَذَا لَكَ أَجْعَلْ إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي فَقَالَ إِنِّي
 لَا أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ فَإِنْ آمَنْتَ بِهِ دَعَوْتَ اللَّهَ تَعَالَى فَشَفَاكَ فَأَمَّنَ بِاللَّهِ فَشَفَاهُ اللَّهُ تَعَالَى
 فَأَتَى الْمَلِكُ جَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصْرَكَ قَالَ رَبِّي قَالَ رَبُّكَ رَبُّ غَيْرِي
 قَالَ رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يَعْذِبه حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلَامِ فَنَجَّى بِالْغُلَامِ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ أَيْ بَنِي
 قَدْ بَلَغَ مِنْ سَحْرِكَ مَا تَبْرَأُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ قَالَ إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي
 اللَّهُ فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يَعْذِبه حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ فَنَجَّى بِالرَّاهِبِ فَقَالَ ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ فَأَبَى فَدَعَا
 بِالْمُنْشَارِ فَوَضَعَ الْمُنْشَارَ فِي مَفْرَقِ رَأْسِهِ فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شَقَاهُ ثُمَّ جِيءَ بِمَجْلِسِ الْمَلِكِ فَقِيلَ لَهُ ارْجِعْ
 عَنْ دِينِكَ فَأَبَى فَفَعَلَ بِهِ كَالرَّاهِبِ ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلَامِ فَتَمِيلُ لَهُ ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ فَأَبَى فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ
 مِنْ أَصْحَابِهِ وَقَالَ أَذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلٍ كَذَا فَأَمْسُدُوا بِهِ فَإِذَا بِالْعَظْمِ ذَرَوْتُهُ فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ
 وَالْأَفْطَرِ حَوْهَ فَذْهَبُوا بِهِ فَصَعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ فَقَالَ اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ فَجَرَفَ بِهِمُ الْجَبَلُ
 فَسَقَطُوا وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ فَقَالَ كَفَانِيهِمُ اللَّهُ فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ
 مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ أَذْهَبُوا بِهِ فَأَجْلَسُوهُ فِي قَرْقُورٍ وَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَالْأَفْطَرِ
 فَاقْدَفُوهُ فَذْهَبُوا بِهِ فَقَالَ اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ فَأَنْفَكْتَ السِّفِينَةَ بِهِمْ فَفَرَّقُوا وَجَاءَ يَمْشِي

الى الملك فقال له الملك ما فعل أصحابك فقال كفانهم الله تعالى فقال للملك انك لست بقاتلي حتى
تفعل ما أمرت قال وما هو قال تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع ثم خذ سهماً من
كفاتي ثم ضع السهم في كبد القوس وقل بسم الله رب الغلام ثم ارمني فانك اذا فعلت ذلك قتلتني
فجمع الناس في صعيد واحد وصلبه على جذع ثم أخذ سهماً من كفاته ووضع السهم في كبد القوس
ثم قال بسم الله رب الغلام ثم رماه فوق السهم في صدغه فوضع يده على صدغه موضع السهم
فمات فقال الناس آمناب رب الغلام آمناب رب الغلام ثلاثاً فأتى الملك فقيل له أرايت ما كنت تحذر
قد والله نزل بك حذرنا قد آمن الناس فأمر بالاختدود بأفواه السكك فخذت واضرم النيران
وقال من لم يرجع عن دينه فأحرقوه فيها وأقبل له اقبحهم قال ففعلوا حتى جاءت امرأة معها صبي
لها فتقاعست ان تقع فيها فقال الصبي يا أماء اصبري فانك على الحق فاقبحمت قال البغوى هذا
حديث صحيح وقيل ان الصبي قال الهاقعي ولا تقاعسي وقيل ما هي الا غميضة فصبرت وذكر
محمد بن اسحق عن وهب بن منبه أن رجلاً كان قد بقي على دين عيسى فوقع على نجران فأجابوه
فسار اليه ذونواس اليهودي يمجذون من جبر وخيرهم بين النار واليهودية فأبوا عليه فخذ الاخايد
وأحرق اثني عشر ألفاً في الاخايد وقيل سبعين ألفاً ثم غلب ارباط على الين فخرج ذونواس
هارباً واقتحم البحر بفرسه فغرق قال الكلبي وذونواس قتل عبد الله بن التامر رضي الله عنه
وقال محمد بن اسحق عن عبد الله بن أبي بكر ان خربة احترقت في زمن عمر فوجدوا عبد الله بن
التامر واضعا يده على ضريبة في رأسه اذا اميطت يده عنها أتبعته دماً واذا تركت ارتدت مكانها
وفي يده خاتم من حديد فيه ربي الله قبل ذلك عمر فكتب ان أعيد واعليه الذي وجدتم عليه * وعن
ابن عباس قال كان بنجران ملك من ملوك خيبر يقال له يوسف وذونواس بن شرجيل في الفترة قبل
أن يولد النبي صلى الله عليه وسلم سبعين سنة وكان في بلاده غلام يقال له عبد الله بن تامر وكان
أبوه سلمه الى معلم يعلمه السحر فكره ذلك الغلام ولم يجذبته امن طاعة أبيه فجعل يختلف الى المعلم
وكان في طريقه راهب حسن الصوت فأعجبه ذلك وذكر كزريمان معنى حديث صهيب الى ان
قال الغلام للملك انك لا تقدر على قتلي الا أن تفعل ما أقول قال فكيف اقول قال تجمع أهل
مملكك وأنت على سريرك فترميهم بسمهم على اسم الهى ففعل الملك فقتله فقال الناس لا اله الا الله
عبد الله بن التامر لادين الا دينة فغضب الملك وأغلق باب المدينة واخذ أفواه السكك واخذ
أخدوداً وملاؤه ناراً ثم عرضهم رجلاً رجلاً فنرجع عن الاسلام تركه ومن قال ديني دين عبد
الله بن تامر ألقاه في الاختدود وأحرقه وكان في مملكته امرأة فأسلت فين أسلم
ولها أولاد ثلاثة أحدهم رضيع فقال لها الملك ارجعي عن دينك والا ألقيتك وأولادك
في النار فأبى فأخذ ابنها الاكبر فألقاه في النار ثم قال لها ارجعي فأبى فأخذوا الصبي منها ليلقوه
في النار فهت المرأة بالرجوع فقال لها الصبي يا أماء لا ترجعي عن الاسلام فانك على الحق
ولا بأس عليك فألقى الصبي في النار وألقيت أمته على اثره * وعن علي أنهم حين اختلقوا
في أحكام الجوس قال هم أهل كتاب وكانوا متمسكين بكتابهم وكانت النمر قد أحبلت لهم

قتنا ولها بعض ملوكهم فسكرو فوقع على أخته فلما صعدم وطلب المخرج فقالت له المخرج
 ان تحطب الناس فتقول يا أيها الناس ان الله تعالى أحل لكم نكاح الاخوات ثم تحطبهم بعد
 ذلك أن الله تعالى حرّمه فخطب فلم يقبلوا منه فقالت ابسط فيهم السوط فلم يقبلوا فأمرت
 بالاخذيد وايقاد النيران وطرح من أبي فيها فهم الذين أرادهم الله تعالى بقوله قتل أصحاب
 الاخدود وعن مقاتل كانت الاخذيد ثلاثة واحدة بنجران باليمن وأخرى بالشام وأخرى
 بفارس حرقوا بالنار أما التي بالشام فهو اباطاموس الرومي وأما التي بفارس فخنصر وأما التي
 بأرض العرب فهو يوسف ذونواس فأما التي بفارس والشام فلم ينزل الله تعالى فيها قرا أو أنزل
 في التي كانت بنجران وذلك ان رجلا مسلما ممن يقرأ الانجيل أجروفت في عمل وجعل يقرأ
 الانجيل فرأت بنت المستاجر النور يضي من قراءة الانجيل فذكرت ذلك لابيها فرمته فقرأ فسأله
 فلم يجبه فلم يزل به حتى أخبره بالدين والاسلام فتابعه هو وسبعة وشانوا ناسا بامان رجل
 وامرأة وهذا بعد ما رفع عيسى عليه السلام الى السماء فسمع ذلك يوسف ذونواس فخذلهم
 في الارض وأوقف فيها فعرضهم على الكفر فمن أبي أن يكفر فذفه في النار ومن رجع عن دين
 عيسى لم يذفه وأن امرأة جاءت ومعها ولد صغير لا يتكلم فلما قامت على شفير الخندق نظرت الى
 ابنها فرجعت عن النار فضربت حتى تقدمت فلم تزل كذلك ثلاث مرّات فلما كانت في الثالثة
 ذهبت ترجع فقال لها ابنها يا أمّاه اني أرى أمانك نار الانطفأ فلما سمعت ذلك فاجتهدت
 أنفسها ما في النار فجعلها الله وابنها في الجنة فقد ذف في النار في يوم واحد سبعة وسبعون انسانا
 فذلك قوله تعالى قتل أصحاب الاخدود وقوله تعالى (النار) بدل اشتمال من الاخذود وقوله
 تعالى (ذات الوقود) وصفها بأنها نار عظيمة لها ما يرتفع به لها من الحطب الكثير وابدان
 الناس واللام في الوقود للجنس وقوله تعالى (اذهم عليها قعود) ظرف لقتل أي لغنوا حيين
 أحرقوا بالنار قاعدين حولها ومعنى عليها على ما يدنو منها من حافات الاخذود كقوله
 وبات على النار النسي والمخلق وكما تقول مررت عليه تريد مساعليا المكان الذي يدنو منه
 فكانوا يقعدون حولها على الكراسي وقال القرطبي عليها (وهم على ما يفعلون بالمؤمنين)
 بالله من تعذيبهم بالالقاء في النار ان لم يرجعوا عن ايمانهم (شهود) أي يشهد بعضهم لبعض
 عند الملك بأنه لم يقصر فيما أمر به أو شهد بعضهم حضور اذ روى ان الله تعالى أنجي المؤمنين
 الملقين في النار بقبض أرواحهم قبل وقوعهم فيها وخرجت النار الى القاعدين فأحرقتهم قال
 الرازي يمكن أن يكون المراد بأصحاب الاخذود القاتلين ويمكن أن يكون المراد بهم المقتولين
 والمشهور أن المقتولين هم المؤمنون وروى ان المقتولين هم الجبابرة روى انه لما ألقوا
 المؤمنين في النار عادت النار على الكفرة فأحرقتهم ونجي الله المؤمنين منها سالين والى هذا
 القول ذهب الربيع بن أنس والواحدى وتأولوا قوله تعالى فاهم عذاب جهنم أي في الآخرة
 ولهم عذاب الحريق أي في الدنيا فان فسر أصحاب الاخذود بالقاتلين فيكون قوله تعالى قتل
 أصحاب الاخذود دعاء عليهم كقوله تعالى قتل الانسان ما أكفره وان فسر بالمقتولين كان المعنى

ان المؤمنين قتلوا بالنار فيكون ذلك خبر الادعاء والمقصود من هذه الآية تثبيت قلوب المؤمنين
 واخبارهم عما كان يلقاه من قبلهم من الشدة انذوذكركم لهم النبي صلى الله عليه وسلم قصة
 الغلام ليصبروا على ما يلقون من أذى الكفار ليتأسوا بهذا الغلام في صبره على الأذى والصلب
 وبذل نفسه في اظهار دعوته ودخول الناس في الدين مع صغر سنه وكذلك صبر الراهب على
 التمسك بالحق حتى نضر بالمشارو وكذلك أكثر الناس لما آمنوا بالله تعالى (وما تقموا) أى
 وما انكروا وكرهوا (منهم) من الخلات وكان ذنباً ونقصاً (الآن يؤمنوا) أى
 يجتدوا الايمان مستمرين عليه (بالله) أى الذى له السكالكه (العزير) فى ملكه الذى يغلب من
 أراد ولا يغلبه شئ (الحيث) أى المحيط بجميع صفات الكمال فهو وثيب من أطاعه أعظم ثواب
 وينقم من عصاه بأشد العذاب وهذا استثناء على طريقة قول القائل

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بين ناول من قراع الكتاب

أى من ضرايبه والكتاب بالباء المشناة جمع كنية وهى الجيش وقال ابن الرقيات

ما تقموا من بنى أمية الا أنهم يحلون ان غضبوا

ونظيره قوله تعالى هل تقمون منا الا أن آمنا بالله * وما ذكر تعالى الاوصاف التى يستحق بها أن
 يؤمن به ويعبد وهو كونه عزيزاً غالياً قادراً يخشى عقابه جيداً معه ما يجب الحمد على نعمه ويرجى
 ثوابه فتر ذلك بقوله تعالى (الذى له) أى خاصة (ملك السموات والارض) أى على جهة العموم
 مطلقاً فكل من فيه ما يحق عليه عبادته والخشوع له تقرير الا أن ما تقموا منهم هو الحق الذى
 لا ينقمه الا مبطل منهم فى القى وأن النافقين أهل لا تقام الله تعالى منهم بعذاب لا يعده عذاب
 (والله) الملك الاعظم الذى له الاحاطة الكاملة (على كل شئ شهيد) فلا يغيب عنه شئ وهذا
 لأن الله علم ما فعلوا وهو مجازيهم عليه * وما ذكر قصة أصحاب الاخدود أتبعها ما يتفرع من
 أحكام الثواب والعقاب فقال تعالى (ان الذين قتلوا المؤمنين والمؤمنات) أى أحرقوهم بالنار
 يقال فتمت الشئ اذا أحرقتهم والعرب تقول قتل فلان الدرهم والدينار اذا أدخله الكور لينظر
 جوده ونظيره يوم هم على النار فتمت قال الرازى ويحتمل أن يكون المراد كل من فعل ذلك قال
 وهذا أولى لأن اللفظ عام والحكم عام والتخصيص ترك للظاهر من غير دليل * وما كانت التوبة
 مقبولة قبل الغرغرة ولو طال الزمان عبر سبحانه بأداة التراخي فقال تعالى (تم لم يتوبوا) أى عن
 كفرهم وعما فعلوا (فلهم عذاب جهنم) أى بكفرهم (ولهم عذاب الحريق) أى عذاب احرأقهم
 المؤمنين فى الآخرة وقيل فى الدنيا بأن خرجت النار فأحرقتهم كما تقدم ومفهوم الآية أنهم
 لو تابوا لخرجوا من هذا الوعد وذلك يدل على أن الله تعالى يقبل التوبة من القاتل المتعمد
 خلاف ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما * وما ذكر سبحانه وعيد المجرمين ذكراً ما أعد
 للمؤمنين بقوله تعالى (ان الذين آمنوا) أى أقروا بالايمان من المقدوفين فى النار وغيرهم من كل
 طائفة فى كل زمان (وعملوا الصالحات) بتحقيق الايمانهم (لهم جنات) أى باتين تفصلها
 تعالى (تجراً من تحتها) أى تحت غرفها وأسرىتم اوجيع أما كنهن (الانهار) يتلذذون ببردها

في نظير ذلك الحشر الذي صبروا عليه في الدنيا ويزول عنهم برؤية ذلك مع خضرة الجنان جميع
 المضار والاحزان (ذلك) أي الأمر العالي الدرجة العظيم البركة (الفوز) أي الظفر بجميع
 المطالب (الكبير) وهو رضا الله تعالى لادخول الجنة وقال تعالى ذلك الفوز ولم يقل تلك لأن ذلك
 إشارة إلى أخبار الله تعالى بمحصل الجنان وتلك إشارة إلى الجنة الواحدة وأخبار الله تعالى عن
 ذلك يدل على كونه راضياً (أن بطش ربك) أي أخذ المحسن اليك المربي لك المدير لأمرك الجبارة
 والظلمة (الشديد) كقوله تعالى وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد
 قال المبرد أن بطش ربك جواب القسم والبطش هو الأخذ بعنف فإذا وصف بالشدة فقد
 تضاعف * ولما كان هذا البطش لا يتأني إلا الكامل القدرة دل على كمال قدرته واختصاصه
 بذلك بقوله تعالى مؤكداً له من الإنكار (أنه هو) أي وحده (يبدئ) أي يوجد ابتداء أي
 خلق أراد إلى أي هيئة أراد (وبعيد) أي ذلك المخلوق عند البعث وروى عكرمة قال عجب
 الكفار من أحياء الله تعالى الأموات أي فزلت وقال ابن عباس رضي الله عنهما يبدئ لهم
 عذاب الحريق في الدنيا ثم يعيده عليهم في الآخرة وهذا اختيار الطبري وقيل يبدئ البطش
 ويعيده فيبطشهم في الدنيا والآخرة أو دل باقتداره على الإبداء والاعادة على شدة بطشه أو
 أوعد الكفرة بأن يعيدهم كما يبدئهم ليبطشهم أذ لم يشكروا نعمة الإبداء وكذبوا بالاعادة (وهو)
 أي وحده (الغفور) أي المستور لعباده المؤمنين وقرأ قانون وأبو عمرو والكسائي يسكون الهاء
 والباقون بضمها وقوله تعالى (الودود) مبالغة في الود قال ابن عباس رضي الله عنهما هو
 المتودد لعباده بالمغفرة وعن المبرد هو الذي لا ولد له وأنشد

وأركب في الودع ربانة * ذلول الجماع لقاها ودودا

أي لا ولد لها تحن إليه وقيل هو فعول بمعنى مفعول كل ركوب والحلوب بمعنى المركوب والمحلوب
 وقيل يغفر ويود أن يغفر (ذوالعرش) أي خالقه ومالكه أي ذوالملك والسلطان كما يقال فلان
 على سرير ملكه وإن لم يكن على سرير ويقال مثل عرشه أي ذهب سلطانه أو السرير الدال على
 اختصاص الملك بالملك وانقراده بالتدبير والسيادة والسياسة الذي به قوام الأمور وقرأ
 (الحميد) حزة والكسائي يجر الدال على أنه نعت للعرش أو لربك في قوله تعالى أن بطش ربك قال
 مكي وقيل لا يجوز أن يكون نعتاً للعرش لأنه من صفات الله تعالى اه وهذا مذموم لأن تمجيد العرش
 علوه وعظمه كما قاله الزمخشري وقد وصف العرش بالكريم في آخر المؤمنين وقرأ الباقر برفع
 الدال على أنه خبر بعد خبر وقيل هو نعت لذو الاستدلال بعضهم على تعدد الخبر بهذه الآية ومن
 منع قال لأنهم في معنى خبر واحد أي جامع بين هذه الأوصاف الشريفة أو كل منها خبر لمبتدأ
 مضمرة والمجده هو النهاية في الكرم والفضل والله سبحانه موصوف بذلك وتقدم وصف عرشه
 بذلك (فعال) أي على سبيل التكرار والمبالغة (لما يريد) قال القفال أي يفعل ما يريد على ما يراه
 لا يعترض عليه أحد ولا يغلبه غالب فيدخل أو يأمه الجنة لا يمنعه مانع ويدخل أعداء النار
 لا ينصرهم منه ناصر ويهمل العصاة على ما يشاء إلى أن يجازيهم ويعاجل بعضهم بالعقوبة إذا شاء

فهو يفعل ما يريد . وعن أبي اليسر دخل ناس من الصحابة على أبي بكر الصديق رضي الله عنه
يعودونه فقالوا ألا نأتيك بطبيب قال قد رأيته قالوا فماذا قال قال قال اتى فقال لما أريد وقال
الزنجشمرى فقال خبر مبتدأ محذوف وانما قال فقال لأن ما يريد ويفعل في غاية الكثرة وقال
الطبري رفع فعال وهو نكرة مخصصة على وجه الاتباع لا عراب الغفور الودود * (تنبيه) * دلت
هذه الآية أن جميع أفعال العباد مخلوقة لله تعالى قال بعضهم ودلت على أن الله تعالى لا يجب
عليه شيء لانها دالة على أنه يفعل ما يريد (هل) أي قد (أناك) أي يا أشرف الرسل (حديث) أي
خبر (الجنود) أي الجوع الكافرة المكذبة لانبيائهم وقوله تعالى (فرعون وثمود) يجوز أن
يكون بدلا من الجنود واستشكل كونه بدلا لانه لم يكن مطابقا للمبدل منه في الجمعية وأجيب
بأنه على حذف مضاف أي جنود فرعون وأن المراد فرعون وقومه واستغنى بذكرهم
لانهم أتباعه ويجوز أن يكون منصوبا باضمار أي لانه لم يأت باتباعه وجب قطعه والمعنى انك
قد عرفت ما فعل الله تعالى بهم حين كذبوا رسلهم كيف هلكوا بكفرهم فقومك ان لم يؤمنوا بك
فعل بهم كما فعل بهؤلاء فاصبر كما صبر الانبياء قبلك على أمتهم (بل الذين كفروا) أي من هؤلاء الذين
لا يؤمنون بك (في تكذيب) لك لا يرفعون عنه ومعنى الانضراب أن حالهم أعجب من حال هؤلاء
فانهم سمعوا قصتهم ورأوا آثارها لكهم وكذبوا أشد من تكذيبهم وانما خص فرعون وثمود لأن
ثمود في بلاد العرب وقصتهم عندهم مشهورة وان كانوا من المتقدمين وأما فرعون فكان
مشهورا عند أهل الكتاب وغيرهم وكان من المتأخرين في الهلاك فدل بهما على أمثالهما وقوله
تعالى (والله) أي والحال ان الملك الذي له الكمال كله (من ورائهم محبط) وفيه وجوه أحدها أن
المراد وصف اقتداره عليهم وأنهم في قبضته وحصره كالمحباط اذا أحبط به من ورائه ينسده عليه
مسلكه فلا يجد مهربا يقول الله تعالى فهم كذا في قبضتي وأنا قادر على اهلاكهم ومعاجلتهم
بالعذاب على تكذيبهم اياك فلا تجزع من تكذيبهم اياك فليسوا يفوتونني اذا أردت الانتقام منهم
ثانيها أن يكون المراد من هذه الاحاطة قرب اهلاكهم كقوله تعالى وظنوا أنهم أحيط بهم
فهو عبارة عن مشاركة الهلاك ثالثها انه تعالى محبط بأعمالهم أي عالم بهم فيجازيهم عليها (بل
هو) أي هذا القرآن الذي كذبوا به وهو لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه (قرآن) أي
جامع لكل منفعة جليلة بالغ الذروة العلية في كل شرف (مجيد) أي شريف وحيد في اللفظ
والمعنى وليس كان عم المشركون انه شعروا كهانة (في لوح) هو في الهواء فوق السماء السابعة
وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال ان في صدر اللوح لا اله الا الله وحده دينه الاسلام ومحمد
عبده ورسوله فمن آمن بالله عز وجل وصديق بوعيده واتبع رسله أدخل الجنة قال واللوح لوح من
ذرة يضاء طولها ما بين السماء والارض وعرضه ما بين المشرق والمغرب وحافتاه الدر والياقوت
ودفتاه ياقوتة جرد وقلمه نور وكلامه نور ومعقود بالعرش وأصله في حجر ملك وقرأ (محفوظ) بالرفع
نافع على انه نعت لقرآن والناقون بالجر على انه نعت للوح وقال مقاتل اللوح المحفوظ عن عيسى
العرش وقال البغوي وهو أم الكتاب ومنه تنسخ الكتب محفوظة من الشياطين ومن الزيادة فيه

والنقصان وقول البيضاء في الزخمشي انه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة البروج
أعطاه الله تعالى بعد ذلك يوم الجمعة وكل يوم عرفة يكون في الدنيا عشر حسنات حديث موضوع

﴿سورة الطارق مكية﴾

وهي سبع عشرة آية واثنان وسبعون كلمة ومائتان واحد و سبعون حرفا

(بسم الله) مالك الخلق أجمعين (الرحمن) الذي عمّ جوده المؤمنين والكافرين (الرحيم) الذي
وخص رحمته بعباده المؤمنين وقوله تعالى (والسما والطارق) قسم أقسم الله تعالى به وقد أكثر
الله تعالى في كتابه العزيز ذكر السما والشمس والقمر لأن أحوالها في أشكالها وسيرها
ومطالعها ومغاريبها عجيبة * ولما كان الطارق يطلق على غير النجم أبهمه أولا ثم عظم القسم به
بقوله تعالى (وما أدراك) أي أعلمك يا أشرف خلقنا وان حاولت معرفة ذلك وبالغت في الفحص
عنه (ما الطارق) وهذا مبتدأ وخبر في محل المفعول الثاني لا دري وما بعد ما الأولى خبرها وفيه
تعظيم لشأن الطارق وأصله كل آت ليل ومنه النجوم لطاوعها ليل وقرأ أبو عمرو وجزة والكسائي
وشعبة وابن ذكوان بخلاف عنه بالأالة محضة وقرأ ورش بين اللغطين والباقون بالشخ ثم فسر
الطارق بقوله تعالى (النجم الناقب) أي المضي لنقبة الظلام بضوئه فينفذ فيه كما قيل دري لانه
يدروه أي يدفعه والمراد جنس النجوم أو جنس الشهب التي يرحم بها وقال محمد بن الحسين هو
زحل وقال ابن زيد هو الثريا وقال ابن عباس رضي الله عنهما هو الجدي وقال علي هو نجم
في السماء السابعة لا يسكنه غيره من النجوم فاذا أخذت النجوم أمكنتها من السماء هبط فكان
معها ثم يرجع الى مكانه من السماء السابعة فهو طارق حين ينزل وحين يرجع وفي الصحاح الطارق
النجم الذي يقال له كوكب الصبح قال الماوردي وأصل الطرق الدق ومنه سميت المطرقة وسمي
النجم طارقالا لانه يطرق الجني أي يقتله روى أن أبا طالب أتى النبي صلى الله عليه وسلم بخبر ولبن
فبينما هو جالس يأكل اذ انحط نجم فامتلات الأرض نورا ففزع أبو طالب وقال أي شيء هذا
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا نجم رعى به وانه آية من آيات الله تعالى ففجأ أبو طالب
فقرئت السورة وقال مجاهد الناقب المتوهج وجواب القسم (ان كل نفس) أي من الانفس
مطلقا لا سيما نفوس الناس (لما عليها) أي يخصوصها (حافظ) وقرأ ابن عامر وعاصم بتشديد
الميم والباقون بتخفيفها فعلى تخفيفها تكون حريضة وان محقة من الثقيلة واسمها محمد وف أي
انه واللام فارقة وعلى تشديد هافان نافية * ولما بعني الا والحافظ هو المهيمن الرقيب وهو الله
تعالى وكان الله على كل شيء رقيبا وكان الله على كل شيء مقبلا أو ملك يحفظ علمها ويحصى عليها
ما تكسب من خير وشر وروى الزخمشي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال وكل بالمومن مائة
وستون ملكا يذوبون عنه كما يذب أحدكم عن قصعة العسل الذباب ولو وكل العبد الى نفسه طرفة عين
احتطفتها الشياطين * ولما ذكر تعالى أن على كل نفس حافظا أتبعه بوصية الانسان بالنظر في حاله
فقال تعالى (فلينظر الانسان) أي الا أنس بنفسه الناظر في عطفه نظر اعتبار في أمره ونشأته

الاولى حتى يعلم أن من أنشأه قادر على اعادته فيعمل ليوم الاعادة والجزاء ولا يلى على حافظه
 الا ما يسره في عاقبته وقوله تعالى (ممن خلق) استفهام أى من أى شئ وجوابه (خلق) أى
 الانسان على أيسر وجه وأسهل بعد خلق أبيه آدم عليه السلام من تراب وأمه حواء رضى الله
 تعالى عنها من ضلعه (من ما دافق) أى مدفوق فاعل بمعنى مفعول كقوله تعالى عيثه راضية
 أو دافق على النسب أى ذى دفق أو اندفاق وقال ابن عطية يصح أن يكون الماء دافقا لأن بعضه
 يدفق بعضا أى يدفعه عنه دافق ومنه مدفوق والدفق الصب أى مصبوب فى الرحم ولم يقل تعالى
 من ماء من فانه من ماء الرجل وماء المرأة لأن الولد مخلوق منهما لا من ترابهما فى الرحم فصارا
 كلما الواحد واتحادهما حين ابتدئ في خلقه (يخرج من بين الصلب) أى للرجل وهو عظام
 الظهر (والترائب) أى للمرأة جمع ترية وهى عظام الصدر حيث تكون القلادة وعن
 عكرمة الترائب ما بين ثدييها وقيل الترائب التراقي وقيل أضلاع الرجل التى أسفل الصدر وحكى
 الزجاج أن الترائب أربعة أضلاع من يمنة الصدر وأربعة أضلاع من يسرة الصدر وقال ابن
 عادل جاء فى الحديث أن الولد يخلق من ماء الرجل يخرج من صلبه العظام والعصب ومن ماء المرأة
 يخرج من ترائبها اللحم والدم وحكى القرطبي أن ماء الرجل ينزل من الدماغ ثم يجتمع فى الاثنين
 وهذا لا يعارضه قوله تعالى من بين الصلب والترائب لانه ينزل من الدماغ الى الصلب ثم يجتمع
 فى الاثنين قال المهرسودى ومن جعل يخرج من بين صلب الرجل وترائب المرأة فالضمير للانسان
 والضمير فى قوله تعالى (انه) للخالق المدلول عليه بخلق لانه معلوم أن لخالق سواه سبحانه وتعالى
 وفى الضمير فى قوله تعالى (على رجعه) وجهان أحدهما انه ضمير الانسان أى بعثه بعد موته
 (اقادر) وهذا قول ابن عباس رضى الله عنهما والثانى انه ضمير الماء أى رجع المني فى الاحليل
 أو الصلب وهذا قول مجاهد وعن الضحاك أن المعنى انه على ردا الانسان من الكبر الى الشباب
 ومن الشباب الى الكبر وقال ابن زيد انه على حبس ذلك الماء حتى لا يخرج لقادر وقال الماوردى
 يحتمل انه قادر على أن يعيده الى الدنيا بعد بعثه الى الآخرة لأن الكفار يسمون فيها الرجعة
 وقوله تعالى (يوم) مصوب برجعه ومن يجعل الضمير فى رجعه للماء وفسره برجعه الى مخرجه من
 الصلب والترائب أو الاحليل وحاله الاولى نصب النظر فى ضمير أى واذا ذكر يوم (تبلى) تختبر
 وتكشف (السرائر) أى ما أسرته القلوب من العقائد والنيات وغيرهما وما أخفى من الاعمال
 وذلك يوم القيامة وبلاؤها تعرفها وتصفحها والتمييز بين ما طاب منها وما خبث وعن الحسن انه سمع
 رجلا يشهد سيق لها فى مضمرة القلب والحشا * سريرة ويوم تبلى السرائر
 فقال ما أغفله عما فى السماء والطارق وقال عطاء بن رباح ان السرائر فرأى الاعمال كالصوم
 والصلاة والوضوء والغسل من الجنابة فانه سائر بين الله تعالى وبين العبد ولو شاء العبد لقال
 صمت ولم يصم وصليت ولم يصل واغتسلت ولم يغتسل فيمتحن حتى يظهر من أداها من ضمعتها
 وقال ابن عمر يبدى الله تعالى كل سر فيكون زيننا فى وجوه وشيننا فى وجوه يعنى فن أداها كان
 وجهه مشرقا ومن لم يؤدها كان وجهه أعبر (فقاله) أى لهذا الانسان المذكر والبعث الذى

أخرجت سرائره وأغرق في النقي والتعميم فقال تعالى (من قوة) أي منعة في نفسه يجتمع بها
(ولا ناصر) أي ينصره من عذاب الله تعالى في دفعه عنه ثم ذكر تعالى قسما آخر فقال تعالى
(والسما) أي التي تقدم الاقسام بها ووصفها بما يؤيد العلم بالبعث فقال تعالى (ذات الرجح)
أي التي ترجع بال دوران الى الموضع الذي تحرك عنه فترجع الاحوال التي كانت
وتصرفت من الليل والنهار والشمس والقمر والكواكب والقصور من الشتاء وما فيه من برد
ومطر والصيف وما فيه من حر وصفاء وسكون وغير ذلك وقيل ذات النفع وقيل ذات الملازمة
الرجوعهم فيها بأعمال العباد وقيل ذات المطر لعوده كل حين أو لما قيل من ان السحاب تحمل الماء
من البحار ثم ترجعه الى الارض وعلى هذا يجوز ان يراد بالسما السحاب (والارض) أي
مسكنكم الذي أنتم ملابسوه ومعانيه كل وقت (ذات الصدع) أي تصدع عن النبات والشجر
والثمار والانهار والعيون نظيره قوله تعالى ثم شققنا الارض شقا الآية والصدع بمعنى الشق لانه
يصدع الارض فتصدع به فكانت قال تعالى والارض ذات النبات وقال مجاهد ذات الطرق
التي تصدعها المشاة وقيل ذات الحرث لانه يصدعها وقيل ذات الاموات لاصداعهم عنها للثبور
قال الرازي واعلم انه تعالى كما جعل كيفية خلقه الحيوان دليلا على معرفة المبدأ والمعاد ذكر
في هذا القسم كيفية خلقه النبات فقوله تعالى والسما ذات الرجح كالأب وقوله تعالى والارض
ذات الصدع كالأثم وكلاهما من النعم العظام لان نعم الدينام موقوفة على ما ينزل من السماء
مكثر او على ما ينبت من الارض كذلك ثم أردف هذا القسم بالمقسم عليه وهو قوله تعالى (انه
لقول فصل) وفي هذا الضمير قولان أحدهما ما قاله القفال وهو أن المعنى ان ما أخبرتكم به من
قدرتي على احيائكم يوم تبلى السرائر قول فصل وحق والثاني انه عائد على القرآن أي القرآن
فاصل بين الحق والباطل كما قيل له فرقان قال الرازي والا قول أولي لان عود الضمير الى المذكور
السالف أولى انتهت وأكثر المفسرين على الثاني والفصل الحكم الذي يتفصل به الحق من
الباطل ومنه فصل الخصومات وهو قطعها بالحكم الجزم ويقال هذا قول فصل قاطع للشر
والنزاع معناه جدل قوله تعالى (وما هو) أي في باطنه ولا ظاهره (بالحزل) أي باللعب والباطل بل
هو جد كله لا هوادة فيه ومن حقه وقد وصفه الله تعالى بذلك أن يكون مهيبا في الصدور ومعتظا
في القلوب يترفع به قاربه وسامعه أن يلزمه زل أو يتهكم به مزاح وأن يلقى ذهنه الى أن جبار
السموات والارض يخاطبه فيأمره وينهاه ويعدده ويوعده حتى ان لم يستمقره الخوف ولم يتبالغ
فيه الخشية فآذني أمره أن يكون جادا غير هازل فقد نفى الله تعالى عن المشركين ذلك في قوله
تعالى ونضحكون ولا نسكون وأنتم سامدون والغوا فيه هذا على عود الضمير للقرآن وعلى جعله
للاقول فيكون الشخص خاتما وجلا من ذلك الذي تبلى فيه السرائر (انهم) أي الكفار أعداء
الله تعالى (يكيدون كيدا) أي يكرهون بحمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه مكرًا واختلف في ذلك
الكيد فقيل القاء الشبهات كقولهم ان هي الاحياء لنا الدنيا من يحيي العظام وهي رميم أحمل
الالهة الها واحدا وما أشبه ذلك وقيل قصدهم قتله لقوله تعالى وأذيعركم الذين كفروا

الآية وأما قوله تعالى (وأكيد) أي أنا بتمام اقتداري (كيدا) فاختلف فيه أيضا فقيل معناه اجازتهم جزاء أكيدهم وقيل هو مأوقع الله تعالى بهم يوم يدر من القتل والاسرو قيل استدراجهم من حيث لا يعلمون وقيل أكيد الله تعالى لهم ينصره واعلاء درجته تسمية لاحد المتقابلين باسم الاخر كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها وقول الشاعر

الا لا يجهلن أحد علينا * فتجهل فوق جهل الجاهلينا

وكقوله تعالى نسوا الله فنسيهم يخادعون الله وهو خادعهم * ولما كان هذا معلما بأنهم عدم الاعتبار بهم قال تعالى مسيئا عنه تهديد الهم (فهمل الكافرين) أي فهل يأشرف الخلق هؤلاء البعداء ولا تستعجل بالانتقام منهم ولا بالدعاء عليهم باهلا بهم فان لا انجبل لان العجلة وهي ايقاع الشيء في غروقه الا ليق به نقص وقوله تعالى (أمهلهم) تأكيد حسنه مخالفة للفظ أي أنظرهم (رويدا) أي قليلا وهو مصدر مؤكل ليعني العامل مصغر رودا واروا على الترخيم وقد أخذهم الله تعالى بيدرو نسخ الامهال بالامر بالجهاد والقتال وقول البيضاوي تبعا للزخشرى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الطارق أعطاه الله تعالى بعدد كل نجم في السماء عشر حسنات حديث موضوع

﴿سورة الاعلى مكية﴾

في قول الجمهور وقال الضحاك مكية قال النووي وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحبها الكثيرة ما اشتملت عليه من العلوم والخبرات وهي تسع عشرة آية واثنان وسبعون كلمة ومائتان وأربعة وثلاثون حرفا

(بسم الله) عالم الغيب فلا تخفى عليه خافية (الرحمن) الذي عم جوده كل انس وجن وملك ودابة (الرحيم) الذي خص أوليائه بغيرتهم احسانه * واختاف في قوله سبحانه وتعالى (سبح اسم ربك) فالأكثر على ان المعنى نزهة ربك المحسن اليك بعد ايجادك على صفة الكمال عملا ليليق به فاسم زائد كقول لبيد * الى الحول ثم اسم السلام عليكم * وقيل عظم ربك (الاعلى) والاسم زائد كما مر قصد به تعظيم المسمى وذكر الطبري ان المعنى نزهة اسم ربك الاعلى عن أن تسمى به أحد اسواه وقيل نزهة تسمية ربك وذكر كذا ياه أن تذكره الا وأنت خاشع معظم لذكره وقال الرازي معنى سبح اسم ربك الاعلى أي نزهته عن كل ما يليق به في ذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله وأحكامه أما في ذاته فان تعتقد أنها ليست من الجواهر والاعراض وأما في صفاته فان تعتقد أنها ليست محدثة ولا متناهية ولا ناقصة وأما في أفعاله فان تعتقد أنه سبحانه مالم مطلق لا اعتراض لاحد عليه في أمر من الامور وأما في أسمائه فان لا تذكره سبحانه بالا اسماء التي لا توهم نقصا بوجه من الوجوه سواء ورد الاذن فيها أم لم يرد. وأما في أحكامه سبحانه فان تعلم أنه ما كلفنا النفع يعود اليه بل لمحض المالكية قال البغوي ويحتج به هذا من يجعل الاسم والمسمى واحدا الا أن أحدا لا يقول سبحان الله وسبحان اسم ربنا انما يقول سبحان الله وسبحان ربنا فان كان معنى سبح اسم

ربك سبح ربك اه وكون الاسم عين المسمى أو غيره قد ذكرتم في مقدمتي على البسملة والحمدلة
وعن ابن عباس رضي الله عنهما سبح أي صل بأمر ربك وذهب جماعة من الصحابة والتابعين على
أن المراد قل سبحان ربّي الأعلى وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ
سبح اسم ربك الأعلى فقال سبحان ربّي الأعلى وعن عقبة بن عامر أنه لما نزلت فسبح باسم ربك
العظيم قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوها في ركوعكم ولما نزل سبح اسم ربك الأعلى
قال اجعلوها في سجودكم وروى أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول ذلك وروى أن أقول من قال
سبحان ربّي الأعلى مائة مائة * ولما أمر تعالى بالتسبيح فكان سائلا قال الاشتغال بالتسبيح إنما
يكون بعد المعرفة فالدليل على وجود الرب تعالى فقال تعالى (الذي خلق) أي أوجد من العدم
فله صفة الإيجاد لكل ما اراده لا يعسر عليه شيء (فسوى) أي مخلوقه وقال الرازي يحتمل أن يريد
الناس خاصة ويحتمل أن يريد الحيوان ويحتمل أن يريد كل شيء خلقه تعالى فمن جملة على الإنسان
ذكر التسوية وجوها أحدها اعتدال قاضته وحسن خلقه كما قال تعالى لقد خلقنا الإنسان
في أحسن تقويم وأثنى على نفسه بسبب خلقه آياه بقوله تعالى فبقاربه الله أحسن الخالقين ثانيها
كل حيوان مستعد لنوع واحد من الأعمال فقط وأما الإنسان فإنه خلق بحيث يمكنه أن يأتي
بجميع الأعمال بواسطة الآلات ثالثها أنه تعالى هيأ له كل شيء والقيام بأداء العبادات وقال
بعضهم خلق في أصلاص الآباء وسوى في أرحام الاتهات ومن جملة على جميع الحيوانات فعماده أنه
أعطى كل حيوان ما يحتاج إليه من الآلات والأعضاء ومن جملة على جميع المخلوقات كان المراد
من التسوية هو أنه تعالى قادر على كل الممكنات عالم بجميع المعلومات يخلق ما أراد على وفق
ارادته موصوفا بالاحكام والاتقان مبرأ عن النقص والاضطراب وقرأ (والذي تدر) الكسافي
بتخفيف الدال والباقون بالتشديد قال البغوي وهما بمعنى واحد أي أوقع تقديره في أجناس
الاشياء وأنواعها وأشخاصها ومقاديرها وصفاتها وأفعالها وأحوالها وغير ذلك من أحوالها
فجعل البطش للبدن والمشى للرجل والسمع للاذن والبصر للعين ونحو ذلك (فهدي) قال مجاهد
هدى الإنسان لسبيل الخير والشر والسعادة والشقاوة وهدى الأنعام لراعيها وقال مقاتل
والكافي في قوله تعالى فهدي عزف خلقه كيف يأتي الذكر الاثنى كما قال تعالى في سورة طه
أعطي كل شيء خلقه ثم هدي أي الذكر الاثنى وقال عطاء جعل لكل دابة ما يصلحها وهداها له وقبل
قدراً قواهم وأرزاقهم وهداهم لمعاشهم ان كانوا اناسا ولم اعيهم ان كانوا وحوشا وقال السدي
قد رمت الجنة في الرحم ثم هداها الى الخروج من الرحم ومن ذلك هدايات الانسان الى مصالحه
من أغذيته وأدوية وأموار دينه ودينه والهوامات البهائم والطيور وهوام الارض الى معاشها
ومصالحها يقال ان الانبياء اذا أتى عليهم ألف سنة عميت وقد ألهمهم الله تعالى أن تسمع عينيهم بالبورق
الرازي ينج الغضب فيرد اليها بصرفها فربما كانت في برية بينها وبين الريف مسيرة أيام فتطوى تلك
المسافة على طولها وعمماها حتى تم جمع في بعض البساتين على شجرة الرازي ينج لا تخطئها فتكسبها
عينيها فترجع باصرة باذن الله تعالى وقيل فهدي أي دلهم بأفعاله على توحيدهم وكونه عالما قادرا

والاستدلال بالخلق والهداية معتمداً لانياء قال ابراهيم عليه السلام الذي خلقني فهو يهدين
وقال موسى عليه السلام لفرعون ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى * وما ذكر سبحانه
ما يختص بالناس اتبعه ما يختص بالحيوان فقال تعالى (والذي أخرج المرعى) أي أبيت ما ترعاه
البواب وقال ابن عباس رضي الله عنهما المرعى الكلاء الأخضر (فجعله) أي بعد أطوار من
زمن أخرجه بعد خضرته (غناء) أي جافاً هشياً (أحوى) أي أسودياً بسا قال الزمخشري ويجوز
أن يكون أحوى حالاً من المرعى أي أخرجه أحوى أي أسود من شدة الخضر والري فجعله غناء
بعد حويته وقال ابن زيد هذا مثل ضربه الله تعالى للكفار إذ هاب الدنيا بعد نصارتها وقوله تعالى
(سنقرئك فلا تنسى) بشارته من الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم بإعطاء آية بينة وهي أن يقرأ
عليه جبريل ما يقرأ عليه من الوحى وهو أتم لا يكتب ولا يقرأ فيحفظه ولا ينساه فهو نبي أخبر الله
تعالى أن نبياه صلى الله عليه وسلم لا ينسى وقيل نهى والالف من يدة للفاصلة كقوله تعالى السبع لا
أى فلا تفعله كرامة وتكريره ثلاثاً ينساه ومنعه مكى لانه لا ينهى عما ليس باختياره (وأجيب) بأن
هذا غير لازم اذ المعنى النهى عن تعاطي أسباب النسيان وهو شائع قال الرازي وهذه الآية
تدل على المجزأة من وجهين الاول انه كان رجلاً أتمياً يحفظه لهذا الكتاب المطول من غير دراسة
ولا تكرار خارج للعادة فيكون مجزأً الثاني ان هذه السورة من أول ما نزل بمكة فهذا الخبر
عن أمر عجيب مخالف للعادة سيقع في المستقبل وقد وقع فكان هذا الخبراً فيكون مجزأً
وفي المشبهة في قوله تعالى (الامشاء الله) أى الملك الذى له الامر كله وجوه أحدها التبرك به هذه
الكلمة كقوله تعالى ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً الا أن يشاء الله فكانه تعالى يقول انى
عالم بجميع المعلومات وعالم بعواقب الامور على التفصيل ومع ذلك لا أخبر بوقوع شيء في المستقبل
الا مع هذه الكلمة فأنت وأنتك يا أشرف الخلق أولى بها ثانيها قال القراء انه تعالى ما شاء أن
ينسى محمد صلى الله عليه وسلم شيئاً الا ان المقصود من ذكر هذا الاستثناء بيان انه تعالى لو أراد أن
يصفيه ناسياً لذلك لقد ر عليه كقوله تعالى ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا اليك ثم نأنقطع عنه
تعالى ما شاء ذلك ونظيره قوله تعالى إني أشركت ليجبطن عماك مع انه صلى الله عليه وسلم ما أشرك
البتة ففائدة هذا الاستثناء ان الله تعالى يعرفه قدرته حتى يعلم ان عدم النسيان من فضل الله
تعالى وإحسانه لا من قوته ثالثها ان الله تعالى لما ذكر هذا الاستثناء جاز صلى الله عليه وسلم
في كل ما ينزل عليه من الوحى أن يكون ذلك هو المستثنى فلا جرم بالغ في التثبت والتحفظ في جميع
المواضع فكان المقصود من ذكر الاستثناء بقاءه صلى الله عليه وسلم على التيقظ في جميع الاحوال
رابعها أن ينساه بنسخ تلاوته وحكمه وكان صلى الله عليه وسلم يجهر بالقراءة مع قراءة جبريل
عليه السلام خوف النسيان فكانه قيل له لا تعجل بها انك لا تنسى ولا تعب نفسك بالجهر بها
(انه) أى الذى هم ما شاء مكان (يعلم الجهر) أى القول والفعل (وما يخفى) أى منعهما وعن
ابن عباس رضي الله عنهما ما فى قلبك ونفسك وقال محمد بن حاتم يعلم اعلان الصدقة وإخفاءها
وقيل الجهر ما حفظته من القرآن في صدرك وما يخفى ما نسخ من صدرك وقوله تعالى (ونيسرك)

اليسرى) عطف على سنقروله فهو داخل في حيز التنقيص وما بينهما من الجملة اعتراض قال
 الفخام واليسرى هي الشريعة اليسرى وهي الخفيفة السهلة وقال ابن مسعود اليسرى
 الجنة أى يسرك إلى العمل المؤدى إلى الجنة وقيل اليسرى الطريقة اليسرى وهي اجمال الخير
 والامر في قوله تعالى (فذكر) للنبي صلى الله عليه وسلم أى فذكر بالقرآن (ان نفع الذكرى)
 أى الموعظة وان شرطية وفيه استبعاد لتذكيرهم ومنه قول القائل

لقد سمعت لونا ديت حيا * ولكن لاحياة لمن تنادى

ولانه صلى الله عليه وسلم قد استقرخ مجهوده في تذكيرهم وما كانوا يزيدون على زيادة الذكرى
 الاعتوا وطغيا ناوكان صلى الله عليه وسلم يملأ حسرة وتلهفا ويرداد جهدا في تذكيرهم وحرصا
 عليه فقبل ان نفع الذكرى وذلك بعد الزام الحجة بتكرير التذكير وقيل ان بمعنى اذ كقوله تعالى
 وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين أى اذ كنتم مؤمنين وقيل بعده شئ محذوف تقديره ان نفع
 الذكرى وان لم تنفع كقوله تعالى سرايل نقيكم الخ رأى والبرد قاله الفراء والنحاس وقيل ان
 بمعنى ما لا بمعنى الشرط لان الذكرى باقية بكل حال * ثم بين تعالى من تنفعه الذكرى بقوله سبحانه
 (سيد ذكر) أى بوعده لا خلف فيه (من يخشى) أى يخاف الله تعالى فهي كآية فذكر بالقرآن من
 يخاف وعبد وان كان النبي صلى الله عليه وسلم يجب عليه تذكيرهم فنفعهم الذكرى أم لم تنفعهم
 وقال ابن عباس نزلت في ابن أم مكتوم وقيل في عثمان بن عفان قال الماوردي وقد تذكر من
 يرجوه الا أن تذكر الخاشع أبلغ فلذلك علقها بالخشية دون الرجاء وقال القشيري المعنى
 عم أنت بالتذكير والوعظ وان كان الوعظ انما ينفع من يخشى ولكن يحصل لك ثواب الدعاء
 (فان قيل) التذكير انما يكون بشئ قد علم وهو لا علم زالوا كفارا معاندين (أجيب) بأن ذلك
 لظهوره وقوة دليله كانه معام لسكنه يزول بسبب التقليد والفساد * (تنبيه) * السنين في قوله
 تعالى سيد كرمحتمل أن تكون بمعنى سوف وسوف من الله تعالى واجب كقوله تعالى سنقرئك
 فلا تنسى ويحتمل أن يكون المعنى ان من خشي فانه يتذكر وان كان بعد حين بما يستعمله من
 التدبر والنظر * ولما بين تعالى من يتنفع بالذكرى بين من لا يتنفع به بقوله تعالى (ويتجنبها) أى
 الذكرى أى يتركها جانبا لا يلتفت اليها (الاشقي الذي يصلى النار) وهو الكافر (فان قيل)
 الاشقي يستدعى وجود شئ فكيف قال هذا القسم (أجيب) بأن لفظ الاشقي من غير مشاركة
 كقوله تعالى أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا وقوله تعالى وهو أهون عليه
 وقال الرازي الفرق ثلاثة العارف والمتوقف والمعاند فالسعيد هو العارف والمتوقف له بعض
 الشقاوة والاشقي هو المعاند وقال الزمخشري الاشقي هو الكافر لانه أشقى من الفاسق أو الذى
 هو أشقى الكفرة لتوغلته في معاداة النبي صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة
 وعقبة بن ربيعة واختلف في قوله تعالى (الكبرى) أى العظمى على وجوه أحدها قال الحسن
 هي نار جهنم والصغرى نار الدنيا ثانيها ان فى الآخرة تيرانا ودركات متفاضلة فكأن الكافر
 أشقى العصاة فكذلك يصلى أعظم النيران ثالثها ان النار الكبرى هي النار السفلى فهي نصيب

انكفار كما قال تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار (فان قيل) قوله تعالى (ثم لا يموت
 فيها ولا يحيى) يقتضى ان ثم حالة غير الحياة والموت وذلك غير معقول (أجيب) عن ذلك بوجهين
 أحدهما لا يموت فيستريح ولا يحيى حياة تنفعه كما قال تعالى لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يحثف عنهم
 من عذابهم وهذا جاء على مذهب العرب يقولون للمبتلى بالبلاء الشديد لا هو حتى ولا هو ميت
 ثانيهما ان نفس أحدهم في النار في حلقة لا تخرج فيموت ولا ترجع الى موضعها فيحيا
 * (تنبيه) * قوله تعالى ثم للتراب بين الرتب في السدة * ولما ذكر تعالى وعيد من أعرض
 عن النظر في دلائل الله تعالى أتبعه بالوعيد لضده فقال تعالى (قد أفلح) أى فاز بكل خسر (من
 ترك) أى تطهر من الكفر بالايمان لما روى عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 قال قد أفلح من تركى أى شهد أن لا اله الا الله وخلع الانداد وشهد أنى رسول الله وقيل تطهر
 للصلاة أو أدى الزكاة (وذكر اسم ربه) أى بقلبه ولسانه مكبرا (فصل) أى الصلوات الخمس قال
 الرخشمى وبه يحتج على وجوب تكبيرة الافتتاح وعلى أنها ليست من الصلاة لان الصلاة
 معطوفة عليها وقال قتادة تركى عمل صالحا وعن عطاء نزلت في صدقة القطر قال ابن سيرين
 قد أفلح من تركى قال خرج فصلى بعدما أدى زكاة القطر وصلى صلاة العيد قال بعضهم
 لا أدري ما وجه هذا التأويل فان هذه السورة مكية ولم يكن بمكة عيود ولا زكاة فطر وأجاب
 البغوى بأنه يجوز أن يكون النزول سابقا على الحكم كقوله تعالى وأنت حلل بهذا البلد
 والسورة مكية وظهر أثر الحل يوم الفتح قال صلى الله عليه وسلم أحلت لى ساعة من نهار وقيل
 المراد زكاة الأعمال لازكاة الأموال أى تركى أعماله من الرياء والتقصير وروى عن عطاء
 أنه قال ان هذه الآية نزلت في عثمان وذلك انه كان بالمدينة منافقا لم تخله مائة الى دار رجل
 من الانصار اذا هبت الريح تساقط منها بئر ورطب في دار الانصارى فبأ كل هو وعياله من ذلك
 لخاصمه المنافق فذكر الانصارى ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فأرسل خلف المنافق وهو لا يعلم
 نفاقه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ان أهلك الانصارى ذكر ان يسرك ورطبك يقع في منزله
 فبأ كل هو وعياله منه فهل لك أن أعطيك نخلة في الجنة بدلها قال أبيع عاجلا بآجل لأفعل
 فذكروا ان عثمان قد أعطاها نطاس من نخل بدل نخلته يقول فيه قد أفلح من تركى وفي المنافق
 ويتجنبها الاشقي وقال الضحاك نزلت في أبي بكر وقرأ (بل تؤثرون الحياة الدنيا) أبو عمرو بياء
 الغيبة والباقون بناء الخطاب ومعناه على القراءة الاولى بل يؤثرون الاشقيون وعلى القراءة
 الثانية بل يؤثرون أيها المسلمون الاستكثار من الدنيا الدينية بالعز الحاضر مع أنها شروفاية
 اشتغالهم الاجل حضورها كالحوانات التي هي مقيدة بالمحسوسات على الاستكثار من
 الثواب (والآخرة) أى والحال ان الدار التي هي غاية القصد المبرأة عن العيب المنزهة
 عن الخرج عن الحكمة (خير) أى من الدنيا (وأبني) لانها تستعمل على السعادة الجسمانية
 والروحانية والدنيا ليست كذلك فالآخرة خير من الدنيا ولان الدنيا ذاتها مخلوطة بالآلام
 والآخرة ليست كذلك ولان الدنيا فانية والآخرة باقية والباقي خير من الفانى وعن عمر

ما الدنيا في الآخرة الا كنفحة أرب وعن ابن مسعود أنه قرأ هذه الآية فقال أتدرون
 لم آثرنا الحياة الدنيا على الآخرة قلنا لا قال لأن الدنيا أحضرت وعجل لنا طعامها وشربها
 ونساءها ولذاتها وبهجتها وإن الآخرة نعت لنا وزويت عنا فأحببنا العاجل وتركنا
 الآجل والإشارة في قوله تعالى (إن هذا في الصحف الأولى) الى قوله قد أفلح من تركي الى قوله
 خير وأبقى أي هذا الكلام وارد في تلك الصحف وقيل الى ما في السورة كلها وهو رواية عن
 عن ابن عباس وقال الضمك أن هذا القرآن في الصحف الأولى ولم يرد أن هذه الالفاظ بعينها
 في تلك الصحف وإنما معناه أن معنى هذا الكلام في تلك الصحف ثم بين تلك الصحف وهي المنزلة
 قبل القرآن بقوله تعالى (صحف إبراهيم) وقدمه لأن صحفه أقرب الى الوعظ كما نطق به حديث
 أبي ذر (وموسى) وختم به لأن الغالب على كتابه الاحكام والمواعظ به قلبه ومنها الزواجر
 البليغة كاللعن لمن خالف أوامر التوراة التي أعظمها البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم وروى
 عن أبي بن كعب أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أزل الله تعالى من كتاب فقال مائة
 وأربعة كتب منها على آدم عشر صحف وعلى شيث خمسون صحيفة وعلى اخنوخ وهو اديس
 ثلاثون صحيفة وعلى ابراهيم عشر صحائف والتوراة والانجيل والزبور والفرقان وقيل في صحف
 ابراهيم ينبغي للعاقل أن يكون حافظا للسانه عارفا بزمانه مقبلا على شأنه وعن عائشة قالت
 كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في الركعتين التين يوتر بعدهما بسبح اسم ربك الاعلى
 وقل يا أيها الكافرون وفي الترتيل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس
 وقرأ الاعلى فسوى فهدى الربى أحوى فلا تنسى وما يحقني من يخشى الاشقى
 ولا يحقني من تركي فصلى الدنيا وأبقى الأولى وموسى حزمة والكسائي بالامالة محضة
 وقرأ ورش وأبو عمرو وبين بين والفتح عن ورش قليل أما الاعلى الذي والاشقى الذي اذا وقف
 عليهم ما فالامالة وان وصلا فالامالة والباقون بالفتح وقرأ الذكري الكبرى أبو عمرو والكسائي
 بالامالة محضة وقرأ ورش بين الملقطين والباقون بالفتح وقول البضاوي تعالى لم يخش
 أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الاعلى أعطاه الله عشر حسنات بعدد كل
 حرف أنزله الله تعالى على ابراهيم وموسى ومحمد عليهم السلام حديث موضوع

﴿سورة الغاشية مكية بالاجماع﴾

وهي ست وعشرون آية واثنان وتسعون كلمة وثلاثمائة واحد وعشرون حرفا

(بسم الله) علام الغيوب (الرحمن) كاشف الكرب (الرحيم) الذي خص أولياءه بالعفو
 عن الذنوب وقوله سبحانه وتعالى (هل أتاك حديث الغاشية) فيه وجهان أحدهما أن هل بمعنى
 قد أي قد جاءك أي شرف الخلق حديث الغاشية كقوله تعالى هل أتى على الانسان حين من
 الدهر قال قطرب والثاني انه استفهام على حاله وتسميه أهل البيان التشويق والمعنى ان لم يكن
 أتاك حديث الغاشية فقد أتاك وهو معنى قول الكلبي والغاشية الداهية التي تغشى الناس

بشدائدها وتلبسهم أهوالها وهي القيامة من قولهم يوم يغشاهاهم العذاب وقيل هي النار من قوله
تعالى وتعتشى وجوههم النار ومن قولهم غواش وقيل المراد النفخة الثانية للبعث لأنها تعتشى
الخلق وقيل الغاشية أهل النار يغشونها ويقتحمون فيها (وجوه) أى كثيرة جداً كأنه (يومئذ)
أى يوم أذغشيت (خاشعة) أى ذليلة من الخلل والفضيحة والخوف من العذاب والمراد
بالوجوه فى الموضعين أصحابها (عامة ناصبة) أى ذات نصب وتعب قال سعيد بن جبيرة عن
قتادة تكبرت فى الدنيا عن طاعة الله تعالى فأعلمها الله تعالى وأنصباها فى النار يجز السلاسل
الثقال وسجل الأغلال والوقوف حفاة عراة فى العرصات فى يوم كان مقداره ألف سنة وقال
ابن مسعود تخوض فى النار كما تخوض الأبل فى الوحل وقال الحسن لم تعمل لله فى الدنيا
ولم تنصب له فأعلمها وأنصباها فى جهنم وقال ابن عباس هم الذين أنصبوا أنفسهم فى الدنيا على
معصية الله تعالى على الكفر مثل عبدة الأوثان والرهبان وغيرهم لا يقبل الله تعالى منهم
الامكان خالصه وعن علي أنهم الخوارج الذين ذكرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
تخفرون صلاتكم مع صلاتهم وصيامكم مع صيامهم وأعمالكم مع أعمالهم يعرفون من الدين
كما يعرف السم من الرمية الحديث وقرأ (نصلى) أبو عمرو وشعبة بضم الناء الفوقية
على ما ليس فاعله والباقون بفتحها على تسمية السائل والضمير على كذا القراءتين للوجوه
والمعنى تدخل (بارحامة) أى شديدة الحر قد أوجبت وأوقدت مدة طويلة ومنه جي النهار
بالكسر أى اشتد حره وحكى الكسائي اشتد حى الشمس وجوها يعنى قال صلى الله عليه
وسلم أوقد عليها ألف سنة حتى اجرت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ثم أوقد عليها ألف سنة
حتى اسودت فهي سوداء مظلمة وقيل المصلى عند العرب أن يحفر واحفيرا فيجمعون فيه
جرا كثيرا ثم يعمدوا إلى شاة فيدسوها وسطه فاما ما شوى فوق الجرا وعلى المقل أو فى المنور
فلا يسمى مصليا ولما بين تعالى مكانهم ذكر شهرابهم فقال تعالى (تسقى من عين آية) أى
شبه بيدة الحرارة كقوله تعالى من جيم أن أى متناه فى الحرارة روى أنه لو وقعت منها قطرة على
جبال الدنيا لاذابتها ولما ذكر تعالى شهرابهم أتبعه بذكر طعامهم فقال تعالى (ليس لهم طعام
الآن من ضربيع) قال مجاهد هو نيت ذر شوك لأطى بالارض تسميه قرش الشبرق فاذا هاج
بجمه الضربيع وهو أخت طعام وأبشعه قال الكلبي لا تقر به دابة إذا يبس وقال ابن زيد
اتملى الدنيا فان الضربيع الشوك اليابس الذى ليس له ورق وهو فى الآخرة شوك من نار وجاء
فى الحديث عن ابن عباس يرفعه الضربيع شئ فى النار يشبه الشوك أمر من الصبر وأتى من
الجيفة وأشد حر من النار قال أبو الدرداء والحسن إن الله تعالى يرسل على أهل النار الجوع
حتى يعدل عندهم ما هم فيه من العذاب فيستغيثون فيغاثون بالضربيع ذى عصاة فيذكرون
أنهم كانوا يجيزون الغصص فى الدنيا بالماء فيستسقون فيعطشهم ألف سنة ثم يستنون من عين
آية لاهنية ولا مبرئة فلما أدنو من وجوههم سلخ جلود وجوههم وشبواها فاذا وصل بطونهم
قطعهما فذلك قوله تعالى وسقوا ماء حيا فاقطع أمعاءهم قال بعض المفسرين فلما زالت هذه

الآية قال المشركون إن هذا التسمن على الضريع وكذبوا في ذلك فإن الابل انما ترعاه مادام
رطباً ويسمى شبراً فاذا يبس لا يأكله شيء قال ذوؤيب يصف جباراً

رعى الشبرق الريان حتى اذا ذوى * وصار ضريعاً بان عنه النخاض

والنصوص من الاثن التي لا ين لها * ولما قالوا ذلك أنزل الله تعالى تكذيباً لهم (لا يسمن
ولا يغنى) أى يكفى كفاية مبتدأة (من جوع) فلا يحفظ الصحة ولا يمنع الهزال ففى السمن
والشبع عنه وعلى تقدير أن يصدقوا فيكون المعنى أن طعامكم من ضريع ليس من جنس
ضريعكم انما هو ضريع غير ضريع ولا مغن من جوع (فان قيل) كيف قيل ليس لهم طعام
الامن ضريع وفى الحاقه ولا طعام الامن غسلي (أجيب) بأن العذاب ألوان والمعذبون
طبقات فتم أكلة الرقوم ومنهم أكلة الغسلين ومنهم أكلة الضريع لكل باب منهم جزء مقسوم
* ولما ذكر تعالى وعيد الكفار اتبعه بشرح أحوال المؤمنين فقال تعالى (وجوه يومئذ) أى
يوم تغشى الناس ووصفها بصفات الاولى قوله تعالى (ناعمة) أى ذات بهجة وحسن كقوله
تعالى تعرف فى وجوههم بضرة النعيم أو مستعمة قال مقاتل فى نعمة وكرامة الصفة الثانية قوله
تعالى (لسعياً) أى فى الدنيا بالاعمال الصالحة (راضية) أى فى الآخرة بثواب سعيها حين رأت
ما آذاهم اليه من الكرامة الصفة الثالثة قوله تعالى (فى جنه) ثم وصف الجنة بصفات الاولى
قوله تعالى (عالية) أى علمه المحل والقدر الصفة الثانية قوله تعالى (لا يسمع فيها الاغنية) قرأ بالتاء
الفوقية نافع مضمومة لاغية بالرفع وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وبالناء التحتية مضمومة لاغية بالرفع
لقيامها مقام الفاعل والباقون بالتاء الفوقية مفتوحة لاغية بالنصب فيجوز أن تكون التاء
للخطاب أى لا تسمع أنت وأن تكون للتأنيث أى لا تسمع الوجوه والغو قال ابن عباس
الكذب والبهتان والكفر بالله تعالى وقال قتادة لا باطل ولا اثم وقال الحسن هو الستم
وقال القراء الحلف الكاذب والاولى كما قيل لا يسمع فى كلامهم كلمة ذات لغو وانما يتكلمون
بالحكمة وحمد الله تعالى على ما ورثهم من النعيم الدائم وهذا أحسن الاقوال قاله القفال
وقال الكلبي لا يسمع فى الجنة حالف بين البرة ولا فاجرة الصفة الثالثة قوله تعالى (فيها) أى
الجنة (عين جارية) قال الزمخشري يريد عبودنا فى غاية الكثرة كقوله تعالى علمت نفس وقال
القفال فيها عين شراب جارية على وجه الارض فى غير اخدود وتجري لهم كما أرادوا الصفة
الرابعة قوله تعالى (فيها سرور مفعلة) أى عالية فى الهواء قال ابن عباس ألواحها من ذهب
مكلاة بالزبرجد والدر والياقوت مرتفعة فى السماء ما لم يجى أهلها فإذا أرادوا أن يجلسوا عليها
نواضعت ثم ترتفع الى مواضعها الصفة الخامسة قوله تعالى (وأكواب موضوعة) جمع كوب
وهى الكيزان التى لا عرى لها قال قتادة فهى دون الابريق وفى قوله تعالى موضوعة وجوه
أحدها انما معدة لاهلها كالرجل يلتصق من الرجل شيئاً فيقول هو هوها موضوع بمعنى معدة
ثانيها موضوعة على حافات العين الجارية كلما أرادوا الشرب وجدوها ملوثة من الشراب
ثالثها موضوعة بين أيديهم لاستحسانهم اياها بسبب كونهم من ذهب أو فضة أو من جواهر

وتلذذهم بالشرب فيها رابعها أن يكون المزاود موضوعة عن حد الكبر أي هي أوساط بين
الكبر والصغر كقوله قدروها تقديرا الصفة السادسة قوله تعالى (ونبارق) وهي الوسائد
واحداهم غرقه بضم النون والراء وكسرهما الغتان أشهرهما الأولى وهي وسادة صغيرة قالت
نحن بنات طارق * نمشي على النارق.

(مصنوفة) أي واحدة إلى جنب واحدة أخرى قال الشاعر

كهلوا وشبانا حسانا وجوههم * لهم سر مصفوفة ونعارق

الصفة السابعة قوله تعالى (وزراني) وهي جمع زربية بفتح الزاي وكسرهما الغتان مشهورتان
وهي بسط عراض فاخرة وقال ابن عباس هي الطنافس التي لها خجل أي وبرريق واختلف
في قوله تعالى (مبثوثة) فقال قتادة مبسوطة وقال عكرمة بعضها فوق بعض وقال القراء
كثيرة وقال القسبي مفرقة في المجالس قال القرطبي وهذا أصح فهي كثيرة متفرقة ومنه قوله
تعالى وبث فيها من كل دابة * ولما ذكر تعالى أمر الدارين تعجب السكاك من ذلك فكذبوه
وأنكروا وقد كرمهم الله تعالى صنعه وقدرته بقوله تعالى (أفلا ينظرون) أي المنكرون لقدرة
سبحانه وتعالى على الجنة وما ذكر فيها والنار وما ذكر فيها أي نظرا اعتبار (إلى الأبل) وفيه على
أنه عجيب خلقها عما ينبغي أن تتوفر الدعوى على الاستفهام والسؤال عنه بأداة الاستفهام
فقال تعالى (كيف خلقت) أي خلقا عجيبا دال على كمال قدرته وحسن تدبيره حيث خلقها
للمروض بالاثقال وجرحها إلى البلاد النائية فجعلها تبرز حتى تحمل عن قرب ويسر ثم تنهض
بما حلت وسخرها منقادا لكل من اقتادها بأزمها لا تعارض ضعيفا ولا تنازع صغيرا وبرأها
طوال الاعناق لتنوب بالاقفار وعن بعض الحكماء أنه حدث عن البعير وبديع خلقه وقد نشأ
في بلاد الأبل بها فتفكر ثم قال يوشك أن تكون طوال الاعناق وحين أراد بها أن تكون سقات
البر صبرها على احتمال العطش حتى أن ظمها الصبر على عشر فضاء السباتي لها قطع البراري
والمفاوز مع ما لها من منافع أخرى وذلك خصت بالذكور لبيان الآيات المنبئة في الحيوانات التي هي
أشرف المراتب وأكثرها صنعا ولا نها أعجب ما عند العرب من هذا النوع لأنها ترى كل شيء
نابت في البراري والمفاوز وما لا ترعاه سائر البهائم وعن سعيد بن جبيرة قال لقيت شريحا القاضى
فقلت له أين تريد قال أريد الكعاسة قلت وما تصنع بها قال انظر إلى الأبل كيف خلقت
(تنبيه) * الأبل اسم جمع واحد بعير وناقة وجل ولا واحد لها من لفظها وقال المبرد الأبل
هنا القطع العظيمة من السحاب قال الثعلبي ولم أجسد ذلك أصلا في كتب الأئمة وقال
الماوردي وفي الأبل وجهان أظهرهما أنها الأبل والثاني أنها السحاب فإن كان المراد بها
السحاب فلما فيها من الآيات والدلالات الدالة على قدرته والمنافع العاتية لجميع خلقه وإن كان
المراد بها الأبل فلأن الأبل أجمع للمنافع من سائر الحيوانات لأن ضرور الحيوانات أربعة حلوبة
وزركوبة وإكولة وجولة والأبل تجمع هذه الخلال الأربع فكانت النعمة بها أعم
وظهورا لقدرة فيها أتم وقيل للحسن القليل أعظم في الأبعوبة فقال العرب بعيدة العهد بالليل

ثم هو لا يؤكل لحمه ولا يركب ظهره ولا يجلب درته (والى السماء) التى هى من جملة مخلوقاتها
(كيف رفعت) أى رفعا بعيدا بلا امساك وبغير عمد على ما لها من السعة والكبر والنقل
والاحكام وما فيها من الكواكب والغرائب والعجائب (والى الجبال) أى الشامخة وهى أشد
الارض (كيف نصبت) نصبا بانما هي راسية لا تميل ولا تزول كما قال تعالى وجعلنا فى الارض
رواسى أن تميد بكم (والى الارض) أى على سمعتها (كيف سطحت) سطحا بهتد وتوطئة فهى
مهادة للقلب عليها واستدل بعضهم بذلك على أن الارض ليست بكرة قال الرازى وهو ضعيف
لان الكرة اذا كانت فى غاية العظامة تكون كل قطعة منها كالسطح (فان قيل) كيف حسن
ذكر الابل مع السماء والجبال والارض ولا مناسبة (أجيب) بان من فسرهابا بالسحاب
فالمناسبة ظاهرة وذلك على طريق التشبيه والمجاز ومن فسرهابا بالابل فالمناسبة بينها وبين السماء
والارض والجبال من وجهين أحدهما ان القرآن نزل على العرب وكانوا يسافرون كثيرا
ويسيزون عليها فى أوديتهم ويؤاذيهم حسرت وحشيش ومنفردين عن الناس والانسان اذا انفرد
أقبل على التفكير فى الاشياء لانه ليس معه من يحادثه وليس هناك ما يشغل به سمعه وبصره
فلا بد من أن يجعل دأبه التفكير فاذا تفكر فى تلك الحال فأول ما يقع بصره على البعير الذى
هو رابكه فمرى منظر عجيبا وان تنظر الى فوق لم ير غير السماء وان تنظر يمينا وشمالا لم ير غير الجبال
وان تنظر الى تحت لم ير غير الارض فكانه تعالى أمره بالنظر وقت الخلوة والانفراد حتى
لا يتجسس له داعية الكبر والحسد على ترك النظر فانهما ان جميع المخلوقات دالة على الصانع جل
قدرته الا أنهم ساقطان منها ما للشهوة فيه من حظ كالوجه الحسن والبساتين الزهية والذهب
والفضة فهذه مع دلائلها على الصانع قد يمنع استحسانها عن كمال النظر فيها ومنها ما لا حظ
فيه للشهوة كهمزة الاشياء فأمره بالنظر فيها اذ لا مانع من كمال النظر فيها وقال عطاء
عن ابن عباس كأن الله تعالى يقول هل يقدرا أحد أن يخلق مثل الابل أو يرفع مثل السماء
أو ينصب مثل الجبال أو يسطح مثل الارض غيرى * ولما بين تعالى الدلائل على صحة التوحيد
والمعاد قال سبحانه لرسوله صلى الله عليه وسلم (فذكر) أى بنم الله تعالى ودلائل توحيده وعظهم
بذلك وخوفهم بأشرف الخلق (انما أنت مذكر) فلا عليك أن لا ينظروا ولم يذكروا وما عليك
الا البلاغ كما قال تعالى ان عليك الا البلاغ (لست عليهم بمسيطر) أى بمسلط فمقتلهم وتكرههم
على الايمان كقوله تعالى وما أنت عليهم بجبار وهدا قبل الامر بالجهاد وقرأهم بالبين
وقرأهم بخلاف عن خلف باسم الام الصادق كراى والباقرين بالصادق الخالصة وقوله تعالى (الامن
نولى) استثناء منقطع أى لىكن من نولى عن الايمان (وكفر) أى بالقرآن (فيعذبه الله) أى
الذى له الكمال كله بسبب تكبره عن الحق ومخالفة لأمركم العذاب الاكبر) أى عذاب
الاحرة لانهم عذبوا فى الدنيا بالجوع والقحط والقتل والاسر وقيل استثناء متصل
فان جهاد الكفار وقت لهم تسلط فكانه أوعدهم بالجهاد فى الدنيا وعذاب النار فى الآخرة
وقيل هو استثناء من قوله تعالى فذكر الامن انقطع ظمرك من ايمانه ونولى فاستحق العذاب

الاكبر وما بينهما ما اعترض (ان اليا) أى خاصة بما لنا من العظمة (اياهم) أى رجوعهم بعد البعث (ثم ان علينا) أى خاصة بما لنا من القدرة والتزعم نقص العيب والجور وكل نقص لاعلى غيرنا (حسابهم) أى جزاءهم فلا تركه أبدا وفى هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم فانه كان يشق عليه تذكيرهم (فان قيل) ما معنى تقديم الظرف (أجيب) بأن معناه التشديد فى الوعيد وأن اياهم ليس الا الى الجبار المقدر على الانتقام وأن حسابهم ليس الاعليه وهو الذى يحاسب على التقير والقطمير وقول البضاوى تعالى لا تخشى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ الغاشية حاسبه الله حسابا يسيرا حديث موضوع

(سورة الفجر مكية)

وقيل مدينة وهو تسع وعشرون آية وقيل ثلاثون آية ومائة وتسع وثلاثون كلمة وخمسمائة وسبعة وتسعون حرفا

(بسم الله) الملك المعبود (الرحمن) الذى عم خلقه بالكرم والجود (الرحيم) الذى سدد أهل عنايته بفضله فهو الحليم الودود وقوله تعالى (والفجر) أى فجر كل يوم قسم كما أقسم بالصبح فى قوله تعالى والصبح اذا أسفر والصبح اذا تنفس وقال قتادة هو فجر أول يوم من المحرم تنفجر منه السنة وقال الضحاك فجر ذى الحجة وقيل ذلك على مضاف محذوف أى وصلاة الفجر وقيل ورب الفجر وتقدم ان الله تعالى يقسم بما شاء من مخلوقاته واختلاف فى قوله تعالى (وليل عشرين) فقال مجاهد وقتادة هو عشرين ذى الحجة وقال الضحاك هو العشر الاول من رمضان وعن عباس انه العشر الاخير من رمضان وعن يمان بن رباب هو العشر الاول من المحرم الى عاشرها يوم عاشوراء ولصومه فضل عظيم (فان قيل) لم نذكر الياى من بين ما أقسم به (أجيب) بأن ذلك للتعظيم (والشفع) أى الزوج (والوتر) أى الفرد وقيل الشفع الخلق كلهم قال الله تعالى وخلقناكم ثم أزواجا والوتر هو الله تعالى قاله أبو سبيد الخدرى وقال مجاهد وسروق الشفع الخلق كله قال الله تعالى ومن كل شئ خلقنا زوجين الكفر والايان والهدى والضلال والسعادة والشقاوة والليل والنهار والسماء والارض والبر والبحر والشمس والقمر والجن والاناس والوتر هو الله تعالى قل هو الله أحد وقال قتادة هما الصلوات منها شفع ومنها وتر روى ذلك عن عران بن حصين مرفوعا وعن ابن عباس الشفع صلاة الغداة والوتر صلاة المغرب وقال الحسين بن الفضل الشفع درجات الجنة لانهم ائمان والوتر دركات النار لانهم اسبغ دركات وسئل أبو بكر الوراق عن الشفع والوتر فقال الشفع تضاد أوصاف المخلوقين من العز والذل والقدرة والعجز والقوة والضعف والعلم والجهل والبصر والعمى والوتر انفراد صفات الله سبحانه وتعالى عز بالذل وقدرة بالعجز وقوة بالضعف وعلم بالجهل وحياة بلاموت وعن عكرمة الوتر يوم عرفة والشفع يوم النحر واختاره النخاس وقال هو الذى صح عن النبي صلى الله عليه وسلم فيوم غرة وتزلانه تاسعها ويوم النحر شفع لانه عاشورها

وقال ابن الزبير الشفع الحادى عشر والثانى عشر من أيام منى والوتر الثالث عشر وقال
 الصالح الشفع عشر ذى الحجة والوتر أيام منى الثلاثة وقيل الشفع والوتر آدم عليه السلام كان
 وترا فشفع برز وجهه حواء حكاها القشيري عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وقرأ حجة
 والكسائي بكسر الواو والباقون يفتحها وهما لغتان الفتح لغة قريش ومن والاها والكسر
 لغة تميم وقوله تعالى (والليل اذا يسر) قسم خامس بعدما أقسم بالليالي العشر على الخصوص
 أقسم به على العموم ومعنى يسر يسر وذهب كما قال الله تعالى والليل اذا دبر وقال قتادة اذا
 جاء وأقبل وقبل معنى يسر أى يسرى فيه كما يقال ليل نائم ونهار صائم ومنه قوله تعالى بل مكر
 الليل والنهار وقرأ نافع وأبو عمر وبائبات الياء بعد الراء وصلالا وقفا وأثبتها ابن كثير في الحالين
 وحذفها الباقر في الحالين لسقوطها في خط المصحف الكريم وبائتها هو الاصل لانها الام
 فعل مضارع مرفوع ومن فرق بين حالتي الوقف والوصل فلان الوقف محل استراحة وسئل
 الاخفش عن الالة في سقوط الياء فقال الليل لا يسرى ولكن يسرى فيه فهو مصروف فلما صرفه
 تجنبه حفظه من الاعراب كقوله تعالى وما كانت أمك بغيا ولم يقل بغية لانه صرفه عن بغية
 وهذه الاسماء كلها مجرورة بالقسم والجواب محذوف تقديره لتعذبن يا كفار مكة بدليل قوله تعالى
 ألم تر كيف فعل ربك بعاد الى قوله تعالى نصب عليهم ربك سوط عذاب ان ربك لباس المرصاد
 وما بينهما اعتراض وقوله تعالى (هل في ذلك) أى القسم والمقسم به (قسم) أى حلف أو محلوف
 (الذى حجر) استفهام معناه التقرير كقولك ألم أنعم عليك اذا كنت قد أنعمت أو المراد منه
 التأكيدي لما أقسم به واقسم عليه كمن ذكر حجة بالغة ثم قال هل فيما ذكرته حجة والمعنى ان من كان
 ذا لب علم ان ما أقسم الله تعالى به من هذه الاشياء فيه عجائب ودلائل على التوحيد والربوبية فهو
 حقيق بأن يقسم به لدلائله على خالقه والجر العقل لانه يحجر عن التفات فيما لا ينبغي كما يسمى
 عقلا ونهية لانه يعقل وينهى وحصة من الاحصاء وهو الضبط وقال القراء يقال انه لذو حجر اذا
 كان قاهر النفس ضابطا لها وقوله تعالى (ألم تر) خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ولكن
 المراد به العموم والمراد بالرؤية العلم أى ألم تعلم يا أشرف رسلنا (كيف فعل ربك) أى المحسن
 اليك بأنواع النعم (بعاد ارم) وهو ابن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام ثم انهم جعلوا
 لفظا عاد اسم القبيلة كما يقال لبني هاشم هاشم ولبنى تميم تميم ثم قيل للاولين منهم عاد الاولى وارم
 تسمية لهم باسم جددهم ولبن بعدهم عاد الاخيرة فارم في قوله تعالى عاد ارم عطف بيان لعاد
 وايدان بأنهم عاد الاولى القديمة وقيل ارم بلدتهم وأرضهم التي كانوا فيها وقوله تعالى (ذات)
 أى صاحبة (العمان) فينظر فيه ان كانت صفة لقبيلة فالمعنى انهم كانوا يدين بين أهل عمد
 وطوال الاجسام على تشبيه قدودهم بالاعدة وقيل ذات البناء الرفيع وان كانت صفة للبلدة
 فالمعنى انهم ذات أساطين وروى انه كان لعاد ابنان شداد وشدي بنغلدا وقهر اثم مات شدي
 وخلص الامر لشداد فلك الدنيا ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فقال أبني مثلها فبنى ارم
 في بعض محاري عدن في ثلثمائة سنة وكان عمره تسعمائة سنة وهى مدينة عظيمة قصورها من

الذهب والفضة وأساطينهم من الزبرجد والياقوت وفيها أصناف الاشجار والانهار المطردة ولما
تم بناؤها سارا اليها بأهل مملكته فلما كان منها على مسيرة يوم وليله بعث الله تعالى عليهم صيحة
من السماء فهلكوا وعن عبد الله بن قلابه أنه خرج في طلب ابل له فوقع عليها فحمل ما قدر عليه
مما ثم وبلغ خبره معاوية فاستحضره فقص عليه فبعث الى كعب فسأله فقال هي ارم ذات
العماد وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك أجزأ شقر قصير على حاجبه خال وعلى عقبه خال
يخرج في طلب ابل له ثم التفت فأبصر ابن قلابه فقال هذا والله ذلك الرجل وقوله تعالى (التي
لم يخلق مثلها في البلاد) صفة أخرى لارم فان كانت القبيلة فلم يخلق مثل عاد في البلاد عظيم
أجرام وقوة قال الزنجشري كان طول الرجل منهم أربع مائة ذراع وكان يأني الصخرة العظيمة
فيحملها فيقلعها على الحى فيهلكهم وروى عن مالك أنه كانت تمر بهم مائة سنة لا يرون فيها جنازة
وان كانت للبلدة فلم يخلق مثل مدينة شداد في جميع بلاد الدنيا والمقصود من هذه الحكاية زجر
الكفار فان الله تعالى بين انه أهلكهم بما كفروا وكذبوا الرسل مع الذي اختصوا به من هذه
الوجوه فلان يكونوا مثل ذلك أي الكفار اذا أقمتم على كفركم مع ضعفكم أولى وقد ذكركم
الله تعالى ثلاث قصص هذه القصة الاولى وأما الثانية فهي في قوله تعالى (وعود الذين جابوا)
أي قطعوا (الصخر) جمع صخرة وهي الجروا تتخذوها بيوتا كقوله تعالى وتحتون من الجبال
بيوتا (بالواد) أي وادي القرى قيل أول من نحت الجبال والصخور والرخام ثودوبنوا ألفا
وسبعمائة مدينة كلها من الحجرة وقيل سبعة آلاف مدينة كلها من الحجرة * (تنبيه) *
أثبت الباء ورش وابن كثير وصلا وأثبتم أوقفا ابن كثير بخلاف عن قبل وأما القصة الثالثة
فهى في قوله تعالى (وفرعون) أي وفعل فرعون (ذى الاوتاد) واختلف في تسميته بذلك على
وجهين أحدهما انه سمي بذلك على كثرة جنوده ومضاربهم التي كانوا يضربونهم اذا نزلوا
والثاني انه كان يدا أربعة أوتاد يشد اليها يدي ورجلي من يعذبه وعن عطاء عن ابن عباس
رضي الله تعالى عنهم ما أن فرعون اغتسمى ذا الاوتاد لأنه كانت امرأته وهى امرأة خازنة
حز قيل وكان مؤمنا كتم ايمانه مائة سنة وكانت امرأته ماشطة بنت فرعون فبينما هى ذات يوم
تمشط رأس بنت فرعون اذا سقط المشط من يدها فقالت تعس من كفر بالله فقالت بنت فرعون
وهل لك اله غير أبى فقالت الهى واله أبىك واله السموات والارض واحد لا شريك له فقامت
فدخلت على أبيها وهى تبكى قال ما يبكيك فقالت المشاطة امرأه خازنك تزعم ان الهك والالهها
واله السموات والارض واحد لا شريك له فأرسل اليها فسألهما عن ذلك فقالت صدقت فقال لها
ويحك ا كفى بالهك وأقترى بأبى الهك قالت لا أفعل فذهب ابن أربعة أوتاد ثم أرسل عليها
الحيات والعقارب وقال لها ا كفى بالله والاعذبك بهذا العذاب شهرين فقالت له لو عذبتنى
سبعين شهرا ما كفرت بالله وكان الهما ابتان فخا بابتها الكبرى فذهبها على فيها وقال لها
ا كفى بالله والاذبح الصغرى على فيك وكانت رضيعا فقالت لو ذبحت من فى الارض على
فى ما كفرت بالله عز وجل فأنى بابتها فلما اضجعت على صدرها وأراد ذبحها جازعت المرأة

فأنطق الله تعالى لسان ابنها فتكلمت وهي من الاربعة الذين تكلموا أطفالا وقالت يا مام
لا تجزع فان الله تعالى قد بنى لك بيتا في الجنة فاصبري فانك تفضين الى رحمة الله تعالى وكرامته
فذهبت فلم تلبث ان ماتت فاستسكنها الله تعالى الجنة قال وبعث في طلب زوجها حزقيل
فلم يقدر واعليه فقيل لفرعون انه قد زوى في موضع كذا في جبل كذا فبعث رجلين في طلبه
فأتتهما اليه وهما متصلان ويليه صفوف من الوحوش خلقه يصاون خلقه فلما رأيا ذلك انصرفا
فقال حزقيل اللهم أنت تعلم اني كتبت ايماني مائة سنة ولم يظهر علي أحد فأعياها هذين الرجلين
أظهر علي فجعل عقوبته في الدنيا واجعل مصيره في الآخرة الى النار فانصرف الرجلان الى
فرعون فأما أحداهما فاعتبر وآمن وأما الآخر فأخبر فرعون بالقصة على رؤس الملا فقال له
فرعون وهل معك غيرك قال نعم فلان قد عني به فقال حق ما يقول هذا قال لا مارأيت كما قال
شيأ فأعطاه فرعون فأجرل وأما الآخر فقتله ثم صلبه قال وكان فرعون قد تزوج امرأة من
أجل نسا بنى اسرائيل يقال لها آسية بنت مزاحم فرأت ما صنع فرعون بالماشطة فقالت
وكيف يسعى أن أصبر على ما يأتي من فرعون وأنا مسلمة وهو كافر فينهاي كذلك توأمر
نفسها اذ دخل عليها فرعون فجلس قريبا منها فقامت يا فرعون أنت أشرا الخلق وأخبثه عمدت
الى الماشطة فقتلتها فقال له لك الجنون الذي كان بها قالت ما بي من جنون وان الهى والهها
والهك واله السموات والارض واحد لا شريك له فخرق ما عليها وضربها وأرسل الى أبوها
فدعاها ما فقال لهم ما ألتريان أن الجنون الذي كان بالماشطة أصابها قالت أعوذ بالله من ذلك
اني أشهد أن ربي وربك ورب السموات والارض واحد لا شريك له فقال أبوها يا أسيمة أنت
من خير نساء العما ليق وزوجك اله العما ليق قالت أعوذ بالله من ذلك ان كان ما يقول حقا
فقلوا له أن يتوجهني تا جاتكون الشمس امامه والقمر خلفه والكواكب حوله فقال لهم ما
فرعون أخرجاها عنى فذهبا بين أربعة أو تاديع ذنبا ففتح الله لها بابا الى الجنة ليمرون عليها ما يصنع
بها فرعون فعند ذلك قالت رب ابنى عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله فقبض الله
تعالى روحها وأدخلها الجنة وروى عن أبي هريرة أن فرعون وتبلا مرأته أربعة أو ناد وجعل
على صدرها حرا واسة قبل بها عين الشمس فرفعت رأسها الى السماء وقالت رب ابنى عندك بيتا
في الجنة ففرج الله تعالى عن بيتها في الجنة فرأته وقوله تعالى (الذين طغوا) أى تجبروا
(في البلاد) في محل نصب على الذم ويجوز أن يكون مرفوعا على هم الذين طغوا في البلاد
أو مجرورا على وصف المذكورين عاد وثمود وفرعون فالضمير يرجع لعاد وثمود وفرعون وقيل
يرجع الى فرعون خاصة (فأكثروا) أى طغاتهم (فيها الفساد) أى بالقتل والكفر والمعاصي
قال القفال وبالجملة فالفساد ضد الصلاح فكما أن الصلاح يتناول جميع أقسام البر فالفساد
يتناول جميع أقسام الاثم فن عمل بغير أمر الله تعالى وحكم في عباده بالغلم فهو مفسد (فصب)
أى أنزل انزالا هو في غاية القوة (عليهم) أى في الدنيا (ربك) أى المحسن اليك بكل جميل (سوط)
أى نوع (عذاب) وقال قتادة يعنى ألوانا من العذاب صبه عليهم وقال أهل المعاني هذا على

الاستعارة لأن السوط عندهم غاية العذاب وقال القراء هي كلمة تقواها العرب لكل نوع من
 أنواع العذاب وأصل ذلك أن السوط هو عذابهم الذي يعذبون به فجري إلى كل عذاب إذا كان
 فيه غاية العذاب وقال الزجاج جعل سوطهم الذي ضربهم به العذاب وعن الحسن أنه كان
 إذا أتى على هذه الآية قال إن الله تعالى عنده أسواط كثيرة فأخذهم بسوط منها وقال قتادة
 كل شيء عذب الله تعالى به فهو سوط عذاب وشبهه يصب السوط الذي يتوارى على المضروب
 فيه لكه (إن ربك) أي المحسن اليك بالرسالة (المرصاد) أي يرصد أعمال العباد لا يقوته منها شيء
 ليحازيهم عليها والمرصاد المكان الذي يترب فيه الرصد مفعال من رصده كالمقات من وقته
 وهذا مثل لارصاد العصاة بالعقاب وانهم لا يقولونه وعن بعض العرب أنه قيل له أين ربك فقال
 بالمرصاد وعن عمرو بن عبيد أنه قرأ هذه السورة عند المنصور حتى بلغ هذه فقال إن ربك
 بالمرصاد يا أبا جعفر عرض له في هذا النداء بأنه بعض من توعد بذلك من الجبارة قال الرخصي
 قلله مرة أي أسد فراس كان بين توبيه يذيق الظلمة بانكاره ويقصع أهل الأهواء والبعد
 باحتجاجه وقوله تعالى (فأما الإنسان) متصل بقوله تعالى إن ربك بالمرصاد فكانه قيل
 إن الله تعالى يريد من الإنسان الطاعة والسعي للعاقبة وهو لا يهمل إلا العاجلة وما يلذه وينعمه
 فيها (إذا ما ابتلاه) أي اختبره بالنعمة (ربه) أي الذي أبدعه وأحسن إليه بما يحفظ وجوده
 ليظهر شكره أو كفره (فأكرمه) أي جعله عزيزاً بين الناس وأعطاه ما يكرمه به من الجاه
 والمال (ونعمه) أي جعله متلذذاً بترفها بما وسع الله تعالى عليه وقوله تعالى (فيقول) أي
 سروراً بذلك واقتداراً (ربي أكرم من) أي فضلي عما أعطاني خبر المبتدأ الذي هو الإنسان
 ودخول الفاء لما في تمام معنى الشرط والظرف المتوسط بين المبتدأ والخبر في تقدير التأخير
 كأنه قيل فأما الإنسان فقال ربي أكرم من وقت الابتداء بالانعام فيظن أن ذلك عن استحقاق
 فيرتفع به ركز أقوله تعالى (وأما إذا ما ابتلاه فقدر) أي ضيق (عليه رزقه) التقدير وأما
 الإنسان إذا ما ابتلاه ربه أي بالفقر ما وازى نفسه (فيقول) أي الإنسان بسبب الضيق (ربي
 أهانني) فيهم لذلك ويضيق به ذرعا ويكون أكرمه وهذا في حق الكافر لقصور نظره وسوء
 فكره فيرى الكرامة والهوان بكثرة الحظ في الدنيا وقلته وقال الكلبي ومقاتل نزلت في أمية بن
 خلف الجمحي الكافر وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهم في عتيبة بن ربيعة وقيل أبي بن خلف
 (فان قيل) كيف سمي كلا الأمرين من بسط الرزق وتقميره ابتلاء (أجيب) بأن كل واحد منهما
 اختبار للعبد فإذا بسط له فقد اختبر حاله أي شكر أم يكفر وإذا قدر عليه فقد اختبر حاله أي صبر
 أم يجزع فالحكمة فيهما واحدة ونحوه قوله تعالى وينبؤكم بالشرا والخير فتنة (فان قيل) هلا
 قال فأهانته وقدر عليه رزقه كما قال فأكرمه ونعمه (أجيب) بأن البسط أكرام من الله تعالى
 لعبده بالنعمة عليه مقتضاً من غير سابقة وأما التقدير فليس بأهانة له لأن الإخلال بالتفضل
 لا يكون أهانة ولكن تر كالكبرامة وقد يكون المولى مكرهاً ومهيناً وغير مكرم ولا مهين
 وإذا أهدى التزديد هدية قلت أكرمني بالهدية ولا تقول أهانني ولا أكرمني إذا لم يهد اليك (فان

قيل) قد قال تعالى فأكرمه فصحيح اكرامه وأثبت ثم أنكر قوله ربى أكرمن وذمه عليه كما أنكر
 قوله أهانن وذمه عليه (أجيب) بوجهين أحدهما أن أنكر قوله ربى أكرمن وذمه عليه لانه قاله
 على قصده خلاف ما صححه الله تعالى عليه وأثبتته وهو قصد الى أن الله تعالى أعطاه ما أعطاه
 اكرامه مستحقا ومستوجبا على عادة افتخارهم وجلالة اقدارهم عندهم كقوله انما وأثبتته على
 علم عندي وانما أعطاه الله تعالى على وجه التفضل من غير استيجاب منه له ولا سابقة مما لا يعتد
 الله تعالى الابه وهو التوقى دون الانساب والاحساب التى كانوا يفتخرون بها ويرون
استحقاق الكرامة من أجلها ثانيهما ان ينساق الانكار والذم الى قوله ربى أهانن يعنى انه اذا
 تفضل عليه بالخير واكرمه به اعترف بتفضل الله واكرامه واذا لم يتفضل عليه يسمى ترك التفضل
 هو انا وليس بهم وان قال الرخصى ويعضد هذا الوجه ذكر الاكرام فى قوله تعالى فأكرمه وقرأ
 ما ابتلاه فى الموضوعين جزءا بالامامة محضة وقرأ ورش بالفتح وبين اللفظين والباقون بالفتح وقرأ
 ربى أكرمن ربى أهانن نافع بآيات الباء فيها وصلا لا وقفا وقرأ البرى بآياتها فيه - ما وقفا وصلا
 وعن أنى عمرو وفيهما فى الوصل الاثبات والحذف عنه فى الوصل أعدل والباقون بالحذف وقفا
 ووصلا وقرأ ابن عامر فقد رزق عليه رزقه بتشديد الدال والباقون بتخفيفها وهم الغنائم معناهما
 ضيق وقيل قدر بمعنى قتر وقد رآه أعطاه ما يكفيه ثم رآه الله تعالى على من ظن ان سعة الرزق اكرام
 وان الفقر اهانة بقوله تعالى (كلا) أى ليس الاكرام بالغنى والاهانة بالفقر انما هما بالاطاعة
 والمعصية وكفار مكة لا ينتبهون لذلك (بل) لهم فعل أشر من هذا القول وهو انهم (لا يكرمون
 النبي) أى لا يحسنون اليه مع غناهم أو لا يعطونه حقه من الميراث قال مقاتل كان قدامة بن
 مظعون يتيم فى حجر أمية بن خلف فكان يدفعه عن حقه فزلات (ولا يحضون) أى يحشون حنا
 عظيما (على طعام) أى اطعام (المسكين) فيكون اسم مصدر بمعنى الاطعام ويجوز أن يكون على
 حذف مضاف أى على بذل أو على اعطاء وفى اضافته اليه اشارة الى انه شريك للغنى فى ماله بقدر
 الزكاة (ويا كاون) على سبيل التجدد والاستمرار (التراث) أى الميراث والتام فى التراث بدل
 من والولادة من الورثة (أكلالما) أى ذالم واللام الجمع الشديد يقال لممت الشئ لما أى جمعه
 به ما قال الخطيب

اذا كان لما يتبع الذم ربه * فلا قدس الرحمن تلك الطواحين
 والجمع بين الحلال والحرام فانهم كانوا يورثون النساء والصبيان ويأكلون انصباهم ويأكلون
 ما جمعه المورث من حلال وحرام عالين بذلك فيلون فى الاكل بين حلاله وحرامه ويجوز أن يذم
 الوارث الذى ظفر بالمال مهلا مهلا من غير أن يعرق فيه جبينه فيسرف فى اتقاقه ويأكله أكلا
 واسعا جامعا بين ألوان المشتريات من الاطعمة والاشربة والقواكه كما يفعل البطالون * ولما
 دل على حب الدنيا بأمر خارج دل عليه فى الانسان فقال تعالى (ويحبون) أى على سبيل
 الاستقرار (المال) أى هذا النوع من أى شئ كان وأكاد بالصدر والوصف فقال تعالى
 (حبا جما) أى كثيرا شديدا مع الحرص والشرة ومنع الحقوق وقوله تعالى (كلا) ردع لهم عن

ذلك وانكارا لعلهم ثم أخبر تعالى عن تلهفهم على ماسلف منهم حين لا ينفعهم فقال عز من
قائل (أَذْكَرَ الْأَرْضَ) أى حصل ذكها وربها وزلزلتها لتسويةها فتكون كالأديم الممدود
بشدّة المط لا عوج فيها بوجه (دكا دكا) أى مرة بعد مرة وكسر كل شئ على ظهرها من جبل وبناء
وشجر فليبق على ظهرها شئ ويعدم (وجاء ربك) قال الحسن أمره وقضاؤه (والملك) أى
الملائكة وقوله تعالى (صفا صفا) حال أى مصطفين أى ذوى صفوف كثيرة فنزل ملائكة
كل سماء فيصطفون صفا بعد صف محدقين بالجن والأنس (وجي) أى بأسهل أمر (يومئذ)
أى اذ وقع ما ذكر (يجههم) أى النار التى تتجههم من يصلها كقوله تعالى وبرزت الحميم وبروى
انها المنزلات تغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرف فى وجهه حتى اشتد على أصحابه
فاخير واعليا فجاء فاحتمضه من خلفه وقبل ما بين عاتقيه ثم قال يا نبى الله بأبى أنت وامى ما الذى
حدث اليوم وما الذى غيرك قتلا عليه الآية فقال له على كيف يجاء بها قال يجيئهم اسبعون ألف
ملك يقودونها بسبعين ألف زمام فتشرد شردة لوترت كالأحرقت أهل الجمع ثم تعرض لى جهنم
فتقول مالك ولى بالحمد ان الله تعالى قد حرم لحك على فلا يبقى أحد الا قال نفسى نفسى الامجد
صلى الله عليه وسلم فيقول رب أمتى أمتى وقال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه تقاد جهنم
بسبعين ألف زمام كل زمام يئد ألف ملك لها انغيظ وزفير حتى تنصب على يسار العرش وقوله
تعالى (يومئذ) أى يوم يجاء بجهنم بدل من اذ وجوابها (يتذكر الانسان) أى يتذكر الكافر
ما فرط أو ينعظ لانه يعلم قبح معاصيه فيندم عليها (وانى له الذكر) أى ومن أين له منفعة الذكر
قال الزمخشري لا بد من حذف مضاف والاقبين يتذكر وبين وأنى له الذكر تناقض وتناقض
* (تنبيه) * انى خبر مقدم والذكرى مبتدأ مؤخر وله متعلق بما يتعلق به الظرف وقرأ وانى حجة
والكسائى بالامالة محضة وقرأ ورش بالفتح وبين اللفظين وقرأ الدورى عن أبى عمرو بالامالة بين
بين والباقون بالفتح وقرأ الذكرى أبو عمرو وحجة والكسائى بالامالة محضة وقرأ ورش بين بين
والباقون بالفتح (يقول) أى يقول مع تذكره (يا) للتنبيه (ليتقى قدمت لحياتى) أى فى حمايتى
فاللام بمعنى فى أو قدمت الايمان والخير لحياة لاموت فيها أو وقت حياتى فى الدنيا (فيمؤذ) أى
يوم يقول الانسان ذلك وقرأ (لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد) الكسائى بفتح
الذال والياء على البناء للمفعول والباقون بكسرهما على البناء للفاعل فأما قراءة الكسائى فضمير
عذابه ووثاقه للكافر والمعنى لا يعذب أحد مثل تعذيبه ولا يوثق مثل ايثاقه وأما على قراءة
الباقين فالضمير فيهما الله تعالى أى لا يكل عذابه الى غيره أو الزبانية المتولين العذاب بأمر
الله تعالى * ولما وصف الله تعالى حال من اطمان الى الدنيا وصف حال من اطمان الى معرفته
وعبوديته وسلم أمره اليه فقال تعالى (يا أيها النفس المطمئنة) قال الحسن أى المؤمنة الموقنة
وقال مجاهد الراضية بقضاء الله تعالى وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهم ما ثواب الله تعالى
وقال ابن كيسان المخلصة وقال ابن زيد التى بشرت بالجنة عند الموت وعند البعث ويوم الجمع
ويقال لها عند الموت (ارجعى الى ربك) أى الى أمره وارايدته وقال ابن عباس رضى الله تعالى

عنهما الى صاحبك وجسدك وقال الحسن الى ثواب ربك (راضية) أى بما أوتيته (مرضية)
 أى عند الله تعالى بعملك أى جامعة بين الوصفين لانه لا يلزم من أحدهما الآخر وهما حالان
 قال الفقهاء هذا وإن كان أمر فى الظاهر فهو خير فى المعنى والتقدير ان النفس اذا كانت
 مطمئنة رجعت الى الله تعالى فى القيامة بسبب هذا الامر (فادخلنى) أى فى جنة (عبادى)
 أى الصالحين والوافدين على الذين هم أهل الاضافة الى أوفى اجساد عبادى التى خرجت
 فى الدنيا منها (وادخلنى جنتى) أى معهم هى جنة عدن وهى أعلى الجنان وينبغى الامر بمعنى الخير
 كثيرا فى كلامهم كقولهم اذالم تسخ فاصنع ما شئت وقال سعيد بن زيد قرأ رجل عند النبي صلى
 الله عليه وسلم هذه الآية فقال أبو بكر ما أحسن هذا يا رسول الله فقال له ان الملك سيقوله لك
 يا أبا بكر وقال سعيد بن جبير مات ابن عباس رضى الله تعالى عنهما بالطائف فجاء طائر لم ير على
 خلقه طائر قط فدخل نعشه ثم لم ير خارجا منه فلما دفن تابت هذه الآية على شفير القبر لا يدرى
 من تلاها يايتها النفس الآتية وروى الضحاك انه انزلت فى عثمان بن عفان وقف بئر رومة وقيل
 فى خبيب بن عدى الذى صلبه أهل مكة وجعلوا وجهه الى المدينة فقال اللهم ان كان لى عندك
 خير فحول وجهى نحو قبلتك فحول الله تعالى وجهه نحوها فلم يستطع أحد ان يحوله وقيل نزلت
 فى حمزة بن عبد المطلب قال الزمخشري والظاهر الغموم وقول البيضاوى تعالى ان رسول الله
 صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الفجر فى الليالى العشر غفر له ومن قرأها فى سائر الايام
 كانت له نورا يوم القيامة حديث موضوع

(سورة الباء مكية)

وهى عشرون آية واثنان وعشرون كلمة وثلاثمائة وعشرون حرفا

(بسم الله) الملك الذى لا راد لامره (الرحمن) الذى علم سائر خلقه بفضل (الرحيم) الذى خص
 أهل طاعته بجنهه واختلف فى لافى قوله تعالى (لا أقسم) فقال الاخفش انها من يدة أى أقسم
 كما تقدم فى قوله تعالى لا أقسم يوم القيامة وقد أقسم به سبحانه وتعالى قال الشاعر
 تذكرت ليلي فاعتزنى صبا به * وكاد صميم القلب لا يتقطع
 أى يتقطع ودخل حرف لاصلة وكقوله تعالى ما منعك أن لا تسجد وقد قال تعالى فى ص ما منعك
 أن تسجد واجاز الاخفش أيضا ان تكون بمعنى الا وقيل هى نبي صحيح والمعنى لا أقسم بهذا
 البلد اذالم تكن فيه بعد خروجه من حكامه وأجمعوا على أن المراد بالبلد فى قوله تعالى (بهذا
 البلد) أى الحرام وهو مكة وفضلها معروف فانه تعالى جعلها حراما آمنا وقال تعالى ومن دخله
 كان آمنا وجعل مسجده قبله لاهل المشرق والمغرب فقال تعالى وحيمنا كسم فولو اوجوهكم
 شطره وأمر الناس بجمع البيت فقال تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع وقال تعالى واذ
 جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا وقال تعالى واذنوا لآل ابراهيم مكان البيت وقال تعالى وعلى
 كل ضامر يأتين من كل فج عميق وشرف مقام ابراهيم عليه السلام بقوله تعالى واتخذوا من

مقام إبراهيم مصلى وحرم صيده وجعل البيت المعمور بازائه ودجيت الارض من تحته فهذه
الغنائم وأكرمهم انما اجتمعت في مكة لا جرم أقسم الله تعالى بها (وأنت) أي يا أمّرف الخلق
(حل) أي حلال لك ما لم يحل لغيرك من قتل من تريد من يدعي أنه لا قدرة لاسد عليه (بهذا البلد)
بأن يحل لك فتقاتل فيه وقد أنجز الله له هذا الوعد يوم الفتح وأحلها له وما فتحت على أحد قبله
ولا أحلت له فأحل ما شاء وحرم ما شاء قتل ابن خطل وهو متعلق باستار الكعبة ومقيس بن صبابه
وغيرهما وحرم دار أبي سفيان ثم قال إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهي حرام
الى أن تقوم الساعة لم تحل لاحد قبلي ولم تحل لاحد بعدى ولم تحل الى الساعة من نهار فلا
يعضد شجرها ولا يحتمل خلاها ولا ينقر صيدها ولا تحل لقطتها الا لنشدتها فقال العباس يا رسول
الله الا الاذخر فانه اقبوتنا وقبورنا ويوتنا فقال صلى الله عليه وسلم الا الاذخر ونظيره وأنت
حل في معنى الاستقبال قوله تعالى انك ميت وانهم ميتون ومثله واسع في كلام العرب تقول
لمن تعد له الا كرام والحباء لانت مكرم محبوه وهو في كلام الله تعالى واسع لان الاحوال
المستقبله عنده كالحاضرة المشاهدة وكذا دليله لاقاطع اعلى انه للاستقبال وان تفسيره بالحال
محال أن السورة بالاتفاق مكية وأين الهجرة من وقت نزولها فبالفتح والجله اعتراض
بين المقسم به وما عطف عليه واختلف في قوله تعالى (ووالدو مولد) فقال الزمخشري هو رسول
الله صلى الله عليه وسلم ومن ولده اقسام يبلده الذي هو مسقط رأسه وحرم ابيه ابراهيم ومنشأ ابيه
اسماعيل ومن ولده وبه وقال البغوي هما آدم وذريته وقيل كل والدو ولده (فان قيل) هلا
قيل ومن ولد (أجيب) بأن فيه ما في قوله تعالى والله أعلم بما وضعت أي بأى شئ وضعت يعنى
موضوعا عجيب الشأن أو ان ما يعنى من والذي عليه أكثر المفسرين هما آدم وذريته لانهم
أعجب ما خلق الله تعالى على وجه الارض لما فيهم من البيان والخلق والتدبير واستخراج
العلوم وفيهم الانبياء والدعاة الى الله تعالى والانصار لدينه وأمر الملائكة بالسجود لآدم وعمله
الاسماء كلها ولقد قال الله تعالى ولقد كرّمنا بآدم وقيل هما آدم والصالحون من ذريته وأما
الطالحون فكانهم بها ثم كما قال تعالى ان هم الا كالانعام بل هم أضل صم بهم عى فهم
لا يرجعون والمقسم عليه قوله تعالى (لقد خلقنا الانسان) أي الجنس (في كبد) قال ابن عباس
رضي الله تعالى عنه ما أي شدة ونصب وعنه أيضا في شدة من جلده ولادته ورضاعه ونبت
اسنانه وسائر أحواله وعن عكرمة منتصبا في بطن أمه والكبد الاستواء والاستقامة فهذا
امتنان عليه في الحقيقة ولم يخلق الله تعالى دابة في بطن أمه الا منكبة على وجهها الا ابن آدم
فانه منتصب انتصبا وقال ابن كيسان منتصبا في بطن أمه فاذا أراد الله تعالى أن يخرج منه من
بطن أمه قلب رأسه الى رجلي أمه وقال الحسن يكابد مصائب الدنيا وشدة أذى الآخرة
وقال عيان لم يخلق الله تعالى خلقا يكابد ما يكابد ابن آدم وهو مع ذلك أضعف الخلق قال بعض
العلماء أول ما يكابد قطع سرته ثم اذا قطعا وطا وشد رباطا يكابد الضيق والتعب ثم يكابد
الارتضاع ولو فاته ضاع ثم يكابد نبت اسنانه ثم يكابد القطام الذي هو أشد من اللطام ثم يكابد

الختان والاولاج ثم المعلم وصولته والمؤدب وسياسته والاستاذ وهيئته ثم يكابد شغل
 الترويح وشغل الاولاد والخدم وشغل المسكن والجيران ثم الكبر والهرم وضعف الركب
 والقدم في مصائب يكثر تعدادها من صداع الرأس ووجع الاضراس ورمد العين وهم الذين
 ووجع السن وألم الاذن ويكابد مخنا في المال والنفس من الضرب والحبس ولا يعصى عليه يوم
 الا يقاسى فيه شدة ثم يكابد بعد ذلك مشقة الموت ثم بعده سؤال الملك فوضطة القبر وظلمته ثم
 البعث والعرض على الله تعالى الى أن يستقر به القرار اما في الجنة واما في النار فدل هذا على
 أن له خالقا دبره وقضى عليه بهذه الاحوال ولو كان الامر اليه ما اختار هذه الشدائد فلم يتلأمر
 خالقه وقال ابن زيد المراد بالانسان هنا آدم عليه السلام وقوله تعالى في كبد أي في وسط السماء
 وقال مقاتل في كبد أي في قوة نزلت في أبي الاشدين واسمه أسيد بن كادة بن جحج وكان شديدا قويا
 بضع الاديم العكاظي تحت قدميه فيقول من أزالني عنه فله كذا وكذا فيجذب به عشرة فيتمزق
 الاديم من تحت قدميه ولا تزول قدماه ويبقى موضع قدميه وكان من اعداء النبي صلى الله عليه
 وسلم وفيه نزل (أيحسب) أي أيقظ الانسان قوى قريش وهو ابو الاشدين بقوته (أن) محققة من
 الثقلية واسمها محذوف أي انه (ان يقدر عليه) أي خاصة (أحد) أي من اهل الارض والسماء
 فيغلبه حتى انه يعاند خالقه والله تعالى قادر عليه في كل وقت وقيل نزلت في المغيرة بن الوليل
 اغزوى (يقول) أي يقهر بقوته وشدة (أهلك) أي على عداوة محمد صلى الله عليه وسلم (مالا
 لبداء) أي كثير ابغضه على بعض (أيحسب) أي هذا الانسان العنيد بقله عقله (أن) أي انه (لم يره
 أحد) قال سعيد بن جببر أي أظن ان الله تعالى لم يره ولا يسأله عن ماله من أين اكتسبه وفيه
 أنفق وقال الكلبي انه كان كاذبا في قوله انه أنفق ولم يتفق جميع ما قال والمعنى أيقظ ان الله
 تعالى لم يرد ذلك منه فيعلم مقدار نفقته وقرأ أيحسب في الموضعين ابن عامر وعاصم وحزرة بفتح
 السين والباقون بكسرها ثم ذكره نعمه عليه ليحسب بقوله تعالى (ألم نجعل) أي بالامن القدرة
 التامة (له عينين) يصمهم ما المرئيات والالتعطال عليه أكثر ما يريد شقناهما وهو في الرحم
 في ظلمات ثلاث على مقدار ما تناسب لاتزيد احداهما على الاخرى شيئا وقد رنا البياض والسواد
 والسهلة والزرقه وغير ذلك على ما ترون وأودعناهما البصر على كيفية يعجز الخلق عن ادراكها
 (ولسانا) يترجم به عن ضمائره (وشفتين) يستريحنهما على النطق والاكل والشرب
 والنفخ وغير ذلك قال قتادة نعم الله تعالى عليه منة ظاهرة في ترويهما كي يشكره قال البغوي وجاء
 في الحديث ان الله تعالى يقول يا ابن آدم ان نازعك لسانك فيما حرمت عليك فقد أعنتك عليه
 بطبعين فأطبق وان نازعك بصرك الى بعض ما حرمت عليك فقد أعنتك عليه بطبعين فأطبق
 وان نازعك فرجك الى بعض ما حرمت عليك فقد أعنتك عليه بطبعين فأطبق (وهديناه)
 أي آتيناه من العقل (التجدين) قال اكثر المفسرين بينا الطريق الخير والشر والهدى والضلال
 والحق والباطل كقوله تعالى انا هديناه السبيل اما شاكر او اما كفورا وصار بما جعلناه له من
 ذلك سميعا بصيرا عالما فصار موضع التكليف روى الطبراني أنه صلى الله عليه وسلم قال يا أيها

الناس هلموا الى ربكم فان ما قل وكفى خير مما كثر وألهى يا أيها الناس انما هما نجدان نجد
خير ونجد شر فلم جعل نجد الشر أحب اليكم من نجد الخير قال المذري النجد هذا الطريق
وقال ابن عباس رضي الله عنهما يناله الشديدين وهو قول سعيد بن المسيب والنجد ههنا وأصله
المكان المرتفع (فلا اقحم العقبة) أي فهلا أنفق ماله فيما يجوز به العقبة من فك الرقاب
واطعام المساكين والايام بل غط النعم وكف النعم والمعنى ان الاتفاق على هذا الوجه هو الاتفاق
المرضى النافع عند الله تعالى لأن به لك ما لا بد في الرياء والفخر وعداوة النبي صلى الله عليه
وسلم فيكون على هذا الوجه كمثل ربح فيها صرأصاب حث قوم الآية وقيل معناه لم يقحمها
ولا جاوزها والاقحام الدخول في الامر الشديد وذكر العقبة مثل ضربه الله تعالى لمجاهدة
النفس والهوى والسيطان في أعمال البر فجعله كالذي يسكن صعد العقبة يقول الله تعالى
لم يحمل على نفسه المشقة بغتق الرقبة والاطعام وهذا معنى قول قتادة وقيل انه شبه نقل الذنوب
على من تكبها بعقبة فاذا أعتق رقبة وأطعم المساكين كان كمن اقحم العقبة وجاوزها وروى
عن ابن عمر أن هذه العقبة جبل في جهنم وقال الحسن هي عقبة شديدة في الناردون الجسر
فاقحمها بطاعة الله تعالى ومجاهدة النفس وقال مجاهد هي الصراط يضرب على متن جهنم
بحد السيف مسيرة ثلاثة آلاف سنة صعودا وهبوطا وراسته واما ان يجنيه كلاب وخطاطيف
كانهم يشول السعدان فجاج مسلم وناج محمد وش ومكر دس في النار مذكوس وفي الناس من يتر
كالبرق الخاطف ومنهم من يتر كالريح العاصف ومنهم من يتر كالرجل يعدو ومنهم من يتر كالرجل
يسير ومنهم من يتر حفا ومنهم الزالون ومنهم من يكر دس في النار وقال ابن زيد فهلا سلك
طريق النجاة وقوله تعالى (وما أدراك) أي أعلمك أيها السامع لكلامنا الراغب فيما عندنا (ما
العقبة) تعظيم لشأنها والجلالة اعتراض قال سفيان بن عيينة كل شيء قال فيه وما أدراك فانه
أخبر به وما كان قال وما يدريك فانه لم يجزبه ثم بين سبب جوازها بقوله تعالى (فك) أي الانسان
(رقبة) أي خلاصها من الرق وذلك بأن يعتق رقبة في ملكه أو يعطي مكاها ما يصرفه في فك رقبة
روى أنه صلى الله عليه وسلم قال من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل عضو منها عضوا منه من
النار حتى فرجه بفرجه وقال الزمخشري وفي الحديث أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
داني على عمل يدخلني الجنة قال نعمت السمعة وثقل الرقبة قال وأليس اسواء قال لا اعتاقها أن
تفرد بعتها وفكها أن تعين في تخليصها من قودا وغرم والعق و الصدقة من أفضل الأعمال
وعن أبي حنيفة أن العتق أفضل من الصدقة وعن صاحبيه الصدقة أفضل قال الزمخشري
والآية أدل على قول أبي حنيفة لتقديم العتق على الصدقة وقال عكرمة يعني فك رقبة من
الذنوب وقال الماوردي ويحتمل أنه أراد فك رقبة وخلاص نفسه باجتناب المعاصي وفعل
الطاعات ولا يمنع الخبر من هذا التأويل وهو أشبه بالصواب (أو أطعم) أي دفع الاطعام لشيء له
قابلية ذلك (في يوم ذي مسغبة) أي مجاعة والسغب الجوع (يتيما) أي انسا ناصغيرا الأب له (ذا
مقربة) أي ذا قرابة لك بأن كان بينك وبينه قرابة يقال فلان ذو قرابي وذو مقربي (أو مسكينا)

وهو من له مال أو كسب يقنع موقعاً من كفايته ولا يكفيه (ذات مرتبة) أى لصوق بالتراب لفقره
يقال ترب إذا افتقر ومغناه التصق بالتراب وأما ترب فاستغنى أى صار ذاهلاً كالتراب في الكثرة
كما قيل أن ترى وعنه صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى ذات مرتبة الذى مأواه المزابل قال ابن عباس
رضي الله عنهما هو المطروح على الطرق الذى لا بيت له وقال مجاهد هو الذى لا يقنع من التراب
لباس ولا غيره وقال قتادة أنه ذو العيال واحتج بهذه الآية على أن المسكين يملك شيئاً لأنه لو كان
لا يملك شيئاً لكان تقييده بقوله تعالى ذات مرتبة تكريراً وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحجزة برفع
الكاف وجز رقبة وكسر همزة اطعام وفتح العين وبعدها ألف ورفع الميم منونة والباقون فك
بنصب الكاف رقبة بالنصب أطم بفتح الهمزة والعين والميم بغير تنوين ولا ألف بين العين والميم
(فان قيل) قوله تعالى فلا اقتحم العقبة الى آخره ذكر لامرأة واحدة قال الفراء والزجاج والعرب
لا تكاد تفرّد لامع الفعل الماضى حتى تعبد لا كقوله تعالى فلا صدق ولا صلى (أجيب) بأنه انما
أفرد هالدلالة آخر الكلام على معناه فيجوز أن يكون قوله تعالى (ثم كان من الذين آمنوا) قائماً
مقام التكرير فكأنه قال فلا اقتحم العقبة ولا آمن وقال الزمخشري هي متكررة في المعنى لأن
معنى فلا اقتحم العقبة فلا فلك رقبة ولا أطم مسكيناً ألا ترى أنه فسر اقتحام العقبة بذلك قال ابو
حيان ولا يتم له هذا الا على قراءة فلك فعلاً ماضياً وعن مجاهد أن قوله تعالى ثم كان من الذين آمنوا
يدل على أن لا معنى لم ولا يلزم التكرير مع لم فان كررت لا كقوله تعالى فلا صدق ولا صلى فهو كقوله
تعالى لم يسرفوا ولم يقتروا * (تنبيه) * ثم كان يعطوفه على اقتحم وثم للترتيب الذكري والمعنى كان
وقت الاقتحام من الذين آمنوا وقال الزمخشري جاء بهم التراخي الايمان وتباعد في الرتبة
والفضيلة عن العمق والصدقة في الوقت لأن الايمان هو السابق المقدم على غيره ولا يثبت على
صالح الابه (وتواصوا) أى وصبروا وأوصى بعضهم بعضاً (بالصبر) أى على الطاعة وعن المعصية
والحن التي يتسلل بها المؤمن (وتواصوا بالرحمة) أى بالرحمة على عباده بأن يكونوا متراجسين
متعاطفين أى بما يؤدى الى رحمة الله تعالى (أولئك) أى الموصوفون بهذه الصفات (أصحاب
الميمنة) أى الجانب الذى فيه اليمين والبركة والخلافة من كل هلكة قال محمد بن كعب أى الذين يؤتون
كتبهم بأيمانهم وقال يحيى بن سلام لانهم ميامين على أنفسهم وقال ابن زيد لانهم أخذوا من شق
آدم اليمين وقال ميمون بن مهران لان منزلتهم عن اليمين وقال الزمخشري الميمنة اليمين أو اليمين
(والذين كفروا) أى ستر واما نظهر لهم مراعى بصائرهم من العلم (بآياتنا) أى على ما لها من
العظمة بالاضافة اليها والظهور الذى لا يمكن خفاؤه من القرآن وغيره (هم أصحاب المشأمة)
أى الخصلة المكتسبة للشؤم والحرمان قال محمد بن كعب أى الذين يؤتون كتبهم بشمائلهم وقال
يحيى بن سلام لانهم مشائيم على أنفسهم وقال ابن زيد لانهم أخذوا من شق آدم الايسر عليه
السلام وقال ميمون لان منزلتهم عن اليسار وقال الزمخشري المشأمة الشمال أو الشؤم قال
القرطبي ويجمع هذه الاقوال أصحاب الميمنة هم أصحاب الجنة وأصحاب المشأمة هم أصحاب النار
(عليهم) أى خاصة (نار مؤسدة) أى مطبقة وقرأ أبو عمرو وحفص وحجزة بالهمزة والباقون بغير

همزة أي بوا وساكنة وهما لغتان يقال أصدت الباب وأوصدته إذا أغلقته وأطبقتة وقيل معنى المهموز المطبقة وغير المهموز المغلقة وإذا وقف همزة أبدل على أصله وقول البيضاوي تبعاً للزحخشري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة لا أقسم بهذا البلد أعطاه الله الأمان من غضبه يوم القيامة حديث موضوع

(سورة الشمس مكية)

وهي خمس عشرة آية وأربع وخمسون كلمة ومائتان وسبعة وأربعون حرفاً

(بسم الله) الذي له الاسماء الحسنى (الرحمن) الذي يعلم السر وأخفى (الرحيم) الذي خص خواصه بالفردوس الاعلى وقوله تعالى (والشمس) أي الجامعة بين النفع والضّر بالنور والحر (وضحاها) قسم وقد تقدم الكلام على أن الله تعالى يقسم بما شاء من مخلوقاته وقيل التقدير ورب الشمس إلى تمام القسم * واختلف في قوله تعالى وضحاها فقال مجاهد والكلبي ضوءها وقال قتادة هو النهار كله وقال مقاتل هو حرها وقال لقوله تعالى في طه ولا تضئ أي لا يؤذي الحر وقال البريدي انبساطها قال الرازي انما أقسم بالشمس لكثرة ما يتعلق بهم من المصالح فان أهل العالم كانوا كالأموال في الله - فلما ظهر الصبح في المشرق صار ذلك الضوء كالروح الذي تنفخ فيه الحياة فصارت الاموات أحياء ولا تزال تلك الحياة في القوة والزيادة إلى غاية كمالها وقت الضعوة وذلك يشبه استقرار أهل الجنة (والقمر) أي المكسب من نورها كما أن أنوار النفوس من أنوار العقول (إذا تلاها) أي تبعها وذلك اذا سقطت رؤى الهلال قال الليث يقال تلوت فلانا لخالته وقيل ابن زيد اذا غربت الشمس في النصف الاول من الشهر تلاها القمر بالطول وفي آخر الشهر يتلوها بالغروب وقال القراء تلاها أي أخذ منها يعني أن القمر يأخذ من ضوء الشمس وقال الزجاج تلاها أي حين استوى ودار وكان مثلها في الضياء والنور وذلك في الليالي البيض (والنهار) أي الذي هو محل الانتشار فيما جرت به الاقدار (إذا جلاها) أي الشمس بارتفاعه لان الشمس تجلي في ذلك الوقت تمام الانجلاء وقبل الضمير للظلمة أو الدنيا أو الارض وان لم يجز لها ذكر كقولهم أصبحت باردة يريدون الغداة وأرسلت يريدون السماء (والليل) أي الذي هو ضد النهار فهو محل السكون والانقباض (إذا يغشاها) أي يغطيها بظلمته فتغيب وتظلم الآفاق وقيل الكتابة للارض أي يغشى الدنيا بالظلمة فقطلم الآفاق فالكتابة ترجع إلى غير مذكور وحي يغشاها مضارعادون ما قبله وما بعده مرعاة للقواصل اذ لو أتى به ماضياً كان التركيب اذا غشيا فتفوت المناسبة اللفظية بين القواصل والمقاطع * (تنبيه) * اذا في الثلاثة تجرّد الظرفية والعمل فيها فعل القسم (والسما وما) أي ومن (بناها) أي خلقها على هذا السقف المحكم أقسم تعالى بنفسه وبأعظم مخلوقاته وقوله تعالى (والارض) أي التي هي فراشكم (وما) أي ومن (طحاها) أي بسطها وسطحها على الماء كذلك وكذا قوله تعالى (ونفس) أي أي نفس جمع فيها سبحانه العالم بأسره (وما) أي ومن (سواها) أي عدلها على هذا القانون الاحكام في أعضائها وما فيها من

الجواهر والاعراض والمعاني وغير ذلك (فان قيل) لم تنكرت النفس (أجيب) بوجهين أحدهما
 انه يريد نفسا خاصة من بين النفوس وهي نفس آدم عليه السلام كأنه قال تعالى وواحدة من
 النفوس ثانیهما انه يريد كل نفس ونكره للتكثير على الطريقة المذكورة في قوله تعالى علت
 نفس وانما أوثرت ما على من فيما ذكر لارادة الوصفية بما ضمتها وان لم يوصف بلقبطها إذ المراد
 انها تقع على نوع من يعقل وعلى صفته ولذلك مثلوا بقوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم وقدروها
 بانكحوا الطيب وهذا تنفر دبه ما دون من وهذه الاسماء كلها مجرورة على القسم أقسم الله تعالى
 بأنواع مخلوقاته المتضمنة للمنافع العظيمة حتى يتأهل المكلف فيها ويشكر عليها لان الذي يقسم
 الله تعالى به يحصل به روح في القلب فتكون الدواعي الى تأتله أقرب (فألهما) أى النفس
 (فجورها وتقواها) قال ابن عباس رضى الله عنهما بين لهما الخير والشر وعنه عليها الطاعة
 والمعصية وعن ابى صالح عزها ما تأتي وما تبتى وقال سعيد بن جبير الزمها فجورها وتقواها وقال
 ابن زيد جعل فيها ذلك بتوفيقه اياها للتعوى وخذلانه اياها للتعور واختيار الزجاج هذا وحل
 الالهام على التوفيق والخذلان قال البغوي وهذا بين أن الله تعالى خلق في المؤمن التقوى
 وفي الكافر العجز وعن أبى الاسود الديلي قال قال لي عمران بن حصين رأيت ما يعمل الناس
 اليوم ويكدهون فيه أشيئ قضى عليهم ومضى عليهم من قدر سبق أو فيما يستقبلون مما آتاهم به
 نبيهم صلى الله عليه وسلم وثبت الحجة عليهم وقلت بل شئ قضى عليهم ومضى عليهم فقال أفلا يكون
 ظلمًا قال ففرغت منه فزعاشديدا وقلت انه ليس شئ الا وهو خلقه ومالك يده لا يستل عما يفعل
 وهم يستلون فقال لي سددك الله انما سألتك لا تخبر عقلك ان رجلا من جهنمة أو من الجنة أتى
 النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله رأيت ما يعمل الناس ويكدهون فيه أشيئ قضى
 الله عليهم من قدر سبق أو فيما يستقبلون مما آتاهم به نبيهم وأكذب به الحجة فقال في شئ قد مضى
 عليهم قال فقلت فقيم العمل الان قال من كان الله خلقه لاحدى الميزنتين يهتبه الله له وتصديق
 ذلك في كتاب الله تعالى ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها وعن جابر قال جاء سراقبة
 ابن مالك بن جعشم فقال يا رسول الله بين لنا ديننا كأننا خلقنا الا ان فيم العمل اليوم فيما جفت
 به الاقلام وحررت به المقادير أو فيما يستقبل قال بل فيما جفت به الاقلام وحررت به المقادير
 قال فقيم العمل قال اعملوا وكل ميسر لما خلق له * واختلف في جواب القسم فأكثر
 المفسرين على أنه (قد أفلح) أى ظفر بجميع المرادات والاصل لقد وانما حذف لطول الكلام
 وقيل انه ليس بجواب وانما جى به تابع لقوله تعالى فألهمها فجورها وتقواها على شذيل
 الاستطراد وليس من جواب القسم في شئ والجواب محذوف تقديره ليدمد من الله عليهم أى
 أهل مكة لتكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما دمد على عهود لانهم قد كذبوا صالحا أو
 اتبعن وقيل هو على التقديم والتاخير من غير حذف والمعنى قد أفلح (من زكاه) أى طهرها من
 الذنوب ونماها أو أصلحها وصفها تصفية عظيمة ما يسره الله تعالى لمن العلوم النافعة والاعمال
 الصالحة (وقد ضاب) أى خسر (من دساها) أى أغواها اغواء عظيم أو فسدتها وأهلكها

بخباثت الاعترافات ومساوى الاعمال وقبائح السيئات والشمس وضحاها وفاعل زكاها
 ودساها ضمير من وقيل ضمير الباري سبحانه أى قد أفلح من زكاها بالطاعة وقد خاب من دساها أى
 خسرت نفس دساها الله تعالى بالمعصية وأنكر الزمخشري على صاحب هذا القول لما فرقه مذهبه
 ولكن قال بعض المفسرين الحق أنه خلاف الظاهر لا كما قاله الزمخشري وقال ابن عباس رضى
 الله عنهما خابت نفس أضلها الله تعالى وأغواها وأصل الزكاة التور والزيادة ومنه زكى الزرع اذا
 كثر ريعه ومنه تركبة القاضى الشاهد لانه يرفعه بالتعديل وأصل دساها دسها من التدسيس
 وهو اخفاء الشيء فأبدل من السين الثانية ياء والمعنى أخفها وأخفى محلها بالكفر والمعصية وعن
 زيد بن أرقم قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم انى أعوذ بك من العجز والكسل
 والبخل والجبن والهيم وفى رواية والهيم وعذاب القبر اللهم أنت نفسى تقواها أنت خير من زكاها
 أنت وليها ومولاها اللهم انى أعوذ بك من علم لا ينفع ومن نفس لا تشبع ومن قلب لا يخشع
 ومن دعوة لا يستجاب لها (كذبت عود) وهم قوم صالح كذبوا رسولهم صالحا عليه السلام
 وأنت فعلهم لضعف أثر تكذيبهم لأن كل سامع له يعرف ظلمهم فيه لوضوح آياتهم (بطغواها) أى
 أوقع التكذيب لرسولها بكل ما أتى به عن الله تعالى أى طغيانها وقيل ان الباء للاستعانة قال
 الزمخشري مثلها فى كسب بالقلم والطغوى من الطغيان فصلوا بين الاسم والصفة فى فعل من
 بنات الباء بأن قلبوا الباء واو فى الاسم وتركوا القلب فى الصفة فقالوا امرأه نريا وصديا يعنى
 فعلت التكذيب بطغيانها كما تقول ظلمنى بجرأته على الله تعالى وقيل كذبت بما أوعدت به من
 عذاب ذى الطغوى كقوله تعالى فأهلكوا بالطاغية (اذ) أى تحقق تكذيبهم وأطغيانهم
 بالفعل حين (انبعث أسقاها) أى قام وأسرع وذلك انهم لما كذبوا بالعذاب وكذبوا صالحا عليه
 السلام انبعث أشقى القوم وهو قدار بن سالف وكان رجلا أشقر أرزق قصيرا فقرر الناقة وعن
 عبد الله بن زمعة أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يخطب فذكر الناقة والذى عقرها فقال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم اذا نبعث أسقاها انبعث لها رجل عزيز عارم متبع فى أهله مثل أبى زمعة
 وقوله عارم أى شديد متمنع قال الزمخشري ويجوز أن يكونوا جماعة والتوحيد لتسويتك فى الفعل
 التفضيل اذا أضفته بين الواحد والجمع والمذكور والمؤنث * (تنبيه) * اذ منسوب بكذبت
 أو بطغواها (فقال لهم) أى بسبب الاتبعات أو التكذيب الذى دل على قصدهم لها بالاذى
 (رسول الله) أى صالح عليه السلام وعبر بالرسول لأن وظيفة البلاغ والتحذير الذى ذكر
 هنا ولذلك قال تعالى مشير بالحدف العامل الى ضيق الحاز عن ذكره لعظم الهول وسرعة
 التعذيب عند مسها بالاذى وزاد فى التعظيم بإعادة الجلالة (ناقة الله) أى الملك الاعظم الذى له
 الامركا وهى منصوبة على التحذير كقولك الاسد الاسد والصبي الصبي باضماء راقوا واحذروا
 ناقة الله (وسقياها) أى وشربها فى يومها وكان لها يوم ولهم يوم لانهم لما اقترحوا الناقة
 فأخرجها لهم من الصخرة جعل لهم شرب يوم من بئرهم ولها شرب يوم فشق عليهم وإضافة
 الناقة الى الله تعالى إضافة تشريف كبيت الله (فكذبوه) أى صالحا عليه السلام بطغيانهم

في وعيدهم بالعذاب (فَعَقَرُوهَا) أى عقرها الاشقى بسبب ذلك التكذيب وأضيف الى السك
 لانهم رضوا بقله وان كان العاقر جماعة فواضع وقال قتادة بلغنا انه لم يعقرها حتى تابعه صغيرهم
 وكبيرهم وذكرهم وأنثاهم وقال الفراء عقرها الثنان والعرب تقول هذا أن أفضل الناس وهذا أن
 خيرا الناس وهذه المرأة أشقى القوم ولهذا لم يقل أسقيهاها (فدمدم) أى فاطمى (عليهم ربهم) أى
 الذى أحسن اليهم فغمرهم أحسانه فقطعه عنهم بسبب تكذيبهم فأهلكهم وأطبق عليهم
 العذاب يقال دمدمت عليه القبر أطبقته عليه (بذنبهم) أى بسبب كفرهم وتكذيبهم وعقرهم
 النافقة وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما دمدم عليهم ربهم بذنبهم أى مجرمهم وقال القشيري
 وقيل دمدمت على الميت التراب أى سويته عليه فالمعنى على هذا فجعلهم تحت التراب
 (فسواها) أى فسوى عليهم الارض فجعلهم تحت التراب وعلى الاول فسوى الدمدمه عليهم أى
 عهم بها فلم يعلت منهم احدا وقرأ (ولا يخاف) نافع وابن عامر بالفاء والباقون بالواو فالفاء تقضى
 التعقيب والواو يجوز أن تكون للعال وأن تكون للاستئناف الاخبارى وضير الفاعل في يخاف
 الاظهر عوده على الله تعالى لانه أقرب مذكور وهو قول ابن عباس ويؤيده قراءة الفاء المسببة
 عن الدمدمه والتسوية والهاء في قوله تعالى (عقباها) ترجع الى الفعل وذلك لانه تعالى يفعل
 ذلك بحق وكل من فعل فعلا بحق فانه لا يخاف عاقبة فعله وقيل المراد تحقيق ذلك الفعل والله
 تعالى أجل من أن يوصف بذلك وقيل المعنى انه تعالى بالغ في الانذار اليهم بالغه كمن لا يخاف
 عاقبة عذابهم وقيل يرجع ذلك الى رسولهم صالح عليه السلام أى لا يخاف عقبي هذه العقوبة
 لانذاره اياهم ونجاء الله وأهلكهم وقال السدي يرجع الضمير الى أسقاها أى انبعث لعقورها والحال
 انه غير خائف عاقبة هذه الفعل الشنعاء وقرأ الكسائي جميع رؤس أى هذه السورة بالامالة محضة
 وقرأها أبو عمرو وبين يمين وقرأ ورش بالفتح وبين اللفظين وأمال جزءة مثل الكسائي الانلاها وضحاها
 ففتحهم ما والباقون بالفتح وانفقوا على فتح فعقروها وقول البيضاوى تعالى لم يخشى انه صلى
 الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الشمس فكأنما تصدق بكل شئ طلعت عليه الشمس والقمر
 حديث موضوع

(سورة الليل مكية)

وهي احدى وعشرون آية واحدى وسبعون كلمة وثلاثمائة وعشرة أحرف

(بسم الله) الملك الحق المبين (الرحمن) الذى عم رزقه العالمين (الرحيم) الذى خص بجنه
 المؤمنين وقوله تعالى (والليل) أى الذى هو آلة الظلام (إذا يغشى) قسم وقد مر الكلام على ذلك
 ولم يذكر تعالى مقعولا للعالم به فقبل يغشى بظلمته كل ما بين السماء والارض وقبل يغشى النهار
 وقيل الارض وقبل الخلاق قال قتادة أول ما خلق الله تعالى النور والظلمة ثم ميز بينهما فجعل
 الظلمة ليل والأسود مظلمة والنور نهارا مضيا مبصرا وقوله تعالى (والنهار) أى الذى هو سبب
 انكشاف الامور (إذا تجلى) أى تكشف وظهر قسم آخر قال الرازى أقسم بالليل الذى يأوى

فيه كل حيوان الى مأواه وتسكن الخلق عن الاضطراب ويغشاهم النوم الذي جعله الله تعالى راحة لآبدانهم وغذاء لارواحهم ثم أقسم بالنهار اذا تجلى لان النهار اذا جاء انكشف بضوئه ما كان في الدنيا من الظلمة وجاء الوقت الذي تتحرك فيه الناس لمعايشهم وتحرك الطير من أوكارها والهوام من مكانها فلو كان الدهر كله ليلا لتعذر المعاش ولو كان كله نهارا لبطأت الراحة لكن المصلحة في تعاقبهما كما قال تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار خلفه وقال تعالى وسخر لكم الليل والنهار (وما يعنى من أى ومن) خلق الذكر والانثى أى فيكون قد أقسم بنفسه أو مصدريه أى وخلق الله الذكر والانثى وجازا ضمرا باسم الله تعالى لانه معلوم لانقراده بالخلق اذا خلق سواه والذكر والانثى آدم وحواء عليهما السلام وكل ذكر وانثى من سائر الحيوانات والخنثى وان أشكل أمره عندنا فهو عند الله تعالى غير مشكل معلوم بالذكورة أو الانوثة فلو حلف بالطلاق أنه لم يلق يومه ذكر أو انثى وقد لقي خنثى مشكلا كان حائلا لانه في الحقيقة ذكر أو انثى وان كان مشكلا عندنا وقيل كل ذكر وانثى من الآدميين فقط لا خصماصهم بولاية الله تعالى وطاعته وقوله تعالى (ان سعيكم) أى عملكم (لستى) جواب القسم والمعنى ان أعمالكم تختلف فعامل اللجنة بالطاعة وعامل النار بالمعصية ويجوز أن يكون محذوفا كما قيل في نظائره المتقدمة وشتى واحدة شئت مثل مريض ومرضى وانما قيل للمختلف شتى لتباعد ما بين بعضه وبعضه أى ان عملكم المتباعد بعضه من بعض لستى لان بعضه ضلال وبعضه هدى أى فيكم مؤمن وبر وكافر وفاجر ومطيع ومعاص وقيل لستى أى تختلف الجزاء فثكم مثاب بالجنة ومعاقب بالنار وقيل لمختلف الاخلاق فثكم راحم وقاس وحليم وطائش وجواد وبخيل قال بعض المفسرين نزلت هذه الآية في أبي بكر وأبي سفيان بن حرب وروى أبو مالك الاشعري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها أى مهلكها وقوله تعالى (فأما من أعطى) أى وقع منه اعطاء على ما حدته له وأمرناه به (واتقى) أى ووقعت منه التقوى وهى ايجاد الوفايات من الطاعات واجتناب المعاصى خوفا من سطواتنا (وصدق بالحسنى) تفصيل مبين لنشيت المسامحة واختلف في الحسنى فقال ابن عباس أى بلا اله الا الله وقال مجاهد بالجنة لقوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وقال زيد بن أسلم الصلاة والزكاة والصوم (فسييسره) أى يهيئه بما لنا من العظمة بوعده لاخلف فيه (لليسرى) أى لاسباب الخير والصالح حتى يسهل عليه فعلها وقال زيد بن أسلم ليسرى أى للجنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من نفس منقوسة الا كتب الله تعالى مدخلها فوالقوم يا رسول الله أفلا تسكل على كتابنا فقال صلى الله عليه وسلم بل اعمالوا فكل ميسر لما خلق له أما من كان من أهل السعادة فانه ميسر لعمل أهل السعادة وأما من كان من أهل الشقاوة فانه ميسر لعمل أهل الشقاوة ثم قرأ أما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسييسره اليسرى (وأما من بخل) أى أوجد هذه الحقيقة الخبيثة فنع ما أمر به ويندب اليه (واستغنى) أى طلب الغنى عن الناس وعما وعده من الثواب أو وجد بما زعمت له نفسه الخاتمة

وظنونه الكاذبة فلم يحسن الى الناس ولا عمل للعقبى (وكذب) أى أوقع التكذيب لمن يستحق
 التصديق (بالحسن) أى فأنكرها وكان عامدا مع المحسوسات كالهائم (ففسنيسره) أى نهشه
 (للعسرى) أى للجله المؤدية الى العسرة والشدة كدخول النار وعن ابن عباس قال نزلت
 فى أمة بن خلف وعنه ففسنيسره للعسرى أى سأل حول فيه وبين الايمان بالله ورسوله وعنه
 أيضا وأما من يحمل أى بما له واستغنى عن ربه وكذب بالحسن أى بالخلف الذى وعده الله تعالى
 فى قوله سبحانه وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه وقال مجاهد وكذب بالحسن أى بالجنة وعنه
 بلا اله الا الله ويجوز فى ما فى قوله تعالى (وما يغنى عنه ماله) أن تكون نافية أى لا يغنى عنه ماله
 شىء وأن تكون استفهاما انكاريا أى أى شئ يغنى عنه ماله (إذا تردى) قال أبو صالح أى اذا
 سقط فى جهنم. وقيل هو كناية عن الموت كما قال القائل

نصيبك مما تجمع الدهركله * ردا أن تطوى فيهما وحطوط

* ولما عرفهم سبحانه أن سعيهم شئ وبين ما للعيسين من اليسرى وما للمسيئين من العسرى
 أخبرهم بأن عليه بيان الهدى من الضلال بقوله تعالى (ان علينا) أى بما لنا من القدرة
 والعظمة (للهدى) أى للارشاد الى الحق بموجب قضائنا وعقضى حكمتنا فى طريق الهدى
 من طريق الضلال ليمثل أمرنا بساير الاول ونهينا عن ارتكاب الثانى وقال الفراء معناه
 ان علينا الهدى والاضلال فحذف المعطوف كقوله تعالى سرايل تقيمكم الحز وهو معنى قول
 ابن عباس يريد أرشد أو ما يأتى للعمل بطاعتي وأحول بين أعدائى أن يعملوا بطاعتي وهو معنى
 الاضلال وقيل معناه من سلك سبيل الهدى فعلى الله تعالى سبيله كقوله تعالى وعلى الله
 قصد السبيل (وان لنا الآخرة والاولى) أى لنا فى الدنيا والآخرة فنعطى فى الدارين
 ما نشاء لمن نشاء فمن طلبهما من غير نافعة أخطأ الطريق وعن ابن عباس قال ثواب الدنيا والآخرة
 وهو كقوله تعالى من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة (فأذرتكم)
 أى حذرتكم وخوفتكم بأيتها المخالفون للطريق الذى بينته (نارا تلقى) بحذف احدى
 التاءين من الاصل أى تلهب وتتوقد وتتوهج يقال تظلت النار تظليا ومنه سميت جهنم
 لظي وقرأ البرزى فى الوصل بتشديد التاء وهو عسر لالتقاء الساكنين على غير حذما وهو نظير
 قوله تعالى اذ تلقونه والباقون بغير تشديد (لا يصلاها) أى لا يقاسى شدتها على طريق اللزوم
 والانقسام (الا الاشقى) أى الذى هو فى الذروة من الشقاوة وهو الكافر فان الفاسق
 وان دخلها لم يلزمها ولذلك سماه أشقى ووصفه بقوله تعالى (الذى كذب) النبى صلى الله عليه
 وسلم (وتولى) أى عن الايمان أو كذب الحق وأعرض عن الطاعة أو الاشقى بمعنى الشقى كقوله
 لست فيها بأوحد أى بواحد والمحصرون مؤول لقوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فيكون
 المراد الصلى المؤبد (وسيجنبها) أى النار الموصوفة بوعدها لخلف فيه (الاتقى) أى الذى اتقى
 الشر والمعاصى فإنه لا يدخلها فضلا أن يدخلها ويصلاها ومفهوم ذلك على التفسير الاول
 أن من اتقى الشر ودون المعصية لا يجنبها ولا يلزم ذلك صليها ولا يخالف المحصر السابق أو الاتقى

بمعنى التقي على وزن مامر (الذي يؤتي ماله) أي بصرفه في وجوه الخير لقوله تعالى (يتزكى)
 فانه بدل من يؤتي أو حال من فاعله فعلى الأول لا محل له لانه داخل في حكم الصلة والصلة
 لا محل لها وعلى الثاني محله نصب قال البغوي يعني أبابكر الصديق رضي الله عنه في قول
 الجنيح قال ابن الزبير كان يتباع الصعقة فيعتقههم فقال له أبو أي بني لو كنت تتباع من يمنع
 ظهوره لقلت منع ظهري أريد فأمر الله تعالى وسيجئهم الاتقي إلى آخر السورة وذكر محمد
 ابن اسحق قال كان بلال لبعض بني جحج وهو بلال بن رباح واسم أمه حمامة وكان صادق
 الاسلام طاهر القلب وكان أمية بن خلف يخرج له اذا حبت الشمس فيطرحه على ظهره يبسطها
 مكة ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر محمد
 فيقول وهو في ذلك أحد أحد قال محمد بن اسحق عن هشام بن عروة عن أبيه قال مر به أبو بكر
 يوم ما وهم يصنعون به ذلك وكانت دار أبي بكر في بني جحج فقال لامية ألا اتقي الله تعالى في هذا
 المسكين قال أنت أفسدته فأنقذه مما ترى قال أبو بكر أفعل عندى غلام أسود أجلد منه وهو
 على دينك أعطيك قال قد فعلت فأعطاه أبو بكر غلامه وأخذه فأعققه وكان قد أعققت
 رقاب على الاسلام قبل أن يهاجر وبلال سابعهم وهم عاصم بن هبيرة شهيد برأ وأحدا وقتل
 يوم بئر معونة شهيدا وأعققت أم عيس فأصيب بصرها حين أعققتها فقالت قرش ما أذهب
 بصرها إلا اللات والعزى فقالت كذبوا بيت الله مانصر اللات والعزى ولا تتفعلن فرد الله
 تعالى بصرها وأعققت الهندية وابنتها وكاتلا امرأة لبي عبد الله ابرقز بهما وقد بعثتهما بسببتهما
 يحتمل أن لها وهي تقول لهم ما والله لا أعققكما أيداف قال أبو بكر كلا يا أم فلان فقالت كلا أنت
 أفسدتهما فأعققتهما قال فبكم قالت بكذا وكذا قال قد أخذتهما وما هما حترتان ومريحارية
 من بني المرسل وهي تعذب فاتباعها فأعققتها وقال سعيد بن المسيب بلغني أن أمية بن خلف
 قال له أبو بكر في بلال أتبعه قال نعم أبعه بقسطاس عيسى صاحب عشرة آلاف دينار
 وغلمان وجوار ومواس وكان مشركا جلد أبو بكر على الاسلام على أن يكون ماله له فأبغضه
 أبو بكر فلما قال له أمية أبعه بغلامك قسطاس اعتمه أبو بكر وباعه به وروى الضحاك عن
 ابن عباس قال عذب المشركون بلالا وبلال يقول أحد أحد فخر النبي صلى الله عليه وسلم فقال
 أحد يعني الله تعالى نجيتك ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم لا بي بكر يا أبابكر إن بلالا يعذب في الله
 فعرف أبو بكر الذي يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنصرف إلى منزله فأخذ رطلا من ذهب
 ومضى به إلى أمية بن خلف فقال له أتبعني بلالا قال نعم فاشتراه فأعققه فقال المشركون ما فعل
 ذلك أبو بكر بلال الاليد كانت له لال عنده فأمر الله تعالى (وما لاحد عنده) أي أبي بكر
 (من نعمة تجزي) أي يد يكافئه عليها وقوله تعالى (الابتغاء) استئناس منقطع أي لم يفعل ذلك
 مجازاة لاجد يد كانت له عنده لكن فعله ابتغاء (وبه ربه) أي المحسن إليه (الاعلى) وطلب
 رضاه ويجوز أن يكون متبعا عن محذوف مثل لا يؤتى إلا ابتغاء وبه ربه الاعلى لا يكافأة
 زعمه (ولسوف يرضى) أي بما يعطى من الثواب في الجنة وروى عن علي قال قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم رحم الله أبابكر زوجهنى ابنته وحنى الى دار الهجرة وأعتق بلالا والانية
تعمل من فعل مثل فعله فيبعد عن النار ويناب وقرأ جزء والكسائي يغشى تجلى والاني لشي
من أعطى واتقى وصدق بالحسنى واستغنى بالحسنى تردى للهدى والاولى تلقى الاشقى وتولى
الانقى يتزكى تجزى الاعلى يرضى بالامالة محضه في جميع ذلك وأمال ورش جميع ذلك بين بين
والفتح عنه قليل وله في من أعطى الفتح وبين اللفظين سواء وأمال أبو عمرو بين بين الامن أعطى
لانه ليس برأس آية والباقون بالفتح وقرأ أبو بكر وجزء والكسائي اليسرى للعسرى بالامالة
محضه وورش بين اللفظين والباقون بالفتح وأمال جزء والكسائي يصلاها محضه ولورش الفتح
وبين اللفظين واذا فتح غلط الادم واذا أمال رققها وأمال الاشقى والانقى فلا يعالان الا في الوقف
دون الوصل وقول البيضاوى بما لا يخشى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة
والليل أعطاه الله تعالى حتى يرضى وعافاه من العسر ويسره اليسر حديث موضوع

﴿سورة الضحى﴾

وهي احدى عشرة آية وأربعون كلمة ومائة وسبعون حرفا ولما نزلت كبر النبي صلى الله عليه
وسلم فسكن التكبر آخرها وروى الامر به خاتمة وخاتمة كل سورة بعدها وهو الله أكبر أو
لا اله الا الله والله أكبر

(بسم الله) الملك ذي الجلال والاكرام (الرحمن) الذي علم بعبادته الخاص والعام (الرحيم)
الذي خص أهل وده باتمام الانعام وقوله تعالى (والضحى) قسم وقدم الكلام على ذلك وخصه
بالقسم لانهم ما الساعة التي كلم الله تعالى فيها موسى عليه السلام وألقى السحرة فيها سجدا وهو
صدر النهار حين ترتفع الشمس وتلقى شعاعها لقوله تعالى وأن يحشر الناس ضحى وقال البغوي
أراد النهار كله بدليل أنه قاله بالليل في قوله تعالى (والليل) أى الذى به تمام الصلاح
(اذا سجد) أى سكن وركد ظلامه يقال ليلة ساجية ساكنة الريح وقيل معناه سكوت الناس
والاصوات فيه وسجد البحر سكنت أمواجه وطرف ساج فاتر وقال قتادة أقسم بالضحى
الذى كلم الله تعالى فيه موسى وبليلة المعراج التى عرج فيها النبي صلى الله عليه وسلم (فان قيل)
ما الحكمة في أنه تعالى قدم هنا الضحى وفي السورة التي قبلها الليل (أجيب) بأن لكل منهما
أثرا عظيما في صلاح العالم والليل فضيلة السبق لقوله تعالى وجعل الظلمات والنور وللنهار
فضيلة النور فقدم سبحانه هذا نارة وهذا أخرى كالركوع والسجود في قوله تعالى اركعوا
واسجدوا وقوله تعالى واسجدوا واركعوا مع الراكعين أو أنه قدم الليل في سورة أبي بكر لان
أبابكر سبقه كثر وقدم الضحى في سورة محمد صلى الله عليه وسلم لانه نور محض ولم يتقدمه ذنب
أو أن سورة الليل سورة أبي بكر وسورة الضحى سورة محمد صلى الله عليه وسلم ولم يجعل بينهما
واسطة لتعلم أنه لا واسطة بين محمد صلى الله عليه وسلم وبين أبي بكر رضى الله تعالى عنه (فان قيل)
ما الحكمة في كونه تعالى ذكر الضحى وهو ساعة وذكر الليل بجملة (أجيب) بأن في ذلك

اشارة الى ان ساعة من نهار توازن جميع الليل كما ان محمدا صلى الله عليه وسلم يوازن جميع
 الانبياء عليهم السلام وايضا الضحى وقت السرور والليل وقت الوحشة ففيه اشارة الى ان
 سرور الدنيا اقل من سرورها وان هموم الدنيا ادم من سرورها فان الضحى ساعة والليل ساعات
 ويروى ان الله تعالى لما خلق العرش اظلت غمامة سوداء ونادت ماذا امطر فاجبت ان امطر
 السرور ساعة فلهذا ترى الهموم والاحزان دائمة والسرور قليلا ونادرا وقد ذكر الضحى
 وآخر الليل لانه يشبه الموت وقوله تعالى (ما ودّعك) أى تركك يا أشرف الرسل تركا تحصل به
 فرقة كفرقة المودّع ولو على أحسن الوجوه الذى هو مراد المودّع (ربك) أى المحسن اليك
 جواب القسم (وما ظلى) أى وما أبغضك بغضا ما وتركت الكفا لانه رأس آية كقوله تعالى
 والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أى الله * (تنبية) * اختلفوا في سبب نزول هذه الآية على
 ثلاثة أقوال أحدها ما روى البخارى عن جندب بن سفيان قال اشتكى رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ليلتين أو ثلاثا فجاءت أم جميل امرأة أبى لهب فقالت يا محمد انى لارجو أن يكون
 شيطانك قد تركك لم أره قريبا منذ ليلتين أو ثلاث فترات ثانيا ما روى أبو عمر وقال أبطأ
 جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم حتى شق عليه فخاه وهو واضح جبهته على
 الكعبة يدعو وأنزل عليه الآية ثالثا ما روى أن خولة كانت تخدم النبي صلى الله عليه
 وسلم فقالت ان جروا دخل البيت فدخل تحت السرير فبكى النبي صلى الله عليه وسلم
 أياما لا ينزل عليه الوحي فقال صلى الله عليه وسلم يا خولة ما حدث في بيتي ان جبريل عليه السلام
 لا يأتي نبي قالت خولة فكنت فأهويت بالمكنسة تحت السرير فاذا جروا وميت فأخذته فألقىته
 خلف الجدار فخافني النبي صلى الله عليه وسلم ترعد لحياه وكان اذا نزل عليه الوحي استقبلته
 الرعدة فقال يا خولة دثرني فأنزله الله تعالى هذه السورة * ولما نزل جبريل عليه السلام
 سأله النبي صلى الله عليه وسلم عن التأخير فقال أما علمت أنا لا ندخل بيتا فيه كلب ولا صورة
 رابعها ما روى ان اليهود سألو النبي صلى الله عليه وسلم عن الروح وذى القرنين وأصحاب
 الكهف فقال صلى الله عليه وسلم سأخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله فاحتبس عنه الوحي الى
 أن نزل جبريل عليه السلام بقوله تعالى ولا تقولن لشيء انى فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله
 فأخبره بما سئل عنه وفي هذه القصة نزات ما ودّعك ربك واختلفوا في مدة احتباس الوحي عنه
 فقال ابن جرير اثنا عشر يوما وقال ابن عباس خمسة عشر يوما وقال مقاتل أربعين يوما
 قالوا وقال المشركون ان محمدا ودّع ربه وقلاه فأنزله الله تعالى هذه السورة فقال النبي صلى
 الله عليه وسلم يا جبريل ما جئت حتى اشتقت اليك فقال جبريل عليه السلام انى كنت اليك
 أشد شوقا وليكني عبدا مأمورا وأنزل الله تعالى وما تنزل الابرار ربك (وللاخرة) التى هى
 المقصود من الوجود بالذات لانها باقية خالصة عن شوائب الكدر (خير لك) أى لما فيها من
 الكرامات لك (من الاولى) أى الدنيا الفانية التى لا سرور فيها خالص وقيد تعالى بقوله سبحانه
 لك لانها ليست خير الكل أجد قال البقاعى ان الناس على أربعة أقسام منهم من له

الخيري في الدارين وهم أهل الطاعة الأغنياء ومنهم من له الشرف فيهم ما وهبهم الكفرة الفقراء
 ومنهم من له صورة خيرة في الدنيا وشر في الآخرة وهم الكفرة الأغنياء ومنهم من له صورة
 شر في الدنيا وخيرة في الآخرة وهم المؤمنون الفقراء وروى البغوي بسنده عن ابن مسعود
 قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أهل البيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا
 (ولسوف يعطيك) أي بوعدا لا خلف فيه وإن تأخر وقته بما أفهمته الاداة (ربك) أي المحسن
 اليك بسائر النعم في الآخرة من الخيرات عطاء جزيل (فترضى) أي به فقال صلى الله عليه وسلم
 إذا لأرضي وواحد من أمتي في النار وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي صلى الله عليه
 وسلم رفع يديه وقال اللهم أمتي أمتي وبكى فقال الله تعالى يا جبريل اذهب إلى محمد فقل له أنا
 سببرضيك في أمتك ولانسوك وعن أبي هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال لكل نبي دعوة
 مستجابة فتجمل كل نبي دعوته وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة فهي نائلة من
 مات لا يشرك بالله شيئاً وعن عوف بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أنا نبي
 من عند ربّي يخبرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة فهي نائلة
 من مات ولم يشرك بالله شيئاً وعن شريح قال سمعت أبا جعفر محمد بن علي يقول انكم
 معشر أهل العراق تقولون أرجى آية في القرآن قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم
 لا تقنطوا من رحمة الله وأنا أهل البيت نقول أرجى آية في كتاب الله ولسوف يعطيك ربك
 فترضى وفي هذا موعده لما أعطاه الله تعالى في الدنيا من الفتح والظفر بأعدائه يوم بدر يوم
 فتح مكة ودخول الناس في الدين أو إجماع والغلبة على قريظة والنضير واجلائهم وبث
 عساكره وسراياه في بلاد العرب وما فتح على خلفائه الراشدين في أقطار الارض من المذاشن
 وهدم بأيديهم من ممالك الجبابرة وأنهم بهتهم من كنوزها لا كاسرة وما قذف في قلوب أهل الشرق
 والغرب من الرعب وتهيب الاسلام وفشو الدعوة واستيلاء المساكين ولما أعطاه في الآخرة
 من الثواب الذي لا يعلم كنهه إلا الله تعالى قال ابن عباس له في الجنة ألف قصر من لؤلؤ
 أبيض تراه المسك (فان قبل) ما هذه اللام الداخلة على سوف (أجيب) بأنهم بالام الابتداء
 المؤكدة لمضجون الجملة والمبتدأ المحذوف تقديره ولانت سوف يعطيك وذلك أنهم لا يتخلون أن
 تكون لام قسم أو ابتداء فلام القسم لا تدخل على المضارع الامعنون التوكيد فيقضي أن
 تكون لام ابتداء ولام الابتداء لا تدخل الاعلى الجملة من المبتدأ والخبر فلا بد من تقدير مبتدأ
 وخبر وإن يكون أصله ولانت سوف يعطيك (فان قبل) ما معنى الجمع بين حرفي التأكيديين
 والتأخير (أجيب) بأن معناه ان العطاء كائن لا محالة وإن تأخر إلى في التأخير من المصلحة على
 أنه تعالى أخبر نبيه صلى الله عليه وسلم بالحال التي كان عليها فقال جل ذكره (ألم يجدك) وهو
 استقهام تقرير أي وجدك (يتيما) وذلك ان أباه مات وهو جنين قد آتت عليه ستة أشهر وقيل
 مات قبل ولادته ومات أمه وهو ابن ثمان سنين (فأسوى) أي بأن ينمك إلى عملك أي طالب
 فأحسن تربيتك وعن مجاهد هو من قول العرب درة يتيمة إذا لم يكن لها نظير فالمعنى ألم يجدك

يتبعوا واحدا في شرفك لانظيرك قال والله الله تعالى بأعجاب يحفظونك ويحيطونك وهذا خلاف الظاهر من الآية ولهذا قال الزمخشري ومن بدع التفاسير انه من قولهم درة تيممة وأن المعنى ألم يجدك واحدا في قرين عديم النظير قال (فان قيل) كيف ان الله تعالى عن ينعمه والمن به الا يلبق ولهذا اذم فرعون في قوله لموسى عليه السلام ألم نريك فينا وليدا (أجيب) بأن ذلك يحسن اذا قصد به تقوية قلبه ووعده بدوام النعمة فامتنان الله تعالى زيادة نعمة بخلاف امتنان الا دعى واختلقوا في قوله تعالى (ووجدك ضالا فهدى) فأكثر المفسرين على أنه كان ضالا عما هو عليه الآن من الشريعة فهذا الله تعالى اليها وقيل الضلال بمعنى الغفلة كقوله تعالى لا يضل ربي ولا ينسى أى لا يغفل وقال تعالى في حق نبيه صلى الله عليه وسلم وان كنت من قبله لمن الغافلين وقال الضحاك المعنى لم تكن تدري القرآن وشرائع الاسلام فهذا الى القرآن وشرائع الاسلام وقال السدى وجدك ضالا أى في قوم ضلال فهذاهم الله تعالى بك وفيه دليل الى ارشادهم وقيل وجدك ضالا عن الهجرة فهذا الى الله وقيل ناسيا شأن الاستثناء حين سئلت عن أصحاب الكهف وذى القرنين والروح فذكر كك قوله تعالى أن تضل احداهما وقيل وجدك طالبا للقبلة فهذا الى الله كقوله تعالى قد نرى قلب وجهك في السماء الآية ويكون الضلال بمعنى الطلب لان الضال طالب وقيل وجدك ضالعا في قومك فهذا اليهم ويكون الضلال بمعنى الحبسة كما قال تعالى قالوا والله انك لاني ضلالك القديم أى في محبتك قال الشاعر

هذا الضلال أشاب مني الموقفا * والعارضين ولم أكن متحققا

عجا العزة في اختيار قطيعتي * بعد الضلال فخلها قد أخلقا

وروى الضحاك عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم ضل في شغاب مكة وهو صبي صغير فراه أبو جهل منصرفا من أغنامه فرده الى عبد المطلب وقال سعيد بن المسيب خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عمه أبي طالب في قافلة ميسرة عبد خديجة فينما هورا كب ذات ليلة مظلمة ناقة فجاء ابليس فأخذ بزمام الناقة فعدل به عن الطريق فجاء جبريل عليه السلام فنفخ ابليس نفخة وقع منها الى أرض الحبسة ورده الى القافلة فن الله تعالى عليه بذلك وقيل وجدك ضالا نفيت لا تدري من أنت فعرفك نفسك وحالك وقال كعب بن خليفة لما قضت حق الرضاع جاءت برسول الله صلى الله عليه وسلم لترده على عبد المطلب فسمعت عند باب مكة هنيئا لك يا بطحاء مكة اليوم يرد اليك النور والبهاء والجمال قالت فوضعت لاصح شأني فسمعت هدة شديدة فالتفت فلم أراه فقلت معشر الناس أين الصبي فقالوا لم نر شيئا فقصت واحمداه فاذا شيخ فان يتوكأ على عصا فقال اذهبي الى الصنم الاعظم فان شاء أن يرده اليك فعل ثم طاف الشيخ بالصنم وقبل رأسه وقال يا رب لم تزل منتك على قرين وهذه السعدية تزعم أن ابنها قد ضل فرده ان شئت فانهكب على وجهه وتساقطت الاصمائم وقالت البس عنا أيها الشيخ فهلا كما على يد محمد فأبى الشيخ عصاه وارتهد وقال ان لا ينك رب الا يضربه فاطلبه

على مهل فأنخسرت قريش إلى عبد المطلب وطلبوه في جميع مكة فلم يجدوه قطاف عبد المطلب
بالكعبة سبعا ونضرع إلى الله تعالى أن يرده وقال

يا رب رده ولدي محمدا * اردده ربي واضطلع عندي بدا

فسبعا واما ديانا دى من السحابة معاشر الناس لانضجوا فان لمحمد ربا لا يخذله ولا يضيعه
وان لمحمد ابوا دى ثمامة عند شجرة النمر فصار عبد المطلب هو ورقة بن نوفل فاذا النبي صلى الله
عليه وسلم قائم تحت شجرة يلعب بالاعصان وبالورق وفي رواية ما زال عبد المطلب يرذذ البيت
حتى انما ابوجهل على ناقه ومحمد صلى الله عليه وسلم بين يديه وهو يقول ألا تدرى ماذا جرى
من اينك فقال عبد المطلب ولم فقال اني أنخت الناقة وأركبته خلقي فأبنت الناقة أن تقوم
فلما أركبته أمانى قامت الناقة قال ابن عباس رده الله تعالى إلى جده بيد عدوه كما فعل موسى
عليه السلام حين حفظه عند فرعون وقيل وجدك ضالا لاله المعراج حين انصرف عنك
جبريل وأنت لا تعرف الطريق فهداك إلى ساق العرش وقال بعض المتكلمين اذا وجدت
العرب شجرة منفردة من الارض لا شجرة معها سمها ضالة فمضى بها إلى الطريق فقال الله
تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ووجدك ضالا أي لا أحد هدى دينك بل أنت وحيد ليس معك أحد
فهديت بك الخلق إلى وقيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره فقوله تعالى ووجدك
ضالا فهدي أي وجد قومك ضالا فهداهم بك وقيل غير ذلك قال الزنجشيري ومن قال كان
على أمر قومهم أربعين سنة فان أراد أنه كان على خلقهم من العلوم السمعية فنعم وان اراد انه
كان على كفرهم ودينهم فعاد الله والانبيا عليهم الصلاة والسلام يجب أن يكونوا معصومين
قبل النبوة وبعدها من الكبار والصغار الساتنة بخيال الكفر والجهل بالصانع ما كان لنا أن
نشارك بالله من شيء وكفى بالنبي تقيضة عند الكفار أن يسبق له كفر (ووجدك غائلا) أي فقيرا
(فأغنى) قال مقاتل فرضا لهما أعطاه من الرزق واختاره الفقراء وقال لم يكن غنى عن كثرة المال
ولكن الله تعالى أرواه بما أعطاه وذلك حقيقة الغنى قال صلى الله عليه وسلم ليس الغنى عن كثرة
العرض ولكن الغنى غنى النفس وقال صلى الله عليه وسلم قد أفلح من أسلم ورزق كفافا وقنعه
الله بما آناه وقيل أغناك بجمال خديجة وبرية أبي طالب ولما احتل ذلك أغناه بجمال أبي بكر
ولما احتل ذلك أمره بالجهاد وأغناه بالغنائم روى الزنجشيري أنه صلى الله عليه وسلم قال
جعل رزقي تحت ظل رمحي وقال الرازي العائل ذو العيلة ثم أطلق على الفقير ويجوز
أن يراد ووجدك ذاعمال لا تقدر على التوسعة عليهم فأغناك بما جعل لك من ربح التجارة
ثم من كتب الغنائم وروى البغوي باسناد الثعلبي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم سألت ربي مسئلة وددت اني لم أكن سأله قلت يا رب انك آتيت سليمان بن داود
ملكك عظيما وآتيت فلانا كذا وفلانا كذا قال يا محمد ألم أجعلك يتيما فأنت قلت بلى يا رب قال
ألم أجعلك ضالا فهديت بك قلت بلى يا رب قال ألم أجعلك غائلا فأغنيك قلت بلى يا رب وفي رواية
ألم أسرك لك صدرك ووضعت عنك وزرك قلت بلى يا رب ثم أوصاه بالسأى والمساكين

والفقراء فقال تعالى (فَأَمَّا الْيَتِيمَ) أي هذا النوع (فَلَا تَقْهَرْ) قال مجاهد لا تحقر اليتيم فقد كنت
يتيمًا وقال الفقراء لا تقهروا على ماله فتذهب بحقه لضعفه كما كانت العرب تفعل في أموال اليتامى
تأخذ أموالهم وتظلمهم حقوقهم وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال خير بيت في المسلمين بيت فيه
يتيم يحسن إليه وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه ثم قال باصبعيه أنا وكافل اليتيم في الجنة
هكذا وهو يشير باصبعيه * (تنبيه) * اليتيم منصوب بتقهروا به استدل ابن مالك على أنه لا يلزم
من تقديم المعمول تقديم العامل ألا ترى أن اليتيم منصوب بالجزوم وقد تقدم على الجزم ولو تقدم
على اللازم منع لأن الجزم لا يتقدم على جازمه كالجزم ولا يتقدم على جازمه وفي الآية دلالة على
الالطف باليتيم وبره والاحسان إليه وقال صلى الله عليه وسلم من ضم يتيمًا وكان في نفقته وكفاه
مؤنته كان له حجاب من النار يوم القيامة وقال من مسح برأس يتيم كان له بكل شعرة حسنة وقال
قتادة كن لليتيم كالاب الرحيم (فان قيل) ما الحكمة في أن الله تعالى اختار أنبيه صلى الله عليه
وسلم اليتيم (أنجيب) بوجه أحد هأن يعرف حارة اليتيم فيرفق باليتيم ثانيًا يشاركه في الاسم
فيكرمه لاجل ذلك لقوله صلى الله عليه وسلم إذا سمعتم الولد محمدًا فأكرموه ووسعوا له في المجلس
ثالثًا ليستند من أول عمره على الله تعالى فيشبهه إبراهيم عليه السلام في قوله حسبي من سواي
علمه بحالي رابعها أن اليتيم تظهر عيوبه فلما لم يجدوا عيبًا لم يجدوا فيه مطعنا خامسها جعله
يتيمًا ليعلم كل أحد أن فضيلته ابتداء من الله تعالى لا من تعليم لأن من له أب فانه يؤذبه ويعلمه
سادسها اليتيم والفقير نقص في العادة فكونه صلى الله عليه وسلم مع هذين الوصفين من أكرم الخلق
كان ذلك قبل العادة فيكون معجزة (وأما السائل) أي الذي أحوجته العيلة وأغريها إلى السؤال
(فلا تنهر) أي فلا تزجره بقال نهره وأنهره إذا زجره وأغلظ عليه القول ولكن رده راجعًا
قال إبراهيم بن أدهم نعم القوم السؤال يحملون زادنا إلى الآخرة وقال إبراهيم النخعي السائل
يريدنا إلى الآخرة يجيء إلى باب أحدكم فيقول هل تبعثون إلى أهلكتكم بشئ وقيل المراد بالسائل
هنا الذي يسأل عن الدين وروى الزنجشري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا رددت السائل
ثلاثًا فلم يرجع فلا عليك أن تزجره وقيل أمانه ليس السائل المستجدي ولكن طالب العلم
إذا جاءك فلا تنهره (وأما بنعمة ربك) أي المحسن إليك بالنبوة وغيرها (لقد حدث) بها فان التحدث
بها شكرها وانما يجوز لغيره صلى الله عليه وسلم مثل هذا إذا قصد به اللطف وأن يقتدى به غيره
وأن على نفسه الفتنه والستر أفضل ولولم يكن في الذكر الا التشبه بأهل الرياء والسجعة لكنني
والمعنى أنك كنت يتيمًا وضالًا وفاقًا والله وهداك وأغنالك فمما يمكن من شئ فلا تنس
نعمة الله عليك في هذه الآيات واقرب الله تعطف على اليتيم وأوه فقد ذقت اليتيم وهو انه ورأيت
كيف فعل الله تعالى بك وترحم على السائل وتفقدته بعرفك ولا تزجره عن بابك كما رحمت بك
فاغنالك بعد الفقر وحدث بنعمة الله كلها ويدخل تحته هدايته الضلال وتعليمه الشرائع والقرآن
مقتديًا بالله تعالى في أن هداه من الضلالة وقال مجاهد تلك النعمة هي القرآن والتحديث به
أن يقرأه ويقرئ غيره وعنه أيضًا تلك النعمة هي النبوة أي بلغ ما أنزل إليك من ربك وقيل تلك

النعمة هي ان وفقت الله سبحانه وتعالى فراعيت حق اليتيم والسائل فحدث بهم اليقدي بك
غيرك وعن الحسن بن علي قال اذا علمت خيرا فحدث به اخوانك ليقتدوا بك الا ان هذا لا يحسن
الا اذا لم يتضمن رياء ووطن ان غيره يقتدي به كما علم محامرو روى ان شخصا كان جالسا عند النبي
صلى الله عليه وسلم فراه زئ الشارب فقال له صلى الله عليه وسلم الك مال قال نعم فقال له صلى الله
عليه وسلم اذا آتاك الله مالا فليرأه عليك وروى انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله جميل يحب
الجمال ويجب ان يرى اثر النعمة على عبده (فان قيل) ما الحكمة في ان الله تعالى اخرج نفسه
عن حق اليتيم والسائل (أجيب) بكانه يقول أنا أغني الاغنياء وهم محتاجان وحق المحتاج
أولى بالقديم واختار قوله سبحانه وتعالى فحدث على قوله تعالى فأخبر ليكون ذلك مدينا عنه
لا ينساه ويعيده مرة بعد أخرى وقرأ والضحى سبي قل الأولى فترضى فأوى فهو سبي فأغنى
جزء والكسائي بامالة تحضة لكن حزة لم يل سبي وأمال ورش وأبوعرو وبين بين والفتح عن ورش
قليل والباقون بالفتح وروى أبي بن كعب ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا بلغ الضحى
كبر بين كل سورتين الى أن يجتمع القرآن ويفصل بينهما ما بسكتة وكان المعنى في ذلك ان الوسخ
تأخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أياما فقال ناس من المشركين قد ودعه صاحبه وقلاه
فنزات هذه السورة فقال صلى الله عليه وسلم الله أكبر قال مجاهد قرأت على ابن عباس رضي الله
تعالى عنهم ما فامرنى به وأخبر أنه صلى الله عليه وسلم أمر به وبعض القراء لا يكبر لان ذلك ذريعة
الى الزيادة في القرآن وقال القرطبي القرآن ثبت نقوله بالتواتر وسوره وآياته وحروفه بغير زيادة
ولا نقصان فالتكبير ليس بقرآن وقول البيضاوي تعالى لم يخسر ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال من قرأ سورة والضحى جعله الله فيمن يرضى لمجد أن يشفع له وعشر حسنات يكتبها الله له بعدد
كل يتييم وسائل حديث موضوع

❖ (سورة الم نشرح مكية) ❖

وهي ثمان آيات وتسع وعشرون كلمة ومائة وثلاثة أحرف

(بسم الله) الظاهر الباطن الملك العلام (الرحمن) الذي عم المخلوقين بالانعام (الرحيم) الذي
خص أوليائه بدار السلام وقوله تعالى (الم نشرح) استقهاهم تقرير أي شرحنا بما يليق بعظمتنا
(لك) يا أشرف الخلق (صدر لك) بالنبوة وعصيرها حتى وسع مناسجاتنا ودعوة الخلق أو فسحنا ما
أودعنا فيه من الحكيم والعلوم وأزلنا عنه الضيق والخرج الذي كان يكون معه العمى والجهل
وعن الحسن بن علي حكيمه وعلماء وقيل انه اشارة الى ما روى ان جبريل عليه السلام أتى النبي صلى
الله عليه وسلم في صباه أو في يوم الميثاق فاستخرج قلبه فغسله ثم ملأه ايمانا وعلماء (فان قيل)
لم قال تعالى صدر لك ولم يقل قلبك (أجيب) بان محل الوسوسة هو الصدر كما قال تعالى يوسوس
في صدور الناس فأزال تلك الوسوسة وأبدلها بدواي الخير فلذلك خص الشرح بالصدر دون
القلب وقال محمد بن علي الترمذي القلب محل العقل والمعرفة والشيطان يجي الى الصدر الذي

هو حصن القلب فاذا وجد مسلكا آثار فيه وثبت جنده فيه وبث فيه الهموم والغموم والحرص
فيضيئ القلب حيثئذ ولا يجيد للطاعة لذة ولا للاسلام حلاوة فاذا طرد العدو في الابتداء حصل
الامن وانتشر الصدر (فان قيل) لم قال تعالى ألم نشرح لك صدرك ولم يقل ألم نشرح صدرك
(أجيب) بوجهين أحدهما كانه تعالى يقول لام بلام فانت انما تفعل جميع الطاعة لاجلي
وأنا ايضا جميع ما أفعله لاجلك ثانيهما ان فيه تنبيها على ان منافع الرسالة عائدة اليك لاجلك
للاجلنا واختلف في قوله تعالى (ووضعنا) أي بما لنا من العظمة (عنك وزرك) فقال
الحسين ومجاهد حططنا عنك الذي سلف منك في الجاهلية وهو قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم
من ذنبك وما تأخر وقال الحسين بن الفضل يعني الخطا والسوء وقيل ذنوب أمتك وأضافها
اليه لاشتغال قلبه بها (الذي أنقض) أي أثقل (ظهرك) قال أبو عبيدة خففنا عنك أعباء النبوة
والقيام بها حتى لا تثقل عليك وقيل كان في الابتداء ينقل عليه الوحى حتى يكاد يرمى
نفسه من شاقه الى ان جاء جبريل عليه السلام وأزال عنه ما كان يخاف من تغير العقل
وقيل عصمة المؤمن احتقال الوزر وحفظته قبل النبوة في الاربعين من الازناس حتى نزل عليك
الوحى وأنت مطهر (ورفعنا) أي بما لنا من القدرة التامة (لك ذكرك) روى الضحاك عن ابن
عباس رضى الله تعالى عنهما قال يقول الله عز وجل لا ذكرت الا ذكرت معي في الاذان والاقامة
والنشهد ويوم الجمعة على المنابر ويوم الفطر ويوم الاضحى ويوم عرفة وأيام التشريق وعند الجمار
وعلى الصفا والمروة وفي خطبة النكاح ومشارك الارض ومغازبها ولولأن رجلا عبد الله تعالى
وصدق بالجنة والنار وكل شئ ولم يشهد ان محمدا رسول الله لم ينتفع بشئ وكان كافرا وقيل أعلينا
ذكرك فذكرناك في الكتب المنزلة على الانبياء قبلك وأمرناهم بالبشارة بك ولادين الاود ينسك
يظهر عليه وقيل رفعنا ذكرك عند الملائكة في السماء وفي الارض عند المؤمنين ورفع في الاسخرة
ذكرك بما نعطيك من المقام المحمود وكرائم الدرجات وقال الضحاك لا تقبل صلاة الا به ولا تجوز
خطبة الا به وقال مجاهد يعني التأذين وفيه يقول حسان بن ثابت

أعتر عليه النبوة خاتم * من الله مشهور يلوح ويشهد
وضم الاله اسم النبي الى اسمه * اذا قال في الخمس المؤذن أشهد
* وشق له من اسمه ليجله * فذوالعرش محمود وهذا محمد

وقبل رفع ذكره بأخدم مشاقته على النبيين والزاهم الايمان به والاقرار بفضلته وقيل عام في كل
ما ذكر وهذا أولى وكمن موضع في القرآن يذكر فيه النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك قوله تعالى
والله ورسوله أحق أن يرضوه وقوله تعالى ومن يطع الله ورسوله فقد فاز وقوله تعالى وأطيعوا
الله وأطيعوا الرسول ولما كان المشركون يعبرونه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالفقر والضيق
حتى سبق الى وجههم انهم رغبوا عن الاسلام لاقتقار أهله واحتقارهم ذكره ما أنعم الله به عليه من
جلائل النعم ثم وعده اليسر والرخاء بعد الشدة فقال تعالى (فان مع العسر) أي ضيق الصدر
والوزر المنقضى للظهور وضلال القوم وايدائهم (يسرا) أي كالشرح والوضع والتوفيق

للاهتداء والطاعة فلا تأس من روح الله اذا عر اليك ما يملك فان مع العسر الذي أنتم فيه يسرا
 (فان قيل) ان مع الصعبة فإمعن اصطحاب العسر واليسر (أجيب) بأن الله تعالى أراد أن
 يصيهم بيسر بعد العسر الذي كانوا فيه بزمان قريب فقرب اليسر المقرب حتى جعله كالقارن
 للعسر زيادة في التسلية وتقوية القلوب وقوله تعالى (ان مع العسر يسرا) استئناف وعد الله
 تعالى بأن العسر متبوع بيسر آخر ككتاب الآخرة كقولك للصائم فرحة ثم فرحة أى فرحة عند
 الافطار وفرحة عند لقاء الرب ويجوز أن يراد باليسر ما يتيسر من الفتح في أيام رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وما يتيسر لهم أيام الخلفاء وقيل تكثير (فان قيل) ما معنى قول ابن عباس رضى
 الله عنه وابن مسعود رضى الله عنهم ان يغلب عسر يسرين وقد روى عن فوعانه صلى الله عليه
 وسلم خرج ذات يوم وهو يضحك ويقول ان يغلب عسر يسرين (أجيب) بأن هذا جل على الظاهر
 وبناء على قوة الرجاء وان موعده الله لا يحمل الاعلى أو فى ما يحتمله اللفظ وأبلغه والقول عنه أنه
 يحتمل أن تكون الجملة الثانية تكرير الاولى كما كرر في قوله تعالى ويل يويل للمكذبين لتكرير
 معناها فى النفوس وتمكينها فى القلوب وكما تكررا المفرد فى قولك زيد زيد وأن تكون الاولى
 عدة بأن العسر مراد بيسر لا محالة والثانية عدة مستأنفة بأن العسر متبوع بيسر فهم ما يسران
 على تقدير الاستئناف وانما كان العسر واحدا لانه لا يتخلو اما أن يكون تعريفا للعهد وهو
 العسر الذى كانوا فيه فهو لان حكمه حكم زيد فى قولك ان مع زيد ما لا ان مع زيد ما لا واما
 أن يكون للجنس الذى يعلمه كل أحد فهو وايضا واما اليسر فيكر متناول لبعض الجنس فاذا
 كان الكلام الثانى مستأنفا غير مكرر فقد تناول بعضا غير البعض الاقل بغير اشكال أو بأن
 لن يغلب عسر الدنيا اليسر الذى وعد الله المؤمنين فيها واليسر الذى وعدهم فى الآخرة وانما
 يغلب أحدهما وهو اليسر الدنيا فاما يسر الآخرة فذا تم غير زائل أى لا يجتمعان فى الغلبة كقوله
 صلى الله عليه وسلم شهر اعيد لا ينقصان أى لا يجتمعان فى النقصان (فان قيل) فإمعن هذا التكرير
 (أجيب) بأنه للتعظيم كأنه قيل ان مع العسر يسر اعظيما أى يسر روى عن ابن مسعود رضى
 الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان العسر فى بحر صب لتبعه اليسر حتى
 يخرج به والطبرانى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان العسر فى بحر لدخل اليسر
 حتى يخرج به ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الآية ولما عدد تعالى على نبيه صلى الله عليه
 وسلم نعمه السابقة ووعد الاثقة حبه على الشكر والاجتهاد فى العباداة بقوله تعالى (فاذا
 فرغت) قال ابن عباس رضى الله عنهم ما فرغت من صلاتك المكتوبة (فانصب) أى انصب
 فى الدعاء وقال ابن مسعود رضى الله عنه فاذا فرغت من القرائن فانصب فى قيام الليل وقال
 الشعبي اذا فرغت من التشهد فادع لدينك وآخرتك وقال الحسن وزيد بن أسلم اذا فرغت
 من جهاد عدوك فانصب فى عبادة ربك وصل وقال ابن حبان عن الكلبى اذا فرغت من تبليغ
 الرسالة فانصب استغفر لذنبك وللمؤمنين قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه انى أكره أن أرى
 أحداكم فارغا لا فى عمل الدنيا ولا فى عمل الآخرة (والى ربك) أى المحسن اليك بفضائل النعم

خصوصاً بما ذكر في هاتين السورتين (فارغب) أي اجعل رغبتك اليه خصوصاً ولا تنال
الافضل منه وكلا عليه وقيل تضرع اليه راغباً في الجنة راغباً من النار عصمنا الله تعالى وأحببنا
منها بمحمد صلى الله عليه وسلم وآله وقول البيضاوي تبعاً للرحمشمري أن النبي صلى الله عليه
وسلم قال من قرأ ألم تشرح فكماً تخاطبني وأنا مغتم فخرج عني حديث موضوع

(سورة التين والزيتون مكية)

وقال ابن عباس رضي الله عنهما وقناة مدينة وهي عمان آيات
وأربع وثلاثون كلمة ومائة وخمسون حرفاً

(بسم الله) الذي له الملك كله (الرحمن) الذي وسع الخلائق عدله (الرحيم) الذي خص أوليائه
بتوفيقه فظهر عليهم جوده وفضله وقوله تعالى (والتين والزيتون) قسم وقدم نظائر ذلك
أقسامهم بالإنهم ما يحيطان من بين أصناف الاشجار المثمرة روى أنه أهدى للنبي صلى الله عليه
وسلم طبق من تين فأكل منه وقال لأصحابه كوا فلو قلت إن فاكهة نزلت من الجنة لقات هذه
لأن فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فانما تقطع البواسير وتنفع من النقرس ومرزهاذين جبل
بشجرة الزيتون فأخذ منها قضيباً واستل به وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نعم
السؤال الزيتون من الشجرة المباركة يطيب الفم ويذهب بالحفرة وسمعه يقول هي سواكي
وسؤال الانبياء من قبلي وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما هو تينكم هذا الذي تأكلون
وزيتونكم هذا الذي تعصرون منه الزيت وقال عكرمة هما جبلان من الارض المقدسة يقال
لهم بالسريانية طور تينا وطور زيتا لأنهم منبعا للتين والزيتون وقيل التين جبل ما بين
حلاوان وهمدان والزيتون جبال الشام لأنهما منبعا بما كأنه قيل ومنابت التين والزيتون وقال
محمد بن كعب التين مسجد أصحاب الكهف والزيتون مسجد ايليا وقال الضحاك المسجدان
بالشام وقال ابن زيد التين مسجد دمشق والزيتون مسجد بيت المقدس وجسن القسم بهما
لأنهما موضع الطاعة وقيل التين مسجد نوح عليه السلام الذي بناه على الجودي والزيتون
مسجد بيت المقدس (وطور سينين) أي الجبل الذي ناجى عليه موسى عليه السلام ربه عز وجل
وسينين وسينا اسمان للموضع الذي هو فيه فأضيف الجبل الى المكان الذي هو فيه وقال مقاتل
والكبي سينين كل جبل فيه شجر مثمر فهو سينين وسينا بلغة النبط ولم ينصرف سينين كما لا ينصرف
سينا لأنه جعل اسماً للبقعة أو الارض ولو جعل اسماً للمكان أو للمنزل أو اسم مذكر لا ينصرف لأنك
سميت مذكراً عذراً وانما أقسم بهذا الجبل لأنه بالشام وهي الارض المقدسة وقد بارك فيها قال
الله تعالى الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله ولا يجوز أن يكون سينين نعماً للطور لا ضاقفه
اليه (وهذا البلد الامين) أي الآمن من أذن الرجل أمانة فهو أمين وهي مكة حرسها الله تعالى
لأنها الحرم الذي يأمن الناس فيه في الجاهلية والاسلام لا ينقر صيده ولا يعصد رزقه أي شجرة
ولأنه قطا لقطته أو المأمون فيه يأمن فيه من دخله قال الرحشمري ومعنى القسم بهذه

الاشياء الابنة عن شرف البقاع المباركة وما ظهر منها من الخير والبركة بسم كفى الانبياء
 والاصالحين غنيت التين والزيتون مهاجر ابراهيم عليه السلام ومولد عيسى عليه السلام
 ومنشؤه والطور المكان الذي نودي منه موسى عليه السلام ومكة البيت الذي هو هدى للعالمين
 ومولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومبعثه اه وقوله تعالى (لقد خلقنا) أى قدرنا
 وأوجدنا بالنامن العظمة والقدرة التامة (الانسان) جواب القسم والمراد بالانسان الجنس
 الذى جمع فيه الشهوة والعقل وفيه من الانسان بنفسه ما بنفسه أكثر منه وجمعه الشامل لآدم عليه
 السلام وذريته وقيل نزلت في منكرى البعث وقيل في الوليد بن المغيرة وقيل كلد بن أسيد
 وقوله تعالى (في أحسن تقويم) صفة لهذوف أى في تقويم أحسن تقويم وقال أبو البقاء
 في أحسن تقويم في موضع الحال من الانسان وأراد بالتقويم القوام لان التقويم فعل وذلك
 وصف للخالق لا للمخلوق ويجوز أن يكون التقدير في أحسن قوام التقويم فحذف المضاف
 ويجوز أن تكون في زائدة أى قومناه أحسن تقويم اه وأحسن التقويم أعده لانه تعالى خلق
 كل شئ منكم على وجهه وخلق الانسان مستويا وله اسنان ذلق ويد وأصابع يقبض بها قال ابن
 العربي ليس لله تعالى خلق أحسن من الانسان فان الله تعالى خلقه حيا عالما قادرا مريدا
 متكاملا سميعا بصيرا مدبرا حكما وهذه صفات الله تعالى وعبر عنها بعض العلماء ووقع البيان
 بقوله ان الله تعالى خلق آدم على صورته يعنى على صفاته المتقدمة ذكرها وفي رواية على صورة
 الرحمن ومن أين يكون للرحمن صورة شخصية فلم تكن الامعاني روى أن عيسى بن يوسف
 الهاشمي كان يحب زوجته حباً شديداً فقال لها يوماً أنت طالق ثلاثاً ان لم تكن فنى أحسن من
 القمر فنهضت واحتجبت عنه وقالت طلقني فبات بلبسه عظيمة فلما أصبح غدا الى دار المنصور
 فأخبره الخبر فاستحضر الفقهاء واستشارهم فقال جميع من حضر قد طلقت الارجل واحد
 من أصحاب أبي حنيفة فانه كان ساكناً فقال له المنصور مالك لا تتكلم فقال الرجل بسم الله الرحمن
 الرحيم والتين والزيتون الى قوله تعالى لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم بأمر المؤمنين
 قال انسان أحسن الاشياء ولا شئ أحسن منه فقال المنصور لعيسى الامر كما قال الرجل فأقبل على
 زوجته فأرسل المنصور اليها أطيعي زوجك فما طلقك وهذا يدل على ان الانسان أحسن خلق
 الله تعالى ولذلك قيل انه العالم الاصفراذ كل ما في المخلوقات اجتمع فيه (ثم رددناه) أى بعض
 افراده بما للنامن القدرة الكاملة (أسفل سافلين) أى الى الهرم وازد العمر فيضعف بدنه
 وينقص عقله والسيافلون هم الضعفاء والزمنى والاطفال والشيخ الكبير أسفل من هؤلاء جميعا
 لانه لا يستطيع حيلة ولا يهتدى سبيلا ففوس ظاهره بعد اعتداله وابيض شعره بعد اسوداده
 وكل بصره وسمعه وكانا حديدين وتغير كل شئ منه فحسبه دليف وصوته خفات وقوته ضعف
 وشهامته خرف وقيل ثم رددناه الى النار لانها دركات بعضها أسفل من بعض فقوله تعالى
 (الذين آمنوا وعملوا) أى تصديقاً بالدعواههم الايمان (الصالحات) أى الطاعات استثناء
 متصل على الثاني على ان المعنى رددناه أسفل من سفل خلقا وتركيبا يعنى أفجع من فجع صورة

وأشوهه خلقه وهم أهل النار وأسفل من أسفل من أهل الدرجات فلا اتصال على هذا واضح وعلى
الاول منقطع أي لكن الذين كانوا صالحين من الهري (فلهم) أي فتسبب عن ذلك أن كان
لهم (أجر غير ممنون) أي ثواب دائم غير منقطع على طاعتهم وصبرهم على ابتلاء الله تعالى لهم
بالشيخوخة والهزم وعلى مقاساة المشاق والقيام بالعبادة على تحاذل نهوضهم وفي الحديث
إذا بلغ المؤمن من الكبر ما يعجز عن العمل كتب له ما كان يعمل وروى عن ابن عباس رضي
الله عنهما قال الا الذين قرؤوا القرآن وقال من قرأ القرآن لم يرد إلى أرذل العمر ثم قال تعالى
الزما للعبجة (فما يكذبك) أي أيها الانسان الكافر (بعد) أي بعد ما ذكر من خلق الانسان
من نطفة وتقوية بشراسوا وتدريبه في مراتب الزيادة الى أن يستوى ويكمل ويصير
في أحسن تقويم ثم يرد إلى أرذل العمر الدال على القدرة على البعث فيقول ان الذي فعل
ذلك قادر على أن يعثنى ويحاسبني فماسبب تكذيبك أيها الانسان (بالدين) أي الجزاء بعد
هذا الدليل القاطع وقيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وعلى هذا يكون المعنى فما الذي
يكذبك فيما تخبر به من الجزاء أو البعث بعد هذه العبر التي يوجب النظر فيها صحة ما قلت وقوله
تعالى (أليس الله) أي الملك الاعظم على ما له من صفات الكمال (بأحكم الحاكمين) أي بأقضى
القاضين وعبد للكفار وأنه يحكم عليهم بما هم أهل له وفي الحديث من قرأ التين إلى آخره فليقل
بلى وأنا على ذلك من الشاهدين وقول البيضاوي تبعه الزمخشري عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قرأ سورة التين أعطاه الله تعالى خصلتين العافية واليقين مادام في دار الدنيا وإذا
مات أعطاه الله من الاجر بعدد من قرأ هذه السورة حديث موضوع

(سورة العلق مكية)

وهي عشرون آية واثنان وسبعون كلمة وما"تان وسبعون حرفا

(بسم الله) الذي له صفة الكمال المستحق للالهية (الرحمن) الذي عم جوده سائر البرية (الرحيم) الذي خص أهل طاعته بالطافه السنية وعن ابن عباس رضى الله عنهم ما ومجاهد أن أول سورة نزلت من القرآن (اقرأ باسم ربك) وأول ما نزل خمس آيات من أولها الى قوله تعالى ما لم يعلم وعن عائشة أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها أنها قالت أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة ولعلم الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حجب اليه الخلاء وكان يخلو بغير حراة يتحدث فيه وهو التعبد للبيات ذوات العدد قبل أن ينزع الى أهله ويتزوّد لذلك ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق في رواية حتى جنّته الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال له اقرأ قال ما أنا بقارئ قال فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ قلت ما أنا بقارئ قال فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ قلت ما أنا بقارئ قال فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ باسم ربك حتى بلغ ما لم يعلم فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم

يرجع فواده فدخل على خديجة بنت خويلد فقال زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه
 الروح فقال لخديجة وأخبرها الخبر لقد خشيت على نفسي فقالت له خديجة **كلا** أبشر فوالله
 لا يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتصديق الحديث وتحمل الكل وتكسب المعدوم
 وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق فانطلقت به خديجة حتى أتته ورقة بن نوفل بن أسد
 ابن عبد العزى ابن عم خديجة وكان امرأ تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني
 فيكتب من الانجيل بالعبرانية ماشاء الله تعالى أن يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمى فقالت
 له خديجة يا ابن عم اسمع من ابن أخيك فقال له ورقة يا ابن أخي ماذا ترى فاخبره رسول الله صلى
 الله عليه وسلم خبر ما رأى فقال له ورقة هذا الناموس الذي أنزل على موسى باليتنى أكون فيها
 جذعا ليتنى أكون حيا اذ يخرجك قومك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أو يخرجني
 هم فقال نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به الا عودى وإن يدركني يومك أنصرك نصر امرؤ زرا
 ثم لم يلبث ورقة أن توفي وفتر الوحي زاد البخاري قال وفتر الوحي فترة حتى حزن النبي صلى الله
 عليه وسلم فيما بلغنا حزننا غدا منه مرارا حتى يتردى من رؤس شواحق الجبال فكلموا وفي
 بذروة جبل لكي يلقي نفسه منه تبدى له جبريل عليه السلام فقال له يا محمد انك لرسول الله حقا
 فيسكن لذلك جاشه وتقر نفسه فيرجع فاذا طالت عليه فترة الوحي غدا مثل ذلك فاذا واني بذروة
 جبل تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك ففي هذا الحديث دليل صحيح على أن سورة اقرأ أول
 ما نزل من القرآن وفيه رد على من قال ان المدثر أول ما نزل من القرآن وعلى من قال ان الفاتحة
 أول ما نزل ثم سورة القلم وهذا الحديث من مر اسيل الصحابة ومرسل الصحابي حجة عند جميع
 العلماء الاما انفرد به الاستاذ أبو اسحق الاسفرائيني وانما تبدى صلى الله عليه وسلم بالرؤيا
 لا لا يفعأه الملك فيأتيه بصريح النبوة بغتة فلا تحمها القوى البشرية فبدئ بأوائل علامة
 النبوة توطئة للوحي **(تنبيه)** * محل باسم ربك النصيب على الحال أي اقرأ مفتحا باسم ربك
 أو مستعينا به قل بسم الله ثم اقرأ وقال أبو عبيدة مجازة اقرأ اسم ربك يعني ان الباء زائدة والمعنى
 اذكر اسمه أمر أن يتبدى القراءة باسم الله تعالى تأديا وقيل الباء بمعنى على أي اقرأ
 على اسم ربك كما في قوله تعالى وقال اركبوا فيها باسم الله مجراها ومرتساها قاله الاخفش (فان
 قيل) كيف قدم هذا الفعل على الجاء وقد مر مؤخرا في بسم الله الرحمن الرحيم أي على سبيل
 الاولوية كما في اياك نعبد وياك نستعين ولانه تعالى مقدم ذاتا لانه قديم واجب الوجود لذاته
 فيقدم ذكره (أجيب) بأن هذا في ابتداء القراءة وتعليمها لما مر أنها أول سورة نزلت فكان
 الامر بالقراءة أهم باعتبار هذا العارض وإن كان ذكر الله تعالى أهم في نفسه وذكره أجوبة غير
 هذا في مقدمتي على البسملة والجدلة وقوله تعالى (الذي خلق) يجوز أن لا يقدر له مفعول ويراد أنه
 الذي حصل منه الخلق واستأثر به لا خلق سواه وأن يقدر له مفعول ويراد خلق كل شيء فبتناول
 كل مخلوق لانه مطلق فليس بعض المخلوقات أولى بتقديره من بعض وقوله تعالى (خلق الانسان)
 في هذا الجنس الذي من شأنه الانس بنفسه وما رأى من أخلاقه وحسنه وما ألفه من أبناء

جنسه تخصيص بالذكور من بين ما يتساوله الخلق لان التبريل اليه وهو اشراف ما على الارض
ويجوز ان يراد الذي خلق الانسان كما قال تعالى الرحمن علم القرآن خلق الانسان فقبل الذي
خلق منهما ثم فسر بقوله تعالى خلق الانسان تفخيما لخلق الانسان ودلالة على عجب فطرته
وقوله تعالى (من علق) جمع علقه وهي الام الجامد فاذا جرى فهو المسفوح * ولما كان الانسان
اسم جنس في معنى الجمع جمع العلق ولما كلة رؤس الاى ايضا وقوله تعالى (اقرأ) تكرر بالمبالغة
أو الاول مطلق والثاني للتبليغ أو في الصلاة قال البضاوى ولعله لما قيل له اقرأ باسم ربك قال
ما أنا بقارى فقبل له اقرأ (وربك الاكرم) أى الزائد في الكرم على كل كريم فانه ينعم على عباده
النعم التي لا تحصى ويحلم عنهم ولا يعاجلهم بالعقوبة مع كفرهم وجودهم له معه وركوبهم المناهي
في اطراحهم الاوامر ويقبل توبتهم ويتجاوز عنهم بعد اقتراف العظام في الكرمه غاية ولا أمد
وكأنه ليس وراء التكرم بإفادة القوائد العلمية تسكريم حيث قال الاكرم (الذي علم) أى بعد الحلم
عن معاجلتهم بالعقاب جودا منه تعالى من غير مانع من خوف عاقبة ولا رجاء منغمة (بالقلم) أى
الحلم بالقلم (علم الانسان ما لم يعلم) فدل على كمال كرمه بأنه علم عباده ما لم يعلموه ونقلهم من ظلمة الجهل
الى نور العلم ونبه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة التي لا يحيط بها الا هو وماد قرات
العلوم ولا قيدت الحكم ولا ضبطت أخبار الاولين ومقالاتهم ولا كتب الله المنزل الا بالكتابة
ولولا هي لما استقامت أمور الدين والدنيا ولولم يكن على دقيق حكمة الله تعالى ولطيف تدبيره
دليل الأمر القلم والخط لكني به وابعضهم في صفة القلم

ورواقم رقت كمثل اراقم * قطف الخطاينة الى أقصى المدى

سود القوائم ما يجتده سيرها * الا اذا لعبت بهابيض المدى

وقال قتادة القلم نعمة من الله تعالى ولولا ذلك لم يقم دين ولم يصلح عيش فدل على كمال كرمه تعالى
وروى عبد الله بن عمر قال قلت يا رسول الله أكتب ما أسمع منك من الحديث قال نعم فاكتب فان
الله تعالى علم بالقلم ويروى أن سليمان عليه السلام سأل عفرية عن الكلام فقال ربح لا يبقى قال
فما قيده قال الكتابة وعن عمر قال خلق الله تعالى أربعة أشياء بيده ثم قال تعالى لسائر الحيوان
كن فكان وهي القلم والعرش وجنة عدن وآدم عليه السلام وفيه علم بالقلم ثلاثة أقوال أحدها
قال كعب أول من كتب بالقلم آدم عليه الصلاة والسلام ثانيا قال الضحاك ادرى علمه السلام
ثالثا انه جميع من كتب بالقلم لانه ما علم الا بتعليم الله تعالى وقال القرطبي الاقلام ثلاثة في الاصل
القلم الاول الذي خلقه الله تعالى بيده وأمره أن يكتب في اللوح المحفوظ والثاني قلم الملائكة
الذي يكتبون به المقادير والكواثر والثالث أقلام الناس يكتبون بها كلامهم ويصاوبون بها الى
ما ربههم وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسكنوا نساءكم الفرق
ولا تعلموهن الكتابة قال بعض العلماء وانما حذرهم صلى الله عليه وسلم عن ذلك لان في اسكانهن
الغرف تطلعنا الى الرجال وليس في ذلك تحصيل لهن ولا تسير وذلك انهن لا يمكن أن يفتتنن حين
يشرفن على الرجال فتحدث الفتنة في ذم ذلك وكذلك تعليم الكتابة ربما كان سببا للفتنة

لانها قد تكتب لمن تهوى والكتابة عين من العيون بما يبصر الشاهد الغائب والخط اشارة اليد
 وفيها تعبير عن الضمير لا ينطق به اللسان فهي ابلغ من اللسان فأجب صلى الله عليه وسلم أن
 يقطع عن المرأة أسباب الفتنة تحصينا لها وقوله تعالى (كَلَّا) ردع لمن كفر بعملة الله تعالى بطغيانه
 وان لم يذكر له لالة الكلام عليه فانه تعالى قد عتبد أأمر الانسان ومنتهاه اظهار الما أنعم عليه
 من أن نقله من أحسن المراتب الى أعلاها تقرير الربوبية وتحقيق الاكرمية (ان الانسان) أى
 هذا النوع الذى من شأنه الانس بنفسه والنظر فى عطفه (لمطغنى) أى من شأنه الامن عصمه الله
 تعالى أن يزيد على الحد الذى لا ينبغي له مجاوزته (أن رآه) أى رأى نفسه (استغنى) أى وجد له
 الغنى بالمال وقيل أن يرتفع عن منزلته فى اللباس والطعام وغير ذلك نزلت فى أبي جهل كان اذا
 زاد ماله زاد فى ثيابه وحر كبه وطعامه فذلك طغيانه وعن ابن عباس رضى الله عنهما لما نزلت
 هذه الآية وسمع بها المشركون أنها أبو جهل فقال يا محمد أتزعم أن من استغنى طغى فاجعل لنا
 جبال مكة ذهب العلنا نأخذ منها فنطغى فنذع ديننا وتتبع دينك قال فأنام جبريل عليه السلام
 فقال يا محمد خيرهم فى ذلك فان شاؤا فاعلنا بهم ما أرادوا فان لم يفعلوا فاعلنا بهم كما فعلنا بأصحاب
 المائدة فكف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدعاء ابقاء لهم وقيل ان رآه استغنى
 بالعسيرة والانصار والاعوان وحذف اللام من قوله تعالى أن رآه كما يقال انكم لتطغون أن رأيتم
 غمناكم فرأى علمية واستغنى مفعول ثان وأن رأى مفعول له (ان الى ربك) أى المحسن اليك
 بالرسالة التى رفع بها ذكرك الى غير (الرجعى) مصدر كالشمرى بمعنى الرجوع فى ذلك تخويف
 للانسان بأن يجازى العاصى بما يستحقه وقوله تعالى (أرأيت) فى مواضعها الثلاث للتعجب
 (الذى ينهى) أى على سبيل التجدد والاستمرار وهو أبو جهل (عبدا) أى من العبيد وهو النبي
 صلى الله عليه وسلم (اذا صلى) أى خدع سبيده الذى لا يقدر أحد أن ينكر سيادته بإيقاع الصلاة
 التى هى أعظم العبادات نزلت فى أبي جهل وذلك انه نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة
 وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو جهل هل يعقر محمد
 وجهه بين أظهركم فقالوا نعم فقال واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته
 ولا عفرن وجهه فى التراب قال فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى ليطأ على رقبته
 فنكص على عقبيه وهو يتنقيد ففعل له ما لك فقال ان بيني وبينه خندقا من النار وهو لا أجنحة
 فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لودنا منى لا اختطفتمه الملائكة عضوا عضوا فانزل الله تعالى هذه
 الآية وفى رواية لو فعله لاخذته الملائكة زاد الترمذى عيانا وعن الحسن انه أمية بن خلف كان
 ينهى سلمان عن الصلاة وفائدة التذكير فى قوله تعالى عبدا الدلالة على انه كامل العبودية كانه
 قبل ينهى أشد الخلق عبودية عن العبادة وهذا عين الجهل وقيل ان هذا الوعيد يلزم كل من
 ينهى عن الصلاة وعن طاعة الله تعالى ولا يدخل فى ذلك المنع من الصلاة فى الدار المغصوبة وفى
 الاوقات المكروهة لانه قد ورد النهى عن ذلك فى الاحاديث الصحيحة ولا يدخل ايضا منع السيد
 عبده والرجل زوجته عن صوم التطوع وقيام الليل والاعتكاف لان ذلك مصلحة الا أن يأذن

فيه السيد والزوج (أرأيت أن كان) أي المنهي وهو النبي صلى الله عليه وسلم (على الهدى) وقرأ
 نافع بتسهيل الهمزة بعد الراء وعن ورش ابد الها ألفا وأسقطها الكسائي والباقون بالتحقيق
 وقوله تعالى (أو أمر بالتقوى) أي الاخلاص والتوحيد للتقسيم * (تنبيه) * وقوله تعالى أرأيت
 تذكر بالاول وكذا الذي في قوله (أرأيت أن كذب) وهو أبوجهل (وتولى) عن الايمان (ألم
 يعلم) أي يقع له علم يومامن الايام (بأن الله) الذي له صفات الكمال (يرى) ويطلع على أحواله من
 هداه وضلاله فيجازه على حسب ذلك أي اعجب منه يا مخاطب في نهيه عن الصلاة من حيث أن
 المنهي على الهدى أمر بالتقوى وفي وجه التعجب وجوه أحدها انه صلى الله عليه وسلم قال اللهم
 أعز الاسلام أما بأبي جهل وأما بعمر بن الخطاب وهو ينهى عبدا إذا صلى الثاني انه يلقب بأبي
 الحكم فقيل ألقب بهذا وهو ينهى عن الصلاة فيتعجب منه ومن حيث ان الناهي مكذب متول
 عن الايمان الثالث انه كان يأمر وينهى ويعتقد وجوب طاعته ثم انه ينهى عن طاعة الله تعالى
 وقوله تعالى (كلا) ردع الناهي (أئن لم ينته) أي عما هو فيه واللام قسم (لنسفعا بالناصية) أي
 لناخذن بناصيته وانسحبته بها الى النار والسفع القبض على الشيء وجذبه بشدة قال عمرو
 ابن معد يكرب

قوم اذا انتقع الصريح نزع رأيهم * ما بين لمجمل مهرة أو سافع
 والنتقع الصوت * ولما علم انه ناصية المذكورا كنى باللام عن الاضافة والاية وان كانت
 في أبي جهل فهي عظة للناس وتمديد لمن يمنع غيره عن طاعة الله تعالى وقوله تعالى (ناصية) بدل
 من الناصية قال الزمخشري وجاز بدلهما عن المعرفة وهي فكرة لانها وصفت أي بـ (كاذبة خاطئة)
 واستقلت بفائدة واعترض عليه بأن هذا مذهب الكوفيين فانهم لا يجيزون ابدال نكرة من
 معرفة الا بشرط وصفها أو كونها بلفظ الاول ومذهب البصريين لا يشترط شيء والمعنى لناخذن
 بناصية أبي جهل الكاذبة في قولها الخاطئة في فعلها والخاطي معاقب مأخوذ والمخطي غير
 مأخوذ ووصفت الناصية بالكاذبة الخاطئة كوصف الوجه بالظفر في قوله تعالى الى ربها ناظرة
 وانما وصفت الناصية بالكاذبة لانه كان يكذب على الله تعالى في أنه لم يرسل محمدا صلى الله عليه
 وسلم وعلى رسوله في أنه ساحر وليس بنبي ووصفت بأنها خاطئة لان صاحبها تترد على الله تعالى كما
 قال تعالى لا يأكله الا الخاطون فهم ما في الحقيقة لصاحبها وفيه من الحسن والجزالة ما ليس في
 قولك ناصية كاذب خاطي وروى أن أبا جهل متر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فقال ألم
 أنهنك فأعظظ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أنهنرني وأنا أكثر أهل الوادي ناديا فوالله
 لا ملأن عليك هذا الوادي ان شئت خيلا جردا ورجالا مردا فنزل الله تعالى (فليدع) أي دعاه
 استغاثه (ناديه) أي أهل ناديه ليعينوه فهو على حذف مضاف لان النادى هو المجلس الذي
 يتندى فيه القوم قال تعالى وتأتون في ناديك المسكرأى يتحدثون فيه أو على التجوز لانه مشتق
 على الناس كقوله تعالى واسأل القرية ولا يسمي المكان ناديا حتى يكون فيه أهله والمعنى فليدع
 عشيرته فليقتصر بهم (سندع) أي بوعد لاخلف فيه (الزبانية) قال ابن عباس رضى الله عنهما

يريد زبانية جهنم سموها بالانهم يدفعون أهل النار انهم بائسة جمع زبني مأخوذ من الزن وهو
 الدفع وقال الزمخشري الزبانية في كلام العرب الشرط الواحد زبينة وقال الزجاج هم الملائكة
 الغلاظ الشداد قال ابن عباس رضي الله عنهم ما لودعنا نادية لاخذته زبانية الله تعالى وروى أن
 النبي صلى الله عليه وسلم لما قرأ هذه السورة وبلغ الى قوله تعالى لنسفعا بالناسية قال أبو جهل
 أنا أدعو قومي حتى يمنعوا عني ربك قال الله تعالى فليدع ناديه سمع الزبانية فلما ذكر الزبانية
 رجع فزعاف قيل له خشيت منه قال لا ولكن رأيت عنده فارسا وهندي بالزبانية فلا أدري الزبانية
 وما الى الفارس خشيت منه أن يأكلني قال ابن عباس رضي الله عنهم ما والله لودعنا نادية
 لاخذته ملائكة العذاب من ساعته وقوله تعالى (كلا) ردع لابي جهل أي ليس الامر علي
 ما ينظمه أبو جهل (لا تطعه) أي فيما ذاك اليه من ترك الصلاة كقوله تعالى ولا تطع المكذبين
 وقوله تعالى (واسجد) يحتمل أن يكون بمعنى السجود في الصلاة وأن يكون سجود التلاوة في هذه
 السورة ويدل لهذا ما ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال سجدت مع رسول
 الله صلى الله عليه وسلم في اذا السماء انشقت وفي اقرأ باسم ربك الذي خلق سجدتين وهذا نص
 أن المراد سجود التلاوة ويدل للاول قوله تعالى رأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى الى قوله تعالى
 كلا لا تطعه واسجد أي ودم على سجدتك قال الزمخشري يريد الصلاة لانه لا يرى سجود التلاوة
 في المفصل والحديث عليه (واقرب) أي وتقرب الى ربك بطاعته وبالدعاء اليه قال صلى الله عليه
 وسلم أما الركوع فعظموا فيه الرب وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فقمن أي تحقيق أن
 يستجاب لكم وكان صلى الله عليه وسلم يكثر في سجوده من البكاء والتضرع حتى قالت عائشة
 رضي الله عنها قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فها هذا البكاء في السجود وما هذا الجهد
 الشديد قال أفلا أكون عبدا شكورا وفي روايه أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد
 فأكثروا الدعاء وقرأ البطحى استغنى اذا صلى على الهدى بالتقوى وتولى حزة والكسافى
 جميع ذلك بالامالة مخففة وورش وابوعمر وبين بين والفتح عن وورش قليل والباقرن بالفتح وقول
 البضاوى تعالى الزمخشري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العلق أعطى من الاجر
 كما تقدم في المفصل كاه حديث موضوع

﴿سورة القدر مكية﴾

في قول أكثر المفسرين وحكي الماوردى عكسه وذكر الواحدى انه أول سورة
 نزلت بالمدينة وهي خمس آيات وثلاثون كلمة ومائة واثناعشر حرفا

(بسم الله) الملك الاعظم الذى لا يعبد الاياه (الرحمن) الذى عم بمجوده جميع خلقه أقصاه
 وأدناه (الرحيم) الذى قرب أهل طاعته وأبعد من عداهم وأشفاه وقوله تعالى (أنا أنزله) أى
 بعنا من العظمة أى القرآن فيه تعظيم لمن ثلاثة أوجه أحدها انه أسند انزاله اليه وجعله
 محتضاه دون غيره والثانى انه جاء بضمير دون اسمه الظاهر شهادة بالنباهة والاستغناء عن

التنبه عليه والثالث الرفع من مقدار الوقت الذي أنزل فيه وهو قوله تعالى (في ليلة القدر وما
 أدراك) أي أعلمك يا أشرف الخلق (مالية القدر) فإن في ذلك تعظيماً شأنها روى أنه أنزل ليلة
 واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا وأما جبريل عليه السلام على السفارة
 ثم كان ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجوماً في ثلاث وعشرين سنة بحسب الوقائع
 والحاجة إليه وحكي المأوردى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه نزل في شهر رمضان وفي ليلة
 القدر وفي ليلة مباركة جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السفارة إلى الكواكب في السماء
 الدنيا فتجتمعت السفارة على جبريل عليه السلام عشرين سنة ونجى جبريل على النبي صلى الله
 عليه وسلم عشرين سنة قال ابن العربي وهذا باطل ليس بين جبريل وبين الله تعالى واسطة ولا بين
 جبريل وبين محمد صلى الله عليه وسلم واسطة وعن الشعبي أنا أنزلنا في ليلة القدر وقيل المعنى
 أنزل في شأنهم وأفضالها فليست ظرفاً وانما هو كقول عمر رضي الله عنه خشيت أن ينزل في قرآن
 وقول عائشة رضي الله عنها لا أنا أحقر في شأن أن ينزل في قرآن وسميت ليلة القدر لأن الله تعالى
 يقدر فيه ما يشاء من أمره إلى السنة القابلة من أمر الموت والجل والزرق وغيره ويسلم إلى
 مدبرات الأمور من الملائكة وهم أسرافيل وميكائيل وعزرائيل وجبرائيل عليهم السلام
 كقوله تعالى فيها يفرق كل أمر حكيم وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن الله تعالى يقضي الإقضية
 في ليلة نصف شعبان ويسلمها إلى أبيابم في ليلة القدر وهذا يصلح أن يكون جمعاً بين القولين في
 قوله تعالى فيها يفرق كل أمر حكيم فإنه قيل إنه ليلة النصف من شعبان وقيل ليلة القدر وحينئذ
 لا خلاف وقيل سميت بذلك لتضيئها بالملائكة قال الخليل لأن الأرض تضيق فيها بالملائكة
 كقوله تعالى ومن قدر عليه رزقه وقيل سميت بذلك لعظمها وأشرفها وقدرها من قواهم لفلان قدر
 أي شرف ومنزلة قاله الأزهري وغيره وقيل سميت بذلك لأن للطاعة قدر أعظمها وثوابها جليل
 وقيل لأنه أنزل فيها كتاباً أقر على رسول ذي قدر إلى أمة ذات قدر ومعنى أن الله تعالى يقدر
 الآجال والأرزاق أنه يظهر ذلك للملائكة ويأمرهم بفعل ما هو من سعتهم وضيقتهم بأن يكتب
 لهم ما قدره في تلك السنة ويعرفهم أيامه وليس المراد أنه يحدث في تلك الليلة لأن الله تعالى قدر
 المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض قبل الأزل قبل الحسين بن الفضل أليس قد قدر الله تعالى
 المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض قال نعم قيل له فما معنى ليلة القدر قال سوق المقادير
 إلى المواقيت وتنفيذ القضاء المقدر واختلقوا أهل هي بأقية أو لا فقبل أنها كانت مرة
 ثم انقطعت وقيل أنها أرفعت بعد النبي صلى الله عليه وسلم والعجيب أنها بأقية إلى يوم القيامة
 وروى عن عبد الله بن محسن مولى معاوية قال قلت لأبي بكر رجموا أن ليلة القدر قد رفعت قال
 كذب من قال ذلك قلت هي في كل شهر رمضان أستقبله قال نعم وعن سعيد بن المسيب أنه سئل عن
 ليلة القدر أي شيء كان فذهب أم هي في كل عام فقال بل هي لأمة محمد صلى الله عليه وسلم ما بقي
 منهم إنسان واستمدل من قال برفعها بقوله صلى الله عليه وسلم حين تلاحي الرحلائني خرجت
 لا خيركم ليلة القدر فتلاحي فلان وفلان فرفعت وعسى أن يكون خير السكم وهذا اغتاله من هذا

القاتل في آخر الحديث فالتسوها في التاسعة والسابعة والخامسة فلو كان المراد رفع وجودها لم يأمر بالتسوها واختلّفوا في وقتها أكثر أهل العلم أنها مختصة برمضان واحتجوا بقوله تعالى شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن وقال تعالى أنا أنزلناه في ليلة القدر فوجب أن لا تكون ليلة القدر إلا في رمضان لتلازم التساقض وروى عن أبي بن كعب أنه قال والله الذي لا إله إلا هو أنها في رمضان حلف بذلك ثلاث مرّات وعن ابن عمر قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أسمع عن ليلة القدر فقال هي في كل رمضان وقيل هي دائرة في جميع السنة لا تختص برمضان حتى لو علق طلاق امرأته أو عتق عبده بليلة القدر لا يقع ما لم تنقض سنة من حين حلف يروى ذلك عن أبي حنيفة وعن ابن مسعود أنه قال من يقم الحول يصعبها وذكر عن أبي الحسن الشاذلي أنه قال من أراد أن يعرف ليلة القدر فليستظر إلى غزرة رمضان أي إلى قوله فإن كان يوم الأحد فليلة القدر ليلة تسع وعشرين وإن كان يوم الاثنين فليلة القدر إحدى وعشرين وإن كان يوم الثلاثاء فليلة سبع وعشرين وإن كان يوم الأربعاء فليلة تسعة وعشرين وإن كان يوم الخميس فليلة خمس وعشرين وإن كان ليلة الجمعة فليلة سبعة عشر وإن كان يوم السبت فليلة ثلاث وعشرين وعلى القول الأول هل هي في كل رمضان أو في العشر الأخير قولان أحدهما إنها في كل شهره واختلّفوا في أي ليلة منه فقال ابن رزين هي الليلة الأولى من رمضان وقال الحب بن البصري السابعة عشر وقال أنس التاسعة عشر وقال محمد بن اسحق الحادية والعشرون وقال ابن عباس الثالثة والعشرون وقال أبي بن كعب السابعة والعشرون وقيل التاسعة والعشرون وقيل ليلة الثلاثين وكل استدل على قوله بما يطول الكلام عليه والقول الثاني وهو ما عليه الأكثر أنها مختصة بالعشر الأخير منه واستدل لذلك بأشياء منها ما روى عن عبادة بن الصامت أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ليلة القدر فقال في رمضان فالتسوها في العشر الاواخر ومنها ما روى عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فالتسوها في العشر الاواخر من رمضان وعن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتهد في العشر الاواخر ما لا يجتهد في غيرها وعنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل العشر شدّ منزره وأحباله وأيقظ أهله واختلّفوا في أنها أي ليلة من العشر هل هي ليلة من ليالي العشر كله أو في أواخره فقط وهل تلازم ليلة بعينها أو تتنقل في جميعه أقوال والذي عليه الأكثر أنها في جميعه ولكن أرجأها وأتارعه وأرجى الاوتار عند امامنا الشافعي رضي الله عنه ليلة الحادى والعشرين أو الثالث والعشرين يدل الا قول خبر الصحيحين ولثاني خبر مسلم وأنها تلازم عند ليلة بعينها وقال المزني صاحب الشافعي وابن خزيمة أنها منتقلة في ليالي العشر جميعا بين الاحاديث قال النووي وهو قوي وقال في مجموعه انه الظاهر المختار وخصها بعض العلماء باواخر العشر الاواخر وبعضهم باشقاعه وقال ابن عباس وأبي هي ليلة سبع وعشرين وهو مذهب أكثر أهل العلم ولستنبط ذلك بعضهم من أن ليلة القدر ذكرت ثلاث مرّات وهي تسعة أحرف وإذا ضربت تسعة في ثلاثة تكون سبعة وعشرين وبعضهم استنبط ذلك من عدد كلمات السورة

وقال انها ثلاثون كلمة وفاها وقوله تعالى هي السابيع والعشرون وهي كناية عن هذه الليلة فبان
 أنها ليلة السابيع والعشرين وهو استنباط لطيف وليس بدليل كما قيل وفيها نحو الثلاثين
 قولاً وبضع وعشرون حديثاً وأفردت بالتصنيف وفيما ذكرناه كفاية وذكر السبب في اختفائها
 عن الناس وجوها أحدها انه تعالى أخفاها ليُعظموا جميع السنة على القول بأنها فيها أو جميع
 رمضان على القول به أو جميع العشر الاخير على القول به كما أخفى رضاه في الطاعات ليرغبوا
 في كلها وأخفى غضبه في المعاصي ليحذروها كلها وأخفى وليه في المسلمين ليُعظموهم كلها وأخفى
 الاجابة في الدعاء ليل الغوا في الدعوات وأخفى ساعة الاجابة في يوم الجمعة ليحتمدوا في العبادة
 في جميع أوقانه في غير الاوقات المنهي عنها طمعا في ادراكها وأخفى الاسم الاعظم ليُعظموا
 كل اسمائه تعالى وأخفى الصلاة الوسطى ليحافظوا على الكل وأخفى التوبة ليوظبوا بالمكلف
 على جميع أقسامها وأخفى قيام الساعة ليكونوا على وجل من قيامها بغتة ثانياً ان العبد اذا
 لم يتيقن ليلة القدر واجتهد في الطاعة رجاء أن يدر كها فيها هي الله تعالى به ملائكته ويقول
 تقولون فيها - ثم يفسدون ويسفكون الدماء وهذا اجتده واجتهد في الليلة المظنونة فكيف ولو
 جعلت ما معلومة فيه ثم يظن اني أعلم ما لا تعلمون ثالثاً ليحتمدوا في طلبها وألقاها فينا ولو ابذل
 أجر المجتهد في العبادات بخلاف ما لو عرفت في ليلة تبعينها الحاصل الاقتصار عليها فقات العبادات في
 غيرها ثم ذكر الله تعالى فضلها من ثلاثة أوجه أحدها ما ذكره بقوله سبحانه (ليلة القدر) أي التي
 خصصناها بانزال الناله فيها (خير من ألف شهر) ليس فيها ليلة القدر فاعمل الصالح فيها خير منه
 في ألف شهر ليسبت فيها ليلة قدر وعن ابن عباس رضي الله عنه - ما ذكر لرسول الله صلى الله عليه
 وسلم رجل من بني اسرائيل حمل السلاح على عاتقه في سبيل الله ألف شهر فحجب رسول الله صلى
 الله عليه وسلم ذلك وعفى ذلك لأمته فقال يا رب جعلت أمتي أقصر الامم أعماراً وأقلها أعمالاً
 فأعطاها الله تعالى ليلة القدر فقال تعالى ليلة القدر خير من ألف شهر التي حمل فيها الاسرائيلي
 السلاح في سبيل الله لك ولا تمتك الى يوم القيامة أي فهي من خصائص هذه الامة وعن مالك أنه
 سمع من يتق به من أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى أعمار الناس قبله فكانت
 تقاصر أعمار أمته أن لا يبلغوا من العمل مثل الذي يبلغ غيرهم فأعطاها الله تعالى ليلة القدر التي
 العمل فيها خير من العمل في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر وقيل ان الرجل فيما مضى ما كان
 يقال له عابد حتى يعبد الله تعالى ألف شهر فأعطوا ليلة ان أحيوها كانوا أحق بان يسمىوا عابدين
 من أولئك العباد وهي أفضل ليالي السنة ويدخل في ذلك ليلة الاسراء فهي افضل منها ان لم تكن
 ليلة الامراء ليلة القدر كما قيل ان الاسراء كان في رمضان وانما كان كذلك لما يريد الله تعالى فيها
 من المنافع فيكتب فيها جميع خير السنة وشرها ورزقها وأجلها وبلائها ورخائها ومعاشها الى
 مثلها من السنة ولا يشكل ذلك بما قيل ان الآجال تقطع من شعبان الى شعبان حتى ان الرجل
 لينسبح ويولده وقد خرج اسمه في الموتى لما ورد ان الله تعالى يامر بنسخ ما يكون في السنة من
 الآجال والأمراض والارزاق ونحوها في ليلة النصف من شعبان فاذا كان ليلة القدر فليس لها

الى اربابها وقيل بقدر في ليلة النصف من شعبان الاجال والامراض وفي ليلة القدر الامور
 التي فيها الخير والبركة والسلامة الوجه الثاني من فضائلها ما ذكره الله تعالى في قوله جل ذكره
 (تَنزِيلُ) أي تنزلاتهم متواصلة على غاية ما يكون من الخفة والسرعة بما أشار اليه حذف التاء
 (الملائكة) أي الى الارض وروى انه اذا كان ليلة القدر تنزل الملائكة وهم سكان سدرة
 المنتهى (والروح) أي جبريل عليه السلام (فيها) أي في الليلة ومعه أربعة ألوية فينصب
 لواء على قبر النبي صلى الله عليه وسلم ولواء على ظهر ريت المقدس ولواء على ظهر المسجد
 الحرام ولواء على ظهر طور سيناء ولا يدع يتساقبه مؤمن ولا مؤمنة الا دخله وسلم عليهم يقول
 بأمؤمن وبأمؤمنة السلام يقرئك السلام الاعلى مدمن خرو قاطع رحم وآكل لحم خنزير وعن
 أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا كان ليلة القدر نزل جبريل عليه السلام في
 كسبة من الملائكة يصلون ويسلمون على كل عبد قائم أو قاعد يذكر الله تعالى وهذا يدل على
 أن الملائكة كلهم لا ينزلون وظاهر الآية نزول الجميع وجمع بين ذلك بما روى انهم ينزلون
 فوجا فوجا كما ان اهل الحج يدخلون الكعبة فوجا بعد فوج وان كانت لاتسعهم دفعة واحدة
 كما ان الارض لاتسع الملائكة دفعة واحدة ولذلك ذكر بلفظ تنزل الذي يقتضي المرة
 بعد المرة أي ينزل فوج ويصعد فوج والله أعلم بذلك وعن أبي هريرة رضي الله عنه ان
 الملائكة في تلك الليلة أكثر من عدد الحصى وقال بعضهم الروح ملك تحت العرش ورجلاه
 في تخوم الارض السابعة وله ألف رأس كل رأس أعظم من الدنيا وفي كل رأس ألف وجه
 وفي كل وجه ألف فم وفي كل فم ألف لسان يسبح الله تعالى بكل لسان ألف نوع من التسبيح
 والحمد والتعبد وكل لسان لغة لاتشبه لغة أخرى فاذا فتح أفواههم بالتسبيح خرت
 ملائكة السموات السبع سجدا مخافة أن تحرقهم أنوار أفواههم وانما يسبح الله تعالى غدوة
 وعشية فينزل في ليلة القدر لشرورها وعلو شأنها فيستغفر الصائين والصائمات من أمة محمد
 صلى الله عليه وسلم تلك الافواه كلها الى طلوع الفجر وعن علي أنه صلى الله عليه وسلم قال
 رأيت ليلة أسري بي ملكا رجلا مجاوزت من الارض السابعة السفلى ورأسه من السماء
 السابعة العليا ومن لدن رأسه الى قدميه وجوه وأجنحة في كل وجه فم ولسان يسبح الرحمن
 تسبيحا لا يسبحه العضو الاخر ولو أمره الله تعالى أن يلتقم السموات السبع والارضين
 السبع لقمته واحدة كما يلتقم أحدكم اللقمة لا طاق ذلك ثم لم تكن تلك في فيه الا
 كلقمة أحدكم في فيه ولو سمع أهل الدنيا صوته بالتسبيح لصعقوا ما بين شحمة أذنه الى منكبيه
 خفقان الطير السريع سبعة آلاف سنة وهو رأس الملائكة وقيل الروح طائفة من الملائكة
 لا تراهم الملائكة الا في تلك الليلة ينزلون من لدن غروب الشمس الى طلوع الفجر (بأذن ربهم) أي
 بأمر الحسن اليهم المربي لهم (من كل أمر) أي قضاء الله تعالى فيها تلك السنة الى قابل وتقدم
 الجمع بينها وبين ليلة النصف من شعبان ومن سببية بمعنى آباء * الوجه الثالث فضائلها
 ما ذكره تعالى بقوله سبحانه (سلام) أي عظيم جدا وهو خير مقدم والمبتدأ (هي) جعلت
 سلاما لكثرة السلام فيها من الملائكة لا يمترون بمؤمن ولا مؤمنة الا سلمت عليه ويستقرن

على ذلك من غروب الشمس (حتى) أى الى (مطلع الفجر) أى وقت مطلعته أى طلوعه وقرأ
 الكسائي بكسر اللام على انه كارجع واسم زمان على غير قياس كالمشرق والباقون بفتحها
 * ومن فضائلها أن من قامها غفرت له ذنوبه في التحسين من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا بغفر
 له ما تقدم من ذنبه قال النووي في شرح مسلم ولا ينال فضلها الا من اطلعه الله تعالى عليها
 فلو قامها انسان ولم يشعر به لم ينل فضلها قال الاذري وكلام المتولى ينازعه حيث قال يستحب
 التعبد في كل ليالى العشر حتى يحوز الفضيلة على اليقين اه وهذا أولى نعم حال من اطلق أكل
 اذا قام بوظائفها وعن أبي هريرة مرفوعا من صلى العشاء الاخرة في جماعة من رمضان
 فقد أدرك ليلة القدر رأى أخذ حظا منها ويسن لمن رآها أن يكتبها ويسن أن يكثر من الدعاء
 والتعبد في ايام رمضان وأن يكون من دعائه اللهم انك عفو كريم تحب العفو فاعف عني
 ومن علاماتها أن الشمس تطلع صبيحتها لاشعاع لها رواه مسلم عن أبي بن كعب وعن ابن
 مسعود قال ان الشمس تطلع كل يوم بين قرني شيطان الا صبيحة ليلة القدر فانها تطلع يومئذ
 بيضاء ليس لها اشعاع (فان قيل) لا فائدة في هذه العلامة فانها قد انقضت (أجيب) بأنه يستحب
 أن يجتهد في ليلتها ويقتى يعرفها كما مر عن الشافعي أنها تلمز ليلة واحدة وقول البيضاوي تبعها
 لا تخشى عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القدر أعطى من الاجر كن صام رمضان
 وأحيا ليلة القدر حديث موضوع

﴿سورة لم يكن﴾

وتسمى القيمة وتسمى المنفكين مكية في قول يحيى بن سلام ومدينة في قول الجمهور
 وهي ثمان آيات وأربع وتسعون كلمة وثلاثمائة وتسعون حرفا

(بسم الله) الذي لا يخرج شئ عن مراده (الرحمن) الذي عمّ نعمه بجميع عباداه (الرحيم) الذي
 خص أوليائه باسعاده * ولما كان الكفار جنسين أهل كتاب ومشركين ذكرهم الله تعالى
 في قوله سبحانه (لم يكن الذين كفروا) أى في مطلق الزمان الماضي والحال والاستقبال (من
 أهل الكتاب) أى من اليهود والنصارى الذين كان أصل دينهم حقا فألحد واقبه بالتبديل
 والتحريف والاعوجاج في صفات الله تعالى ثم نسجه الله تعالى بما شرع من مخالفته في الفروع
 وموافقته في الأصول فكذبوا (والمشركين) أى بعبادة الاصنام والنار والشمس
 ونحو ذلك ممن هم عريقون في دين لم يكن له أصل في الحق بأن لم يكن لهم كتاب * (تنبيه) *
 من البيان وقوله تعالى (منفكين) خبر يمكن أى منفصلين وزاتين عما كانوا عليه من دينهم
 انفكا كما ينزلهم عنه بالكلية بحيث لا تنبى لهم به علاقة ويثبتون على ذلك الانفكاك وأصل
 الفك الفتح والانفصال لما كان ملتصقا من فك الكتاب والختم والعظم اذا أزيل ما كان ملتصقا
 أو متصلا به أو عن الموعود باتباع الحق اذا جافهم الرسول المبشر به فان أهل الكتاب كانوا
 يستفتحون به والمشركون كانوا يقسمون بالله جهدا أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من

احدى الامم (فان قيل) لم قال تعالى كفروا بلفظ الماضي وذكر المشركين باسم الفاعل
 (أجيب) بأن أهل الكتاب ما كانوا كافرين من أول الامر لانهم كانوا مصدقين بالتوراة
 والانجيل وبعث محمد صلى الله عليه وسلم بخلاف المشركين فانهم ولدوا على عبادة الاوثان
 وذلك يدل على الثبات على الكفر وقوله تعالى (حتى) أى الى أن (تأتيهم البينة) متعلق بـ
 أو ينفكوا والبينة الآية التي هي في البيان كالنجر المنير الذي لا يزال بالتأدي الاظهورا
 وضياء ونورا وذلك هو الرسول صلى الله عليه وسلم ومآعه من الآيات التي أعظمها الكتاب
 وهو القرآن وقوله تعالى (رسول) أى عظيم جدا يدل من البينة بنفسه أو بتقدير مضاف أى سنة
 رسول أو مبتدأ وزاد عظمته بقوله تعالى واصفاه (من الله) أى الذى له الجلال والاکرام وهو
 محمد صلى الله عليه وسلم لانه فى نفسه بينة وحجة وذلك سماه الله تعالى سرا جامة يرا ولان الامم
 فى البينة للتعريف أى هو الذى سبق ذكره فى التوراة والانجيل على لسان موسى وعيسى عليهم
 السلام وقد يكون التعريف للتفخيم اذ هو البينة التى لا هن يدعيها والبينة كل البينة وكذا
 التذكير وقد جمعهم الله تعالى ههنا فى حق الرسول صلى الله عليه وسلم وتظهره قوله تعالى حين أنشئ
 على نفسه ذو العرش المجيد فعال لما يريد فنكرر بعد التعريف وقال أبو مسلم المراد من البينة
 مطلق الرسول ومآعه من الآيات التى أعظمها الكتاب سواء التوراة والزبور أو الانجيل
 أو القرآن وعبر بالمضارع لتجدد البيان فى كل وقت بتجدد الرسالة والتلاوة وقال البغوى
 لفظه مستقبل ومعناه الماضى أى حتى تأتيهم البينة وتبعه على ذلك الجلال المحلى وقوله تعالى
 (يتلوه صفا) صفة الرسول وأخبره والرسول صلى الله عليه وسلم وان كان أمتيا لكنه لما تلا
 مثل ما فى الصحف كان كالتالى لها وقيل المراد جبريل عليه السلام وهو التالى للصحف المنتسخة
 من اللوح التى ذكرت فى سورة عبس ولا بد من مضاف محذوف وهو الوحى والصحف جمع
 صحيفة وهى القرطاس والمراد ما فيها عبرتها لشدته المواصله (مطهرة) أى فى غاية الطهارة
 والتزاهة من كل قدر مما جعلنا لها من البعد عن الاناس بأن الباطل من الشر لا بالاثان
 وغيرهما من كل زيغ لا يأتيناها من بين يديهما ولا من خلفهما وأنهم لا يسموا الا المطهرون (فيها)
 أى تلك الصحف (كتب) أى أحكام مكتوبة (قيمة) أى مستقيمة ناطقة بالحق والعدل الذى
 لا امرية فيه ليس فيه شرك ولا عوجاج بنوع من الانواع (وما تفرق الذين آمنوا الكتاب) أى
 عما كانوا عليه وخص أهل الكتاب بالتفرق دون غيرهم وان كانوا مجموعين مع الكافرين
 لانهم يظنون بهم علما فاذا تفرقوا كان غيرهم ممن لا كتاب له أدخل فى هذا الوصف (الامن)
 بعد ما جاءتهم البينة) أى أتتهم البينة الواضحة والمعنى به محمد صلى الله عليه وسلم أتى بالقرآن
 موافقا للذى فى أيديهم من الكتاب بنعته وصفته وذلك أنهم كانوا مجمعين على نبوته فلما بعث صلى
 الله عليه وسلم بخدوا نبوته وتفرقوا منهم من كفر بغيا وحسدا ومنهم من آمن كقوله تعالى
 وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم وقال تعالى وكان من قبل يستفتحون على الذين
 كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وقد كان محمى البينة يقتضى اجتماعهم على الحق لا تفرقهم

فيه وقرأ حمزة وابن ذكوان بأماله الالف بعد الجيم محضة والباقون بالفتح * ولما كان حال من أضل على علم أشنع زاد في فضيحتهم فقال تعالى (وما أمروا) أي هؤلاء الكفار في التوراة والانجيل (الاعبدوا الله) أي يوحدوا الإله الذي له الأمر كله ولا أمر لآخر غيره واللام بمعنى أن كقوله تعالى يريد الله ليسين لكم وقوله تعالى (مخلصين له الدين) نفسه دليل على وجوب النية في العبادات لأن الإخلاص من عمل القلب وهو أن يراد به وجه الله تعالى لا غيره ومن ذلك قوله اني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين (حنفاء) أي مائلين عن الأديان كلها إلى دين الإسلام وأصل الحنف في اللغة الميل وخصه العرف بالميل إلى الخير وهو الميل إلى الشر الحاد والحنيف المطلق الذي يكون متبرئاً عن أصول الملل الخمسة اليهود والنصارى والصابئين والمجوس والمشركون وعن فروعهما من جميع النحل إلى الاعتقادات وعن توابعها من الخطا والنسيان إلى العمل الصالح وهو مقام التقي وعن المكروهات إلى المستحبات وهو المقام الأول من الورع وعن الفضول شفقة على خلق الله وهو المالا يعني إلى ما يعني وهو المقام الثاني من الورع وعما يجزى إلى الفضول وهو مقام الزهد فالآية جامعة لمقامي الإخلاص الناظر أحدهما إلى الحق والثاني إلى الخلق * ولما ذكر أصل الدين أتبعه الفروع وبدأ بأعظمها الذي هو مجمع الدين وموضع التجرد عن العوائق فقال عز من قائل (ويقيموا) أي يعدلوا من غير أعوجاج بجميع الشرائط والأركان والحدود (الصلاة) لتصير بذلك أهلاً بأن تقوم بنفسها وهي من التعظيم لأمر الله تعالى ولما ذكر تعالى صلته الخالق أتبعها صلاته الخلاق بقوله تعالى (ويؤتوا الزكاة) أي يدفعوها المستحقين شفقة على خلق الله تعالى إغاثة على الدين أي ولاكنهم حذروا ذلك وبدلوه بطبائعهم المعوجة وتدخل الزكاة عند أهل الله تعالى في كل ما رزق الله من عقل وسمع وبصر ولسان ويد ورجل وجاه وغير ذلك كما هو واضح من قوله تعالى وعما رزقناهم ينفقون (وذلك) أي والحال أن هذا الموصوف من العبادة على الوجه المذكور (دين القيمة) أي الملة المستقيمة وأضاف الدين إلى القيمة وهي نعمة لا اختلاف للفقير وأنت القيمة رداً إلى الملة وقيل الهاء للمبالغة فيه وقيل القيمة هي الكتب التي جرى ذكرها أي وذلك دين الكتب القيمة فيما تدعو إليه وتأمربه كما قال تعالى وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وقال النضر بن شميل سألت الخليل بن أحمد عن قوله تعالى وذلك دين القيمة فقال القيمة جمع القيم والقيم والقائم واحد قال البغوي ومجاز الآية وذلك دين القائمين لله تعالى بالتوحيد ثم ذكر تعالى ما للفریقین فقال سبحانه (إن الذين كفروا) أي وقع منهم الستر لم أر أي عقولهم بعد صرفها للنظر الصحيح فضلو واستروا على ذلك وإن لم يكونوا عريقين فيه (من أهل الكتاب) أي اليهود والنصارى (والمشركين) أي العريقين في الشرك (في نار جهنم) أي النار التي تلقاهم بالجهنم والعبوسة (خالدین فيها) أي يوم القيامة وفي الحال لسعهم لموجباتها واشتراك الفريقين في جنس العذاب لا يوجب التساوي في النوع بل يختلف بحسب اشتداد الكفر وخفته (أولئك) أي هؤلاء البعداء البغضاء (هم) أي خاصة بما ضمائرهم من الخبيث (شر البرية) أي

الخلق الذين أهلوا لإصلاح أنفسهم وفرطوا في خواصهم وما ربههم وهذا يحتمل أن يكون
 على التعميم وأن يكون بالنسبة لبعض النبي صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى وإني فضلتهم على
 العالمين أي عالمي زمانهم ولا يبعد أن يكون في كفرهم قسرا لا مقيلا من هوسهم مثل فرعون
 وعافر ناقة صالح ولما ذكر تعالى الأعداء وبدا بهم لأن ذلك أودع لهم أتباعه الأولياء فقال تعالى
 مؤكدا مالا لكافرين الإنكار (إن الذين آمنوا) أي أقرؤا بالإيمان (وعملوا) تصديقا لإيمانهم
 (الصالحات) أي هذا النوع (أولئك) أي هؤلاء العالو الدرجات (هم) أي خاصة (خير البرية)
 أي على التعميم أو برية عصرهم يأتي فيه مآثر وقرا نافع وابن ذكوان بالهمزة في الحرفين
 لأنه من قولهم برأ الله الخلق والباقون بالياء المشددة بعد الراء كالأذرية ترادهمزة
 في الاستعمال ثم ذكر نوابهم بقوله تعالى (جزاؤهم) أي على طاعتهم وعظمه بقوله تعالى
 (عند ربهم) أي المربي لهم والمحسن إليهم (جنات عدن) أي إقامة لا يحولون عنها (تجزي)
 أي جريادتها لا انقطاعه (من تحتها) أي تحت أشجارها وغرفها (الأنهار خالدين فيها) أي
 يوم القيامة أو في الحال لسعيهم في موجباتها وأكرم معنى الخلود تعظيما لجزائهم بقوله تعالى
 (أبدارضي الله) أي بما له من نعوت الجلال والجمال (عنهم) أي بما كان سبق لهم من العناية
 والتوفيق (ورضوا عنه) لأنهم لم يبق لهم أمنية إلا أعطاهاهم وها مع علمهم أنه تفضل في جميع
 ذلك لا يجب عليه لاحد شيء ولا يقدره أحد حتى قدره فلو أخذ الخلق بما يستحقونه لأهلكهم
 كما قال تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا لما ترك على ظهرها من دابة وقال ابن عباس
 ورضوا عنه بثواب الله عز وجل (ذلك) أي الأمر العالي الذي جوزوا به (لمن خشي ربه) أي
 خاف المحسن إليه خوفا يليق به فلم يركن إلى التسويف والتكاسل فإن الخشية ملاك الأمر
 والباعث على كل خير وهي للعارفين فإن الإنسان إذا استعز عذابا بآية من خلقه حاله يقال لها
 الخوف وهي اخلاص القلب عن طمأنينة فأن اشتد سعي وجلا لجولانه في نفسه فأن اشتد
 سعي رهبالادائه إلى الهرب وهي حالة المؤمنين القادرين إلى الله تعالى ومن غلب عليه الحب
 لاستغراقه في شهود الجماليات لحقته حالة تسعى مهابة ووراء هذا الخشية انما يخشى الله
 من عباده العلماء فمن خاف ربه هذا الخوف انتقل عن جميع ما عنده مما لا يليق بعبادته تعالى
 وما فارق الخوف قلبا الاخر ب روى أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي بن كعب إن
 الله أمرني أن أقرأ عليكم لم يكن الذين كفروا قال أبي ويحيى لك قال النبي صلى الله عليه وسلم
 نعم فيكي أبي قال الباقى سبب تخصصه بذلك أنه وجد اثنين من الصحابة قد خالفاه في القراءة
 فرفعهما إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأمرهما فعرضا عليه فحسن لهما ما قال فسقط في نفسي من
 التكذيب أشد ما يكون في الجاهلية فضرب صلى الله عليه وسلم في صدرى ففتت عرقا وكأنا
 أنظر إلى الله فرقا أي خوفا ثم قص على خبر التحقير بالسبعة الأحرف وكانت السورة التي وقع
 فيها الخلاف النحل وفيها أنه تعالى يبعث رسوله صلى الله عليه وسلم يوم البعث شهيدا وأنه نزل عليه
 الكتاب تيسرا لكل شيء وهدى ورحمة وأنه نزل عليه روح القدس بالحق ليثبت الذين آمنوا

وإن اليهود اختلفوا في السبت وسورة لم يكن على قصرها حاوية اجمال لكل ما في التحل على طولها وازيادة وفيها التحذير من الشك بعد البيان وتبحيح حال من فعل ذلك وأن حاله يكون كحال الكفرة من أهل الكتاب في العناد فيكون شر البرية فقراها صلى الله عليه وسلم عليه تذكير له بذلك كله على وجه أبلغ وأخصر ليكون أسرع له تصورا فيكون أرسخ في النفس وأثبت في القلب وأعشق للطبع فاختصه الله بالتثيت وأراد له الثبات فكان من المريدین المرادين لما وصل إلى قلبه بركة ضربة النبي صلى الله عليه وسلم لصدره وصار كلما قرأ هذه السورة الجماعة غائبا عن تلاوة نفسه مصغيا باذن قلبه إلى روح النبوة يتلو عليه ذلك فيدوم له حال الشهود الذي وصل اليه بسر تلك الضربة ولنبوته في هذا المقام قال صلى الله عليه وسلم اقرؤكم أئني قال القرطبي وفيه من الفقه قراءة العالم على المتعلم وقال بعضهم انما قرأ النبي صلى الله عليه وسلم على أئني تعلم الناس التواضع لثلايات أحد من العلم والقراءة على من دونه في المزية وقيل ان أئنا كان أسرع أخذ الالفاظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأراد بقرائه عليه أن يأخذ الالفاظه ويقرأ كما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ عليه ويعلم غيره وفيه فضيلة عظيمة لا يذم الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقرأ عليه وقول البيضاوي تعالى لا تخشى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لم يكن كان يوم القيامة مع خير البرية مناه ومقبلا حديث موضوع

(سورة الزلزلة مدنية)

في قول ابن عباس وقتادة ومكيه في قول ابن مسعود وعطاء وجابر وهى ثمان آيات ونحو ثلثون كلمة ومائة وتسع وأربعون حرفا

(بسم الله) المحيط بكل شئ قدرة وعلم (الرحمن) الذى عم الخلق بنعمته الظاهرة قسما (الرحيم) الذى أتم النعمة على خواصه حقيقة عينا واسما ولما قال تعالى للمؤمنين جزاؤهم عند ربهم جنات عدن كان المكاف قال متى يكون ذلك فقيل له (إذا زلزلت الأرض) أى تحركت واضطربت اقيام الساعة فالعالمون كلهم يكونون في الخوف وأنت في ذلك الوقت مثال جزاءك وتكون آمنا لقوله تعالى وهم من فزع يومئذ آمنون (زلزالها) أى تحريكها الشديد المناسب لعظم جرم الأرض وعظمة ذلك وذلك كما تقول أكرم التقي أكرامه وأهن الفاسق أهانتهم تريد ما ينسب وجبانه من الاكرام والاهانة * ولما كان الاضطراب العظيم يكشف عن الخلق في المضطرب قال تعالى (وأخرجت الأرض) أى كلها ولم يضر تحقيق العلموم (أنقالها) أى مما هو مدفون فيها من الكنوز والاموات قال أبو عبيدة والاختس إذا كان الميت في بطن الأرض فهو ثقل لها وإذا كان فوقها فهو ثقل عليها وقال ابن عباس ومجاهد أنقالها أمواتها تحرجهم في النفقة الثانية ومنه قيل للجن والانس الثقلان وقيل أنقالها كنوزها ومنه الحديث تنى الأرض أفلاذ كبدها أمثال الاسطوان من الذهب والفضة فيجنى القاتل فيقول

في هذا قتلت ويحيى القاطع فيقول في هذا قاطعت رحي ويحيى السارق فيقول في هذا قاطعت يدي
 ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئا فيعطيهم الله تعالى قوة اخراج ذلك كله كما كان يعطيهم اقله ان يخرج
 النبات الصغير اللطيف الطرى الذى هو انعم من الحري فتنشق الارض الصلبة التى تكمل عنها
 المعاويل شق النواة مع مالها من الصلابة التى استعصت بهما على الحديد فتنتفلق نصفين وينبت
 منها سائر ما يريد سبحانه وتعالى فالذى قدر على ذلك قادر على تكوين المولى فى بطن الارض
 واعادتهم على ما كانوا عليه كما يكون الجنين فى البطن ويشق جميع منافذه من السمع والبصر
 والقدم وغير ذلك من غير ان يدخل هناك سكار ولا منشا ثم يخرج من البطن هكذا اخراج المولى
 من غير فرق كل ذلك عليه حين سبحانه ما أعظم شأنه وأعز سلطانه (وقال الانسان) أى هذا النوع
 الصادق بالقليل والكثير لما له من النسيان لما أكد عنده من أمر البعث بما له من الانس
 بنفسه والنظر فى عطفه على سبيل التعجب أو الدهش والحيرة وألـافركا يقول من بعثنا من
 مرقدنا فيقول له المؤمن هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون (مالها) أى أى شئ ثبت للارض
 فى هذه الزلزلة الشديدة التى لم يعهد مثلها ولغظت ما فى بطنها (يومئذ) أى اذ كان ما ذكر من
 الزلزال وما لزم عنه وقوله تعالى (تحدث أخبارها) جواب اذا وهو الناصب لها عند الجمهور
 ومعنى تحدث أى تخبر الارض بما عمل عليها من خير أو شر يومئذ ثم قيل هو من قول الله تعالى
 وقيل من قول الانسان أى يقول الانسان ما لها تحدث أخبارها متعجبا روى الترمذى عن أنى
 هريرة أنه قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية يومئذ تحدث أخبارها قال أندرون
 ما أخبارها قالوا الله ورسوله أعلم قال فإن أخبارها أن تشهد على كل عباد وأمة بما عمل على
 ظهرها تقول على يوم كذا وكذا وكذا قال فهذه أخبارها (تنبيه) فى تحديثها بأخبارها
 ثلاثة أقوال أحدها أن الله تعالى يقلبها حيوانا ناطقا فتكلم بذلك ثانيها أن الله تعالى يحدث
 فيها الكلام ثالثها أن يكون فيها بيان يقوم مقام الكلام وقيل فى الآية تقديم وتأخير
 تقديره يومئذ تحدث أخبارها فيقول الانسان ما لها أى تخبر الارض بما عمل عليها (بأن ربك)
 متعلق بتحدث ويجوز أن يتعلق بنقص أخبارها والباء ميبية أى تحدث بسبب أن ربك المحسن
 اليك بأنواع النعم (أوحى لها) أى أذن لها أن تكلم بذلك المذكور بالقال أو بالحال على ما مر
 قال البقاعى وعدل عن قوله اليها الى قول الله تعالى لها ايذانا بالاسراع فى الأحياء وقال
 البغوى أوحى لها وأوحى اليها واحد وقرأ حمزة والكسائى باللاملة المحضة وقرأ ورش بالفتح
 وبين اللفظين والباقون بالفتح وقوله تعالى (يومئذ) بدل من يومئذ قبله أو منصوب بقوله تعالى
 (يصدر) أو باذ كرمقدرا أى واذا كرىوم اذ كان ما تقدمت وهو حين يقوم الناس من القبور يصدر
 (الناس) أى يرجعون من قبورهم الى ربهم الذى كان لهم بالمرصاد ليفصل بينهم وقرأ حمزة
 والكسائى بأه تمام الصادقين الصاد والزائى والباقون بالصاد الخالصة (أشئنا) أى متفرقين
 بحسب مراتبهم فى الذوات والاحوال من مؤمن وكافر وآمن وخائف ومطيع وعاص
 وعن ابن عباس متفرقين على قدر أعمالهم أهل الايمان على حدة أو متفرقين فأخذ ذات اليمين

الى الجنة واخذ ذات الشمال الى النار (ليروا) أي يرى الله تعالى المحسن منهم والمسيء بواسطة من شاء من جنوده أو بغير واسطة حين يكلم سبحانه كل أحد من غير ترجمان ولا واسطة كما أخبر بذلك رسوله صلى الله عليه وسلم (أعمالهم) فيعلموا جزاءها أو صادقين عن الموقف كل الى داره ليري جزاء عمله ثم سبب عن ذلك قوله تعالى مقصلا الجملة التي قبله (فمن يعمل) من محسن أو مسيء مسلم أو كافر (ممثل ذرة خيرا) أي من جهة الخير (يره) أي يرى ثوابه حاضر لا يغيب عنه شيء منه لأن المحاسب له الاحاطة علما وقدره (ومن يعمل مثل ذرة شرا يره) فالؤمن يراه ليشتمد سروره به والكافر يوقف على عمله انه أحبط لبنائه على غير أساس الايمان أو على انه جوزى في الدنيا فهو صورة بلا معنى ليشتمد منه وتبقى حسرته وعن ابن عباس من يعمل من الكفار خيرا يره في الدنيا ولا يناب عليه في الآخرة ومن يعمل مثل ذرة من شر عوقب عليه في الآخرة مع عقاب الشرك ومن يعمل مثل ذرة من شر من المؤمنين يره في الدنيا ولا يعاقب عليه في الآخرة اذا تاب ويتجاوز عنه وان عمل مثل ذرة من خير يقبل منه ويضاعف في الآخرة وفي بعض الاحاديث ان الذرة لازمة لها وهذا مثل ضربه الله تعالى ليعين انه لا يعقل عن عمل ابن آدم صغيرا ولا كبيرا وهو كقوله تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة وذكر بعض أهل اللغة ان الذران يضرب الرجل يده على الارض فخالق من التراب فهو الذرو عن ابن عباس اذا وضعت يده على الارض ورفعته افكل واحدة مما الرق من التراب ذرة وفسرهاب بعضهم بالنملة الصغيرة وبعضهم بالهبة التي ترى طائفة في الشعاع الداخل من الكوة وقال محمد بن كعب القرظي فمن يعمل مثل ذرة من خير من كافر يرى ثوابه في الدنيا في نفسه وماله وأهله وولده حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله تعالى خير ومن يعمل مثل ذرة من شر من مؤمن يرى عقوبته في الدنيا في نفسه وماله وأهله وولده حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله تعالى شر ودليله ما روى أنس أن هذه الآية نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر يأكل فأمسك وقال يا رسول الله وانال ترى ما علمنا من خير وشر فقال صلى الله عليه وسلم يا أبا بكر ما رأيت في الدنيا مما تكره فثاقيل ذرا الشرو يذهب ثقلكم مثاقيل ذرا الخير حتى تعطوه يوم القيامة قال أبو ادريس ان مصداقه من كتاب الله عز وجل وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم وقال مقاتل نزلت في رجلين أحدهما كان يأتمه السائل فيستقل أن يعطيه التمرة والكسرة والجوزة وكان الآخر يتهاون بالذنوب اليسير كالكذبة والغيبة والنظرة ويقول انما وعد الله تعالى النار على الكفار فنزلت هذه الآية لترغبهم في القليل من الخير يعطوه ولهذا قال صلى الله عليه وسلم اتقوا النار ولو بشقعة فمن لم يجد فبكلمة طيبة وتحذره من اليسير من الذنب ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لعائشة اياك ومحقرات الذنوب فان لها من الله تعالى طالبا وقال ابن مسعود هذه الآية بأحكم آية في القرآن وأصدق وقد اتفق العلماء على عموم هذه الآية وقال كعب الاحبار لقد أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم آيتان أحصتا ما في التوراة والانجيل والزبور والصحف فمن يعمل مثل ذرة خيرا يره ومن يعمل مثل ذرة شرا يره وكان صلى الله عليه وسلم يسي هذه الجامعة الفادة

حين سئل عن زكاة الحبير فقال ما نزل علي فيها شيء غير هذه الآية الجامعة الفاذة فمن يعمل
منقال ذرة خيرا يره ومن يعمل منقال ذرة شرا يره وروى مالك في الموطان مسكينا استطعم
عائشة رضي الله عنها وبين يديها عنب فقالت لانسان خذ حبة فأعطاه اياها فحعل ينظر اليها
ويتعجب فقالت أعجبكم ترى في هذه الحبة من منقال ذرة وكذا تصدق عمر رضي الله عنه
وانما فعلا ذلك لتعلم الغيرة والفهم من كرماء الصحابة قال الربيع بن خثيم مر رجل بالحسن
وهو يقرأ هذه الآية فلما بلغ آخرها قال حسبي قد انتهت الموعدة * (تبيينه) * قوله تعالى يره
جواب الشرط في الموضعين وقرأ هشام بسكون هاء يره وصلا في الحرفين والياقون بضمها وصلا
وساكنة ووقفا كسائرهما الكناية وقول البضاوى تعالى زحشري عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ اذازلات أربع مرات كان كمن قرأ القرآن كله رواه الثعلبي بسند ضعيف يمكن
يشهد له ما رواه ابن أبي شيبة من فوعا اذازلات تعدل ربع القرآن

﴿سورة العاديات مكية﴾

في قول ابن مسعود وجابر والحسين وعكرمة وعطاء ومدينة في قول ابن عباس وأنس
ابن مالك وقناة وهي إحدى عشرة آية وأربعون كلمة ومائة وثلاثة وستون حرفا

(بسم الله) الذي له الامر كله فلا يستل عما يفعل (الرحمن) الذي نعمته أتم نعمه وأشمل (الرحيم)
الذي خص أوليائه بتوفيقه وأتم نعمته عليهم وأكمل وقوله سبحانه وتعالى (والعاديات ضبحا)
قسم أقدم الله سبحانه بحسب الغزاة تعدد وقمضج والضج صوت أنفاسها اذا عدون وعن ابن
عباس أنه حكاه فقال أح أح قال عنترة

والخيل تكسح حين نفسج في حياض الموت ضبحا

واتصاب ضحا على بضحين ضبحا وبالعاديات كأنه قيل والضاحجات ضبحا لان الضج يكون مع
العدو أو على الحال أي ضاحجات والعاديات جمع عادية وهي الجارية بسرعة من العدو وهو
المشي بسرعة وعن ابن عباس كنت جالسا في الحجر فجاهر رجل فساأني عن العاديات ضبحا فقسمتها
بالخيل فذهب الي علي رضي الله عنه وهو تحت سقاية زمزم فسأله وذكر له ما قالت فقال ادعها
لي فلما وقفت علي رأسه قال تقى الناس بما لا علم لك به والله ان كانت لا قول غزوة في الاسلام بدر
وما كان معنا الا فرسان فرس الزبير وفرس المقداد العاديات ضبحا الابل من عرفة الى المزدلفة
ومن المزدلفة الى منى قال الزحشري فان صحت الرواية فقد استعير الضج للابل كما استعير
المشافر والخافر للانسان والشفتان للمهر وما أشبه ذلك قال ابن عباس وليس شيء من الحيوان
يضج غير الفرس والكلب والثعلب ونقل غيره ان الضج يكون في الابل والاسود من الحيات
واليوم والذئب والارنب والثعلب والفرس ثم اتبع عدوها ما ينشأ عنه فقال تعالى عاطفا
بأداة التعقيب (فالمريات قدحا) قال عكرمة والضج الهى الخيل تورى النار بنحو افرها
اذا سارت في الجارة لاسيما عند سلوك الارعار وقد ساء منسوب بما اتص به ضبحا قال

الزنجشري فقيه الثلاثة أوجه المتقدمة وعن ابن عباس أورت بجوافرها غبارا وهذا
انما يناسب من فسر العاديات بالابل وقال ابن مسعود هي الابل تغطأ الحصى فتخرج منه النار
وأصل القدح الاستخراج ومنه قدمت العين اذا أخرجت منها الماء الفاسد وعن قتادة
وابن عباس أيضا ان الموريات قد حاكم الرجال في الحرب والعرب تقول اذا أرادوا أن الرجل
يمكر بصاحبه والله لا مكرن بك ثم لا ورين لك وعن ابن عباس أيضا هم الذين يغزون فيورون
نيرانهم بالليل لحاجتهم وطعامهم وعنه أيضا انهم ياتون المجاهدين اذا كثرت اربابا يظنهم
العدو كثيرا قال القرطبي وهذه الاقوال مجاز كقولهم فلان يورى زناد الضلالة والاول
الحقيقة وان الخيل من شدة عدوها قد قدح النار بجوافرها قال مقاتل تسمى تلك النار
نار أبي حباب وأبو حباب كان شيخا من ضمر في الجاهلية من أبلج الناس وكان لا يوقد نار الخبز
ولا غيره حتى تنام العيون فيوقد نورية قد قدح أخرى فان استيقظ لها أحد أطفالها
كراهة أن يتفجع بها أحد فسميت العرب هذه النار بناره لانه لا يتفجع بها * ولما ذكر العدو
وما يأتى عند ذكره من تعجبه وغايته بقوله تعالى (فالمغيرات) أى باغارة أهلها عليهم وقوله تعالى
(صجبا) ظرف أى التي تغير وقت الصبح يقال أغار بغيرة غارة اذا باغت عدوه لنهب أو قتل
أو أسر قال الشاعر

فليتلى بهم قوما اذا ركبوا * شنوا الاغارة فرسانا وركبانا

وغار لغية (فأثرن) أى فهمجن (به) أى بفعل الاغارة ومكانها وزمانها من شدة العدو (تقعها)
أى غبار الشدة حركتهن والنقع الغبار (تنبه) عطف الفعل وهو فآثرن على الاسم
لانه فى تأويل الفعل لوقوعه صلة لآل وقال الزنجشري معطوف على الفعل الذى وضع
اسم الفاعل موضعه لان المعنى واللاقى عدون فأورين فأغررن فأثرن (فوسطن به) أى بذلك
النقع أو العدو أو الوقت (جمعا) من العدو أى صرن وسطا العدو وهو الكتيبة يقال وسطت
القوم بالتخفيف ووسطتهم بالتشديد وتوسطتهم بمعنى واحد وقال القرطبي يعنى جمع منى وهو
من دلفة فوجه القسم على هذا ان الله تعالى أقسم بالابل لما فيها من المنافع الكثيرة وتعرفه
بابل الحج للترغيب فيه وفيه تعريض على من لم يحج بعد القدرة عليه كما فى قوله تعالى ومن كفر
أى من لم يحج فان الله غنى عن العالمين وجواب القسم قوله تعالى (ان الانسان) أى هذا النوع
بجمله من الانس بنفسه والنسيان لما ينفعه (لربه) المحسن اليه بآدائه ثم بابقائه وتربيته وترتيبه
(الكنود) قال ابن عباس الكفور بحمد الله تعالى وقال الكلبي هو بلسان ربيعة ومضر
الكفور وبلسان كندة وحضر موت العاصي وقال الحسن هو الذى يعد المصائب وينسى
الزعم وقال أبو عبيدة هو قليل الخير والارض الكنود التى لا تنبت شيئا وفى الحديث عن أبي
أمامة هو الذى يأكل وحده ويمنع ردفه ويضرب عبده وقال الفضيل بن عياض الكنود الذى
أنسته الخصلة الواحدة من الاساءة الخصال الكثيرة من الاحسان والشكور الذى أنسته
الخصلة الواحدة من الاحسان الخصال الكثيرة من الاساءة (وانه) أى الانسان (على ذلك)

أى الكنود العظيم حيث أقدم على مخالفة الملك الأعظم المحسن مع الكفر لاحسانه (لشهادة)
 أى يشهد على نفسه ولا يقدر أن يحمد له لظهور أثره عليه وأن الله تعالى على كذوده شاهد على
 سبيل الوعيد (وأنه) أى الانسان من حيث هو (حب) أى لاجل حب (الخير) أى المال الذى
 لا يعد غيره لجهله خيرا (لشديد) أى بخيل بالمال ضابط له محسك عليه أو بليغ القوة فى حبه
 لأن منفعة فى الدنيا وهو متقيديا لعاجل الحاضر المحسوس مع علمه بأن أقل ما فيه أنه يشغله
 عن حسن الخدمة لربه تعالى ومع ذلك فهو لخب المال واثار الدنيا وطلبها قوى مطبق وهو لخب
 عبادة ربه وشكر نعمته ضعيف متفاس ثم سبب عن ذلك قوله تعالى (أفلا يعلم) أى هذا
 الانسان الذى أنساه أنسه بنفسه (أذا بعثر) أى انتثر بغاية السهولة وأخرج (ما فى القبور)
 أى من الموتى قال أبو عبيدة بعثت المقاع جوفت أسفله أعلاه قال محمد بن كعب ذلك
 حين يبعثون (فان قيل) لم قال ما فى القبور ولم يقل من ثم قال بعد ذلك ان ربه بهم (أجيب)
 عن الاقول بأن ما فى الارض غير المكافين أكثر فأخرج الكلام على الاغلب أو أنهم هم حال
 ما يبعثون لا يكونون أحياء عقلاء بل يصيرون كذلك بعد البعث فلذلك كان الضمير الاول ضمير
 غير العقلاء والضمير الثانى ضمير العقلاء (وحصل) أى أخرج وجمع بغاية السهولة
 (ما فى الصدور) من خير وشر مما يظن مضره انه لا يعلمه أحد أصلا وظهر مكتوبا فى صحائف
 الاعمال وهذا يدل على أن النيات يحاسب عليها كما يحاسب على ما يظهر من آثارها وتخصيص
 الصدر بذلك لانه محل القلب (ان ربههم) أى المحسن اليهم بخلقهم وخلقهم وترتيبهم (بهم يومئذ)
 أى اذ كانت هذه الامور وهو يوم القيامة (لخبير) أى لخبيطهم من جميع الجهات عالم غاية
 العلم بواطن أمورهم فكيف بظواهرها ومعنى علم بهم يوم القيامة مجازاته لهم والافهم وخبر
 بهم فى ذلك اليوم وفى غيره فكيف ينبغى للعاقل أن يعلق آماله بالمال فضلا عن أن يؤثره على الباقي
 وقول البيضاوى تعالى لا تخشى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والعاديات أعطى
 من الاجر حسنة بعدد من بات بالمزلة وشهد بها حديث موضوع

(سورة القارعة مكية)

وهى احدى عشرة آية وست وثلاثون كلمة ومائة واثنان وخمسون حرفا

(بسم الله) الملك الاعلى (الرجن) الذى عمت نعمة ايجاده جميع الورى (الرحيم) الذى خص
 أوليائه بالتوفيق لما يحب ويرضى * ولما ختم العاديات بالبعث ذكر صيحته بقوله تعالى (القارعة)
 أى الصيحة أو القيامة التى تقررع القلوب باهوالها والاجرام الكنيهة بالتشقق والانفطار
 والاشياء الثابتة بالتشاور وقوله تعالى (ما القارعة) تهويل لشانها وهما مبتدأ وخبر
 خبر القارعة وأكده تعظيمها اعلاما بأنه مهم ما خطر فى بالك من عظمها فهى أعظم منه فقال
 تعالى (وما أدراك) أى أعلمك (ما القارعة) أى انك لاتعرفها لانك لم تعهد مثلها وما الاولى مبتدأ
 وما بعده ما خبره وما الثانية وخبرها فى محل المفعول الثانى لادرى واختلاف فى ناصب (يوم) على

وجهمين أحدهما أنه يحضر دل عليه القارعة أي تفرعهم يوم . وقيل تقديره تأتي القارعة يوم
(يكون الناس) والثاني أنه اذكر مقتدا فهو مفعول به لا ظرف وقوله تعالى (صك الفرائش
المبثوث) يجوز أن يكون خبرا للناقصة وأن يكون حالا من فاعل التامة أي يؤخذون
ويحشرون شبه الفرائش شبههم في الكثرة والانتشار والضعف والذلة والتطايير إلى الداعي من كل
جانب كما يطير الفرائش إلى النار والفرائش طائر معروف قال قتادة الفرائش الطير الذي
يتساقط في النار والمبراج الواحدة فراشة وقال الفراء هو الهمج من البعوض والجراد
وغيرهما وبه يضرب المثل في الطيش والهرج يقال أطيشت من فراشة وأنشدوا

فراشة الحلم فرعون العذاب وان * تطلب نداه فيك كب دونه كاب

وفي أمثالهم أضعف من فراشة وأذل وأجهل وسهى فراشة تغرسه وانتشاره وروى مسلم عن
جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد ناراً فجعل الجنادب
والفرائش يقعن فيها وهو يذبح عنها وأنا أخذ يحجزكم عن النار وأنتم تغفلون من يدى وفي تشبيه
الناس بالفرائش مبالغات شتى منها الطيش الذي يلحقهم وانتشارهم في الأرض وركوب بعضهم
بعضاً والكثرة والضعف والذلة والنجى * من غير ذهاب والقصد إلى الداعي من كل جهة والتطايير
إلى النار قال جرير

إن الفرزدق ما علمت وقومه * مثل الفرائش غشين ناراً المصطل

والمبثوث المتفرق وقال تعالى في موضع آخر كأنهم جراد منتشر (فان قيل) كيف شبه الشيء
الواحد بالصغير والكبير معاً لأنه شبههم بالجراد المنتشر والفرائش المبثوث (اجيب) بأن التشبيه
بالفرائش في ذهاب كل واحد إلى غير جهة الآخر وأما التشبيه بالجراد فبالكثرة والتتابع
(وتكون الجبال) على ما هي عليه من الشدة والصلابة وانها تخور راضحة (كالهين) أي
الصوف المصبوغ ألواناً لأنها ملونة قال تعالى ومن الجبال جدد يضي وحرر أي وغير ذلك
(المنفوش) أي المنفوش المفرق الأجزاء فتراها لذلك متطيرة في الجوق كالهباء المنثور كما قال
تعالى في موضع آخر هباء منبث حتى تعود الأرض كلها لا عوج فيها ولا أمنا ثم سبب عن ذلك قوله
تعالى مفضل اللهم (فأما من ثقلت موازينه) أي برجح الحسنيات وفي الموازين قولان
أحدهما أنه جمع موزون وهو العمل الذي له وزن وخطره عند الله تعالى وهذا قول الفراء
والثاني قال ابن عباس أنه جمع ميزان له لسان وكفتان لا يوزن فيه إلا الأعمال فتوزن فيه
الصحف المكتوبة فيها الحسنيات والسيئات والأعمال أنفسهم فيؤتى بحسنيات المؤمنين
في أحسن صورة فتوضع في كفة الميزان فإذا رجحت فالجنة له ويؤتى بسيئات الكافر في أقبح
صورة فيخفف ميزانه فيدخل النار وقيل إنما توزن أعمال المؤمنين فمن ثقلت حسناته على
سيئاته دخل الجنة ومن ثقلت سيئاته على حسناته دخل النار فيقتص منه على قدرها
ثم يخرج منها فيدخل الجنة أو يعفو الله عنه فيدخل الجنة بفضل ورحمته وأما الكافر
فقد قال الله تعالى في حقه فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً ثم قيل أنه ميزان واحد بيد جبريل

عليه السلام يزن به أعمال بني آدم فغير عنه بلفظ الجمع. وقيل موازين لكل حادثة ميزان
وقيل الموازين الطنج والدلائل قاله عبد العزيز بن يحيى واستشهد بقول الشاعر
قد كنت قبل لقائكم ذامرة * عندي لكل شخص ميزانه

(فهو) أي بسبب رجحان حسناته (في عيشة) أي حياة يتقلب فيها قال البقاعي ولعله الحقها
بالهاء الدالة على الوحدة والمراد العيش ليفهم أنهم على حالة واحدة في الصفا واللذة وليست
ذات ألوان كحياة الدنيا (راضية) أي ذات رضا أو مرضية لأن أمته جنة عالية (وأما من خفت)
أي طاشت (موازينه) أي غلبت سيئاته أو لم تكن له حسنة لاتباعه الباطل وخفته عليه
في الدنيا (فأمته) أي التي تؤويه وتضمه إليها كما يقال للأرض أم لأنها انقصد لذلك ويسكن إليها
كما يسكن إلى الأم وكذا المسكن (هاوية) أي نار نازلة سافلة جدا فهو بحيث لا يزال هو في
نازلا فهو في عيشة ساخطة فالأية من الاحتباك ذكر العيشة أو لادبلا على حذفها ثانيا وذكر
الأم ثانيا لدبلا على حذفها أولا والهاوية اسم من أسماء جهنم وهي المهواة لا بدرك فعرها وقال
قنادة هي كلمة عربية كان الرجل إذا وقع في أمر شديد يقال هوت أمته. وقيل أراد أم رأسه
يعني أنهم يهون في النار على رؤسهم وإلى هذا التأويل ذهب قنادة وأبو صالح وروى عن أبي
بكر أنه قال وإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينهم يوم القيامة باتباع الحق وثقل في الدنيا
وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الحسنات أن يثقل وإنما خفت موازين من خفت موازينه باتباعهم
الباطل وخفته في الدنيا وحق لميزان لا يوضع فيه إلا السيئات أن يخف (وما أدراك) أي وأي
شيء أعلمك وإن اشتد تكلفك (ماهيبة) أي الهاوية والاصل ما هي فدخلت الهاء للسكت وقرأ
جزء في الوصل بغيرها بعد الباء التحتية ووقف بهم والباقون بآياتها وصلوا ووقفوا (فان قيل)
قال هنا وما أدراك ما هيبة وقال أول السورة وما أدراك ما القارعة ولم يقل وما أدراك ما الهاوية
(أجيب) بأن كونها قارعة أمر محسوس وكونها هاوية ليس كذلك فظهر الفرق وقوله تعالى
(نار حامية) خبر مبتدأ مضمرة أي هي أي الهاوية نار شديدة الحرارة. روى مسلم أن النبي صلى
الله عليه وسلم قال ناركم هذه التي توقد جزء من سبعين جزءا من حرج جهنم قالوا وإنه لكافية
يا رسول الله قال فأنها أفضلت عليها تسعة وستين جزءا كلها مثل حرها. وقول البيضاوي تبعا
للزحخشري عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القارعة ثقل الله بميزانه يوم القيامة

حديث موضوع

(سورة التكاثر مكية)

وهي ثمان آيات وثمانية وعشرون كلمة ومائة وعشرون حرفا

(بسم الله) ذي الجلال والإكرام (الرحمن) الذي عزم بالإيجاد بعد الإعدام (الرحيم) الذي خص
أوليائه بتمام الأنعام * ولما ختم القارعة بالشيء افتتح هذه بفعل الشقاوة ومبتدأ الحشر
لينزح السامع فقال تعالى (الهاكم التكاثر) أي شغلكم المباحاة والمفاخرة والمكاثرة بكثرة

المال والعبد عن طاعة ربكم وما ينجيكم من سخطه (حتى زرتم المقابر) أي الهاكم التكاثر بالاموال والاولاد الى أن متم وقبرتم منهقين أعماركم في طلب الدنيا والاستباق اليها والتمالك عليها الى أن أناكم الموت لاهم لكم غيرهما عاواولى بكم من السعي لعاقبتكم والعمل لاخرتكم وزيارة القبر عبارة عن الموت قال الاخطل

ان يخلص العام خليل عشر • ذاق الضمادأ ويزور القبرا

* (تنبيه) * حتى غاية لقوله تعالى الهاكم وهو عطف عليه والمعنى حتى أناكم الموت فصرت في المقابر زوارا ترجعون منها كرجوع الزائر الى منزله من جنة أو نار يقال لمن مات قد زار قبره (فان قبل) شأن الزائر أن ينصرف قريبا والاموات ملازمون للقبور فكيف يقال انه زار القبر وأيضا حتى زرتم اخبار عن الماضي فكيف يحمل على المستقبل (أجيب) عن الاول بأن سكان القبور لا بد أن ينصرفوا عنها فان كل آت قريب وعن الثاني لتحققه عبر عنه بالماضي كقوله تعالى أتى أمر الله وقال أبو مسلم ان الله تعالى يتكلم به هذه السورة يوم القيامة تعبير للكفار وهم في ذلك الوقت قد تقدمت منهم زيارة القبور وقال مقاتل والكلبي زلت في حين من قريش بنى عبد مناف وبنى سهم تفاخروا أيهم أكثر عددا فكثرهم بنو عبد مناف وقالت بنو سهم ان البغي أهل كافي الجاهلية فعادونا بالاحياء والاموات فكثرهم بنو سهم بثلاثة آيات لانهم كانوا في الجاهلية أكثر عددا والمعنى أنكم تكاثرت بالاحياء حتى استوعبتم عددهم ثم صرتم الى المقابر فكثرتم بالاموات عبر عن بلوغهم ذكر الموتى بزيارة القبور تم تكبيرهم وانما حذف الملهى عنه وهو ما يعنيه من أمر الدين للتعظيم والمبالغة وقال قتادة في اليهود قالوا نحن أكثر من بنى فلان وبنو فلان أكثر من بنى فلان شغلهم ذلك حتى ما تواضلا أو أنهم كانوا يزورون المقابر فيقولون هذا قبر فلان وهذا قبر فلان عند تفاخرهم والمعنى ألهما ككم ذلك وهو بما لا يعنيهكم ولا يجدي عنكم في دنياكم وآخرتكم عما يعنيهكم من أمر الدين الذي هو أهم وأعنى من كل مهم من المقابر والمقابر جمع مقبرة بفتح الباء وضجها ويسمى سعيدا مقبرى لانه كان يسكن المقابر قال القرطبي لم يأت في التنزيل ذكر المقابر الا في هذه السورة واعترضه ابن عادل بأن الله تعالى قال في سورة أخرى ثم أماته فأقبره وهذا ممنوع فانه قال المقابر فلفظ هذه الآية غير لفظ تلك وزيارة القبور من أعظم الادوية للقلب القاسى لانها تذكر الموت والآخره وذلك يحمل على قصر الامل والزهد في الدنيا وترك الرغبة فيها قال صلى الله عليه وسلم كنت نهيتمكم عن زيارة القبور فزوروها فانها تزهدي الدنيا وتذكر الآخره وروى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن زوارات القبور ففكره لهن لقله صبرهن وكثرة جزعهن نعم زيارة النسبي صلى الله عليه وسلم سنة لهن ويلحق به بقصة الانبياء والاولياء والعلماء ويتبع لمن زار القبور أن يتأذب باذنيه ويحضر قلبه في اتيانها ولا يكون سخطه منها الطواف عليها فقط فان هذه حالة يشترك فيها البهايم بل يقصد بزيارته وجه الله تعالى واصلاح فساد قلبه ونفع الميت بما يتلوه عنده من القرآن والدعاء ويتجنب الجلوس عليه او يسلم اذا دخل المقابر فيقول السلام عليكم

دار قوم مؤمنين وانا ان شاء الله بكم لاحقون واذا وصل الى قبر ميتة الذي يعرفه سلم عليه ايضا
وانامه من قبل وجهه لانه في زيارته كخطابه حيا ثم يعتبر من صار تحت التراب وانقطع
عن الاهل والاحباب ويتأمل حال من مضى من اخوانه كيف انقطعت آمالهم ولم تغن
عنهم أموالهم ومجىء التراب على محاسنهم ووجوههم واقتربت في التراب أجزاؤهم
وترمل من بعدهم نساؤهم وشمل ذل اليتيم أولادهم وأنه لا بدصا راى مصيرهم وأن حاله
كحالهم وماله كمالهم وعن مطرف بن عبد الله بن الشخير عن أبيه قال اتهمت الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو يقرأ هذه الآية قال يقول ابن آدم مالى مالى وهل لك من مالك الا ما تصدقت
فأمضيت أو أكلت فأفانيت أو لبست فأبلدت وعن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يتبع الميت ثلاثة فيرجع انسان ويبقى واحد يتبعه أهله وماله وعمله فيرجع أهله وماله ويبقى عمله
وقرأ الهالككم حزة والكسائي بالامالة محضة وقرأ ورش بالفتح وبين اللقطين والباقون بالفتح
وقوله تعالى (كلا) ردع وتنبية على انه لا ينبغي للناس ان ينفكوا عن ان تكون الدنيا جميع همهم ولا يهتم
بذنبه وقوله تعالى (سوف تعلمون) انذار ليخافوا فينتبهوا عن غفائهم وقوله تعالى (ثم كلا سوف
تعلمون) تكرر للتأكييد وتم للدلالة على أن الثاني أبلغ من الاول وأشد كما يقال للمنصوع أقول
لك لا تفعل والمعنى سوف تعلمون الخطأ فبما أنتم عليه اذا عاينتم ما قد امكم من هول لقاء الله تعالى
وان هذا التنبيه نصيحة لكم ورحمة عليكم وعن علي كرم الله وجهه ورضي الله عنه كلا سوف
تعلمون في الدنيا ثم كلا سوف تعلمون في الآخرة فعلى هذا يكون غير مكرر لحصول التغاير بينهما
لاجل تغاير المتعلقين ثم على بابها من المهلة وعن ابن عباس كلا سوف تعلمون ما ينزل بكم من
العذاب في القبور ثم كلا سوف تعلمون في الآخرة اذا حل بكم العذاب فالتكرار للعلتين وروى
زرب بن حبيش عن علي كأنه شك في عذاب القبر حتى نزلت هذه السورة فأشار الى أن قوله تعالى
كلا سوف تعلمون في القبور وقيل كلا سوف تعلمون اذا نزل بكم الموت وجاء تمكم رسول ربكم ينزع
أرواحكم ثم كلا سوف تعلمون في القيامة انكم معذبون وعلى هذا تضمنت أحوال القيامة من
بعث وحشر وعرض وسؤال الى غير ذلك من أحوال القيامة وقال الضحاك كلا سوف تعلمون
يعنى الكفار ثم كلا سوف تعلمون أيها المؤمنون فالاول وعيد والثاني وعد ولما كان هذا أمرا
صادقا أشار تعالى الى انه يكفي هذه الامة المرحومة التأكييد بجملة واحدة فقال سبحانه مررنا
بالأمرين تأكييد الردع بالياء بالاداة الصالحة ولان يكون بمعنى حقا كما يقوله أئمة القراءة (كلا)
أي ليس متداردا عن التكاثر فانه أساس كل بلاء فانكم (لو تعلمون) أي أيها الكافرون
(علم اليقين) أي لو يقع لكم علم على وجه اليقين مرة من الدهر لعلمت ما بين ايديكم فلم يلهكم التكاثر
ولفحمتكم قليلا وليكنتم كثيرا ونلجتم الى الضعفات تجارون فحذف الجواب أخوف لمذهب
الوهم معه كل مذهب ولا يجوز أن يكون (لترون الخيم) جوابها لان هذا مثبت وجواب لو يكون
منفيا ولانه تعالى عطف عليه ثم لتسألن وهو مستقبل لابد من وقوعه وحذف جواب لو كثير قال
الاخفش التقدير لو تعلمون علم اليقين لا اله الا كم بل هو جواب قسم محذوف أكذبه الوعيد وأوضح به

ما أئذروهم منه بعد إيمانه تفخيماً وقوله تعالى (ثم لترونها) تكرر لئلا يكيدوا لأولى أذارتهم من
 مكان بعيد والثانية إذا وردوها والمراد بالأولى المعرفة والثانية الابصار (عين اليقين) أى الرؤية
 التى هى نفس اليقين فان علم المشاهدة أعلى مراتب اليقين قال الرازى واليقين مر ~~كب~~
 الاخلاص فى هذا الطريق وهو غاية درجات العامة وأول خطرة الخاصة قال صلى الله عليه وسلم
 خبر ما ألقى فى القلب اليقين وعلمه قبول ما ظهر من الحق وقبول ما غاب للعق والوقوف على ما قام
 بالحق وقال قتادة اليقين هنا الموت وعنه أيضاً البعث أى لو تعلمون علم الموت أو البعث فعبر عن
 الموت باليقين والعلم من أشد البواعث على العمل وقيل لو تعلمون اليوم فى الدنيا علم اليقين بما
 امامكم مما وصفت لترون الجحيم بعيون قلوبكم فان علم اليقين يريك الجحيم بعين قوادك وقرأ
 لترون ابن عامر والكسائى بضم التاء والباقون بالغفتح (ثم لتسئلن) حذف منه نون الرفع انوالى
 النونات والواو لالتقاء الساكنين (يومئذ) أى يوم رؤيتهما (عن النعيم) وهو ما يلهى به فى الدنيا
 من العجوة والفراغ والامن والمطعم والمشرب وغير ذلك والمراد بذلك ما يشغله عن الطاعة للقرينة
 والنصوص الكثيرة كقوله تعالى قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده وقوله تعالى كلا ومن
 الطيبات وقال الحسن لا يسأل عن النعيم الأهل النار لأن أبابكر رضى الله عنه لما نزلت هذه
 الآية قال يا رسول الله رأيت أكلة أكثمتا معك فى بيت أبى الهيثم من خبز شعير وسلم وبسر وماء
 عذب أبى يكون من النعيم الذى يسأل عنه فقال صلى الله عليه وسلم انما ذلك للكفار ثم قرأ صلى الله
 عليه وسلم وهل يجازى الا الكفور ولان ظاهر الآية يدل على ذلك لان الكفار الهام التكاثر
 بالدنيا والتفاخر ببلداتهم عن طاعة الله تعالى والاشتغال بشكره فالتعالى يسألهم عنهم اليوم
 القيامة حتى يظهر لهم أن الذى ظنوه لسهادة ~~كان~~ من أعظم الاسباب لشقاوتهم وقيل
 السؤال عام فى حق المؤمن والكافر لقوله صلى الله عليه وسلم أول ما يسأل العبد يوم القيامة عن
 النعيم فيقال له ألم نصبح جسمك ألم نزولك من الماء البارد وقيل الزائد على ما لا بد منه وقيل غير
 ذلك قال الرازى والأولى على جميع النعم لان الالف واللام تفيد الاستغراق وليس صرف اللفظ
 الى البعض أولى من صرفه الى الباقي فيسأل عنها هل شكرها أم كفرها وإذا قيل ان هذا
 السؤال للكافر فمقبول هو فى موقف الحساب وقيل بعد دخول النار يقال لهم انما حمل بكم هذا
 العذاب لاشتغالكم فى الدنيا بالنعيم عن العمل الذى ينجيكم من هذه النار ولو صرفتم عمركم الى
 طاعة ربكم لكانتم اليوم من أهل النجاة وقول البيضاوى تعالى لم يخشى عن النبي صلى الله
 عليه وسلم من قرأ الهام التكاثر لم يحاسبه الله بالنعيم الذى أنعم به عليه فى دار الدنيا واعلم
 من الاجر كما قرأ الف آية حديث موضوع الا آخره فرواه الحاكم بلفظ لا يستطيع أحدكم ان
 يقرأ ألف آية فى كل يوم قالوا ومن يستطيع أن يقرأ ألف آية قال أو ما يستطيع أحدكم أن يقرأ
 الهام التكاثر

(سورة العصر مكية)

وروى عن ابن عباس وعبادة انها مكية وهى ثلاث آيات وأربع عشرة كلمة وخمسة وستون حرفاً

(بسم الله) الذي كل شيء هالك الا وجهه (الرحمن) الذي عم الوجود بانه امه فليس شيء شبهه
 (الرحيم) الذي أعز أوليائه فكأنوا الله هرة ولا ذلجهه وقوله تعالى (والعصر) قسم
 واختلف في المراد به فقال ابن عباس والذهري أقسم به لأن فيه عبرة للناس يصرف الاحوال
 وتبدلها وما فيها من الدلالة على الصانع وقيل معناه ورب العصر ومزج الكلام في أمثاله وقال ابن
 كيسان أراد باله عصر الليل والنهار يقال لهما العصران وقال الحسن بعد زوال الشمس الى
 غروبها وقال قتادة آخر ساعة من ساعات النهار وقال مقاتل أقسم بصلاة العصر وهي الصلاة
 الوسطى وهذا أشبهه قال صلى الله عليه وسلم من فاتته الصلاة الوسطى فكأنما وتر أهله وماله
 ولأن التكليف في أداها أشق لثبات الناس في تجارتهم ومكاسبهم آخر النهار واشتغالهم
 بعشائهم ونقل ابن عادل عن مالك أن من حلف أن لا يكلم الرجل عصر لم يكلمه سنة قال ابن
 العربي إنما جعل مالك بين الحالف على السنة لأنه أكثر ما قيل فيه وقيل عن الشافعي يبر ساعة
 إلا أن تكون له نية وجواب القسم (ان الانسان) أي الجنس (لني خسر) أي نقص بحسب
 مساعيتهم في أهوائهم وصرف أعمارهم في أغرائهم لما لهم بالطبع من الميل الى الحاضر والاعراض
 عن الغائب والاعتذار بالقائي * (تنبيه) * تنكير خسر يحتمل التحويل والتحقيق فإن جعل على
 الاول وهو الظاهر كان المعنى ان الانسان لني خسر عظيم لا يعلم كنهه الا الله تعالى لأن الذنب
 يعظم ما العظم من في حقه الذنب أولانه وقع في مقابلة النعم العظيمة فلذلك كان الذنب في غاية
 العظم وان جعل على الثاني كان المعنى ان خسر الانسان دون خسران الشيطان ولما كان
 الحكم على الجنس حكما على الكل لأنهم ليس لهم من ذواتهم الا ذلك وكان فيهم من خلاصه الله
 تعالى مما طبع عليه الانسان وحفظه عن الميل استثناهم بقوله عز من قائل (الا الذين آمنوا)
 أي أوجدوا الايمان وهو التصديق بما علم بالضرورة بحجى النبي صلى الله عليه وسلم به من
 توحيده سبحانه والتصديق بعلامته وكتبه ورسوله واليوم الآخر (وعملوا) أي تصديقهم
 أقروا به من الايمان (الصالحات) أي هذا الجنس من ايقاع الاوامر واجتناب النواهي
 واشتروا الاخرة بالدين انما يلهم التكثير ففازوا بالحياة الابدية والسعادة السموية فلم يلحقهم
 شيء من الخسران وقال ابن عباس في رواية أبي صالح المراد بالانسان الكافر وقال في رواية الضحاك
 يريد به جماعة من المشركين الوليد بن المغيرة والعاصي بن وائل والاسود بن عبيد المطلب وقيل
 لني خسر غبن وقال الاخفش لني هلكة وقال الفراء لني عقوبة وقال ابن زيد لني شر وروى ابن
 عوف عن ابراهيم قال أراد ان الانسان اذا عسر في الدنيا وأهرم لني ضعف ونقص وتراجع الا
 المؤمنين فانه يكتب لهم أجورهم التي كانوا يعملون في حال شبابهم وتظهره قوله تعالى لقد خلقنا
 الانسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين الا الذين آمنوا واثباتنا بالانسان بعد كماله
 في نفسه بالاعمال لا ينتفى عنه مطلق الخسران التكميل غيره وحينئذ كان وارثا لان الانبياء عليهم
 الصلاة والسلام بعثوا للتكميل قال تعالى فخصصنا ما دخل في الاعمال الصالحة منها على عظمه
 (ونواصوا) أي أوصى بعضهم بعضا بلسان الحال والمقال (بالحق) أي الامر الثابت وهو كل ما

حكم الشرع بصحته ولا يسوغ انكاره وهو الخير كله من توحيد الله تعالى وطاعته واتباع كتبه
ورسله والزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة (وتواصوا) أيضا (بالصبر) عن المعاصي وعلى الطاعات
وعلى ما ينبت الله به عباده من الامراض وغيرها وروى عن أبي بن كعب انه قال قرأت على النبي
صلى الله عليه وسلم والعصر ثم قلت ما تفسيرها يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم والعصر قسم
من الله أقسم ربكم يا سخر النهار ان الانسان لفي خسر أبو جهل الا الذين آمنوا أبو بكر وعملوا
الصالحات عمر ونواصوا بالحق عثمان ونواصوا بالصبر علي وهكذا خطب ابن عباس على المنبر
موقوفا عليه وقال قتادة بالحق أي بالقرآن وقال السدي الحق هذا الله عز وجل وقول البيضاوي
تبعنا للزحشري عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والعصر غفر الله له وكان ممن نواصي
بالحق ونواصي بالصبر حديث موضوع

(سورة الهمة مكية)

وهي تسع آيات وثلاثون كلمة ومائة وثلاثون حرفا

(بسم الله) الحكم العدل (الرحمن) الذي عمّ جوده أهل البخل وأولى العدل (الرحيم) الذي
خص أولاده بزيادة الفضل وقوله تعالى (ويل) فيه قولان أحدهما انه كلمة عذاب والثاني انه
واد في جهنم (لكل همزة مائة) قال ابن عباس هم المشاؤون بالنعمة المترفون بين الاحبة
الباغون للبراء العيب فعلى هذا ما معنى وقال صلى الله عليه وسلم شر عبادة الله المشاؤون بالنعمة
المقصدون بين الاحبة الباغون للبراء العيب وقال مقاتل الهمزة الذي يعيبك في الغيب والهمزة
الذي يعيبك في الوجه وقال أبو العالية والحسن الهمزة الذي يغتاب ويظعن في وجه الرجل
والهمزة الذي يغتابه من خلقه وهذا اختيار النحاس ومنه قوله تعالى ومنهم من يازك
في الصدقات وقال سعيد بن جبير الهمزة الذي يأكل لحوم الناس ويغتتابهم والهمزة الطعان
عليهم وقال ابن زيد الهمزة الذي يهزم الناس بيده ويضربهم والهمزة الذي يلزمهم بلسانه ويدهمهم
وقال سفيان الثوري يهزم بلسانه ويلزمهم بيده وقال ابن كيسان الهمزة الذي يؤذي جليسه بسوء
اللفظ والهمزة الذي يكسر عينه ويشير برأسه ويرمز بجوابه وحاصل هذه الاقاويل يرجع الى
أصل واحد وهو الطعن واظهار العيب ويدخل في ذلك من يحاكي الناس بأقوالهم وافعالهم
وأصواتهم ليضحكوا منهم وأصل الهمز الكسر والمز الطعن ثم خصا بالكسر من أعراض
الناس والطعن فيهم حتى صار ذلك عادة لانه خلق ثابت في جبلتهم والذي دل على الاعتقاد صيغة
فعله بضم فتحة كما يقال ضحكة للذي يفعل الضحك كثيرا حتى صار عادة له وضرب به واختلفوا
فمن نزلت فيه هذه الآية فقال الكلبي نزلت في الاخنس بن شريق الثقفي كان يقع في الناس
ويغتتابهم وقال محمد بن اسحق ما زلت أسمع أن سورة الهمزة نزلت في أمية بن خلف الجعفي وقال
مقاتل نزلت في الوليد بن المغيرة كان يغتاب النبي صلى الله عليه وسلم من وراءه ويطعن عليه
في وجهه وقال مجاهد هي عامة في حق من هذه صفته وقوله تعالى (الذي جمع مالا) بدل من كل

أودم منصوب أو مرفوع وقرأ ابن عامر وحزرة والنكسائي بتشديد الميم على المبالغة والتكثير
ولأنه يوافق قوله تعالى (وعتده) والباقون بتخفيفها وهي محتملة للتكثير وعدمه ومعنى عتده
أحصاه وجعله عدة للحوادث وقال الضحاك أعتد ما له من ربه من أولاده وقبل فآخر بعدده وكثرته
والمقصود الذم على امساك المال عن سبيل الطاعة كقوله تعالى مناع الخير وقوله تعالى جمع
فأوى (يحسب) أي يظن لجهله (أن ماله أخذه) أي أوصله إلى رتبة الخلف في الدنيا فيصير
خالد فيها لا يموت أو يعمل من تشييد البنيان الموثق بالصخر والآجر وغير من الانحجار وعمارة
الأرض عمل من يظن أن ماله أبقاه حياً وهو تعرض بالعمل الصالح وأنه هو الذي أدخل صاحبه
في النعيم فأما المال فما أدخل أحد فيه وروى أنه كان للأخمس أربعة آلاف دينار وقيل عشرة
آلاف دينار وعن الحسن أنه عاد موسى فقال ما تقول في ألوف لم أقتد بها من لقيم ولا تفضلت بها
على كريم قال لماذا قال لنبوة الزمان وجفوة السلطان ونواب الدهر ومخافة الفقر قال اذا تدعه
لمن لا يحمدك وترد على من لا يعذرك وقرأ ابن عامر وعاصم وحزرة بفتح السين والباقون بكسرها
وقوله تعالى (كلاً) ردعه عن حسبه انه وقبل معناه - كما وقوله تعالى (لينبذن) جواب قسم
محذوف أي ليطرحن بعد موته (في الحطمة) أي الطبقة من جهنم التي من شأنها أن تحطم أي
تكسر بشدة وعنف كل ما طرح فيها فيكون أخسر الخاسرين ويقال للرجل الاكول انه لحطمة
(وما أدر لك) أي وأي شيء أعلمك ولو بمحاولة منك للعلم واجتهاد في التعرف مع كونك أعلم الحكماء
(ما الحطمة) أي الدركة النارية التي سميت هذا الاسم بهذه الخاصة وأنه ليس في الوجود الذي
شاهدتموه ما يقاربها المكون مثلاً لها ثم فسرهاب قوله تعالى (نار الله) أي الملك الأعظم الذي له
الملك كله (الموقدة) أي التي وجد وتحمم إبقادها ومن الذي يطبق محاولة ما وقده فهي لا يزال
لها هذا الاسم ثانياً روى أبو هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال أوقد على النار ألف سنة حتى احترت
ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة (التي
تطالع) أي اطلاعاً شديداً (على الآفة) جمع فؤاد وهو القلب الذي يكاد يحترق من شدة ذكائه
فكان ينبغي أن يجعل ذكائه في أسباب الخلاص وإطلاعها عليه بأن تعلو وسطه وتشتعل عليه
اشتقاً بالبلغاسي بذلك اشتدة وقوده وخص لأنه ألطف ما في البدن واشد تألماً بآداني شيء من الأذى
ولأنه منشأ العقائد الفاسدة ومعدن حب المال الذي هو منشأ حب الفساد والفساد وعنه
تصدر الأفعال القبيحة وقبل معنى تطالع على الآفة أي تعلم ما يستحقه كل واحد منهم من
العذاب يقال اطلع على كذا أي علمه ثم أشار إلى خلودهم فيها بقوله تعالى مؤكداً لانهم يكذبون
بها (انها عليهم مؤسدة) قال الحسن مطبقة أي بغاية الضيق وقال مجاهد مغلقة ببلغة قریش
يقال أصدت الباب أي أغلقته ومنه قول عبد الله بن قيس

إن في القصر لو دخلنا غزاً لا * مفتتنا مؤسداً عليه الحجاب

ثم بين حال عذابهم بقوله تعالى (في) أي في حال كونهم مؤثمين في (عمد) قرأ حزرة والنكسائي
وسبعة بضم العين والميم جمع عمود نحو رسول ورسول وقيل جمع عماد ككتاب وكتب والباقون

بفتحهم ما قيل هو اسم جمع لعدم وقيل بل هو جمع له قال الفراء كاديم وأدم وقال أبو عبيدة هو جمع عماد (عمدة) أي معترضة كأنهم موضوعة على الأرض فهي في غاية المكنة فلا يستطيع المؤمنون بها على نوع خيلة في أمرها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله يبعث عليهم ملائكة بإطباق من نار ومساير من نار وعدم من نار فيطبق عليهم تلك الاطباق وتسد تلك المسامير وتعد تلك العمدة فلا يبقى فيها خلل يدخل منه روح ولا يخرج منه غم فيكون كلامهم فيها زفيراً شهييقاً وقال قتادة عمد تعدون بها واختاره الطبري وقال ابن عباس إن العمدة الممتدة اغلال في أعناقهم وقال أبو صالح قيود في أرجلهم وقال القشيري العمدة وأناد الاطباق وقيل المعنى في دهور عمدودة لا انقطاع لها وقول البيضاوي تبعه الزمخشري عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الهنزة أعطاه الله عشر حسنة بعد من استهزأ بمحمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه حديث موضوع

﴿سورة الفيل مكية﴾

وهي خمس آيات وعشرون كلمة وستة وتسعون حرفاً

(بسم الله) الذي قدرته في كل شيء عاملة (الرحمن) الذي له النعمة الشاملة (الرحيم) الذي يخص أهل الاصطفاء بالنعمة الكاملة وقوله تعالى (ألم تر) استفهام تعجب أي اعجب (كيف) فعل ربك أي المحسن إليك (بأصحاب الفيل) فهو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وهو وان لم يشهد ذلك الواقعة لكن شاهد آثارها وسمع بالتواتر أخبارها فكأنه رآها وانما قال تعالى كيف دون ما لان المراد ذكر ما فيها من وجوه الدلالة على كمال علم الله وقدرته وعزة بيته وشرف رسوله صلى الله عليه وسلم وكانت قصة الفيل ما روي أن أبرهة بن الصباح الأشرم ملك اليمن من قبل أحمدة النجاشي بن كنيصة بصنعاء وسماها القليس وأراد أن يصرف إليها الحجاج وكتب إلى النجاشي أن قد بنيت لك بصنعاء كنيسة لم يكن لك مثلها وأنت مفتها حتى أضرف إليها حج العرب فسمع بذلك رجل من بني مالك بن كنانة فخرج إليها فدخلها ليلاً ففقد فيها ولطخ بالعندرة قبلتها فبلغ ذلك أبرهة فقال من اجترأ على فقيل صنع ذلك رجل من العرب من أهل ذلك البيت سمع الذي قلت فخاف أبرهة عند ذلك ليسيرن إلى الكعبة حتى يهدمها فكتب إلى النجاشي يخبره بذلك وسأله أن يبعث إليه بقله وكان له قيل يقال له محمود وكان فيلًا لم ير مثله عظماء وجسمًا وقوة فبعث به إليه فخرج أبرهة في الخيل سائرًا إلى مكة وخرج معه بالفيل وأثنى عشر فيلاً غيره وقيل عناية عشر وقيل كان معه ألف فيل وقيل كان وحده فسمعت العرب بذلك فأعظموه ورأوا جهاده حقاً عليهم فخرج ملك من ملوك اليمن يقال له ذو نقر عن أطاعه من قومه فقاتله فهزمه أبرهة وأخذ ذات نقر فقال لها أيها الملك استبقي فإن استبقائي خير لك من قتلي فاستبقاه فأوثقه وكان أبرهة رجلاً حليماً سار حتى إذا دنا من بلاد خثعم خرج له نضيل بن حبيب الخثعمي في خثعم ومن اجتمع إليه من قبائل اليمن فقاتلوه فهزمهم وأخذ نضيلاً فقال نضيل أيها الملك اني دليل يارض العرب وهاتان

يبدأ على قومي بالسمع والطاعة فاستبقاه وخرج معه يده حتى إذا مرق بالطائف خرج اليه مسعود
ابن مغيث في رجال من ثقيف فقال أيها الملك نحن عبيدك ليس عندنا خلاف لك إنما تريد البيت
الذي بمكة نحن نبعث معك من يدلك عليه فبعثوا أبا رغال مولى لهم فخرج حتى إذا كان بالمغمس
مات أبو رغال وهو الذي يرجم قبره وبعث أبرهة من المغمس رجلا من الحبشة يقال له الاسود بن
مسعود على مقدمة خيله وأمره بالغارة على نعم الناس فجمع الاسود اليه أموال الحرم وأصاب
لعبد المطلب مائتي بعير ثم إن أبرهة بعث بجناطة الحيرة إلى أهل مكة فقال سل عن شريفهم
أبلغه ما أرسلك به اليه أخبره أنني لم آت لقتال إنما جئت لأهدم هذا البيت فأنطلق حتى دخل مكة
فأتى عبد المطلب بن هاشم فقال إن الملك أرسلني إليك لآخرئك أنه لم يأت لقتال إنما جئت لأهدم
هذا البيت ثم الانصراف عنكم فقال عبد المطلب ماله عندنا قتال ولا نأبى يدا أنا سنحلي بينه وبين
ما جاء اليه فان هذا بيت الله الحرام وبيت خليله إبراهيم عليه السلام فان يمنعه فهو بينه وحرمه
وان يحل بينه وبين ذلك فوالله ماله قوة قال فأنطلق معي إلى الملك قال بعض العلماء أنه أوقفه
على بغلة كان عليه أو ركب معه بعض بنيه حتى قدم العسكر وكان ذو نقر صديقا لعبد المطلب
فأتاه فقال ياذا نفر هل عندك من غناء فيما نزل بنا فقال ما غناء رجل أسير لا يأمن أن يقتل بكرة
أو عشيما ولكن سأبعث إلى أنيس سائس الفيل فانه لي صديق فأسأله أن يصنع لك عند الملك
ما استطاع من خير ويعظم خطرك ومنزلك عنده فارسل إلى أنيس فأتاه فقال له إن هذا سيد
قريش صاحب عين مكة يطعم الناس في السهل والوحوش في رؤس الجبال وقد أصاب الملك له
مائتي بعير فان استطعت أن تنفعه عنده فأنفعه فانه صديق لي أحب ما وصل اليه من الخير قد دخل
أنيس على أبرهة فقال أيها الملك هذا سيد قريش وصاحب عين مكة يطعم الناس في السهل
والوحوش في رؤس الجبال يستأذن عليك وأنا أحب أن تأذن له فيكلمك وقد جاء غيرنا صلب لك
ولا تخالف عليك فأذن له وكان عبد المطلب رجلا جسيما وسيما فلما رآه أبرهة أعظمه وأكرمه
وكره أن يجلس معه على السرير وان يجلس تحته فهبط إلى البساط فجلس عليه ثم دعاه فأجلسه
معه ثم قال لترجمانه قل له ما حاجتك إلى الملك فقال الترجمان ذلك فقال عبد المطلب حاجتي إلى
الملك أن يرد إلى مائتي بعير أصابها لي فقال أبرهة لترجمانه قل له قد كنت أعجبني حين رأيته ولقد
زهدت فيك قال لم قال جئت إلى بيت هودينك ودين آبائك وهو شرككم وعصمتكم لا أهدمه
لم تكلمني فيه وتكلمني في مائتي بعير أصيبت قال عبد المطلب أثارب هذه الابل والبيت رب سمعته
قال ما كان ليمنعه مني قال فأنت وذلك فأمره بالبلد فردت عليه وقيل عرض عليه عبد المطلب
أموال تهامة ليرجع فإني فلما ردت الابل على عبد المطلب خرج فأخبر قريشا الخبر وأمرهم أن
يتفرقوا في الشعاب ويتحزروا في رؤس الجبال تحوفا عليهم من معرفة الجيش ففعلوا وأتى عبد
المطلب المكعبة فأخذ بحلقة الباب وجعل يقول

يارب لا أرجو لهم سواك * يارب فامنع منهم حماكا
أن عدوا لبيت من عاداك * امنعهم أن يحزوا قراكا

وقال أيضا

* لاهم ان المريمي منع رحله فامنع حلالك *
 * لا يغلبن صليهم * ومحالهم عدو محاللك *
 جروا جوع بلادهم * والليل كي يسموا عيالك *
 عمد واجالك بكيدهم * جهلا وما رقبوا جلالك *
 ان كنت تاركهم وكعدمتما فأمر ما بالك *

ثم ترك عبد المطلب الحلقة وتوجه في بعض تلك الوجوه مع قومه فأصبح ابرهة بالمغمس قد تمها
 للدخول وهيا جيشه وهيا فيله فأقبل نفيل الى النفيل الاعظم ثم أخذ ياذنه وقال ابرك محمود
 وارجع راشدا من حيث جئت فانك في بلد الله الحرام فبرك النفيل فبعثوه فأبى فضر به بالمعول في
 رأسه فأبى فوجهوه راجعا الى اليمن فقام مهر ولا فوجهوه الى الشام ففعل مثل ذلك ووجهوه الى
 المشرق ففعل مثل ذلك فضر به الى الحرم فبرك وأبى أن يقوم وخرج عبد المطلب يشتمه حتى صعد
 الجبل فارسل الله تعالى عليهم ناقصه في قوله سبحانه (ألهمهم) أي جعل بماله من الاحسان
 الى العرب لاسيما قريش (كيدهم) أي في هدم الكعبة (في تضليل) أي خسارة وهلاك
 (وارسل عليهم) أي خاصة من بين ما هنالك من كفار العرب (طيرا) أي طيور اسودا وويل خضرا
 وقيل ايضا (أبايل) أي جماعات بكثرة متدركة يتبع بعضها بعضا من فواحش شتى فوجافوا
 وزمرة زمرة امام كل فرقة منها طائر يقودها أسود المنقار أسود الرأس طويل العنق وقيل
 أبايل كالابل المؤبلة قال الفراء لا واحد لها من لفظها وويل واحدها ابالة وقال الكسائي كنت
 أسمع النخوين يقولون واحدها ابول كجول وعجاجيل وقال ابن عباس كانت طير الها
 خراطين كخراطيم الطيروا كف كالك الكلاب وقال عكرمة لها رؤس كروم السباع وقال سعيد
 ابن جبير طير خضر لها من اقبصر وقال قتادة طير سود (تميم) أي الطير (بججارة) أي عظيمة
 في الكثرة والفعل صغيرة في المقدار والحجم مع كل طائر يجري في منقاره ويجران في رجله اكر من
 العدسة وأصغر من الحصاة وعن ابن عباس انه رأى منها عند أم هانئ فتوقفت به فخططة بالجرة
 كالجزع الظفاري فكان الحجر يقع على رأس الرجل فيخرج من دبره وعلى كل جراسم من يقع
 عليه فقتلوا فيها كوا في كل طريق ومنهل وأما ابرهة فتساقطت أنامله كلها كلها سقطت أمه
 اتبعها مائة وقيح ودم فانهى الى صنعاء وهو مثل فرخ الطير وما مات حتى انصدع صدره من
 قلبه وانقلب وفيره ابويكسوم وطائر يخلق فوقه حتى بلغ النجاشي فقص عليه القصة فلما أتمها وقع
 عليه الحجر فخر ميتا بين يديه لأن تلك الحجارة كانت (من سميل) أي طين متعجم مصنوع للعذاب
 في موضع هو في غاية العلو ولم تأت بعبارة عن هذا الرمي هلاكهم وكان ذلك بفعل الله تعالى لانه الذي
 خلقه لا يتركه الا مثله لا ينشأ عنه ما نشأ من الهلاك قال الله تعالى (جعلهم) أي ربك المحسن
 اليك باحسنه الى قومك لاجلك بذلك (كعصف مأكول) أي كورق زرع أكلته فرائته فيبس
 وتفرقت أجزأؤه شبه قطع أوصالهم بتفرق أجزأء الروث قال مجاهد العصف ورق المنطة وقال
 قتادة هو التبن وقال عكرمة كالحب اذا أكل وصار أجوف لأن الحجر كان يأتي في الرأس فيحرق

فهو الظاهر
 الجبل نفيل
 طائفة
 يستند في
 عبد المطلب
 وخرج عبد المطلب
 فله

بما له من الحرارة وشدة الوقع كلما مر به حتى يخرج من الدبر ويصير موضع تجويفه أسود لما له من
النارية وقال ابن عباس هو القشر الخارج الذي يكون على حب الحنطة كهيئة الغلاف له
وروى أن الحجر كان يقع على أحدهم فيخرج كل ما في جوفه فيبقى كقشر الحنطة إذا خرجت منه
الحبة وعن عكرمة من أصابه جدره وهو أول جدرى ظهر وعن أبي سعيد الخدري أنه سئل عن
الطير فقال جام مكة منها وقيل جاءت عشية ثم ضجبتهم واختلف في تاريخ عام الفيل فقيل كان
قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم بأربعين سنة وقيل بثلاث وعشرين سنة والاكثر أن على أنه
كان في العام الذي ولد فيه النبي صلى الله عليه وسلم وعن عائشة قالت رأيت سائس الفيل وقائده
أعميين مقعدين يستطعمان الناس وقال عبد الملك بن مروان لعناب بن أسيد أنت أكبر أم
النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم أكبر مني وأنا أسن منه ولد صلى الله
عليه وسلم عام الفيل وأنا أدركت سائسه وقائده أعميين مقعدين يستطعمان الناس بل قيل
لم يكن بمكة أحد إلا رأى قائد الفيل وسائسه أعميين يتكففان الناس لأن عائشة مع صغيرها
رأتهما وقال ابن اسحق لما رآه الله تعالى الحبشة عن مكة المشرفة عظمت العرب قريشا وهاوا
أهل الله قاتل عنهم وكفاهم مؤنة عدوهم فكان ذلك نعمة من الله عليهم وقال بعض العلماء
كانت قصة الفيل مما نعتده من معجزاته صلى الله عليه وسلم وإن كانت قبله لأنها كانت توكيدا
لامره وتعميدا لشأنه وقول البياضى تعالى الزمخشري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الفيل أعفاه الله أيام حياته من الخسف والمسخ حديث موضوع

﴿سورة قريش مكية﴾

في قول الجمهور ومدينة في قول الضعفاء والسكبي وهي أربع آيات
وسبع عشرة كلمة وثلاثة وسبعون حرفا

(بسم الله) الذي له جميع الكمال (الرحمن) ذي النعم والافضل (الرحيم) الذي خص أوليائه
بالقرب والاحلال وقوله تعالى (لا يلاف قريش) في متعلقه أوجه أحدها أنه ما في السورة قبلها
من قوله تعالى فجعلهم كعصف ما كقول قال الزمخشري وهذا مبتدأ للتضييق في الشعر وهو أن
يتعلق بمعنى البيت بالذي قبله تعلقا لا يصح إلا به وهما في مصحف أبي سورة واحدة بلافصل وعن
عمر أنه قرأهما في الثانية من صلاة المغرب وقرأ في الأولى والثين اه والى هذا ذهب الاخفش
وقال الرازي المشهور أنهما سورتان ولا يلزم من التعاقب الاتحاد لأن القرآن كسورة واحدة
ثانها أنه مضمرة تقديره فعلنا ذلك وهو ايقاعهم لا يلاف وهو الفهم بلدهم الذي ينشأ عنه
طما ينتمى وهيبة الناس لهم وقيل تقديره اعجبوا الثلاث قريش رحله الشتاء والصيف وتركهم
عبادة رب هذا البيت ثالثها أنه متعلق بقوله تعالى فاعبدوا أمرهم أن يعبدوا لاجل ايلافهم
الرحلتين لأنهما أظهر نعمة عليهم وهذا هو الذي صدر به الزمخشري كلامه وفي هذا الإشارة
إلى تمام قدرته سبحانه وأنه إذا أراد شيأ يسر سببه لأن التدبير كله له يخف من يشاء وإن عز

ويرفع من يشاء وان ذل وقريش هم ولد النضر بن كنانة ومن ولده النضر فهو قريش ومن لم يلبده
النضر فليس بقريش قال صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى كنانة من بنى اسمعيل واصطفى من بنى
كنانة قريشا واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفاني من بنى هاشم وأخرج الخاكم وصححه
البيهقي عن أم هانئ بنت أبي طالب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال فضل الله قريشا سبع خلال
أنى منهم وأن النبوة فيهم وأن الله نصرهم على القيل وأنهم عبدوا الله عشرين سنين لا يعبد غيره
وان الحجابة والسقاية فيهم وأن الله انزل فيهم سورة من القرآن وسما قريشا من القرش وهو
الكسب والجمع يقال فلان يقرش لعياله ويقترش أى يكتسب وهم كانوا تجارا حرا صاعا على جمع
المال وقال أبو ربيعة سأل معاوية عبد الله بن عباس رضى الله عنهما لم سميت قريش قريشا
قال لداية تكون في الجرم أعظم دواية تعبت بالسفن ولا تطاق الا بالنار يقال لها القرش
لا تمرشئ من الغث والسمين الا أكلته وهى تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلو قال وهل تعرف
العرب ذلك فى أشعارها قال نعم فأنشده شعرا للجرى

وقريش هى التى تسكن البحر * حريها سميت قريش قريشا
تأكل الغث والسمين فلا تشرك * فيه لذى الجناحين ريشا
هكذا فى الكتاب حى قريش * يا كاون البلاد أكلأ كيشا
ولهم آخر الزمان نبى * يكثر القتل منهموا وانجوشا

وقيل هو من قرش الرجل اذا نزه عن مدانس الامور أو من تقارشت الرماح فى الحرب
اذا دخل بعضها فى بعض وقوله تعالى (الافهم) بدل من الايلاف الاول وقرأ ابن عامر
للا ف بغير ياء بعد الهمزة والباقون لا يلاف ياء بعدها وأجمع الكل على اثبات الياء فى الثانى
وهو ا يلافهم بالياء بعد الهمزة قال ابن عادل ومن غريب ما اتفق فى هذين الحرفين ان القراء
اختلفوا فى سقوط الياء وثبوتها فى الاول مع اتفاق المصاحف على اثباتها خطأ وانفقوا على
اثبات الياء فى الثانى مع اتفاق المصاحف على سقوطها منها خطأ وهذا أدل دليل على ان القراء
متبعون الاثر والرواية لا مجرد الخط وقوله تعالى (رحلة الشتاء) منصوب با يلافهم مفعول به
كما نصب يتيمى باطعام وهى التى يرحدونها فى زمنه الى اليمن لانهم بلاد حارة ينالون منها ما جاز
الحبوب (والصيف) التى يرحدونها الى الشام فى زمنه لانهم بلاد باردة ينالون فيها منافع الثمار
وهم آمنون من سائر العرب لاجل عزهم بالحرم المعظم وبيت الله والناس يخطفون من حوالهم
ولا يجترئ أحد دعائهم والا يلاف من قولك ألفت المسكان ألقه ابلأ فاذا بلغته فأناموا ف
والاصل رحلتى الشتاء والصيف ولكنه أفرد ليشمل كل رحلة كما هو شأن المصادرو أسماء
الاجناس وفى ذلك اشارة الى أنهم يتمكنون من الرحلة الى أى بلاد أرادوا اشمول الامن
لهم قال مالك الشتاء نصف السنة والصيف نصفها وقال قوم الزمان أربعة أقسام شتاء
وربيع وصيف وخريف وقبل شتاء وصيف وقيظ وخريف قال القرطبي والذى قاله
مالك أصح لأن الله تعالى قسم الزمان قسمين ولم يجعل لهما ثالثا وروى عن كريمة عن ابن

عباس رضي الله عنهم ما أنهم كانوا يشتون بمكة ويصيقون بالطائف وقال آخرون كانت لهم رحلتان في كل عام للتجارة أحدهما في الشتاء إلى اليمن لأنهم أدقوا * والأخرى في الصيف إلى الشام وكان الحرم وأديابجد بالازرع فيه ولا ضرع وكانت قريش تعيش بتجارهم ورحلتهم ولولا الرحلتان لم يكن لهم مقام بمكة ولولا الأمن بجوار البيت لم يقدروا على التصرف وأول من سن لهم الرحلة هاشم بن عبد مناف وكانوا يقسمون ربهم بين الغنى والفقر حتى كان فقيرهم يغمهم وفي ذلك يقول الشاعر

قل للذي طاب السحابة والندى * هلا مرت بال عبد مناف
هلا مرت بهم تريد قراهم * منعول من ضر ومن اتلاف
الرائشين وليس يوجد رأس * والقائلين هلم للأضياف
والخالطين فقيرهم يغمهم * حتى يكون فقيرهم كالكفاي
والقائلين بكل وعد صادق * والراجلين برحلة الأيلاف
عمر والعلاهشم التريد لقومه * ورجال مكة مستنون عفاف
سفرين سنهم له ولقومه * سفر الشتاء ورحلة الأضياف

وتبع هاشم على ذلك أخوته فكان هاشم رؤى الف إلى الشام وعبد شمس إلى الحبشة والمطلب إلى اليمن ونوفل إلى فارس وكان تجار قريش يختلفون إلى هذه الأمصار بجاه هذه الأخوة أى بعهدودهم التي أخذوها بالامن لهم من ملك كل ناحية من هذه النواحي * ولما كان هذا التدبير لهم من الله تعالى كافيا لهم ومهم الظاهرة بالغنى والباطنة بالامن وكان شكر المنعم واجبا قال تعالى (فليعبدوا) أى قريش على سبيل الوجوب شكر على هذه النعمة خاصة ان لم يشكروه على جميع نعمه التي لا تحصى لانهم يدعون أنهم أشكر الناس للإحسان وأبعدهم عن الكفران (رب هذا البيت) أى الموجد له والمحسن إلى أهله بحفظه من كل طاع وبإزالة الجبابرة ليكمل إحسانه إليهم وعطفه عليهم بما كمال اعزاه لهم في الدنيا والآخرة والمراد به الكعبة عبر عنها بالاشارة تعظيما شأنها * ثم وصف نفسه الاقدس بما هو غرة الرجلين وظهر لزيادة شرف البيت بقوله تعالى (الذي أطعمهم) أى قريش بجهل الميزة إلى مكة بالرحلتين اطعما مبتدأ (من جوع) أى عظيم فيه غيرهم من العرب أو كانوا هم فيه قبل ذلك لأن بلادهم ليس بذى زرع فهم عرضة للفقر الذي يشأ عنه الجوع فكفاهم ذلك وحده ولم يشركه أحد في كفايتهم فليس من الشكر اشرا كهم غيره معه في عبادته ولا من البر بآيهم ابراهيم عليه السلام الذي دعا لهم بالرزق بقوله عليه السلام وارزقهم من الثمرات ونهى أشد النهى عن عبادة الاصنام ولم يقل أشبعهم لانه ليس كلهم كان يشبع ولان من كان يشبع منهم طالب لا أثر ما هو عنده ولا علة لجوف ابن آدم الا التراب (وآمنهم) أى تخصيصهم (من خوف) أى شديد جدا من أصحاب القبيل الذين أرادوا خراب البيت الذي به نظامهم وما ينال من حولهم من الخطف بالقتل والنهب والغارات ومن الجذام بدعوة أبيهم ابراهيم عليه السلام

ومن الطاعون والدخان بتأمين النبي صلى الله عليه وسلم وعن ابن زيد كانت العرب يغير بعضها على بعض ويسبي بعضهم بعضاً فأمنت قريش ذلك لمكان الحرم وقيل شق عليهم السفر في الشتاء والصيف فألقى الله تعالى في قلوب الحبشة أن يحملوا إليهم طعاماً في السفن فحملوا تخافت قريش منهم وظنوا أنهم قدموا الحربهم فخرجوا إليهم متحززين فاذا هم قد جلبوا إليهم الطعام وأعانوهم بالاقوات فكان أهل مكة يخرجون إلى حدة بالابل والحرف يشترى الطعام على مسيرة ليلتين وقيل إن قريش لما كذبوا النبي صلى الله عليه وسلم دعاء عليهم فقال اللهم اجعلها عليهم سنين كسنين يوسف فاشتد القحط فقالوا يا محمد ادع الله لنا فأناموا مؤمنون فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخصبت بآلة وبرش من بلاد اليمن فحملوا الطعام إلى مكة وأخصب أهلها وقال الضحالك والريبع في قوله تعالى وآمنهم من خوف أي من خوف الحبشة وقال علي وآمنهم من خوف أن تكون الخلافة الأفيهم قال الزمخشري ومن بدع التفاسير وآمنهم من خوف أن تكون الخلافة في غيرهم اهـ لكن إن ثبت ذلك عن علي كرم الله وجهه فليس كما قال وقيل كفاهم أخذ الإيلاف من الملوكة وقول البيضاوي تبع للزمخشري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ليل يلاف قريش أعطاء الله عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها حديث موضوع

(سورة الدين وتسمى سورة الماعون مكية)

في قول عطاء وجابر وأحد قول ابن عباس رضي الله عنهما ومدنية في قول له آخر وهو قول قتادة وغيره وهي سبع آيات وخمس وعشرون كلمة ومائة وثلاثة وعشرون حرفاً

(بسم الله) الذي له كل كمال (الرحمن) الذي عم جميع عبادته بالنوال (الرحيم) الذي خص أوليائه بنعمة الافئدة وقوله تعالى (أرأيت) استقهاهم معناه التعجب وقرأ نافع بتسهيل الهمزة بعد الراء ولورش أيضاً أيدوها ألفاً وأسقطها الكسائي قال الزمخشري وليس بالاختيار لأن حذفها يختص بالمضارع ولم يصح عن العرب ريت ولكن الذي سهل من أمرها وقوع حرف الاستقهاهم في أول الكلام ونحوه

صاح هل ريت أو سمعت براع * ردف الضرع ما قرى في الحلاب

وخففها الباقون والمعنى (أرأيت) (الذي يكذب) أي يقع التكذيب لمن يخبره كأننا من كان (بالدين) أي بالجزاء والحساب أي هل عرفته أم لم تعرفه (فذلك) بتقدير هو بعد الفاء أي البغيض البعيد المبعد من كل خير (الذي يدع) أي يدفع دفعاً عظيماً بغاية القسوة (التييم) ولا يبحث على إكرامه لأن الله تعالى نزح الرحمة من قلبه ولا ينزعها إلا من شق لأنه لا حامل على الإحسان إليه إلا الخوف من الله تعالى فكان التكذيب مجزأه مسبباً للغلظة عليه وقال قتادة يقهره ويظلمه فانهم كانوا لا يورثون النساء ولا الصغار ويقولون انما يحوز المال من يطعن بالسنان ويضرب بالحسام وقال صلى الله عليه وسلم من ضم يتيماً من المسلمين حتى يستغنى فقد وجبت له

الجنة واختلف فيمن نزل ذلك فيه فقال مقاتل في العاصي بن وائل السهمي وقال السدي
 في الوليد بن المغيرة وقال الضعالي في عمرو بن عبد الحمزومي وقال عطاء عن ابن عباس رضي الله
 عنهم ما في رجل من المنافقين وقيل في أبي جهل (ولا يحض) أي يحض نفسه ولا غيره (على طعام
 المسكين) أي بذله واطعمه أيام بل يقته ولا يكرمه ولا يرجمه وقد تضمن هذا أن علامة
 التكذيب بالبعث أيذاء الضعيف والتهاون بالمعروف ولما كان هذا حاله مع الخلائق أتبعه
 حاله مع الخالق بقوله تعالى (فويل) أي عذاب أو واد في جهنم (للمصلين الذين هم) أي بضمايرهم
 وخالص سرائرهم (عن صلاتهم) التي هي جدية بأن تصاف اليهم لوجوبها عليهم وإيجابها لأجل
 مصالحهم ومنافعهم بالتركية وغيرها (سأهون) أي عريقون في الغفلة عنها وتضييعها وعدم
 المبالاة بها وقوله الآتية قالها وروى البغوي بسنده أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن
 هذه الآية فقال هو أضعاء الوقت وعن ابن عباس رضي الله عنهم ما أنه قال هم المنافقون
 يتركون الصلاة إذا غابوا عن الناس ويصلونها في العلانية مع الناس إذا حضر والقوله تعالى
 (الذين هم) أي بجملة سرائرهم (يرآون) أي بصلاتهم وغيرها الناس لأنهم يفعلون الخير ليأراهم
 الناس لالرجاء الثواب ولا خوف العقاب من الله تعالى ولذلك يتركون الصلاة إذا غابوا عن
 الناس وقال إبراهيم هو الذي يلتفت في صلاته وقال قطرب هو الذي لا يقرأ ولا يذكر الله تعالى
 وقال ابن عباس رضي الله عنهم ما لوقال في صلاتهم سأهون لك كانت في المؤمنين وقال عطاء
 الحمد لله الذي قال تعالى عن صلاتهم سأهون ولم يقل في صلاتهم فدل على أن الآية في المنافقين
 وقال قتادة ساء عنها لا يبالى صلى أم لم يصل وقال مجاهد دعا فلو نزل عنها ما وفون بها وقال الحسن
 هو الذي إن صلاها صلاها رياء وإن فاتته لم يندم وقيل هم الذين يسهون عنها قلة بمبالاة بها حتى
 تنفوتهم أو يخرج وقتها ولا يصلونها كما صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم والسلف ولكن
 ينفوتهم عنها من غير خشوع ولا اجتناب لما يكره فيها من العبث بالعبية والذباب وكثرة التشاوب
 والآلآت لا يدرى الواحد منهم عن كم أنصرف ولا ما قرأ من السورة وكما ترى صلاة أكثر من
 ترى من الذين عادتهم الرياء بأعمالهم ومنع حقوق أموالهم والمعنى إن هؤلاء أحق أن يكون
 سهوهم عن الصلاة التي هي عماد الدين والفارق بين الإيمان والكفر والرياء الذي هو شعبة من
 الشرك ومنع الزكاة التي هي شقيقة الصلاة وقنطرة الإسلام علما على أنهم مكذبون بالدين وهم ترى
 من المتسمين بالإسلام بل بالعالم من هو منهم على هذه الصفة فيامضيها (فان قيل) كيف جعل
 المصلين قائما مقام ضمير الذي يكذب وهو واحد (أجيب) بأن معناه الجمع لأن المراد به الجنس
 (فان قيل) أي فرق بين قوله تعالى عن صلاتهم وقولك في صلاتهم (أجيب) بأن معنى عن
 أنهم سأهون عنها سهو ترك وقلة الالتفات إليها وذلك فعل المنافقين أو الفسقة الشياطين من
 المسلمين ومعنى في أن السهو يعتر بهم فيها بوسوسة شيطان أو حديث نفس وذلك لا يكاد يتخلو منه
 مسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقع له السهو في صلاته فضلا عن غيره ومن ثم أثبت
 الفقهاء باب سجود السهو في كتبهم وعن أنس الحمد لله على أن لم يقل في صلاتهم وقد مرّت

الاشارة الى بعض ذلك (فان قيل) ما معنى المرأة (أجيب) بأنهم مفاعلة من الاراء لان المرائي يرى الناس عمله وهم يرونه الثناء عليه والاعجاب به ولا يكون الرجل حرايا باظهار العمل الصالح ان كان فريضة فمن حق الفرائض الاعلان بها وتشهير بالقوله صلى الله عليه وسلم ولا غمة في فرائض الله لانها اعلام الاسلام وشعائر الدين ولان تاركها يستحق الذم والمقت فوجب اناطة الهمة باظهاره وان كان قاطوعا فحقه أن يخفى لانه مما لا يلام بتركه ولا تنهية فيه فان أظهره فاصد اللائق دأبه كان جعلا وانما الرياء أن يقصد بالاعطاف أن تراه الاعين فتنتي عليه بالصالح وعن بعضهم انه رأى رجلا في المسجد قد سجد سجدة الشكر وأطافها فقال ما أحسن هذا لو كان في بيتك وانما قال هذا لانه توسم فيه الرياء والسمعة على أن اجتناب الرياء صعب الاعلى المتراضين بالاخلاص ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم الرياء أخفى من ديب النملة السوداء في الليلة المظلمة على المسح الأسود ثم بين أن من هو به هذه الصفة يغلب عليه الشح بقوله تعالى (ويمنعون) أي على تجدد الاوقات (الماعون) أي حقوق الاموال والنسيئ السير من المنافع وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه الماعون القأس والدلو والقدر وأشبه ذلك وهي رواية عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضي الله عنهما وقال مجاهد الماعون أعلاها الزكاة المقروضة وأدناها عارية المتاع وعن علي أن الزكاة وقال محمد بن كعب والكلبي الماعون المعروف كله الذي يعاطاء الناس فيما بينهم وقال قطرب أصل الماعون من القلة تقول العرب ماله سعة ولا معنة أي شيء قليل فسمي الزكاة والصدقة والمعروف ماعونا لانه قليل من كثير وقيل الماعون ما لا يحل منه مثل الماء والملح والنفار وقول البيضاوي تبع للز مخشري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة أرايت غفر له ان كان للزكاة مؤثرا حديث موضوع

(سورة الكوثر وتسمى سورة الحركة)

في قول ابن عباس رضي الله عنهما والكلبي ومقاتل ومدينة في قول الحسن وعكرمة ومجاهد وقنادة وهي ثلاث آيات وعشر كلمات واثنان وأربعون حرفا

(بسم الله) الذي لاحد لفائض فضله (الرحمن) الذي شمل الخلاق بجوده فلا راد لامره (الرحيم) الذي خص حربه بالاعتصام بجعله وقوله تعالى (انا) أي بما لنا من العظمة (أعطيناك) أي خولناك مع التمكن العظيم يا شرف الخلق (الكوثر) أي نهر في الجنة هو حوضه صلى الله عليه وسلم ترد عليه أمته لما روى عن أنس أنه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين أظهرنا إذ غفا غفائة ثم رفع رأسه متبسمًا فقلنا ما أضحكك يا رسول الله قال أنزل على آتفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم انا أعطيناك الكوثر الى آخرها ثم قال أتدرون ما الكوثر قلنا الله ورسوله أعلم قال فانه ثم روعدينه ربي خير كثير هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آيته عدد النجوم فيعتلج العبد منهم فأقول رب انه من أمتي فيقول ما تدرى ما أحدث بعدك وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكوثر نهر في الجنة حافاه من ذهب ويجراه على الدر

والياقوت تربيته أطيب من المسك وماؤه أحلى من العسل وأبيض من الثلج وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دخلت الجنة فإذا أنا بنهر يجري بياضه بياض اللبن وأحلى من العسل وحافته خيام الدر فضربت بيدي فإذا الثرى مسك أذفرقت لجبريل ما هذا قال الكوثر أعطاك الله تعالى . وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حوضي مسيرة شهر ماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك وكنوزه كنجوم السماء من شرب منها لا يظم أبدا . وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنافطكم على الحوض ولا يرفعن إلى رجال منكم حتى إذا أهويت اليهم لاناواهم اختلطوا دوني فأقول أي رب أصحابي فيقال انك لا تدري ما أحدثوا بعدك . وعن ثوبان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن عرضة فقال من مقامي إلى عمان وسئل عن شرا به فقال أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل فيه ميزابان يمتدانه من الجنة أحدهما من ذهب والاخر من ورق . وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يرد على يوم القيامة رهطان من أصحابي أو قال من أمتي فيجلون عن الحوض فأقول أي رب أصحابي فيقول انه لا علم لك بما أحدثوا بعدك انهم ارتدوا على أديارهم القهقري . ولمسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ترد على أمتي الحوض وأنا أذود الناس عنه كما يذود الرجل ابل الرجل عن ابلة قالوا يابني الله تعرفنا قال نعم لكم سيما ليست لاحد غيركم تردون على غزاة مجملين من آثار الوضوء وليصذن عن طائفة منكم فلا يصلون فأقول يا رب هؤلاء من أصحابي فيجيبني فيقول وهل تدري ما أحدثوا بعدك وأحاديث الحوض كثيرة وفيما ذكرناه كفاية لأولي الألباب فنسأل الله تعالى أن يروينا منه نحن وأحبائنا ويدخلنا وإياهم الجنة بغير حساب . قال القاضي عياض أحاديث الحوض صحيحة والإيمان به فرض والتصديق به من الإيمان . وقال ابن عادل وهو على ظاهره عند أهل السنة والجماعة لا يتأول ولا يختلف فيه وحديثه متواتر النقل رواه خلائق من الصحابة اه . وقيل الكوثر القرآن العظيم وقيل هو النبوة والكتاب والحكمة وقيل هو كثرة أتباعه وقيل الكوثر الخير الكثير الذي أعطاه الله تعالى إياه . وعن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضى الله عنهما الكوثر الخير الكثير قال أبو بشر قلت لسعيد بن جبيرة أناس يزعمون أن الكوثر نهر في الجنة فقال سعيد النهر الذي في الجنة من الخير الكثير الذي أعطاه الله تعالى إياه وأصل الكوثر فوعل من الكثرة والعرب تسمي كل شيء كثيرا في العدد أو كثيرا القدر والخطر كوثر اقبل لأعرابية رجع ابنها من السفر أب ابنك قالت أب بكوثر وقال الشاعر

وأنت كثير يا ابن مروان طيب * وكان أبوك ابن العقائل كوثر

وقيل الكوثر الفضائل الكثيرة التي فضلها على جميع الخلائق * (تنبيه) * لا منافاة بين هذه الأقوال كلها فقد أعطى النبي صلى الله عليه وسلم النبوة والحكمة والعلم والشفاة والحوض المورود والمقام المجد وكثرة الاتباع واطفاله على الأديان كلها والنصر على الأعداء وكثرة الفتوح في زمنه وبعده إلى يوم القيامة وأولى الأفاضل في الكوثر وهو الذي

عليه جمهور العلماء انه من في الجنة * ولما كمل له سبحانه من النعم ما لا يأتي عليه حصري الا يناسب
أدناه نعيم الدنيا بما جعله سبب عنه قوله تعالى أمر اجمعها وجامع الشكر (فصل) أى قطع
العلائق عن الخلائق بالوقوف بين يدي الله تعالى في حضرة المراقبة شكر الاحسان المنعم خلافا
للساكن عنها والمرأى فيها (لربك) أى المحسن اليك بأنواع النعم من انعام من شئت فلا يسبيل لاحد
عليك (واخبر) أى أنفق له الكوثر من المال على المهاجرين خلافا لمن يدهمهم ويمنعهم الماعون
والخبر أفضل نفقات العرب لأن الجزور الواحد يغني مائة مسكين وإذا أطلق العرب المال
انصرف الى الابل وقال محمد بن كعب ان ناسا كانوا يصلون اغير الله تعالى ويغفرون اغير الله فأمر
الله تعالى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أن يصلي ويخبر الله عز وجل وقال عكرمة وعطاء وقتادة
فصل لربك صلاة العيديوم النحر واخبر نفسك واقصر على هذا الجلال المحلى وقال سعيد بن
جبير ومجاهد فصل الصلاة المفروضة بجمع أى من دلفة واخبر البدن بنفى وعن ابن عباس رضى
الله عنهما وضع اليدين على الشمال في الصلاة عند النحر وعن علي أن معناه أن يرفع يديه في التكبير
الى النحر وقال الكلبي استقبل القبلة بنحرك وعن عطاء أمره أن يستوى بين السجدين
جالسا حتى يبد ونحوره (ان شئتك) أى بمغضك والشائى المغض يقال شأه يشنؤه أى أبغضه
(هو الابتر) أى المنقطع عن كل خير وأما أنت فقد أعطيت ما لا غاية لكثرة من خير الدارين
الذى لم يعطه أحد غيرك فعطى ذلك كله هو الله رب العالمين فاجتمعت لك العطيتان السنيتان
اصابة أشرف عطاء وأوفر من أكرم معط وأعظم منم أو المنة قطع العقب لأن كل من يولد
الى يوم القيامة من المؤمنين فهم أعقابك وأولادك وذكر كرم فروع على المنابر والمنائر وعلى لسان
كل عالم وذكر الى آخر الدهر يبدأ بذكر الله تعالى ويثنى بذكره ولك في الآخرة ما لا يدخل تحت
الوصف فذلك لا يقال له أبترا انما الابتر هو شائك المسى في الدنيا والآخرة وقال الرازى هذه
السورة كالقابلة لآتى قبلها فانه ذكر فى الآلى البخل وترك الصلاة والرياء ومنع الماعون
وذكر ههنا فى مقابلة البخل انا أعطيناك الكوثر وفى مقابلة الصلاة فصل أى دم على الصلاة
وفى مقابلة الرياء لربك أى لرضاه خالصا وفى مقابلة منع الماعون واخبر أى تصدق بلهم الاضاحى
ثم ختم السورة بقوله تعالى ان شئتك هو الابتر أى ان الشاق الذى آتى تلك الافعال القبيحة
سيموت ولا يبقى له أثر وأما أنت فيبقى لك في الدنيا الذكر الجميل وفى الآخرة الثواب الجزيل
واختلف المفسرون فى الشائى فقيل هو العاص بن وائل وكانت العرب تسمى من كان له بنون
وبنات ثم مات البنون وبقي البنات أبترا فقيل ان العاص وقف مع النبي صلى الله عليه وسلم يكلمه
فقال له بجمع من صناديد قريش مع من كنت واقفا فقال مع ذلك الابتر وكان قد توفى قبل ذلك
عبد الله ابن النبي صلى الله عليه وسلم فنزل الآية وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان أهل
الجاهلية اذا مات ابن الرجل قالوا بتر فلان فلما توفى عبد الله ابن النبي صلى الله عليه وسلم خرج
أبو جهل الى أصحابه فقال بتر محمد فنزل وقال السدى ان قريشا كانوا يقولون لمن مات ذكرور
ولده قد بتر فلان فلما مات لرسول الله صلى الله عليه وسلم القاسم بمكة وابراهيم بالمدينة قالوا بتر محمد

فليس له من يقوم بأمره من بعده فترات وقيل لما أوحى الله تعالى إلى النبي صلى الله عليه وسلم دعا قریشا إلى الإيمان قالوا ابتزنا محمد أي خالفنا وانقطع عنا فترات * (تنبيه) * قال أهل العلم قد احتوت هذه السورة على قصرها على معان بليغة وأساليب بدیعة منها دلالة استهلال السورة على أنه تعالى أعطاه كثيرا من كثير ومنها اسناد الفعل إلى المتكلم المعظم نفسه ومنها إيراد بصيغة الماضي تحقيق الوقوع كما في قوله تعالى أتى أمر الله ومنها تأکید الجملة بأن ومنها بناء الفعل على الاسم ليقيد الاسناد مرتين ومنها الاتيان بصيغة تدل على مبالغة الكثرة ومنها حذف الموصوف بالكثرة لأن في حذفه من قرط الشباع والابهام ما ليس في اثباته ومنها تعريفه بأل الجنسية الدالة على الاستغراق ومنها فاء التعقيب الدالة على السبب فإن الانعام سبب للشكر والعبادة ومنها التعريض بمن كانت صلاته ونحوه لغير الله تعالى ومنها إن الامر بالصلاة إشارة إلى الاعمال الدينية التي الصلاة قوامها وأفضلها والامر بالنحر إشارة إلى الاعمال البدنية التي النحر أسناها ومنها حذف متعلق النحر إذا التقدير فصل لربك والنحر له ومنها مراعاة الجمع فانه من صناعة البديع العاري عن التكلف ومنها قوله تعالى لربك في الاتيان بهذه الصفة دون سائر صفاته الحسنى دلالة على أنه المربى له والمصلح بعمه فلا يمتس كل خير الا منه ومنها الالتفات من ضمير المتكلم إلى الغائب في قوله تعالى لربك ومنها الامر بترك الاهتمام بشأته للاستئناف وجعله خاتمة للاعراض عن الشانئ ولم يسمه ليشمل كل من اتصف بهذه الصفة القبيحة ولو كان المراد شخصا معينه الله تعالى ومنها التنبيه بذكر هذه الصفة القبيحة على أنه لم يصف الا بمجرد قيام الصفة به من غير أن تؤثر في شئ أو شيئا البتة لأن من يشأنه صاقد يؤثر فيه شئ أو شيئا ومنها تأکید الجملة بأن المؤذنة بتأکید الخبر ولذلك يتلقى بها القسم وتقدير القسم يصلح هنا ومنها الاتيان بضمير الفصل المؤذن بالاختصاص والتأکید ان جعلناه وفصلنا وان جعلناه مبتدأ فكذلك يقيد التأکید اذ يصير الاسناد مرتين ومنها تعريف الاثر بال المؤذنة بالخصوصية بهذه الصفة كأنه قيل الكامل في هذه الصفة ومنها اقباله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم بالخطاب من أول السورة إلى آخرها وقول البيضاوي تبعاً للزمخشري عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكوثر سقاها الله من كل نهر في الجنة ويكتب له عشر حسنات بعد ذلك قربان قرب به العباد في يوم النحر أو يقربونه حديث موضوع

(سورة الكافرون مكية)

في قول ابن مسعود والحسن وعكرمة ومدينة في أحد قول ابن عباس وقتادة والتضال وتسمى أيضا سورة المعابدة والاخلاص لانها في اخلاص العباد والدين كما أن قل هو الله أحد في اخلاص التوحيد واجتماع النفاق فيهما محال لمن اعتقدهما وعمل بهما ويقال لها ولسورة الاخلاص المشقشتان أي المبرتان من النفاق قال الشاعر
أعيدك بالمشقشتين مما * أحاذره ومن نظر العيون

وهي ست آيات وستة وعشرون كلمة وأربعة وسبعون حرفاً

(بسم الله) الذي لا يستطيع أحد أن يقدره حق قدره (الرحمن) الذي عم برحمته من أوجب عليهم شكره (الرحيم) الذي وفق أهل وده فالتزموا منه وأمره وقوله تعالى (قل) أي يا أشرف الخلق (يا أيها الكافرون) إلى آخر السورة نزل في رهط من قريش منهم الحرث بن قيس السهمي والعاص بن وائل والوليد بن المغيرة والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب بن أسد وأمية ابن خلف قالوا يا محمد هلم فاتبع ديننا وتتبع دينك ونشركك في أمرنا كله تعبد آلهم مناسنة ونعبد الهك منسنة فان كان الذي جئت به خيراً لكأ قد شر كالك فيه وأخذنا حافاً منسنة وان كان الذي بأيدينا خيراً كنت قد شر كسنا في أمرنا وأخذت بخطك منه فقال معاذ الله أن نشرك له غيره قالوا فاستلم بعض آلهم مناصدة ونعبد الهك قال حتى انظر ما يأتي إلى من ربي فانزل الله تعالى هذه السورة فغدا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المسجد الحرام وفيه الملا من قريش فقام على رؤسهم ثم قرأ عليهم حتى فرغ من السورة فأيسوا منه عند ذلك وأذوه وأصحابه وفي مناداتهم بهذا الوصف الذي يستدلونه في بلدهم ومحل عزهم وجمعتهم ايدان بأنه محروس منهم علم من أعلام النبوة (فان قيل) ما الحكمة في قوله تعالى في التحريم يا أيها الذين كفروا وههنا قال قل يا أيها الكافرون (أجيب) بأن في سورة التحريم انما يقال لهم يوم القيامة وشم لا يكون رسول اليهم فأزال الوساطة فيكونون في ذلك الوقت مطيعين لا كافرين فلذلك ذكره تعالى بلفظ الماضي وأما هنا فكانوا موصوفين بالكفر وكان الرسول رسولاً اليهم فقال تعالى قل يا أيها الكافرون أي الذي قد حكم بنبأهم على الكفر فلا انفكالك لهم عنه فستروا ما تدل عليه عقولهم من الاعتقاد الحق لو جردوا من ادناس الحلف وهم كفرة مخصوصون وهم من حكم عونه على الكفر بما طابقه من الواقع ودل عليه التعبير بالوصف دون الفعل واستغرق اللام كل من كان على هذا الوصف في كل مكان وكل زمان والتعبير بالجمع الذي هو أصل في القلة وقد يستعار للكثرة إشارة إلى البشارة بقوله المطبوع على قلبه من العرب المخاطبين بهذا في حياته صلى الله عليه وسلم وقال الله تعالى له قل يا أيها الكافرون لانه صلى الله عليه وسلم كان مأموراً بالرفق واللين في جميع الامور كما قال تعالى ولو كنت فظاً غليظاً العقاب لانقضوا من حولك وقال تعالى فيما رجة من الله لنت لهم وقال تعالى بالمومنين رؤوف رحيم ثم كان مأموراً بأن يدعوهم إلى الله تعالى بالوجه الاحسن فلذا خاطبهم بيا أيها فكانوا ية ولون كيف يليق هذا التغليظ بذلك الرفق فأجاب بأن مأمور بهذا الكلام لا أن يذكره من عند نفسه ولما كان القصد اعلامهم بالبراءة منهم من كل وجه وأنه لا يسالي بهم بوجه لانه محفوظ منهم قال (لا أعبد) أي الآن (ما تعبدون) من دون الله من المعبودات الظاهرة والباطنة بوجه من وجود العبادات في سر ولا علن لانه لا يصلح للعبادة بوجه (ولا أنتم عابدون) أي الآن (ما أعبد) وهو الله تعالى وحده (ولا أنا عابد) أي في الاستقبال (ما عبدتم) من دون الله تعالى (ولا أنتم عابدون) أي في الاستقبال (ما أعبد) وهو الله وحده لا شريك له وهذا خطاب لمن علم الله تعالى

منهم أنهم لا يؤمنون وإطلاق ما على الله تعالى على جهة المقابلة وبهذا زال التكرار ووجه التكرار كما قال أكثر أهل المعاني هو أن القرآن نزل بلسان العرب وعلى مجارى خطابهم ومن مذاهبتهم التكرار لإرادة التأكيّد والافهام كما أن من مذاهبتهم الاختصار لإرادة التخفيف والابحار فالقائل بالتأكيّد يقول قوله تعالى ولا تأعبوا عبادي كما يقول تعالى لا تأعبوا عبادي وقوله تعالى ولا تأعبوا عبادي كما يقول تعالى ولا تأعبوا عبادي ثم كلاسوف تعلون وفي الحديث فلا إذن ثم لا إذن انما فاطمة بضعة مني وفائدة التأكيّد هنا ثم كلاسوف تعلون وفي الحديث فلا إذن ثم لا إذن انما فاطمة بضعة مني وفائدة التأكيّد هنا قطع أطماع الكفار وتحقيق الاخبار وهو اقامتهم على الكفر وأنهم لا يسلمون أبداً وعلى الاول قد تقدمت كل جملة بزمان غير الزمان الآخر قال ابن عادل وفيه نظر كيف بقدر رسول الله صلى الله عليه وسلم نفي عبادة ما يعبدون بزمان وهذا مما لا يصح اهـ وقدير هذا بأنه صلى الله عليه وسلم نفي في الجملة الاولى الحال وفي الثانية الاستقبال وقول اليساوى فان لا لا تدخل الاعلى مضارع بمعنى الاستقبال كما ان لا لا تدخل الاعلى المضارع بمعنى الحال جرى على الغالب فيهما ولما أيس منهم صلى الله عليه وسلم قال (لكم دينكم) أى الذى أنتم عليه من الشريعة (ولى دين) أى الذى أنا عليه من التوحيد ودودين الاسلام وفى هذا معنى التهديد كقوله تعالى لنأى أعمالنا ولكم أعمالكم أى ان رضىتم بدينكم فقد رضىنا بديننا وهذا كما قال الجلال المحلى قبل أن يؤمر بالحرب وقيل السورة كلها منسوخة وقيل ما نسخ منها شئ لانها خبر ومعنى لكم دينكم أى جزاء دينكم ولى دين أى جزاء دينى وسمى دينهم ديننا لانهم اعتقدوه وقيل المعنى لكم جزاؤكم ولى جزاؤى لان الدين الجزاء وحذفت ياء الاضافة من دين للبعية وقفاً ووصلنا وقرأ نافع وهشام وحفص والبرقي بخلاف عنه بفتح الياء والباقون بأسكانها * (فائدة) * قال الرازى جرت العادة بأن الناس يتشاورون بهذه الآية عند المشاركة وذلك غير جائز لانه تعالى ما أنزل القرآن ليتمثل به بل ليتدبر فيه فيعمل بموجبه وقول اليساوى تعالى لم يخشى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكافرين فكأنما قرأ ربع القرآن وتباعدت منه هرمة الشياطين وبرئ من الشرك وبغافى من القزع الا كبر حديث موضوع الا جملة الاولى منه فرواها الترمذى

(سورة النعصر مدنية)

بالاجماع وتسمى سورة التوديع وهى ثلاث آيات وستة عشرة كلمة وتسعة وسبعون حرفاً

(بسم الله) الذى له الامر كله فهو العليم الحكيم (الرحمن) الذى أرسل رحمة من الله العلى العظيم (الرحيم) الذى خص أهل وده بقضاه العميم وقوله تعالى (إذا) منصوب بسم (بسم) منصوب (الله) أى الملك الاعظم الذى لا مثل له ولا أمر لاحد معه باظهاره اياك على أعدائك ومعنى جاء استقر وثبت فى المستقبل عجى وقته المضروب له فى الازل وزاد فى تعظيمه بالاضافة ثم يكون

الى اسم الذات وقرا حزة وابن ذكوان بالمائة الالف بعد الجيم محضة والباقيون بالفتح
والاعلام به قبل كونه من اعلام النبوة وروى أمهات في أيام التشريق حتى في حجة الوداع
(والفتح) أي فتح مكة وهو الفتح الذي يقال له فتح الفتوح وقصته مشهورة في البغوى وغيره فلا
تفصيل بذكرها وكان فتح مكة ثعشر مضيق من شهر رمضان سنة ثمان ومع رسول الله صلى الله عليه
وسلم عشرة آلاف من المهاجرين والانصار وطواف العرب وأقام بها خمس عشرة ليلة ثم خرج
الى هوازن وحين دخلها وقف على باب الكعبة ثم قال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق
وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال يا أهل مكة ما ترون انى فاعل بكم قالوا خير اخ
كريم وابن أخ كريم ثم قال اذهبوا فانتم الطلقاء فأعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الله
تعالى قد أمكنه من رفاههم عنوة وكانوا له فيا فلذلك سمي أهل مكة الطلقاء ثم يابعوهم على الاسلام
في دين الله تعالى في مله الاسلام التي لا دين له يضاف اليه غيرها ومن يتبع غير الاسلام دينان لن
يقبل منه وقيل المراد جنس نصر الله تعالى المؤمنين وفتح بلاد الشرك عليهم (فان قيل) ما الفرق
بين النصر والفتح حتى عطف عليه (أجيب) بأن النصر الاعانة والاطهار على العدو ومنه نصر
الله تعالى الارض أعانها قال الشاعر

إذا انسح الشير الحرام فودعى * بلاد تميم وانصرى آل عامر

وبروى اذا دخل الشير الحرام فخاوزى * بلاد تميم وانصرى أرض عامر

والفتح فتح البلاد وقال الرازى الفرق بين النصر والفتح أن الفتح هو الاعانة على تحصيل
المطلوب الذي كُن متعلقا به والنصر كالسبب للفتح فلهذا بدأ بذكر النصر وعطف
الفتح عليه (فان قيل) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان دائما منصورا باللائل والمعجزات
فما المعنى بتخصيص لفظ النصر بفتح مكة (أجيب) بأن المراد من هذا النصر هو النصر
الموافق للطبع (فان قيل) النصر لا يكون الا من الله تعالى قال الله تعالى وما النصر الا من
عند الله العزيز الحكيم فما فائدة التقييد بنصر الله (أجيب) بأن معناه نصر لا يليق الا بالله
تعالى كما يقال هذا صنعة زيد اذا كان مشهورا باحكام الصنعة والمقصود منه تعظيم حال
تلك الصنعة فكذا هيئنا (فان قيل) الذين أعانوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على فتح مكة
هم أصحابه من المهاجرين والانصار ثم انه تعالى سمي نصرتهم لرسوله صلى الله عليه وسلم
نصر الله فما السبب في ذلك (أجيب) بأن النصر وان كان على يد العبيد لكن لا بد له من داع
وباعث وهو من الله تعالى (فان قيل) فعلى هذا الجواب يكون فعل العبد مقدما على فعل الله
تعالى وهذا بخلاف النصر لانه تعالى قال ان تنصروا الله ينصركم يجعل نصره مقدا على نصره
لنا (أجيب) بأنه لا امتناع في أن يكون فعل العبد سببا لفعل آخر يصدر عن الله تعالى فان
أسباب الحوادث ومسبباتها على ترتيب عجيب تعجز عن ادراك العقول البشرية * ولما
عبر عن المعنى بالمجي عبر عن المرتب بالرؤية فقال تعالى (ورأيت) أي يبصر (الناس)
أي العرب الذين كانوا حذيرين عند جميع الامم فصاروا بآلهم الناس كما دلت عليه لام

الكمال وصار سائر أهل الأرض لهم اتباعاً وبالنسبة اليهم رعايا حال كونهم (يدخلون) سبياً
 قسماً متجداً يدخلواهم مستقراً (في دين الله) أي شرع من لم يزل كلمته هي العليا (أفواجاً) أي
 جماعات كثيفة كانت تدخل فيه القبيلة بأسرها بعدما كانوا يدخلون فيه واحداً واحداً واثنين
 اثنين وعن جابر بن عبد الله أنه بكى ذات يوم فقبل له في ذلك فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه
 وسلم يقول دخل الناس في دين الله أفواجاً وسيخرجون منه أفواجاً وقال عكرمة ومقاتل أراد
 بالناس أهل اليمن وذلك أنه ورد من اليمن سبع مائة انسان مؤمنين طائعين بعضهم يؤذنون
 وبعضهم يقرؤون القرآن وبعضهم يملكون فسر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك قال أبو هريرة
 لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أكبر جاء نصر الله والفتح وجاء أهل اليمن قوم
 رقيقة قلوبهم الايمان يمان والفرقة يمان والحكمة يمانية وقال أجد نفس ربكم من قبل اليمن
 وفي هذا تأويلات أحدها انه المرجح لتتابع اسلامهم أفواجاً الثاني ان الله تعالى نفس
 الكبر عن نبيه صلى الله عليه وسلم بأهل اليمن وهم الانصار وعن الحسن لما فتح رسول الله
 صلى الله عليه وسلم مكة أقبلت العرب بعضها على بعض فقالوا أما اذ ظفر بأهل الخرم فليس
 به يدان وقد كان الله أجارهم من أصحاب القيل ومن كل من أرادهم فكانوا يدخلون
 في الاسلام أفواجاً من غير قتال أمة بعد أمة قال النحاش والامة أربعون رجلاً * (تنبيه)
 دين الله تعالى هو الاسلام لقوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام وقال تعالى ومن يتبع غير
 الاسلام ديناً فلن يقبل منه وازافة الدين الى الاسم الدال على الالهية اشارة الى أنه يجب ان
 يعبد لكونه الهاً ولالذين اسماء أخر منها الصراط قال تعالى صراط الله ومنها النور يريدون
 ليطقوا نور الله ومنها الهدى قال تعالى هدى الله يهدي به من يشاء ومنها العروة الوثقى قال
 تعالى ومن يؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى ومنها الحبيل المتين قال تعالى واعصموا
 بحبل الله ومنها اصبغة الله ومنها فطرة الله * (تنبيه) * جمهور الفقهاء وأكثر المتكلمين على أن
 ايمان المقلد صحيح واحتجوا بهذه الآية قالوا ان الله تعالى حكم بصفة ايمان أولئك الافواج
 وجعلهم من أعظم المن على نبيه صلى الله عليه وسلم فلم يكن ايمانهم صحيحاً لما ذكره في هذا
 المعرض ثم اننا علم قطعاً انهم ما كانوا يعرفون حدوث الاجسام بالدليل ولا اثبات كونه تعالى
 علماً بجميع المعلومات التي لانهاية لها ولا اثبات الصفات والتزيينات بالدليل والعلم بأن
 أولئك الاعراب ما كانوا عاقلين بهذه الدقائق ضروري فعلما ان ايمان المقلد صحيح (فان قيل)
 انه لم كانوا عاقلين بأصول دلائل هذه المسائل لان أصول هذه الدلائل ظاهرة بل كانوا جاهلين
 بالتفاصيل (أجيب) بأن الدليل لا يقبل الزيادة والنقصان فان الدليل اذا كان مثلاً من عشر
 مقدمات فن علم تسعة منها وكان في المقدمة العاشرة مقلداً كان في النتيجة مقلداً الاحتمال * ولما
 كمل الدين أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يشغل بنفسه فقال عز من قائل (فسبح)
 أي نزه بقولك وفعلك بالصلاة وغيرها سبحانه متبساً (بحمد ربك) أي الذي أنجز لك الوعد
 بكامل الدين وقع المعصدين المحسن اليك بجميع ذلك لان هذا كله انكر امتك والافهو عزيز

جسد على كل حال تعجبا للتبشير الله تعالى لهذا الفتح الذي لم يختر بيال أحد حامدا له عليه
أوفصل له حامدا على نعمه قاله ابن عباس روى أنه صلى الله عليه وسلم لما دخل مكة بدأ بالسجود
فدخل الكعبة وصلى غان ركعتين (واستغفره) أي اطلب عفرا له لتقتدي بك أمتك
في المواظبة على الأمان الثاني فإن الأمان الذي هو وجودك بين أظهرهم قد دنا
وسجوعه إلى معدنه في الرفيق الأعلى والمحل الأقدس وفي ذلك إشارة إلى أنه لا يقدر أحد أن
يقدر الله تعالى حق قدره كما أشار إلى ذلك الاستغفار عقب الصلاة التي هي أعظم العبادات
وفي الصحيحين عن عائشة أنها قالت ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة بعد أن نزلت عليه
سورة اذا جاء نصر الله والفتح الا يقول أستغفر الله وأتوب إليه قال فاني أمرت بهائم قرأ اذا جاء
نصر الله والفتح الى آخرها وقال عكرمة لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم قط أشد اجتهادا في أمور
الآخرة ما كان عند نزولها وقال مقاتل لما نزلت قرأها النبي صلى الله عليه وسلم على أصحابه
وفهم أبو بكر وعمر وسعد بن أبي وقاص والعباس فقرحوا واستبشروا وبكى العباس فقال له
النبي صلى الله عليه وسلم ما يكميك يا عم قال نعت اليك نفسك قال انه كما قلت فعاش بعدها
ستون يوما ما روى فيها ضاحكا مستبشرا وقيل نزلت في منى بعد أيام التشريق في حجة الوداع
فبكى عمر والعباس فقيل لهما هذا يوم فرح فقالا لا بل فيه نعي النبي صلى الله عليه وسلم وعن ابن
عمر نزلت هذه السورة بنى في حجة الوداع ثم نزل اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي
فعاش صلى الله عليه وسلم بعدها ثمانين يوما ثم نزلت آية الكلاله فعاش بعدها خمسين يوما
ثم نزلت لقد جاءكم رسول من أنفسكم فعاش بعدها خمسة وثلاثين يوما ثم نزل واقفوا يوم ترجعون
فيه الى الله فعاش بعدها أحد وعشرين يوما وقال مقاتل سبعة أيام وقبل غير ذلك وقال الرازي
اتفق الصحابة على أن هذه السورة دلت على نعي رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك لوجوه
أحدها أنهم عرفوا ذلك لما خطب صلى الله عليه وسلم عقب السورة وذكر التخيير وهو قوله صلى
الله عليه وسلم في خطبته لما نزلت هذه السورة أن عبد اخبر الله بين الدنيا وبين لقائه فاختر لقاءه
الله فقال أبو بكر رضي الله عنه فديناك بأنفسنا وأموالنا وأبائنا وأولادنا نأبها الله لما ذكر
حصول النصر والفتح ودخول الناس في الدين أفواجا دل ذلك على حصول الكمال والتمام
وذلك يستعقبه الزوال كما قيل

إذا تم أمر بدائقه * توقع زوالا إذا قيل تم

ثالثها أنه تعالى أمره بالتبشير والحد والاسمعة غفار مطلقا واشتغاله بذلك يمنع من الاشتغال
بأمر الأمة فكان هذا كالتبشير على أن أمر التبليغ قد تم وكل وذلك يقتضى انقضاء الاجل
اذ لو بقي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك لكان كالمعزول من الرسالة وذلك غير جائز وعن ابن عباس
ان عمر كان يدينه ويأذن له مع أهل بدر فقال عبد الرحمن أتأذن لهذا الفتي معنا وفي آبائنا
من هو مثله فقال انه من قد علمت قال ابن عباس فأذن لهم ذات يوم وأذن لي معهم فساءلهم
عن قول الله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح ولا أراهم الا من أجل فقال بعضهم أمر الله

تعالى نبيه اذا فتح عليه ان يستغفره ويتوب اليه فقلت ليس كذلك ولكن نعت اليه نفسه
 فقال عمر ما أعلم منها الا مثل ما تعلم ثم قال كيف تظنوني عليه بعد ما ترون وروى أنه صلى الله
 عليه وسلم دعا فاطمة رضي الله عنها فقال يا بنتاه اني نعت الى نفسي فبكت فقال لا تسبكي فانك
 أول أهلي لحوقا بي وعن عائشة كان صلى الله عليه وسلم يكثر قبل موته ان يقول سبحانك اللهم
 وبحمدك أستغفرك وأتوب اليك وعنها أيضا ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة
 بعد أن نزلت اذا جاء نصر الله والفتح الا يقول فيها سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي وقالت
 أم سلمة رضي الله عنها كان النبي صلى الله عليه وسلم آخر أمره لا يقوم ولا يقعد ولا يجبي ولا يذهب
 الا قال سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب اليه قال فاني أمرت به انهم قرأ اذا جاء نصر الله
 والفتح الى آخرها وقيل استغفره هضم النفسك واستغفار العملك واستغفرا كالمافروا
 منك بالالتفات الى غيره وعنه عليه الصلاة والسلام اني أستغفر الله في اليوم والليلة مائة مرة
 وقيل استغفر لامتك وتقديم التسيح ثم الحمد على الاستغفار على طريق النزول من الخالق الى
 الخلق كما قيل ما رأيت شيئا الا ورأيت الله قبله ولما أمره الله تعالى بالتسيح والاستغفار
 أرشده الى التوبة بقوله تعالى (انه) أي المحسن اليك بالنصر والفتح وغير ذلك مما لا يدخل
 تحت المحصر (كان) أي ولم يزل (نوبا) أي رجاء ما عن ذهب به الشيطان من أهل رحمته فهو الذي
 رجع بأنصارك عما كانوا عليه من الاجتماع على الكفر والاختلاف والعداوات فأبدل الله
 تعالى بدخولهم في الدين شيئا فشيئا الى ان دخلت مكة بعشرة آلاف وهو أيضا يرجع بك الى الحالة
 التي يزداد بها ظهور رفعتك في الرفيق الاعلى قال الله تعالى وللاخرة خير لك من الاولى
 فتفوز بتلك السعادات العالية وعن ابن مسعود ان هذه السورة تسمى سورة التوديع قال
 قتادة ومقاتل عاش النبي صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه السورة سنتين وهذا بناء على انها
 نزلت قبل فتح مكة وهو قول الاكثر فان الفتح كان في سنة ثمان وأثامن قال عائشة دون ذلك
 كما مر فبناء على انها نزلت بعني في حجة الوداع كما مر أيضا * (تنبيه) في الآية سوالات أحدها
 ان قوله تعالى كان نوبا يدل على الماضي وحاجتنا الى قبوله في المستقبل ثانياها هل حال غفارا
 كما قال في سورة نوح عليه السلام ثالثها انه قال تعالى نصر الله وقال تعالى في دين الله وقال
 تعالى بحمد ربك ولم يقل بحمد الله (وأجيب) عن الاول بوجوه أحدها ان هذا بلغ كأنه
 يقول اني تبت على من هو أقبح فعلا منكم كاليهود فانهم بعد ظهور المعجزات العظيمة كطلاق البحر
 وتيق الجبل ونزول المن والسلوى عصوا ربهم وأوابا ليعاينهم ولما تابوا قبلت توبتهم فاذا كنت
 قابلا لتوبة أولئك وهم دونكم أفلا أقبل توبتكم وأنتم خير أمة أخرجت للناس ثانياها اني
 شرعت في توبة العصاة والشروع ملازم على قول النعمان فكيف في كرم الرحمن ثالثها كنت
 نوبا قبل أمركم بالاستغفار أفلا أقبل وقد أمرتكم بالاستغفار رابعها كأنه أشار الى
 تخفيف جنايتهم أي استم أول من جنى وتاب والمعصية اذا عمت خفت حاصمها كأنه نظير
 ما يقال لقد أحسن الله اليك فيما مضى كذلك يحسن اليك فيما بقى (وأجيب) عن الثاني

بوجهين أحدهما العلم خصل هذه الامة بزيادة الشرف لانه لا يقال في صفات العبد غفار ويقال
 ثواب اذا كان آتيا بالتوبة فيقول تعالى كنت لي سميما من أول الامر أنت مؤمن وأنا مؤمن
 وإن كان المعنى مختلفا فبالتوبة حتى تصير سميما في آخر الامر وأنت ثواب وأنا ثواب ثم الثواب
 في حق الله تعالى انه يقبل التوبة كثيرا فيجب على العبد أن يكون آتيا بالتوبة كثيرا ثانيهما انه
 تعالى انما قال ثوابا لأن الثواب قديم يقول استغفر الله وليس بتائب كقوله عليه الصلاة والسلام
 المستغفر بلسانه المصير بقلبه كالسهم زى بره (فان قيل) قديم قول التوب وليس بتائب (أجيب)
 بأن ذاك يكون كاذبا لأن التوبة اسم للرجوع والندم بخلاف الاستغفار فانه لا يكون كاذبا فيه
 فصارت تقدير الكلام واستغفره بالتوبة وفيه تنبيه على أن خواتيم الاعمال يجب أن تكون
 بالتوبة والاستغفار فكذلك خواتيم الاعمار (وأجيب) عن الثالث بأنه تعالى راعى العدل
 فذكر اسم الذات مرتين وذكر اسم الفعل مرتين أحدهما الرب والثاني الثواب ولما كانت
 التوبة تحصل أولا والتوبة آخر لا جرم ذكر اسم الرب أولا واسم التوبة آخر اذ سأل الله تعالى
 من فضله وكرمه ان يمن علينا بتوبة تصوح لاني كنت بعدها أبدا فانه كريم رحيم وقول البضاوي
 تبعه اللزخشمري عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة اذا جاء نصر الله أعطى من الاجر كن
 شهد مع محمد يوم فتح مكة حديث موضوع

﴿سورة تبت مكينة﴾

وهي خمس آيات وثلاث وعشرون كلمة وسبعة وسبعون حرفا

(بسم الله) المتكبر الجبار المذل الهاد (الرحمن) الذي عم خلقه بنعمه بعد الاكرام بالايحادي
 (الرحيم) الذي خضع بتوفيقه أهل الوداد وقوله تعالى (تبت يد أبي لهب) دعاء عليه وسبب
 نزول ذلك ما روى عن ابن عباس أنه قال لما نزل قوله تعالى وأندر عرشك الاقرب بين سعد صلى
 الله عليه وسلم الصفا وجعل يسأدي يابني فهر يابني عدى لبطن قريش حتى اجتمعوا عنده ففعل
 الرجل اذا لم يستطع أرسل رسولا لينظر ما هو فجاء أبو لهب وقريش فقال أرايتم لو أخبرتكم
 ان العدو مصبحكم أو ممسيكم أما كنتم تصدقون قالوا بلى قال فاني نذير انكم بين يدي عذاب
 شديد فقال أبو لهب تبالك هذا دعوتنا جميعا فنزلت وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم خرج
 الى البطحاء فصعد الجبل ونادى يا صبا احاه فاجتمعت اليه قريش وذكر نحوه وفي رواية فصعد
 الصفا فنهتف يا صبا احاه فقالوا من هذا الذي هممف فقالوا الحمد فاجتمعوا اليه فقال صلى الله عليه
 وسلم أرايتم لو أخبرتكم ان خيلا تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقني قالوا ما جربنا عليك
 كذبا قال فاني نذير انكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب تبالك أما جعنا الا لهذا فنزلت
 وعن أبي زيد ان أباهب أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ماذا أعطى ان أمنت بك يا محمد فقال
 صلى الله عليه وسلم كما يعطى المسلمون فقال ما لي عليهم فضل فقال صلى الله عليه وسلم وأي شيء
 تبتغي قال تباليه هذا من دين أن أكون وهؤلاءا سواء فنزلت ومعنى تبت تب قال ابن عباس خابت
 وقال قتادة خسرت وقال عطاء ضلت وقال ابن جبير هلكك والنياب الهلاك ومنه قولهم

اسبابه أم تابة أي هالكة من الهرم والتعجز والمعنى هلك يده لانه فيما يروى أخذ حجر البري
به النبي صلى الله عليه وسلم وقيل رماه به فأدى عقبه فلهذا ذكر اليد وان كان المراد جلة
البدن فهو كقولهم خسرت يده وكسبت يده فأضيفت الافعال الى اليد وذلك على عادة العرب
في التعبير بعض الشيء عن كله وجميعه أو عبر باليد لان الغالب ان الاعمال تراول بهم ما قال
يمان بن رباب صفرت من كل خير حكى الاصمعي عن أبي عمرو بن العلاء انه لما قتل عثمان سمع
الناس هاتفا يقول لقد خاولك وانصرفوا * فما أبوا ولا رجعوا

ولم يوفوا نذرهم * فتبأ الذي صنعوا

وقيل المراد باليد دينه ودينه أو أولاده وعقباه أو المراد بأحدهما جرة المنفعة وبالاخرى دفع
المضرة أو لولان اليمن سلاح واليسرى جنة وأبولهب هو ابن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه
وسلم واسمه عبد العزى (فان قيل) لماذا كنى بذلك ولم يكن له ولد اسمه لهب وأيضا فالتسكنية من
باب التعظيم (أجيب) عن الاول بأن الكنية قد تكون اسما كما سمي أبو سفيان وأبولهب
ونحو ذلك فان هؤلاء أسماءهم كلها وأبولهب وجنتيه وكان مشرق الوجه أجزم (وأجيب) عن
الثاني بوجه أحدها أنه لما كان اسما خرج عن افادة التعظيم ثانيه ان اسمه كان عبد العزى كما مر
فعمل منه الى كنيته لقبج اسمه لان الله تعالى لم يصف العبودية في كتابه الى صنم ثالثا انه لما
كان من أهل النار وما له الى نار ذات لهب وافقت حاله كنيته فكان جديرا بان يذكر بها
كقولهم أبو الخير وأبولهب وروى ما منه أولان الكنية كانت أغلب من الاسم وأولانها
أقص منه ولذلك ذكر الانبياء عليهم الصلاة والسلام بأسمائهم دون كناههم وقال الرمنخري
فان قلت لما كناه والكنية تكرمة ثم ذكر ثلاثة أجوبة أما الشهرة بكنيته وأما لقبج اسمه كما تقدم
وأما لانه لما كان من أهل النار وما له الى نار ذات لهب وافقت حالته كنيته اه وهذا يقتضى
ان الكنية أشرف من اللقب لأنقص وهو عكس قول تقدم وقرأ ابن كثير باسكان الهاء
والباقون يفتحها وهما لغتان بمعنى نحو النهر والنهر وقوله تعالى (وتب) خبر كما يقال أهلك
الله وقد هلك فالاول أخرج مخرج الدعاء عليه والثاني أخرج مخرج الخبر فيحقق به ما يريد من
الاسناد الى المدين من الكتابة عن الهلاك الذى لا بقاء بعده وقيل المراد بالاول ماله وملكه
كما يقال فلان قليل ذات اليد يعنون به المال والثاني نفسه * ولم ادع صلى الله عليه وسلم أقربيه
الى الله تعالى وخوفهم النار قال أبولهب ان كان ما يقول ابن أخي حقا فاني أقصدى نفسي بمالى
وولدى فأزل الله تعالى (ما أغنى عنه) أى عن أبي لهب (مات) أى الكثير الذى جرت العادة
أنه ينبج من الهلاك فانه كان صاحب مواش كثيرة (وما كسب) أى من الولد والاصحاب
والعز بعشيرته التى كان يؤذى بها النبي صلى الله عليه وسلم وكان ابنه عتبة شديد الاذى للنبي
صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم سلط عليه كتابا من كلابك فكان أبولهب
يعرف أن هذه الدعوة لا بد أن تدركه فساهم الى الشام فأوصى به الرفاق لينجوه من هذه الدعوة
فكانوا يحدقون به اذا نام ليكون وسطهم والحول محيطة بهم وهم محيطون بها والركاب محيطة

بهم فلم ينفعه ذلك بل جاء الاسد فتشتم الناس حتى وصل اليه فاقتلع رأسه وانما كان الولد من
 الكسب لقوله صلى الله عليه وسلم أطيب ما يأكل أحدكم من كسبه وإن ولد من كسبه
 * (تنبيه) * ما في ما أغنى يجوز فيه النفي والاستفهام فعلى الاستفهام تكون منصوبة المحل
 بما بعدها التقدير أى شئ أغنى المال وقدم لكونه له صدر الكلام ويجوز فى ما في قوله تعالى
 وما كسب أن تكون بمعنى الذى فالعائد محذوف وأن تكون مصدرية أى وكسبه وأغنى
 بمعنى يغنى ثم أوعده سبحانه بالنار فقال تعالى (سيصلى) أى عن قريب بوعده لا خلف فيه (ناراً)
 يندس فيها وتنعطف عليه وتحيط به (ذات لهب) أى لا تسكن ولا تخمد أبداً لأن ذلك مدلول
 الصلبة المعبر عنها بذات وذلك بعد موته ولما أخبر تعالى عنه بكال الباب الذى هو نهاية
 الخسار زاده فحق يراد كرم بصونهم بأزرى صورة وأشنعها بقوله تعالى (وامرأته) وهو
 عطف على ضمير صلى سوغه الفصل بالمفعول وصفته وهى أم جميل وهى أخت أبي سفيان بن
 حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي مثل زوجها فى التباب والصلى من غير أن يغنى
 عنها شئ من مال ولا حسب ولا نسب وعدل عن ذكرها بكنيتها لأن صفتها القباحة وهى ضد
 كنيتهما قال البقاعى ومن هنا يؤخذ كراهة التلقب بناصر الدين ونحوها لمن ليس متصفاً بآصال
 عليه لقبه وقوله تعالى (حالة الخطب) فيه وجهان أحدهما هو حقيقة قال قتادة وكانت
 تعبى النبي صلى الله عليه وسلم بالفقر ثم كانت مع كثرة ماله تحمل الخطب على ظهرها الشدة
 بحملها فعبرت بالخل وقال ابن زيد كانت تحمل العظام والشوك فلقبته فى الليل فى طريق
 النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فكان النبي صلى الله عليه وسلم يطؤه كما يطأ الحرير وقال بزة
 الهمدانى كانت أم جميل تأتى فى كل يوم بابالة من الحسن فتطرحها فى طريق المسكين فيبغها
 ذات ليله حامله حزمة عمت فقعدت على حجر ترمى فذهب الملائكة خلفها فأهلكها الوجه
 الثانى أن ذلك مجاز عن المشى بالنميمة ورمى الفتى بين الناس وبقاى للشايعين الناس بالنمائم
 المفسدين الناس يحمل الخطب منهم أى يوقدينهم النار ويثير الشر قال الشاعر
 من البيض لم تصعد على ظهر لائمة * ولم تمس بين الناس بالخطب الرطب
 جعله رطباً ليدل على التدخين الذى هو زيادة فى الشر وقال سعيد بن جبير حالة الخطايا
 والذنوب من قولهم فلان يخطب على ظهره قال تعالى يحملون أوزارهم على ظهورهم وقرأ
 عاصم بنصب النائم من جملة على الشتم قال الزمخشري وأنا أستحب هذه القراءة وقد توسل الى
 رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب شتم أم جميل اه والباقون يرفعها على أنها صفة امرأته
 فانها مرفوعة باتفاق أما بالعطف على الضمير فى سيصلى كما ترى ويكون قوله تعالى (فى جدها
 جبل) حالاً من امرأته أو على الابتداء فى جدها جبل هو الخبر وجبل فاعل به ويجوز أن يكون
 فى جدها خبراً مقدماً وجبل مبتدأ مؤخر أو الجملة حالية أو خبر ثان والجميد العنق ويجب مع على
 أجياد وقوله تعالى (من مسد) صفة لجبل والمسد ليف المقل وقيل الليف مطلقاً وقال أبو عبيد هو
 جبل يكون من صوف وقال الحسن هى حبال من شجر ينفث بالين يسمى المسد وكانت تقفله

وقال الخليل وغيره هذا في الدنيا وكانت تعير النبي صلى الله عليه وسلم بالفقر وهي تحتطب في حمل تجمله في جيدها من ليف خنقهها الله عز وجل به فأهلكها وهو في الآخرة جبل من نار (فان قيل) ان كان ذلك جبلها فكيف يبقى في النار (أجيب) بأن الله تعالى قادر على تجديده كلما احترق كما يقي اللحم والعظم والجلد أبدا في النار وعن ابن عباس قال هو سلسلة ذرعه سبعون ذراعا تدخل فيها وتخرج من أسفلها ويأوى سائرهما على عنقها وقال قتادة هو قلادة من ودع وقال الحسن انما كان خرزاني عنقها وقال سعيد بن المسيب كانت لها قلادة فاخرة من جوهر فقالت واللات والعزى لانهن في عداوة محمد ويكون ذلك عذابا في جيدها يوم القيامة وقيل ان ذلك اشارة الى الخلدان يعني انهما مربوطتان عن الايمان لما سبق لهما من الشقاء كالمربوط في جيده بجبل من مسد والمسد القتل يقال مسد جبهته مسدا أي أجاد قتله والجمع امساده وروى أنهم لما سمعت ما نزل فيها وفي زوجها من القرآن أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد عند الكعبة ومعه أبو بكر وفي يدها فهر من حجارة تريد أن ترميه به فلما وقفت عليه أخذ الله تعالى بصرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما ترى الأبواب كركرت فقالت يا أبا بكر أين صاحبك قد بلغني أنه يهجوني والله لو وجدته لضربت به هذا الفهر فاه والله اني لشاعرة

مذمما عصينا * وأمره أيننا * ودينه قليلا

ثم انصرفت فقال أبو بكر يا رسول الله أما ترى ما رأيتك قال صلى الله عليه وسلم ما رأيتني لقد أخذ الله تعالى بصرها عنى وكانت قریش انما تسمى محمدا صلى الله عليه وسلم مذمما ثم يسبونه وكان صلى الله عليه وسلم يقول ألا تعجبوا لما صرف الله تعالى عنى من أذى قریش يهجعون مذمما وأنا محمد انظر كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحمل هذا الأذى ويحلم عليهم فينبغي غيره أن يكون له به اسوة قال الله تعالى لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة * (تنبه) * احتج أهل السنة على تكليف ما لا يطاق بانه تعالى كاف بأهل البيت بالايان بصدى الله تعالى في كل ما أخبر عنه وبما أخبر عنه انه لا يؤمن فانه من أهل النار فانه قد صار مكلفا بأن يؤمن بأنه لا يؤمن وهذا تكليف بالجمع بين النقيضين وهو محال وذلك مذكور في أصول الفقه وقد تضمنت هذه الآيات الاخبار عن الغيب بثلاثة أوجه أحدها الاخبار عنه بالتياب والخسران وقد كان ذلك ثانياها الاخبار عنه بعدم الانتفاع بماله وولده وقد كان ذلك ثالثها الاخبار عنه بأنه من أهل النار وقد كان ذلك لانه مات على الكفر هو وامرأته وفي ذلك معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم وامرأته خنقهما الله تعالى بجبلها كما مر وأبواب رما الله تعالى بالعدسة بعد وقعة بدر بسبع ليال فمات وأقام ثلاثة أيام لا يدفن حتى أتت ثم ان ولده غسله بالماء قد فام من بعده مخافة عدوى العدسة وكانت قریش يتبعها كما تتبى الطاعون ثم احتملوه الى أعلى مكة وأسندوه الى جدار ثم رضعوا عليه الحجارة وقيل ان الله تعالى يدخل امرأته جهنم على الصورة التي كانت عليها حين كانت تحمل حزمة الحطب ولا تزال على ظهرها حزمة من حطب النار من أصل شجرة الزقوم أو من الضريع وفي جيدها جبل من مسد من سلاسل النار كما يعذب كل مجرم بما يجانس حاله في جرمه وقول

قال من قرأ قل هو الله أحد خمسين مرة غفرت ذنوبه * ومنها ما روى سعيد بن المسيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ قل هو الله أحد عشر مرات بنى الله له قصرًا في الجنة ومن قرأها عشرين مرة بنى الله له قصرين في الجنة ومن قرأها ثلاثين مرة بنى الله له ثلاث قصور في الجنة فقال عمر أذن تكثر قصورنا فقال صلى الله عليه وسلم الله أوسع من ذلك * ومنها ما رواه الطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ قل هو الله أحد بعد صلاة الصبح اثنتي عشرة مرة فكأنما قرأ القرآن أربع مرات وكان أفضل أهل الأرض يومئذ إذا اتقى وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ قل هو الله أحد في مرضه الذي يموت فيه لم يشن في قبره وأمن من ضغطة القبر وجملة الملائكة بأكنها حتى تجزيه من الصراط إلى الجنة وقد أفردت أحاديثها بالتأليف وفي هذا القدر كفاية لأولى الالباب ولها أسماء كثيرة وزيادة الاسماء تدل على شرف المسمى أحدها أنها سورة التقريد ثانياً سورة التجريد ثالثاً سورة التوحيد رابعاً سورة الاخلاص خامساً سورة النجاة سادساً سورة الولاية سابعاً سورة النسبة ثلثاً سورة الناربك ثامناً سورة المعرفة تاسعاً سورة الجمال عاشراً سورة المقتشفة حادى عشرها سورة المعوذة ثانياً عشرها سورة الصمد ثالث عشرها سورة الاساس قال أسست السموات السبع والأرضين السبع على قل هو الله أحد رابع عشرها المائة لأنها تمتنع قبنة القبر ونفحات النار خامس عشرها سورة المحتضر لأن الملائكة تحضر لاستعائها إذا قرئت سادس عشرها المنفرة لأن الشياطين تنفر عند قراءتها سابع عشرها سورة البراءة لأنها براءة من الشرك ثامن عشرها المذكورة لأنها تذكر العبد خالص التوحيد تاسع عشرها سورة النور لأنها تنور القلب المكمل للعشرين سورة الانسان قال صلى الله عليه وسلم إذا قال العبد الله قال الله دخل حصن حصني ومن دخل حصن حصني أمن من عذابي ففسأل الله تعالى أن يجبرنا من عذابه ويدخلنا الجنة فنحن وجميع الاحباب بغير حساب لانه كريم حلیم وهاب وما رواه البيضاوي من انه انعدل ثلاث القرآن فرواه البخاري ومن انه صلى الله عليه وسلم سمع رجلاً يقرأها الخ فرواه الترمذي والنسائي وغيرهما

(سورة الفلق مكية)

في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر ومدينة في قول ابن عباس وقاعدة

وهي خمس آيات وثلاث وعشرون كلمة وأربعة وسبعون حرفاً

(بسم الله) الذي له جميع الحول (الرحمن) الذي استجمع كمال الطول (الرحيم) الذي أتم على أهل وده جميع النول واختلف في سبب نزول سورة (قل أعوذ برب الفلق) فقال ابن عباس وعائشة رضي الله عنهم كان غلام من اليه وديخدم النبي صلى الله عليه وسلم فذنت اليه اليه ودفلم بر الواب حتى أخذ مشاطة رأس النبي صلى الله عليه وسلم وعدة أسنانه من مشطه وأعطاهها اليه وود فسهرو فيها ونولي ذلك لبس يدن الاعصم رجل من اليه ودفلمت هذه وقل أعوذ برب الناس فيه

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم طاب أي سحر حتى كأنه يخيل إليه أنه
صنع شيئا وما صنعه وأنه دعى ربه ثم قال أشعرت أن الله قد أقامني فيما استفتيته فيه فقالت عائشة
رضي الله عنها وماذا يا رسول الله قال جاءني رجلان فجلس أحدهما عند رأسي والآخر عند
رجلي فقال أحدهما للصاحبه ما وجع الرجل فقال الآخر مطبوب قال من طبه قال ليبدن
الاحصم قال فيما ذا قال في مشط ومشاطة وجف طلعة ذكر قال فأين هو قال في ذروان وذروان
بئر في بني زريق قالت عائشة رضي الله عنها فأتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رجع إلى عائشة
فقال والله لكأن ما هاهنا قاعة الحناء ولكأن نخلها رؤس الشياطين قالت فقلت يا رسول الله هل
أخرجته قال أما أنا فقد شفاني الله وكرهت أن أثير على الناس منه شرا وعن زيد بن ارقم قال
سحر النبي صلى الله عليه وسلم رجل من اليهود فاشتكى ذلك أياما فأتاه جبريل عليه السلام فقال
ان رجلا من اليهود سحرك وعقد لك عقدا في بئر كذا وكذا فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم
علمه فاستخرجها فجاءهم الجعل كالحمل عقد وجد لذلك حقة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
كأنما ينشط من عقال قال فإذا كرك ذلك اليهودي ولا رأي وجهه قط وروى أنه كان تحت صخرة
في البئر فرفعوا الصخرة وأخرجوا جف الطلعة فإذا فيها مشاطة من رأسه صلى الله عليه وسلم
وأسنان مشطه وعن مقاتل الكلبي كان ذلك في وتر عقد عليه إحدى عشرة عقدة وقبل كانت
مغروزة بالابرة فأنزله الله هاتين السورتين وهما إحدى عشرة آية سورة الفلق خمس آيات وسورة
الناس ست آيات كلما قرأ آية انحلت عقدة حتى انحلت العقد كلها فقام صلى الله عليه وسلم كأنما
نشط من عقال وروى أنه لبث فيه ستة أشهر واشتد عليه ثلاث لبال فزلت المعوذتان وروى أنه
كان يخيل له أنه يطار زوجته وليس بواطئ قال سفيان وهذا أشد ما يكون من السحر وعن أبي
سعيد الخدري أن جبريل عليه السلام أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اشتكيت قال
نعم قال بسم الله أريقك من كل شيء يؤذيك ومن شر كل نفس أو عين حاسد والله يشفيك بسم الله
أريقك (فان قيل) المستعاض منه هل هو بقضاء الله وقدره أولا فان كان بقضاء الله وقدره فكيف
أمر بالاستعاذة مع أن ما قدر لا بد واقع وإن لم يكن بقضاء الله وقدره فذلك قدح في القدرة
(أجيب) بأن كل ما وقع في الوجود فهو بقضاء الله وقدره والاستشفاء بالعوذ والرقى من قضاء
الله يدل على صحة ذلك ما روى الترمذي عن أبي خزيمة عن أبيه قال سألت رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقلت يا رسول الله أرأيت رقي نسترقى به ياود وامتدأوى به وثقاة تنقيهم اهل يرد من
قضاء الله شيئا قال هو من قدر الله قال الترمذي هذا حديث حسن وعن عمر بن قنبر عن قدر الله إلى
قدر الله ومعنى أعوذ أستجير وألتجئ وأعصم وأحترز والقلق الصبح في قول الاكثرين ومنه
قوله تعالى فالتق الاصباح لانه ظاهر في تغير الحال ومحاكاة يوم القيامة الذي هو أعظم قلق يشق
ظلمة القماء والهالك بالبعث والاحياء وقال الملوى القلق بالسكون والحركة كل شيء اتفاق عنه
ظلمة العدم وأوجد من الكائنات جميعا وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سمع في جهنم
وقال الكلبي واد في جهنم وقال الضحالك يعني الخلق وقيل المطمئن من الارض وجميعه فلقان مثل

خالق وخلقان وقيل الفلق الجبال والصخور تنفلق بالمياه أي تنشق وقيل هو التفليق بين الجبال
 لأنها تنشق من خوف الله تعالى ولفظ الرب هنا أوقع من سائر أسماءه تعالى لأن الإعادة من المصارف
 تربية * ولما كانت الأشياء قسمين عالم الخلق وعالم الأمر وكان عالم الأمر خيرا كله فكان الشر
 منحصرا في عالم الخلق خصه بالاستعانة فقال تعالى معهم فيها (من شر ما خلق) فخص عالم
 الخلق بالاستعانة منه لانحصار الشرفيه والشرية يكون اختياريا من العاقل الداخل تحت
 مدلول ما وغيره من سائر الحيوانات كالكفر والظلم ونهش السباع ولدغ ذوات السموم وتارة
 طبيعيا كحراق النار وإهلاك السموم وقيل المراد به ابليس خاصة لأنه لم يخلق الله خلقا شره
 ولأن السحر لا يتم إلا به وباعوانه وجنوده وقيل من شر كل ذي شر وهو قوله تعالى (ومن شر فاسق
 إذا وقب) فيه أوجه أحدها ما روى عن عائشة قالت إن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 نظر إلى القمر فقال يا عائشة استعيني بالله من شر هذا فان هذا هو الغاسق إذا وقب
 أخرجه الترمذي وقال حديث صحيح حسن فعلى هذا المراد به القمر إذا خسف واسود
 وذهب ضوهه أو إذا دخل في المحاق وهو آخر الشهر وفي ذلك الوقت يتم السحر المؤثر للبرص
 وهذا مناسب لسبب نزول هذه السورة ثانيها ما روى عن ابن عباس أن الغاسق الليل إذا
 وقب أي أقبل بظلمته من المشرق وسمى الليل غاسقا لأنه أبعد من النهار والغسق البرد وانما
 أمر نباله يعود من الليل لأن فيه تتمش الآفات ويقل الغوث ومنه قولهم الليل أخفى للويل
 وقولهم اعذر الليل لأنه إذا أظلم كثرت فيه العتة ووفيه يتم السحر وأسند الشر إليه لئلا يستتله من
 حدوثه فيه ثالثها أنه الثريا إذا سقطت وغابت ويقال إن الاسقام تكثر عند وقوعها وترتفع عند
 طلوعها فلها أمر نباله يعود من الثريا عند سقوطها رابعها أنه الاسود من الحيات ووقبه ضربه
 ونقبه والوقب النقب ومنه وقت الثريد ولما كان السحر أعظم ما يكون لمفاهيم من تفريق المر
 من زوجه وأبيه وابنه ونحو ذلك عقب ذلك بقوله تعالى (ومن شر النفاثات في العقد) أي النساء
 أو النفوس أو الجماعات السواحر اللواتي تعقد عقدا في خيوط ويتفنن عليهن أو يرقن عليهن والنفث
 النفخ مع ريق وقال أبو عبيدة النفاثات من نبات ليس يدب أعصم اليهودي سحر النقي صلى الله
 عليه وسلم (فان قيل) ما معنى الاستعانة من شرهن (أجيب) بثلاثة أوجه أحدها أنه يستعاذ من
 عملهن الذي هو صناعة السحر ومن أفعلهن في ذلك ثانيها أن يستعاذ من قننهن الناس بسحرهن
 وما يجدونهن به من باطلهن ثالثها أن يستعاذ مما يصيب الله به من الشر عند نفثهن قال الرخصي
 ويجوز أن يراد بهن النساء الكاذبات من قوله تعالى إن كيدكن عظيم تشبيها لكيدهن بالسحر
 والنفث في العقد أو اللاتي يفتن الرجال بتعرضن لهم وعرضن محاسنهن كنهن بسحرهن بذلك
 * (تنبيه) * اختلف في النفث في الرقي فجوزه الجمهور من الصحابة والتابعين ومن بعدهم وبطل
 عليه حديث عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مرض أحد من أهله نفث عليه
 بالعودتين وروى محمد بن حاطب أن يده احترقت فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل ينفث عليها
 ويتكلم بكلام زعم أنه لم يحفظه وروى أن قوما لدغ رجل منهم فألقوا أصحاب النبي صلى الله عليه

وسلم فقالوا اهل فيكم من راق قالوا لا حتى يتجملوا الناس بما فعلوا لهم قطيعا من الغنم فجعل رجل
منهم يقرأ فاتحة الكتاب ويرقى ويتفل حتى يرى فأسخذه فلما رجعوا ذكر ذلك للنبي صلى الله
عليه وسلم فقال وما يدريك أنها رقية خذوا واضربوا الى معكم بسهم وأنكر جماعة النفث والتفل
في الرقى وأجازوا النفث بالاريق وقال عكرمة لا ينبغي للراق أن يتفل ولا يجمع ولا يعقد وقيل ان
النفث في العقد انما يكون مذموما اذا كان سحر مضرا بالارواح والابدان واذا كان النفث
لاصلاح الارواح والابدان فلا يضرب وليس بدموم ولا مكره بل هو مندوب اليه * ولما كان أعظم
حامل على السحر وغيره من أذى الناس الحسد وهو حتى زوال نعمة المحسود للعاسد وغيره قال
تعالى (ومن شر حاسد) أي ثابت الاتصاف بالحسد معروف فيه وأعظم الحساد الشيطان الذي
ليس له دأب الا السعي في ازالة نعم العبادات عن الانسان بالغفلات ثم قيد ذلك بقوله تعالى (اذا
حسد) أي اذا ظهر حسده وعمل بقتضائه من بغي القوائل للمحسود لانه اذا لم يظهر أثر ما أضمر
فلا ضرر يعود منه على من حسده بل هو الضار لنفسه لاغتنامه بسرو غيره وعن عمر بن عبد
العزيز لم أر ظالما أشبه بالظالم من حاسد وفي اشعار الانية ادعاء بما يحسد عليه من نعم الدارين لأن
خير الناس من عاش محسودا ومات محسودا (فان قيل) لم يعرف بعض المستعاضة ونكر بعضه
(أجيب) بأن النفيان عرفتا لانه كل تقاضة شريفة ونكر غاسق لأن كل غاسق لا يكون فيه النمر
انما يكون في بعض دون بعض وكذلك كل حاسد لا يضرب حسد محسود وهو الحسد في الخيرات
ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لا حسد الا في اثنين الحديث وقال أبو تمام
* وما حاسد في المكر مات بحاسد * وقال آخر * ان العلاحسن في مثلها الحسد * (فائدة) * قال
بعض الحكماء الحاسد بان زربه من خمسة أوجه أولها أنه أبغض كل نعمة ظهرت على غيره ثانياها أنه
ساختل القسمة ربه كأنه يقول لم قسمت هذه القسمة ثالثها ان ضاد فعل الله تعالى ان فضل بيرة
من شاء وهو يجزل بفضل الله تعالى رابعها أنه خذل أولياء الله تعالى أو يريد خذلانهم وزوال
النعمة عنهم خامسها أنه أعان عدو الله ابليس والحاسد لا ينال في المجالس الاندامة ولا ينال عند
الملائكة الا لعنة ولا ينال في الدنيا الا جزعا وغما ولا ينال في الآخرة الا حرنا واحترقا ولا ينال
من الله تعالى الا بعدا ومقتا وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ثلاثة لا يستجاب دعائهم أكل
الحرام ومكث الغيبة ومن كان في قلبه غل أو حسد للمسلمين وقيل المراد بالحاسد في الآية اليهود
فانهم كانوا يحسدون النبي صلى الله عليه وسلم (فان قيل) قوله تعالى من شر ما خلق تعميم في كل
ما يستعاضة منه فاعني الاستعاضة بعدة من الغاسق والنفيان والحاسد (أجيب) بأنه قد خص
شر هؤلاء من كل شر خلفاء أمرهم وأنه يلحق الانسان من حيث لا يعلم كأنما يغتال به وقالوا شر
العدة المداحي الذي يكيد لمن حيث لا تشعروا وأخرج الامام احمد عن الزبير بن العوام أنه صلى
الله عليه وسلم قال دب اليكم داء الاثم قبلكم الحسد والبغضاء هي الحاقة فنسأل
الله تعالى ان يحفظنا ومحبينا منه انه كريم جواد وروى مسلم انه صلى الله عليه وسلم قال لقد أنزلت
على سورتان ما أنزل مثلهما وروى ابن ماجه انه صلى الله عليه وسلم قال وانك ان تقر أسورتين

لا أحب ولا أرضى عند الله منهما يعني المعوذتين وعن عقبه بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إلا أخبرني بأفضل ما تعوذ به المتعوذون قلت بلى يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم قال قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس وما رواه الزنجشري ولم يقله البضاوي هنا لكن قال في آخر السورة الآية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ المعوذتين فكأنما قرأ الكتب التي أنزلها الله تعالى حديث موضوع

﴿سورة الناس مكية﴾

وهي ست آيات وعشرون كلمة وتسعة وتسعون حرفاً

(بسم الله) المحيط بكل باطن كحاطته بكل ظاهر (الرحمن) الذي عمت نعمته كل باد وحاضر (الرحيم) الذي خص أهل وده بانعام النعمة في جميع أمورهم الأول منها والانشاء والآخر منها أمر الله تعالى نبيه بالاستعاذة مما تنقم أمره أن يستعين من شر الورس واس بقوله تعالى (قل) أي يا أشرف المرسلين (أعوذ) أي اعنهم والتجني (رب) أي مالك وخالق (الناس) وخصهم بالذكر وإن كان رب جميع المحدثات لأمر من أحدهما إن الناس يعظمون فأعلم بذكركم أنه رب لهم وإن عظموا الثاني أنه أمر بالاستعاذة من شرهم فأعلم بذكركم أنه هو الذي يعيد منهم قال المألوي والرب من له ملك الرق وجلب الخيرات من السماء والأرض وانقاذها ودفن الشرور ورفعها والنقل من النقص إلى الكمال والتدبير العام العائد بالحفظ والتميم على المربوب وقوله تعالى (ملك الناس) إشارة إلى أن له كمال التصرف ونفوذ القدرة وعظام السلطان فإليه الفزع وهو المستغاث والمجأ والمنجا والمعاد وقوله تعالى (إله الناس) إشارة إلى أنه تعالى كما انفرد بربوبيتهم وملكهم لم يشركه في ذلك أحد فكذلك هو وحده الهام لا يشركه في ألوهيته أحد وقد اشتملت هذه الإضافات الثلاث على جميع قواعد الإيمان وتضمنت معاني أسمائه الحسنى فإن الرب هو القادر الخالق إلى غير ذلك مما يتوقف الإصلاح والرحمة والقدرة الذي هو معنى الربوبية عليه من أوصاف الجلال والملك هو الآخر الناهي المعز المذل إلى غير ذلك من الأسماء العائدة إلى العظمة والجلال وأما الإله فهو الجامع لجميع صفات الكمال ونعوت الجلال فيدخل فيه جميع الأسماء الحسنى وتضمنت الجميع معاني الأسماء الحسنى كان المستعين بذكركم بأن يعاذ وقد وقع ترتيبها على الوجه الأكمل الدال على الواحدانية لأن من رأى ما عليه من النعم الظاهرة والباطنة علم أن له صريفاً فإذا درج في العروج في درج معارفه سبحانه علم أنه غني عن الكل والكل إليه محتاج وعن أمره تعالى تجري أمورهم فيعلم أنه ملكهم ثم يعلم بانفراده بتدبيرهم بعد ادعاءهم أنه المستحق للإلهية بلا مشاركة فيها * (فائدة) * قد أجمع جميع القراء في هذه السورة على إسقاط الألف من ماله بخلاف الفاتحة كما مضى لأن المالك إذا أضيف إلى اليوم أفهم اختصاصه بجميع ما فيه من جوهر وعرض وأنه لا أمر لأحد معه ولا مشاركة في شيء من ذلك وهو معنى الملك بالضم وأما إضافة المالك إلى الناس فإنها لا تستلزم أن يكون ملكهم فلو قرئ به هنا لنقص الملك بالضم وأطبقوا في آل

عمران على اثبات الالف في المضاف وحذفها من المضاف اليه لان المقصود من السياق أنه
 سبحانه يعطى الملك من يشاء ويمنع من يشاء والملك بكسر الميم أليق بهذا المعنى واسرار كلام الله
 تعالى أعظم من أن تحيط بهم العقول وانما غاية أولى العلم الاستدلال بما ظهر منها * (تنبيه) *
 يجوز في ملك الناس والله الناس أن يكونا وصفين رب الناس وان يكونا بديلين وأن يكونا عطف
 بيان واقتصر عليه الزمخشري قال كقولك سيرة أبي حفص عمر الفاروق بين ملك الناس ثم زيد
 بياناً بالله الناس لانه قد يقال لغيره رب الناس كقوله تعالى اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً
 من دون الله وقد يقال ملك الناس وأما الله الناس فخاص لا شريك فيه فجعل غاية البيان (فان
 قيل) حلاً اكتفى بإظهار المضاف اليه الذى هو الناس مرة واحدة (أجيب) بأن عطف
 البيان للبيان فهـ كان مظنة للاظهار دون الاضمار (من شر الوسواس) وهو اسم بمعنى
 الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة وأما المصدر فوسواس بالكسر كزلزال والمراد به شيطان
 سمى بالمصدر كأنه وسوس في نفسه لانهم اصنعتة وشغله الذى هو عاكف عليه أو يريد
 ذو الوسواس والوسوسة الصوت الخفى ويقال لحس الصائد والكلاب وأصوات الخلى وسواس
 والشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم كما فى الصحيح فهو الذى يوسوس بالذنوب سرا
 ليكون احلى ولا يزال يزينه ويشير الشهوة الداعية اليه حتى يقع الانسان فاذا وقع
 وسوس لغيره ان فلان فاعل كذا حتى يفصح بذلك فاذا افتضح ازداد جرأة على امثال ذلك
 كأنه يقول قد وقع ما كنت أحتذر من ايقاعه فلا يكون شئ غير الذى كان فيجتري على الذنب *
 ولما كان الله تعالى لم ينزل داء الأتزل له دواء غير السام وهو الموت وكان قد جعل دواء الوسوسة
 ذكره تعالى فانه يطرد الشيطان وينير القلب ويصفى فيه وصف سبحانه الموسوس عند استعماه
 الدواء بقوله تعالى (الخناس) أى الذى عادته ان يحنس أى يتوارى ويتأخر ويحتجى بعد
 ظهوره مرة بعد مرة كلما كان الذكر خنس وكما يطل عاد الى وسواسه فالذكر له كالمقامع التى تقمع
 المفسد فهو شديد النفور منه ولهذا كان شيطان المؤمن هزلاً كما حكى عن بعض السلف أن
 المؤمن يضئ شيطانه كما يضئ الرجل بعيره فى السفر قال قتادة الخناس له خرطوم كخرطوم الكلب
 وقيل كخرطوم الخنزير فى صدر الانسان فاذا ذكر العبد ربه خنس ويقال رأسه كراس الحية
 واضع رأسه على غرة القلب يسميه ويحدثه فاذا ذكر الله تعالى خنس ورجع ووضع رأسه فذلك قوله
 تعالى (الذى يوسوس) أى يلقي المعانى الضارة على وجه الخلق والتكرير (فى صدور الناس)
 أى المضطربين اذا غفلوا عن ذكرهم من غير سماع وقال مقاتل ان الشيطان فى صورة خنزير يجرى
 من ابن آدم مجرى الدم فى عروقه ساططه الله تعالى على ذلك وقال القرطبي وسوسته هى الدعاء الى
 اطاعته بكلام خفى يصل مفهومه الى القلب من غير سماع صوت * (تنبيه) * يجوز فى محل
 الذى يوسوس الحركات الثلاث فالخر على الصفة والرفع والنصب على الشتم ويحسن ان يقف
 القارئ على الخناس ويمتدئ الذى يوسوس على أحد هذين الوجهين وقوله تعالى (من الجنة)
 أى الجن الذين هم فى غاية الشر والتردد والخناس (والناس) أى أهل الاضطراب والذبذبة بيان

للذي يوسوس على ان الشيطان ضرب ابن جنى وأنسى كما قال تعالى شياطين الانس والجن ويحجز
 أن يكون بدلا من الذي يوسوس أي الموسوس من الجن والانس وأن يكون حلالا من الضمير في
 يوسوس أي حال كونه من هذين الجنسيتين وقيل غير ذلك قال الحسن هما شيطانان لنا أما شيطان
 الجن فيوسوس في صدور الناس وأما شيطان الانس فبأني علانية وقال قتادة ان من الجن
 شياطين وان من الانس شياطين فتعوز بالله من شياطين الجن والانس وعن أبي ذر قال لرجل هل
 تعوذت بالله من شيطان الانس فقال أو من الانس شياطين قال نعم اقلوه تعالى وكذلك جعلنا
 لكل نبي عدوا وشياطين الانس والجن الآية وذهب قوم الى أن المراد بالناس هنا الجن وهو
 ناسا كما سمعوا رجلا في قوله تعالى وانه كان رجال من الانس يعوذون رجالا من الجن
 وكما سمعوا انقرا في قوله تعالى قل أوحى الى أنه استمع نفر من الجن وكما هو اقوا نقل القراء عن
 بعض العرب أنه قال وهو يحدث جاء قوم من الجن فوقه واقتيل من أنتم فقالوا ناس من الجن
 فعلى هذا يكون والناس عطف على الجنة ويكون التكرير لاختلاف اللفظين والجنسة
 جمع جنى كما يقال انس وانسى والهاء لتأنيث الجماعة وقيل ان ابليس يوسوس في صدور
 الجن كما يوسوس في صدور الناس فعلى هذا يكون في صدور الناس عاما في الجميع ومن
 الجنة والناس بيان لما يوسوس في صدورهم وقيل معنى من شر الوساوس الوسوسة
 التي تكون من الجنسة والناس وهو حديث النفس قال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى
 تجاوز لا تقي عما حدثت به أنفسهم ما لم تعمل أو تتكلم به وعن عتبة بن عامر قال قال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم ألم تر آيات نزلت الليله لم ير مثلهن قط أعوذ برب الفلق وأعوذ برب
 الناس وعنه أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألا أخبرك بأفضل ما تعوذ به المتعوز قلت
 بلى قال قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس وعن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول
 الله صلى الله عليه وسلم اذا وى الى فراشه كل ليلة جمع كفيه فنقث فيهما وقرأ قل هو الله أحد
 وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس ثم مسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما رأسه
 ووجهه وما أقبل من جسده يصنع ذلك ثلاث مرات وعنها أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 كان اذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذتين وينقث فلما اشتد وجعه كنت أقرأها عليه وأمسح عنه
 يده ورجاء بركتها وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحسد الا في اثنين ورجل
 آناه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وأطراف النهار وعن ابن عباس قال قال رجل يا رسول
 الله أي الاعمال أحب الى الله تعالى قال الحال المرتحل قال وما الحال المرتحل قال الذي يضرب
 من أول القرآن الى آخره كلما حل ارتحل وعن أبي هريرة أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول
 ما أذن اقله لاحدا ما أذن انبي تحسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به * (لطيفة) * نختتم بها كما ختم
 بها الفخر الرازي رحمه الله تعالى نفسه وهي ان المستعاذ به في السورة الاولى مذكور بصفة
 واحدة وهي أنه رب الفلق والمستعاذ منه ثلاثة أنواع من الآفات وهي الغاسق والنفاثات
 والحاسد وأما في هذه السورة فالمستعاذ به مذکور بصفات ثلاث وهي الرب والمالك والاله

والمستعاضة منه آفة واحدة وهي الوسوسة والفرق بين الموضوعين ان الثناء يجب ان يقدر بقدر
المطلوب فالمطلوب في السورة الاولى سلامة النفس والبدن والمطلوب في السورة الثانية سلامة
الدين وهذا تنبيه على ان مضرة الدين وان قلت اعظم من مضار الدنيا وان عظمت * وهذا
آخرا ما يسميه الله تعالى من السراج المنير في الاعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم
الخير فدونك تفسيراً كأنه سيكة عسجد أو درمنه ضد جمع من التفسير معظما ومن
القرآت متواترها ومن الاقاويل أظهرها ومن الاحاديث صحيحها وحسنها محترز الدلائل
في هذا الفن مظهر الدقائق استعملنا الفكر فيها اذا الليل جن فاذا ظفرت بفائدة شاردة
قادع لي بالتجاوز والمغفرة اوزلة قلم أو لسان فافتح لها باب التجاوز والمغفرة

فلا بد من عيب فان تجددت * فسامح وكن بالستر أعظم مفضل

فن ذا الذي ماساء قط ومن له الشجعان قدمت سوى خير مرسل

وأنا أعوذ بجميع كلمات الله الكاملة النامة وألؤد بكنف رحمة الشاملة العامة من كل ما يكلم
الدين ويئلم اليقين أو يعود في العاقبة بالندم أو يقدح في الايمان المسوط باللحم والدم وأسأله
بخضوع العنق وخشوع البصر ووضع الخد لجلاله الاعظم الا كبر مستشفعا اليه بنوره الذي
هو الشية في الاسلام متوسلا اليه بسيد الانام عليه الصلاة والسلام وبالتوبة المعصية
للاستنام وبما غنيت به من مصابر في على نواكل من القوى وتخاذل من الخطايا ثم أسأله
بحق صراطه المستقيم وقرآنه المجيد الكريم وبما لقيت من كدح اليمين وعرق الجبين
في عمل هذا التفسير المبين عن حقائقه المخلص عن مضايقه المطلع على غوامضه المثبت
في مداخضه المكتنز بالفوائد التي لا توجد الا في نفسه المحيط بالايمن منه من بديع الفاظه
ومعانيه مع الايجاز الحاذق للفضول وتجنب المستكره المملول متوسط الحجم وخير الامور
أوساطها لا تضربها ولا افراطها هذا ولسان التقصير في طول مدحه قصير

أعيذه بالمصطفى * من حاسد قد هما

بذته وقد غدا * من أجله مهمما

فليس ينبغي ذمه * الا بغيب أعمى

كفاه ربى شرهم * وزان منه الرسما

وزاد في تدبيرهم * تدميرهم والغما

وردتهم بغيتهم * فلم ينالوا غنما

وزاد مسعادة * ولازمته النعمى

فتسأل الله الكريم الذي به الضر والنفع والاعطاء والمنع أن يجعله لوجهه خالصا وان يداركني
بالطافه اذ الظل أضفى في القيامة فالصا وأن يتجاوز عني انه هو السميع العليم وأن يرفع به
درجتي في جنات النعيم وان يجعله ذخيرة لي عنده انه ذو الفضل العظيم وأن ينفع به من تلقاه
بالقبول انه جواد كريم وان يخفف عني كل تعب ومؤنه وأن يمدني بحسن المعونه وان يهب

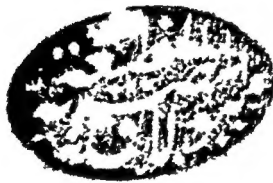
لى خاتمة الخير ويقتنى مصارع السوء وان يتجاوز عن فرط اتي يوم التناد ولا يفتحنى به باعلى
 رؤس الاشهاد أنا ووالدى وأولادى وأقاربى ومشايخى وأجبابى ويحلنا دار المقام من
 فضله بواسع طوله وسابع نوله انه هو الجواد الكريم الرؤف الرحيم وهذا شئ ما كان
 فى قدرى فانى والله معترف بقصر الباع وكثرة الزال ولكن فضل الله وكرمه لا يعسل بشئ من
 العلل فلهذا رجوت ان أكون متصفا بأحدى الخصال الثلاث التى اذامات ابن آدم انقطع
 عمله الامنها بل أرجو من الله الكريم اجتماعها الله جواد كريم حلیم (قال) المؤلف رحمه الله
 تعالى وكان الفراغ من تأليفه يوم الاثنين المبارك ثالث عشر صفر الخير من شهر ربيع سنة ثمان
 وستين وتسعمائة من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام على يدم مؤلفه فقير رجمة
 ربه القريب محمد بن أحمد الشريفي الخطيب غفر الله تعالى له ذنوبه وسترى الدارين عيوبه
 والمسلمين والحمد لله رب العالمين وصلاة الله وسلامه على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين
 والعصابة والتابعين أجمعين وتابعهم بإحسان الى يوم الدين

يقول المتوسل الى الله بالجاه الصديق ابراهيم عبد الغفار الدوق ^{مصحح} دار الطباعة جبل
 الله طباعه قد تم طبع السراج المنير بعون الملك القدير وهذا الكتاب العجيب المنسوب
 للامام الخطيب قد اعنت بحجره دار الطباعة وبذلك فى تنقيده غاية الاستطاعة فازالت
 عنه ربة التحريف وأطلقت من أسرار التحجيف بمراجعة اصول أساليبه والبحث عن صواب
 تراكيبه فحصلت بركاته وعت نتجته وأنا لا آفاق بدرو وجوده وروى الظماء قاموس
 فضله وجوده وتحت إجماع جواهر معانيه اجياد مباشره ومبتاعه ثم ان تمام يبعه فى اثنا
 طبعه أول دليل على عوم نفعه وهذا كما يقع فى خلدى ويقتنى من كرامات مؤلفه محمد بن
 أحمد الشريفي وكان تمام طبعه بدار الطباعة العامة الكائنة بيولا قم مصر القاهرة
 على ذمة هذه المطبعة الميمنة التى هى بطالع السعد مقرونه فى سنة خمس وعشرين ومائتين
 وألف من هجرة من خلقه الله على أكمل وصف مشه ولا بنظر المجتهد فى نفع أو طائنه الباذل
 مرؤنه فى قضاء حاج اخوانه من عليه احسن اخلاقه تننى حضرة حسين بك حسنى فانه
 لا يزال باحثا عن عوم المنافع عند وجود المتتضيات وزوال الموانع فى ظل من تعطرت الافواه
 بطيب شأنه وبلغ من كل وصف جميل حدا انتباهه ومحافظم الظلم بسناصوره وأثبت مراسم
 الهدل بحسن سيرته وأفاض على أهل مملكته غيث انعامه واحسانه وشماهم بعظيم رأفته
 ومزيد امتنانه وبسط لهم بساط عدله وسلاهم بحلى وجوده وفضله عزيز الديار المصرية
 وسامى حتى حوزتها النبيلة بشدة بأسه وعزمه الجلى سعادة أفندينا اسمعيل بن ابراهيم بن
 محمد على لازال ملووظا بعين العناية الالهية موقفا لسايرا لآراءه الخيرية مخدوظا بالجناب
 مقصودا بالاعتاب مسرورا بسايرا الانجال بجوامع خاتم رسل ذى الجلال ولما تهيأ التمام والكمال

وليس من حسن الطبع حله الجلال انطلق لسان اليراع يقرظه وبعين الاطراء يخطئه فقال
 كلام الله أفضل ما رواه * رسول الله عن جبريل قطعا
 عجائبه يحار الالب فيها * وليت تنقضي بدعا وصنعا
 وخادمه بتفسير المعاني * أجل الناس منقبة ووضعها
 ولا سيما الخطيب أبو المعالي * مبين الآي أفذاذا وشفعا
 هو التفسير أيضا وبسطا * ومتبعوه أرقى الناس طبعا
 ولما تم حسنا قلت أرخ * وفي أوب الخطيب وتم طبعا
 ٩٦ ٩ ٦٥٢ ٤٤٦ ٨٢

١٢٨٥

فالمجدقه الذي بنعمته تم الصالحات والصلاة والسلام على المؤيد
 بياهر المعجزات وعلى أصحابه الكرام البرره وآل بيته
 المنتخبين الخيره ما توالى الجديدان
 ونعاقب النيران
 تم



4515